يوميا: الإنسان والتطور
الإصدار الإلكتروني

شتاء ربيع

"الإنسان و التطور"

النشرات اليومية عن السيكوباثولوجي

دراسة في علم السيكوباثولوجي

(الكتاب الثاني)

لوحات تشكيلية من العلاج النفسي

من وحي ديوان: أغوار النفس

مع ملحق ردود بريد الجمعة

بروفيسور يحيى الرخاوي

وحدة الدراسة و البحث في الإنسان و التطور

شتاء ربيع 2011

حكاية كاملة

الجزء الثاني

إصدارات شبكة العلوم النفسية العربية

دراسة في علم السيكوباثولوجي

(الكتاب الثاني)

لوحات تشكيلية من العلاج النفسي
من وحي ديوان: أغوار النفس

مع ملحق ردود بريد الجمعة

بروفيسور يحيى الرخاوي

الفهـــــــــــرس

الـثلاثـــاء 2009-06-09 648- نشرة يومية من مقالات وآراء ومواقف	7
الإربعـــاء 2009-06-10 649- نشرة يومية من مقالات وآراء ومواقف	15
الـثلاثـــاء 2009-06-16 655- نشرة يومية من مقالات وآراء ومواقف	25
الإربعـــاء 2009-06-17 656- نشرة يومية من مقالات وآراء ومواقف	31
الـثلاثـــاء 2009-06-23 662- (تابع الملف!!).. عن الحب والكره (5)	42
الإربعـــاء 2009-06-24 663- نشرة يومية من مقالات وآراء ومواق	49
الـثلاثـــاء 2009-06-30 669- نشرة يومية من مقالات وآراء ومواقف	57
الإربعـــاء 2009 -07-01 670- "....علمني ضربْ النار، بكلمة صدق طالعه مولعة"	65
الأحـــــد 2009 -07-05 674- لعبة الكلام: سبع جنازات	69
الـثلاثـــاء 2009 -07-07 676- التحليل النفسى: هل مات فعلاً؟	77
الإربعـــاء 2009 -07-08 677- إحياء المعنى يملأ الكلام!	84
الـثلاثـــاء 2009 -07-14 683- أنا ماشى "سريع" حوالين نفسى !! (1 من 2)	91
الإربعـــاء 2009 -07-15 684- أنا ماشى "سريع" حوالين نفسى !! (2 من 2)	98
الـثلاثـــاء 2009-07-21 690- الفصل الأول: لعبة الكلام : الحالة الثانية (1 من 2)	104
الإربعـــاء 2009-07-22 691- الفصل الأول: لعبة الكلام : الحالة الثانية (2 من 2)	112

الثلاثاء 2009-07-28
697- الحق فى الانسحاب (الرجوع) : الحنين إلى "ركنك الخاص" (1 من 2) 119
الإربعاء 2009-07-29
698- الحلقة (17) من وحى الحالة الثالثة 126
الثلاثاء 2009-08-04
704- حين يصبح الركن قبرا لا ملاذا (1 من 2) 136
الإربعاء 2009-08-05
705- حين يصبح الركن قبرا لا ملاذا (2 من 2) 140
الثلاثاء 2009-08-11
711- العلاج النفسى الاستجدائى الاعتمادى 146
الإربعاء 2009-08-12
712- التحذير من تعرية مؤلمة، بلا حركة مشاركة 150
الثلاثاء 2009-08-18
718- عن العلاج النفسى والأيديولوجيا (1 من 2) 155
الإربعاء 2009-08-19
719- عن العلاج النفسى والأيديولوجيا، وموت الانسان (2 من 2) 162
الثلاثاء 2009-08-25
725- دفاعات ضد "حركية" تجليات"الحب"على مسار النضج 169
الإربعاء 2009-08-26
726- قراءة فى عيون بشرية 180
الإربعاء 2009-09-02
733- مش يمكن يطلع كل ده :"أنا" مش "هوّه" 186
الثلاثاء 2009-09-08
739- حركية استحالة العلاقة الممكنة بين البشر (1 من 2) 194
الإربعاء 2009-09-09
740- حركية استحالة العلاقة الممكنة بين البشر (2 من 2) 205
الثلاثاء 2009-09-15
746- "القط/النمر بداخلنا" (1 من 3) 209
الإربعاء 2009-09-16
747- القط النمر بداخلنا (2 من 3) 214
الثلاثاء 2009-09-22
753- القط النمر بداخلنا (3 من 3) 223
الثلاثاء 2009-09-29
760- نحب؟ أم "نلعب حبا"؟ 235

الإربعـــاء 2009-10-14
775- أن يحب أحدنا الآخر بما يليق بالكائن البشرى المعاصر 246

الإربعـــاء 2009-10-21
782- "السدود" على طريق "جدل الحب" 254

الإربعـــاء 2009-10-28
789- فقه العلاقات بين البشر(العين الحرامية) 263

الإربعـــاء 2009-11-04
796- حوار حول هذا العمل، خارج حوار الجمعة 273

الإربعـــاء 2009-11-11
804- امتداد وقفة المراجعة (2): الحق فى الحب 287

الخميـــس 2009-11-12
804- امتداد وقفة المراجعة (3): الحق فى الحب 301

الإربعـــاء 2009-11-18
810- ربنا خلقنا نحب بعضنا البعض، لنبقى بشرا 313

الخميـــس 2009-11-19
811- مرة أخرى: عن المنهج والموضوع 327

الإربعـــاء 2009-11-25
817- استطراد آخر: بعض تجليات "تسوّل الحب" 338

الخميـــس 2009-11-26
818- مزيد من التعقيب، وبعض الحوار، (وعموميات مؤقتا) 345

الإربعـــاء 2009-12-02
824- الحزن اليَقِظ، وآلام الرؤية/البصيرة 358

الخميـــس 2009-12-03
825- عودة إلى الألعاب النفسية، لتعويض الصمت 365

الإربعـــاء 2009-12-09
831- تسول الحب، والاعتمادية الرضيعية (1 من 2) 369

الخميـــس 2009-12-10
832- تسول الحب، والاعتمادية الرضيعية (2 من 2) 378

الخميـــس 2009-12-17
839- بنضج الوجدان البشرى: حركية "لتعارفوا" (الحب) 389

الإربعـــاء 2010-01-06
859- "نيجاتيف" إنسان، وتعرية قاسية صادقة 397

الإربعـــاء 2010-01-13
866-"نيجاتيف" إنسان، وتعرية قاسية صادقة 407

الإربعـــاء 2010-01-20
873- لـوحات تـشكيـلية ولـيست حـالات (سوف نـكرر هذا الـتنويـة كل مـرة 415
الإربعـــاء 2010-01-27
880- أبـواب وسراديـب (1 من 3) 424
الإربعـــاء 2010-02-03
887- أبـواب وسراديـب (2 من 3) 434
الإربعـــاء 2010-02-10
894- أبـواب وسراديـب (3 من 4) 440
الإربعـــاء 2010-02-17
901- أبـواب وسراديـب (4 من 4) 447
الإربعـــاء 2010-02-24
908- فـانـوس ألـوان 457
الإربعـــاء 2010-03-03
915- أن تـكون "ذاتـك" معه، معهم! 467
الإربعـــاء 2010-03-10
922- فشل علاقـة الموت المتبـادل: عدمـا (1 من 3) 475
الإربعـــاء 2010-03-17
929- فشل علاقـة الموت المتبـادل: عدمـا (2 من 3) 485
الإربعـــاء 2010-03-24
936- تـشكيلات ومـراتـب الـعلاقـات، ومـلامح أخرى لـلفـرض 495
الإربعـــاء 2010-03-31
943- تـوَقـف تـعسفـى، وطلب مـشورة! 502
الإربعـــاء 2010-04-07
950- "بـيجمـالـيون" (1 من 2) 506
الإربعـــاء 2010-04-14
957- "الـشوفـان" المتبـادل فى الـعلاج الـنفسى 513
الإربعـــاء 2010-04-21
964- المعلم (1) .....من كـثير؟ 519
الإربعـــاء 2010-04-28
971- المعلم..... (2) 525
الإربعـــاء 2010-05-05
978- المعلم..... (3) 531
الإربعـــاء 2010-05-12
985- المعلم..... (4) 537
الإربعـــاء 2010-05-19
992- المعلم..... (5) 544
الإربعـــاء 2010-05-26
999- المعلم..... (6) 551

الإربعـــاء 2010-06-02
1006- المعلم (7) 557
الإربعـــاء 2010-06-09
1013- ملحق قصيدة (المعلم) (8) 564
الإربعـــاء 2010-06-16
1020- لعبة الحياة 571
الإربعـــاء 2010-06-23
1027- لعبة الحياة (2) 577
الإربعـــاء 2010-06-30
1034- لعبة الحياة (3) 581
الإربعـــاء 2010 -07-07
1041- لعبة الحياة (4) 586
الإربعـــاء 2010 -07-14
1048- لعبة الحياة (5) 594
الإربعـــاء 2010-07-21
1055- لعبة الحياة (6) 598
الإربعـــاء 2010-07-28
1062- جمل المحامل (1) 607
الإربعـــاء 2010-08-05
1069- جمل المحامل (2) 614
الإربعـــاء 2010-08-11
1076- جمل المحامل (3) الحلقة الأخيرة 618
الإربعـــاء 2010-08-18
1083- الغنيوة الثانية (الفصل الثالث) 626
الإربعـــاء 2010-08-25
1090- الغنيوة الثانية (الفصل الثالث) 631
الإربعـــاء 2010-09-08
1104- الغنيوة الثانية (الفصل الثالث) 642
الإربعـــاء 2010-09-15
1111- الخاتمة 650
الإربعـــاء 2010-10-05
(شرح: ديوان سر اللعبة) (1) 654

ملحق ردود بريد الجمعة 661

الثلاثـــــــاء 09-06-2009

648- نشـــرة يوميـــة مـن مقـالات وآراء ومواقـف

دراسة فى علم السيكوباثولجى (الكتاب الثانى)

لوحات تشكيلية من العلاج النفسى
شرح على المتن : ديوان سر اللعبة

(1)

قبل المقدمة:

كان المفروض أن أنتقل هذه النقلة بعد ثلاثة أشهر تقريبا بعد أن تكون هذه النشرة قد أكملت عامين من عمرها، وقد تطورت إلى ما صارت إليه، إلا أن الإحباط الذى أصابنى لندرة التعقيبات على الحالة الطويلة التى نشرتها خلال الأسابيع الماضية فى باب "حالات وأحوال" جلعنى أفكر أن أستغل النشرة (أو أغلب النشرة) لمواصلة سداد دينى "بالتقسيط"، بنشر كتبى - المنتظرة دورها -مسلسلة يومى الثلاثاء والأربعاء بدلا من عرض الحالات، حتى تأتينا طلبات العودة إليها بما يكفى أن أستثار من جديد.

هذا نذا أبدأ بنشر هذا الكتاب الأول **"لوحات تشكيلية: من العلاج النفسى"**: شرح ديوان سر اللعبة (أسوة بكتابى الأول **"دراسة فى علم السيكوباثولوجى"**) شرح ديوان "سر اللعبة".

هذا وأتمنى أن يواصل باب **"التدريب عن بُعد"** صدوره يوم الأحد بالتبادل مع **"حالات وأحوال"**، وربما يغيران على يوم الأثنين (إبداعى الخاص) باعتبار أن يومى الثلاثاء والأربعاء قد أصبحا "شرح إبداعى الخاص".

أتعبتكم معى!!

لكن: ماذا أفعل والأمانة ثقيلة، والدّين متراكم.

مقدمة الكتاب:

(كتبت مسودتها سنة 2003 وتم تحديثها اليوم)

بعد حوالى ثلاثين عاما (1979 - 2009) اقتنعت أن تجربة شرح متن سر اللعبة قد نجحت إذ خرجت منها منظومة متكاملة جارى تحديثها هى كتابى المرجع "دراسة فى علم السيكوباثولوجي". وحين قررت إعادة طبع ديوانى **"أغوار النفس"** بالعامية كتبت فى مقدمته **"إنها خطوة لعلها تحفزنى لكتابة ما ينبغى أن أكتبه".**

لا أخجل من أكرر أننى أكتب هذه الكتب فى هذه الفترة من حياتى باندفاع لاهث خوفا من أن يحل الأجل، وألقى ربى وأنا كاتم شهادتى عن أصحابها. أنا أملك - ساعتها- دفاعا قويا وهو أنه هو الذى اختارنى قبل أن أتم مهمتي، لكن ماذا أقول إذا عرج الحساب على مسؤوليتى عن ترتيب أولوياتي؟

أعتقد أننى سوف أسأل عن الوقت الذى أضعته فى كتابة الشعر وأنا لست بشاعر، وفى الكتابة للصحف وأنا لست سياسى فاعل، أو كاتب مقال أساس، أفعل هذا أو ذاك على حساب الكتابة فيما أعتقد أنه خبرة خاصة لم تتح لشاعر أوسياسى، أو كاتب مقال أو حتى طبيب نفسى تقليدي.

عذرى كان، ومازال، هو أن كل ما كتبت،شعرا أو مقالا أو قصا، كان يدور حول محور واحد، هو هذا الذى قلب هذه النشرة اليومية إلى ما آلت إليه من **غلبة الجرعة النفسية** (طب نفسى - علاج نفسى - تنظير نفسى) وهو هو الذى يستدرجنى إلى هذه المخاطرة وهى تشرح الشعر، فتمسخه، لحساب العلاج النفسى.

ربما كان هذا هو السبب الذى جعلنى لا أتمادى فى الإبداع الأدبى (بأشكاله) لذاته، فأنا لست طبيبا أكتب الأدب كهواية فى أوقات فراغي، كما أنى لست أديبا أمارس الطب لأدعم به مطالب النشر، ولزوميات المثابرة. إنها رؤية غامرة، حركت كل ما يمكن فى، فتناولتْ أى أداة تصادف أنها وقعت فى يدي، أبغ من خلالها بعض ما تيسر لى من هذه الرؤية حسب كفاءة الأداة، ومهارتى فى استعمالها.

يواجهنى الآن فى هذه السن (بقيت بضعة شهور وأبلغ السابعة والسبعين) ثلاثة أعمال (بعيدا عن الأدب والنقد الأدبي) لا يجوز أن أرحل -مختارا- دون أن أثبتها لمن يهمه الأمر بعدي. علىّ الآن أن أفاضل بينها لأرتبها، هذا بخلاف ما تم نشره من أساسيات فكرى مثل "حركية الوجود، وتجليات الإبداع"

الأول: فى العلاج النفسى خاصة (وعلاج الأمراض النفسية)

الثاني: ماهية الفصام (وهو عندى الجوهر المحورى لكل الأمراض العقلية والنفسية)

الثالث: "الأساس فى الأمراض النفسية" الكتاب ثنائى اللغة) وقد انهيت منه مسوداتىْ كتابىْ **"الأعراض"** و**"التصنيف".**

الرابع: فى الأسس التطورية للوجود البشرى (صدر منها: حركية الوجود، وتجليات الإبداع") وبقى فى مسوداته الأولى كل من **"ماهية الوجدان"** (وضعت أساسياتها منذ 1972) ثم **" النظرية الإيقاعية التطورية : فى النمو النفسى والإمراض.**

(د) مسار وتنامى و جدلية برامج النمو البيولوجية (الغرائز)، ومنها ما قارب الإنهاء مثل:

(1) الغريزة الجنسية "من التكاثر إلى التواصل"

(2)غريزة العدوان "من القتل إلى الإبداع"

(3) الغريزة الإيقاعية من الجماد إلى التناغم مع الوعى الكونى إلى وجهه تعالى (النزوع إلى الإيمان) .

فبماذا أبدأ؟

بهذا الكتاب وأمركم إلى الله !!!

****

سوف أبدأ بإثبات إهداء ، ثم مقدمة الطبعة الأولى 1987

إهداء الطبعة الأولى : 1987

إهداء

إلى الأصدقاء الذين تركونى: أمانة، أو مسئولية، أو خوفاً.

وإلى هؤلاء الذين لم يعرفونى: دفاعاً، أو إهمالا، أو رفضا..

أهدى هذا العمل بشقيه: .. عرفانا بجميلهم علىّ،

وتأكيدا لمسئولية اختيارى ما هو "أنا"

إهداء الطبعة الثانية (يونيو 2009) :

إلى إصدقاء هذه النشرة الذين عقبوا والذين لم يعقبوا، حالا ومستقبلا

(هم هم نفس من أهديت إليه الطبعة الأولى!!!!، هل لاحظت؟)

مقدمة الطبعة الأولى

-1-

كتبت "هذا العمل" فى السنوات الأخيرة على فترات متقطعة، وحبسته فى محفوظاتى، مثلما أحبس كثيرا مما أكتب لأسباب مختلفة: من ذلك: الخوف من الخلط بين أدوارى فى رحلتى فى هذه الحياة. فأنا طبيب أمارس المهنة، وأنا أستاذ بالجامعة،

وأنا صاحب قلم بعض الوقت.. إلخ، ولعل هذا بعض ما أشرت إليه فى بعض الحواشى فى كتابى "سر اللعبة"، (دراسة فى علم السيكوباثولوجى)، من أنى لا أجرؤ أن أعرض نفسى على الناس "حاليا" لأنى مازلت أرتدى قميص الطبيب وأتصدى لعلاجهم، وهم يحتاجون أن يرونى بشكل خاص.

ومنها أن جرعة رؤيتى لنفسى (من خلال معاناتى التى أثارها فىّ أصدقائى المرضي) بدت لى أكبر من أن تقال، حتى أنه ساورنى الشك فى كل السير الذاتية التى لايمكن أن تعرض إلا الجزء

"المتاح" من صاحبها، أو الجزء المدرك من ذاته على أحسن تقدير، أما إذا زادت الرؤية فلا سبيل فى مرحلة تطور الإنسان الحالية إلى عرضها "هكذا" - ولعل هذا ما حدا بالمتصوفة إلى الكف عن الحديث فى علوم المكاشفة - ولا يملك صاحب هذه الرؤية، إذن، إلا أن يحتال ليعرض نفسه بالأسلوب السائد بلغة الفن، وربما الفلسفة أو العلم، فالفن الروائى مثلا- فى جزء منه على الأقل - يساعد صاحبه فى الحديث عن بعض مايرى داخله على ألسنة شخوص روايتة (وهذا بعض ما حاولته فى رواية طويلة هى: "المشى على الصراط" صدر منها الجزء الأول تحت عنوان "الواقعة".

العمل الحالى هو أيضا من هذا القبيل: تجربة شخصية عنيفة، جرت فى مجال خاص تماما، واختلطت بممارستى لمهنتى، وقد هزتنى كثيرا وخطيرا. رأيت من خلالها ما لم أكن أحلم أن أراه أبدا، وعلمتنى فى مهنتى وعن نفسى ما صار هاديا لى، ومثبتا لخطواتى، وقد بلغ انفعالى بها، ومعايشتى لها، أننى حين أردت أن أسجلها خرجت "بالعامية المصرية" مرتدية ثوبا منظوما فضفاضا معا، فزاد حرجى وتضاعف ترددى.

ثم حدث فى فبراير الماضى حين كنت أشارك فى ندوة فى البرنامج الثانى فى الإذاعة المصرية عن كتاب الشهر مع الأستاذ الدكتورة سهير القلماوى ومؤلفة الكتاب الأستاذ الدكتورة نبيلة محمود وكان عنوانه "القصص الشعبى بين الرومانسية والواقعية"، أن طرحت تساؤلا على مؤلفة الكتاب عن : "ما هو البديل الصحى للقصص الشعبى بعد تناقص كمه وتشويه كيفه"؟، وكدنا نتفق أن الإذاعة والتليفزيون ليسا بديلا حقيقيا - بوضعهما الراهن- فالقصص الشعبى والملاحم الشعبية كان لها - وما زال بدرجة ما - وظيفة سبر أغوار النفس .. بالإشارة إلى الجزء المغمور منها بشكل فنى (قد يقال عنه خرافى أو أسطورى أحيانا). هذه وظيفة تكتمل بها رؤيتنا للجانب الآخر من وجودنا، وقد كان هذا الفن الشعبى يقوم بهذا الدور تلقائيا وبنجاح نسبى. تساءلت: هل ما زال الأمر كذلك، وهل من بديل؟ أين هو هذا الفن - الآن- الذى يمكن أن يصل إلى عمق ما كان يصل إليه ذلك الفن الشعبى التلقائى أحسست - وقتها - أن حساسيتنا المعاصرة ضد الخرافة، نتيجة لغرور العقل الواعى ومنطقه القاصر والمتعب، قد ينتج عنها تشويه للوجود البشرى وإعاقة لنموه الحقيقى بشقيه الواعى واللاواعى، فالنمو الإنسانى لا يتم إلا إذا شمل جانبى

الوجود، وقرب بينهما سعيا إلى أن يندمجا فى كل واحد موضوعى متكامل. إن أى تقدم يتصور أنه إذا ملك ناصية العلم التقليدى وحده، فقد ملك سبيل التقدم المعاصر هو تصور خاطئ، بل هو تصور خرافى مهما سمى علما.

أحسست أن **للشعر العامى بوجه خاص دوره فى هذه النقلة الحضارية - إذا أردنا أن نبحث عن بديل حقيقى، لينتشر بين الناس ويغطى هذه الفجوة التى تركها انحسار القصص الشعبى واختفاء "الحدوتة" من بيوتنا ومجالس سمرنا.**

رجعت أقلب فى أوراقى "هذه" التى سبق أن كتبتها من سنوات، وتصورت أنها **قد تؤدى دورا فى رؤية النفس الإنسانية**، وأنها -رغم صعوبة بعض أجزائها، ليست أصعب من بعض الفن الشعبى الذى أدى وظيفته بشكل ما. رحت أراجع بعض ما كتبت من أكثر من عشر سنوات عن أرجوزة "واحد اتنين سرجى مرجى" ثم عن "الحيل النفسية فى الأمثال العامية"، ونشر فى مجلة الصحة النفسية، ثم فى كتابى "حياتنا والطب النفسي" فوجدت أن علاقتى بهذا الفن الشعبى - تفسيرا حينذاك - ليست جديدة، ثم تذكرت تفسيرا آخر قدمته للأغنية الشعبية "يا طالع الشجرة"، نشر فى ملحق ما لمجلة الهلال. جعلت أسترجع كل ذلك وأنا أقرأ أوراقى هذه، فوجدت أن هذا الذى بين يدى يستحق أن ينشر بالمعنى الذى خطر لى أثناء هذا النقاش الإذاعى، ربما كان له دور ثقافى خاص.

الحكى الشعبى يُحدث تأثيره حتى ولو لم يكن مفهومٌ ظاهره.

لم يثننى تخوف قديم على إسمى العلمى، فقد تصادف كل هذا بعيد حصولى على درجة الأستاذية فى فرع تخصصى، وكان هذا الحدث هو علامة أنى أستطيع أن أبدأ بداية كنت أنتظرها من زمن لأتواصل مع الناس مباشرة دون قيود الخوف على الوظيفة أو من الوظيفة. قررت أن أنتصر على ترددى وأتحمل ما يكون.

-2-

فى هذا العمل حاولت أن أقدم **رؤيتى للوجه الآخر للعلاج النفسى**، ومن خلال ذلك أخترق حواجز النفس الإنسانية لأعرضها كما عرفتها داخلى وخارجى، بنبض الإنسان المصرى فى الشارع،

بداية: أؤكد أنها خبرة شخصية، وأنها إنما تصف **"الوجه الآخر"** للعلاج النفسى فحسب .. أعنى سلبياته وبعض صعوباته ومضاعفاته، أما **وظيفة العلاج النفسى الإيجابية وفوائده ودوره البناء، فهذا شأن آخر، كُتبت فيه الكتب**، وساهمت أنا كذلك فى تناوله.

إن دور الطب النفسى فى المجتمع المعاصر لم يتحدد بصورة نهائية، والصراع بين مدارسه ليس صراعا نظريا بحتا، بل هو اختلاف له دلالة، اختلاف خليق بأن يجعل الإنسان العادى يقف مرتين قبل أن يأخذ معطياته المتواضعة مسلمات بلا نقاش".

-3-

العلاج النفسى يشمل عدة أنواع، من أهمها ما يسمى أحيانا العلاج بـ "الكلام" حتى أن بعض الباحثين أسمى هذه الطريقة "الشفاء عن طريق الكلام". يتصور البعض هذا الكلام فى صورة غلبت على ما يسمي"التحليل النفسي"الذى روج للاسترسال والتفريغ، والتداعى، والتبرير، والمريض ملقى على حشية لمدة معينة. إلخ.

إن الكلام هو ما يميز الإنسان - (أو هو من أهم ما يميز الإنسان)، لكن حين يحل "الكلام" محل الحياة، أو حين يصبح العلاج بالكلام هو المبرر الخفى للتوقف عن التطور الإنسانى والنمو النفسى، فهذا هو ما يحتاج لموقف نقدى يقظ.

فى الفصل الأول من هذا العمل **"لعبة الكلام"** قدمت عدة صور تعلن مخاطر هذه اللعبة التى إذا لم ننتبه لها فإننا نسير فى عكس اتجاه التطور. كأننا نموت أحياء إذ نتوقف، وربما كان هذا هو السر وراء تسميتى لهذه الصور **"جنازات"**.

أما **الفصل الثانى "لعبة السُّكاتْ"**، فهو يوضح طريقة أخرى فى العلاج النفسى، حين يتم بعض التواصل - وخاصة فى العلاج الجمعى- بالألفاظ، و بدون ألفاظ. يغلب هذا فى حالة المرضى الذهانيين (الفصاميين منهم على وجه الخصوص) حين تفشل وظيفة الكلام وتتراجع فيصبح التواصل غير اللفظى أهم وأخطر، ويخترق المريض حجب الطبيب المعالج ودفاعاته وتصبح نوعية "وجود" الطبيب"فى الحياة"، كما تصل إلى المريض بحدسه الفائق، هى العامل المؤثر فى العلاج، وبالتالى فإن مسئوليته تكون أكبر، والتزامه بالمحافظة على استمراره فى مسيرة التطور تكون أكثر إلحاحا.

عرضت فى هذا الجزء الثانى صورا "للعيون"، وكيف يمكن اختراقها للتواصل البشرى البناء الذى يكشف ما هو أغوار النفس، وأعلنت من خلال **"قراءة العيون"** ما تيسر لى مما وصلنى من الآخر ومن نفسى معا.

ختام هذا العمل (الفصل الثالث: **لعبة الحياة**) جاء بمثابة إعلان آمل لموقفى من الحياة من حيث: إن **"الحياة هى العمل معا لتعميرها: الأرض والنفس"**، وإن الهرب فى الألفاظ تحت زعم التأويل، أو النكوص إلى إحياء أحاسيس فجة تحت زعم الحرية، ليسا من الحياة فى شىء، وبالتالى فإن العلاج النفسى إذا لم يلتحم بالعمل مع الناس، وسط الناس، وللناس، وهو يرجع بالمريض إلى أرض الواقع - انطلاقا لا تشكلا- بكل ما يحمل هذا الواقع من التزام وألم ومرارة ليبنى نفسه وبنى جنسه من جديد .. إذا لم يفعل ذلك فإنه قاصر أو مقصر .

- 4 -

أما وظيفة هذا العمل بالنسبة لى فى البداية والنهاية فهو أمل غامض أجاهد لتحقيقه فى رحلتى فى هذه الحياة: وهو أن أتواصل مع الناس أعرّفهم ما أعرف، دون أن يطرقوا بابي.

هأنذا أطرق أبوابهم وألتمس عذرهم وأعرض بعض نفسى بين أيديهم .. اللهم فاشهد.

المقطم فى 23 / 2 / 1977

ملحوظة: بعد انتهائى من كتابة الشرح الملحق، ومراجعة ما كتبت، وجدتنى أود أن أنصح القارىء ألا يقرأ منه شيئا فى أول مرة، أى أن يمر (بالمتن" كله أولا.. ثم يرجع إلى ما يشاء من الحواشى.. إذا شاء، فإن قبل.. فقد أعفانى من إحساس خاص بأن هذه الحواشى زيادات.. أو مجرد مخاوف.. أو حتى تشويه.. وشكراً.

(انتهت مقدمة الطبعة الأولى دون تغيير حرف واحد)

استهلال الكتاب الحالى

(شرح على المتن)

موضوع هذا الكتاب ليس هو تصنيف وشرح وتنظير ما هو علاج نفسى،

هو أقرب إلى لوحات تشكيلية بالعامية المصرية، وهى تنقد العلاج النفسى بمعنى النقد الأشمل، ما له وما عليه، وفى نفس الوقت تعرى جوانب أخرى من الإمراضية النفسية (السيكوباثولوجى)، لعلها تكمل كتابى الأولى "دراسة فى علم السيكوباثولوجى" وهو ينتهى بما يشبه التعرية الذاتية أكثر منها "السيرة الذاتية" باعتبار أنها نبض نمو المعالج ذاته من خلال العلاج النفسى.

سوف أحاول أن أعرض خبرتي، وخبرة المرضي، الذى عايشتها جميعا أكثر من خمسين عاما لم أمارس فيها ما يسمى العلاج النفسى مستقلا عما يسمى علاج المرض النفسى مشتملا، حتى الحالات التى لم تكن تحتاج إلى عقاقير، لم أتصور أن ما يتم معها هو يختلف عما يتم فى علاج الحالات التى تتناول العقاقير معظم أو طول الوقت، **فعلاج مرضى النفس، مهما كانت أدواته، هو علاج نفسى بشكل أو بآخر.**

وحتى أحرج نفسى وأنجز هذه المهمة الصعبة قررت أن أفتعل **نفس المنهج الذى كنت اتبعته فى كتابة شرح متن سر اللعبة**، والذى بفضله خرجت "دراسة فى علم السيكوباثولجي" إلى النور. فقررت التالي:

1ـ أخصص أسبوعيا ما تيسر من يومى الثلاثاء والإربعاء ما أقهر به أدائى وسواسيا بالتزام مصنوع، يلزمنى به صديق الموقع، كما ألزمنى سنة 1978 الإبن الصديق "فكرى" العامل جامع الحروف (الهامش).

2ـ أترك الكتابة تتدفق من واقع خبرتى وواقع معايشتى ولا أرجع، فى هذه الطبعة الأولي، لا إلى ما سجلت من مئات الأشرطة ولا إلى المراجع تحديدا وحرفيا. تماما مثلما كان الحال فى كتاب دراسة فى علم السيكوباثولوجى لأترك مهام التوثيق والتحقيق Documentation & Verification - والاستشهاد إلى مرحلة لاحقة، مطمئنا إلى ما نشر وسوف ينشر فى كل من بابَىْ **"التدريب عن بعد"**، و**"حالات وأحوال"**.

3 - أن أحاول الربط - ما أمكن ذلك - بين نظريتى (الإيقاعية التطورية) Evolutionary Rhythmic Theory والتى ظهرت الكثير من ملامحها فى كتابى عن السيكوباثولوجي، ثم هى فى سبيلها للظهور مستقلة، وبين ما هو علاج نفسى مما سوف يرد فى هذا الكتاب.

4 - أن أجعل المتن الشعرى (بالعامية: أغوار النفس) بعد تحديث بعضه هو المثير المباشر لترتيب فصول الكتاب حتى لو لم يكن لكل فصل تجانسه الخاص بعلاج مرض بذاته، أو تقديم نوع بذاته من أنواع العلاج.

هذا وإذا كان الفضل الأول (وليس الأوحد) فى كتابة دراسة فى علم السيكوباثولوجى يرجع إلى د. عادل نجيب، وأ. د. رفعت محفوظ (وكل من حضرنى فى تلك الفترة من طلبتى ومتدربى ومرضاي)، فإن الفضل الحالى فى كتابة هذا العمل يرجع إلى د. أحمد حسين والسيدة فوزية داوود (وكل من يحضرنى الآن من طلبتى ومتدربى ومرضاى) وخير ما يمثلهم حاليا هم ابنائى وبناتى الذين يحضروا معى التدريب المتواصل هذا العام، أما هذه النشرة وتواصلها، فلا يمكن أن أذكر أو أشكر من ساهم معن قرب أو عن بعد فى استمرارها، سواء بالحوار، أم بالنقد، أم بالدعاء، أم بالعتراض، وأخص بالذكر الإبن والصديق أ.د. جمال التركى رئيس الشبكة العربية للعلوم النفسية، هذه النشرة تحول دورها عندى إلى نفس الدور الذى قام به صديقى عامل الطباعة "فكرى" جامع الحروف فى جراج بيتى سنة 1978. وغد نلتقى مع **الفصل الأول : تصدير**

نقد الممارسة التقليدية فى الطب النفسي

- ثم صد الجزء الثانى فالثالث بعد ذلك، "مدرسة العراة" - " ملحمة الرحيل والعود" (أنظر لموقع) ، كذلك غامرت بإصدار بعض سيرتى الذاتية، خاصة فى الجزء الثالث من ثلاثيتى "ترحالات" (1) الناس والطريق (2) الموت والحنين (3) ذكر ما لا ينقال (أنظر الموقع)

- فى ديسمبر سنة 1978 كلفت مع زملاء لى بالقيام بالإعداد مؤتمر عربى للطب النفسى يعقد فى القاهرة وكان مقره الجامعة العربية، وتعهدنا فى الجمعية المصرية للطب الفنسي، أن نصدر بهذه المناسبة أول عدد من من المجلة المصرية للطب النفسي، فضلا عن إصدار برنامج المؤتمر العلمى باللغتين الإنجليزية والعربية، ولم تكن أساليب الطباعة ميسرة كما هى الآن. مررت على المطابع التى أعرفها، فاستحالت إمكانية إسعافى فى هذه المهمة. اشتريت صندوق حروف للطباعة ولجأت إلى عاملين صديقين وطلبت منهما الإقامة فى حجرة فى "جراج" بيتى قبل المؤتمر بأسبوعين ليجمعا أولا بأول مادة المجلة والمؤتمر، وقد كان. وتمت المهمة بأعجوبة رائعة بعد المؤتمر تمكن العامل الأكبر أن يرجع إلى عمله الأصلى دون مضاعفات، أما العامل الأصغر فلم يقبل صاحب العمل رجوعه، فأحسست أنى ضيعت مستقبله وأنى مدين له بأجره حتى يجد العمل المناسب، خجل هذا العامل أن يأخذ أجرا دون عمل سألني، وعندى صندوق الحروف إن كان لدى كتاب أريد أن أخرجه حتى يجمعه باستغلال صندوق الحروف هذا حتى يجد له عملا فكرت بسرعة ولم يكن عندى شيء جاهز فقررت أن أكتب شرح متن سر اللعبة. سألته كم صفحة يمكن أن يجمعها ويصححها يوميا فأفادنى أنه بين 12، 15 صفحة وهكذا بدأت أكتب وأناوله كل يوم هذا القدر حتى إنتهى الكتاب ووجد هو العمل المناسب فى الوقت المناسب، بعد أن جمع لى ما يناهز الألف صفحة، فظهر الكتاب الأول "دراسة فى علم السيكوباثولوجى : شرح متن ديوان سر اللعبة" .

الإربعـــــاء 10-06-2009

649-نشـــرة يوميـــة من مقـــالات وآراء ومواقـــف

دراسة فى علم السيكوباثولجى (الكتاب الثانى)

لوحات تشكيلية من العلاج النفسى
شرح على المتن : ديوان سر اللعبة

(2)

الفصل الأول:

صعوبات مبدئية، وخطوط عامة

منهج مقترح للتقديم فالقراءة :

تقديرا لما جاء من تحفظات ومخاوف من تشويه النص الشعرى بالتفسير والتداعى، سوف نتبع نظاما فيه بعض التكرار للنص الشعرى، دون التأكد من نجاح ذلك فى الحفاظ على شاعرية النص.

- سوف نقدم النص الذى سوف نناقشه كاملا فى أول كل حلقة فى البداية
- ثم يرد النص مقطعا مع الشرح
- ثم نختم كل حلقة بجزء النص الذى سوف نتناوله فى الحلقة التالية.
- وهكذا....

نص من هذه الحلقة كاملا:

كل القلـْم ما اتقصَفْ يطلعْ له سنّ جديدْ
وايش تعمل الكلمة يابَا والقدرْ مواعيدْ
خلق القلم ما العدم أوراق، وِمَـــــلاها

وان كانْ عاجبْـنى وجبْ، ولاّ أتـنّـى بعيدْ

الشرح على المتن:

الكتابة فى العلاج النفسى تكاد تكون مستحيلة، بل إنها تكاد تكون ضد العلاج النفسي، تماما مثل الكتابة فى الجدل وعن الجدل التى هى بالضرورة ضد مع الجدل.

العلاج النفسى عملية حيوية مُعاشة لايمكن للكلمات أن تستوعبها، ومن أغلط الغلط ان يتعلم أحدهم العلاج النفسى من قراءة الكتب عنه، مهما بلغت دقة هذه الكتب وإحاطتها. إن قراء ألف كتاب فى العلاج النفسى لا تساوى الجلوس مسؤولا أمام مريض أمى يحضر مرة أسبوعيا لمدة ساعة خلال سنة وأكثر وهو يتحسن (أو يتذبذب فى طريقه إلى التحسن، أو يتدهور رغم الجهد والصبر).

إن **"قصف القلم"** المشار إليه هنا هو إعلان عن بعض حلقات جهادى فى محاولة "الكتابة فى العلاج النفسي" أو "عن العلاج النفسي"، ولعل هذا هو بعض ما أخّر صدور هذا العمل.

تبينت صعوبة المسألة من قديم عندما كان يطلب منى زملائى الأساتذة فى كلية الطب، قصر العينى، أن أضع سؤالا تحريريا فى العلاج النفسى (على أساس أنهم يعتبرون أنه من أهم ما يتصورون أنه تخصصى الدقيق) كنت أشكر، وأبتسم، وأعتذر، وأرفض ما أمكن الرفض. تصور معى - مثلا- سؤالا يقول: **" قل ما تعرفه عن العلاج بالإيحاء"**، فيأتى الجواب متضمّنا أنواع الأمراض التى تستجيب للإيحاء، والشخصيات الأكثر قابلية له، وطرقه المباشرة وغير المباشرة، ونتائجه المحدودة، يجيب عن ذلك طالب شاطر حافظ إجابة لا تخر الماء (ما تخرش المية)، فيضطر الممتحن المصحح أن يعطيه عشرة على عشرة!! (وربما نجمة)، قارن ذلك بمباشرة أسبوعيه للإشراف على طبيب صغير متدرب، وتتبع خطوات نمو خبرته، ونموه، وهو يحكى - مع زملاء له فى جلسات الاشراف المنتظمة، يحكى عن ماذا حدث له أثناء جلوسه مع المريض قبل ومع وبعد الجلسة، وهو يحتار، وهو يحاول، ثم ماذا حدث للمريض أثناء العلاج ونتيجة له، خطوة خطوة، ومأزق فاجتياز، أو مأزق فوقفة، ثم يسأل ويتساءل ويشارك فى الإجابة عن كل ذلك/ هذا هو ما عرضناه خلال أكثر من عام فى باب "التدريب عن بعد"، وهو ما تابعه بحماس كثيرون من أصدقاء الموقع الذين شاركوا فى التعقيبات، وهو هو ما تم إعداده أيضا للطبع الفورى فى الكتابين الأول والثانى من سلسلة: "بعض معالم **العلاج النفسى** فى ثقافة عربية، **من خلال الإشراف عليه"** ، إذن : فماذا يفيد أن أكتب عن أصول أو قواعد أو معنى أو هدف ما يسمى "العلاج النفسى"؟ وكيف أضمن أن يسير ما يصل من ذلك جنبا إلى جنب مع التدريب والإشراف طول الوقت؟

هذه هى بعض معالم المأزق المتجدد: كلما هممت بأن اكتب فى العلاج النفسى ينقصف قلمي فعلا. فأتوقف، وأتردد، وأتراجع،

لكننى لم أكف أبدا عن الإعداد لهذا الاحتمال (الكتابة عن العلاج النفسى)، وأنا أكاد أكون على يقين معظم الوقت من أننى أعدّ لما "لن يكون أبدا".

ومن بين ما جمعتُ تمهيدا لهذا الاحتمال ما يلى:

(1) تسجيل صوتي، ثم تفريغ التسجيل كتابة، لما تيسر من مناقشات مع الأطباء الأصغر الذين يمارسون العلاج النفسى تحت إشرافى، وهو ما ظهر بعضه فى باب الإشراف عن بعد. (أسبوعيا بدءا **من أوائل السبعينات**)

(2) تسجيل المناقشات بعد كل جلسة "علاج نفسى جمعى" أقوم فيها بمسئولية العلاج فى مستشفى قصر العينى، جنبا إلى جنب مع مهمة تدريب الأصغر. وقد نشر بعض معالم نظام التدريب فى هذه النشرات 5-2-2008 ، 2008-2-6 كما جاءت فى الكتاب الأول السالف الذكر (بعض معالم العلاج النفسى....) وتشمل هذه المناقشات أسئلة وتعليقات المشاركين داخل المجموعة العلاجية، بالإضافة إلى أسئلة وتعليقات المشاهدين الحاضرين (بإذن المرضى والمعالجين) فى الحلقة الخارجية المحيطة بأعضاء جلسة العلاج الجمعى. وكان المقابل الذى يدفعه المتدرب ليواصل التدريب، خارج وداخل المجموعة لأكثر من سنة، هو أن يقوم بتفريغ تسجيلات هذه المناقشات البعدية أولا بأول. ظل هذا يحدث، ولمدة عشرين سنة ، ثم توقف التسجيل بعد ذلك بعد أن تراكم دون تحرير أولا بأول، ثم حين سألت عنه مؤخرا، اكتشفت أن أغلبه قد فُقد، ولم أجزع كما ينبغى، ذلك أننى اكتشفت لاحقا أننى شخصيا الذى ينبغى عليه تحريره فى صورة مقروؤة مفيدة، وأيضا تأكدت أن ما تبقى منه عندى الآن يكفى وزيادة (يكفى ماذا؟ يكفى من؟) - وعموما فإن ما نشر مؤخرا فى باب التدريب عن بعد هو بعض ما تم فى السنتين الأخيرتين فى دار المقطم أساسا، وإلى درجة أقل فى قصر العينى.

(3) تسجيل موازٍ للمناقشات بعد الجلسات الجماعية فى مستشفى دار المقطم للصحة النفسية ثم تفريغ التسجيل مباشرة، استمر ذلك لمدة تزيد عن عشر سنوات وقد اختفى أغلبه أيضا، لكن ما تبقى يكفى، وزيادة (يكفى ماذا؟ يكفى من؟).

(5) تم تسجيل جلسات العلاج الجمعى فى قصر العينى، وذلك لعدد من المجموعات العلاجية المتلاحقة، وهى جلسات العلاج والتدريب التى تجرى فى قصرالعينى أسبوعيا منذ سنة 1971 وذلك بالصوت والصورة (فيديو، بعد إذن صريح من كل المشاركين مرضى وأطباء) بالإضافة إلى تسجيل المناقشات اللاحقة التى أشرنا إليها حالا، (جرى ذلك بانتظام لمدة الثمان سنوات الأخيرة تقريبا)

(6) من خلال الإشراف على رسائل للماجستير (اثنتان) والدكتوراه (أربعة)، تم تسجيل صوتى لأغلب جلسات العلاج الجمعى موضوع الرسالة، لتكون مادة للاستشهاد ودراسة المحتوي. (على سبيل المثال لا الحصر: رسالتى أ.د. عماد حمدى غز

فى الماجستير والدكتوراة - رئيس قسم الطب النفسى بطب القاهرة حاليا-، ورسالة الدكتوراة أ.د. عزة البكرى، ورسالة د. نهى صبرى الدكتوراة ، ورسالة الدكتوراة فى الفلسفة - فرع علم نفس- المرحومة د. نجاة النحراوى)

وبعد

تبلغ كل هذه التسجيلات مئات الأشرطة حتى الآن، لم يفرغ أغلب ما تبقى منها بنظام يسمح باستغلالها فى مثل هذا الكتاب، أو أى كتاب، وقد وجدت أن الاعتماد عليها الآن وأنا أكتب هذا العمل، أو مجرد تصوُّر إمكان استغلالها بعد رحيلى هو أمر يتراوح بين الاستحالة، وترجيح الاختزال والتسطيح بكل المخاطر المترتبة على ذلك، خصوصا إذا قام بهذا التفريغ والتبويب من لم يعاشر التجربة شخصيا.

تزاحمتْ وتكاثفتْ وتداخلتْ وتراكمتْ كل هذه المادة، وبدلا من أن تكون حافزا للكتابة أصبحت عائقا لمجرد البداية فى كتابة خبرتنا فى موضوع العلاج النفسي. أمام هذا الكم الهائل من المادة الخام قُصف قلمى المرة تلو الأخرى تلو الأخرى تلوى الأخرى..فعلا،

فأعاود المحاولة وأنا أشعر أنه لا مفر من مواجهة الالتزام بالكتابة مهما كانت الصعوبات أو المضاعفات. ظل الواجب ضاغطا، والكتابة لحوح ملوَّحة طول الوقت (**"يطلع له سن جديد"**).

تأكد لى من خلال هذا التحدى المتجدد الموقف الخاص لما يسمى "كتابة" فى العلاج /النفسى، حتى وضعت لنفسى (وربما لغيرى إن شاء) بعض الشروط والتحفظات التى أنصح بالالتزام بها لمن شاء أن يخوض هذه المخاطرة، ومن ذلك:

شروط وتحفظات:

1 - **ألا تكون الكلمة المكتوبة هى الأصل:** كنت وما زلت أنصح المتدربين معى على العلاج النفسى ألا يقرأوا أصلا فى موضوع العلاج النفسى خلال السنة الأولى على الأقل، ولكن هذا لا يمنع من القراءة فى نظريات علم النفس وبالذات "علم السيكوباثولوجي".

2 - **الا تكون الكتابة** (فالقراءة) **هى المرجع الأول أو الأوحد لمعرفة ماهية "فن العلاج".** المرجع الأول هو المريض ومسار العلاج، أما المرجع الثانى فهو الاشراف من استاذ (معلم مدرب) بشكل منتظم. ثم الاشراف من الأقران Peer supervision (تم تناول ذلك بالتفصيل فى كتابى الإشراف على العلاج النفسى - تحت الطبع- وهو الكتاب السالف الذكر، وقد ثبت ذلك قبلا فى نشرات 1-2-2009 ، 5-2-2008) .

3 - أن تتناسب جرعة القراءة مع حجم الممارسة تناسبا ترجح فيه كفة الممارسة على كفة القراءة طول الوقت (كلما زاد عدد المرضى، أمكن الاستفادة من القراءة أكثر).، فقد

لاحظت أنه كلما زادت جرعة القراءة عن فعل الممارسة تعرض الممارس إلى ما يسمى العقلنة Intellectualization. ذلك لأن فن العلاج هذا إنما يُمارَس **"بكلية وجود المعالج نفسه"**، وليس بتنفيذ أوامر العقل الحاسب المنطقى:

حدود ومعالم

من كل هذا يمكن أن نستنتج ابتداء حدود ومعالم هذا العمل، **حتى لا نتوقع منه غير ما يعد به، وأيضا حتى لا نسىء فهم أوتطبيق بعض ما يصلنا منه،**

هذا العمل - إذن - لا يعدو أن يكون:

(1) إطارا عاما **لايغنى عن الممارسة، ولا يحل محلها**، وإن كنا نأمل أن يؤنس من يمارس العلاج النفسى ويضيف إليه.

(2) **خبرة محلية** لاتنفصل عن أحدث ما توصل إليه العلم والفن الطبي عبر العالم، لكنها فى النهاية تتطبق أكثر على المجتمع العربى خاصة وعلى المجتمع المصرى بشكل أكثر تخصيصا.

(3) **كتابا حواريا** أكثر منه تعليمات تلقينية أى أن المعلومات التى يطرحها جديرة بأن تثير ما يقابلها ويعدلها لا أن تمثل للقاريء توليفة جاهزة للتطبيق الحرفي.

(4) **تطبيقا تنظيريا للفكر الذى ينتمى إليه المؤلف،** الذى يمكن أن نوجز بعض معالمه فيما يلى:

- النمو عملية مستمرة من الولادة حتى الموت.

- النمو يتم فى دورات، تتصل هذه الدورات بالدورات البيولوجية الحيوية (الإيقاع الحيوى) وخصوصا دورات اليقظة والنوم، ودورات النوم الحالم متناوبا مع النوم غير الحالم.

- النمو يشمل فرص التغير الكيفى بعد أزمات طفرية.

- الانسان مكون من شخوص (ذوات) متعددة تعمل كذات واحدة فى لحظة بذاتها اثناء اليقظة.، وتتبادل لتتكامل من خلال كل من الإيقاع الحيوى، والتناسب الأدائى، بما يحقق عملية جدلية حيوية لا نهاية لها ..

- المرض النفسى هو(آ) انحراف أو (ب) توقف أو (جـ) نكوص أو (ء) تشوه (بالتكلس أو التفسخ أو الاندمال) لعملية النمو المشار إليها سالفا وهو يظهر فى شكل **نشاز يتجلى فى ظهور الأعراض** من جهة، وفى **عجز الأداء الحياتى** و **اضطراب العلاقات البشرية** (البينشخصية) من جهة أخرى.

- علاج المرض النفسى هو استعادة نشاط مسيرة النمو بانتظام واتساق، أى استعاده سلامة استيعاب توظيف النبض الحيوى الذى يؤدى إلى تكامل مستويات الدماغ (منظومات الذات- مستويات الوعى ..إلخ) فى كلٍّ حركىٍّ متسق، مما ينتج عنه اختفاء أعراض النشاز، ونتائجه المعيقة.

إعادة تنبيه

من حقنا بعد كل ذلك أن نعيد التساؤل عن جدوى الكتابة فى مثل هذه المواضيع للقارئ العادى غير المتخصص بل وعلينا أيضا أن تدرس ما هو الضرر الممكن إلحاقة بالشخص العادى أيضا إذا ما أساء فهم المكتوب أو أساء تطبيقه؟ هذا تساؤل موضوعى وأخلاقي، حتى كدت أرجح أن ضرر الكتابة فالقراءة هو أكثر من الفائدة ما لم يبذل الجهد الكافى فى احترام المكتوب و التعمق فيه.

بعد فترة من الحيرة استقر رأيي على مخاطبة الشخص العادى والمتخصص معا دون حرج، وأبين تبرير ما انتهيت إليه فيما يلى:

أولا: إن من حق مريضنا وأهلنا، وعامة الناس عندنا (نحن جميعا مشروع مرضي) أن يعرفوا وجهة نظر تـــمارس فى بيئتهم، من واقع ثقافتهم بدلا من ترديد مقولات أجنبية وأفكار وتجارب مستوردة معظم الوقت. هذا علما بأن الخبرات الخاصة تتضفر لتصب فى المعرفة العامة ما أتيحت الفرصة لذلك.

ثانيا: أنه مادام هناك ما هو فى متناول وعي الناس (منشورا هنا وهناك) تحت اسم "العلاج النفسي"، أو اسماء قريبة من ذلك، فينبغى أن تتاح لهم معلومات "أخري"، من واقع التجارب الفعلية، حتى تتعدد المصادر أمامهم، وبالتالى يمكن أن ترجح اللغة الأصح والأنفع.

ثالثا: إن الأفلام والمسلسلات تتناول موضوع العلاج النفسى بشكل متواتر، وهى تقدم من خلال ذلك أسطح وأغلط ما يمكن تقديمه فى هذا الصدد (الزعم بفك العقد، والغوص فى الماضي بحثا عن الأسباب حتى التبرير .وتشويه صورة المريض العقلي، وتتفيه (من التفاهة) صورة الطبيب النفسي. كل ذلك لا يصح السكوت عليه ولا يكفى التوقف عند شجبه أو مطالبة السلطات بمنعه، وإنما ينبغى أن يقابله ويوازيه فكر آخر يقدم المعلومات البديله للشخص العادي.

رابعا: لاحظت أن المرضى يفهمون النظريات التى أنتمى إليها، أو الفروض والتفسيرات التى أضعها بسهولة ومباشرة ووضوح، أكثر من ذويهم، وأحيانا يلتقطون عمق مغزاها أكثر من الزملاء الأطباء التقليديين. (يحدث ذلك بوجه خاص بالنسبة لما يتعلق بالمرض النفسى والعقلى كلغة واختيار له غاية، وأيضا بالنسبة لما يتعلق بتعدد الذوات فى الكيان البشري، ويمكن متابعة ذلك من الحوارات التى نشرت فى هذه النشرة مع المرضى، وخصوصا آخر حالة "فصامى يعلمنا...." 2009-4-29 , 2009-5-5) .

التسجيلات التى تحت يدى تؤكد أن هذا التلقى المتميز عند المرضى لا يعتمد على (أ) درجة الذكاء ولا (ب) على القراءة السابقة فى العلوم النفسية والنظريات النفسية ولا على (جـ) الإيحاء من المعالج أو صاحب النظرية.

إن هؤلاء المرضى (الذهانيين خاصة: المرضى العقليين) يستجيبون لمجرد الإشارة ولو من بعيد، ولو بلغة غامضة، لمفهوم الغائية فى المرض النفسى (معنى المرض، ومعنى الأعراض وما تريد تحقيقه، حتى على حساب الصحة).

كثيرٌ من هؤلاء المرضى يتقبلون (ويمارسون أثناء بعض أنواع العلاج. أنظر بعد) حركية مفهوم "تعدد الذوات"، حتى تظهر استجاباتهم بشكل ملفت حين يكملون بشكل عفوى بعض معالم التنظير والتأويل بمجرد أن يبدأ المعالج فى الإشارة إليه. (وهم لا يرددون كل ما قاله المعالج).

إن استجابة هؤلاء المرضى -هكذا - هى فى الأغلب عكس استجابة الشخص العادى الذى يحتمي عادة (أكاد أقول دائما) وراء دفاعات تمنع هذه الرؤية الأعمق.

مخاطر ومضاعفات محتملة

أما عن المخاطر والأضرار التى يمكن أن تترتب على حضور هذه المعلومات فى متناول الشخص العادي، فهى حقيقية، ولا يخفف من أثارها إلا أنها أقل من الفوائد السابق ذكرها، كما أنه يمكن الاقلال من هذه المخاطر باتخاذ الحذر المناسب من غير الناقد، أو التعميم غير المتميِّز أو هواية التطبيب الذاتى أو العائلي.

من بعض هذه المخاطر المحتملة (كأمثلة):

(أ) أن تزيد جرعة العقلنة (الفهم) فتحول دون المعايشة الحقيقية، التى هى محور العلاج، حتى تحل محله. بمعنى أن تصبح المعلومات المقدمة هى السبيل إلى فهم عقلانى دون فعل أو تغيير فى الذات سلوكا وتركيبا.

(ب) أن تتاح الفرصة لممارسة ما أسميناه حالا **"هواية التطبيب النفسي"**على حساب البصيرة الفاعلة.

(جـ) أن يتلقى هذا العمل قارئ متعجل مع ما يترتب على ذلك من درجات مختلفة من التعميم والتبسيط، مما قد يؤدى إلى غير ما قُصد منه، وأحيانا عكس ما قصد منه.

(ء) أن يفهم البعض غائية المرض النفسى والعقلى (اختيار المريض لمرضه، بما فى ذلك اختيار الجنون) على أنه نوع من الادعاء أو حتى نوع من المبالغة والاستسهال (الدلع)، وهذا ما سنتاوله بالتفصيل فى معظم أجزاء العمل.

كل هذا الذى ذكرته فى الصفحات السابقة هو الذى جعل القلم يتوقف (ينقصف) المرة تلو المرة، وهو الذى جعله يعاود المحاوله (يطلع له سن جديد). والتحذير(فى البيت الثاني) من عدم جدوى الكلمات فى مواجهة مسيرة الأحداث التى تبدو حتميه (والقدر مواعيد) هو تحذير نسبي، لأنه ليست كل الكلمات لها نفس الفاعلية، أو اللافاعلية، والكلمة الكاشفة المخترقه هى نفسها جزء من القدر.

عن القدر والمصادفة:

كلمة القدر هنا (وربما فيما بعد) لها تفسير فى هذا السياق العلمى ليس له علاقة بنفس الكلمة "القدر" إذا استعملت فى سياق دينى (مثلا) - فمن ناحية يمكن أن نتصور أن حتمية فرويد (الحتمية السببية = لكل حدث تفسيره وأسبابه فيما سبق من أحداث) هى نوع من القدر بشكل أو بآخر. وبالتالى فإن هذه الحتميه لا تغيرها الكلمات، وإنما يغيرها إعادة تنظيم مقومات الحتمية التى جَمدت التركيب البشرى بهذه الصورة.

لهذا فإن التحليل النفسى الذى يقال عنه أنه "علاج بالكلام" هو ليس كذلك فى حقيقة الأمر، **فهو قد يستعمل الكلام بشكل غير نمطى ليحقق هدف التغيير الحقيقي.** وعلينا أن نقر أن الكلام ومحتواه هو من أنجع الوسائل للتواصل والتفريغ والإبلاغ ومن ثم إمكانية التفكيك لإعادة التشكيل، أما أن يكون غاية فى ذاته تهدف أساسا إلى خفض التوتر، فهذا ما لا نتفق معه. (وسوف يأتى نقد ذلك بالتفصيل لاحقا).

أما المعنى الأخر المحتمل للقدر (هنا) فهو ما يشير إلى التركيب الجينى المبرمج فى الدنا داخل الخلية (التناسلية بالذات). هذا التركيب الخلوى لا يحمل فقط السمات الوراثية سليمة كانت أم مرضية، وإنما هو يحمل برامج مسار النمو حتى نهايته - بما فى ذلك مدى العمر Life Span لكل نوع من الأحياء . هذا **القدر البيولوجى** (الدنا) ليس حتما مطلقا غير قابل للتغيير وإلا لما تطورت الأنواع، ولا ظهر الابداع.

إن وصف القدر بأنه "مواعيد" قد يشير إلى ما يحمل الدنا من توقيت لبسط Unfolding برامجه عبر دورات الملء والبسط Filling-Unfolding Cycles.

بهذه الصورة فإن الكلمات - بما فى ذلك هذه الكتابة الآن- لا تغير لا من الحتمية السببية (ومثالها الصارخ: حتمية فرويد) ولا من الحتمية البيولوجية (الدنا) **إلا إذا أصبحت الكلمة بمثابة كيان بيولوجي قادر على التوليف مع القدر الماثل.**

هكذا ظهر الكتاب رغما عنى

من هذا المنطلق انتصر (وينتصر) حتم الكتابة على الاكتفاء بالممارسة والنقل المباشر من فرد إلى فرد، وهو الأمر الذى يتعرض للتشويه وسوء الفهم والاستعمال من خلال الانحرافات المحتملة

خلق القلم ما العدم أوراق، وملاها

وإن كان عاجبنى وجب، ولا أتنى بعيد

مهما بلغت المقاومة والتحفظ ضد تسجيل الخبرة، فإن إلحاح إبلاغها إلى أصحابها رغم احتمال تشويهها لا يتوقف. وربما كان ما قصدت إليه من تخليق الأوراق من العدم هو تعداد هذه

الأدوات التى ما خطر على بالى أنى أمتلكها. إن كل محاولاتى فى القص والشعر وحتى فى هذا اللعب بالرسم الذى لجأت إليه مؤخرا لم تكن إلا تخليقا لأدوات (أوراق) لأملأها بما يمكن أن يوصل رؤيتى بشكل أو بآخر.

إن خبرة بهذا الإلحاح تفرض نفسها فرضا ضد أية مقاومة داخلية، أو نقد خارجي.

لو أننى استسلمت لهواجس نفسى وكتبت مثل المتهم الذى يحاول أن يدافع عن نفسه بالاستشهاد بالقرائن (المراجع، والأرقام والاحصاء) قبل أن يقول كلمته إذن لما خططت حرفا.

كذلك لو أننى عملت حساب النقد (الموضوعى أو المتعسف) ليحاسبنى على القصة بمعيار النص (فقط) وعلى الشعر بمعيار الشعر (فقط) وعلى النقد بمعيار النقد (فقط). إذن لما كتبت حرفا أيضا.

أعتقد أن هذا هو السبب الذى جعلنى لا أحرص على أن أتقن الأداة "جدا" قبل أن أتناولها، وهو الذى جعلنى أرضى بتواضع عطائها وهى تبزغ (**إن كان عاجبنى وجبْ**)، فإذا لم أفعل: فإنها (الأداة) تنطلق منى ضاربة عرض الحائط باعتراضاتى وتحفظى وخوفى من النقد وعمل حساب الزملاء وأهل كل صنعة، الخوجات جميعا، وكأنها تعمل بالتسيير الذاتى (**ولا أتنى بعيد**)، لكن كل هذا التحدى والانطلاق المقتحم لم يقلل من خوفى، هذا التردد والحساب، هو ما عبرت عنه الفقرات التالية مباشرة وبشكل مباشر

بصراحة أنا خفت.

يا ترى مم خفت، وممن خفت

قبل أن نشير إلى حلقة الأسبوع القادم، ومم خفت، وممن خفت نعيد نص المتن الوارد فى هذه الحلقة كاملا كما وعدنا هكذا:

أما مصادر الخوف وتجلياته وأنواعه فهو موضوع الثلاثاء القادم نفس الفصل

فنورد النص الشعرى استعدادا لتشويهه (أو شرحه أو استلهامه إن شئت)

وهذا هو:

بصراحة انا خفتْ

خفت منهمْ، خفت منّي، خفت مِـــــنَّا

خفت مالطوبْ والطماطمْ والكلامْ والترقيةْ

خفت مالبِيض الممششْ، والنكتْ والبحلقةْ

قلت أنا مش قد قلمي

قلت أنا يكفينى ألمي

قلت أنا ما لى، أنا استَرزَقْ واعيشْ،
والهرب فى الأسْتَذَةْ زيّـُــهْ مافـــيش،
والمراكزْ، والجوايزْ، والـّذى ما بـْيـنِـْتـهيشْ
قلت اخبّى نفسى جُـوَّا كامْ كتابْ.
قلت أشْغِـلْ روحى بالقولْ والحساب.
والمقابلاتْ، والمجالسْ
والجماعةْ مخلّصِينـْلـَكْ كل حاجَة. أيْـوَهْ خَـالـِص.
بس بـَرْضَك وانت "جالسْ".
-4-
قلت أرسمْ نفسِى واتْـدَكْـتَـرْ وارُصّ.
قلت أتـفـرَّجْ وِ أتـْفلسِـفْ وابـُص.
بس يا عالم دا دمْ ولحم حىْ.
أستخبّى مـنـُّه فيْ ؟
وإلى الثلاثاء القادم، نتعرف على بعض شرح ذلك!!!

الثلاثـــــــاء 16-06-2009

655-نشـــرة يوميـــــة من مقـالات وآراء ومواقـــف

بصراحة أنـا خفت (3)

شرح على المتن:

عزّى لى هذا النص أن الخوف من البوْح (كما يقول الصوفية) هو خوف أساسى يكمن فى داخلنا، وليس فقط خوف من الاختلاف مع من هم (أو ما هو) فى خارجنا، البوح هنا ليس بوحا فقط بما يصلنى من داخلى بحسب حدة ومرحلة البصيرة،

"خفت منى"

هو بوح أيضا بما يصلنى منهم، من مرضاى، فيحرك ما تيسَّر فىّ وفيهم،

يظهر المتن هنا أن للخوف مصادر متنوعة، متضفّرة معا:

"خفت منهم"

هذا هو أخف أنواع الخوف، وهو خوف مشروع، ومفيد أيضا، هو نوع من عمل حساب للنقد حتى لو كان نقدا قارسا أو محتمل الإعاقة. لو أننا تركنا الحبل على الغارب، ولم نعمل حساب رأى الآخرين، إذن لبلغ الشطح مبلغا لا يمكن التنبؤ بمداه، لأن الإلغاء الكلى لاحتمال الحورا الناقد مع آخر، أيا كان هذا الآخر، قد يسمح لأىّ من كان أن يطلق لفروضه أو نظرياته العنان بشكل يعرضها للتناثر والتجاوز بلا حدود، صحيح أن المبالغة فى عمل حساب الآخرين قد تجهض إبداعا أصيلا نادرا، لكن تظل الحسبة محفوفة بالمخاطر، والمسألة فى نهاية النهاية متروكة لحسابات صاحب الفكرة وعليه أن يعمل حساب الدور الإيجابى لهذا الخوف من النقد من الآخرين، وذلك مهما بلغت أصالة الفكرة، أو عمق الرؤية .

لا يقتصر الخوف على عمل حساب الآخر الناقد الخارجى أخطأ أم أصاب، ولكن ثَمَّ خوفا أهم من الناقد الداخلى النشط، هذا الناقد الداخلى **ليس مرادفا للضمير**، لكنه ناقد حقيقى يقوم بدور جيد مثله مثل الناقد الخارجى، وأكثر، هذا الخوف الثانى هو "منى" أساسا:

"خفت منى"

ثم يجتمع هذا الخوف منى، مع الخوف منهم حالة كونهم بداخلى وخارجى معا، فيصبح الخوف منا

"خفت منا"

الآخرون هم أيضا بداخلنا، أو لعلهم أساسا بداخلنا، وهم أحيانا يكونون بداخلنا أكثر مما هم بخارجنا، وهذا أيضا مكسب مهم، وفى نفس الوقت هو إعاقة محتملة ، وعلى من يغامر أن يغامر دون أن ينسى.

المتن بعد ذلك لا يحتاج شرحا لأنه ليس إلا لوحة متحركة تُظهر مدى الشجب، والرفض، والسخرية المحتملة، وهو ما يتجاوز ما أسميته نقدا حالا. إن النقد مهما أخطأ هو نشاط بناء فى نهاية النهاية، أما السخرية والوشم والنفى

والترصد، فكل ذلك ليسوا إلا إعاقة خالصة.

خفت مالطوبْ والطماطمْ والكلامْ والترقيةْ

خفت مالبِيض الممششْ، والنكتْ والبحلقةْ

موضوع الإعاقة من خلال تأثير نظرات التركيز (البحلقة) هو موضوع أكثر حساسية من مجرد النقد أو السخرية المعلنه، هذه الظاهرة -تركيز نظرات الآخرين حتى الإعاقة - رُصدت بعناية شديدة باعتبارها متعلقة ببعض فروض وحقائق علم الباراسيكولوجى ، وأيضا لها علاقة بالعين الشريرة (الحسد)، وربما هى هى التى حين تتجسد مرضيا تصل إلى ما يسمى "ضلالات الإشارة" delusion of reference حتى "ضلالات الاضطهاد" delusion of persecution

وكأنى هنا أتقمص المجتمع المسمى بالمجتمع العلمى خاصة، وهو مجتمع ناقد محافظ بالضرورة، وعنده بعض الحق، بل كثير من الحق، خاصة حين كان مجتمعا علميا نقيا، بعيدا عن ألعاب سوق الدواء (والعياذ بالله)

هذه التعرية كان لها تفاصيل فى وعيى، لكنها تفاصيل ساخرة صعبة

قلت أنا ما لى، أنا اسْترزَقْ واعيشْ،

والهرب فى الأسْتَذَةْ زيّهْ مافيش،

والمراكزْ، والجوايزْ، واللّذى ما بْيِنْتهيشْ

قلت اخبِّى نفسى جُوَّا كامْ كتابْ.

قلت أشْغِلْ روحى بالقولْ والحساب.

والمقابلاتْ، والمجالسْ

والجماعةْ مخلّصِينْلَكْ كل حاجَة، أيْوَهْ خَالِص.

بس بَرْضَك وانت "جالسْ".

شعرت فجأة، وأنا أتعسف لأكتب شرح هذه الفقرة، أن ثمة فقرات، خصوصا فى المقدمة، ينبغى أن تترك متنا دون أن نقترب منها شرحا أصلا، تترك بما هى، كما هى، فهى أكثر وضوحا، ومباشرة من أن تشرح، ثم إن تركها بما هى قد تنقذ بعض الشعر من وصاية هذا الشرح (السقيم)، أكتفى هنا بالإشارة إلى ما يسمى "علم نفس المقعد الوثير"، arm chair psychology ويقصد به عادة التنظير من الوضع متأملا، بأقل قدر من الخبرة المعاشة، أو التجربة القابلة للاختبار، هذا التعبير، الذى أضفت إليه من عندى وصف "الوثير"، هو ما انتهت به هذه الفقرة **"بس برضك وانت جالس".**

أما موقفى من الجوائز، مع كل احترامى لها وحاجتى إليها، فهو معروف ومنشور فى أماكن أخرى (جوائز وجوائز مثلا)

بقيت كلمة هامة، ليست شرحا بالضرورة، لكنها بمثابة هامش دال، فقد نبهت مرارا على خطورة تقديسنا للكلمة المطبوعة، التى كادت والحمد لله (أو للأسف!!) تتوارى وراء فيضان موجات المواقع والمدونات الغامرة، التافه منها والجاد، لكن ما زال العامة، وكثير من الخاصة، يعتبرون الكلمة المطبوعة مصدرا مسلما به، لكثير من المعلومات التى قد تضيف إلى المعرفة بقدر ما يحتمل أن تشوهها او تختزلها.

بالنسبة للعلماء - وهم فئة من الخاصة - المسألة أصبحت أكثر إشكالية، أما بالنسبة للممارسين لمهن عملية تستعمل العلم والمعلومات فالأمور تصبح أخطر وأعقد، نحن نعيش وسط فيضان من الكتب والمجلات العلمية وشبه العلمية وغير العلمية، يكاد يصل إلى حد الطوفان، وبقدر ما يمكن أن يثرينا هذا الطوفان إذ يروى ظمأنا للمعرفة، يمكن أن يغرقنا حين يلهينا عن الخبرة المعاشة، والطبيعة المخترِقة،

الحد الفاصل بين الثقافة بالمعنى الحضارى التطورى المغامر المجدد، وبين الثقافة بالمعنى الاغترابى المضلل الهارب، هو حد دقيق قد لا يرى بأعلى درجة من البصيرة والنقد. فى تقديرى أن كثيرا من العلم المنشور (أو ما يسمى كذلك)، وبالذات: الذى له علاقة بحركية القوى المالية التحتية، **تمويلا أم نشرا أم تسويقا**، أصبح بعضه، إن لم يكن أكثره، خطرا على المعرفة، خصوصا إذا استعملته السلطات المعلنة أو الخفية لتسويق وتبرير حياة مغتربة تخدم الأغراض التحتية (المالية السلطوية عادة) أكثر مما تخدم المعرفة البقائية التى تصب فى صالح تطور البشر. يمتد خطر تقديس- أو على أحسن الفروض وصاية - الكلمة الطبوعة -علمية وغير علمية للخاصة والعامة - إلى مجالات كثيرة كثيرة، علينا أن نحذر أن نستسلم لها دون وعى مسئول، يمتد تقديس الكلمة المكتوبة إلى قصر ما يسمى مواثيق حقوق الإنسان، ومواثيق حقوق الطفل أيضا، وكل الحقوق الحقيقية والصورية والمزعومة قصْر هذه القيم جميعا على ما هو مكتوب فى تلك المواثيق، بل إن ألفاظ القانون نفسه فى بعض الأحيان تكون عائقا ضد تطبيق العدالة الأعمق. هذا مأزق لا مخرج منه فى الحياة المعاصرة إلا بحلول فردية محفوفة بالمخاطر.

نتيجة لذلك كادت الممارسة الطبية النفسية بالذات تصبح ممارسة مكتبية تطبيقية أكثر منها ممارسة فنية عملية (إمبريقية)، المعلومات الحاسمة التى تخرج بواسطة شركات الدواء شرحا لأسباب هذا المرض أو ذاك، بهذا التغير الكيميائى أو ذاك، كسبب مباشر ومحدد، هو المقصود غالبا بتعبير... *الجماعةُ مخلِّصِينْلَكْ كل حاجَة. أيْوَهْ خَالِص، بس بَرْضَك وانت "جالِسْ".*

قلت أرسمْ نفسِى واتْدَكْتَرْ وارُصّ.

قلت أتفرَّجْ وِ أتْفلسِفْ وابُصّ.

بس يا عالم دا دمْ ولحم حىْ،

حاستخبّى منه فين؟؟!!

هذه مرحلة نظرية لم أمّر فيها واقعاً طويلاً، وإن كنت لا أعفى نفسى من أنها لاحت وتلوح لى كثيراً بين الحين والحين، التمادى فى التخصص، والتباهى بالوظيفة العليا، والتوقف عند أعلى الشهادات، كان يمكن أن يكون مهربا من نوع آخر،

مازلت أذكر أحد الشبان الأذكياء حين حضر معى جلسة للعلاج الجمعى فى مستشفى دار المقطم (كمتفرج وناقد معا) وكان ما زال طالبا فى كلية الطب، أن عقب فى نهاية الجسة قائلا: "إنها لعبة جيدة: إذا لم تستطيع أن تعيش فعالج الناس واختبيء فيهم" بصراحة دهشت من تعليقه وانزعجت وأعجبت، فعلا: علاج الناس قد يكون مهربا من مواجهة الذات، أو بديلا عن مسئولية النمو الشخصى، .. وأرجو أن ينتبه الزملاء الأصغر إلى هذه الحقيقة رحمة بمرضاهم... وحرصا على استكمال نموهم، وتأكيدا لاختيارهم.

هذا عن الفرجة مهربا، أما عن التفلسف فقد ساهم الإعلام وجاهزية الزملاء (وأنا منهم غالبا) إلى تصوير الطبيب النفسى عارفا فاهما لآليات الحياة وخَبَاياها، وبالتالى قادرا على إصدار الحكم والأحكام ، والتفسيرات والتأويلات، بما يختلط عند العامة بما يسمى "فلسفة" بشكل أو بآخر، هذا ما **أعنيه بالتفلسف وهو غير "فعل الفلسفة"**، وهو الأقرب إلى ممارسة الطب النفسى - بحقها- **حالة كونها مغامرة متجددة فى الممر:**

بين الحياة والموت،

بين القتل والهرب، والمريض يحضر لنا فنتقمصه لنجد أنفسنا نتقل

بين المهدى المنتظر، وساندريلا،

بين النورس المحلق، والطير الملقى فى الطين بلا أجنحة،

بين الطفل المسخ ، والنبى.

وكل ذلك تعرية صارخة فريدة متنوعة طول الوقت.

من هنا تتاح الفرصة لتعلّم من نوع آخر من خلال حدة البصيرة وتحمل المسئولية معا، هذا ما أعنيه دائما حين أصرح المرة تلو الأخرى أن **المرضى هم أساتذتى الأوائل** بعد أن عرفت كيف أسمح لنفسى بمحاولة فك شفرة مرضهم، ليصححونى، ونكمل معا (ما أمكن ذلك)،

وهذا هو ما جاء فى الفرة التالية تقريبا :

المريض ورّانى نفسي

المريض خلاّنى أتْـلَـمْـلمْ وافَـكَّـرْ.

المريض عَـدِّلـِّى مـُخـِّى،

نضَّفُهْ من كل واغشْ، كانوا فارضينُهْ عليهْ.
من ملاعيب اللى بايع ذمته بـْمعَـَرفِشى إيـهْ.
من شوية آلاتـِيـَّة، والعَـشـَا الـْ "أوبـْنْ بـُوفـِيهْ".

لا يقتصر ما تعلمته من مرضاى على معرفتى بأمراضهم، أو إمراضيتهم Psychopathology أو طرق علاجهم، بل امتد إلى شحذ بصيرتى لأتعرف بشكل مباشر على نفسى بالقدر الذى وصلنى (مما لا أعرف مداه حتى الآن)، مهنتنا مهنة صعبة لمن يريد أن يواصل المعرفة ذهابا وجيئة

بين "ما هو"، و"من هو"، بين "لماذا" و "إذن ماذا"، بين "الأصل الغامض" و"المدى المفتوح"،

حين يكتشف الممارس المغامر بالمعرفة أن رؤية المريض وصدق حدسه (رغم وقفته المهزومة مرحليا) هى إثراء لوجوده شخصيا كطبيب وكإنسان، وفى نفس الوقت هى تحد لقدرته على أن يرى نفسه ، يصبح مأزقه أصعب فأصعب، لكن فرصه تصبح أكثر ثراء للنمو والتغير إن هو قبل المخاطرة.

مسألة **"العشا الأوبن بوفييه"**، هى إشارة إلى طقوس المؤتمرات العلمية الحديثة، وهى قضية سوف تثار كثيرا فى شرح هذا المتن. كنت، وما زلت أتعجب لماذا تُلقَى أحدث الأبحاث العلمية، فى الفنادق بالغة الفخامة باهظة التكاليف، أليس المكان الأنسب للعلم هو دور العلم، والتعليم، والبحث العلمى؟ إن التحجج بسعة المدرجات أو وفرتها هو حجة مردودة، فالأصل أن الفنادق للفندقة، بما فيها من صالات الاحتفالات، ومطاعم ومقاهى وأركان أخرى، والأصل فى دور العلم والتعليم هو أن نلتقى فى مدرج، أو معمل، أو قاعة محاضرات، هل العلم الذى يلقى فى موفمبيك شرم الشيخ له مصداقية أكثر، وفائدة أعم للمرضى، عن العلم الذى يلقى فى جامعة القاهرة أو كلية طب قصر العينى أو مركز الطب النفسى فى عين شمس؟ يتصور كثير من الزملاء أن المسألة لا تفرق (ما تفرقشى)، وهذا تصور ساذج، فشركات الدواء التى تمول هذه المؤتمرات بعشرات وأحيانا مئات الآلاف، تعرف كيف تنفق نقودها، ولماذا، وبالتالى تعرف كيف تستردها، وكيف تستعملها. ليس هذا هو موضوعنا وإن كنا سنرجع إليه كثيرا - غالبا- ، لكن الإشارة هنا كانت لمجرد ورود ذكر "العشاء بمائدة مفتوحة لتنوع اختيار السلاطات والحلوى" ، مع ما تيسر من المشهيات والمعلومات ونتائج الأبحاث!!!.

إن الإنصات للمريض لترجمة أعراضه إلى لغة ناقدة، كاشفة، ثائرة مجهضة، هو مفتاح علاجه، وفى نفس الوقت قد يكون المريض وهو يضىء هذا النور الأحمر بمثابة ما أسماه لى يوسف إدريس ذات مرة، ناضورجى الخطر القادم على المجتمع ككل، مثله مثل المبدع مع فارق الفشل والنجاح، وهذا ما سنتناوله فى الحلقة القادمة بعنوان: **"تشكيلات الحقيقة"**

رقم (4) " ييجى صاحبكْ ملْط إلا ما "الحقيقة"

الإربعـــــاء 17-06-2009

656-نشـرة يوميـة مـن مقـالات وآراء ومواقـف

٤

(4)

(نأسف بالنسبة للحلقات السابقة فقد كتب ديوان "سر اللعبة" بدلا من ديوان "أغوار النفس" وقد تم تصحيح الثلاث حلقات السابقة)

تشكيلات "الحقيقة"

بقية المتن:

بس والله يا عالَـــمْ لْم قِـــدِرت.

لَـمْ قِدِرت آعمَى بْـنَوَاضْرى،

حتى لو كان العمى دا"رَأُسـمَـاَلكْ"،

أو كما سَمُـوهْ حديثا "مَـشِّـى حَـاَلكْ"،

يعنى "طَـنّشْ، إنتَ مالـَك".

لاحظت أننى استعمل كلمة **"الحقيقة"** أكثر من اللازم، وهى كلمة نجدها أكثر تواترا فى قاموس الفلاسفة عنها عند العلماء أو الفنانين، وإذا كانت قضية الفيلسوف من بعض نواحيها هى البحث عن **الحقيقة**، فإن مصيبة المجنون (إن صح التعبير) هى **مواجهة الحقيقة فجأة دون استعداد أو إعداد**، ويبدو أن ورطة الطبيب هى فى اضطراره إلى أن يشهد هذه المفاجأة رضى أم لم يرض، ولو أمعنا النظر فى مدارس الطب النفسى لوجدناها تختلف بقدر اختلافها فى تقييم هذه الخبرة الإنسانية؛ **"مواجهة الحقيقة الداخلية والمطلقة عارية عادة، أو مشوهة أحياناً أو مُحرّفةً كثيرا".**

1 - فريق يدمغها بالأسماء والأوصاف المرضية السلبية معلنا بذلك أنه ينبغى ألا نستسلم لـــ... (أو حتى نصدق) رؤية المجنون، بما أنها رؤية مصنوعة، أو على الأقل لا تستحق، مادام لم يستعد لها بكامل مسئوليته، ولم يقدم عليها بعمق وعيه، إذن فالهزيمة التى اجتاحته من هذه الخبرة هى هزيمة لا أكثر، وبالتالى فهى تضعه حيث وضع نفسه "مريضا شاذا فحسب"،

هذا الفريق يختيء عادة تحت لافتة رؤية عضوية أو سلوكية ظاهرية، ويكتفى بذلك.

2 - وفريق يعلى من شأنها، ويصفها بألفاظ الاحتجاج والحرية والثورة، ويعزو الهزيمة التى منى بها المريض، إذا رآها، إلى قسوة المجتمع وغبائة، ويفترض أن هذا الموقف رغم سلبيته هو أفضل من "الانضباط الأعمى"، ومن النجاح الأجوف المغترب (على حدّ رأيه)، وهو يتصور بهذا أن هذا التقبل فى ذاته خليق بأن يجعلها خطوة للامام، وليست ضربة قاضية تنهى الجولات قبل بدايتها هذا الفريق له رؤية فنية توصف عادة بأنها رؤية حرة، ويندرج تحت هذه الرؤية - مثلا - الحركة المناهضة للطب النفسى antipsychiatry.. ولكن هذا لا يتعدى الموقف الفنى المثير إلى الموقف العلمى البناء، ولا إلى الموقف الثائر الملتزم، إن مآل هذه الرؤية إذا تمادت هو التسيب السلبى، ومزيد من إجهاض الخبرة الملوّحة.

3 - وفريق ثالث يرى هذه المواجهة فى حجمها القاسى والمؤلم، وموقفها الناقد اللاذع ولكنه لا يعلى من شأنها بقدر ما يتخذ موقفا مسؤولا إزاءها، فهو معها للنهاية، شريطة

أن يتحمل صاحبها مسؤوليتها "معها"، فوظيفة الطبيب هنا أن يقلب الهزيمة نصرا، (لا أن يوقف إطلاق نيران **الحقيقة** فحسب) وهو فى هذه الرحلة لابد أن يرى المريض من زاويتين: مرة من خلال فهم واستيعاب ما جرى من حيث أنه رفض العمى والرتابة، ثم يراه مرة ثانية من موقف الحزم حتى اللوم بهدف تحجيم الشطح المحتمل، حيث المرض يعلن العجز عن تحمل حدّة البصيرة ونبض الحس الأعمق، وعلى الطبيب أن يحاول من خلال هذا وذاك أن ينتصر بهما معا فى ولاف أرقى، وياليته يفعل!

محاولة تحديد المعالم:

إن تحديد ماهية ما يسمى "**الحقيقة**" هنا لا يتعلق مباشرة بما جاء فى المتن، وإن كنت انتهزت الفرصة (1976) لمحاولة تحديد بعض معالمها كما كنت أراها قائلا:

"هى حركية الوعى بالوجود تمتد إلى داخل النفس لتكشف تاريخنا الضارب فى ما وراء الحياة، وتمتد إلى مستقبل التطور لترى روعة التكامل الممتد بلا نهاية، وهى تتصل بالناس عرضا لترى امتداد الفرد فى المجموع وتواضع رحلته الذاتية وضرورة الاتصال المثمر بالناس، وقد نرى هذه الحركية فى لحظة، أو ساعات، أو طوال العمر كله.. فهى المواجهة، أما نتاجها فهو إما الجنون أو الإبداع عموما، متضمنا الإبداع العلمى، وكذلك التصوف (الإبداع الذاتى).

اكتشفت أن هذا التحديد المبدئى الذى كتبته بالنص (تقريبا) سنة 1976، له علاقة وثيقة بما توصلت إليه ونشر بعضه فى هذه النشرات المضطردة التى تنشر حاليا (2009)، مثلا فى نشرة "العين الداخلية"، ثم إنه تطور بشكل مباشر قارب حد محاولة تحقيق فرض: العين الداخلية، وبالذات فى خبرة المرض، وأفضل هنا - مع الاعتذار للتكرار لمن قرأ الحالة - أن أقتطف ما تيسر من حالة "فصامى يعلمنا الفصام" لأنها تبين **تشكيلات الحقيقة** من واقع مواجهة مريض يستعمل هذه الكلمة بطريقته فيستقبلها الطبيب على مستويات مختلفة وهو يصحح نفسه (هذه المرة: سوف ننشر الهوامش الشارحة التى سبق نشرها منفصلة، بعد مقاطع الحوار مباشرة كالتالى):

من نشرة : 28-4-2009 :

"فصامى يعلمنا الفصام دون أن ينفصم"

....

رشاد: ...هو بس أنا عايز أقول إن أنا شايف **الحقيقة** فى نفس الوقت لما باجى أطلبها بلاقى إن هى مش **الحقيقة**...

د.يحيى: واحده واحده، أصل الدكتورة (التى قدّمت الحالة) كتبت لنا كلام زى ده، واحنا عايزين نوضحه مع بعض شوية شوية

رشاد: تمام

د.يحيى: انت كل جملة قلتها أو حانقولها حانحاول أنا وانت نعيشها، .....، إنت بتقول أنا شايف **الحقيقة** بس لما آجى أطلبها بلاقيها مش **حقيقة**، مش كده؟

رشاد: لأ يعنى، أنا باقول أنا شايف اللى أنا فيه ده **حقيقة**

د.يحيى: **الحقيقة** يعنى اللى أنت فيه دلوقتى، أيوه كده، ما توسعهاش قوى

انتبهت أن استقبالى الأول كان تقريبيا وبسرعة، لكن بعد استيضاحه هكذا تبين أن رشاد إنما يعنى بالحقيقة "ما هو فيه" وليس الحقيقة التى خطرت لى، وأيضا تعبير "أطلبها" كان يعنى "أطلبها" من الطبيب، أى يسأل الطبيب عما إذا كانت خبرته التى يعايشها واقعية (هى الحقيقة) أم لا. (وليس يطلبها أى يسعى إلى "سبر غورها" كما تراءى لى فى البداية)

رشاد: ولما باجى أطلبها من أى دكتور يقول لى إنت حاسس كده، ولكن هى مش **حقيقة**

د.يحيى: الدكتور اللى بيقول لك هى مش **حقيقة**، ولا أنت اللى بتكتشف إنها مش **حقيقة**

رشاد: لأ، قعدتى مع الدكتور هى اللى بتبلغنى إنها مش **حقيقة**

د.يحيى: وهوّا الدكتور إيش عرفه؟ حاجة غريبة خالص!!

رشاد: مش دكتور بقى!؟

د.يحيى: إيش عرفه **الحقيقة** من اللى مش **حقيقة**، هوّا ولى أمر **الحقيقة**؟ إنت شايف **الحقيقة** زى ما أنا شايف الكوباية دى، مش كده؟

رشاد: آه

د.يحيى: بأمارة إيه بقى الدكتور يقول لك إنها مش **حقيقة**؟ هو ربنا سلم **الحقيقة** لشوية ناس وأخذها من ناس تانيين

رشاد: بس معروف إنه دكتور متخصص فى حاجة زى كده

د.يحيى: يعنى هوّا متخصص فى **الحقيقة**؟ هوه متخصص فى أكل عيشه، وتصليح المايل، والتريح، والدواء والحاجات دى

رشاد: يعنى هى **حقيقة**؟

د.يحيى: ليه لأه؟

رشاد: يعنى هى **حقيقة**؟

د.يحيى: مش إنت شايفها؟

رشاد: آه

د.يحيى: تبقى **حقيقة** 100%، سواء اللى قلته للدكتورة، سواء اللى انت حاتقوله دلوقتى، سواء اللى أنت مش حاتقوله، تبقى **حقيقة** 100%، بالذات بالنسبة لك، مش لكل العيانين ولا لكل الناس، ده على حد ما وصلنى من كلامك مع الدكتورة، وحتى لو ما وصلنيش أنا باعتبر إن **الحقيقة** هى اللى انت شايفها، نعمل إيه بقى فى البداية بتاعتى الغريبة الغلط دى؟ غلط قصدى بداية مش معتاد عليها العيان مع الدكاترة، مش كده؟

هذا الأسلوب الذى ظهر فى هذا الحوار هكذا عن "حقيقة" رشاد بفرض انها "حقيقة" فعلا ، وقد تطور معى تطورا خطير عبر عشرات السنين حتى أصبحتُ لا أعتبر أنها مجرد "حقيقته" (حقيقة المريض) أى ما يعتقد، أى وجهة نظره، بل رحت أتبنى أن تكون فى بعض الخبرات الأعمق بمثابة "الحقيقة الأخرى"، من حيث أن المريض يدركها بأدوات حسه الداخلية، فى حين أننى - الطبيب - لا أملك مثل هذه الأدوات بهذه القدرة الكشفية، وحتى إن ملكتها فلا أملك غالبا إلا أن أرى داخلى أنا وليس داخله هو، طبعا هذه ليست قاعدة ولا تنطبق إلا على الهلوسات والضلالات النشطة الحقيقية التى ترصد، أى تُدْرك، بالعين الداخلية، وأقول "تدرك من الإدراك" أى من perception، ولا تنسج فكرا أو خيالا نسبة إلى التفكير أو التخيل Thinking أوImagination

رشاد: تمام.

د.يحيى: نعمل إيه فى الدكاترة بقى ؟

رشاد: لأ الدكاترة بصراحه ممتازين، حرام

د.يحيى: ماشى، بس الظاهر هما مضطرين إنهم ينكروا عليك **الحقيقة** لمصلحتك؟ هُما ممتازين، صحيح كتر خيرهم، ثم همَّ بيعملوا اللى هما عارفينه وخلاص، هوه حد يقدر يعمل أكتر من اللى هوه عارفه!!

... لا أنصح بأن يمارس أى زميل هذا الأسلوب إلا من يدرك يقينا احتمال صحته، وإلا أصبح تطبيقا لأخطر وأغلط مبدأ يقول "ناخد المجنون على قد عقله" هذا المثل هو عكس ما يجرى فى مثل هذا الحوار المنطلق من الاحترام المطلق لاحتمال أن خبرة رشاد هى "حقيقة" وأحيانا هى "الحقيقة".

(وهذا هو ما جاء تقريبا فى المتن منذ ثلث قرن)

رشاد: تمام

د.يحيى: عارف الدكتورة (...) قاعدة عاملة كده ليه؟ (تبدو عليها الدهشة)، عشان مش شايفة **الحقيقة**

رشاد: ليه ؟

د.يحيى: أصل الجماعة بتوع الدوا والفلوس يا رشاد حاطين حاجز بين الدكاترة **والحقيقة**، ييجى عيان غلبان زيك يقول لهم

الحقيقة يقولوا له لأه ، إنت مش شايف، بس عشان الدكتورة بنتى دى يمكن صغنتوطة قامت صدقتك شوية، وراحت مخضوضة، وقالت مش فاهمة ، مش فاهمة، وعرضت علينا حالتك يمكن نفهم سوا.

هذا تفسير ما جاء بالمتن الأصول إنى أعالجه واكفى ماجور عالخير بكره يعقل بالدواء المعتبر

رشاد: وبعدين؟

د.يحيى: بداية صعبة، معلش

رشاد: لأ لأ، مافيش حاجة، بس نخليها **حقيقة**؟ يعنى نتكلم على إنها **الحقيقة**؟

د.يحيى: أنا رأيي اللى ربنا حايحاسبنى عليه إن: "أيوه" ولو كبداية.

رشاد: هى دى **الحقيقة**؟

د.يحيى: ليه لأه؟ تعرف يا رشاد: أنا كل أمنيتى قبل ما أموت، أنا كبير فى السن شوية كتار، إنى يعنى أوصّل للناس اللى انت قلته ده، الناس يعنى اللى لسه ماتشوهوش، ما تْلاعَبشى فى مخهم.

رشاد: تمام

د.يحيى: إحنا نبدأ نشوف اللى احنا شايفينه **حقيقة**، إحنا والناس اللى زينا كده، وبعدين نشوف إيه الحكاية، يعنى بقى يمكن تُفرج، تطلع إنها **حقيقة** لوحدها وخلاص، أو تطلع إنها جزء من **الحقيقة**، أو يطلع إن فيه كذا **حقيقة**، المهم تكون البداية كده

برغم ما يبدو فى هذا المنطق من صعوبة، وكأنه درس فى الفلسفة، إلا أنى لاحظت أن المرضى يلتقطونه أسهل بكثير من الأسوياء العاديين،

(يتفق ذلك مع ما أتى فى المتن الشعرى من أن المريض قد يرى أعمق، مهما تشوهت رؤيته، فنتعلم منه)

رشاد: ياه !!

د.يحيى: لما ساعات عيانين يجولى من كتر الدكاترة ما قالوا لهم زى ما قالولك كده، إنهم غلطانين وكلام من ده، يصدقوا الدكاترة ويكدبوا نفسهم، يقول لك أصل الدكتور قال إن اللى أنا شايفه غلط، قال إنه غلط يبقى غلط، من غير ما يفسروا يعنى إيه غلط ويعنى إيه صح

رشاد: ما هو ده عشان دكتور متخصص

د.يحيى: متخصص فى إيه؟ هوا متخصص فى التخصص بتاعه، مش متخصص فى **الحقيقة**، مش أحنا قلنا إن مفيش دكتور إسمه أخصائى **الحقيقة**؟

رشاد: لأ لأ، لأ طبعا

د.يحيى: طيب يا أخى كفاية كده النهاردة؟ أنا لخبطتك

رشاد: لأ لأ إزاى إتفضل

د.يحيى: نعم؟

رشاد: اتفضل إتكلم

هذا التوقف، وعرض إنهاء المقابلة له أهمية خاصة، لاختبار استقبال المريض جرعة الكشف، مع اختلاف نوع الحوار، ومن ثم اختبار رغبته فى مواصلة الحوار، فى مقابل الخوف من التمادى، ثم إن إعلان الطبيب لحيرته هكذا مبكرا، قد يشجع المريض أن يأخذ دورا إيجابيا غير دور انتظار التفسير الجاهز الدامغ من سلطة علوية.

د.يحيى: لو انت مصدقنى، عشان يبقى تصديق بحق وحقيق، مش دهشة وتفويت، أصل صعب يا ابنى إنك تصدقنى، أنا ساعات ما باصدقشى نفسى

رشاد: لأ، لأ، مصدق مصدق إنشاء الله

د.يحيى: نعم؟

رشاد: مصدقك بس كل اللى أنا عايز أعرفه يادكتور يعنى أنا اتخطيت ليه فى المكان ده

د.يحيى: هه؟؟

رشاد: يعنى **الحقيقة** دى جاية منين؟ حد قاصدها ولا هى جاية لوحديها؟

د.يحيى: طبعا حد قاصدها، بس الحد ده جواك

ابتداء من هنا يبدأ تفسير مباشر لما اعتبره الطبيب حقيقة "داخلية" وليس حقيقة "خاصة"، وهذا ما أسميه "الواقع الداخلى" باعتباره واقعا فعلا يمكن أن يُرى (بالعين الداخلية) أو يسمع (بالأذن الداخلية) .... إلخ.

رشاد: يعنى حد قصدها.

د.يحيى: بس من جواك، من كتر ما أنت مش عارف إنه جواك، والدكاترة برضه مش مصدقين الاحتمال ده، بتروح الحاجات طالعه بره، وترجع لك كإنها جاية من بره، مع إنها مقصودة من جواك

رشاد: مين يعنى

د. يحيى: أظن اسمه رشاد برضه، فى الغالب يعنى.

رشاد: طب إزاى يادكتور ؟

د.يحيى: مش حاقول لك، قصدى مش عارف، مش متأكد، ما هو لازم نقبل إن فيه حاجات كتير حا نشتغل فيها واحنا مش

عارفين كل حاجة عنها، بس نشتغل فى اللى اتفقنا عليه، ونركن الباقى على جنب، مثلا لما نقول إن حد قاصدها، يبقى حد قصدها، ما هو يا رشاد ما فيش حاجة بتحصل بالصدفه كده قوى.

لاحظ طرح التفسير باعتباره احتمالا يساعد رشاد أن يقبله، علماً بأنه احتمال فعلا (فرض) لا يثبت إلا جزئيا بفاعليته العلاجية، وليس ببرهنته منطقا مسببا.

رشاد: لأ طبعاً، يعنى هو القاصد "نفسى"، تقصد تقول كده؟

د.يحيى: يعنى إيه نفسى، سبب نفسى يعنى، أنا مش فاهم، يا عم سيبك دلوقتى من كلام الدكاترة، "نفسى" و"مش نفسى"، هو النفسى يعنى مش **حقيقة**؟ نفسى يعنى بيتهيأ لك قصدك؟ طبعا لأ، حا يتهيأ لك ليه يعنى؟

رشاد: طيب، إمال مين طيب اللى عمل كده

د.يحيى: اللى جواك

رشاد: اللى جوايا؟

د.يحيى: آه، واحد زيك بالظبط، ما هو فيه كتير زيك جواك، إيه المانع

رشاد: ما تبتدى معايا بقى يادكتور

د.يحيى: هه ؟!!

رشاد: باقول ما تبتدى بقى.

.....

.....

فى مقابلة تالية، نشرة 26-5-2009

تواصلت مناقشة كلمة "الحقيقة": كالتالى

د.يحيى: ... ما انا صارحتك أهه، ومع ذلك عمال تعيد وتزيد، أنا عايزك تاخد كلامى ده وتربطه بالكلام الأولانى فى أول مقابلة بتاع **الحقيقة** ومش **الحقيقة**، اللى انا فهمته غلط فى الأول، وبعدين اتفقنا على إن كل اللى انت عايشه **حقيقة**، بس محتاج تفسير من الناحية دى، ومن الناحية دى، لحد ما نتفاهم، مش كده ولا إيه؟ إنت من أول لحظة سألتنى ده **حقيقة** ولا مش **حقيقة**، وانا قلت لك ما دام عايشه، يبقى **حقيقة**، ونتفاهم.

رشاد: يعنى **حقيقة**؟

د.يحيى: إستنى بس، ما هو الاختلاف بييجى بعد كده، أنا باقول لك هى **حقيقة** من جوه، وانت بتفاصل مرة جوة ومرة برة، حا نقعد نتكلم بقى جوا وبره ولا نعمل حاجة سوا سوا

* * *

ثم بعد انتهاء المقابلة قبل الأخيرة نشرة 2-6-2009 انتهيت إلى الخلاصة التالية،

الخلاصة :

تم التعامل مع رشاد -مثلما ننصح أن يحدث مع معظم المرضى- على أن المسألة لم تعد أن ما يقوله المريض (الذهانى خاصة، والفصامى بوجه أخص) هو "حقيقته"، وإنما هو الحقيقة الماثلة بداخله، أى الواقع الداخلى، ويختلف دور المريض فى تحوير هذه الحقيقة إلى ما هو "حقيقته" بقدر ما تتدخل عملية التفكير (الخيال الذى هو نوع من التفكير) فى تحوير إدراك perception هذه الحقيقة (كإدراك حقيقى للداخل) بتأويلها إلى (ضلالات) أو إسقاطها (كهلاوس) أو إعادة تشكيلها بالخيال (صور خيالية Image)

* * *

عودة إلى المتن بعد ذلك وهو يتصدى لنقد الموقف التسكينى (الإخمادى أحيانا) السائد فى العلاج التقليدى فى الطب النفسى.

بكرة يعقل بالدواء المعتبرْ

شرح على المتن:

الخاطر الذى يتبادر إلى ذهن أى طبيب، وهو موقف إيجابى طبيعى هو أن يبادر بعلاج المريض، خاصة إذا كان المرض جسيما وهو ما يسمى عادة بالجنون (المرض العقلى)، ولا لوم عليه فى ذلك إلا إن المسألة ليست، بهذه البساطة، حيث أن وضع مسافة مهنية باردة بين الطبيب والمريض تحتاج إلى نوع من الميكانزمات العامِيَةْ التى تنشِّىء المريض بشكل أو بآخر.

الأصول إنى أعالجه، واكفى ماجور عالخبر".

"بكره يعقل! بالدواء المُعتبرْ".

بس والله يا عالَمْ لْم قِدِرت.

لَمْ قِدِرت آعمَى بْنَوَاضْرى،

حتى لو كان العمى دا"رَأُسمَاَلكْ"،

أو كما سَمُوهْ حديثا "مَشِّى حَاَلكْ"،

يعنى "طَنِّشْ، إنتَ مالَكْ".

هذه إشارة قاسية إلى النموذج الطبى القمعى الذى يرى المرض حريقا لابد من الاسراع فى إطفائه بالعقاقير حتى لو لم يتبق بعد ذلك إلا الرماد، وهو يسلك لتحقيق ذلك سبيل المبالغة فى استعمال العقاقير، واعتبار المرض النفسى مجرد

تغير كيميائى فى المخ وظيفة تحجب الرؤية عن الطبيب النفسى، وترحمه بالتالى من التعرض لتعمق الوعى ومواجهة **حقيقة** وجوده ذاته كما ذكرت، أما 'الذى منه' فهو إشارة إلى سوء استعمال بقية الأساليب السطحية مثل العلاج السلوكى وأحيانا العلاج بالكهرباء *(العمياء وليس إعادة التنظيم الانتقائى)* والجراحة، وأقول إن كل هذه الأساليب لها فاعليتها وروعتها ووظيفتها إذا كانت جزءا من كل متكامل على مسيرة التطبيب النفسى، أما إذا كانت بديلا عن العلاقة الانسانية أو كانت مجرد خفض للطاقة وتهدئة للثورة فإنها قد تعمل فى عكس الاتجاه الخلاق.

الحلقة القادمة رقم (5) بعنوان: قلت: إعْقَل يا ابْن نَـفْـسِي.

وهذا هو المتن مسبقا كما وعدْنا:

قلت: حاسِبْ ما الْـفَـضَـايحْ والجُرَسْ.

قلت إدّيها عمَى حيسِى، وزوّد فى الخَرَسْ.

نط غَـصْـبِـن عنـِّى، ورّانى إنّـى هوّه.

بس جـــُوّهْ ! ! !

قلت أخطف نظره عالماشى واغَمَّضْ مِن جديد،

هّيه نظره -واللىّ خَلَقَكْ- لم تَـنِيـتْها

بصيت لقيت الزفّه بتلف الضريح لم بطّلت، وتقول مـَدَدْ!!

بـَس الـَعـِـمـاَمَةْ اتـْغَـيـَّرتْ:

والحاجات، هى الحاجات الـمِشْ حاجَاتْ.

الطبيب أصبح مهندسْ للعـُقـَولِ

الـَبايْـظَهْ (يعنى .. !!)،

واللى برضه اتْصلـَّـحِتْ.

(الطبيب دا هوّ انا، مش حد غيرى)

اللَّه عليهْ، والسِّتْ بـِتـْمسِّى عليهْ!

والشاشةْ، والواقع، خـُلاصـْةِ القـَوْل، منظوم الـَكـَلام:

آخـِرْ تمام، فـِى حَـلْ مُعـضِـلـَةِ الأنَـــــامْ:

"لّما كنا نـَحْنُ فى عصر الـَقـَلق،

"نستعيذ بربّنا مما خلق"،

يبقى لازْمَـنْ كلنا نقلق قوى،

واللى ما يقلقشى لازْمَنْ يِكتئب،

إمّـال ايـــــهْ...؟!

ثـــمَّ إن اُلأم لازِم، إنـــّها تْـحِبّ عِيَـالـْهَـا

دا لـزوم فك الـعقد إلـــلى فى بـالها.

فـلقـد ثـبت: إن الـــعُـَقـد "وِحـْشَـةْ قـوى"!!.

هـَذَا الـذى قـد أظـْهـُرُه الـْبـَحِـثِ الـفُـلاَنـِى،

"لمّـا عد الـتـانى ساب الأولانى".

ثم أوصى: "أن يـكون الـكـــل عـالْ.

إذْ لابـُـدْ أنّ الـُكـوَيـِّسْ:

هـُوَّا أحـْسـَنْ مـِالـَّذِى مـُا هـُوشْ كـُوَيـِّسْ.

إمـَّـاِل ايـــِهْ؟"

[هذا بـرنـامج "عفـاف هانم"،

بـــتسأل حضرة الـدكـتـور فـلان]

الثلاثـــــــاء 23-06-2009

662- (تابـــع الملـــــــف!!).. عن الحـــــب والكـــره (5)

يبدو أن هذا الشرح على المتن سوف يسير بالسرعة البطيئة، أملا فى أن يُستوعب، أو يثير ما نرجو من حوار محتمل، اكتشفت ذلك حين لم تتناول هذه النشرة، بالاضافة إلى نشرة الغد إلا جزءاً، يسيرا من المتن الذى وعدنا بمناقشته يوم الأربعاء الماضى.

أو: ربما هو الكسل..

* * *

نط غَـصْـبِـن عنـِّى، ورّانى إنّـــى هوّه..،

بس جـــــوّهْ !

المتن:

قلت: إعْقَل يا ابْن نَـفْـسِي.

قلت: حاسِبْ ما الْـفَـضَـايحْ والجُرَسْ.

قلت إدّيها عمَى حيسِى، وزوّد فى الحَرَسْ.

نط غَـصْـبِـن عنـِّى، ورّانى إنّـــى هوّه.

بس جـــــوّهْ ! ! !

شرح على المتن:

قلت: إعْقَل يا ابْن نَـفْـسِي.

مع اضطراد نمو الطبيب، يتجرأ فيسمح بما يسمى "إعادة الولادة"، ليصبح "ابن نفسه" بعد أن كان ابن أبيه وأمه، إذا فشلت "إعادة الولادة" فهى تجربة الجنون ذاتها، أمّا إذا نجحت فهى تجربة أزمات التطور وكذلك إرهاصات الخلق والابداع. أن يصبح الفرد والد نفسه، احتمال فيه من الروعة بقدر ما فيه من المسئولية، والخطاب هنا "بابْـن نفسى" يشير إلى أن من تعرض لمصاحبة المجنون فى رحلته المرعبة هذه، فهو لابد والدٌ لنفسه من جديد، وعليه أن يتحمل مشاق الرحلة فعلا .. وأن يقلبها إبداعا حقيقيا متى امتلك الأداة .. فهى فرصة .. وهى مصيبة فى نفس الوقت إذا لم تتم بأمان.

الاشتغال بالطب النفسى إشكالة شديدة التعقيد، **إنها مهنة تستدرجك إلى عالمك الداخلى، بقدر ما تغوص فى عالم المريض** (المجنون خاصة)، إنك لا تستطيع أن ترى المجنون منفصلا عنك إن صدقت فى محاولة قراءته ثم نقده لإعادة تشكيله، وتشكيلك معه كما أشرنا من قبل، هى ليست مهارة تُستعمل من الظاهر، إنك متى تغامر بتقمص المريض حتى تكتشف أنها ليست مجرد عملية لبس قميصه (تقمّصه)، بل إنه يحرك فيك الجزء المقابل لما تعرى فيه عشوائيا، برغم احتمال غائيةٍ لها دلالاتها فى بداية رحلة الجنون.

كيف يحدث ذلك ؟

"نط غَـصْـبِـن عنـِّى، ورّانى إنّـــى هوّه....، بس جـــــوّهْ ! ! !"

إذن هذه المسألة لا تحدث اختيارا محسوبا مسبقا، وإنما هى نتاج صدق المواكبة، وأمانة المعايشة.

أنت تعرف مريضك، **إذْ تتعرف عليه من خلالك،**

وهو أيضا يعرفك من خلاله،

كل ما فى الأمر أن ما يمكن أن نسميه جنونا لا يكون كذلك طالما أنه كامن فى داخلنا **(بسّ جوه)**، لكنه هو هو موجود

فينا كلنا، التركيب الأساسى لى ولمريضى واحد، ولا تُكسر المسافة بينك وبين المريض بشكل موضوعى مفيد إلا من خلال الإقرار بذلك منذ البداية بكل ما يحمل من مفاجآت ومخاطر.

المريض ليس مختلفا عنا، وما يسمى جنونا هو ذلك التركيب الذى يبدو عشوائيا فى بعض مراحل حركيته، نحن نستنتجه عادة ولا نعرف جوهره تفصيلا إلا من خلال ناتجه الظاهر على السطح. كل ما هو تحت السطح نحن نضع له الفروض للتعرف عليه أو تفسيره، هذه الفروض قد تصح وقد لا تصح، وكل فرض أو نظرية قد يغطى جزءا من التعرف على الظاهرة لا أكثر.

عن الحلم والجنون:

المدخل الأصلح لتأكيد وجه الشبه بينى وبين مريضى هذا هو ظاهرة الحلم، (وليس محتواه أو تفسيره)، حركية الحلم من واقع نشاطه، ومن دوره فى ترتيب، (و"لا ترتيب": فوضى) المعلومات فيه، هو الجنون دون هزيمة، بل فى الأحوال العادية، هو الجنون الناجح، بل هو الإبداع الخفى، نحن لا نعرف ما يجرى أثناء الحلم الحقيقى، (عشرون دقيقة كل تسعين دقيقة، بمجموع حوالى ساعتين كل ليلة)، كل ما كان يهمنا فى مسألة الحلم حتى وقت قريب هو "محتوى الحلم" الذى - حسب نظريتى: يتشكل الحلم المحكى فى الثوانى (أو أقل) ما بين النوم واليقظة قرب الاستيقاظ، هذا المحتوى هو الذى ظل يشد انتباهنا، وتدور حوله أبحاثنا، وتحاول تفسيره تأويلاتنا، بعيدا عن ظاهرة الحلم ذاتها (أنظر: الإيقاع الحيوى ونبض الإبداع) لأن تشكيلة وحركية ظاهرة الحلم هى هى تشكيلة وحركية ظاهرة الجنون مع اختلاف حالة الوعى، وطبيعة المآل.

بمجرد أن نستيقظ، يعود كل شىء كما كان إلا قليلا، ونروح نمضى ساعات يقظتنا وسلوكنا العادى ليس عليه شائبة، لأن جنوننا يكون أثناء يقظتنا كامن طيب، وهو ينتظر أن تأتى ساعات النوم ليتحرك فى نشاط الحلم بحساب وإيقاع راتب، مرة أخرى: لنستيقظ من جديد "كما كنت" إلا قليلا، وهكذا، وهكذا!.

فى مواجهة المجنون

حين نلتقى بشخص مجنون فى واقع الحياة، يتحرك جنوننا الكامن داخلنا، فنخاف من هذا التحريك، ويختلف تفاعلنا باختلاف موقفنا وما هو نحن،

ومن ذلك:

- بعضنا يرعب من مجرد احتمال وجود وجه شبه معه، ولو فى المستقبل البعيد
- بعضنا يخاف ويسرع بالهرب الفعلى (بتجنب مواصلة رؤيته)
- بعضنا يزداد عمى وبعدا ويفترض - شعوريا أو لا شعوريا - استحالة إصابته بمثل ذلك

- بعضنا يتمنظر ويفتى ويصنّف وينصح
- بعضنا (الأطباء الجهابذة) يسارع بالعلاج السلطوى الذى قد يطفئ حركية جنون المريض، لا يستوعب طاقتها، وفى نفس الوقت هو يزيد من إحكام قهر حركية جنونه شخصيا.
- بعضنا يمارس الوشم، فالنفور
- بعضنا يمصمص شفاهه ويركب هودج الشفقة، ينظر إلى الموقف متعاطفا من أعلى

أين يقع الطبيب النفسى من كل هذا؟

إنه يتعرض لكل هذه الاحتمالات دون استثناء، فهو بشر، لكن أمامه فرص أيجابية ، وأخرى سلبية:

شركات الدواء، والعلم السطحى المسخر لمصالح هذه الشركات، والاغتراب المعقلن، كلها جاهزة لتخدم دفاعاته ضد أن يرى وجه الشبه أصلا، وهى مؤسسات تتضخم، لتكدس الأموال. وتهدد تطور الانسان، فيجد الطبيب نفسه -بدون وعى غالبا= أداة (علمية) طيّعه للقيام بدور لم يقصده غالبا (لم يخلقه الله لهذا)

حقيقة وتدرج موقف الطبيب بالممارسة

الطبيب الذى لا يغامر بالتعرف على مريضه من خلال جنونه الكامن شخصيا، وهذا هو ما يحدث غالبا، يحتاج مزيدا من الدفاعات خشية أن يرى هذا الاحتمال، أن يرى نفسه بروعة أعماقها وإرعاب تعريها.

لكن هناك احتمال أن يكون الطبيب قد قطع شوطا على طريق نموه الشخصى، فتنشط هذه الدفاعات بدرجة واعية نسبيا ، فلا تعود دفاعات تماما، بل تنقلب جزئيا أو كليا إلى **"بصيرة واعية"** تحل محل تلك الدفاعات العامِيَةْ، هذه البصيرة هى التى تساعد أن تزيح الدفاعات جانبا، لنرى ما يراه المريض، ليس فقط فيه، **وإنما أيضا فينا.**

هذا ما يصوره المتن حين يصف دفاعات التعمية (**عمَى حيسِى**) وعموم الدفاعات (**الحرَسْ**).

حين تتحول الدفاعات اللاشعورية إلى آليات وعى مخترقة مؤلمة، تحتد بصيرة الطبيب، وتتواصل الخطوات نحو الرؤية، بشكل مقتحم من الداخل، وحينئذ لا يملك الطبيب الأمين، (أو أى مغامر نحو المعرفة) لها صدا.

إذن فهذه البصيرة الفاعلة هى - غالبا - عملية مقصودة هادفة تتقرر من الداخل بوعى آخر، بعد أن فشلت الدفاعات الواعية جزئيا (حين لم تعد دفاعات صرف)، من أن تحقق **الإظلام الانتقائى**، لحمايتنا من **فرط الرؤية** هذا هو المقصود بـــ

قلت إدّيها عمَى حيسِى، وزوّد فى الحَرَسْ.

فإذا تواصلت خطوات نمو الطبيب بجدية - من واقع الممارسة عادة-، وياحبذا تحت إشراف متعدد المستويات، فسوف تتراجع هذه الميكانزمات، كلما توفر قدر من البصيرة ياحبذا فى جو إشراف صحى مشارك، **فلا يعود العمى مطلوبا ولا مفيدا، بل هى البصيرة المؤلمة الداعمة فى آن**، الأمر الذى يترتب عليه أن نرى أنفسنا مثلنا مثل المريض، مع الاختلاف الجوهرى فى طريقة تعاملنا مع هذا التركيب، ومن ثم مآله:

المعالج ينمو من خلال ذلك (المفروض يعنى)

والمريض يشفى، أو يتدهور، بحسب عوامل كثيرة،

لكن تظل الرؤية والمشاركة والألم والوعى الأشمل هى احتمالات قائمة عند المريض مثلما عند الطبيب فى المراحل المختلفة، ثم تتفرق الطرق ويختلف المآل، أو تتواكب المسيرة ويعاد التشكيل لكليهما.

كل هذه النقلات ليس لها توقيت معين أثناء رحلات نمو الطبيب، ففى أى لحظة، تغوص البصيرة إلى حقيقة الجارى، فإن صدقت الرؤية، فلا رجعة فيما رأيتَ، تماما مثلما ترى منظرا بعينيك مفتحتين ، فإذا لم تتحمله، أو أردت محوه من وعيك الحسى لسبب أو لآخر، بأن تغمض عينيك عنه، فإنك تظل تراه، تعرفه، تعترف بوجوده، مع أنك مغمض العينين.

مع تواصل أمانة المحاولة، تحفزك بصيرتك إلى مواصلة الدفع لمزيد من التعرف على الجارى (فيك وفيه)، وهنا تكفى **لحظة تنوير** تكاد تشبه لحظات الإلهام فى الإبداع، ويمكن أن تكون هذه اللحظة مشروطة -شعورياً أو لاشعورياً- بالتراجع عنها، لكن هذا الشرط، لو واصل الطبيب أمانته، وجهاده، لا يتحقق أبدا، فيواصل الطبيب، الكشف والتعرى، فالألم البناء والنمو.

قلت أخطَف نظره عالمَاشى واغَمَّضْ مِن جديد،

هيّه نظره - واللىّ خَلَقَكْ- لم تَنِيتْها

الرؤية التى تترتب على هذه المغامرة تشمل أكبر مما قصدتْ إليه من عمق التعرف على المريض وأحواله، وحين تحتد بصيرتك لايمكن توظيفها انتقائيا للمريض دونك بل إنها عادة، ما تمتد إلى مناطق وآفاق تتجاوزك أنت ومريضك على حد سواء: إنك سوف تجد نفسك مضطرا إلى ممارسة كلٍّ من:

تعرية الاغتراب،

وتحطيم الأصنام،

ومغامرة الكشف،

وحيرة المعرفة،

ومخاطرة إعادة التشكيل (الإبداع)، ..

(كل هذه مجرد أمثلة)

فماذا يقول المتن؟

بصيت لقيت الزفّه بتلف الضريح لم بطّلت، وتقول مـَدَدْ!!

بـَس الـَعـِمـاَمةْ اتـْغـَيـَّرتْ:

والحاجات، هى الحاجات الـمِشْ حاجَاتْ.

تقديس القديم والتوقف عنده يصبح بشعا من خلال هذه الرؤية الجديدة، سواء كانت رؤية المجنون أم الفنان أم الثائر أم الطبيب الجاد المشارك، والقديم هنا لا يقتصر على تجمد السلف بقدر ما يصور الجمود الفكرى بصفة عامة.

كثير من المباديء الحديثة (حتى بعض مناهج العلم المؤسسى) قد أصبحت أديانا مغلقة، أو أصناما ثابتة، برغم تغيير الاسم والشكل: **(بس العمامة اتغيرت)**

الأصنام الجديدة والمناهج المغلقة لها نفس قدسية القديم المعطل،

المشكلة هنا ليست مشكلة السلف والخلف، ولا القديم والجديد، ولكنها مشكلة الجمود ضد الحركة،

علما بأننى مع احترام القديم، دون قبول وصايته، فهو الأب الشرعى للجديد، لكنه ليس بديلا عنه.

لا جديد ذا أصالة يولد سفاحا، ولكن الاحترام والاستيعاب والجدل شيء، والتقديس والجمود والتكرار شيء آخر.

وهكذا تتمادى هذه الخبرة المغامرة حتى تصل إلى احتمال إعادة النظر فى كل شيء على أنه **"هو هو"**، إلا أنه "أصبح ليس هو"

وغدًا نرى ما يترتب على ذلك:

بما ذلك الطبيب نفسه، والمريض، ما أمكن ذلك.

أما **متن الغد**. فغالبا سوف يكون.

الطبيب أصبح مهندسْ للعـُقـَولِ الـَبايْـظَهْ (يعنى .. !!)،

واللى برضه اتْصلـَّحِتْ.

(الطبيب دا هوّ انا، مش حد غيرى)

اللّه عليهْ، والسّتْ بـِتـْمسّى عليهْ!

والشاشةْ، والواقع، خـُلاصـْةِ القـَوْل، منظوم الـَكـَلام:

آخـِرْ تمام، فـِى حَـلْ مُعـضِـلـَةِ الأنَـــــامْ

o "لّما كنا نَحْنُ فى عصر القَلَق،
"نستعيذ بربّنا مما خلق"،
يبقى لازْمَنْ كلنا نقلق قوى،
واللى ما يقلقشى لازْمَنْ يِكتئب،
إمّالِ ايِهْ...؟ !! !
o ثم إنك - بعد ذلك - لمْ لا بدْ انك تسيب هذا "القلق"
علشان "تعيش"
o ثم إن "الحزن" برضه مالوش لزوم
"طنّش" تعوم ! !
ما هو كله فى المافيش
o ثم إوعى انّك تنام من غير لحاف
o أحسن تخاف
حيث النصيحة **"لا تخف"** هى التى:
لك عندى يابنى **"حتى أبرئ ذمتى"!!**
o ثُمَّ إن أُلأم لازِم، إنّها تُحِبّ عِيَالْهَا
دا لزوم فك العقد إللى فى بالها.
فلقد ثبت: إن العُقَد "وِحْشَةْ قوى"!!.
هَذَا الذى قد أظْهُرُه الْبَحِثِ الفُلاَنِى،
"لّما عد التانى ساب الأولانى".
ثم أوصى: "أن يكون الكل عالْ.
إذْ لابُدْ انّ الُكوَيِّسْ:
هُوَّا أحْسَنْ مِالَّذِى مُا هُوشْ كُوَيِّسْ.
إمَّالِ ايِهْ؟"
[هذا برنامج "عفاف هانم"،
بتسأل حضرة الدكتور "فلان"]

الإربعـــــاء 24-06-2009

663-نشـــرة يوميـــة من مقـــالات وآراء ومواقـــف

(6)

نفْسَنـــة الحيـاة المعـاصرة

الطبيب أصبح مهندسْ للعَقَول البَايْظَهْ (يعنى .. !!)، واللى برضه اتْصلَّحِتْ.

(الطبيب دا هوّ انا، مش حد غيرى)

أرجو اعتبار أن مثل ذلك، وايضا ما سوف يرد فى الفقرات التالية، هو نوع من النقد الذاتى أكثر منه نقد لأى من الزملاء. هذا تقديم واجب، فكل الأدوار التى انتقدت فيها الطبيب النفسى هى أدوار تصورتُ أننى قمت بها شخصيا فى مرحلة من مراحل ممارستى لمهنتى، **فهو نقد ذاتى أساسا**، لا أعنى به المهنة ذاتها ولا أى من الزملاء، أرجو أن يعفى هذا التحفظ بعض الزملاء من التصدى للدفاع عن تلك الأدوار التى انتقدتها بقسوة، فالقضية فى تصورى ليست قضية تجريح لبعض الاتجاهات، ولكنها خبرة شخصية أساسا، فإذا استيقظ ما يقابلها فى نفوس بعضهم، فهذه مسئوليتهم، وإلا فهى لا تعنى إلا شخصى، والحكم فى ذلك أولا وأخيرا هما الوعى والمسؤولية. مادامت مسيرة التطور الفردى ليست قانونا واحدا ملزما لكل الناس، فليتوقف من يشاء حيثما شاء، وليساعده فى ذلك الطبيب أو غيره، ويظل الفرد هو المسئول أولا وقبل كل أحد عن اختياره.

ربما الذى شحذ بصيرتى فأفيدنى عبر تجربتى الطويلة هو أننى مارست كل أنواع الطب النفسى عبر عشرين عاما (خمسين عاما الآن) بحماس وإيمان فى كل مرحلة، فأصابنى من كل ذلك ما أصابنى، ومن ذلك تلك المرحلة التى تعاملت بها مع المخ البشرى كأنه آلة مصقولة متقنة، والتى أتصور أن هذا هو الغالب فى كثير من ممارسات هذه المهنة حين يصفها المتن بفقرة تقول: **"الطبيب أصبح مهندس للقول البايظة"**، هذا ما يحدث إذا ما تعامل الطبيب مع العقل البشرى كنموذج هندسى ميكنى، لا أكثر، ولقد تراجعت عن نقد أنه نموذج حاسوبى (كما جاء فى هوامش الطبعة الأولى) بعد أن تعرفت على الحاسوب الأحدث أكثر فأكثر، فالتعامل مع الإنسان (والمخ البشرى) كآلة ميكانيكية كمية، غير التعامل معه كحاسوب حديث، ناهيك عن كونه كيانا بشريا أكثر تعقيدا، وأرسخ تاريخا.... ، وقد أفادنى مؤخرا قياس عمل جلسات تنظيم الإيقاع (المسماة خطأ : الصدمات الكهربية) بفكرة "إعادة التشغيل" الحاسوب الأحدث، (أنظر يومية ؟؟؟ الرد د. على أميمة رفعت).

أما أن الطبيب بدأ مؤخرا يلعب دورا غير التطبيب، ليصبح مهندسا للعقول السليمة (**واللى برضه اتصلحت")** فهى إشارة إلى دور الطبيب النفسى فى المجتمع الأوسع مفتيا إعلاميا متداخلا أكثر من اللازم فيما لا يقع تحت مظلة تخصصه.

الفقرة التالية كلها تحديث تقريبا، وهى تنتقد الدور الإعلامى للطبيب النفسى، والمعروف أننى من أكثر من يمارس هذا الدور، فأرجوا ألا ينطبق علىّ كل ما سوف أذكره حالا (أو ينطبق، أحسن من أن يظن الناس أننى أهاجم غيرى فقط).

المتن

اللَّه عليهْ، والسِّتْ بِـتْـمسِّى عليهْ!

والشاشةْ، والواقع، خُلاصـْةِ القـَوْل، منظوم الـَكـَلام:

آخِـرْ تمام، فِـى حَـلْ مُعـضِـلـَةِ الأنَـــــامْ

شرح على المتن

أول ما انتبهت إلى هذا الدور الخاص للطبيب النفسى كان فى الستينات، وكان أحد الزملاء راجعا من الخارج، وله كاريزما خاصة، وذكى، وعالم ، وحاضر، وجاهز، وكان هناك برنامج اسمه **"نجمك المفضل"**، ليلى رستم (أو ربما أمانى ناشد، لا أذكر)، وكنت أتصور من اسم البرنامج أن النجم لا بد أن يكون نجما سينمائيا على الأقل، وإذا بى أفاجا بهذا الزميل الفاضل، يقول كلاما مهما فى كل شىء، كان حاضرا وطيبا ومفيدا وملما بدوره إلماما كافيا، ولم أجد فى نفسى اعتراض جاهز، أو غيرة خفية، فى أن يقوم زميل طبيب نفسى لامع بهذا الدور المفيد، وحين جاءت دعوة لى للإسهام فى مثل هذا الدور الإعلامى، لم أجد فى نفسى مميزات زميلى هذا، فناقشت الإعلامى الطيب الذى عرض علىّ فكرة التوعية الوقائية للمشاهدين، المرحوم فؤاد شاكر (الذى تخصص بعد ذلك فى الإعلام الدينى)، عرضت عليه ألا يقتصر البرنامج على الصحة النفسية، وأن الأفضل أن نقدم معلومات علمية أساسية مفيدة يتعرف الشخص العادى من خلالها على "ماهو إنسان"، بما هو إنسان"، لعلنا نعرّف الناس ماهية التركيب البشرى المجهولة لدى أغلبهم، فاقتنع وجعل اسم البرنامج **"الإنسان ذلك المجهول"** (نفس الاسم الذى استعمله الفيلسوف الأمريكى ألكسيس كارليل)، وفعلا قدمنا سلسلة من الحلقات، تحت هذا العنوان **"الإنسان ذلك المجهول"**، تناولنا فيها جوانب ثقافية علمية طبية عامة وخاصة مثل: العلاقة بين الوراثة والتنشئة، و"حكمة الجسد" فى علم الفسيولوجيا (علم وظائف الأعضاء) ، إلى أن وصلنا إلى العلاقات البشرية (اختصاص الطب النفسى) بشكل أو بآخر.

منذ هذا التاريخ فى أوائل الستينات، وحتى الشهر قبل الماضى (منذ أسابيع، حين قبلت أن أقدم البرنامج الأحدث "مع الرخاوى"، فى قناة جديدة اسمها **"أنا"**، وهو برنامج يهدف إلى نقد القيم السائدة، وإعادة التعرف عليها، وهو البرنامج الذى أشرت إليه فى بريد الجمعة الماضى)، وأنا أحاول ألا أعتذر عن أداء دورى الإعلامى هذا ، وفى نفس الوقت ألا أنساق لما أنتقده الآن.

ما بين هذين التاريخين لم أرفض أن أشارك فى برنامج إذاعى أو تليفزيونى إلا نادرا، وأحيانا وصل بى رفضى لما أنتقد الآن أن انسحبت من برنامج كان يذاع على الهواء، أذكر أن البرنامج كان اسمه "ماسبيرو"، ولعل اسم المقدمة الفاضلة كان "شافكى" ، وكانت الحلقة عن "أعداء النجاح" حدث فيها - رغما عن المقدمة ربما بسبب طيبتها- ما لم أتمكن من مواصلة

البرنامج للإسهام فى تصحيح ما تصورت أنه لا يجوز أن يصل إلى الناس فى وجودى هكذا، حيث أن بقائى كان يعنى أننى مشترك بشكل غير مباشر فيما يضر (من وجهة نظرى)، فاحتججت ، وزعمت أننى قد أصابنى طارئ صحى أثناء التسجيل، وانسحبت - على الهواء- أمام كل المشاهدين، وانتهت المهمة وأنا فى حيرة : إذن لماذا أقبل الإسهام فى هذه التغطية الإعلامية هكذا "عمال على بطال"؟!!.

فيما عدا مثل هذه الحادثة النادرة، لا أذكر أننى اعتذرت بلا عذر حقيقى، كنت أذكر قول أفلاطون فى مقدمة الجمهورية، أن عقاب من يتخلى عن مسؤولية الريادة أو القيادة أو التوجيه العام، هو أن يتولى الأمر من هو أقل فائدة وربما أضَرّ أثراً ليس معنى هذا أن زملائى أقل قدرة على الترشيد والتثقيف والتوعية، لكن هذا كان هو التبرير الذى أقنع به نفسى معظم الوقت.

كل هذه المقدمة وجدتها ضرورية قبل أن أنطلق إلى المتن والشرح لأن المتن فيه سخرية لاذعة أرجو ألا تصيب إلا شخصى.

نفسنة الحياة المعاصرة

بصراحة، كلمة "نفسنة" ليست الترجمة الدقيقة لأصل الكلمة التى وصلتنى بالإنجليزية ، وهو Psychiatrization ، ذلك أن الإعلام عندنا، قد بالغ فى حشر آراء الطب النفسى (وعلم النفس) فى كل أمور الحياة تقريبا، من أول السياسة، حتى الجريمة، مرورا بالتربية، والرياضة، والأسعار، والموضة، والدين، والعنف، واختيار الوزراء، ولون حجرات النوم، ومائدة الطعام، والاستخارة، وخفة دم عادل إمام مقارنة بإسماعيل يس، وسيكولوجية ركاب مترو الأنفاق..و...و...، يكفى هذا.

احتاج الأمر منى الآن وأنا أشرح هذا المتن (وهو تحديث لم يرد فى الطبعة الأولى كما ذكرت) أن أتوقف فى محاولة أن أصنف ما أقوله، (وما أحاول أن أتجنب أن أقوله) وما قد يقوله بعض زملائى فى مثل هذه اللقاءات فوجدت أن أغلبها يمكن أن تندرج تحت ما يلى:

1) **بديهيات** لا تحتاج إلى رأى أصلا، (وليس بالضرورة رأى "نفسى") مثل "أن الجريمة لا تفيد"، أو أنه "على الأب أن يكون قدوة لأولاده !! جدا جدا"

2) **تحصيل حاصل** قد يأخذ صفة نفسية، لكنه لا يضيف، مثل أن الطالب الذى ينتبه إلى الدرس جيدا، يحتاج مجهودا أقل لمذاكرته (أى والله)

3) **شجب أخلاقى** للشر بأشكاله، مثل ان الغش لا يصح ، لأن من يغش إنما يغش نفسه، وهذا ليس من الصحة النفسية، فى شىء !!

4) **نصائح عادية مسطحة** يقولها أى واحد فى أى مناسبة (دون حاجة إلى أن يكون مختصا فى النفس، ولا فى غير النفس) ، مثل أنه على الزوجين أن يجتهدا فى حل مشاكلهما بالسلامة

5) **نصيحة نفسية معادة** (حتى لو كانت روجعت وثبت عدم جدواها) مثل النصيحة الأشهر، أنه "دع القلق وابدأ الحياة. (أنظر المتن بعد)

6) **فتاوى سياسية بلغة نفسية**، مثلا: تبرر السلام مع إسرائيل، أو تشجبه (كله ينفع)

7) **وضع لا فتة تشخيصية** على شخص نشرت حكايته فى الإعلام، دون اللقاء بهذا الشخص، ودون استيفاء المعلومات اللازمة، ودون التأكد من مصداقية المحرر الذى نشر الخبر، ودون عمل حساب تأثير هذه اللافتة عليه أو على ذويه، أو على من هو مثله.

8) **الحكم على مسئولية متهم** ارتكب جريمة غريبة، أو نادرة، أو مستهجنة جدا، لم يبت فيها قضائيا بعد، دون فحصه مباشرة، أو ملاحظته، أو الاطلاع على ملفه

9) **ترديد توصيات نابعة من ثقافة غير ثقافتنا**، فى سياق لا يناسبها، مثل الكلام عن الحرية وحقوق الطفل، بنفس الألفاظ والتوصيات التى تتردد فى ثقافات أخرى، ولصق الصفات النفسية، وعبارات المديح بهذه التوصيات لمجرد أنها مستوردة

10) **التوصية الأكيدة بضرورة الذهاب إلى " الطبيب النفسى "** للاستشارة (والعلاج) عمال على بطال"، فى أمور الحياة العادية التى غالبا لا تحتاج لمثل ذلك

11) تشريح شخصية بعض الفنانين أو الفنانات بما يحب أن يسميه الإعلاميون "تحليل نفسي":، دون لقائهم، وبأقل قدر من المعلومات، وغالبا دون إذن منهم

12) لصق اسم مرض خاص (او صفة مرض عام، مثل الجنون) ببعض رؤساء الدول الذين يمارسون سوء استخدام السلطة فى الحرب أو السلم ، وكأننا لا نعرف أننا بذلك نلتمس لهم العذر (مرضى بقى !!) فيواصلون قتل واستغلال الأبرياء والضحايا.

13) وغير ذلك كثير مما هو مثل ذلك

ما هذا؟

لقد اكتشفت أن الشرح فى نشرة اليوم جاء قبل المتن

ولم لا؟

فإذا احتاجت أية فقرة خاصة إلى مزيد من التوضيح، فقد أفعل فى هوامش لاحقة.

هل عندك - قارئى العزيز- مانع؟

المتن:

الطبيب أصبح مهندسْ للعُقَولِ البَايْظَهْ (يعنى .. !!)،

والـلى بـرضه اتْصلـَـحِـتْ.

(الـطبيب دا هوّ انـا، مش حد غيرى)

o "لّما كنا نـَحْنُ فى عصر الـَقـَلق،

"نـستعيذ بـربّنا مما خلق"،

يـبقى لازْمَـنْ كلنا نقلق قوى،

والـلى ما يقلقشى لازْمَنْ يِكتئب،

إمّالِ ايـِــهْ...؟ !! !

o ثم إنك - بعد ذلك - لْم لا بدْ انك تسيب هذا "القلق"

علشان "تعيش"

o ثم إن "الحزن" برضه مالوش لزوم

"طنّش" تعوم ! !

ما هو كله فى المافيش

o ثم إوعى انك تنام من غير لحاف

o أحسن تخاف حيث النصيحة: "لا تـَخِفْ"

أهُمّ شىء فى الملفْ!!

o ثـُمَّ إن اُلأم لازِم، إنـّها تْـحِبّ عِيـَالـْهـَا

دا لزوم فك العقد إللى فى بالها.

فلقد ثبت: إن الـعُـَقد "وِحْـشَـةْ قوى"!!.

هـَذَا الذى قد أظْـهـُرُو الـْبـَحِثِ الـفُلاَنِـى،

"لّما عد التانى ساب الأولانى".

ثم أوصى: "أن يكون الكـل عالْ.

إذْ لابـُدْ انّ الـكوَيـِّسْ:

هـُوَّا أحْـسَـنْ مِـالَّذِى مـُا هـُوشْ كُوَيـِّسْ.

إمـَّالِ ايـِهْ؟"

[هذا برنامج "عفاف هانم"،

بـتسأل حضرة الدكتور "فلان"]

هوامش محدودة:

وجدت أن المتن أوضح من أن أضيف إليه شرحا آخر بعد كل هذه المقدمة الطويلة اللهم إلا :

1. إن الإلحاح فى ترديد أنه "دع القلق وابدأ الحياة"، (**ثم إنك - بعد ذلك : لمْ لا بدْ انك تسيب هذا "القلق"، علشان "تعيش"**) دون اتهام الكتاب الأصلى **لديل كارنيجى** بالمسئولية الكاملة عن سلبية تلقى هذا المفهوم، الذى هو من أشهر ما يجرى بين الناس على أنه غاية المراد لتحقيق ما هو صحة نفسية، وقد كررت طويلا أن البديل الحقيقى هو **"عش القلق، واقتحم للحياة"**

2. إن إشاعة أن ثم شىء اسمه **"الاكتئاب القومى"** ، وأن الحزن مرفوض من أساسه، هى إشاعة تروج مفاهيم سطحية، مسخت عاطفة شديدة العمق والدلالة مثل الحزن

(أنظر مثلا :

- ما هو لازم إنى أزعل" نشرة 2007/9/7 (بدال ما تثور تفن)

- أو نشرة 2007/11/18 (مقدمة (3/3) عن الوجدان، والحزن)

3. كذلك هذا الترويج السطحى ضد الخوف المشروع، كثيرا ما يتكرر فى الإعلام، الأمر الذى انتقدته حتى فى **أرجوزة للأطفال عن الخوف**، لا أكتفى إزاءها بالإشارة إلى موقعها فى الموقع برابط link، وإنما أقتطف منها ما يلى :

قالوا يعنى، بحسن نيةْ: "لا تخف"
دا مافيش خطرْ
طب لماذا؟
هوا يعنى انا مش بشر؟
إنما احنا نقولّك: "خافْ وخوِّف" !
فيها إيه؟
لو ماخفتش مش حاتعمل أى حاجةَ،
فيها تجديد أو مغامرة
لو ما خفتش مش حاتاخد يعنى بالكْ،
حتى لوْ عاملين مؤامرة
لو ما خفتش مش حاتعرف تتنقل للبر دُكْهَةْ
خايف انْ تْبِلّ شعركْ
لو ما خفتش يبقى بتزيف مشاعرك
بس برضه خللى بالك
إوعى خوفكْ

يـلغى شوفـكْ

إوعى خوفـك يـسحبك عنـا بـعيدْ، جوّا نـفسك

إوعى خوفـك يـلغى رقـة نـبض حسك

4. إن استشهاد الإعلام، وبعض النفسيين، بما ينشر هنا وهناك من أرقام ونسب مئوية لكثير من الأبحاث (بعضها أو كثير منها مستورد) ، يتكرر بشكل متواتر، وكثيرا ما ينساق الطبيب النفسى إلى تفسير هذه الأرقام وكأنها حقائق مسلمة ، دون (أو قبل) مناقشة مدى مصداقيتها، أو نوع العينة التى أجريت عليها وهل هى ممثِّلة لما تشير إليه أو لا ...إلخ ...إلخ (من المتن:

هـَذَا الـذى قـد أظْـهـُرُه الـْبـَحـِثِ الـفُلاَنـِى،

"لمّا عد التانى ساب الأولانى"،

ثم أوصى: "أن يكون الكـــل عالْ.

وبعد

أكتفى بهذا القدر اليوم لنلتقى الثلاثاء القادم (ما أمكن ذلك) ، على جزء جديد من المتن يقول:

وساعات أشوفه مـِطـيّباتى مُـعْـتَـبـر،

آه يا حلاوتـُهْ ومـُوَّا بـِيْـلـبِّـسْ خـُدُوده الإبْـتـسَامةْ،

أو لّما بـِيْـشَـخْـبـَط ويكتبْلَكْ حـُبـُوب "منع السآمـة"،

أو لما يُوصف حقنة المُـحَـايـاة تقوم تمسح مشاعرك "بالسلامة".

-11-

وساعات أشوفنِى كما "الأغا"

بيضحّك المِـلـَكة، ويُستعمَـل من الظاهر، بَـــسْ.

-12-

وساعات جنابه يلف أحكامه ف زواق، مش أى "حاجةْ".

يفتى كما قاضى الزمان وكأنه جاب المستخبى، يقولك انك :

إوعى "تزعل"، أو تشوف : "بـطّـلْ سماجة"،

"كُـنْ منافقْ"، يعنى "جامِلْ"، "مَشِّى حالَك".

تبقى ماشى فى السليم، مهما جرالكْ.

والعواطف تـِتـْشَـحَـنْ جوّا العيون زى البضاعَـهْ.

(كل ساعةْ نُـصّ ساعةْ).

"يعنى إيه ؟!؟"

".. مشْ مُـهِـمْ".

الثلاثـــــــاء 30-06-2009

669-نشـــرة يوميـــة من مقـــالات وآراء ومواقـــف

الحلقة (7)

وساعات أشوفه مِطيّباتى مُعْتَبِر،
آه يا حلاوتُهْ وهُوَّا بِيْلبِّسْ خُدُوده الإبْتسَامةْ،
أو لمّا بِيْشَخْبَط ويكتبْلَكْ حُبُوب "منع السآمة"،
أو لما يْوصف حقنة المُحَاياة تقوم تمسح مشاعرك "بالسلامة".

+++

وساعات أشوفْنِى كما "الأغا"
بيضحّك المِلَكة، ويُستعمَل من الظاهر، وبَسْ.

شرح على المتن

من أقبح الأدوار التى قد يضطر اليها الطبيب النفسى- أو قد يتمتع بها إن شاء - هو ما تصورت نفسى فيه أحيانا بالنسبة للمرفهات من بنات الذوات (القدامى، والمحدثات معا) حين يحضرون للفرجة علىّ، أو للدردشة، أو 'للونسه'، أو لقضاء وقت مع نجم "تلفزيونجى" أو لمعاينة اسم معين وجها لوجه (أنا)، ربما للتأكد من خفة دمه، أو للكشف عن ما وراء تجهم وجهه، و كنت عادة اضطر من منطق العقل والذوق والمجاملة 'والتكيف' وآداب المهنة أن أجارى مثل هذه النوازع، فطالب الاستشارة الأولى له هذا الحق مهما كان الدافع إلى الاستشارة، فأجدنى فى حيرة قصوى وأنا أحاول أن أحدد دورى أكثر فأكثر قبل أن أستثار فأثور. لكن ، والحمد لله، تكون مثل هذه الزيارة هى الأولى والأخيرة، فنادرا ما أضطر للصبر على زائرة أو زائر من هذا النوع أكثر من مرة، وهو كذلك، نادرا ما يصبر علىّ، وقد استنتجت من هذه الخبرات أن ما يحدث هو أن مثل هذه العلاقة العلاجية - إن كان لها أن تسمى كذلك أصلا- تنتهى بمجرد نهاية استكشاف الاستطلاع أو الفرجة، أنا ليس من حقى أن أشجب من يستطيع من الزملاء أن يقدم خدمات لهذا النوع من طالبات وطالبى الحاجة ما داموا قد سألوا المشورة، ولكننى كنت أعجز عادة أن أواصل.

حاولت عدة مرات ، وقد أكرر هذه التيمة كثيرا، أن أبين الفرق بين العلاج وبين "التريّح"، كما يشاع عن الطبيب النفسى أن: "الطبيب لازم يريّح المريض"، الطبيب يعالج، ومن ضمن علامات نجاح العلاج *أحيانا* أن مريضه يرتاح، لكن لا ينبغى أن يكون الهدف تماما ودائما هو "إرضاء الزبون"، فالزبون هنا بوجه خاص ليس "دائما على حق"، وقد يصل الأمر إلى استعمال الطبيب من جانب المريض تبريرا لسلوك سلبى باعتبار أن المريض ليس مسئولا جدا عما يفعل، طالما هو مريض ولا مؤاخذة.

يندرج تحت فكرة "التريّح" ما جاء فى المتن : إعطاء **حبوب منع السآمة**، وهو الاسم الحركى لمضادات الاكتئاب عموما، والأحدث منها خصوصا. حين صار الحزن مرفوضا من أساسه

بفضل الإعلام الطبى المسطح، - تحت تأثير شركات الدواء- أصبح التخلص منه بأسرع ما يمكن هو هدف العلاج فى كثير من الأحيان. لن أكرر الحديث عن إيجابيات الشعور الجاد بالألم النفسى، لكن السائد فى معظم الممارسات هو الإسراع بالتخلص من الحزن ما أمكن ذلك. النتيجة ليست فى اتجاه أن تحل الفرحة الحقيقية محل هذا الحزن الُمزاح، ولكن أن يحل نوع من الطمأنينة التى كثيرا ما تكون ماسخة ولا تتناسب مع الجارى، حتى تصل إلى درجة من اللامبالة، وربما هذا ما يعينيه المتن: **تمسح مشاعرك "بالسلامة"**

أعرف الردود على كل ذلك، وأحترمها، وأرفضها من واقع الممارسة

مرة أخرى : عودة إلى **الفتاوى النفسية**

المتن

وساعات جنابه يلف أحكامه فْ زواق، مش أى "حاجةْ".

يفتى كما قاضى الزمان وكأنه جاب المستخبى، يقولّك انكْ :

"لا تخفْ"!! و"دع القلق"، "بطّلْ سماجة"،

"كُنْ منافقْ"، يعنى "جامِلْ"، "مَشِّى حالَك".

تبقى ماشى فى السليم، مهما جرالكْ.

والعواطف تِتْشَحَنْ جوّا العيون زى البضاعَهْ.

(كل ساعةْ نُصّ ساعةْ).

"يعنى إيه ؟!؟"

".. مشْ مُهِمْ".

لا يحتاج هذا الجزء من المتن إلى مزيد من الشرح أكثر مما جاء فى نشرة الأربعاء الماضى عن **"نفسنة الحياة المعاصرة"**، فقط ننبه هنا على الفرق الحساس بين ما يسمى **"ضرورة التكيف"** مع المحيطين والواقع بما يتجلى فى مظاهر المجاملة المباعِدة ما بين الناس خوفا على مشاعر بعضهم البعض مما يندرج تحت عناوين مثل **الذوق** و **الرقة** و **السلوك المتحضر** وكلام من هذا. الحد الفاصل بين التعامل الحضارى، وبين النفاق الدمث، لا يمكن تمييزه بسهولة، وأيضا الحد الفاصل بين الوقاحة والاقتراب المغامر للمصارحة هو أيضا لا يمكن تمييزه بسهولة. هذا بالنسبة لما يجرى فى الحياة العامة، فكيف يكون الحال فى مجال ممارسة الطب النفسى والعلاج النفسى؟

لا بد أن توضع الاختلافات الثقافية هنا فى الاعتبار بشكل متزايد، ويمكننى بهذا الصدد أن أصف عشرات المستويات بالطول والعرض، التى تختلف فيها المسافة، واللهجة، وعلو الصوت، وحسم وضع شروط العلاج، واللوم على عدم الامتثال للتعليمات بما فى ذلك تعاطى العقاقير، كل ذلك يختلف بين ثقافة وثقافة، وصولا إلى الثثقافات الفرعية، كما يختلف بين مريض ومريض.

فى ثقافتنا/ بصفة عامة، الطبيب والد، والوالد مسئول، وهو يحمى ويحيط ، بقدر ما عليه أن يقتحم لينقذ، وأغلب مرضانا يعطوننا فرصة حقيقية وعميقة لكل مثل ذلك .

المبالغة فى الالتزام بقواعد السلوك المهنى الشائعة، أو المستوردة، قد تكون سلبية تحت عنوان الموقف المحايد، أو الحرية المسطحة.

المتن:

والجنازه زفّه تـُرقـُصْ عالسَّرَايِـرْ -

فى البيوت اللى حوالِـيـهَـا الستاير.

واللى خايفْ من خيالُهْ،

واللى خايفْ مـالِـْعَـسَـاكِـرْ.. والرقيب،

واللى بيوزَّعْ تذاكر يا نصيب،

واللى بيفَرَّق دوا "ضِدَّ الذنوبْ"،

واللى ماشى يشق فى بطانة الجيوب.

والعرايضْ، والجرايدْ،

واللىَّ بيرصُّوا الكلامْ؛

"قفْ مَكَانكْ، أو تأخَّر لـْلأِمَامْ"!

جَّرُوا سِيـْدنَا الإمَامْ"

"سرْ، بضَهـْرَكْ..."

والـَعَرقْ؟: إلكُوزْ بِكَامْ؟.."

لا أجد مبررا لشرح نصوص هذا المتن التى لا تحتاج إلى شرح أصلا، خاصة حين تبتعد عن سياق التطبيب والمعالجة، فهذه الفقرة -مثلا - تكاد تكون نقدا اجتماعيا وسياسيا صريحا ومباشرا أكثر منها عرضا لما هو خاص بالمرض النفسى والعلاج النفسى.

تكفى هنا الإشارة إلى أن المرض النفسى، الذى هو بالتعريف الأصلى نوع من الاغتراب عن الواقع، هو فى ذاته، خاصة فى بدايته، إعلان لرفض الاغتراب المتمادى فى الحياة المعاصرة المكررة النمطية الباردة. حين يشتد الاغتراب فى الحياة العادية النمطية، وتهمد الحركة إلا المعاد منها، تصبح الحياة هى والموت سواء، ولا يبقى منها إلا حركة معادة، قد تبدو نكوصية، وكأن هذا الرقص هو استعمال جسد زائط، دون حيويته وتلقائيته، المريض لا ينخدع بهذا الرقص نكوصا، وحين أتقمصه، أفهم رؤيته لهذه الأجسام الزائطة، جثثا تتنطط وراء ستار رؤية غائمة، **"والجنازة زفة ترقص عالسراير.** فما هى حكاية **" الستاير"؟**

من بين أهم ما يكسره المريض العقلى بالذات (المجنون) هو ذلك الساتر الكثيف الذى يغطى داخلنا عن بعضنا البعض، نتيجة لخوفنا من حقيقة داخلنا، (اللى خايف من خياله - **البيوت اللى حواليها الستاير**) وأيضا الخوف من القهر المحتمل من خارجنا، (**واللى خايف ما العساكر والرقيب**) .

أحلام الحظ فى المجتمعات الكسولة والاعتمادية تقوم أيضا بدور سلبى متزايد " **واللى بيوزَّعْ تذاكر يانصيب**"حتى يصبح الاعتماد على الحظ من علامات الاغتراب بشكل أو بآخر،

حين تفرط السلطات والمجتمع فى التأثيم والمبالغة فى التركيز على عقاب الذنوب من أول عذاب القبر إلى ما لا يمكن تصوره، تنشأ آلية تكفيرية، استغفارية، اعترافية، قد تقوم بدور التخفيف قليلا أو كثيرا، لكنه دور تسكينى فى النهاية، ويعتبر التنفيث والتفريغ والاعتراف للطبيب النفسى من بين هذه الآليات،"**واللى بيوزع دوا ضد الذنوب**" إلا أنه ليس هو دوره الأساسى، أحيانا يكون مجرد الذهاب إلى الطبيب، و"الاعتراف له بما جرى، ناهيك عن ما يجرى" هو نوع من التماس عذر مقبول - مريض بقى !!- للتمادى فى نفس الممارسة التى اعترف بها للطبيب، وكأنه بذلك : "عمل اللى عليه" هكذا يجد الطبيب نفسه يُستعمل لتبرير السلبيات شعوريا أو لا شعوريا، ومن ثم التمادى فيها بشكل مباشر أو غير مباشر

أما الذين "**يرصون الكلام**" فلا مبرر للإطالة فى الحديث عن الدور السلبى للخطب، والبيانات، والشعارات والإعلام إذا ابتعد كل ذلك عن الفعل الجاد على أرض الواقع، واستعمل للتأجيل أو التبرير أوالتفريغ، كل هذا أصبح من اقبح تجليات الاغتراب فى المجتمع المعاصر، وهو ما يكشف عنه المريض، وعلى الطبيب ألا يشجبه من حيث المبدأ، بل أن يشترك مع المريض فى رفضه، ولكن دون هزيمة فردية (مرض المريض)، ودون خروج عن الدور الأساسى لممارسة المهنة.

أما ما يجرى من ادعاء التقدم بالألفاظ والتقليد الأعمى دون تقدم حقيقى، "محلك أو سر" ، فهو التأخر بعينه، وهو إشارة إلى حالة كوننا نتبع كل متسلط طاعة وتقديسا: "**قفْ مَكَانَكْ، أوِ تَأخَّر لِلْأمَامْ"! جُرُوا سِيدْنَا الإمَامْ"، "سرْ، بضَهْرَكْ..."**

ثم تختم هذه الفقرة بالتنبيه إلى قضية بديهية تفضح الاستغلال المباشر للجهد البشرى لصالح الإثراء والتسلط، وأعتقد أن هذا النص القائل "**والعرق الكوز بكام**"؟ هو غنى عن الشرح فعلا.

الطبيب النفسى ليس سياسيا، ولا مصلحا اجتماعيا أو داعية دينيا منوطا بإقامة العدل، ورفع الظلم، لكن المريض لا يدعه فى حاله، فهو ثائر (برغم فشله وخيبته) يحتج على ما ينبغى الاحتجاج عليه، وهو يلقى فى وجه الطبيب بقضايا حقيقية تستحق الاحتجاج، بل الثورة، لكنه - المريض - لا يتحمل مسئولية هذه الثورة، ومهما رأى الطبيب فشل مريضه

فى إكمال ثورته، فإن هذا لا يعفيه من تحمل مسؤولية ما وصله حتى لو كان مريضه لا يتحملها، من هنا يصبح تبنى قضايا المريض، أو القضايا العامة التى أثارها المريض، هو ضمن امتحانات أمانة الطبيب فى اختبار مشاركته الإيجابية، ليس فقط فى مساعدة مريضه أن يشفى، وإنما فى القيام عنه، وربما معه لاحقا، بمواجهة السلبيات العامة (مع الخاصة) بشكل أو بآخر

تبدأ المواجهة بالرؤية، ثم مِنْ كُلٍّ بحسب ما يقدر على التغيير،

احترام مبررات احتجاج المريض النفسى على كل هذا الظلم والاغتراب تجرجر الطبيب إلى أدوار خارج نطاق مهنته بدرجة أو بأخرى، **وهو ليس مطالب بالقيام بدور عملى فى رفع الظلم العام أو إحقاق العدل أو ما شابه، لكنه ليس من حقه أن يختبئ تماما داخل حدود مهنته،** لا فرط الحماس دون أدوات الثورة الحقيقية مطلوب أو مفيد، ولا الانسحاب المهنى التخصصى شريف أو مقبول. لو حدث هذا الاحتمال الأخير، وتخلى الطبيب عن مشاعره التلقائية الطبيعية البسيطة سوف يجد نفسه فى مأزق شخصى إن كان على نفسه بصيرا، ذلك أنه إذا تمادى فى فصل مهنته عن الهم العام، والمسؤولية، فسوف يصبح عرضه للاستغلال من جانب نظريات وتشكيلات ومؤسسات، سلطوية تجارية قهرية شركاتية دوائية!! كلها فى خدمة ما هرب منه المريض يستنقذ بمرضه ثم بطبيبه بشكل أو بآخر، (وهذا لا ينفى ما حدث بمخه من تغيرات كيميائية ولا مؤاخذة)

حين يمارس الطبيب دوره بهذه الأمانة والمسئولية، سوف يجد نفسه فى مأزق يتجدد مع كل مريض تقريبا، وكأن المريض إذ يلقى بهذه القضايا - الحقيقية- فى وجه الطبيب، يكلفه ضمنا بأن يكمل طبيبه المشوار الذى عجز هو أن يكمله !!!

المتن التالى ، هو تصوير لبعض هذه الصورة

المتن:

أمَّا صوره مُرْعِبَهْ يا خَلْق هُوهْ.. إلحَقُونِى.

قُلْت غَلْطَانْ والنَّبِى يا نَاسْ سِيبُونِى.

قلت اغَمَّض تَانِى حَبَّهْ صْغَيَّرِينْ،

.. لمْ قِدِرت.

طب حا فتّح ليه يا عَالَمْ؟ هِىَّ فُرْجَةْ؟!

بصّ لِى "صاحْبَك" ولعبَّلِي حواجْبُهْ،

قال: وقِعْت.

والقلم كَمَّل كإنى لم وِقفت:

عودة إلى بداية هذا العمل كله، أول الديوان، وكيف أعلنت منذ البداية أن حاجتى - القهرية تقريبا لنقل ما

وصلنى ويصلنى من المريض إلى عامة الناس، هى التى تجعل من البوح والكتابة إلزاما عبرت عنه باستقلال قلمى عنى، ومواصلة انطلاقه ضد كل المحاولات التى أحاول بها أن أثنيه عن ذلك،

بدأ المتن كما نذكر بمثل هذه الصورة: **"كل القلم ما اتقصف يطلع له سن جديد"**،

وهنا نقرأ المتن والقلم يتحدى ، ويسلم الرؤية التى لا تريد أن تختفى ، ليبلغها إلى أصحابها.

سبق أن أشرنا إلى استحالة محو الرؤية التى رآها المريض فرآها الطبيب من خلاله، والتى تعود هنا لتعلن بشكل آخر: **" قلت اغمض تانى حبة صغيرين، لم قدرت".** شرحت سابقا كيف أن الصورة التى تصل للعينين لا تختفى بمجرد إغلاق الجفنين، وها نحن نجد تجليا ثانيا يؤكد هذا التفسير.

"القلم" هنا لا يمثل مجرد التعبير والتنفيث والإبلاغ، وإنما هو الإعلان الظاهر عن وعى داخلىّ، يحول دون الطبيب والاختباء فى مهنته،

هذا الوعى هو الذى يشير إليه المتن بـ"صاحبك" : **"بصّ لى صاحبك ولعب لى حواجبه، قال وقعت"**

وهكذا أصبحت هذه الرؤية المشتركة هى قضية الطبيب حتى ولو لم يتحمل مسؤوليتها مثيرها الأول (المريض)، فيكفيه أنه حرّك أمام وعى الطبيب واقعا ماثلا يحتاج موقفا إزاءه ، واقعا لا ينقصه إلا حفز التغيير أو حتى البدء به،

أما أضعف التثوير فهو إعلانه هكذا .

وربما هذا ما يقوم به هذا الذى عجزت عن كبح جماحه، فماذا وصف القلم بعد أن اقتحم الحواجز الواحد تلو الآخر، وأزاحنى المرة تلو المرة؟

.....

.....

هذا ما سوف نطرحه فى نشرة الغد،

وإن كنت أشك أنه يحتاج إلى أى شرح على المتن،

خذ هذه البداية التى سوف نكملها غدا، وقل لى بالله عليك أى شرح تحتاجه دون أن يشوهها ؟ (غدا)

بقى دى حياتنا يا ناسْ، وِآخْرِةْ صبرنا؟

الحياه؟ نـُقـْعد نـِحَـكِّـى لبعضِنـَا؟

الحياةْ ؟ نُقْعد نـِحِسْ، نـِبـُصْ، يـِتـْهـَيـَّأ لـِنـَا؟

طب واحنا فين "دلوقتى" حالاً "أو هنا"؟
دى المركب الماشْيَهْ بِلاَ دَفّهْ ولا مِقْلاعْ حَاتُشْرُدْ مِنّنَا،
واوْعَى الشُّقُوقُ تِوْسَعْ يا نايم فى العَسلْ،
لا المَّيهْ تِعْلَى، تزيد، تزيدْ،
.. مّيةْ عطَنْ، تِكْسِى الجلودْ بالدَّهْنَنَه،
وتفوح ريحتْها تِعْمِى كلِّ اللى يحاول يِتلفِتْ ناحيةْ "لِمَاذَا"،
أو "المعنى" يكون ما جَاشِى فى"الكِتَابْ"،
أو لِلِّى "جُوَّه"،
أو نَواحِى "ربنا" !
(الرحمهْ يارب العباد: إغفرْ لنِا).

وإلى الغد ....

الإربعـــــــاء 01-07- 2009

670- "....علّمنـى ضَـربْ النـار، بكلمة صدق طالعه مولَّعَةْ"

دراسة فى علم السيكوباثولجى (الكتاب الثانى)

لوحات تشكيلية من العلاج النفسى
شرح على المتن : ديوان أغوار النفس

الحلقة (8)

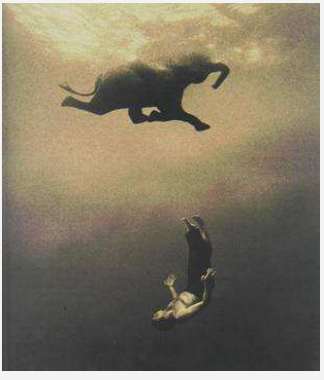

مقدمة

يبدو أننى أكتب هذا الشرح غصبا عنى،

الذى حدث اليوم، وأنا أعد هذه النشرة، أننى وجدت هذا الجزء من المتن لا يحتاج شرحا أصلا، **ويبدو أن ذلك لمقدمة الديوان** التى سوف تنتهى اليوم ثم نبدأ فى عرض شعر الحالات (الجنازات، والعيون)،

كل ما استطعت أن أفعله فى المتن اليوم هو تحديث طفيف جدا، أرجو ألا يكون قد أفسده.

لست متأكدا إن كان من المستحسن أن يستمر المتن دون شرح حتى ننتهى من المقدمة على الأقل؟

هذه هى العينة. ما رأيكم؟

أرجو الإفادة.

المتن

بقى دى حياتنا يا ناسْ، وآخْرةْ صبرنا؟
الحياهْ ! نُقْعد نِحَكِّى لبعضِنَا؟
الحياهْ ؟ نُقْعد نِحِسْ، نِبُصْ، يِتْهَيَّأ لِنَا؟
طب واحنا فين "دلوقتى" حالاً "أو هنا"؟

دى المركب الماشْيَهْ بِلاَ دَفّهْ ولا مِقْلاعْ حَاتُشْرُدْ مِنّنَا،
واوْعَى الشُّقُوقُ تِوْسَعْ يا نايم فى العَسلْ،
لا المَّيهْ تِعْلَى، تزيدْ، تزيدْ،
.. مّيةْ عطَنْ، تِكْسِى الجلودْ
بالدَّهْنَه،
وتفوح ريحتْها تِعْمِى كلِّ اللى يحاول يِتلِفِتْ ناحيةْ
"المِاَذاَ"،
أو "المعنى" يكون ماٍ جَاشِى فى"الكِتَابْ"،
أو لِلِى "جوَّه"،
أو نَواحِى "ربنا" !
(الرحمهْ يارب العباد: إغفرْ لنِا).
.....
واللعب داير ليل نهارْ لم يِنْقطعْ،
والسيركْ صَاحْبُو واقفْ لِى بْيِلفّ العَصَا
ويقول بعزّ مَا فيه:
أهو دا اللى ممكن، واللِّى عاجبهْ!
....
أنا مش عاجبْنى هِهْ، ولازْمَنْ يِتْحَكَى،
كل اللى جارى..
لاجْل ما الناس تنتبه قبل الطوفان،

الناس ياخويا زى سكينة وسارقاهم تمام
عمالة تحكى كان زمان، وكان وكان،
مش واخده بالها مالى متعَرَّى وبيحكّى كلام ،
غير الكلام
باين عليهم صدقوا كدبة كبيرة قالت لهم:
"ما على المسطولْ ملامْ"
دانا لو حاقولْ، لم ينتهيلى بحر قولْ
للناس..، لكل الناس حا قول.
رد الجميل للطير بِيِنْزف م الألَمْ قُدَّام عُيُونى،
قالوا **"فْ.. نعيم"**، يا خِى جتكوا نيلة، صدقونى.

قـالـوا "مـريض" لـكنـه أسـتـاذ الأسـاتـذة كـلـهم،
علّمنى أشـُوف.
علّمنى أصـْحَـى.
علـّمنى ضَـربْ الـنـار، بـكـلمة صدق طـالـعه مـولـّعـَةْ.
تحرق عبيد الـضّلمة والـتفـويـت وشـُغـْل المرقـعَهْ،
وتـْنـوَّر الـسكة لإخوان الـشـّقـَـا،
لـلى يـقـايـسْ دون مـا يحسب إلـلى راح، والـلى بـقَى !!!
لـلى يـِحـسْ، يـِبـُصْ، يـِتـْجـَرَّأْ، يـُشـُوفْ،
يـعرف مـعـانـا ان الـكلام: مـا هوش حروف

شِلـْت الأمـانـة غصب عنى مـا كـانـشى قصدى
مـا هى بـرضه هيـا عـنـدك زى عـنـدى
مـادمـتَ "إنـسـانـا ظلـومـا": يـبـقـى تـتـحـاسب عـلـيـهـا
سِوَى شفـتـهـا، أو كـنـت مـانـتـش دارى بـيـهـا

دا ديـن عـلـيّـا لـلـى قـالـهـالِى ومـا اقـدرشى يـكـمـّل،
قـال كـمِّـل انـتَـا، **قـلـت لـه: "بـطّل يـا عـيّل" !!**

لـكنـه عـلّـمنى، ووصـانى أوفـَى الـديـن لأصحابـو الـغـلابـا،
دا حق كـلِّ الخـلـْق
يـابـَـا
حق الـلِّى ورَّانى أشوف ازاى حقـيـقـتى،
وابـتـديـت مـن "عـنـده" لـكنى حـاكـمَل بى طريـقـتى
بـس حوسة جـامـدهْ - والمصحف- يـاسيـدى
نـفـسى حدّ يـاخـد بـإيـدى
إزاى أنـا يـا خـلـق هوه حـاحكى وانـا غـرقـان لـشوشتي؟
لـكن "حـاقـول" حتى ولـو مـا كـاشفـشـى منى إلا خيـبـتي.

مـا قـدرتـش اسكت، دا الـسكـاتْ يـبـقـى خيـانـة لـلى بـانْ.
هو انـا نـاقص رجل؟ ولا مـالـيـش لـسان ؟ !!!
.....
أنـا رايـح اقـول كـلِّ الـلى عـارفـُهْ حتى لـو جـانِى الـفِـقِى مـــدِّدْنِى فى الـفـَلـَكَهْ وقـطَّعْ
جـتـــِّـــتِى:

إنْ كـنـت عـايـْز تـلِـعَـب "الـعَـشَـرة" وتِـبـقَـى الـطَّـيـبَـةْ؛
نـكـشف وَرَقـْـنَـا قـبـل مَـا الـوَاذْ يـتْـحَـرَقْ،
والـلِّى يـبَـصَّر "بـالـبـنَـيَّـة" يـبْـقَـى ذَنـب الـتَّـانى عَـلَـى جَـنْـبُـهْ،
مَـالـوشْ يـزْعـلْ بَـقَـى.
مَـا كَـانْ يـِشْـوفْ !
مـا الـلِّـعْـب عـالمْـكـشْـوفْ...، أهُـهْ.

لأَهْ، مـانـيـش سـاكـتْ ودِيـنى وْمـذهبى،
حـتَّـى ولـو كـان الـلِّى "مَـاتْ" هوا الـلِّى "عـاش"، فى عـرُفـكم
لأَهْ، مـانـيـشْ مَـيِّـت، حَـاعِـيش
وســـَّـــعْ بـــقـــى..!!
***

اعتذار للعربية الفصحى (حبيبتى):

طب وحبيبتى.. راح اقول لها إيه؟
إللى ما عمرها قالت لأ،.. ولا "مِشْ قادره"
ولا فيها شئ يتعايبْ:
حلوه، وغَنِيّهْ، وبنت أصولْ!
معْلشَّى النُّوبةْ،
المّرا دى سَمَاحْ.
أصل الَخُدوَتةْ المّرا دِى كان كُلهَّا حِسْ،
والحِسْ طَلِعْ لِى بالعَامَّى بالبَلَدى الحِلْو.
والقلم اسْتَعْجل.
ما لِحِقْشِى يتْرجم، لَتفوتُه أيُهاَ هَمْسَةْ،
أو لَمْسَهْ،
أو فَتْفُوتِة حِسْ.
معلشى النوبه.
وَاهِى لسُّهْ حَبيْبتِى..،
حتَّى لَوْ ضُرَّتْها غَازيهْ،
.. بتْدُقْ صَاجَات.

الأحـــــــــد 05-07- 2009

674- لعبـــــة الكـــــلام: سبـــــع جنـــــازات

[بالرغم من أن اليوم هو للتدريب عن بعد، وأن المفروض أن نكمل مناقشة لعبة "ياه !! دى طلعت صعبة بشكل..."

إلا أننا لظروف خاصة قاهرة أجلناها للأسبوع القادم ليحل محلها الجزء (9) من شرح على المتن: ديوان أغوار النفس، بالإضافة للثلاثاء والأربعاء كالعاده، على أن نواصل نشر مناقشة اللعبة الأحد القادم].

الحلقة (9)

الجزء الأول (1 من 2)

مرّ الهوَا، صفّر كإن النعش بيطلّع كلام !!

الجزء الأول من المقدمة

اللغة ليست هى الكلام، لكن الكلام يبدو أقدر الأدوات على احتوائها فى مرحلة تطور الإنسان المعاصر.

يشاع أن العلاج النفسى هو علاج بالكلام، وهذا يحتاج إلى مراجعة، وخاصة بعد أن اسْتُعمل هذا الاسم "العلاج النفسى" لما يقرب من قرن الآن، مرادفا - غالبا عند العامة - لما يسمى التحليل النفسى. المتتبع لما نشر فى النشرات هنا حتى الآن فى كل من بابىْ **"التدريب عن بعد"**، و**"حالات وأحوال"**، لا بد أن يكون قد وصله من الإشراف والعرض والمناقشات قدر غير قليل من نقد هذه المسلمات الشائعة، **فلا العلاج النفسى هو التحليل النفسى، ولا العلاج النفسى هو علاج بالكلام.**

وبرغم كل ذلك فإنه لا توجد وسيلة للتواصل بين البشر الحاليين أكثر اقتصادا، وأسرع احتواء للمعنى، وأقدر توصيلا إلى هدف التواصل، من **الكلام**،

خذ مثلا ما أفعله الأن: هذه الحروف التى أرصها بجوار بعضها لأهاجم بها "الكلام" الآخر، أليست هى نفسها كلاما مكتوبا؟، أليست حروفا مرصوصة بانتقاء تلقائى من لوحة الحسوب، حروفا تقفز فتتجاوز مع بعضها البعض دون وعى بتفاصيل ما أفعل - بعد طول مران- فتتكون الكلمات تشكل مع بعضها جملا مفيدة أحاول أن أوصل بها شجى لمثل هذا الرص الكلامى متى كان فارغا أو معطلا؟ هل عندى وسيلة أخرى أوصل بها ما أريد توصيله؟

القضية، مثل معظم قضايا الإنسان المعاصر: تتحدى، ولا يمكن اختزالها إلا على حساب التخلى عن محاولة استيعابها،

هذه القضية بوجه خاص تواجهنا فى موقعنا هذا ونحن نحاول أن نشرح ماهية العلاج النفسى، أو بصراحة العلاج عامة، فكما أكرر دائما، كل علاج حقيقى هو علاج نفسى حتى علاج المغص الكلوى.

نبدأ من البداية:

هل الإنسان:

حيوان ناطق؟

أم أنه **حيوان عاقل؟**

أم أنه حيوان يتكامل إلى ما يحتوى به تاريخه مستعملا الأحدث فالأقدم بالتبادل الإيقاعى فالجدل المتصاعد إلى ما لا نعرف (الغيب)؟ يتكامل بكل مستويات الكلام واللغة (واللغات) والمفاهيم والفكر والعقل (والعقول) ، والجسد، والوعى؟

هذه الفكرة الأخيرة هى مفتاح ما أريد أن أقدمه فى كل أعمالى **خاصة ما يتصل بمهنتى عمليا**

لمحة عن نمو الكلام وعلاقته بالمعنى واللغة

الكلام هو من أحدث الأدوات التى تساعد البشر على التواصل فيما بينهم لكنه ليس بالضرورة الأداة الأقدر وحدها، وما يهمنا هنا هو تحديد متى ينفصل الكلام عن تاريخ تطوره، ومتى ينفصل عن المعنى، وعن الغاية، وعن سائر وظائفه، بل وعن اللغة، ومتى يؤدى عكس وظيفته؟

(أنا أكتب هذا الشرح دون الرجوع إلى مراجع أهل الاختصاص الدقيق، إن هدفى هنا هو عملىّ تدريبّى)

1. حين ينشأ الكلام عند الطفل يرتبط عادة بما تشير إليه الكلمة، حتى أنه كثيرا ما يستعمل نفس الكلمة، لتعنى معان كثيرة، وكل الفرق يكون فى التنغيم وما يصاحبه من إشارات نتيجة لحضور الموضوع (الشىء) عادة أمام حواسه، أو نتيجة لاختلاف السياق أو الموقف الذى يوجه فيه نفس الكلمة المنطوقة إلى المعنى المختلف، المثال الذى استشهد به كان طفلا - أصبح الآن جراحا كبيرا فى إنجلترا- نطق كلمة "كُرَهْ" مبكرا، ولم تكن بهذا الوضوح بل أظن أنها كانت "كوووية" ، وبدأ يطلق نفس اللفظ على عدد هائل من الأشياء، بل والأشخاص، مع تغير التنغيم والإيقاع المصاحب أحيانا بالإشارة إلى ما يريد، فهذا "كويه"، وذاك "كووووياااه"، وتلك "كوة"، وهذه "كره" (بعد أن استطاع نطق الراء إلا قليلا)، وأعتقد أن هذه المرحلة هى نوع من الربط بين **الصوت والاشارة والموضوع**، فهى مرحلة التجربة والخطأ، حتى تتميز الأشياء مع اكتساب أبجدية أكثر فأكثر Denotation.

2. ينفصل اللفظ عن ما يشير إليه "حالا"، ويصبح هو ذاته كيانا مستقلا، بمحتوى- يتضمن- المعنى المراد، سواء حضر الشىء المراد أمامه (أمام حواسه) أم حضر فى ذاكرته أم فى وعيه، هنا يتضمن اللفظ محتواه بما يعنيه، ولعل هذه هى مرحلة التضمين،Connotation

3. إن استقلال اللفظ عن موضوعه بشكل مباشر وبعد أن يصبح موضوعا فى ذاته، لا يعنى أنه ينفصل عن المعنى أو عن الغاية التى تنشأ ليؤديها، وإنما يكتسب اللفظ قدرة ذاتية، يستعملها فى وظيفته للاقتصاد، وهما المفروض أنها تتيح له تشكيل المفهوم تلو المفهوم، فى تصعيد متكامل

فإذا رجعنا إلى ذلك الطفل بعد أن أصبح جرّاحا "إنجليزيا"، ذلك الطفل الذى كان يستعمل لفظ الكرة لكل شىء تقريبا، وطلبنا منه تعريف لفظ الكرة، فقد يرجع إلى القاموس، وسوف يجد أن : "الكره: هى كل جسم مستدير، ومنه الكرة الأرضية، والكرة أداة مستديرة من الجلد ونحوه يلعب بها..(الوسيط) إلخ"، وهكذا أصبح للفظ مضمون متعارف عليه بالتحديد لإفادة الحضور العيانى لشىء بذاته حتى لو لم يوجد هذا الشىء حالاً.

فإذا انتقلنا إلى المجاز وقلنا بالعامية "الكورة اجوان" (حتى لو ترجمناها إلى الفصحى "الكرة ليست إلا أهدافا")، فإننا لا نعنى هذا الجسم المستدير ... إلخ ، كما ورد فى المعجم، وإنما نحن نتكلم عن مفهوم أكثر تعقيدا يشير إلى أنه "من لم يحرز أهدافا فى ملعب الكرة، فكأنه لم يمارس اللعب أصلا." حتى لو تكلمنا عن "اتحاد الكرة"، فإننا نعنى معنى غير التضمين المغلق، وغير المفهوم المجازى الذى أشرنا إليه حالا، فبمجرد ان يصبح لفظ الكرة "مضافا إليه"، يختلف معناه، وهكذا.

اغتراب الكلام

مع تطور القدرة الكلامية، لابد أن تخف جرعة التركيز على ان يحمل كل لفظ كل المعنى المتضمن فيه، الذى نشأ اللفظ لاحتوائه، **وهذا جيد اقتصاديا للتخفيف من عبء حضور كل المعنى فى كل اللفظ ليحتل بؤرة الوعى باستمرار**، إذا أن هنا الحضور الكلى المستحيل لابد وأن يبطىء سرعة الإفادة والتواصل حتى تتعطل، **ومن هنا فنحن فى حاجة مناسبة لقدر من التخفيف يحول دون تضمين كل لفظ كل معناه**، وهكذا يصبح هذا التخفيف حيلة دفاعية تساعدنا على تجنب المواجهة المعطلة بالسرعة البطيئة، وأيضا يساعدنا على التخلى المشروع عن مسئولية تفعيل ما تضمنه كل كلمة من معنى يتطلب فعلا وموقفا وقرارا.... إلخ.

مثل أية آلية دفاعية، إذا ما زادت وظيفتها الدفاعية عن حاجتنا إليها تنحرف بمسار النمو أو توقفه تماما،

دعونا نتناول الآن ما يحدث للكلام إذا انحرف بالنمو عن مساره إلى ما هو زائف مغترب،

إن ما يحدث حين ينفصل الكلام أكثر فأكثر فأكثر عن مضمونه وحفزه أن يستقل عن معناه بدرجات متزايدة حتى يفقد أصول وظائفه، فبدلا من أن يصبح تبادله سعيا إلى الفهم والتفاهم، يصبح تبادله أقرب إلى الدفاعات ضد الفهم، متجاوزا المعنى المشترك المراد، فلا يعود يؤدى وظيفته المعرفية، بل يصبح عبئا على اللغة الكائن الحى، ومن ثم على الوجود البشرى المتكامل، وينقلب عائقا للنمو، ومضيعة للوقت، ومظهرا للاغتراب. الأرجح أن هذا هو ما يسمى أحيانا "طق هنك"، أو "أى كلام" أو "كلام فى الهجايص"،

(وقد عبرت اللغة الشبابية عن هذا الاغتراب بقاموس كامل لمن شاء أن يرجع إليه، حتى أننى فسرت ظهور هذه اللغة الشبابية بأنها احتجاج ضمنى على ما آل إليه حال الكلام اغترابا هكذا، واعتبرت أن هذه اللغة الجديدة المرفوضة من المؤسسات والسلطة على حد سواء، هى نوع من تنشيط حركية اللغة، تماما مثلما يقوم الشعر بتجديد اللغة، حين يعيد تشكيل الصورة بنفس الأبجدية اللفظية ليبدع لحنا مختلفا فى تشكيل جديد، وتفصيل ذلك فى مبحثى "حركية اللغة بين الشعر والشارع".

من خلال هذا الاغتراب المتمادى **تتحول الكلمات إلى أصوات**، مهما كانت هى نفس الكلمات ذات التاريخ والمعنى

كما تتحول الجمل إلى مقاطع مفككة بلا تشكيل ضام أو هادف،

ويتحول هدف الكلام إلى "تزجية للوقت"، كوسيلة دفاعية ضد الوعى الأعمق بالمعنى، فالإلزام بالفعل.

ويتحول التواصل المحتمل بالكلام الحى، إلى صفقات تسكينية قصيرة العمر.

يصدق كل ذلك فى الحياة العامة مثلما يصدق فى بعض ما يسمى العلاج النفسى، (التفريغى، التسكينى، الخدعة) وهو ما نحاول نقده هنا هكذا:

أول المتن:

مر الهَوَا صفَّرْ، سِمْعِنَا الّصُوْت كإن النَّعْش بِيْطلّع كَلاَمْ:
"لأ..، لسّهْ..، إسْكُتْ،.. لَمْ حَصَلْ.
،سيمَا ..، ياتَاكْسِى، .. لسَّه كام ؟"
أىّ كلام.
ألفاظ زيِنَهْ، مَسْكيَنه،
بتزقْزَقْ، وتْصَوْصَوْ،
.. وخَلاَصْ!!

من الواضح أن هذه البداية تشير إلى أمرين مما سبق شرحهما حالا فى المقدمة، فمن ناحية تعلن أن الكلام لم يعد إلا أصواتا، وأن الجسد البشرى اصبح نعشا، وأن الوجود الإنسانى اصبح موتا، فراحت الأصوات تخرج كأنها الكلام، وراح الكلام يخرج ليس إلا أصواتا.

ثم يتواصل المتن فى محاولة تفسير لماذا حدث ذلك قائلا:

المتن:

اللفظ ماتْ مِنْ ركنِتُهْ.
من لعبة العسكر وطول تخبـــيّته،
ظرف رصاص فاضى مصدى فْ علبتـــه.
لما القلم سنه اتقصف؛ عملـــته تلبيسه تـــمـــكّن ماسِكتهُ،
واهى شخبطه.
شرح على المتن

الكلام عضو حى من أعضاء الوجود الحيوى البشرى، ومثلما يضمُرُ أى عضو نتيجة "عدم الاستعمال"، مثلما ضمرت فقرات ذيلنا وعضلاته لما توقتّف أجدادنا عن التعلق بها فى الشجر، فإن أى عضو لا يُستعمل يضمر حتى يختفى أو يكاد، كذلك الكلام إن لم يستعمل فى وظيفته الأصلية نتيجة للقهر والقمع، يضمر أو يصبح غير ما هو، لأنه يخدم غير ما نشأ من أجله.

حين يحال بين الإنسان وبين توظيف كلامه فى تأكيد ذاته، وتوصيل فكره، والإسهام فى دعم إرادته، لاتخاذ قراره وتشكيل

إبداعه، ثم يطول هذا القهر والقمع، فإن كل ما يصدر من أصوات تشبه الكلام لا تكون كلاما، ويبقى الكلام الأصل كامنا بداخلنا دون تنشيط أو تدعيم، لأنه لم يعد له فائدة فى تحقيق الوجود أو دفع المسيرة على طريق النمو، هكذا يموت اللفظ فى ظلام القهر، يموت بالمنع، ثم يموت بالاستغناء، ، **"اللفظ مات من ركنته، من لعبة العسكر وطول تخبيته"**،

هكذا **يصبح الرمز رمزا ليس إلى ما يشير إليه، وإنما إلى نفسه**، وتتكاثف الرموز وتتكاثر وتزاحم بعضها بعضا، **حتى تصبح عبئا على الوجود**، مما يهيىء للمرض النفسى وللاغتراب العقلى هربا من الاغتراب النمطى المفرغ من الوجود الحى.

هكذا يصبح الوجود البشرى هيكلا خاويا (نعشا) تتردد فيه أصوات لا تؤدى وظيفتها سواء فى إثراء الوجود، أو فى التواصل بين البشر، أو فى تشكيل الإبداع تصعيدا أو تجديدا.

المتأمل فى الألفاظ اليومية المتبادلة بين الناس قد ينزعج من عدم ترابطها الأعمق، أو من خلوها من المعنى الأصلى لها، أو من خروجها من معناها الأصلى إلى معنى آخر قد يكون نقيض الأول، خذ مثلا من يستعمل الفاظ: السلام (السلام عليكم)، والخير (صباح الخير) ولا يعنى بهما شيئا.. لا من السلام ولا من الخير.

هكذا تختفى المعانى التى كانت تحتويها الألفاظ، *فيصبح اللفظ غطاء لإناء بلا محتوى*، وبلا نبض يحافظ على جدته وحيويته، **"ظرف رصاص فاضى مصدى ف علبته"**

ومع ذلك، فلا يوجد بديل، هو هو نفس اللفظ الخاوى، هو الوسيلة الوحيدة - تقريبا- التى يمكن أن أكتب بها هذا الكلام، هو هو الأبجدية التى استعملها لأصفه هو نفسه أنه: "ظرف رصاص فاضى مصدى ف علبته"

ليكن...

لكن مازال اللفظ موجودا مهما أفزغ أو صدأ،

ومازلنا فى أمس الحاجة إليه،

وعلينا أن نواصل بما تبقى منه، لعل وعسى..

أليس هو (اللفظ، بجواره لفظ، ثم لفظ مضاف إليه لفظ ...إلخ) الذى يمكننى الآن من مخاطبتك عزيزى القارئ، أليس هو الذى يعرى ما جرى له، أى ما جرى لى، أى ما جرى لك؟

أليس هو الذى جعل الشباب يرفضون ما آل إليه حال الكلام فاللغة، فاخترعوا لغتهم بنفس الحروف، ولكن بتجديد مغامر ، جعلت كل السلطات تخاف منهم، وتدمغهم وترفضهم، وهم لم يفعلوا شيئا إلا إعلان أن كلامنا قد أصبح **ظرف رصاص فاضى مصدى ف علبته.**

أختم يومية اليوم عند هذا الحد مقتطفا من ديوانى **"سر**

اللعبة" (والذى كان شرحه هو الجزء الأول من هذا العمل) أقتطف نفس معنى الاغتراب الكلامى الذى بدا لى أنه كان بالفصحى أسهل، أو على الأقل أخف لسعا من نار العاميّة الملتهبة، مع أنه تكلم أيضا عن "الأحياء الموتى" **قلت:**

والأحياء الموتى فى صخب دائمْ
ويخيل للواحد منهم أن الآخر يسمعُهُ
والأخر لا تشغله إلا نفسهْ
أو موضوعٌ آخرْ
لكن الرد الجاهز، دوما جاهز:
- ما حال الدنيا؟
= الدفع تأخر
- هل نمتَ الليلةْ؟
= الأسهم زادتْ
- كم سعر الذهب اليوم؟
= المأتم بعد العصر؟!
"والكل يدافع عن شىء لا يعرفه
بحماس لا يهدأ أبدا،

وبعد

أتوقف هنا مع أننى لم أكمل المقدمة، إلى أن نلتقى الأسبوع القادم، لنقدم الجزء الثانى والأخير، ثم ندخل إلى الحالات.

وفيما يلى المتن المتبقى للشرح، وفيه نقد العلاج النفسى الكلامى (المشاع عنه أنه التحليل النفسى كما ذكرنا) ثم بعد ذلك نرى كيف تدب الحياة فى الكلمات،

متن الجزء الثانى من المقدمة:
واحدْ نايم مِتْصَلْطَحْ، وعْنيه تتفرجْ:
على رسم السقف وْعَلَى أفكارُو اللى بتلف،
تْلِفْ، تْلِفْ،
وكلام فى كلام .. هاتَكْ يا كَلاَمْ. يا حرام!!
والتانى قاعِدْلِى وَرَاه، على كرسي مدَهَّبْ.
قلبه الأبيضْ طيّب. وسَماعُهْ لَمْ يتْعيبْ،
عمال بيفسَّرْ أحْلاَمْ
وصاحبنا يرمِ فْ أوهام،
وعُقدْ، ومركَّب، و"المكتوب"
وقدَرْ"،وحكاوى، وْصَفّ ذْنوب.
وأخينا شَفَايفُهْ قِفْل رْصاص،
ووْدانُهْ يا خويا شريطْ حسَّاسْ.
يسَمعْ حكاياتْ .. حكايات،
وتمرّ ساعاتْ وساعات،
(ما أظنّش أيوب ماتْ).
"إشي عدّى البحر ولا اتْبَلّش"؟؟
"قالّك: إلعجل فْ بطن امه"!!
أرْزَاقْ ..!
وخلايق لابْسَه الوشّ زْوَاقْ.
ثم يصحو الكلام
وسياق آخر وعلاج آخر:

الـلفظ قـام مِن رَقْـدِتْــه.
ربـك كـريم يـنْفُخْ فى صُورْتُـه ومَعْنِيتُه.
يـرجع يـغنى الـطير عَلَى فْـروع الـشَّجَرْ.
ويـقـول "يـارب"،
وتجيـلـه ردَ الـدعْوَهْ مِنْ قَـلْبُـه الـرِّطِبّ.
.....
ألـفـاظ بـتـهزّ الـكُونْ،
وبـتضرب فى المَـلْيَـانْ،
وتـغَيِّر طَعْم الـضِّحْكَةْ،
وتـشع الـنُّورْ مِـا الـضَّلمَهْ،
وبـتفضَحْ كِـذْب الـسَّاكِتْ،
وبْـتِفْقِسْ كل جَبَـانْ.

شرح على المتن:

(الجزء الـثـانى من المقدمة)

الأسبوع الـقـادم

الثلاثـــــــاء 07-07- 2009

676-التحليـــــــل النفســـــى: هـــــل مـــــات فعـــــلاً؟

الحلقة العاشرة

الجزء الثاني من مقدمة الفصل الأول

أثناء بحثى عن صورة لعنوان هذا المقال، عثرت على حوار هام مع الاستاذ الدكتور **جوناثان إنجل** Jonathan Engel, Ph.D، وهو حاصل على دكتوراه فى تاريخ العلوم والطب من جامعة ييل Yale، وكان قد كتب كتابا مؤخرا 2008 عن العلاج النفسى الأمريكى بعنوان American Psychotherapy: The Rise of Psychotherapy in the United States.

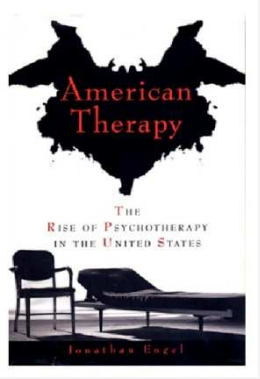

أجرى الحوار **جابرييل بيركنر** Gabrielle Birkner، ونشر فى 18 فبراير سنة 2009، وقد رأيت أنْ أقتطف من هذا الحوار ما يبين كيف أن نقد التحليل النفسى قائم ومستمر وبعضه موضوعى حتى عهد قريب جدا.

قبل أن أقتطف بعض فقرات الحوار، أريد أن أعترف أننى حين قرأت تعبير "العلاج الامريكى"، ونهوض العلاج النفسي فى الولايات المتحدة الأمريكيه، كنت أتصور أنه سوف يتكلم أكثر عن الثقافة الأمريكية المعاصرة، وعن تميزها بما أتاح ظهور علاج نفسى باسمها، لكننى لم أجد أيا من ذلك فى كل فهرس المحتويات، ولا فيما استطعت الحصول عليه من موجزات ومقتطفات (لم أحصل على الكتاب الأصلى كله بعد) - نبهنى ذلك أن ما تقوم به هذه النشرة من محاولات "تحديد علاج نفسى مصرى"، ثم "علاج نفسى عربى"، هو أمر مشروع، بل أمر مطلوب منا ولنا، ربما أكثر بكثير مما هو كذلك عند الأمريكيين.

سأل المحاور "برنكنر" الدكتور "جوناثان إنجل" عن كيف حصل على الدكتوراه فى فيينا، وحين كتب كتابا عن العلاج النفسى كتبه فى أمريكا عن أمريكا، وأعتقد أن مثل هذا السؤال وجوابه قد يهدى بعضنا إلى ما ينبغى فعله، فهو ينطبق أكثر فأكثر على كثير منا.

المهم، سوف أقتطف من هذا الحوار ما قد يكفى شرحا لمتن هذه الحلقة.

ملحوظة: للأمانة ، فقد نشر هذا الحوار تحت عنوان **"الجذور اليهودية للتحليل النفسى"**، وأنا لست متحمسا كثيرا لهذا العنوان، ولم أتوقف طويلا عند الذى دار حول هذه المسألة فى الحوار، لأننى منذ أصدر الدكتور **صبرى جرجس كتابه "التراث اليهودى الصيهونى والفكر والفرويدى** اضواء على **الأصول الصهيونية لفكر سيجموند فرويد"1969** وأنا حذر من هذا التوجه حتى لو صح بعضه.

وفيما يلى مقتطفات من الحوار، أرى أنها قد تكفى شرحا للمتن اللاحق:

المقتطفات

جابرييل بيركنر: لقد ركزت فى كتابك السابق على السياسة الصحية عامة مثل الإيدز وغيره ، فما الذى دعاك لتناول موضوع العلاج النفسى مؤخرا؟

جوناثان إنجل: لقد كانت أطروحتى أثناء دراستى الطب فى فيينا منذ حوالى25عاما عن حركة التحليل النفسى، وعلاقتها بالمجتمع اليهودى، فى فيينا، (....)

جابرييل بيركنر: كيف أن أطروحة عن التحليل النفسى فى فينا تتطور إلى كتاب عن العلاج النفسى فى أمريكا؟

جوناثان إنجل: لقد لاحظت أننا نفتقر إلى كتاب يشرح لنا كيف أنه لا أحد الآن - تقريبا - من الأمريكيين يذهب للتحليل النفسى كما كان فى الماضى، بل دعنى أقول إن أحدا من الذين يذهبون لاستشارة الطبيب النفسى لا يفعل ذلك وهو يهدف إلى أن يعالج علاجا نفسيا على وجه التحديد، لا شك أن مفهوم العلاج النفسى مازال شائعا عند العامة، لكنه لم يعد من مهام الطبيب النفسى بالذات، أما ما يمارَس تحت اسم العلاج النفسى فهو ليس نابعا من، ولا محرَّكا بـــ ، ما هو "تحليل نفسى" بالذات.

جابرييل بيركنر: هل ثم مكان للتحليل النفسى حاليا فى مجال الطب النفسى؟

جوناثان إنجل: دعنى أقول لك شيئا هاما، إنك تسمع مثلا من يقول: "أنا أمارس *من منطلق* التحليل النفسى ....." "لكننى افعل ذلك جنبا إلى جنب مع بعض مضادات الاكتئاب"، وهكذا، هذا كل ما هنالك.....

جابرييل بيركنر: أرى أن أغلب الأطباء النفسيين هذه الأيام قد نحوا جانبا فكرة التحليل النفسى ، فهل فعلوا نفس الشىء مع ما يسمى العلاج النفسى؟

جوناثان إنجل: معظم الأطباء النفسيين يميلون إلى ممارسة نوعا من العلاج النفسى، وكثير منهم تدرب على ذلك لفترة ما، لكنهم يكسبون أكثر حين يتعاملون بالعقاقير بلا شك.

جابرييل بيركنر: ما هى المواصفات التى تجعل من المعالج معالجا كفءا

جوناثان إنجل: الذكاء والمواجدة (Empathy) فى إطار من الالتزام المهنى المنضبط، أنت تستطيع أن تجد كل ذلك وأنت تشرب قدحا من الجعة مع صديق، لكن أن تتواجد هذه الصفات الثلاثة هكذا بالتزام مسئول، فهذا أمر آخر

جابرييل بيركنر: لو أن التحليل النفسى كان بكل هذه **اللافاعلية**، فما الذى جعله يستمر كل هذه المدة؟ لماذا لم يختف تماما؟

جونـاثـان إنجل: كـانـت "الـتذكـرة الـفـرويـديـة" هى أول الـتذاكـر الـواعدة بـعرض جيد، بـديـلا عن مـا كـان سـاريـا فى الـثلاثـيـنيـات مـثلا، لـو أنـك سألـت أحد المـمـارسين عن مـا كـان يمكن تـقـديمه لـلمرضى الـنفسيين آنـذاك ، لأجابـك أنـه كـان قـلـيلا جدا، فـظهر الـتحليل الـنفسى فى هذه الآونـة، فـبدا وكـأنـه الـدواء لـكل الأمـراض، صحيح أنـه سـار بـبطء شديـد، لـكن بـدا شيئـا أفـضل مـن لاشى.

جـابـريـيل بـيركـنر: لـكن بـعد ذلـك ظهـرت عـلاجـات كـثيرة، أسرع وأفـضل نـتـائـجا، فـلمـاذا استمـر الـتحليل الـنفسى بـعدهـا، ومـعهـا، بـكل هذا الـتـأثـير؟

جونـاثـان إنجل: (.... لـيس هكذا تمـامـا...) ...ثم إنـه مـع تـزايـد الـتنظيم، وبـالـنظر إلى الاعتـبـارات الاقـتـصاديـة، والـنـتـائـج المـتـواضعة الـتى أنجزهـا هذا الـنـوع مـن الـعلاج، فـإن هذ الـتـأثـير سوف يـنحسر أكـثر فـأكـثر بـاضطراد

جـابـريـيل بـيركـنر: هل تـعتـقـد أن ثم أمـل فى أن يـسـتـعيـد الـتحليل الـنفسى مـنزلـتـه فى وقـت مـا؟

جونـاثـان إنجل: لا .. لـقـد مـات.

(انـتـهى الحـوار بهذه الجمـلـة)

وبـعد:

مـع أنـنى لا أوثِّـق مـا يجىء بهذه الـنشرات فى مـعظم الأحيـان، ومـع أن هذا المـقـتـطف لم يـضف لى جديـدا سواء مـا جـاء فى المـتن، أو فى الـشرح الـقـديم، أو حتى فـيمـا أنـوى تـطويـره، إلا أنـنى اقـتـطفـت مـنـه، لأبـين مـن خلاّلـه مـا يـلى:

1. إن الـنـقـد والمـراجعة لـيس قـاصرا عـلى أمـثـالـنـا ممن لم يمـارسوا -غـالـبـا- الـتحليل الـنفسى بـالـكـثـافـة الـتى مـورس بهـا فى بـلـد مـثـل أمـريـكـا لـعشرات الـسنين

2. كـمـا ذكـرت فى المـقـدمـة، إذا كـان هذا الـعـالم الاسـتـاذ فى تـاريـخ الـطب عـامـة، يـرى أن ثم عـلاجـا يمكن أن يـسمى الـعلاج الأمـريـكى، فـأولى بـنـا أن نـفـكـر فى ثـقـافـتـنـا الـشديـدة الاخـتـلاف عن مـا يجرى هنـاك، وعن مـا جرى تـاريخـا، أن نـفـكـر فى تمـيـزنـا سلـبـا وإيجـابـا عن غيرنـا وبـالـذات فـيمـا يخص الـعلاج الـنفسى.

3. إن استمـرار شيـوع مـفـاهيم الـتحليل الـنفسى عند الـعـامـة عـلى مـستـوى الـعـالم ، بمـا فى ذلـك بـلادنـا، لـه أسبـاب ثـقـافـيـة (إيجـابـيـة وسلـبـيـة) ، لا تـتـعلـق غـالـبـا بـفـكـرة الـطب ولا بـفـكـرة الـعلاج بـوجـه خـاص.

هذا، علمـا بـأنـنى قـد تجـاوزتُ قـصدا (بـرغم مـا أشـار إلـيـه الـعنوان) ربـط نـقـد هذا الـنـوع مـن الـعلاج بـغـلـبـة الـيـهـود فـيمـن يمـارسون هذا الـعلاج تـاريخـا وحـالا، بـل إن سؤالا ورد فى الحـوار عن تـفـسير غـلـبـة الـيـهـود أيـضـا بـين المـرضى الـذيـن يـسعون إلى الـتداوى بهذا الـعلاج الـتحليلى، فـلا أنـا مـقـتـنع بـفـكـرة الـربـط، ولا عـنـدى مـا يـثـبـت ذلـك، ولا عـنـدنـا مـا يـقـابـل ذلـك، (لهذا لم أقـتـطف هذه الـفـقـرات أصلا)

4. إن المتن الشعرى هنا الذى كتب سنة 1974 بالعامية المصرية، فى سطور قد تناول هذه القضية بإحاطة كافية، وكان له نفس التوجه تقريبا، ولعل رد د.إنجل أن التحليل النفسى **"مات"** ولا سبيل إلى إحيائه يرتبط بشكل ما بما ننقده من أنه ظاهرة التحليل النفسى الكلامى تحمل مخاطر اللاحراك، سواء بفرط الاجتهاد والتفسير اللفظى، أم بسوء استعماله لعقلنة حركية الوجود وتوقيفها فى المحل، وهو ما نعنيه بالموت.

وبعد

فأنا لا أعرف بعد هذا المقتطف هل يحتاج المتن إلى مزيد من الشرح؟

المتن

واحدْ نايم مِتْصَلْطَحْ، وعْنيه تتفرجْ:
على رسم السقف وْعَلَى أفكارُو اللى بتلف،
تْلِفْ، تْلِفْ،
وكلام فى كلام .. هاتَكْ يا كَلاْم. يا حرام!!
والتانى قاعِدْلِى وَرَاه، على كرسي مدَهَّبْ.
قلبه الأبيض طيّب. وسَماعُهْ لَمْ يتْعيَّبْ،
عمال بيفسَّرْ أحْلاْمْ
وصاحبنا يرص ف أوهام،
وعُقدْ، ومركَّب، و"المكتوب"
و:قدَرْ"،وحكاوى، وْصَفّ ذْنوب.
وأخينا شَفَايفُهْ قِفْل رْصاص،
ووْدانُهْ يا خويا شريطْ حسَّاسْ.
يسَمعْ حكاياتْ .. حكايات،
وتمرّ ساعاتْ وساعات،
(ما أظنّش أيوب ماتْ).
"إشي عدّى البحر ولا اتْبَلّش"؟؟
"قالّك: إلعجل فْ بطن امه"!!
أرْزَاقْ ..!
وخلايق لابْسَه الوشّ زْوَاقْ.

ملاحظات لاحقة محدودة:

(1) كثيرا ما يأتى المرضى عندنا يطلبون تحليلا نفسيا بالذات، وليس علاجا نفسيا، أو حتى علاجا فقط، وفى هذه الحالة قد أقول لهم مباشرة ، " أنا بعالج بس، لا باحلل، ولا باريّح.."!

(2) إنه لا يوجد عندنا حاليا - إلا نادرا جدا - من يمارس التحليل النفسى بالمعنى الوارد لا فى الحوار مع مؤلف الكتاب الأمريكى ولا فى المتن الشعرى.

(3) إن الصبر وحسن الاستماع الذى يتحلى بهما المحلل النفسى هما العوامل الفاعلة المسئولة عن التحسن أو الشفاء وليس محتوى ما يقال وليس أيضا صحة التفسير، ولا تأويله **"قلبه الأبيض طيب، وسماعُه لم يتْعَيَّب .....".**

(4) إن تعبير "فك العقد" هو تعبير شائع عندنا برغم أنه لا يستعمل عند الأجانب بهذا الاختزال، والاقتطاف الساخر للفزورة: **"إشي عدّى البحر ولا اتبلّش"** وجوابها: **"قال لك العجل فى بطن أمه"** يشير إلى احتمالات التسطيح أثناء التقعر فى التفسير الأصعب، مع أن الأسهل حاضر، لأن أى شخص يركب مركبا صغير، (أو حتى يسير على كوبرى) ينطبق عليه أنه "عدّى البحر ولا اتبلّش" فلماذا تقتصر الإجابة على هذا المثال الصعب. هذا هو ما يقابل تعسف التفسير بالتحليل النفسى أحيانا مع أن التفسير الأصح يكون أقرب وأظهر.

(5) إن وظيفة "الفضفضة" و "التنفيث"، و"طلع اللى فى قلبك" تغلب على فكر أغلب من يسعى إلى العلاج النفسى أو التحليل النفسى، وهى ليست مرادفة لأيهما مع أنها قد تكون جزءًا يسيرا من العملية العلاجية ، خاصة فى البداية.

(6) إن الاعلام السطحى الحلقة (أنظر رقم [6] ""نفسنة الحياة المعاصرة" 24-6-2009") والدراما التافهة يساهمان فى تشكيل وعى العامة عن موضوع العلاج النفسى والتحليل النفسى، وهما مسئولان عن تثبيته عند مرحلة تاريخية انتهت (مع اسهام بعض النفسيين بشكل أو بآخر).

(7) إن الغالب عند العامة وهم يحاولون الاستعانة بالعلاج النفسى أو التحليل النفسى هو البحث فى الأسباب (الحتمية السببية) وقد يصلح ذلك مدخلا إلى العلاج لكنه عادة يستخدم فى التبرير أو التفسير وليس كخطوة نحو العلاج النمائى وبسط الوقفة **Unblocking & Unfolding**

(8) لم أعرف من كنت أعنى بتعبير "وخلايق لابسه الوش زواق"، ربما كنت اشير إلى الاعلام والدراما أكثر مما كنت أقصد الزملاء المحللين الذين مدحتهم أعلاه.

- About Jonathan Engel, Ph.D.

Jonathan Engel holds a Ph.D. in the history of science and medicine from Yale, and has written extensively about the historical development of U.S. medicine and health policy. Most recently, he has authored the 2008 book, American Psychotherapy: The Rise of Psychotherapy in the United States. His previous books are Doctors and Reformers: Discussion and Debate of Health Policy 1925- 1950, Poor People's Medicine: American Charity Care Since 1965, and The Epidemic: A Global History of AIDS. He is a professor of health care policy and management at Baruch College in New York City.

- صبرى جرجس (التراث اليهودى الصيهونى والفكر والفرويدى اضواء على الاصول الصهيونيه لفكر سيجموند فرويد) الناشر مكتبة عالم الكتب 1969- القاهرة.

- هذه الترجمة نحتها الابن د. إيهاب الخراط، ترجمة لكلمة empathy التى تعنى المشاركة الوجدانية وتتطلب درجة من التقمص والمواكبة معا، وبذلك هى تتميز عن كلمة sympathy التى تعنى الشفقة أو الاشفاق.

- ملحوظة : للأمانة ، كان العنوان الفرعى للمقال هو : "مؤلف كتاب العلاج الأمريكى ، يتحدث عن "فرويد"، و "**أوبما**"، وقد شدنى العنوان نظرا لأننى كتبت وأكتب هذه الأيام عن **أوباما** بالذات، لكن لم أجد فى كل الحوار ما يبرر وضع اسم أوباما فى العنوان هكذا اللهم إلا قول إنجل: بأنه (أوباما) يملك تلقائيا: بتكوينه الفطرى، أو بما تعلمه، القدرة على التحكم فى عواطفه، وأنه بهذا يمثل نموذجا للصحة النفسية، ذكر المؤلف ذلك بعد أن بيّن أن ثمة علاجات أخرى غير التحليل النفسى، تحقق هذا التحكم أسرع وأكفأ، وقد تعجبت من هذا الحشر هكذا، ولم أفهمه، ولم أستشهد به أو اقتطفه، وما زلت محتارا)

وقد اعترض **أحد المعلقين** على هذا الجزء من الحوار قائلا: إن المؤلف لا يعرف كيف وصل أوباما إلى ما يصفه هكذا بأنه "صحة وجدانية" emotional health ، سواء من فطرته أو مما اكتسبه، ثم ما علاقة هذا أو ذاك بالمقال؟

انتهى تعقيب القارئ الذى رمز لاسمه بـ DT بتاريخ السبت 21 فبراير 2009، فاكتفيت بتعقيبه هذا عن تعقيبى، علما بأننى لا أعرف شيئا اسمه الصحة الوجدانية، ولا أظن أن السيد أوباما يتمتع بها بوجه خاص، ما الحكاية؟ أين نحن؟ فى مصر؟!!

وفيما يلى النص الانجليزى.

Barack Obama, for example, clearly has enormous mastery over his emotions. He’s able to say, “I’m not going to get upset about this.” Partially he was born with that, but I suspect that he’s also learned to do that.

Comment : DT *Sat. Feb 21, 2009*

The author does not know how President Obama has come to a place of emotional health. He was born with that (mastery of his emotions)...or "I suspect"--neither belongs in this article.

وبما أن هذا ليس موضوعنا فدعونا نترك ذلك جانبا لأن "سيادة الرئيس أوباما" لم يذكر إلا فى هذه السطور.

الإربعـــــــاء 08-07- 2009

677-إحيـــــــاء المعنـــــــى يمـــــــلأ الكـــــــلام!!

الحلقة (11) الجزء الثالث من مقدمة الفصل الأول

إحياء المعنى يملأ الكلام!!

اللفظ قام من رَقْدِتُه.
ربك كريم ينْفُخْ فى صُورْتُه ومَعْنِتُه.
يرجع يغنى الطَّير عَلَى فْروع الشَجَرْ.
ويقول"يارب"،
وتجيله ردَ الدعْوَهْ مِنْ قَلْبُه الرِّطِبّ.

شرح على المتن:

فى بداية شرح هذه المقدمة، **(الجزء الأول) لعبة الكلام: سبع جنازات** بينا كيف يموت الكلام حين ينفصل عن معناه المفيد والدافع والمسئول، لكننا أيضا بينا أن تم هذا الانفصال

للشبة معينة، فإنه يعتبر آلية جيدة، تسمح للألفاظ أن تتشابك مع بعضها بسهولة نسبية لتكوين المفاهيم والجمل المفيدة.

أشرت بعد ذلك إلى كيف أن لغة الشارع، وبالذات اللغة الشبابية، وأضيف هنا إليها اللغة المسماة: "البيئة" هى - بشكل ما - تجديد للغة ولو بدا عشوائيا، من حيث أن ظهور هذه اللغة هكذا هو نوع من الاحتجاج على موت اللغة داخل الألفاظ المغتربة نتيجة للقهر والإفراغ، ثم ألمحت كيف **أن الشعر هو القادر على إحياء الألفاظ وهى رميم، بإعادة تشكيلها نغما وصورة.**

حين يقول المتن هنا: **"اللفظ قام من رقدته"**، إنما يذكرنا مرة أخرى بأنه **مهما ماتت الألفاظ اغترابا فإنها هى هى الأبجدية التى يمكن أن تتشكل بها اللغة من جديد: شعرا وحفزا وثورة**، ربما التعبير الأدق هو "الكمون" انتظارا لبعث ما.

فى خبرة العلاج الجمعى، حين أواجه بعض المرضى لأطلب منهم ومنى، ملتزمين بقاعدة: **"هنا والآن"**، أن ينطق أى منا كلمة واحدة أو اثنين بمعناهما الحقيقى مثل 'أنا أقدر' أو 'من حقى أن..' .. تقابلنى مقاومة غريبة لا أتوقعها ولايتصورها أحد، مع أن الكلمات تكون شديدة التداول، شديدة البساطة، فنستنتج أنه يبدو أن التركيز فى أن يُحضر الشخص (المريض) فى "هنا والآن" المعنى الذى يحتويه التعبير المطلوب، هو السبب فى هذه الصعوبة.

فى الألعاب النفسية أيضا -التى عرضنا منها عينات كثيرة فى هذه النشرات اليومية، نلاحظ أنه بمجرد أن تضيف صفة **"بحقيقى"**، أو **" بحق وحقيق"** يختلف الامر ويحل نبض جديد فى الجملة حتى تكتمل اللعبة كاشفة عن المضمون الذى تضمنته الألفاظ **"بحق وحقيق"**،

هل تذكر مثلا لعبة **"أنا باخاف أفرح بحق وحقيق، لحسن ...."**، بل لعلنا لا نذهب بعيدا حين نتذكر آخر لعبة التى ما زلنا نناقشها هذه الأيام، ونصُها: **ياااااه، دى طلعت صعبة بشاااكل، ولكن..."**، وقد أوضحنا كيف أنه ليس من الضرورى أن نحدد ما هى التى طلعت صعبة، لكن، ما إنْ ننطق لفظ **"دى..."** فى هذا السياق حتى تدب فيه الحياة، فيجرجر ما تيسر له أن يجرجر من مضمون حتى لو لم نتعرف عليه تحديدا، وهكذا.

فى موقف محدد أذكره كمثال، كان شديد الصدق والعنف والدلالة، كانت إحدى الصديقات المريضات تستنقذ فى مأزق علاجى بالله، ولكن تصيح بشكل روتينى فاتر، قائلة: 'يارب' وإذا بمساعدى ينبهها (وهو شاب يحاول جاهدا أن يعيش ويستمر محتفظا بالمعنى) أنها لا تعنى ما تقول، **وأنها لو كانت تعنيه لأحست بذبذبات اللفظ تخرج من تحت إظفر إصبع قدمها**، لا حظت كيف ساعد حماس مساعدى وتلقائيته فى أن يستعيد هذا اللفظ "يارب" وهو الذى نقوله فى اليوم عشرات المرات دون أن ينبض بحقه، كيف يستعيد نبضه حين يلتحم بالجسد، فينبض بمحتواه الصعب.

أعتقد أن مثل هذا الإحياء له مظاهر كثيرة فى كثير من نشاطات الحياة التى تحاول فى هذا الاتجاه، مثل الذكر عند بعض الصوفية بترديد اسم معين، ومثل أداء بعض المغنين لنفس اللفظ وهم ممتلئون به ، فيصل إلى المتلقى بما يحمله،

أم كلثوم ومايكل جاكسون:

لا أحسب أن عبقرية غناء أم كلثوم تكمن فى جمال صوتها فحسب، بل هى - كما وصلتنى بعد رحيلها بالذات - ترتبط بقدرتها الفائقة على أن تعطى لكل لفظ فرصة أن تنبض به حياة جديدة.

ثم أدركت مؤخرا سر شعبية الراحل مايكل جاكسون، حين شاهدته بعد وفاته كما جاء فى يومية السبت الماضى، جاكسون لم يتوقف عند ملء اللفظ بمعناه، بل تمادى إلى تحقيق عبقرية تمازُج اللفظ مع النغم مع الحركة **لجسد "يقول"**، فتكتمل الرسالة وتحرك ما يقابلها فى المتلقى فيتصاعد الأداء ويخترق محرّكا الوعى الفردى والجمعى بما هو.

القرآن الكريم بدون تفسير

أحيانا يكون تفسير اللفظ الخاص فى سياق خاص مفسداً لعملية الإحياء والتحريك هذه، حين أدركت ذلك، حين كان بعض مرضاى يلجأون إلى ما يسمى "العلاج بالقرأن" مغتربين منشقين عادة، إذ غالبا ما يقوم المعالج بالقرآن هو، وليس المريض، بقراءة بعض آيات القرآن الكريم معتقدا أن هذه الآية أو الآيات تعالج ذلك بالذات، وهكذا، فكنت لا أشجب الفكرة تماما، بل أحدد شروطى الخاصة لاحتمال فاعليتها، فألفاظ القرآن الكريم وصفت بأنها يمكن أن تجعل الجبل خاشعا من خشية الله، فهى -غالبا حتى تؤدى هذا الدور- لا تحتاج تفسيرا بشريا، وصيًا عليها، بقدر ما تتطلب أن ترد فى سياق، وجرعة، وحالة من التهيؤ تسمح بأن تحرك وعى المتلقى بما هى، وليس بما تعنيه فى المعاجم، أو بما يقوله المفسرون عنها، وبعد أن أذكّر مريضى بآيات خشوع الجبل، أوصيه إن أراد الاستعانة بالقرآن الكريم أن يقرأ بنفسه جزءا محددا (ربع حزب مثلا، كل ثانى يوم) بالترتيب دون انتقاء ودون فهم ودون تفسير، وأنا لا أقصد بذلك مفعولا سحريا خاصا، لكننى أحاول أن أحوّل ممارسته الاغترابية المفرطة المستسلمة التابعة عن طريق "وسيط"، إلى فرصة احتمال تواصل مباشر بين نغمته الخاصة، ونغمة "المابعد"، (الغيب) من خلال هذا الوسيط القادر، أعنى الألفاظ المقدسة، بفضل نبضها الملتحم بالوعى الكونى: **"ربك كريم ينفخ فى صورته ومعنته"** تتلاحم أنغام مستويات مع بعضها بكل هذا الثراء النابض فى سياقها الخاص، دون لفظنتها الاغترابية.

ربما هذا التوجه، الذى لم أتبينه إلا مؤخرا، كان وراء ما جاء بالمتن منذ أكثر من ثلاثين عاماً مشيرا إلى أن ما يحيى الألفاظ لتنبض بمعانيها من جديد هو تلك الصحوة/البعث، التى تسمح بالتناغم بين الوعى الذاتى والوعى الكونى إلى وجه

المطلق توجها إلى وجه الحق تعالى (وليسمه من يشاء ما يشاء)، فتصبح الألفاظ التى كانت قد تحولت بالقهر والإهمال إلى **"ظرف رصاص فاضى مصدى ف علبته"** تصبح ملتحمة بكل من معناها، فى تشكيلها الجديد **"ربك كريم ينفخ فى صورته ومعنته".**

التشكيل الأشمل للوعى الخاص والعام

التأكيد هنا على أن هذا الإحياء ليس عملية عقلنة منفصلة بقدر ما هو أمل فى تشكيل تناغمى بين الوعى الذاتى والوعى المطلق أو الوعى الكونى من خلال ألفاظ استعادت حيويتها، هو ما يلحق ذلك من إشارة إلى وسيط آخر، وهو التناغم مع الطبيعة **"يرجع يغنى الطير على فروع الشجر"**، حين يترسخ الاغتراب حتى تموت الألفاظ أو تكمن هامدة، ينفصل الإنسان عن الطبيعة، وحين يعزف اللحن النابض من جديد، يعود الإدراك إلى تلقى الأصوات لغة قادرة جديدة.

قلنا من قبل إن الكلام حين يموت، يصبح مجرد أصوات بلا معنى **"مر الهوا صفر كإن النعش بيطلع كلام"**، فيتم الاغتراب، وتتوقف حركية النمو، هنا انعكست الصورة فأصبحت الأصوات (أصوات الطير) غناء له معنى يروح يندمج فى اللحن الأكبر فالأكبر أيضا، فيتم التواصل بين الوعى الذاتى، ووعى الطبيعة إلى الوعى الكونى، فهو اللحن البعث الجديد **"ويقول يارب"**،

الرد يأتى من داخلنا دليلا على عمق التكامل مشيرا إلى بؤرة الوجود المتناغم **"وتجيله رد الدعوة من قلبه الرِّطب"** أى أن الردّ يأتى ما هو أقرب من حبل الوريد، ممتدا إلى كرسيه الذى وسع السموات والأرض سواء بسواء، ولعل هذا ما أعنيه عادة، بتناغم الوعى الذاتى مع الوعى الكونى.

هكذا تعود الألفاظ بكل عنفوانها وقدرتها لتقوم بدورها فى الثورة، والتغيير، لتنطلق مسيرة النمو

بعض آليات إحياء الألفاظ فى العلاج الجمعى:

فى العلاج النفسى الجمعى، وهو موضوع الفصل الثانى فى هذا العمل تقريبا، نتدرج فى إحياء الكلام بشكل غير مقصود مباشرة، لكن هذا هو ما يتم من خلال آليات محددة لا نقصد بها فكرة "إحياء الألفاظ" تحديدا، وإنما يكون ذلك بعض نتائجها الهامة.

ويمكن عرض بعض هذه الآليات فى خطوطها العريضة على الوجه التالى:

1. التركيز شبه المطلق على أن يكون التفاعل فى "هنا والآن"، وهو الأمر الذى يستتبعه الابتعاد عن التعميم والتبرير، والإقلال من التفسير والتأويل، وفى هذا يمارس المعالج نهيا متصاعدا عن استعمال تعبيرات تبدا بألفاظ مثل "الواحد"....، "الناس"....، "الإنسان" ..إلخ

2. التنبيه إلى أن النصائح المباشرة ، إلا ما يمكن تطبيقه واختباره فى "هنا والآن"، هى أيضا مهرب من احتواء اللفظ لمعناه لصعوبة اختبار تنفيذ فاعليته حالا

3. تحديد أسلوب التخاطب بـ "أنا ...أنت"، يتبعه تلقائيا تحمل مسئولية الخطاب، والتلقى، فلا تستعمل صفات أو ضمائر الجمع مثل "كلكم، كلنا"، وأيضا لا يستعمل ضمير الغائب (هو، هى، هم) ما أمكن، وقد لاحظنا كيف أن ذلك يستتبعه تضييق مساحة الفائض اللفظى بشكل يحيى نبض الألفاظ.

4. الألعاب العلاجية تتطلب كلا من التمثيل بكل معنى الكلمة، كما تسمح بتأليف بقية النص المحذوف ..(إبداعا مباشرا) مع ممارسة مبدأ **"أنا "أنت"** هنا **والآن"** فى نفس الوقت، وبالتالى تتيح الفرصة لتكامل وسائل التعبير (الفقرة التالية بند 5)

5. استعمال وسائل أخرى للتواصل غير اللفظى (ليس فقط اللغة الإشارية، التى هى نوع آخر من الرموز) بما فى ذلك لغة الجسد، ولغة العيون (أنظر الفصل الثانى) وتعبيرات الوجه ...إلخ، سواء فى الألعاب أوغير الألعاب وهذا لا يدل على الاستغناء عن الألفاظ بل قد **يكتشف المريض من خلاله إلى أى مدى كان مبتعدا بألفاظه عن ذاته، أو جسده، أو بقية وجوده**، وقد يتم ذلك فى نوع من النفسية: الصامتة، أو الناطقة.

6. استعمال الاحتمال العكسى للألفاظ والجمل، بتدريب وتمثيل أيضا، وهو وسيلة يتحدد بها كل من الأصل وعكسه، مثلا يقول المريض "أنا مش قادر أعبر"، فنطلب منه أن يقول (ويمثل) "أنا قادر أعبر"، ثم بالتبادل، فنحول بذلك دون تداخل الشكل مع الأرضية (بالتعبير الجشتالتى)، فيمارس المريض، والمعالج، نوعا من التحديد الذى يسمح للفظ أن يستعيد مضمونه الدال

7. الإقلال من استعمال ألفاظ التقريب ما أمكن ذلك (مثل "تقريبا"، "نص نص" "مش قوى"، "يعنى"..إلخ)

8. الإقلال من استعمال تعبيرات التأجيل مثل "إن شاء الله" (بالمعنى الهروبى)، "حاحاول"، ..إلخ

9. تجنب استعمال الحِكَمْ والأمثال ما أمكن ذلك منعا للاستدراج إلى التعميم والإفراط فى التجريد

10. التعامل مع **الأسئلة** باعتبارها **مشروع إجابات:** يُطلب أحيانا من المريض أن يقلب سؤاله إلى جملة إخبارية برفع علامة الاستفهام، أو يطلب منه أن يجيب هو أولا على سؤاله إجابة محتملة، أو أن يقول مايتصور ان المسئول (معالج أو زميل مريض) سوف يجيبه به

إمراضية الإفراط بفرط تحميل اللفظ معناه

"برغم الحرص الشديد على أن يحتوى اللفظ معناه، فإننا أشرنا قبل حلقتين، وفى مقدمة هذه الحلقة، كيف أن ذلك هو

عبء شديد إذا ما بولغ فيه، وقد لاحظت فى حالات الفصام،خاصة فى نوع الفصام المبتدئ، وأيضا فى بعض حالات الاكتئاب أن المريض يشعر فجأة أنه ينبغى عليه أن يعيش كل لفظ ينطقه بحقه تماما، أى أن يكون اللفظ هو معناه بالضبط وكما ينبغى، فإذا تصورنا أن الجمل تتكون من وحدات متتالية مثل السلسلة المترابطة، فإن الأسهل أن تكون حلقات السلسلة مرنة وخفيفة حتى يتم الترابط والتسلسل بما يحقق تماسكها فوظيفتها الأشمل فالأشمل، فإذا تصورنا أن المبالغة المرضية فى أن تكون كل وحدة (حلقة) مليئة ثقيلة بما تحتويه من مضمون، فإن التسلسل قد ينقطع، وقد فسرت بذلك بعض ما ينتهى إليه المريض مما نسميه **"فقد الترابط"** incoherence ، الذى هو بهذا التفسير ليس نتيجة أن الألفاظ صارت بلا معنى، ولكنه نتيجة **الألفاظ امتلأت بمضامينها مستقلة مثقلة** حتى عجزت أن تترابط مع ما قبلها وما بعدها.

الألفاظ الثورة:

حين تبعث الألفاظ من جديد، وتبنض بمضمونها، وتحفز إلى غايتها، تصبح ثورة فى ذاتها، ولعل هذا بعض ما كان يعنيه أدونيس وهو يميز بين شعر الثورة (الشعر التحريضى)، وبين الشعر الثورة، الذى هو تشكيل مغيّر يحيى اللغة، والمتن التالى (نهاية المقدمة) يشير إلى كل من هذا وذاك معا:

ألفاظ بتهزّ الكُونْ،
وبتضرب فى المَلْيَانْ،
وتغّير طَعْم الضِّحْكَة،
وتشع النُّورْ مِا الضَّلمَهْ،
وبتفضَخْ كِدْب السَّاكِتْ،
وبْتِفْقِسْ كل جَبَانْ.

استشهادان ختاميان

الألفاظ التى تحتوى معناها، فيكون لها كل هذا النبض، وكل هذا الإحياء، ليست هى الألفاظ الجميلة، أو الرنانة أو الجذلة، بل هى **"أى لفظ كان"، حالة كونه ينبض بمعناه سلسا منسابا**

وفيما يلى مقتطفان يثبتان ذلك بشكل أو بآخر:

الأول: من أصداء السيرة الذاتية لنجيب محفوظ (1994)، وقيامى بنقدها (يحيى الرخاوى سنة 2006)

والثانى: من قصيدة باكرة لى فى ديوان **"البيت الزجاجى والثعبان"**(1983) استلهمتها من السعى بين الصفا والمروة، ذات عمرة. (قبل اصداء محفوظ بعشر سنوات)

المقتطف الأول:

الصدى رقم 78 من أصداء السيرة، (محفوظ سنة 1994)

78 - البلاغة

قال الأستاذ " البلاغة سحر" فآمنا على قوله ورحنا نستبق فى ضرب الأمثال. ثم سرح بى الخيال إلى ماض بعيد يهيم فى السذاجة. تذكرت كلمات بسيطة لا وزن لها فى ذاتها مثل: أنت،.. فيم تفكر

؟... طيب،. يا لك من ماكر... ولكن لسحرها الغريب الغامض جن أناس،.. وثمل آخرون بسعادة لا توصف،..

النقد: (يحيى الرخاوى: أصداء الأصداء)

على صغر هذه الفقرة، فإنها تطرحنا أمام قضية نقدية لأعمال محفوظ، أنا لست متأكدا من أنها نالت حقها من الدراسة، وهى قضية اللغة، وإن كنت قد قرأت أكثر عن علاقة يحيى حقى باللغة، مبدعا، وإلى درجة أقل ناقدا، فهنا ينبهنا محفوظ إلى نوع من البلاغة تستأهل الوقوف عندها، وأنها ليست أبدا، ولا أصلا ذلك البريق الذى ينبعث من ظاهر الألفاظ أو زينة الأسلوب، وليست هى أيضا: الحكم الرصينة المختصرة التى تنطلق من مثل أو بيت شعر، بل إن الحديث بالأمثال والاستشهاد بالشعر قد يصبح ضد البلاغة بالمعنى الذى تتناوله هذه الفقرة، وربما بالمعنى الذى قال فيه صلاح عبد الصبور "يأتى من بعدى من لايتحدث بالأمثال"، **أما البلاغة التى يقدمها لنا هنا محفوظ فهى أن يحمل اللفظ - أى لفظ - معناه تماما**، فيصبح **سحرا قادرا أن يثمل به الناس فى سعادة لا توصف، وأن يجن فى صحنه آخرون.**

أية ألفاظ هذه التى تسكر وتجن؟ ألفاظ غاية فى السذاجة، هى فى ذاتها كأصوات - أبعد ما تكون عن البلاغة مثل "أنت" هكذا فقط : "**أنت**"، أو "**فيم تفكر**"؟ نعم "فيم تفكر" أو "**طيب**" أكرر : إنه لفظ "طيب" ثم "**يالك من ماكر**"،..... أعنى "يالك من ماكر"،

هل أدعوك - عزيزى القارىء - أن تتوقف عند هذه الألفاظ فتكررها أنت للمرة الثالثة بصوت مرتفع، ثم تترك كل لفظ (أو تعبير) منها يرن فى وعيك شخصيا دون محاولة أن تكمل، ودون محاولة أن تتذكر حوله أو به أو منه شيئا، إذا فعلت ذلك "هكذا"، فسوف تعرف علاقة محفوظ باللغة، وربما تتصالح عليها، وربما.....

المقتطف الثانى:

من قصيدة "أنهار المسعى السبعة"

ديوانى: البيت الزجاجى والثعبان (سنة 1983)

وتقول الناس الأنهار
للناس التيار:
.....
.....
قال النهر السادس:
لو أن السعى تناغم بعد السعى إلى السعي
لرجعْنَا أطهرَ من طفل لم يولدْ بعدْ
لا نتكاثر بالعدّةِ والعدّ
ولعاد المعْنى
يملأ وجه الكلمةْ
يهتز الكون:
لو يعنى القائل "أهلاً"
أنْ: "أهلاَ"

الثلاثـــــــاء 14-07- 2009

683-أنـــا ماشـى "سريـع" حوالـيـن نـفسـى !!(1 من 2)

الفصل الأول

لعبة الكلام

تمهيد: فى الطبعة الأولى، كان عنوان هذا الفصل هو " سبع جنازات"، وهو نفس الاسم الذى ظهر فى مقدمة هذه النشرة، لكننى وجدت نفسى غير مرتاح لهذا الاسم حالا، لا أعرف لماذا، فوجدت أن الأفضل ان أعرض الحالات مرقّمة دون أن أصفها بأنها جنازة، وربما أجد أثناء كتابة الشرح اسما أكثر إحاطة بما أريد أن أبلغه، كما أننى قمت بتغيير معظم عناوين القصائد، مفضلا أن يكون العنوان بيتا أو شطر بيت من القصيدة

الحالة (1)

أنـــا ماشى "سريع" حوالين نفسى !! (1 من 2)

العلاج النفسى هو مسيرة (معا) نحو **تغيير** طبيعى، ما أمكن ذلك.

يحدث ذلك عادة بعد **وقفة**، أو **قفلة**، أو **عرقلة**، (تسمى مرضا)، حين يحول أى من ذلك دون استمرار مسيرة النمو الفردى.

أى **"تغيير"** حقيقى، هو مخاطرة من حيث المبدأ، ربما لهذا فإن التغيير يحدث عادة دون وعى كامل، بل هو عادة لا يحتاج إلى قرار واع أصلا، **التغيير** هو نتاج طبيعى لحياة صحيحة طبيعية، والعلاج يهيئ الفرص لتحقيق هذا، ولكن هل توجد مواصفات محددة للتغيير الذى نعنيه فى العلاج وغير العلاج؟ وما هى المقاييس التى نقيس بها ما نسميه : "حياة طبيعية" ؟

لا شىء يستحق أن يوصف بصفة أنه "حياة" لو كان غير عرضة للتغيير،

من البديهى أن نفترض أن التغيير لا بد أن يتم إلى أحسن، أما ما هو الأحسن وما هو الأسوأ فهذا أمر نختلف حوله للأسف بما لا يقاس.

فى الأحوال التى نسميها **"عادية"** لا يحتاج الأمر للحديث عن التغيير باعتبار أنه يجرى ولو من وراء ظهورنا،

أما **فى حالات المرض، فالدعوة للتغيير تفرض نفسها من خلال ما يسمى "العلاج"**، وذلك بهدف تحويل مسار التغيير السلبى الذى كان نتاجه المرض، إلى تغيير إيجابى.

فى جميع الأحوال، ومهما صنفنا التغيير إلى سلبى أو إيجابى، وكذلك مهما بدت حتميته أو أُعلنت ضرورته من خلال ظهور الأعراض وتجسيد الإعاقة، فإنه **يظل مغامرة محفوفة بالمخاطر حتى لو سمى علاجا**، لعل وراء هذا حكمة شعبية بالغة الدلالة تقول محذرة : **'اللى تعرفه أحسن من اللى ما تعرفوش'**، ليكن، لكن **المرض هنا قد أعلن فى نهاية المطاف أن الذى نعرفه فى هذا الظرف بالذات هو ليس "الأحسن"**، وهكذا نجد أنفسنا فى الموقف العلاجى وقد خرجت المسألة عن مجرد 'عرض' اختيارى (Option) للتغيير إلى أنه ضرورة يفرضها المرض بشكل أو بآخر (ولو من حيث المبدأ).

نحن لا نقصد بالتغيير من خلال العلاج مجرد اختفاء الأعراض الظاهرة على السطح، الأعراض تختفى أحيانا لتحل محلها **حالة من اللاأعراض** التى قد تكافئ أحيانا حالة من اللاحياة إذا ما توقفت الحركة لحساب مجرد اختفاء الأعراض، (فلا تغيير بعد اليوم !!).

قد تختفى الأعرض كحيلة دفاعية ضد احتمال التغيير الذى تدعونا إليه خبرة المرض، ذلك أن المرض بقدر ما هو سلبى، قد يكون فرصة لإعادة النظر، ومن ثم التغيير، فهو دعوة ضمنية للتغيير، ومن هنا يبدأ التهديد.

ونظرا لأن أى تغيير هو مغامرة تحفها المخاطر، فقد يكون الحل عند المريض أن **"يرجع فى كلامه"** ويتنازل عن الحل المرضى، وبالتالى يتجنب مخاطرة التغيير، بمعنى أن الأعراض قد تختفى تحت تهديد التغيير.

نحن لا نرفض ذلك فقد يكون مفيدا مرحليا، لكننا ننبه فقط إلى أن مجرد اختفاء الأعراض فى حد ذاته ليس دليلا على التغير، بل إنه قد يكون تراجعا عن المحاولة (وهذا نوع - على أية حال- من العلاج لاينبغى رفضه لأنه الغالب)

المتن

(1)

الشط التانى الـْمِشْ بايـــــنْ:

كل ما اقَرّب لُهْ، يتّاخِـرْ.

ومراكبْ، وقلوع، وسفايـــنْ،

والبحر الهـــوْ مالوش آخـــــرْ.

شرح على المتن:

الشائع أن رحلة العلاج تبدأ بطلب مباشر أو غير مباشر من المريض أن "يرجع كما كان" (*عايز أرجع زى ما كنت قبل ما أعيا*)، وهو مطلب مشروع بداهة، لكن **العلاج النمائى** Growth Oriented Therapy ينبه، بطريق مباشر أو غير مباشر أن هذا المطلب، مع أنه منطقى وطيب ومعقول، إلا انه **ليس هو غاية المراد**، لأن حالة الـــ "**ما كان عليه**"، الذى يريد المريض أن يرجع إليها، هى هى التى أدت إلى المرض، ومن ثم نوصل للمريض أن نهمّ معا لنطلب، أو نأمل، أو نعمل على : أن نرجع (يرجع المريض معنا) **أفضل مما كان**، طبعا يوافق المريض آمِلا، ويتمنى الطبيب مجتهدا، (لكن : ما كل ما يتمنى المرء يدركه).

الإشكال فى هذه الدعوة (العزومة) إلى أن نخرج أحسن مما كنا فيه هو أن **أى تغيير هو نقلة إلى مجهول ما**، الصورة هنا تبدوا وكأن المريض واقف على شاطئ هش، ينذر بالانهيار، أو انهار بعضه فعلا، وبالتالى فهو يهم أن يعبره إلى الشاطئ الآخر (التغيير)، لكن هذا الشاطئ الآخر، برغم التأكيد أنه موجود، إلا أنه غير ظاهر **"الشط التانى المش باين"**، ليس هذا فحسب، بل إنه شاطئ يبتعد كلما اتجهنا نحوه، وكأنه سراب بشكل أو بآخر، حتى نشك أنه موجود أصلا **"والبحر الهِوّ ما لوش آخر"**، هذا فضلا عما يكتنف رحلة العبور من أهوال الزحام وأخطار التصادم **" ومراكب، وقلوع، وسفاين".**

إن ما يحدث فى العلاج النفسى أنه كلما لاحت معالم تغيير ما، تم نفىُ الاحتمال تلقائيا، أو تم التراجع عنه بالمحو، بمعنى أن المريض، من فرط تردده ورعبه من التغيير، وبرغم رغبته فيه فى نفس الوقت ولو من حيث المبدأ، يبادر بأن يمحوه أولا بأول،

إذن ليس الشاطئ هو الذى يتباعد باستمرار، ولكن المريض يكتشف أن المراد بعيدا، وصعبا، وغير مضمون، **" كل ما اقربْ لهْ يتّأخر"**، فيتخذ قرارا داخليا أنه لا داعى (الطيب احسن !!)، ويتراجع (داخل داخله، حتى لو بدا متعاونا ظاهريا)، وتظهر تبريرات التأجيل بما يشاع عن العلاج والتفسير والتأويل فى الجزء التالى من المتن:

المتن:

(2)

لأ مِشْ لاعِبْ.

حاستنى لمّا اعرف نفسى، من جــوّه.

على شرط ما شوفشِى اللـِّى جـــوَّهْ.

واذَا شفته لقيتُــه مشْ هــُوِّه،

لازِمْ يفضَلْ زىْ ما هُوَّهْ.

برغم أن التغيير هو محور العلاج كما أشرنا، إلا أن مقاومته أيضا هى قضية التحدى التى لا ينجح العلاج إلا بحمل مسئولية التصدى لها، إعلان المريض هنا (من مستوى أعمق، بعيدا عن ظاهر الوعى عادة) أنه لن يغامر بالتغيير الحقيقى **"لأ مش لاعب"**، هو التفاعل المبدئى الذى يجب أن ننتظره منه كاستجابة عميقة تعلن مخاوفه من مغامرة التغيير، وإلا فلماذا حضر إذن للعلاج؟

لا أحد يحضر للعلاج ليتغير بالمعنى الحرفى للكلمة، برغم أن هناك الكثير من المرضى يطلبون ذلك من أول مقابلة، **لكن هؤلا بالذات - غالبا- هم الذين لا يتغيرون أبدا**، التغيير ليس مطلبا من الوضع جالسا كأنك تطلب "واحد شاى!!"، لا يوجد شىء اسمه **"عايز واحد تغيير وصلّحه"**، كما لا يوجد تغيير سهل مثل تغيير لون الشعر مثلا،

فى جميع الأحوال علينا أن نتوقع، ونحترم هذا الموقف الرافض للتغيير، الخائف منه، هذا حق المريض وطبيعة الأشياء، بمجرد أن يدرك المريض، ولو من بعيد، أن المسألة جدا خالصا تحتاج جهدا حقيقيا، وليس مجرد تفريغ وترييح، تبدأ المقاومة.

هذا الموقف المقاوم هو موقف أصدق من زعم طلب التغيير دون دفع ثمنه،

وهنا يقفز إلى السطح سؤال بديهى، إذا كان الرفض هو الموقف الأصدق، فلماذا حضر المريض أصلا، وماذا يمكن عمله إزاء ذلك؟

كثيرا ما يحدد المريض أنه حضر لأنه يريد **"أن يعرف نفسه"**، ويتصور أن الطبيب قادر على أن **يعرّفه نفسه**، وكأن الطبيب يقرا الطالع أو يحكى ما يقوله له الودع"،

وفى أحيان أخرى يتصور المريض أو يطلب من الطبيب أن يساعده على أن "يعرف نفسه"، وبالتالى: إنْ كان لا بد من التغيير فيكون **بعد** أن "يعرف نفسه"، وكأنه يقول إنه يريد أن يقبل ما يقبل، وأن يغير ما يغير، بناء على هذه المعرفة، فربما لا يحتاج الأمر إلى تغيير أصلا بناء على أنه **"عرف نفسه، فوجدها تمام التمام !!.**

التحليل النفسى، أو الإشاعات التى دارت حوله، هو مسئول نسبيا عن هذه الوقفة، صحيح أن العلاج يسمح بشحذ البصيرة، ومن ثم معرفة النفس، وأنه **كلما كان النور كافيا، كانت المسيرة أكثر أمانا، وأن المعرفة هى الخطوة الأولى نحو اتخاذ القرارات**، لكن أن تكون المعرفة المعقلنة هى البداية والنهاية، فهذا هو تعطيل واضح، وقد يكون تعطيلا دائما لمسيرة العلاج. بل إن المعرفة، حتى من خلال التحليل النفسى قد تدور بعيدا عما ينبغى أن نعرفه، *فكثير من تحليلات المحللين النفسيين تدور فى المساحة التى يسمحون بها لأنفسهم - من خلال إطارهم النظرى- أن يبحثوا فيه*، أما باقى الأهوال البعيدة عن تنظيرهم، وأحيانا البعيدة عن تحملهم، فهى تزداد إظلاما وبُعدا، (يصدق هذا أيضا على كل منتم لنظرية نفسية أخرى ثابته محكمة، مهما كانت الأقرب إلى الحقيقة والصواب)،

يأتى النص هنا وينبه أن المريض والطبيب معه يتوقفان عند حدود المنطقة المتاحة، حتى لو كان الزعم المبدئى هو كشف ما بالداخل (**من جوه**).

حين انفصل يونج عن فرويد، نبهنا إلى أن فرويد يلعب فى ملعب تدريبى صغير، هو ما أسماه اللاشعور الشخصى، أما الملعب الأكبر، أو الأهم، فهو الملعب الأصلى الذى أسماه يونج "اللاشعور الجمعى"، وقد كان غضب فرويد من يونج، (وحسده له، ربما) وتأثره من تركه، ليس فقط لأنه المسيحى الوحيد بن مريديه الأوائل، وإنما لأنه تجاوز المنطقة التى توقف عندها فرويد.

النص هنا ينبه إلى أنه من الجائز أن نجد، أو على الأقل أن نفترض، أن ثمة طبقات تكمن وراء ما نكتشف باستمرار، وبهذا ينقلب العلاج النفسى إلى مسيرة من الكشف والإبداع تتواصل مع التقدم باضطراد وهى تنتقل من معرفة محتوى الداخل، وربما فك رموزه، إلى معرفة "**الطريق** (المنهج) **إلى المعرفة**" بشكل ليس له نهاية (شىء قد يكون موازيا لمقولة : الإيمان بالغيب، بمعنى الكشف المتواصل أبدا)، **معرفة المنهج بالتدريب العملى، أهم من تقليب المحتوى**، إذن فطلب المريض أن ينتظرحتى يعرف نفسه من الداخل، هو طلب لن يتحقق أبدا، لأنه لن يعرفها - **كما هى** أبدا-، والمتن ينبهنا هنا إلى أن أغوار المريض تحذر أن تكشف عن نفسها، لأن صاحبها نفسه لا يريد ذلك "**على شرط ما شوفشى اللى جوه**" .

ثم إنه حتى لو رضينا بالتوقف عند معرفة الممكن أو المسموح برؤيته، فإن هناك آلية دفاعية (ميكانزما) جاهزة لتثبيت التوقف والاكتفاء بالمعرفة دون الفعل، أى **دون تغير حقيقى**، المتن ينبهنا هنا إلى أن المريض لو اكتشف من خلال هذا المغامرة المعرفية (المعقلنة) أن هذا الذى رآه هو فعلا ليس كما ينبغى، أو كما يرجو، " **واذا شفته لقيته مش هوّه**"، فإن تفاعله الأعمق، يمكن أن يكون عكس الظاهر، بمعنى أنه بدلا من أن تؤدى هذه المعرفة إلى التغيير كما بدأ التعاقد، فإنها قد **تكون بديلة عن التغيير** و "**يستمر الحال على ما هو عليه**، ***وعلى الأعراض أن تلجأ إلى الاختباء*** !!"،

وحتى لو لم تختف الأعراض، فيمكن أن يكون الحل هو أن يعتادها المريض !!.

هناك نكتة قديمة، يمكن أن تكون حديثة، تطلق سخرية من التحليل النفسى تقول:

"إن مريضا كان يعانى من التبول اللاإرادى، وذهب إلى محلل نفسى، وحكى له، وطلب العون، فاقترح عليه المحلل أن ينتظم فى العلاج بشكل تقليدى، خمسة أيام فى الأسبوع، ساعة كل يوم ..إلخ، فتجاوب المريض مع النصيحة، وانتظم فى العلاج لعدة عدة سنوات، ثم قابل صديقا فسأله عن حاله، وعن فائدة العلاج ونتيجته، فأجابه بأنه: **"كله تمام"**، وأن الفائدة مائة فى المائة، ففرح الصديق وقال له "إذن فقد أصبح فراشاك جافا" (النكتة بالإنجليزية وهذه هى الترجمة الحرفية dry bed)، فأجابه المتحلل بأنه ما زال يتبول ليلا، لكن ذلك لم يعد يهمه "ما عدشى بيهمنى" I don't care any more،

هذه النكتة التى حضرتنى الآن تكاد تكون تصويرا لما يريد المتن أن يبينه كاحتمال جاهز **"وان شفته لقيته مش هوه، لازم يفضل زى ما هوه"**،

أكتفى بهذا القدر اليوم، لأنشر المتن مكتملا حالا، أملا فى قراءته استعدادا لتكملة شرح ما تبقى منه غدا،

مع الاعتذار للشعر !!!

المتن كله :

(1)

الشط التانى الْمِشْ بايِـــــنْ:

كل ما اقَرّب لُهْ، يتّاخِـرْ.

وِمراكبْ، وقلوع، وسفايـــنْ،

والبحر الهـــوْ مالوش آخـــــرْ.

(2)

لأ مِشْ لاعِبْ.

حاستنى لمّا اعرف نفسى، من جـوّه.

على شرط ما شوفشِى اللـِّى جـــوَّهْ.

واذَا شفته لقيتُـــه مشْ هـُوِّه،

لازِمْ يفضَلْ زىْ ما هُوَّهْ.

(3)

أنـــا ماشى "سريع" حوالين نفسى،

وباصبّح زىْ ما بامَسِّى،
وان كان لازم إنى أعدّى:
رَاحَ اعدّى مِنْ شَطّىْ لـــشَطِّىْ،
هوَّا دَا شَرْطى.
(4)
ولحد ما يهدَى الموج،
واشترى عوّامة واربطها على سارى الخوف،
ياللا نقول "ليهْ"؟
و"ازاىْ؟"
"كان إمتَى"؟
"يا سَلاْمْ"!
"يْبقَى انَا مَظْلومْ".!!!!
!!...
شكر الله سعيكْ!!

- أستعمل كلمة الطبيب لتشمل كل من الطبيب والمعالج حتى لو يكن طبيبا، وفى خبرتى وتدريباتى للمعالجين لا أفرق بين الطبيب والمعالج، على شرط أن يمارس المعالج مهمته طول الوقت، أو معظم الوقت، وهو على اتصال إشرافى مباشر مع بقية أطباء المؤسسة التى ينتمى إليها، خاصة لو كان يمارس العلاج مع أمراض جسيمة، مما تسمى عادة "الامراض العقلية"، والتى هى ثروة المعرفة، ومفتاح العلاج. ولن أكرر ما جاء فى هذا الهامش بعد ذلك مع أنه صعب الإشارة إليه أو تذكره فى هذا النشر المسلسل إليكترونيا.

الإربعـــــــاء 14-07- 2009

684-أنـــا ماشـى "سريـع" حوالـيـن نـفسـى !!(2 من 2)

الـفصل الأول: لـعبة الـكلام

الحالـة (1) تـكملـة:

أنـا مـاشى سريـع حوالـين نـفسى (2من2)

نـشرنـا أمس الجزء الأول من هذه الحالـة، وبـيـنـا فـيـه أن ثمة خدعة قد تـتم، عادة دون وعى كـامل،وذلـك حين نـتصور أن "الـكلام هو الحل"، سواء استعملنـا تـعبير **"الـتحليل الـنفسى"**، أم **"فك الـعقد"**، أم **"أطّع لـلى جوايـا"**، أم **"أفضفض"**، ..، وقـد بـيـنـا - بـسخريـة قـاسية - كـيف أن الـتحليل الـنفسى قـد يـستمر سنين ولا يحقق إلا تـثبيت مـا هو موجود، مع قـدر يـسير من الـرضا بـه، دون تـغيير حقـيقـى.

فى هذه الحلقة سوف نكمل نفس التأكيد على أن **مجرد الكلام ، قد يكون وسيلة لتنمية بصيرة معقلنة، ليست أكثر من استبصار ذاتى مع وقف التغير**، مما قد يكون هو السبب فى إعاقة النضج

المتن

(3)

أنـــا ماشى "سريع" حوالين نفسى،

وباصبّح زىْ ما بامَسِّى،

وان كان لازم إنى أعدّى:

رَاحَ اعدّى مِنْ شَطّىْ لـــشَطِّىْ،

هوَّا دَا شَرْطى.

من أبطل الإشاعات التى روج لها بعض ما شاع عن التحليل النفسى، وعموما، هى مقولة أنه: **'إذا عُرف السبب بطل العجب'**،

وبالقياس نقول إنه قد يكون باطلا كذلك قولنا: **'إذا فُسِّرَ العرض بطُلَ المرض'**،

حتى إذا انتقلت 'المعرفة' إلى 'رؤية' ومواجهة و"انتقلت" الرؤية إلى "كشف" وتعرية أعماق الأعماق ، فإنها وحدها لاتكفى للنمو النفسى (التطور لذاتى).

ولكن بما أن **الحياة هى الحركة**، وبالتالى لا يمكن إيقافها إلا بالموت الجسدى، فإن التوقف عادة لا يكون توقفا بمعنى الوقوف فى الموقع أو اللاحراك، وإنما بمعنى الحركة فى المحل، **"محلك سر"**، بل أحيانا ما تكون ثمة حركة نتاجها سلبى، كما سبق أن ذكرنا فى "المقدمة" (سرْ بضهرك).

ثمة حركة قد تتم بحماس شديد، لكنها تحمل مقومات إلغاء ناتجها بنفس الحماس، ذلك لأنه قد يثبت أنه حماس مشروط بوقف التنفيذ، المريض هنا، وأحيانا المحلل أو الطبيب قد يعلن القبول - بل وضرورة القبول - بفكرة التغيير، وهو لا يأل جهدا ظاهرا فى السير فى هذا الاتجاه، لكن يبدو أن المريض عادة ما يفعل ذلك **بناء عن ضمان سرى أنه فى النهاية يملك آلية محو كل ما تغير أولا بأول**، ليبدأ من جديد نفس المحاولة وإن تغيرت تفاصيلها، وهو ينتهى إلى نفس النقطة وهكذا، وقد يسمى هذا أحيانا "تكرار النص" repetition of script

إن نظرية الاستعادة recapitulation theory وهى أساس التطور برغم النقد الشديد الذى لقيته وتلقاه مؤخراً، تقول بتكرار النص (الانتوجينا تعيد نص الفيلوجينيا ..إلخ)، لكن التكرار فى نظرية الاستعادة لا ينتهى إلى نفس النهاية بعد كل دورة، وإلا مات التطور من بدايته، **إن الاستعادة، غير الإعادة**، لأنها تنتهى إلى إضافة - مهما كانت

ضئيلة- إلى ما كان عند البدء، أو هى تنتهى فى كل دورة فى نقطة غير نقطة البدء ، أو هى تنتهى بتغير نوعى - مهما كان ضئيلا، لكنه تغيِّر مَا، أما إذا انتهت إلى حيث بدأت (موقعا وكما)، وبنفس المواصفات التى بدأت بها (كيفا) ، فإنها تكون معطلة للنمو (العلاج)، بل وتكون خدعة مغتربة.

هذا هو الشرط الذى يعلنه المتن هنا، وهو ينطلق من داخل داخل المريض وليس من ظاهر حماسه، **"وان كان لازم إنى أعدّى، راح اعدى من شطى لشطى، هوّا ده شرطى"**

طبعا مثل هذا الشرط لا يعلن صراحة، وبالذات لا يعلنه المريض لنفسه، فهو لا يصل إلى وعيه، ولكن على الطبيب أو المحلل أن **ينتبه إلى احتمال أن يكون اطمئنان المريض إلى أنه "مهما تحرك، لن يتغير"، هو الذى يدفعه لتجاوب كاذب مع المعالج، لأنه ضامن - فى النهاية - أنه فى موقعه لا يتزحزح، مهما نشط.**

كل هذا يكاد يشير إلى عكس ما يبدو أن المريض جاء من أجله، وكأن هدف المريض الأساسى **هو ألا يشفى**، فكيف ذلك وهو الذى سعى للعلاج؟ وطلب العون؟ ودفع الثمن (مادة أو وشما أو غير ذلك)؟

هذا كله محتمل أن يكون جانبا من الموقف أو الحقيقة، لكنه ليس كل الحقيقة، هو فقط ينبه إلى أنه ينبغى علينا ألا نُستدرج إلى تغير مؤقت نرضى به وهو ليس تغيرا أصلا، وأيضا هو ينبه من جانب آخر أن نفهم كيف **أن الشفاء هو مطلب رائع ظاهر، ولكن وراءه فى العمق قرار أسبق هو ما نسميه "اختيار الحل المرضى"** وهو اختيار على مستوى آخر من مستويات الوعى، وبالتالى فهو (المريض) فى هذا المستوى الأول غير مستعد أن يتنازل عن اختياره الحل المرضى بسهولة، فهو يقاوم كل الضمانات التى تغريه بالتغيير باعتبارها غير مضمونة، ومن ثم التمسك باللاتغيير هكذا.

مهمة المعالج هى استيعاب كل ذلك (مع المريض)، واختراقه، فتجاوزه.

'التغير الكاذب' وارد أيضا، وكثيرا، ونعنى به أن *نوع الوجود لايختلف، وحركية النمو لا تنطلق*، ولكن <u>يتغير الشكل من الظاهر فحسب</u>، ومثال ذلك

- أن يحل عرض (أخفى) محل عرض (أكثر إزعاجا)، (مثل: أن تحل اللامبالاة الدمثة محل الانفعال الطفلى الفج)
- أو تحل بصيرة مزيفة مرضية (أنا فعلا متحوصل حول ذاتى) محل إنكار ما هو كذلك (بالعكس: أنا أحب كل الناس)، ثم لا حراك فى الحالين.

كل هذا مجرد إحلال وإبدال وليس تغييرا

كثير من المرضى حين يمرون بهذا المأزق يصطنعون (لأنفسهم

وللمعالج وللآخرين) موقفا كأنه التغيير ذاته، ولكنه فى الحقيقة خدعة تكشفها ضعف المعاناة، وانتفاء الألم أو الخوف الذى يصاحب البصيرة الفاعلة الموضوعية، وقد يعلن ذلك بألفاظ رنانة، وفرحة تسكينية، وكأن ثم تغيير قد تم بفضل العلاج وحسن النية، لكن اختبار نوعية التحول تثبت أنه تغيير اللون الظاهرى كما ذكرنا، أو هو إعادة **نفس النص** للوصول إلى **نقطة نهاية هى هى نقطة البدا**ية.

فهى الدائرة المغلقة برغم كل صخب الحركة الخادعة.

مرة أخرى **"راحَ عدّى من شطى لشطى، هوا دا شرطى".**

يا ترى لماذا كل هذه المقاومة ؟

كل هذه الشروط، والمهارب والمناورات إنما تنبع من الخوف الأزلى من النقلة النوعية التى هى علامة التطور الحقيقية.

النقلة فى العلاج النفسى - وأثناء النمو- ليست بالضرورة قفزة فى الخلاء دون تدريب أو إعداد، لكن طالما أنها نوعية بالضرورة، فثم خوف يحيط بها، وثمة جسارة تحتاجها، مهما بلغ الإعداد والاستعداد.

- ثمَّ خوف بدئىّ يقال إنه موجود من صدمة الميلاد، منذ الخروج من الرحم إلى الناس.
- ثمَّ خوف من العودة إلى الرحم دون ناس (الموقف الشيزى)
- ثمَّ خوف من العلاقة بالآخر (الموضوع) باعتباره مصدر الخطر لأنه مصدر الاختلاف (الموقف البارنوى)

وحين نكبر أكبر، تتربص بنا مخاوف من مقدسات نسعى إليها حثيثا ونحن نخاف منها جدا:

- ثمَّ خوف من الحرية (إريك فروم) ، حتى لا ندرك مدى مسئوليتنا عن كل ما يصيبنا.
- ثمَّ خوف من الإيمان (أن نذوب فى الكون دون رجعة)

العلاج النفسى النمائى يضع ذلك كله فى الاعتبار، لا ينكره، ولا يخضع لشروطه أو مبالغاته، وهذا يحتاج من المعالج أن يمارس هو نفسه مواجهة مخاوفه الحقيقية ربما بنفس حجم مخاوف مريضه إن كان صادقا فى محاولة مواصلة نموه.

العلاج النفسى التسكينى أحيانا يكون دوره هو أن يبرر هذا الخوف، ويعترف به ويفسره دون أن يكسره، فيصبح ملطِّفا لحدته ، ومسكنا لإرعابه.

المتن

(4)

ولحد ما يهدَى الموج،

واشترى عوّامة واربطها على سارى الخوف،

يـالـلا نـقـول "لـيـهْ"؟

و"ازاىْ؟"

"كـان إمـتَى"؟

"يـا سَلاْمْ"!

"يْـبقَى انَـا مَظْلومْ".!!!!

شكر الله سعيك!!

قد يكون من باب احترام الواقع الموضوعى، وضبط الجرعة أن نرضى مرحليا بالعلاج التسكينى، فنسمح للعلاج النفسى أن يقوم بدور المرفأ الذى يلجأ إليه الخائف **حتى يهدأ موج التهديد بالغرق فى محيط المجهول،** بل قد نرضى أن نوظفه بوعى ليحقق ذلك...، (**واشترى عوامة واربطها على سارى الخوف**)

إذن فهو التأجيل! ليكن.

ولكن...: إلى متى؟

هذا هو فن التطبيب والعلاج.

الحاصل فى أغلب الأحوال (والحالات) أن يتوقف العلاج عند هذه المرحلة، ليصبح التأجيل المتكرر هو نهاية المطاف، يتم ذلك حين يستدرجنا الكلام إلى الفرحة بالتفسير والتبرير، والرضا بالشفقة (دون التعاطف والمواجدة) وبالدعم الظاهرى، **حتى يختفى الخوف، أو يقل، لكن فى نفس الوقت يتم تزيف الحركة أو تنغلق الدائرة.**

وسط هذا الإعصار من التهديد بالتغيير، بما يشمل من تضخيم - لا شعورى- فى مخاطر المغامرة به، تمر جلسات العلاج تلو الجلسات فى البحث عن الأسباب وكيفية حدوث ما حدث، خاصة فى فترة الطفولة!!!!، مع ما تيسر من علامات التعجب ومظاهر المشاركة،

يـالـلا نـقـول "لـيـهْ"؟

و"ازاىْ؟"،

"كـان إمـتَى"؟

"يـا سَلاْمْ"!)

.. وقد يتوقف العلاج عند هذه المرحلة، فيستمر تأجيل التغيير إلى أجل غير مسمى. (ليصبح هذا الأجل غاية الممكن الآن (مرة أخرى حركة نشطة، لكن فى المحل).

لا بد أن نعترف، أن هذه المرحلة (التى لم تعد مرحلة، بل نهاية للمطاف كما ذكرنا)، هى الغالبة فى كثير مما يسمى التحليل النفسى، بل والعلاج النفسى أحيانا،

لا بد أن نعترف أن هذا هو علاج نفسى حقيقى ومفيد، لكنه ليس ما نريد تقديمه هنا، ولا هو ما نأمل فيه لكل الحالات فى كل الظروف، إذ قد يترتب على التوقف عند هذه المرحلة كنهاية للمطاف ألا يخرج المريض إلا بمبرر لمرضه، حتى لو سمى تفسيرا أو تأويلا

" يبقى انا مظلوم، شكر الله سعيك".

هذا موقف تبريرى قح .. قد يقوم به العلاج النفسى تحت أوهام الشائع عن التحليل، (يمكن الرجوع إلى لعبة يوم الأحد الماضى: **"ياه دى طلعت صعبة بشاااكل....، ولكن...."**، وملاحظة كيف لعبها أكمل مع د. يحيى بوجه خاص).

يدعم هذا **الموقف التبريرى كهدف خفى للسعى للعلاج النفسى غلبة التركيز على "الأسباب"**، بما يرتبط جزئيا بما يسمى **الحتمية السببية**، دون الحتمية الغائية، وهذا عكس الغالب فى العلاج النفسى الجمعى مثلا حيث التركيز يكاد يكون مطلقا فى **"هنا والآن"**.

هذه النقطة بالذات لها أهمية خاصة فى **ثقافتنا الخاصة**، حيث يغلب عندنا لوم الآخرين بديلا عن النقد الذاتى، وكذلك نحن نميل إلى **تبرير الذى جرى بديلا عن الانطلاق منه**..إلخ

إن الانطلاق من أن المرض - حتى الجنون - هو اختيار بدا أنه الحل فى وقت ما - (ومهما ثبت فشله بعد ذلك) هو الذى يسمح لنا بالحوار على هذا المستوى الأعمق لإثبات أنه "ليس حلا" أصلا، ومن ثم فإنّ تقديم بديل آخر وهو اختيار الصحة من خلال العلاج هو وظيفة العلاج الأساسية.

صحيح أن على الطبيب أن يتلمس لمريضه العذر، لكن ليس لكى يتوقف عنده، وإنما لكى ينطلق منه فى ظروف أفضل هى إتاحة فرصة العلاج الحقيقى، بمعنى أنه إذا كان المرض قد حدث (حين اختاره المريض حلا) فى ظروف قاهرة وضاغطة فإن وظيفة العلاج هى أن يعرض اختيارا بديلا بعد استنهاض إيجابيات المريض، ولا مانع من التماس العذر للمريض بعض الوقت، لكن أن يكون هذا هو نهاية المطاف فهى الوقفة حتى الركود الساكن، ضد الحياة،

وأخيراً: نحن نعرف هذا التعبير الذى نقوله للمعزين شكرا لهم على مواساتهم لنا فى المأتم **"شكر الله سعيك".**

وهذا هو ما انتهى به المتن فى هذه الحالة.

وربما هو أقرب إلى العنوان القديم لهذه الحالة، الذى قد نعود إليه ، وهو **"الجنازة الأولى".**

الثلاثـــــــاء 21-07-2009

690- الفصل الأول: لعبة الكلام: الحالة الثانية (1 من 2)

أداب وشروط "استخدام المرضى للتدريب والبحث العلمى" (1)

طَـيـّبْ...! طَـيـّبْ !، واحدهْ واحدةّ.

أنا حاقْـلَـع اهُـــهْ:

أدى صورتى يا سيدى: شَـرْمـــطْـــها،

وادى قصّـــة حبْ،

وادى عقدة نقص، وكسرة قلب.

أهو كلّه كلامْ

مقدمة :

العلاقة بين المريض والطبيب هى من أكثر العلاقات حساسية ومسئولية،

المريض يطلب العلاج، والطبيب يمارس مهنته ليساعد مريضه على الشفاء، فأين الحساسية، وكيف المسئولية

لعل المتتبع لباب **"التدريب عن بعد"** الذى وصلت نشراته حتى الآن إلى **"56"** نشرة، قد لاحظ تلك التباديل والتوافيق التى تجرى بين المريض والمعالج، وكيف يلزم **"إعادة التعاقد"** بين الحين والحين، ثم كيف يمكن أن يختلف ما يجرى ظاهرا عن ما يتحقق داخليا، وكيف يستعمل المريض أحيانا العلاج لتحقيق اعتمادية سلبية ممتدة، أو للهرب من مواجهة موقف نمو مؤلم لاحَ ولم يكتَمِل، أو لتبرير انحراف ما يتصور أنه باعترافه لطبيبه قد أعفى نفسه من مسئولية عواقبه، وهكذا،

كما لاحظنا - أثناء الإشراف **"فى التدريب عن بعد"**- كيف أن الطبيب يمكن أن يُسقط على المريض بعض احتياجاته، أوميوله، أوجوعه العاطفى، أو منظزمة قيمه، وكيف أنه لو لم يلتفت ويراجع - **بكل مستويات الإشراف بدءا بالإشراف الذاتى** - ما يجرى فيه ومنه هو شخصيا أثناء العلاج وبسببه، فإنه يمكن أن يعوّق نفسه ويعوّق مريضه.

لاحظنا كل ذلك وتناولناه بالقدر الذى يسمح به الإشراف، ونشرنا منه ما تيسر.

فى ظروف خاصة، تضاف إلى هذه الصعوبات أبعاد أخرى، مثل تلك التى تحدث فى المؤسسات التعليمية، أو بغرض البحث العلمى، وهذا هو ما تتناول أحد وجوهه هذه النشرة اليوم بوجه خاص.

آداب المقابلات وحق المريض

بالنسبة للمؤسسات التعليمية، الجامعية خاصة، تقدم الخدمات بالمجان غالبا، لكن ثمَّ مقابل ضمنى، لا يعلـَن بشكل مباشر، وهو أن تتاح الفرصة للدارسين من الطلبة والأطباء أن يتعلموا من الشرح الإكلينيكى المباشر لحالة المريض علانية وجماعة، وفى حضور المريض. هذا أمر مشروع من حيث المبدأ، فهو متضمن عرفا وواقعا فى العقد المعلن باسم المستشفى "التعليمى"، أو "الجامعى" (فاسم وصفة المستشفى ليس سرا) ، لكن هذا لا ينفى أن يكون أمرا مؤلما ومحرجا، وعلينا أن نتناوله بمنتهى الأمانة والموضوعية، والأمر أصعب وأدق إذا تعرض المريض لإجراء ما يسمى "البحث العلمى"

لكى يقوم الأستاذ (أو المدرب أو الباحث) بمهمته هذه بمسئولية، واحترام ، أقدم بعض اللزوميات كما يلى:

أولا : <u>بالنسبة للتدريب المباشر مع مدرب</u> (أستاذ عادة) أكبر

• على المسئول أن يبدأ على قدر ما يَقْدِرُ بتقمص المريض فى هذا الموقف - وذلك بأى درجة من الصدق بشكل مباشر أو غير مباشر - فيتصور نفسه هو، أو أحد أعزائه (ابنه، زوجته، ابنته...إلخ) وهو فى موقع المريض، ويسأل نفسه: هل يقبل هذا الموقف أو يرفضه؟

• فإذا قبله طواعية، أو اضطرارا (حسب شطارة اطلاعه على داخله) مثل المريض فى هذه الأحوال، فعليه أن يكتشف أنه - وهو فى موقف المريض- قد يحكم على الطبيب، وعلى ما يفعله، وكذلك على الحضور، مثلما يحكم عليه المريض سواء بسواء، سواء حدث ذلك شعوريا أو لا شعوريا، **ومتن** هذه اللوحة التشكيلية اليوم **هو من وجهة نظر مريض شجاع قوى ساخر**

• ينبغى أن يكون المريض على علم تام بأن هذا الاحتمال وارد، (عرض حالته على متدربين) وانه متضمَّن جزئيا فى التعاقد المبدئى، وبديهى أنه يستحسن ألا يكون ذلك شرطا أساسيا لقبوله للعلاج، ولكنه بند إضافى مهم على أية حال، وهو بشكل غير مباشر -كما ذكرنا- يكاد يكون المقابل الذى يدفعه المريض مقابل علاجه مجانا، أو الإشراف على علاجه من أطباء أكبر، وليس "شرطا لعلاجه" على أية حال. (المقابل غير الشرط بداهة)

• ينبغى أن يتم إعداد المريض لذلك قبل المقابلة الإكلينيكة التدريبية بشكل واضح محدد وتفصيلى ما أمكن ذلك، فيعرف مسبقا من سيقابل، مثلا: اسم المدرب الأكبر، ومن سوف يكون حاضرا، وبأية صفة، وموعد المقابلة، ولمدة كم من الوقت،...إلخ

• ينبغى أن يكون الهدف من المقابلة معلنا، وعادة ما نشرح للمريض - أيا كان تشخيصه أو خطورة حالته - أن الهدف هو تدريبى فى المقام الأول (التعليم)، وأن هذا لا يعنى أن ذلك سوف يتم على حسابه، بل هو فى نهاية النهاية لحسابه، لأن حالته سوف تدرس من خلال هذا اللقاء بشكل أعمق، وأكثر تفصيلا، ومن المتوقع أن يؤدى ذلك -غالبا- إلى تخطيط علاجى أفضل

• ينبغى أن يُخطر المريض أن النتيجة الإيجابية التى يمكن أن يخرج بها هو والمشاركون فى هذا الاجتماع التدريبى لن تقتصر على حالته، يتم ذلك باتفاق صريح وليس ضمنيا، وباحترام حقيقى وليس مفتعلا، فنحن نقول له بالنص فى بداية المقابلة: **"فى الأغلب اللى حانوصل له مع بعض حاينفعك إنت واللى زيك"** (والأرجح - بصراحة- أن كل ذلك يتحقق فى أغلب الحالات على مختلف المستويات). ويستحسن أن تكون هذه النقطة واضحة بدرجة **توصل له فضله فى المشاركة** فى نفع الأطباء المتدربين، فيتحسنون، فيقدمون خدمات أفضل فأتقن لسائر المرضى وله، وأيضا هومشارك فى الفضل فى احتمال نفع المرضى الذين قد يستفيدون من الإنارة العلمية التى وصلت إلينا من فحص حالته بهذا العمق، وعادة ما نشكر المريض - صراحة - على فضله وتفضله بهذا وذاك.

- ينبغى أن يبلغ المريض صراحة أن من حقه ألا يرد على أى سؤال أو استفسار يرى أنه لا يريد أن يعرضه أمام "جماعة لا يعرفهم" علانية.

- ينبغى (أو على الأقل يستحسن فى هذه المرحلة) أن يتم الشرح والمناقشات أثناء حضور المريض **باللغة التى يفهمها ، اللغة العربية**، ويا حبذا باللهجة المحلية، وأن يوضح له، خاصة إذا طلب، أى مصطلح علمى مستعمل أثناء المناقشات

- ينبغى أن **يُستأذن المريض فى تسجيل حالته بالصوت أو بالصورة** إذا كان ذلك ضمن البرنامج التدريبى لأسباب تعليمية لاحقة، أو لبحث علمى، ويخطر المريض بذلك بشكل مباشر- وتوضع الكاميرات فى موضع ظاهر حتى يتذكر طول الوقت أن هذا جار، وله الحق أن يعترض فى أى وقت ويوقف التسجيل، علما بأنه يُخطر أن هذا التسجيل لن يستعمل لأى هدف إعلامى عام، وإنما هدفه محدد بأغراض العلم والتعليم بشكل استبعادى لأى غرض آخر. (هذا ما سجلناه ونشرناه نصا فى أول كل حوار ونحن نعرض أطرافا من المقابلة فى باب **"حالات وأحوال"** فى هذه النشرات)

- لا ينبغى إخفاء الكاميرات ولا المشاهدين (غير المشاركين) من خارج التدريب، كما فى حالة جلسات العلاج الجمعى، وقد بينا ذلك صراحة فى النشرات التى عرضت لبعض الألعاب العلاجية التى جرت فى العلاج الجمعى، كما فسرنا فائدة حضور الدائرة الأوسع للتدريب، والإعداد للتدريب، التى تتحلق حول دائرة المجموعة العلاجية ظاهرة لكل الحاضرين، وتشارك فى المناقشة بعد انتهاء الجلسة،

بصراحة أنا فضلت خلال أكثر من ثلاثين عاما أن يكون مثل هذا الحضور علانية هكذا (عينى عينك)، حتى نطمئن إلى موافقة المريض طول الوقت، ذلك لأن البديل هو أن تنقل الجلسة بدائرة تليفزيونية للمشاهدين (وقد حضرت بعض ذلك فى باريس مع البروفيسور ديادكين، والبروفيسور ليبوفسكي) وتوضع الشاشات العارضة فى مكان آخر لا يعلمه المريض، أو أن يجلس المشاهدون خلف زجاج لا يسمح بالرؤية إلا من ناحية واحدة، (one way screen) وقد وجدت أن هذا وذاك فيه خدعة جزئية للمريض حتى لو أخذنا موافقته المبدئية،ونجحت مبادرتنا أكثر وأصدق، وحتى الآن. ثم إننى اعتدت أثناء الجلسة أن أتعمد الإشارة لهؤلاء الحضور وما يمثلونه لنا، وما نمثله لهم، وكأن من حقنا أن نتفرج عليهم، إذا هم كانوا يتفرجون علينا، وكثيرا ما أفاد ذلك فى مقارنة المجتمع الخارجى (العادى) بمجتمع المجموعة العلاجية، يجرى مثل ذلك فيما بين أفراد المجموعة دون السماح لأى من المشاهدين بأى نوع من المداخلات أثناء العلاج، لكن من حقهم أن يشاركوا فى المناقشة بعد نهاية كل جلسة.

وبعد

لا تمنع كل هذه التحفظات من أن يشعر بعض المرضى بالحرج، حتى ولو وافقوا احتراما وتعاونا، الأمر الذى تتيحه أعراف ثقافتنا الطيبة غالبا، هذا الحرج لا يُعلن من قبل المريض باستمرار، وعلى الطبيب أن يتقمص مريضه مجددا، ليشجعه على إعلان حرجه، أو سحب موافقته، أو على الأقل ليشعره أنه ممتن لموافقته، وأنه سمدين له بشكل أو بآخر مقابل هذه الموافقة (مدين له بالعلاج أساسا، وبما يخرج به من هذا اللقاء لصالحه، ولصالح من هو فى مثل حالته)، أغلب مرضانا والحمد لله يتفهمون كل ذلك بدرجة مطمئنة.

ثانيا : بالنسبة للتعلم واكتساب الخبرة (وبالذات للأصغر وهو يكبر)

هناك بعد آخر أقل وضوحا من بعد "التعليم"، وهو بعد "التعلّم" ، فالطبيب، خاصة فى بداية ممارسته المهنة، يتعلم من مرضاه، بشكل مباشر، وغير مباشر، يتعلم من نجاحه، كما يتعلم من فشله، وهذه العملية تجرى بشكل تلقائى طول الوقت وحتى نهاية العمر، ومع ذلك فإن مجرد شعور المريض أن طبيبه يتعلم من خلال علاقته العلاجية به، يمكن أن يمثل قلقا موضوعيا ما، وهذا أمر لا يمكن تجنبه لأنه يستحيل أن تنضج خبرة الأصغر، أو حتى أن ينضج الأصغر نفسه ليصبح أقدر فأقدر، إلا من خلال الممارسة

هذا أمر لا يحله، أو قل: لا يخفف من مضاعفاته، إلا **مستويات الإشراف المتعددة** التى عرضناها سالفا (نشرة 1-2-2009)، بما فى ذلك ما أسميناه **"إشراف المريض"** و**"إشراف النتائج"**، ولذلك يستحسن أن يطمئن المريض ولو بشكل غير مباشر على أن ثم إشرافا جاريا طول الوقت، حين يرى المريض الجارى ببصيرته فيعقب على أداء الطبيب بشكل موضوعى يفيدهما معا، فيتقبل الطبيب ذلك، وأيضا حين يتجاوز نمو المريض مرحلة نمو الطبيب فيكتشف الطبيب ذلك بأمانة ، فيضطرد نموه، أضف إلى ذلك **"إشراف النتائج"**، وبالذات إذا كان الحكم على النتائج ليس بمجرد اختفاء الأعراض.

فضلتُ فى حالتنا الآن ألا أكتفى بإحالة القارىء إلى (نشرة 1-2-2009) وأن أقتطف نص ما جاء فى **"إشراف المريض"** و**"إشراف النتائج"** هنا كالتالى:

1- إشراف المريض Patient's Supervision

ذكرت فيما سبق من نشرات حادثتين مرا بى مع مريضين استفدت منهما بشكل جعلنى أكرر تذكرهما، فذكرهما، كلما أتيحت الفرصة لذلك:

الحادثة الأولى: هى ما قاله لى مريض أثناء محاولاتى دفعه على مسار خطوات نموه بما فى ذلك من مآزق وصعوبات تبدو أحيانا شبه مستحيلة، قال لى هذا المريض: " *هو انت عايزنا نحقق حتى لنفسنا اللى انت ما قدرتش تحققه ينفسك* (أو لنفسك - لا أذكر، وربما قالها مرة لنفسك ومرة بنفسك) ؟"

الحادثة الثانية : هى ما قاله لى مريض آخر من أننى لا أصلح لعلاجه، لأن رؤيتى - الناتجة من طول ممارستى غالبا - قد جعلت مساحة وعيى تتسع حتى تحتوى مساحة وعيه (وعى المريض) فهو - على حد قوله- لا يملك إزاء ذلك أن يتحرك معى إلا داخل دائرة وعيى التى تحيط بوعيه تماما، وهذا يعوق نموه كما يعوق حركية علاجه، وطلب منى هذا المريض أن أحوله لطبيب أصغر تسمح دائرة وعيه أن تتداخل مع دائرة وعى المريض، فتتحرك الدائرتان تقاربا وابتعادا بما يفيد الاثنين"

.....

إشراف آخر يتم من جانب المريض، وإن لم يكن يصلح معه استعمال كلمة إشراف هكذا: حين يتجاوز نمو المريض درجة نمو الطبيب، وهذا وارد ، ..... ، ومع افتراض مرونة الطبيب واستعداده للتعلم بشكل مباشر أو غير مباشر، يحفز نمو مثل هذا المريض الذى تجاوز مرحلة نمو طبيبه، يحفز المريضُ الطبيبَ أن يلحق به، وقد يتجاوزه الطبيب بدوره معه، أو مع مريض آخر، ويضطرد التواصل والتجاوز مع مريض ثالث وهكذا. قلت إن هذا ليس إشرافا مباشرا، لكنه ناتج إشراف ضمنى بشكل أو بآخر.

2- إشراف النتائج Results Supervision

يتم هذا النوع من الإشراف من خلال كل أنواع الإشراف الأخرى بشكل أو بآخر، ذلك أن نتيجة العلاج، المقيمة نوعيا بمحكات موضوعية، ليست مجرد اختفاء الأعراض، سواء كانت هذه النتائج هى نتائج تحقيق الأهداف المتوسطة السلوكية الواقعية المتفق عليها عادة أولا بأول، أو كانت النتائج القصوى غير محددة المعالم تماما، والتى ترتبط أساسا بإطلاق حركية النمو، واستعادة تنشيط الحياة بطزاجة واقية.

قصدت بهذا المقتطف أن أبرر تقمصى لمريض ما وأنا أكتب هذه القصيدة، حتى نحترم رؤيته مهما بلغت قسوتها (يومية باكر: الأربعا).

ثالثا: بالنسبة للبحث العلمى

من حيث المبدأ، وفى كل التخصصات، تعتبر إشكالة إجراء الأبحاث العلمية على المرضى فى أى تخصص إشكالة شديدة التعقيد، إذْ لا ينبغى تحت أى ظرف أن يكون الإنسان سليما أو مريضا مجالا للتجريب أصلا،

لكن أغلب ما يطلق عليه صفة البحث العلمى هو تجريب أساسا فما العمل؟

هناك قواعد تبدو منضبطة ومحكمة للتجريب بالنسبة للعقاقير الجديدة مثلا،(مع أنها ليست كذلك تماما) حيث تبدأ التجريب بعيدا عن الأحياء in vitro ثم بالتجريب على الحيوانات، ثم بالتجريب فى متطوعين يعرفون كل الشروط، وكل المخاطر وكل الفوائد المحتملة،

وبرغم أن هذا وارد ضمنا فى تجريب العقاقير الجديدة فى الأمراض النفسية أيضا، إلا أن مجال الطب النفسى هو من أكثر المجالات التى جرى فيها التشويه، والتزييف، وغسيل المخ، والدعاية الكاذبة، والرشاوى الظاهرة والخفية، برغم كل المزاعم ضد كل هذا.

لن أتناول هذه القضية هنا بالتفصيل فقد عرجت إليها مرارا وتكرار، لكننى سوف أشير إلى ما يخص البحث العلمى فى حالة العلاج النفسى مؤجلا الآن الحديث عن البحث العلمى والعقاقير فى مجال الأمراض النفسية خاصة.

بعض ما يتميز به البحث فى العلاج النفسى

أولاً: معظم الابحاث التى تجرى فى مجال العلاج النفسى هى أبحاث **"وصفية خبراتية"** لا تجريبية مُقْحَمَة.

ثانياً: أهم ما يشترط فى هذه الأبحاث هو **أمانة التسجيل مع العناية بكل التفاصيل** (بالشروط السالف ذكرها)

ثالثاً: يبدأ البحث العلمى هنا، مثل أى بحث آخر **بفرض علمى** قابل للاثبات أو النقض، لكن **كثيرا ما ينبع الفرض أثناء المقابلة** وبالذات أثناء التشكيل الوصفى المبدئى للتركيبة الإمراضية للحالة Psychopathological Formulation

رابعاً: يتم **اختبار مبدئى لهذا الفرض الأساسى** بالتفسير المناسب الذى يتفق أو يختلف مع الفرض.

خامساً: يتم **تعديل الفرض بالمناقشة والتطبيق** الآنى من خلال ربط المعلومات من المصادر المختلفة وبالأدوات المختلفة (المقابلة الإكلينيكية -القياسات النفسية- المعلومات المضافة من مصادر مختلفة ..إلخ)

سادساً: قد يولد هذا الفرض الأساسى **فروضا فرعية** أو يحل محله **فرض بديل.**

سابعاً: يتم تحقيق هذا الفرض بالمتابعة المسجلة أيضا ويتم تحويره أو ابداله أو التفريغ منه أولا بأول .

من كل ذلك يمكن أن نلاحظ أن كل هذه الإجراءات البحثية لا تؤثر أدنى تأثير على مسار المرض، أو فرص العلاج، إذ إنها لا تشمل إدخال عامل مفتعل على المريض تحاول أن نرى أثره، فالمقابلة هى المقابلة، والشروط هى الشروط، والوصف لا يخرج عن تسجيل الجارى، أما تحيل المحتوى والتفسير والتأويل والمناقشة العلمية فتأتى لاحقا،

وبرغم أن هذه الأبحاث الوصفية التتبعية تبدو من أسلم وأشرف أنواع الأبحاث فى كل فروع الطب حيث يتم فيها البحث العلمى دون أى تدخل مفتعل، إلا أن علينا أن نخطر المريض بوضوح أن هذا وارد، دون أى مساس بسرية حالته من أول تجنب ذكر اسمه حتى وظيفته حتى محل إقامته (كما لاحظنا فى باب **"حالات وأحوال"** فى هذه النشرة وكذلك فى باب **"الإشراف عن بعد"**)

أما الأبحاث التى يدخل فيها تقييم فاعلية العقاقير علما بأن أغلب حالات العلاج النفسى لدينا، تتعاطى العقاقير، وخاصة حالات الذهان، أقول: أما تعميم وشروط إدخال هذه الجزئية (العقاقير) فى الأبحاث فى العلاج النفسى مهما كانت وصفية فتسرى عليها ما يسرى على الأبحاث العلمية بشأن العقاقير فى أى مجال، مع صعوبة متزايدة فى حالة الأمراض النفسية لأسباب لا مجال لذكرها هنا الآن، فهى مسألة تحتاج إلى شرح تفصيلى بعد ما لحقها من تشويه وتزييف بسبب التدخلات التجارية والاستهلاكية شبه العلمية لمؤسسات الأدوية العملاقة.

ولهذا حديث آخر.

وبعد

فقد طالت بنا المقدمة النظرية،

ولأهميتها ، نرجىء ، **الشرح على المتن** إلى الغد لنفس الحالة الثانية هذه تحت اسم: **"أنا قالع ملط، لكنى مش عريان!"**

الإربعـــــاء 22-07-2009

691 - الفصل الأول: لعبة الكلام: الحالة الثانية (2 من 2)

أنا قالع ملط، لكنى مش عريان!

طَيّبْ...! طَيّبْ !، واحدهْ واحدةْ.

أنا حاقْلَع اهُـــهْ:

أدى صورتى يا سيدى: شَرْمَـــطْـــهْا،

وادى قصّـــة حبْ،

وادى عقدة نقص، وكسرة قلب.

أهو كلّه كلامْ

مستويات الوعى بين التفريغ والتعليل

قلنا من البداية أن العلاج النفسى ليس هو العلاج بالكلام، وإن كان الكلام من أهم وسائله. فى هذه النشرة اليوم سوف نتناول تقييم مستوى ومحتوى الكلام، وخاصة ما شاع عن العلاج النفسى، بل وبالذات عن التحليل النفسى. هذه الإشكالة شارك في إثارتها ما شاع عن التحليل النفسى بوجه خاص، وهى تتعلق **باختزال العلاج النفسى** إلى:

(1) التريح

(2) التفريغ

(3) التركيز على البحث عن السبب وخصوصا فى الطفولة،

وقد تناولنا هذه النقط الثلاثة بالنقد التفصيلى فى مواقع أخرى (أقربها حين رفضنا حكاية "إذا عرف السبب بطل العجب" ،حتى وصل النقد إلى الزعم بأنه "إذا عرف السبب زاد العجب)،

المتن هنا هو على لسان مريض بلغت بصيرته الناقدة عمقا قاسيا وهو يعلنها هكذا :

- **إن هناك احتمالا أن كل (أو أغلب) ما يحكيه المريض ليس إلا القشرة الظاهرة لما يعيشه أو يعانيه أو يتذكره،**
- **وأن هذا المريض (الذى يأتى المتن على لسانه) هو المريض الساخر الكاشف المخترق - مثل كثير من المرضى - قد يحجب، بإرادة ما، ليست بالضرورة واعية، حقيقة داخل داخله،**
- **وأنه "بصراحة" ، فى مستوى ما من وجوده، لا يستأمِن طبيبه عليها، (هذا إذا وصل هو إلى معرفتها أصلا).**

معنى ذلك أن **الكلام الظاهر** قد يكون أبعد ما يكون :

- عن الكلام الكامن،
- ثم عن التركيب الغائر،
- ثم عن الحقيقة.

وسواء كان المريض يعرف أنه لا يكشف عن "كل طبقات ذاته"، أولا يعرف، فإنه فى كثير من الأحيان، يكون كل (أو أغلب) ما يحكيه ليس إلا

- تصوره عن أسباب مرضه،
- أو العوامل الظاهرة التى أدت لظهوره،
- أو التى هيأت لظهوره،

على الطبيب إذن ألا يستدرج للاستلام لهذه القشرة الكلامية، التى تكون فى كثير من الأحيان **تبريرية** أكثر منها **تعليلية**،

فقد يثبت أنه ليس المهم هو أن المريض حرم من الحنان أو أنكر الاعتراف بوجوده فى طفولته، بقدر ما هو مهم النظر فى التركيب الذى ألت إليه مجوع ذواته ومستويات وعيه، وهى ما يمثله هذا **الكيان الإنسانى الفرد الماثل "الآن" للعلاج،**

هذا التركيب الحالى هو الذى يحتاج إلى إعادة تشكيل، فضلا عن أنه المتاح لذلك،

أما سبب المرض، (خصوصا أن أغلب الأسباب قد حدثت فى الماضى اللهم إلا الاضطرابات التفاعلية والموقفية الصرف)، فهو جزء من الماضى غالبا، وبما أننا لا نستطيع عادة تعديل الماضى، وكل ما نملك إزاءه هو **تذكره**، أو تذكر بعضه، أو حتى **تذكر ما أخفاه عنا دونه** (أخفى الماضى بظاهر ما يقال كما يشير النص:

أدى صورتى يا سيدى،....، شَرْ مـــــطْـــها،

وادى قصّـــة حبْ، وعقدة نقص، وكسرة قلب.

لابد - إذن- من تحجيم هذه الشائعة البالغة الشهرة، الجسيمة الخطأ فالإضرار التى تقول: إن العالج هو **"كلام وتفريغ"**

::::::::::

واضح من سخرية بصيرة المريض (المتن) أن تركيز الطبيب (المعالج) على محتوى ما يقوله المريض، وظاهر ما يحكى، إنما يبعد الطبيب عن صلب القضية

المريض هنا يقولها تنبيها ساخرا: **"أهو كله كلام !!"**

ثم هو يـُلحق ذلك فورا بإيجاز رأيه، وإعلان أن مثل **هذا الطبيب الذى استدرجَ إلى هذه المنطقة التبريرية التفسيرية التعليلة، هو أبعد ما يكون عن حقيقة أعماق مريضه وطبيعة تشكيله:**

عودة إلى المتن:

أنا قالع مَلـــْط،

لكنى مش عريان.

هوّا انا مهبول؟

أدّيك نفسى لحمة طرية؟

على إيه؟

لو أننا تعمقنا الموقف كما تدعونا بصيرة هذا المريض الساخرة هكذا، إذن لرأينا أن التفاصيل السطحية التى قد تملأ جلسات التحليل النفسى ليست إلا مظاهر جزئية لمشكلة الوجود الأعمق، فقد تكون إعلانا للوحدة القاسية البشعة التى اكتشفها المريض بلا حل، وعلى لسان هذا الجزء تصبح صورة المريض التى فى متناول العلاج **ليست هى حقيقته وإنما غطاؤه،**

المريض هنا هو الذى يتفرج - من داخل داخله - على المعالج وهو يحاول أن يفسر ويؤوّل، أو حتى وهو (المعالج) يحاول أن يعيد تشكيل تركيب مريضه وذاته، من هذه المعلومات المتاحة بلا عمق أو جدوى، (لأنها ليست هى)

الطبيب على هذا المستوى السطحى لا يستطيع أن يمارس التشكيل النقدى العلاجى الذى يمكنه من أن يصيغ منه "الفرض" الأصلح.

هذا الموقف الساخر يعرفه بعض الذهانيين خاصة سواء المرضى منهم أم ذوى الرؤية الذهانية بعد أو قبيل المرض، وهم أحيانا يمارسونه بوعى جزئى على الأقل، ومن موقف السخرية هذا قد تطفو قصص الشعور بالذنب، وعقد النقص والفشل فى الحب....إلخ

المتن ينبهنا إلى أن كثيرا من هذه الحكاوى قد لا تكون إلا مجرد تفريغ كلامى، قد يخفف الضغط عن الجزء الأعلى من الشخصية ولكنه لا يغوص إلى جوهر مشكلة الوجود.

تحذير من التعميم

لا يمكن تعميم هذا الموقف بلا تمييز، إذ عادة ما ينشأ هذا الموقف ويحتد حين يشك المريض فى قدرة المعالج على استيعابه، أو فى جدية المعالج فى مواكبته، أو حين يستشعر المريض انفصال المعالج على مسافة منه، إلى موقف أشبه بالفرجة، أو حتى الشفقة، دون مشاركة فعلية أو مواجدة.

أحيانا فى موقف التعليم، يكون سؤال الطبيب الكبير (الأستاذ مثلا) للمريض **"بتحس بإيه"،** هو بغرض الشرح فى موقف التدريب، حتى يعلّم المتدرب كيف يسمّى مثل هذه المشاعر باسم عرض معين، أو لكى يصل فى النهاية إلى اسم مرض معين، فيكتمل الدرس،

قد يلتقط المريض هذا الموقف بحدسه، أو بذكائه، أو بكليهما فيصبح الموقف أكثر إيلاما له، وينطلق حكمه على ما يجرى أكثر سخرية وقسوة كما سيأتى فى المتن حالا:

- ثم إنه كثيرا ما يصعب على المريض أن يصف ما يشعر به (يحس بيه)،
- أو قد يكون ما يعيشه ويعايشه من مشاعر ووجدان أكثر إيلاما وعمقا من أن يُعلن أصلا،

Ü وأحيانا يكون المريض أكثر استهانة بجدوى أن يقول لمعالج بهذا البعد حقيقة ما يحس به

تبينت أبعاد هذا الموقف وكيف يصل إلى المرضى من خلال حماس زملائى المبتدئين المتدربين معى أثناء العلاج الجمعى خاصة وأورد بعض ذلك فيما يلى:

يدعو أحد المتدربين المريض فى موقف معين أن **"يحس** بمشاعر معينة" (الخوف مثلا) بدلا من أن يحكى عنها، أو أن "يشعر بالتعاطف" مع زميل آخر يكون قد تعرى أوتألم أو أعلن ضعفه أو احتياجه فى بعض مقاطع التفاعل فى المجموعة، كنت ساعتها انظر للزميل المتدرب وهو يصر على أن المريض إن لم يكشف عن مشاعره لحظتها بدرجة مناسبة، أو إن لم يشارك زميله بالعمق الكافى، فهو**"لا يحس"**، لدرجة اتهامه أحيانا بالبلادة، كنت أنظر إليه بما معناه "وأنت، هل لاحظت تعاطفك؟ مع من؟ وإلى أى درجة؟ وكيف يمكنك أن تظهره"، وقد يتمادى المتدرب (أو المعالج المنفصل) فى تحفيز المريض **"أن يحس"** بالجارى، أو بما به، ضاربا بنفسه - دون بصيرة كافية- القدوة، فقد يقول للمريض بشكل مباشر أو غير مباشر: **"حس زى ما انا باحس"**،

وهنا يحضرنى مثل مصرى عامى مهم يقول على لسان من يُجلد عددا معينا من الجلدات **"اللى بينجلد غير اللى بيعد"**،

ومثل آخر أقل انطباقا لكنه أكثر شيوعا يقول **"إللى إيده فى المية غير اللى إيده فى النار"**،

وأغنية أقل فأقل وهى التى تقول **"عوّام ياللى على شط الهوا عوّام"**،

كل ذلك يشير إلى إحاطة الوعى الشعبى بحقيقة أن النصح، والحفز، والتوجيه لمن لا يعيش التجربة بحقيقة أبعادها، أى لمن يرصدها من على مسافة، هو بلا جدوى من ناحية، وأيضا هو يشعر المريض ببعد المعالج عنه من ناحية أخرى.

أحيانا يطلب الطبيب الأصغر من المريض أن يوقظ إحساسه ليخترق اللامبالاة التى تورط فيها هربا من آلامه، والمتدرب لايدرى حجم عبء ما يطلبه من المريض ولا خطورته فكأنه يطلب تفجير ذرة كامنة وقد أحيطت بجدار اللمبالاة الواقى،

هذا ليس اتهاما للمعالج الأصغر بل هو تنبيه ضمنى على مسار التدريب. وهو تنبيه مهم حتى لا يتصور المعالج المبتدئ، والمعالج عموما، أنه هو صاحب الإحساس الحى النقى، وأن المريض هو وحده فاقد الإحساس وأن عليه (على المريض) أن يتشبه به وبتفاعله حتى يكون سويا حاضرا.

فشتان بين إحساس إنسان اختبأت مشاعره رعبا،

وبين إحساس شاب فى أول طريقه وهو يكتشف طبقات مشاعره مع اكتشاف طبقات وعيه تدريجيا دون تهديد بالتفسخ أو المواجهة.

المتن هنا ينبهنا إلى أن مثل هذا المريض، خاصة إذا كان ذهانى بصيرى، يعلمنا ساخرا أن المريض لن يكشف داخل داخله إلا لمن يثق فيه بالقدر الذى يسمح له بمثل هذا الكشف، أو أقل.

الخلاصة :

كل هذا يشير فى نهاية النهاية، وبرغم قسوة سخرية المتن،

- أن الثقة بين مثل هذا المريض وبين الطبيب أو المعالج، هى المعبر الوحيد الذى يسمح بالتواصل فالكشف
- وأن وراء **كل ظاهر** ما هو **أهم وأعمق**
- وألا نقيس مشاعر مرضانا بمشاعرنا، أو بتصورنا عن مشاعرنا

بقية المتن حتى النهاية

(2)

أنا قالع مَلـــْط،

لكنى مش عريان.

هوّا انا مهبول؟

أدّيك نفسى لحمة طرية؟

على إيه؟ !!!

الناس الشرفا فى الغابة أنبل منكم.

ياكـْلـُوها علناً بشجاعة من غير تبرير.

ولا ييجى واحد منهم بيه،

يسأل بالعلم المتمكّن: **بـِتْـجِس بإيه"؟**

ويقلّـــــب سيخى،

ويقول لِى جِـــسْ:

بالنار من تحتكْ.

كما إنى باجِسْ:

بحلاوة ريحتـــكْ.

الحالة دى صعبة ومهمّة،

تنفع للدرس.

تعبير "الحالة دى تنفع للدرس" هو تعبير مؤلم متواتر فى المؤسسات التعليمية، وبرغم أنه حقيقة مقبولة ومشروعة (نشرة أمس)، إلا أن وصوله للمريض بهذه الصورة الفجة، ولو بطريق غير مباشر، هو الذى مثله المتن وقد صاح فينا هذا المريض الساخر،

أن آلامه ليس كمثلها ألم،

وأنه كمن ينشوى بنارها،

ونحن الذين ندرس أو ندرّس، لا تصلنا إلا كمن يشم العابر رائحة الشواء تتصاعد مما تقلبه النار !!

أظن أنه لو صار هذا البيت المرعب بين الناس مثلا عاميا جديدا لانتبهنا أكثر، وراعينا أكثر

مرة أخرى:

ويقول لى حس، بالنار من تحتك،

كما إنى باحس بحلاوة ريحتك"

الثلاثـــــــاء 28-07-2009

697 –الحق فى الانسحاب (الرجوع): الحنين إلى "ركنك الخاص" (1من 2)

الحلقة (16) من وحى الحالة الثالثة

الركن بتاعى متحضّر!!!!،

هذا هو أول بيت فى هذه القصيدة، (هذه الحالة)

دع ما سوف يلى بعد ذلك الآن من مظاهر وتجليات وسلبيات الانسحاب من أى علاقة،

ولو حتى العلاقة العلاجية، والذى يبدأ بـــ :

"حارجعله واسيبْكم، ساعتْ أحسّبْكم"،

دع ذلك جانبا الآن، ودعنا نتساءل:

هل هناك أى منا ليس عنده هذا الحنين إلى العودة إلى هذا الركن الغائر فى

تركيبه البشرى العادى؟؟ وهو هو الذى يسقطه أحيانا إلى خارجه فى صورة

السعى إلى اللجوء

إلى موقع سرى خاص،

إلى دفء غامض خاص،

إلى سكون واعد خاص،

إلى وحدة مختارة خاصة،

إلى صمت مُفْعمٍ خاص،

(خطر ببالى خاطر لست متأكدا من وجاهته يقول: إن بعض المنقبات، خاصة اللائى يصلين أحيانا، يمارسون التنقب كنوع من اللجوء إلى ركنهم الخاص، "واللى عاجبه!!" ما رأيك؟ لست متأكدا !)

هذه الخواطر كانت بداية هذه الحلقة التى سوف تقلب هذا العمل كله (كما تلاحظ فى تغيير العنوان) من **"شرح على المتن"**، إلى استلهام من المتن، بعنوان **"من وحى.. المتن"** (كما تلاحظ أيضا من تغيير العنوان)

بصراحة، دعانى هذا التغيير المهم إلى إعادة النظر فى عنوان الجزء الأول من هذا الكتاب "دراسة فى علم السيكوباثولوجى"، والذى صدر منذ ثلاثين عاما، يا ترى : هل كان هو حقا شرحا على المتن، أم أنه كان استلهاما من المتن، غالبا كان استلهاما أكثر منه شرحا، (وقد أغير العنوان فى الطبعة التالية) ، وإن كان المتن (ديوان سر اللعبة) قد أدى وظيفة أخرى، وهى إلزام الكاتب بحدود معينة منعت تداعياته واستطراداته التى لا تتوقف،

الأمر يختلف فى حالتنا هنا نوعا ما، حيث المتن يتصل بعرض شعر بالعامية أثارته خبرة من واقع معايشة شخص ما، مريضا كان أم سويا، وبالتالى يصبح الشرح تشريح قبيح لتشكيل شعرى هو صورة لا يجوز تشريحها (لعل هذا بعض ما حدث فى الحلقات السابقة، وسوف أراجعها قبل النشر الورقى غالبا)

بعد هذه الإفاقة التى أرجو ألا تكون قد تأخرت كثيرا، أرى أن الأمر لا بد أن يختلف:

وقد اختلف فعلاً كما يلى بدءا بـــ :

تغيير العنوان، من "شرح على المتن" إلى "من وحى المتن"

ثم أن النص المستلهم يسبق المتن،

وقد يخالفه،

وقد يشرح عكس ما يرد فى التشكيل الشعرى تحديدا ، (مثل ما هو الحال فى هذه الحلقة بالذات)

ثم أن الاستطراد مسموح ، بل مطلوب

مثلا : **يحكى المتن** هنا عن سلبية الانجذاب إلى الركن الخاص بدرجة لحوح، ومعادة، ومتعلقة بتجنب واضح وحاسم للوعى بأى علاقة بالآخر، خوفا، وعزلة، أو حتى مرضا، ثم إنه يرسم التشكيل الشعرى بما ينبه إلى احتمال استخدام ما يسمى العلاج النفسى لتأكيد هذه الآلية الانسحابية المتكررة فى مواجهة تكوين علاقة إنسانية حقيقية، بما فى ذلك العلاقة العلاجية

استلهمتُ من كل هذا عكسه: بمعنى أن هذا المتن نبهنى إلى ما قدمته حالا، من أن:

من حق أى منا أن يحترم نزوعه أحيانا إلى العودة إلى ركنه الخاص، بعض الوقت.

هل هى مسألة شخصية أم نموذج محتمل لظاهرة بشرية أساسية؟

استدرجتنى هذه الحلقة إلى النظر فى هذه الظاهرة التى قد تبدو أساسية فى التركيب البشرى، هذه الظاهرة أنا عايشتها، وأعايشها شخصيا بشكل لحوح، وأذكر أننى تناولتها فى كثير من أعمالى، خاصة الشعرية، و عبر ما تيسر من حكى عن السيرة الذاتية، (عبر أدب الرحلات أساسا فى ترحالاتى الثلاثة)، **ولم أكن أتصور أنها جوهرية إلى هذه الدرجة، لا فى وجودى، ولا بصفة عامة:**

ذلك أننى **كنت، وما زلت، أشعر بحنين ملح طول الوقت تقريبا إلى العودة** (وليس بالضرورة إلى الانسحاب) إلى ركنٍ ما:

مكان صغير بعيد فى حضن الطبيعة،

أعلى الجبل ،

على شاطئ خال،

فى عشة منفردة بين الحقول،

فى حجرة مستقلة (بها حمام خاص جدا) فى بيتى (ما أمكن ذلك)،

.....

هذا بالنسبة لحنينى إلى ركن الخارج، أما ركن الداخل فدعه جانبا الآن.

هل ما بالداخل هو ركن واحد غائر بعيد يمكن أن تنتهى إليه كل الأركان؟

أم أنه أركان متعددة، متتالية أو متكاملة، مثل الاستراحات على الطريق السريع؟

حين أشعر بهذا الحنين لا يحضرنى بالاسم الذى أطلقتُه عليه حالا "الحق فى الانسحاب"،

هو ليس انسحابا

ليس ابتعادا،

ليس دفعا للآخر احتماء منه

هو شىء أشبه:

بالاستئذان الحاسم،

مع **وعد ضمنى بعودة محتملة**

(أشعر أنه لو كانت الطمأنينة مطلقة أن العودة مضمونة 100% إذن لانتقص ذلك من حق الرجوع إلى الركن)

فعلا كلمة الرجوع أفضل كثيرا،

رجوع مؤقت، مع تلويح وأمل فى عودة أكثر صدقا وجاهزية.

الأرجح أنها ظاهرة طبيعية، مزروعة فى تركيبنا الحيوى منذ نشأ ما يسمى الإيقاع الحيوى، ليس مهما الآن أن نعرف أن الإيقاع الحيوى عامة، والإيقاع الحيوى البشرى، قد نشأ ليتناغم مع طبيعة هى فى جوهرها مبنية على إيقاعية الكون الحيوية، أم أنه طبيعة بيولوجية بدئية فى التركيب الحيوى الأساسى، ثم راحت تتناغم مع الإيقاع الحيوى المحيط فى الطبيعة والكون، هذه قضية لم تحسم، لكن نتيجتها واحدة، وهى أننا نعيش فى إيقاع، وبإيقاع حيوى مستمر.

هذا الانسحاب :

إلى الداخل،

إلى الكهف،

إلى الغار،

إلى النوم،

إلى البيات الشتوى،..إلخ

هو الضلع الضرورى الراجع لاستمرارية حركية الإيقاع الحيوى، وبالذات فى نبضه مع برنامج "الذهاب والعودة": In-and-Out Program

حين انتبهت إلى هذه الحقيقة تذكرت ما ورد بشأن حالتى الخاصة فى عمل واحد هو الجزء الثانى من الترحالات " **الموت والحنين"،**

ثم إنى راجعت فى ذاكرتى، دون أن أرجع إلى أوراقى وكتبتى، إلى بعض مثل ذلك مما ذكره جوستون باشلار، وخاصة فى كتابه "شاعرية المكان".

يبدو أن الحق فى الانسحاب إلى

ركن ما

قبو ما،

كهف ما،

هو حق أساسى،

وهو إذا مورس بسلاسة مثل كل الحقوق، فإنه يعفينا من أحد سبيلين:

الأول : الاضطرار إلى انسحاب جبان ومتكرر تعميقا وتثبيتا للموقف الشيزيدى Schizoid Position حيث "لا موضوع"، (وهو الذى جاء فى المتن الشعرى، والذى سوف نعود إليه لاحق)

والثانى: الاضطرار إلى الاستمرار اضطرادا بالقصور الذاتى، مع التنبيه (تنبيه الواحد لنفسه، أو عدم سماح الآخرين له): بعدم الحنين إلى، أو طلب الحق فى، أو الاعتراف بـــ :

حق للرجوع، ولو المؤقت (أحسن عيب كذا)،

والنتيجة: هى ذلك الوجود المسطح، والعلاقات الزائفة، أو المغتربة، أو المرض. (وهو الرجوع هربا جبنا لا اختيارا: المتن)

تجليات هذا الموقف الشيزيدى بهذه الصورة فى العلاج النفسى بشكل سلبى فى العلاج النفسى، هو نص جاء بالمتن الشعرى الذى لن نناقشه إلا لاحقا، ربما نعود إليه فى الأسبوع القادم.

لا بد أن أعترف فى هذه الحلقة أننى حين عدت إلى جوستان باشلار شاعرا وناقدا أساسا قبل أن يكون فيلسوفا، سمعته بأذنى يوبخنى توبيخا قاسيا، ومباشرا، على حكاية **"شرح على المتن"** هذه، لم يكن غاضبا مثل غضب المرحوم إبراهيم عبد الحليم منى حين نظر فى الشرح المبدئى لديوان أغوار النفس، ولا مستبعدا هذا الاحتمال دهشةً مثلما نبهنى المرحوم صلاح عبد الصبور بعد مناقشته ديوان سر اللعبة فى البرنانج الثانى، باشلار نهرنى معقبا ناقدا ، وقبل أن أقتطف بعض باشلار أوجز نقاط هذا التقديم كما يلى:

الخلاصة :

• الحنين إلى الرجوع إلى الركن الخاص فيه شىء من النكوص المشروع.

• **الرغبة فى النكوص وممارسته دوريا** هما من ضمن آليات الإيقاع الحيوى

• النوم هو من أعظم آليات النكوص المشروع،

• فى المدرسة التحليلية الإنجليزية (ميلانى كلاين- فيربرن- جانتريب)، اعتراف بالأنا الناكص دائم الجذب إلى وراء،

• نداء الرحم هو وارد فى آليات النمو والعلاقات التى كررنا الإشارة إليها تحت اسم برنامج الدخول والخروج، In and out program ،

• من أهم "وظائف الذات "Ego Functions وظيفة أسماها "بللاك Bellack "النكوص فى خدمة الأنا أو النكوص للتكيف الأعلى" Adaptive Regression in the Service of the Ego ، (ARISE)

• كل هذه الاتجاهات تفسر ذلك النزوع الطبيعى للاحتماء بمرفأ خاص، من أول كوخ صغير أعلى جبل منعزل، إلى إغفاءة محدودة تحت غطاء دافئ حالك.

• **بمعنى أن يكون لكل فرد "مرفأ" خاص (نفسى أساسا) يركن إليه بين الحين والحين ليعاود منه الرحلة من جديد.**

بعض خبرتى الشخصية كما سجلتها بالصدفة سوف تكون موضوع حلقة الغد:

"تجليات الحنين إلى الركن الخاص فى الجزء الثالث من ترحالات الكاتب، باسم : **الموت والحنين"**

لكن، هنا يقفز إلىّ حرج ما

أليس فى ذلك نوع من "النقد" لعمل إبداعى، ولو كان سيرة ذاتية للكاتب، مع أنه لا يجوز أن ينقد كاتب نفسه؟

يجوز!!

لكن هذا هو ما كان، لحين يتفضل النقاد بالنظر إن كان الأمر يستأهل.

أمركم لله

وأمرى لكم، بعد الله.

الملحق:

مقتطفات من باشلار

.... بالنسبة للتأكيد على النهى عن هذا "الذى يسمى "شرح على المتن" بالنسبة للشعر: (وقد وضعت نقطا بدل المحذوف، ثم وضعت إضافاتى بين قوسين، فيكون المقتطف هو ما وصلنى، وليس بالضرورة حرفية ما قال باشلار):

"..... الصورة الشعرية قادرة دائما على إنتاج ذاتها بشكل مستمر. هذه الصورة التي بدأت ترتهن بالمتلقي لن تشيخ، لأن الوعي الذاتي والفردي يمكنها دائما من سبل التجديد والحياة"

..... أما **الفكر المفهومي، فهو لا يمكن من تناول الصورة في حركيتها،**

..... كما أن **"تناول الصورة في "فضيلة أصالتها" يفرض بأن يتخيل (المتلقى) بدوره، وأن يعيش من جديد مرحلة الإبداع، حيث يؤول الأشكال التي يفرضها الشاعر، بشكل يبقى معه وفيا ليس فقط للصورة، ولكن كذلك إلى ما سماه، مينكوفسكي بـ "رنينها"**

إن لعبة المماهاة بالصورة تعطي إمكانية أن تعيش الذات **التأمل الشارد** من جديد وبالتالي النظر إلى هذه الصورة في كليتها دون اختزالها إلى تجليات أخرى، أى الوقوف عندها في ذاتها ولذاتها.

..(التأكيد) على مسألة **حضور الوعي .....** : يجب أن يعايش القارئ من جديد الحدث الإبداعي. (الذى).. **يمكنه (من) إحياء وعيه الشعرى**

....كما أن ... الهدف ..... هو جعل عملية الوعي حاضرة، في وقت متوتر إلى أبعد حدود التوتر".

..... المطلوب ليس هو فهم الصورة، ولكن الأساسي هو معايشة هذه الصورة من جديد، إدراكها في ذاتها دون تحويلها إلى لغة أخرى

..... حتى لا تتم خيانة هذه الصورة، (فإنه ينبغى التركيز) على صدى ورنين retentissement هذه الصورة التي تعاش من جديد، وترفض أن يعطى لها معنى واحدا.

..... كما أن هذه الصورة غير قابلة للاختزال L'irréductibilité de l'image وهي إحدى المسلمات الأساسية لمنهجية غاستون باشلار.

لقد كانت **أولانية الصورة، حداثتها، حركيتها ثم تعددها بالنسبة للوعي الفردي...، (هى التى جعلت باشلار يدعو)** إلى التموضع عند منطلق الصورة، والنظر إليها كبدء مطلق، ومعايشة كينونة الصورة في مباشريتها، حيث تحدث رنينا وصدى في وعي مستقبلها. **... من أجل النظر إلى الصورة في انفصال عن كل حتمية تحاول اختزال الصورة إلى كيان مفهومي،**

..... (وبالتالى يمكن للمتلقى:) **"أن يحصل بالإضافة إلى لذة الجمال على ربح للوعي، والذي من الصعب تعريفه، إلا أنه مهم. لأنه في هذا الربح تكمن قيمة ... الصورة والتي تظهر كفلسفة، وليس فقط "كمدرسة للسذاجة"".**

وبعد

هل كان يمكن بعد قراءة هذا الكلام الذى كان يعتمل فى داخلى طول الوقت، أن أكمل فيما أسميته **"شرح على المتن"؟؟؟**

هذا، وسوف نقتطف بعض باشلار أيضا وهو يسمح لنا بمشروعية الحنين إلى الركن دون مرض ، بعد عرض الخبرة الشخصية للكاتب غدا.

الإربعـــــاء 29-07-2009

698- الحلقـــة (17) مـــن وحـــى الحالـــة الثالثـــة

الحق فى الرجوع (العوْد)

الحنين إلى "ركنك الخاص" (2 من 2)

خبرات شخصية : الركن القصى والجذب اللحوح

قبل المقدمة :

ذكرت أمس كيف أننى اكتشفت حنينى الشخصى إلى ركنى الخاص، كما سجلته بالذات فى الجزء الثانى من الترحالات **"الموت والحنين"**، وأعلنت تساؤلى هل يجوز أن أقتطف نفسى وكأنه النقد؟

يجوز أو لا يجوز، هذا ما كان، وسوف أتعمد - لأتجنب هذا الموقف النقدى- ألا أضيف للمقتطفات إلا **عنوان فرعى** أو تعليق محدود.

الركن: داخلى أم خارجى؟

لا ينفصل حنينى إلى ركنى الخاص الداخلى عن انجذابى إلى ركنى الخاص خارجى فى الطبيعة بوجه خاص.

تنتهى هذه المقتطفات فى نشرة اليوم بهذه العبارة:

".....ليكن ريف فرنسا فى الشمال **هو رحلتى إلى داخلى** أكمل بها **شرنقتى** لعلى أخرُجُ فراشة حقيقية قادرة على البيض من جديد."

- الترحال الثانى: "الموت والحنين"

الفصل السادس ص288

لاحظ: *الشرنقة والفراشة*

.....

وقد بدأت هذه الخبرة تحديدا حين رأيت من أعلى الجبل فى طريقى من أثينا إلى تركيا عبر سالونيكى كوخا قد تجسد لى ركنى الخاص، فجذبنى إليه ليثبت لى حكاية الجاذبية الأرضية.

المقتطفات

1) ".....اكتشفت أننا فى أعلى جبل ما. متى صعدنا إلى كل هذ الارتفاع؟ حين تكون بعيدا عن السفح، وعن الجبل قد يسحبك الطريق إلى أعلى دون أن تدرى إلا من أنين عربتك أو احتجاجها بالإبطاء دون سبب ظاهر. لسنا فقط فى أعلى الجبل، بل إن هذا الجبل، مثل كثير من جبال اليونان تنتهى حافته إلى البحر(المتوسط طبعا). على مرمى البصر لمحتُ كوخا (أو اثنين أو ثلاثة) قرب الشاطئ وبضعَ أشجار جميلة وسط الخضرة الممتدة، وعاودنى حسدى لهم. **قفزت إلى مخيلتى أحلام اقتناء كوخ منعزل وسط جبل أخضر، هاج علىّ الحنين إلى "الركن الصغير وسط غرباء طيبين"، ناديتُ على النادل أسأله عن هذا الكوخ (أو الأكواخ) بالإشارة طبعا: هل هو موتيل أم بيت أسرة صياد. لم تنجح لغة الاشارات. لم يفهم شيئا. لكننى صممت أنه فهم. رجحتُ ـ بالعافية ـ أنه حتى لو كان كوخ أسرة صغيرة، فإنهم قد يسمحون بتأجير حجرة لليلة واحدة.**

- الترحال الثانى: الفصل الرابع ص 172

لاحظ: *أن ليلة واحدة تكفى*

.....

2) ".....كانت زوجتى تتابع حوار الصم هذا متوجسة شطحة ًجديدة لا تعرف إلى أين سوف تنتهى

بينا، أنا أشير من جديد، وأغمض عينى وأميل برأسى **لأفَهِّمه أنى أريد أن أمضى ليلة فى هذا الكوخ**، وهو يشير إلى أسفل حيث الكوخ، بما لا أفهم، والخطر يزداد اقترابا من زوجتى، فتتحقق من مخاوفها حين سألتها عن رأيها لو أننا قضينا ليلة **أو بقية أيام الرحلة**، فى هذه الحجرة المزعومة عند هذه الأسرة الصغيرة المُفترضة، على هذا الشاطئ الجميل الواعد، فى حضن الجبل الحانى، قلت كل ذلك، أو تصوّرت أننى قلته، وأنا فى أشد حالات الحماس. **الكوخ يجذبنى إليه بشكل أقرب إلى قوانين جاذبية مغناطيس الحديد منه إلى رغبة بشرية، طأطأتْ زوجتى رأسها، وتباطأتْ، وامتقع وجهها، فقرأتُ حجم مقاومتها0 كان أكبر مما توقعت، ومع ذلك تماديت ....."**

- الترحال الثانى: الفصل الرابع ص 172 - 173

لاحظ: *القوة الجاذبة*

.....

3) "..... ثم إنى أحلم وأنا أكتب هذا الموضوع بالذات أن ينزل علىّ فتحٌ من البحر والغربة، أن أتجدد منطلِقا فى حضن الخلاء والسماء والجبل، <u>أتصور أنه فى هذا الكوخ البعيد المتفرد، قد يحدث كل ذلك</u>، سوف تتاح لى الفرصة التى أنتظرها من زمن..."

- الترحال الثانى: الفصل الرابع ص 173

لاحظ: *وظيفة الكوخ مفرخا للإبداع،*

حتى غرينوى (العطر) فى كوخه كان يبدع ذاته الإلهية.

.....

4) "..... كل ذلك قلته أو لم أقله وصل إلى زوجتى وهى صامتة ووجهها يزداد امتقاعا. خليط ٌمن التوجس والخوف والتردد والغضب والرفض، ولا أستبعد درجة من الاشفاق علىّ، وربما محاولة فهم. يصلنى جُمّاع كل هذا وهو أنها لا توافق بمنتهى البساطة والوضوح. على الرغم من أنها لم تعلن رأيها بعد،

إلا أنى أعلنت عدولى عن كل ما قلت، عدلتُ راكضا نحو الناحية الأخرى: الاحتجاج الصامت، والانفصال المتجمد الحزين، حتى وددت لو بقيتُ جالسا فى مطعم محطة الوقود هذه حتى يحين موعد عودتنا إلى مصر، **كنت مثل طفل يحرن بعد أن رفضت أمه الاستجابة لمطلبه الذى يعتبره الحياة ذاتها...."**

- الترحال الثانى: الفصل الرابع ص 173

لاحظ: *كيف أن الركن*

(برغم ترادفه مع الرحم أو القبر كثيرا) يوصف هنا أنه الحياة ذاتها.

.....

5) "..... لا لا لا. المسألة تكررت بشكل بدأت أنشغل عليه، **لم تعد بصيرتى فى هذا الجذب الملحّ تكفى أن تمنعه أو تحد من قفزاته العشوائية، كم مرّة شددت هكذا إليه، فى فالورسين فى جبال الألب، فى ضاحية باريس ونحن نزور فرانسواز صاحبة ابنتى منى، فى أبيثيا وبونيار (شمال أسبانيا)، فى المنوات مقابل أبو صير، فى الفيوم، فى دهب، فى العين السخنة، فى أعلى المقطم حيث أكتب الآن؟ فى رأس الحكمة،**

الانفعال الذى حلّ بى نتيجة موقف زوجتى الطبيعى من رغبتى هذه التى أرجّح أنها تعلم شطحها الناشز هو الذى نبّهنى من جديد إلى جدّية مسألتى هذه، ومع ذلك فكل هذه البصيرة، **وهذا النظر وهذا التنبيه لا تمنعنى من الاستجابة للحنين إلى حضنه."**

- الترحال الثانى: الفصل الرابع ص 173 - 174

لاحظ: *أن الكوخ هنا "حضنٌ حانٍ".*

.....

6) "..... أنهينا أكل المسقعة والزيتون الأسود فى صمت تعرف زوجتى معناه ومضاعفاته، وانطلقنا إلى الشمال، رحت أتابع لافتات تقول سالونيكى وأخرى كاتيرينا والثالثة "بارالياً" من أعلى إلى أسفل على التوالى. (الأسفل هو الأقرب). الصمت يزداد ثقلا وثرثرة معا. **صورة الكوخ تراودنى وكأنها "الحل". لم يعد هناك أى شك فى أنى أمارس – طول الوقت – "برنامج الذهاب والعودة " مع جذب متزايد نحو "الركن البعيد الصغير" "الواعد بنقلةٍ ما"؟** ليس مهما إلى أين، **لكننى لا أستطيع أن أوقف هذا الإلحاح الواعد أن هذا الكوخ، هذا الركن الصغير القصى سوف أخرج منه مختلفا حتى لو لم أكتب حرفا.** بالذات لو لم أكتب حرفا. لو رصدتُ كم عدد من المرات حرّك هذا الجذب المعاود خيالى نحو شئ ما، أمر ما، كشفٍ ما، شئ لم أعرفه أبدا، لوجدتُها بلا حصر..."

- الترحال الثانى: الفصل الرابع ص 174

لاحظ: عدم ضرورة الوعى به أو اشتراط إنجاز بذاته.

* * *

مقتطفات أخرى

بداية باكرة للوعى بهذا الحنين اللحوح

(1) لم يكن هناك امتحان بين سنة أولى وسنة ثانية طب، كنت فى الحديقة التى **اتخذها أبى بمثابة ركنه الصغير** هو أيضا (هذا ما أتبينه الآن بوضوح). حجرتان لا تسعنا نحن السبعة بحال، ومع ذلك اضطررنا للانتقال من منزلنا الكبير وسط القرية (ثلاثة أدوار كل دور ثلاثة حجرات). لم يضطرنا أبى، بل أظن أن أمى، وربما أخى الأكبر هما اللذان وجدا أن هذا هو الطبيعى. هاجر أبى من بيتنا الكبيرذى الثلاثة أدوار غير البدروم إلى هاتين الحجرتين العتيقتين فى تلك الحديقة التى تقع

مقابل المقابر مباشرة، - ذكرت ذلك قبلاً - وكان ثمة مقابر متفرقة بينها مفتوحة بسبب الإهمال أو فعل الذئاب، وكنت فى حاجة إلى عظام آدمية من التى ندرس عليها التشريح، وكنت أحصل عليها ببساطة، وبوفرة تكفينى وتزيد حتى أهدى زملائى القاهريين بعض ما يفيض عنى. لم يكن يعترينى أى تردد أو خوف من تلك المقابر، أتذكر الآن كيف كنت أنسى وأنا أبحث عن عظمة ذراع أو فخذ، أنها مقابر أصلا، وأنها بقايا أعضاء بشرية فعلاً.

- الترحال الثانى: الفصل الرابع ص 174

لاحظ: *الوالد - الركن - القبر - السن!!*

.....

(2) "..... فى يوم ما، فى ذلك الصيف البعيد (1951)، سافر والدى إلى إخوتى فى القاهرة، وكانوا لم ينهوا امتحاناتهم بعد. أخطرنى أنه سيغيب يومين. وجدتنى وحيدا، وبدون أى سبب، تحت شجرة مانجو عتيقة جدا، وجدتنى أبكى بحرقة صادقة، ثم أفقت منتشيا وأنا أشعر أن وحدتى تتعمق بشكل رائع، فرُحت أتغزل فيها وكأنى عثرت على كنز ثمين، سجّلت ذلك كتابة (على ما أذكر. على الرغم من أننى لم أجد له أثرا فى أوراقى المبعثرة). حين ذهبت بعد ذلك إلى إحدى المقابر وحدى أستكمل بعض حاجتى من العظام، شعرت لأول مرة بهذا الجذب المريح الواعد، كانت لحظات عابرة لكنّها شديدة الوضوح، ثم نسيت الأمر تماما، ولم أتذكره إلا الآن وأنا أعِد هذا العمل للنشر(2000/6/7) بعد اكتشافى فقد مسودة هذا الفصل.."

- الترحال الثانى: الفصل الرابع ص 175

لاحظ: *كيف أن الجذب مريح واعد بعد انفعال عنيف عارم برغم أن خلفية الموقف هى تجميع عظام الموتى، أو ربما كان هذا سبب مثير فى ذاته.*

.....

(3) "... **حتى حجرتى عند مدام كومباليزييه فى الحى الثامن عشر قرب المونمارتر** فى باريس، اكتشفُ الآن أنها **كانت ركنا قصيا على طرف المونمارتر**، بعيدا عن زملائى فى الحى اللاتينى، وبعيدا عن كل ما هو قريب، كانت ركنا على طرف الدنيا، وليست حجرة فى شقة. حين أبتعد، أقترب.."

- الترحال الثانى: الفصل الرابع ص 175

لاحظ: *"كانت ركنا على طرف الدنيا، وليست حجرة فى شقة، حين أبتعد أقترب".*

.....

(4) "... لا تكتمل **صورة الركن عندى إلا إذا كان صغيرا** (حجرة واحدة عادة) ملحق به، (الأفضل: فى داخله) دورة مياه خاصة بها، مهما صغرت، ونافذتين على الأقل إحداهما بحرية،

بمجرد أن أجد نفسى فيه (ولو تخيلا) أهدأ وأترك نفسى لها، لكننى لا أستكين كما يتبادر إلى الذهن، بل سرعان ما يبدأ نزوعى إلى حركة جديدة يقظة متحفزة، لكنها ليست حركة ضجرة ولا لحوح.."

- الترحال الثانى: الفصل الرابع ص 175

لاحظ: *الانتباه إلى أن الركن - عادة- لا يكون ركنا إلا إن كان صغيرا.*

.....

(5) ".. أحيانا أتصوّر نهاية المطاف بعد التقاعد الاختيارى أو الاضطرارى فأركن إلى **ركن خيالى وهات يا كتابة، أيضا ذهابا وعودة،** وتقفز احتمالات ما لا أعرف بعد مشوارى الطويل الذى خدعتُ نفسى فيه بمواصلة معرفة المُتاح.."

- الترحال الثانى: الفصل الرابع ص 175

لاحظ: *ظهور برنامج الذهاب والعودة.*

.....

(6) "...بعد صمت ثقيل، قطعنا فيه مالا يقل عن ثلاثين كيلو مترا اكتشفت أن اسم البلد الأقرب لهذا الكوخ الملوّح هو "باراليا،" قلت لزوجتى فجأة، وكأنى نسيت كل ما اهتدت إليه بصيرتى مما سبق، قلت لها جادًا مكفهرا فى غضب لايتناسب مع كل ما اعترفتُ به لنفسى عن نفسى: **"إذا ميتّ، فأخبرى أحد الأولاد أننى كنت أريد أن أبيت هنا فى هذا النزل على الشاطئ تحت أقدام هذا الجبل، ولو ليلة واحدة."** لم ترد، ولم أشك أنها أخذت كلامى مأخذ الجد، ومع ذلك أكملتُ: أنا أعنى ما أقول، اعتبريها وصية، البلد اسمها باراليا، والمكان هو بجوار أقرب محطة لها فى اتجاه لاميا، ثم أضفتُ أيضا: أو **ربما تمكنتُ يوما من العودة إليه وحدى.** زاد صمتها غورا واحتجاجا، ورجحتُ ـ كما فرحتُ ـ أنها لم تشعر بالذنب، وأحسب أن هذا من أهم ما حفظ علينا حياتنا، حيث أتصور أن ما أمارسه معها من "تأثيم" كان جديرا أن يخرب بيوتا كثيرة، ونفوسا كثيرة، لكنها كانت دائما أطيب، وأظن أقوى من حركاتى تلك.."

- الترحال الثانى: الفصل الرابع ص 175 - 176

لاحظ: *أن الحنين يمتد بعد الموت وفى ما يشبه الوصية.*

.....

(7) "...الجو بينى وبين زوجتى مازال مكفهرا قبيحا، **كأنى أخرجت فعلا من رحم مزعوم قبل موعد الولادة الطبيعية، ولادة مبتسرة دون حضّانة حانية ولو صناعية،** أنا لم أدخل هذا الرحم المزعوم أصلا فكيف تكون الولادة دون حمل، حتى لو كانت مبتسرة؟.."

- الترحال الثانى: الفصل الرابع ص 176

لاحظ: *اقتران الركن بالرحم بالولادة.*

.....

(8) "...مع انفراج الطريق انفرجت أزمة الولادة المتعسرة بالاستسلام إلى الأمر الواقع.

يبدو أنى ولدت خطأ، ولدت فى غير أوانى، إما قبله وإما بعده.

هذا الجذب اللحوح، أحلام الرحم، نص (برنامج) "الذهاب والعودة.."

- الترحال الثانى: الفصل الرابع ص 176

لاحظ: *أحلام الرحم*

.....

(9) "...لم انتبه ـ كالعادة ـ إلى محتويات السوق الأعظم (السوبر ماركت) الذى ظل مفتوحا حتى هذه الساعة المتأخرة من الليل فى هذه البلدة الـ "أسبراجاليا"، **لكن مجرد التواجد وسط الناس، وشراء بعض الفاكهة وبعض التذكارات كان كافيا لعودتى كما كنت قبل حكاية "الركن القصى، والجذب اللحوح"..."**

- الترحال الثانى: الفصل الرابع ص 178

لاحظ: *كيف أصبحت حكاية الركن القصى والجذب اللوح علامة فارقة تتأرخ بها مراحل الرحلة.*

.....

(10) "... ما هذا؟ لماذا؟ فسحة هى؟ رحلة؟ أم قهر ذاتى بلا مبرر؟!

كل ذلك لأننى لم أتمكن من الاستجابة **لوهم جذب الركن القابع فى داخلى** أُسقطُه على أى زاوية مهجورة، وأنا على يقين من أننى لو أمضيت فيه عاما أو سبعة أعوام (مثل باتيست جرينوى- العطر. قرأته لاحقا. سبتمبر2000، باتريك زوسكن. خِفت) سوف أغادره وأنا أبحث عنه من جديد؟.."

- الترحال الثانى: الفصل الرابع ص 179

لاحظ: *الركن القابع فى داخلى، برغم وصفه "بوهم جذب الركن...الخ"*

.....

(11) "...أذكر أثناء عودتنا ذات سفرة من سوريا عبر عمان أننى فكّرت فجأة أن أنحرف إلى البتراء، وكنت قد زرتها قبل ذلك مرتين على الأقل، **لكن مثل هذه الأماكن لها جذب خاص،**

أقل إلحاحا من نداء الركن القصى اللحوح. فى هذه المرة ضللتُ الطريق، حلّ ضباب كثيف كثيف، وكنا بين المغرب والعشاء، وكنت أحسب أن الضباب لا يتواجد إلا فى الصباح، ثم بعد عدة خبرات خطرة عرفت أن الضباب قد يهجم فى أى وقت ولو فى منتصف الليل، و كانت هذه هى المرة الأولى التى يهبط علىّ فيها الضباب بعد المغرب مباشرة وكنا سنضيع، ولم نضع.."

- **الترحال الثانى: الفصل الرابع ص 187 - 188**

لاحظ: *الأماكن المتسعة الخالية لها جذبها المميز، لكنه مختلف عن نداء الركن الخاص.*

.....

(12) "....بعد أن ودعت الرجل على باب القنصلية غير مصدق كل تسهيلاته، التفت إلى زوجتى التى تابعت الحوار بقلب واجف، فهى تعلم أننى قد أعملها، احتارت هذه السيدة معى، **أصرّ على الركون إلى الركن القصى الصغير يحتوينى حتى أبدو أننى لن أخرج منه أبدا، أو أنطلق مستكشفا مغيّرا طريقى وخططى ووعودى مهما كانت المغامرة والصعوبات،** ماذا تفعل هى فى هذا البنى آدم هكذا؟.."

- **الترحال الثانى: الفصل الرابع ص 190**

لاحظ: *يحتوينى حتى أبدو أننى لن أخرج منه أبدا.*

.....

(13) "...رجل الفندق ذو الساق الصناعية فى حربيات يفرح أننا من مصر، يتكلم العربية الشامية أحسن من فلسطينى فى العريش، يعزم علينا بجناح مكوّن من حجرتين وصالة بنفس ثمن الحجرة الواحدة، كنوع من الكرم، فنقبل من باب الطمع، ولكن ما إن ندخل إليه حتى نجدنا كأننا فى شقتنا فى مصر، ما هذا؟ نحن نريد أن نسافر لا أن ننتقل من شقة إلى شقة،؟ ونرفض عطية الرجل شاكرين ونفضل الحجرة الصغيرة المطلة على الجبل، وتشاركنى زوجتى الرفض، فأنظر إليها ممتنًّا، **هل أصابتها عدوى الحنين إلى الركن الصغير؟.."**

- **الترحال الثانى: الفصل الرابع ص 194**

لاحظ: *"عدوى" الحنين إلى الركن*

.....

(14) "...ليكن كل ما قلتُه ليس له أساس من الصحة، لكننى سأجعله صحيحا بما أفعل الآن وما أقرر. فقررتُ أن تمتد الإجازة لغير ما سبب إلا أن أكمل انتهاز هذه الفرصة، فأجعل وجودى المنفرد **هكذا لهذه الفترة هو ركنى إياه ، لكنه ركن وسط الناس،** ركن سرى، وسوف يريد هو ما أريد..."

الخميس 1993/6/24

- الترحال الثانى: الفصل السادس ص 282

لاحظ: *تخليق الركن السرى إراديا وسط الناس*

.....

(15) "..... فى هذا الجو هنا فى مونتريه، بدت لى الطبيعة مساحة مجسدة، هذا الفجرالممتد أتجول فيه ـ جالسا ـ هو لا يمرّ بى، بل أنا الذى أتجول فيه. أتجول فى الفجر وأتبين الخيط الأبيض من الأسود منه. هذا التشرنق الحالى الذى لم أعهده من قبل فى رحلاتى السريعة الإيقاع كان فجرا خالصا. الركن الذى كنت أسعى إليه دائما أبدا ثبت أنه موجود بداخلى طول الوقت، أستطيع أن أنصبه وسط أى زحام، أدخله فى جوف الليل أوفى عز الظهر، حين يطلع علىّ الفجر ولا أريد أن أغادره أستعى الليل إلى داخله، حتى طلوع الشمس لا يستطع أن يقتحمه. ياه !! فلماذا كان كل ذلك الإلحاح من قبل .هل الحل **هو أن يعثر كل منا على ركنه بداخله ليطمئن أنه يمكن أن "يكون" وسط كل الناس دون أن يقتحمه أحد دون إذن.** أكتشف أيضا أن الفجر أحلى من الشروق..."

كانت شرفتى على شاطئ هذه البحيرة فى حضن الجبل فجرا خالصا.."

الترحال الثانى: الفصل السادس ص 286 – 287

لاحظ: *لاحظ كيف أن الحجرة الصغيرة - اختيارا - قد جمعت بين التشرنق والجبل والبحر فكانت "فجرا خالصا".*

.....

(16) "...طلبت من صديقى الذى كنت أزمع زيارته فى رين أن يحجز لى حجرة فى الريف الفرنسى الشمالى عند أسرة فلاحة أقضى فيها أغلب إقامتى فى فرنسا هذه المرة. أنا أحتاج إلى نقلة شديدة إلى أقصى الجانب الآخر، ياه !! أين اكتشافى أننى تخلصت من هذا الجذب الملح إلى الركن القصى، وأنه فى داخلى وأن هذا الجذب إلى الركن فى الخارج لم يغننى شيئا، وأنه وأنه..؟؟ يبدو أننى مازلت غير مطمئن إلى مصالحة باريس. الخصام السابق أدى إلى أن يختزل باريس إلى الطقوس المعادة، والوجوه المتلفتة إلى غير وجهة، والخبز الذى أصبح يصنّع فى مصر فلم أعد أشتاق إليه. ليكن ريف فرنسا فى الشمال **هو رحلتى إلى داخلى** أكمل بها.."

الترحال الثانى: الفصل السادس ص 288

لاحظ: ثم اقرأ بدقة.. "كيف أن الرحلة الأهم هى إلى الداخل..."!

.....

وبعد

هكذا توقفت عن مزيد من المقتطفات وإنى آسف على التكرر اللحوح أيضا لكننى أردت أن أبين من كل ذلك ما يلى:

وبعد

هكذا توقفت عن مزيد من المقتطفات وإنى آسف على التكرر اللحوح أيضا لكننى أردت أن أبين من كل ذلك ما يلى:

أولا: حجم خبرتى الشخصية فى جزء واحد من عمل واحد.

ثانياً: أننى كتبت كل ذلك دون أية رؤية للتنظير فى تشريح النفس وتركيب البشر.

ثالثا: أننى كنت أنتقل من **ركنى الداخلى** إلى **ركنى الخارجى** باستمرار حتى أننى أحيانا كنت أعجز عن التمييز بينهما.

رابعا: أننى أرجح الجذب إلى الركن الخارجى ليس مجرد إسقاط للحنين إلى الركن الداخلى.

خامسا: أن الركن ليس "مكانا" بقدر ما هو "حيز محدود من الأمان" سواء كان مكانا أو زمانا.

سادسا: أن الركن يمكن أن يتواجد وسط حشد من الناس.

سابعا: أن رحلات الداخل هى التى تعطى معنى وطعما واحتمال إبداع من رحلات الخارج.

ثامنا: أننى وضعت احتمالا ضعيفا ينبهنى إلى ضرورة أن أفحص ما ذهبت إليه من تنظير خشية أن تكون المسألة برمتها أمرا شخصيا توطرت فى تعميمه على سائر البشر.

...

وإلى الأسبوع القادم.

نرجع للمتن لنرى الوجه السلبى لسوء توجه هذا النزوع.

الثلاثـــــــاء 04-08-2009

704- حيـــن يصبـــح الركـــن قبـــرا لا مـــلاذا (1 من 2)

(تـابـع) الحالـة الـثـالـثـة:

حين يـصبح الـركن قبرا لا ملاذا (1 من 2)

(1)

فى الـنشرة الأولى من هذه الـسلسلة بيّنا أن الـرجوع إلى ركن خاص هو طبيعة بشرية سوية، بل لعلها مطلوبة، وهى تجرى فى الـنوم مثلا، دون وعى كامل بها، ودون أن نسمى الـنوم ركنا مثلا،

وفى الـنشرة الـثانية، عرض الـكاتب خبرته الخاصة جدا، والـتى عبر فيها عن علاقته بهذه الـقضية وحنينه الجارف إلى الانسحاب إلى ركن دافئ حان، ولـكن تبين أن هذا الانسحاب لا يكون آمنا إلا إن كان واعداً بعودة هى أقرب إلى إعادة الـولادة، ومرة أخرى نذكر أن الـنوم الـصحيح هو إعادة ولادة (الحمد لله الـذى أحيانى بعد ما أماتنى وإليه الـنشور).

فى الحلقتين الحاليتين، اليوم وباكر، سوف نعرض الجانب الآخر من هذه الظاهرة، الجانب المرضى المعوق للنمو، الجاهز للانسحاب طول الوقت بمجرد الـتهديد بتكوين علاقة حقيقية مع آخر، سواء كان هذا الآخر حبيبا أو صديقا أو زوجا أو معالجا.

نعيد الـتذكرة ونحن نعرض هذه الخبرة بطبيعة هذا المتن، من حيث أنه لا يتعرض لحالات معينة، لا هى واقعية تماما، ولا هى حدثت كما جاء فى المتن، وإنما هى محاولة تشكيل لهذه الظاهرة أو تلك فى صورة شعرية استلهمناها من هنا وهناك،

هذه الحالة تقول لنا عن الوجه السلبى لهذا الـنزوع إلى الـرجوع إلى الـرحم.

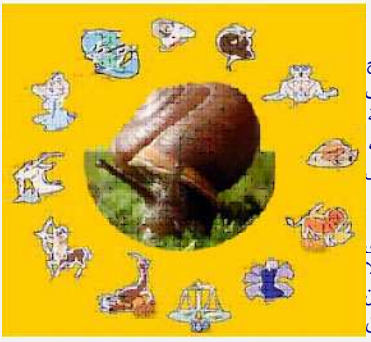

الموقف فى العلاج النفسى:

ماذا يمكن أن يحدث فى العلاج النفسى، وهو يهدف أساسا إلى تجاوز هذه العودة الجبانة المتكررة بلا رجعة حقيقية، والتى أسماها المتن هنا (وفى كل هذا الفصل) "الموت"؟

هو موت نفسى، فهو لا يعنى الموت الذى هو إعادة بعث، ولا الموت باختفاء الجسد الذى تبين لى مؤخرا أنه أرقى بكثير من الموت النفسى: الجمود العدم الذى نعنيه هنا.

قلنا وزدنا وأعدنا أن الحياة حركة نمائية دائبة، وأن العلاج النفسى ليس إلا تحريك للحياة فى اتجاهها، وأننا لا نكون بشرا إلا إذا مارسنا الوعى بأننا كذلك ,مع من هو غيرنا من البشر الذى هو أيضا كذلك، وأننا إنما نمارس حياتنا "معا"، لكى نكون كذلك،

نكرر، ولن نمل، أن الكائن البشرى قد صار محرجا فى أنه يعى أنه حى، وأنه ناطق، وأنه قادر من خلال اللغة وغيرها على التواصل مع آخر يحمل نفس الصفات، وأن هذا هو السبيل للنمو المضطرد فى نبض حيوى حتى نهاية الفرد لتستمر الحلقات فى أجيال أخرى، فإذا حال حائل دون استمرار هذه المسيرة، فهو المرض.

المرض النفسى من هذا المنطلق وقفة مؤقتة أو دائمة، وهو أيضا **حركة إلى الوراء**، وهو **تفكيك دون تشكيل ناجح**، مع احتمالات اندمالات تهمد الحركة باضطراد، وأيضا مع احتمالات خدعة التظاهر بالحركة الزائفة فى المحل، وهذا ما نسميه فى هذا العمل بالذات فى أكثر من موقع، نسميه الموت، (النفسى) الذى هو موضوع الفصل الأول كله (تحت الاسم الأقدم: سبع جنازات)

العلاج النفسى هو محاولة لتفادى هذا المصير، بتعديل هذا المسار السلبى.

العلاج إذن هو:

تحريك الوقفة،

وفك العرقلة،

وتشكيل التفكيك،

وتحويل المسار إلى وجهته

الشائع - كما ذكرنا- هو أن العلاج "تريح" و"تسكين"، ليكن التريح خطوة على طريق العلاج أحيانا، لكنها ليست العلاج كل العلاج، العلاج هو **استعادة حركية الحياة** بكل ما تحمل من راحة وألم ومخاطرة وتواصل وافتراق وعودة.

العملية العلاجية لا تسير هكذا ببساطة، ألعابها والتواءاتها وخداعاتها هى بلا حصر، مهما بلغت النوايا الحسنة، ومهما بدا نشاط الحركة، فقد تكون الحركة فى المحل (كما فى الحالة الأولى من هذا الفصل، "من شطى لشطى")، وقد تمتد أكثر قليلا لكنها لا تتخطى مرحلة إعادة النص (سكريبت)، وهو ما يشير إلى أن خطوات معينة تعاد باستمرار لتنتهى إلى نفس النقطة، فينغلق النمو، بمعنى أنه لا يحدث أى تغيير مهما ضؤلَ، بسبب الانتهاء بعد كل دورة إلى نفس النقطة.

هذا الخداع وذلك التلاعب لا يقتصر على الكيان الفردى، بل قد يتورط فيهما نوع "من الأحياء" بأكمله، فيتوقف تطوره أو ينقرض

الفرق بين ما عرضنا فى الحلقتين السابقتين، وبين هذا التراجع المرضى هنا إلى ركن قبر يمثل ما هو ضد الحياة خوفا من التواصل، هو الفرق بين الصحة والمرض، وعلى قدر ما يطمئن هذا الشخص إلى أنه قادر على التراجع تماما، تكون حركته - الظاهرة- نحو الآخر. الشرط هنا يُعلن من البداية هكذا:

الركن بتاعِى متحضّر،

حارْجَعْلُهْ واسيبكمْ،

ساعْتِن احسّ بْكُمْ.

حافضلْ كِدَهُهْ

طالعْ ..، نازلْ،

زىْ اليُويُو،

كِدَهُه.

هذا الموقف لا يُعلن بداهة هكذا فى العلاج النفسى، وإنما يستنتجه المعالج حين يلاحظ أن مريضه جاهزلأن ينسحب بمجرد أن يتهدد بالوعى بأن ثمة علاقة تنمو بينه وبين الطبيب. النص (السكريبت) يحدث هكذا عادة:

يتقدم المريض نحو الشفاء (ظاهريا) فيبدى تفهما، ويحاول تواصلا، ويقترب من الواقع، ومن الآخر، ولا يعلن شروطه السلبية هذه صراحة، حتى لو كانت جاهزة من البداية بداخله، وهو عادة لا يعرفها، بل هو ينكرها إذا ووجه بها، ويتساءل أيضا، ومعه حق "إذن لماذا حضر للعلاج؟" ثم إنه عادة يبدو وكأنه يستجيب بشكل نشط للعلاج، لكن عند مأزق النقلة النوعية، سرعان ما يرجع إلى موقفه الأول بكل عنفوان مقاومته، إن تصريح داخله هكذا: "أنه لا يفعل شيئا إلا أنه **"يطلع وينزل مثل اليويو"**، هو الضمان الذى يشجعه على استمرار المحاولة مطمئنا أنه لن يتغير.

وهكذا ينقلب العلاج إلى ما يشبه تزجية الوقت، ما لم ينتبه المعالج ويحاول كسر هذه الحلقة.

دور المعالج:

المتن هنا ليست وظيفته أن يبين كيف يمكن كسر الحلقة بقدر ما هو معنى بتجسيد صلابة ونوع لعبة المقاومة من هذا النوع.

يمكن للمعالج أن يدرك أن التقدم خادع، وأنها لعبة اليويو (طالع نازل) التى لا تنتهى أبدا حين يلاحظ رجوع المريض إلى نفس المستوى الوجودى/السلوكى السابق تحت أى تهديد بالاقتراب أو بالتواصل، فإذا تكرر ذلك مرارا فإن المسألة لا تصبح علاجا تطوريا نهائياً بقدر ما تصبح تأجيلا وتسكينا (وهذا طيب شريطة أن نعرف ذلك، وقد نقبله)

كل معالج، خصوصا من ينتمى إلى العلاج من منظور النمو، يعرف هذه الخبرة: خبرة التحسن الخادع برغم ظاهر حسنه، تحسن كأنه الواجهة التى أعيد دهانها دون تغيير حقيقى والطبيب قد يلاحظ تكرار ذلك باستمرار،

هذه المقاومة هى من أعنف أنواع المقاومة التى تبديها الشخصيات الشيزيدية بوجه خاص، إذ أنها شخصيات سريعة الاستبصار، تلتقط بسرعة ما يهدف إليه المعالج، وتستجيب بحماس واضح على مستوى الأمل والرؤية والكلام والعقلنة، ولكنها تفعل ذلك لأنها واثقة من امتلاك آلية الانسحاب فور الطلب، وحين نستمع إلى داخل داخلها نجد المبرر جاهزا، والمناورة معدّة (كما رأينا فى الحالة الأولى: من شطى لشطى)،

لا يوجد مجال للاتهام هنا، كما يفعل بعض المعالجين (إنت للى مش عايز تعمل علاقة أهه، = ها أنت لا تريد عمل علاقة مع آخر)، ذلك أن المريض (أو الشخص) المقاِوم لهذه الدرجة عنده مبرراته، ربما ترجع لتركيب غائر فى صورة برنامج جاهز ولد به، وربما لخبرات سابقة رسّخت الخوف من الاقتراب الحقيقى والتواصل، وربما لهذا وذاك معاً، ومن ثم فإن أية نقلة نوعية فى اتجاه تواصل حقيقى مع الآخر، حتى أثناء العلاج مع المعالج، **هى نقلة مرعبة**، بلا ضمان،

وهذا هو المتن يعلن لنا ما يقوله داخل هذا الشخص فى هذه الحالة فى الفقرة التالية:

أصل انا خايفْ.

أنا خايف موتْ،

أنا ميّتْ خايف.

لكن قولّى:

هو الميت بيخاف؟

طبعا بيخاف،

بيخاف يصحى.

وغدا نكمل استلهام المتن ونحن نتدارس أى موت هذا الذى نخاف أن نصحو منه.

الإربعـــــاء 05-08-2009

705- حيـــن يصبـــح الركـــن قبـــرا لا مـــلاذا (2 من 2)

(تـابـع) الحالـة الـثـالـثـة:

حين يصبح الـركـن قبرا لا ملاذا (2 من 2)

المتن

أصل انـا خايفْ.

أنـا خايف موتْ، أنـا ميّـتْ خايف.

لـكن قـولّـى:

هو الميت بـيخاف؟

طبعا بـيخاف،

بـيخاف يصحى.

ذكرت أمس أن "هذه الاستجابة الجبانة المتكررة بلا حركية حقيقية ضمن برنامج الذهاب والعودة، هى"الموت- حيناً"!! هو موت نفسى، وهو عكس الموت إلى إعادة بعث، ولا هو الموت باختفاء الجسد، الذى تبين لى مؤخرا أنه أرقى بكثير من الموت النفسى الجمود العدم الذى نعنيه هنا.

يبدو أن الموت النفسى ألعن من الموت الذى نعرفه، ثم أن تعبير "أنا خايف موت" هنا، وعموما، هو تعبير قد يشير إلى تجسيد حيلة دفاعية نتيجة الرعب الذى تواجهه بعض الحيوانات

الأدنى باللجوء إلى التجمد الساكن بجوار الأحجار أو الأشجار، حتى يحسبها المهاجم جمادا، وتصبح الحركة فى هذه الحال مساوية للالتهام من المغير الأخطر.

أما تعبير "ميت خايف" فهو تعبير غير مألوف، لكن الشطر التالى مباشرة يبين هذا النوع الأعمق من الخوف، ذلك أن الذى تصلب خوفا، ليحافظ على نفسه بهذا الجمود الدفاعى، لا يلغى خوفه إذْ تجمد، بل إنه يزيده ليحافظ على جموده هذا الذى يحميه. إنه يخاف خوفين: يخاف الخوف البدئى من المهاجم الذى تجمد حتى يتقيه، ثم إنه يخشى أن يتحرك من موقعه الثابت حتى لا ينقض المهاجم عليه بمجرد أن يتحرك فيتجسد فى عين المهاجم كائنا حيا يصلح للافتراس.

الصحو الذى يخافه هذا الميت هو أن يستيقظ من موته الدفاعى هذا، فيتحرك، فيهلك.

امتدت آلية الدفاع هذه فى البشر حتى أصبح الجمود والإنكار والمحو هى الميكانزمات المكافئة للموت، وأصبح الخوف من الآخر وارد من حيث أن "الآخر" هو تهديد لكينونتى، لماهيتى، لحريتى، هذا موقف نمر به جميعا فى السنين الأولى بدءا من الشهور الأولى ونحن نتحسس طريقنا إلى التواصل، وقد يفلح أغلبنا (المفروض يعنى) أن يتجاوزه إلى تحمل الآخر وهو يحفر سبيله إليه، ولكن إذا زاد الخوف من الاقتراب، وكان ميكانزم الانسحاب إلى الركن بهذه الجاهزية فإن المسألة تتجاوز مجرد الخوف والحذر إلى الانسحاب إلى الهكف بهذا الجمود هكذا (الموت النفسى)، وتصبح العودة إلى التواصل خطرا مضاعفا، لأنها تمر من جديد بنفس الموقف (البارانوى) الذى ألجأ الشخص إلى الهرب فى الجمود الكهف.

هذه العودة إلى الركن القبر، ثم الخوف من الصحو، هما من أهم ميكانزمات عرقلة النمو،

لكن المسألة هنا لا تتوقف عند هذا الحل، بل إن الشيزيدى يتحايل لتغطية انسحابه ليس فقط عن الآخر، وإنما على نفسه أيضا، بحركة نشطة، يتوقف مدى نشاطها على مدى ضمان جاهزية الانسحاب إلى الكهف الجمود، مع ضمان إجهاض فاعلية حركية الذهاب <==> العودة

هذه الجاهزية للانسحاب الإجهاضى هى استعداد داخلى قوى، ونزوع واثق من القدرة على إلغاء التواصل بالآخر فى أى لحظة.

قد يتم هذا الإلغاء بأن تنسحب العواطف من السطح، أو تشل فاعليتها تماما، وهو ما يمكن أن نسميه **"غطاء اللامبالاة"**، هذا الغطاء هو بمثابة تصنيع جدار عازل، جاهز لتغليف النفس الحقيقية، كغطاء يقوم بدور الواقى ضد أى اقتراب أو اختراق من آخر، إنها آلية سحب المشاعر للداخل حتى لا نخاطر بالمشاركة التى تلوح باحتمال التواصل.

اللامبالاة حتى التبلد التى نصف بها عادة كثيرا من حالات

الفصام السالبة ليست سوى هذا الغطاء السميك الذى تكّون ليخفى الرعب الساحق عن صاحبه من جهة، ثم ليحميه من أى احتمال للتواصل من جهة أخرى.

فى بداية الفصام الحاد يتجسد هذا الرعب أعراضا غامرة من الفزع والهلع، وتكون استجابة المريض رهيبة فى مواجهة أى مؤثر يصله من خارجه، يبدو المريض وكأنه يتلقى المؤثرات الحسية لأول مرة، لا ليتعرف عليها ويستوعبها مثل الطفل حديث الولادة، وإنما ليخاف منها وينسحب بعيدا عنها إلى ركنه (قبره)، أو ليختبئ تحت غطاء لا مبالاته.

فى العلاج النفسى المكثف لحالات الفصام نحتال لكى نخترق ستائر هذا الموت الظاهر الذى يخفى وراءه كل هذا الرعب، وكثيرا أثناء محاولة الاقتراب غير المحسوب جيداً نفاجأ بتفجير قدر هائل من المقاومة ومزيد من الإنكار فالبلادة، فإذا تواصلت المحاولة، وكسرنا حاجز اللامبالاة ونحن نشارك ما بالداخل دون توقف عند صد الخارج، فقد نواجه بشكل مفاجئ بتفجير درجة غامرة من الهلع المريع، والتوجس المتلفت، وقد يعقب ذلك مباشرة هياج مفاجئ حتى التحطيم، وهذه هى حركة الذراع الأخرى لإلغاء "الآخر" الذى يمثل كل هذا الخطر بمجرد وجوده أو اقترابه، الجمود والهجوم هنا هما وجهان لعملة واحدة،

تطبيقا لهذا التأويل يمكن أن نرى بعض حالات العدوان التى قد يقدم عليها الذهانى، وكيف يتواتر القتل مثلا أكثر بالنسبة للأقرب فالأقرب، لأن التهديد هنا يأتى من الأقرب لأنه هو الذى يهدد أسرع بعمل علاقة، **قد يترتب عليها تحريك الحياة فى ميت أَمِنَ لموته**، فهو الرعب حتى الهجوم وربما القتل.

من هنا يمكن الانتباه كيف أنه علينا أن نتأنى طويلا قبل أن نحكم على مريض أنه "متبلد الشعور".

"الشعور لا يتبلد، والعواطف لا تنعدم"، وإنما هى تختبئ حماية وانسحابا،

هذا الفرض جدير بأن يجعل الطبيب يتعامل مع المريض محترما حتى تبلده، لأنه - بحسب هذا الفرض، يكمن وراء هذا التبلد الظاهر عواطف ووجدانات زاخرة بكل الصدق والألم، والرعب، وهى تظل موجودة نابضة فى الداخل برغم كمونها، حتى لو لم يصلنا منها إلا ذبذبة بعيدة بعيدة تحت غطاء من اللامبالاة والتبلد.

فى بؤرة هذه العواطف الهاربة يكمن الخوف، وبالذات **الخوف من الحركة، الخوف من اليقظة، الخوف من البعث، الخوف من احتمال العودة إلى الحياة المليئة بالآخرين الخطرين!**

إن أخشى ما يخشاه مثل هذا المريض (أو الشخص) هو أن يتعرض لخبرة إحياء مشاعره، ومن ثم احتمال استقبال أو إرسال بعضها، بما يترتب على ذلك من التهديد بعمل علاقة حقيقية بأى شخص حقيقى.

إذا ما تبنى الطبيب النفسى هذا الفرض، أواستوعب هذه الاحتمالات، فإن ذلك قد يكون خليقا أن يجعله:

1- يحترم اللامبالاة، بل وحتى يمكنه أن يحترم ما يسمى بالموت النفسى، فلا يتعامل مع هذا أو ذاك باعتبار أن أيا منهما هو مجرد مظهر سلبى لاختفاء المشاعر والبلادة.

2- يبذل جهدا آخر من نوع آخر، للنظر فيما وراء هذا الجدار الواقى للمريض ضد التواصل الخطر (من وجهة نظر المريض).

3- يتأنى فى محاولة اختراق هذا الجدار إلا بعد أن يلتف حوله لعله يوصل للمريض أية درجة من الأمان قبل محاولة كسره.

4- لا يُحبط إن هو فشل فى كل ذلك، باعتبار أن المريض إنما يستعمل حقه فى استعمال ما تيسر من دفاعات، بما فى ذلك اللامبالاة حتى الموت (النفسى).

امتداد الخوف من التواصل حتى العلاج الجمعى

العلاج الجمعى، المفروض يعنى، هو أقدر على اختراق صعوبات التواصل هذه أكثر من العلاج المقتصر على الطبيب والمريض فقط، (العلاج الفردى)، ذلك لأنه من المفروض أنه حين يكون الاقتراب متعددا، والائتناس واردا من أكثر من مصدر (آخر)، وتكون اختبارات نتائج الاقتراب ممكنة ومعلنة وآنية بقدر ما، تكون الثقة متاحة، والمخاوف أقل. لكن الشيزيدى، أو داخله على الأقل، تزداد مخاوفه كلما ازدادت مصادر واحتمالات تكوين العلاقة، هذا الداخل يتعامل هنا فى المتن مع محاولات التقارب فى العلاج الجمعى بسخرية لاذعة، وهو يعلن أشكالا من المقاومة والشكوك بشكل آخر، من نوع آخر، حيث يصف محاولات الاقتراب والحوار بأنها أشبه باللعب لتزجية الوقت أو تبادل الخداع، فهى أعجز من أن تقدم عرضا كافيا يسمح بأى درجة من الامان.

يـاللاّبـْـنـا نلعب يا جماعة لعبة "هيلا هُـبُ".

نقعد مع بعض.

قال إيه، ونحسّ،

وكلام للصبح،

ونقول بنحب.

من أكثر ما يقع فيه المعالج النفسى الجمعى (المبتدئ عادة) هو أن يلجأ إلى استسهال استعمال تلك الألفاظ الشائعة، برغم بريق مضمونها، مثل "الإحساس" أو "الحب" أو "التعاطف"، فى أحيان كثيرة قد يصيح المعالج فى مريض ما: "يا أخى ما تحس بزمايلك" مثلا، أو قد يتبادل أفراد المجموعة كلمات "مثل " أنا احبك اكثر"، أو "أنا شاعر بيك جدا"،

وكلام من هذا. كل ذلك مقبول لأنه لاتوجد ألفاظ أخرى بديلة، لكن الصورة التى أوردها المتن هنا تنبهنا إلى ضرورة أن يكون وراء كل هذه الألفاظ ما يجعلها قادرة على تسهيل فعل التواصل، أو الحفز للسير على أرض الواقع، وإلا فالمسألة تصبح - كما تعلمنا من المريض منذ قليل- أشبه بتزجية الوقت. نتذكر فى الحالة الثانية فى هذا الفصل كيف كان اعتراض المريض على الطبيب الذى يكاد يطلب منه أن "يحس" بالنار من تحته، وأن يقتدى به إذْ هو يحس بآلامه، وقد أسماها المتن سخرية "بحلاوة ريحتك"، الفقرة هنا تتعلق بمثل ذلك.

أيضا تذكرنا هذه الفقرة ما جاء فى مقدمة الكتاب من التنبيه إلى أن العلاج النفسى ليس مرادفا لما هو: "علاج بالكلام"، فالكلام يمكن أن يستمر طول الليل،(حسب المتن هنا) بلا جدوى .

إذن ماذا؟

فيها لاخْفِيها، أنا فين بيها،

ما هى مش موجودة من أصلُه.

قدِّم رجلِ تْغُوص التانية،

دانا كل ما زاد النـــــــاس،

باغطسْ وِبْدونْ إحساسْ

بالرغم من كل ذلك، وبالرغم من يقظة داخل هذا الشيزيدى هكذا، فإنه قد لا يمانع - ساخرا- من المشاركة، بل إنه قد يشارك متحمسا سواء للكلام، أو للانضمام لمجموعة تعانى مثله، لكنه يكثف رؤيته الساخرة من البداية حتى تفل كل حماس، وتجهض كل احتمال لأى تواصل، فهو يعلن بذلك أنها مشاركة مستحيلة حيث أنه غير حاضر فيها أصلا. برغم ما يبُذل من جهد من معظم الأطراف، لكن - من وجهة نظر هذا الشيزيدى الساخر- يظْل كل واحد فى خندقه بعيدين عن بعضهم البعض.

ثم إن افتقاد المريض للثقة الاساسية تجعله دائم التساؤل عن موقعه فى المجموع أو حتى بالمجموع **"أنا مين بيها"**، برغم حماسه البدئى **"فيها لاخفيها"**،

ننبه هنا إلى أنه بالرغم من كون العلاج الجمعى يعطى فرصا أكبر لتنمية التواصل بين عدد أكبر من البشر، إلا أن المسألة لا تحقق أهدافها بمجرد النقلة من علاقة ثنائية، إلى علاقة متعددة - أفراد المجموعة بما فى ذلك المعالجون - لأنه أحيانا ما تكون كثرة العدد بمثابة فرصة للهرب فى محيط مائع غير محدد، ضد قواعد ممارسات العلاج الجمعى التى تؤكد على قاعدة: "أنا Ó أنت"، بقدر ما تؤكد على "هنا و الآن": **"دانا كل ما زاد الناس، باغطس وبدون إحساس"**

ينتهى النص مثلما بدأ وهو يعلن أن ما يحول دون أى حركة نمو من خلال تواصل البشر مع بعضهم البعض هو هذا

القرار المسبق بالانسحاب السلبى المشروط والعودة لنفس الموقع الذى بدأ منه لا أكثر، وكلما كان هذا القرار عميقا وراسخا، فإن المريض (أو الشخص) يسمح لنفسه بأى اقتراب أو تفاعل شكلى، **لأنه مطمئن إلى الفشل المريح فى النهاية، بزعم طاعته لتعلميات العلاج، وأحيانا لأوامر وتوصيات المعالج.**

كثيرا ما يفعل المريض ذلك كنوع من إرضاء المعالج لا أكثر، إما اعترافا بجميل ما، وإما رشوة لضمان استمرار المسافة كما هى، وإما للفل من حماس التدخل للتغيير، وهذا ما نختم به هذه الصورة من المتن دون تعقيب لاحق:

ومادام الركن متحضر هنا تحت الأرض:

راح انط لفوقْ،

وأعدّى الطوقْ،

وارْضِى القرداتِى.

يِسْتَرْزَقْ.

وبرغم الرفض العميق لأى احتمال تواصل، علاجى حقيقى، فإن العلاج قد يستمر لمدة التعاقد (سنة عادة أو أكثر)، وقد ينخدع الطبيب بذلك وخاصة إذا كان متحمسا مثاليا آمِلا، وكأن المريض بإرضائه ظاهريا، يعفى نفسه من مخاطر التغيير،

.....

وأخيرا فإنى أعتقد ان كثيرا من الأطباء والمعالجين يحتاجون إلى الإنصات إلى داخل مرضاهم بشكل واع، دون اتهام أو تسرع، حتى لا تخدعم حيل الطاعة، والامتثال، أو حتى اختفاء الأعراض

وبعد

بانتهاء هذه الحالة الثالثة وجدت فى نفسى عزوفا شديداً - ولو مؤقتا- عن مواصلة هذا المشروع بالذات من وحى ديوان "أغوار النفس"، على حساب ما خبرناه سويا من مواد النشرة الأخرى المتنوعة.

ما رأيكم ؟

عذرا

الثلاثـــــــاء 11-08-2009

711-العـــــــلاج النفســـــى الاستجدائـــــى الاعتمـــــادى

الحالة (الرابعة):

العلاج النفسى الاستجدائى الاعتمادى

(الفردى والجمعى)

مقدمة:

أحيانا يبلغ من سوء فهم، أو سوء استخدام العلاج النفسى أن يصبح مجرد مجال لاستدرار العطف والشفقة واستجداء التقبل بلا شروط، هذا الموقف ينبغى التنبيه على مدى سلبيته، خاصة فى ثقافتنا نحن التى تدعم الاعتمادية بشكل أو بآخر، سواء الاعتمادية على رئيس أو كبير أو سلطة، أو الاعتمادية على رمز أو مقام أو فكرة، صحيح أننا نؤكد أيضا رفضنا للمبالغة فى التأكيد على الاستقلال الباكر والبالغ والممتد، وهو ما تتصف به ثقافات أخرى ومجتمعات أخرى، لكن لا يصح أن يصل السماح بالاعتمادية إلى هذه الصورة الواردة بالمتن.

فى مجال العلاج النفسى يعتبر تمادى هذا الموقف الاعتمادى مسئولية كل من المعالج والمريض على حد سواء، بل إنه مسئولية المعالج أكثر. هذه الاعتمادية قد تتمادى أكثر فأكثر لتصبح بمثابة النكوص، فالسكون، فالموت النفسى الذى أشبعناه شرحا وتفصيلا فى الحالات الثلاثة السابقة، النكوص هنا طفلىّ يتأرجح ملتذا، وإن كان المتن قد عرّاه ليعلن أن الأرجوحة قد صارت نعشا.

(1)

لله ياسيادى..،

عَيِّل غلبانْ...،

مسكين تعبان.

يستاهل العطفِ والشفقةْ، وشوية حب.

(2)

نفسى اتمرجح، وارجع تانى أرضع مالْبـزْ،

واتلذ.

عأيز ابقى معاكمْ، شايـْلِنّى شيلْ،

حتى على خشبة نعْشْ.

هيلا بيلا، يا حَلـُـلّى.

العلاج الجمعى المَكْلَمةْ الدافئة "معاً":

إذا كان النكوص المتأرجح حتى الموت وارد فى العلاج الفردى حيث الطبيب يمثل رمزاً كبيرا خليق بأن يُعتمد عليه إلى كل مدى، فهل هو أيضا كذلك فى العلاج الجمعى؟

بصراحة: نعم، لكن إلى درجة أقل، صعب أن يتعمق هذا النوع من الاعتماد فى "مجموعة من المرضى والمعالجين، تنبض بحركية النمو،

لكن هناك نوع من (أو احتمال لـ..) سوء استعمال العلاج الجمعى فى هذا الاتجاه إذا طالت مدته، وكذلك إذا غلب الحكى فيه على فعل التفاعل، وخاصة إذا انفصلت المجموعة باعتماد أفرادها على بعضهم البعض أكثر فأكثر دون سائر المجتمع، أقول هناك احتمال أن تدور المجموعة بكاملها فى دائرة مفرغة (مثل تلك التى ذكرناها فى الحالات السابقة)، فيتوقف النمو **"بس ما نمشيش قدام"**، ويتواصل اللّف فى المحل،

التشبيه هذه المرة بالكلب الذى يحاول أن يمسك ذيلة فيلف حول نفسه بلا توقف أو نهاية.

"دا الكلب بيجرى ورا ديله، نهاره وليلهْ" فما بالك إذا كان هذا اللّف هو داخلى وخفىّ فى بؤرة وحدة جافة وعزلة مغلقة برغم التواجد الجسدى فى المجموعة **"وانا ديلى لاقف جوايا، ولا حدّ منكم ويايا"**

(3)

خلّينا مع بعض: نتونّسْ،

ونـدَرْدشْ.

بس ما نـِمـْشيش قدّام.

وحانمشى ليه؟

ما تبص يا بيه:

دا الكلب بيجرى ورا ديله، نهاره وْليـــــلُـــــهْ،

وانا ديلى لافِـــفْ جوّايـــــــــــا،

ولا حدّ منكم ويـــّـــاىَ.

الخوف من التمادى فى "حلم العلاج" التطورى

من مضاعفات العلاج الجمعى (خاصة النوع الذى نمارسه هنا) أن تنفصل المجموعة ولو مؤقتا عن الواقع، وقد ينتبه المعالج، وأحيانا مريض أو أكثر، إلى أن المسألة هى أقرب إلى الحلم، وأن الفرض القائل بأن ظهور الأعراض هو إعلان ضمنى لاحتمال تحريك مسيرة النمو (فالتطور) هو فرض أقرب إلى الحلم، والمتن ينتهى هنا بهذا التنبيه الساخر، الذى يعلن صاحبه اعتمادية من نوع آخر، كأنه يقول: "اعملوها انتم واحتفظوا لى بنصيبى **"وان كنتو مصرين قال يعنى، هاتوا حته"**،

يتم إعلان هذا الموقف بأمانة فعلية، وليس بالكلام عادة - وذلك فى صورة الإصرار على الحفاظ على مسافة بعيدا عن الآخر، والتمسك بحق الدفاعات العامية **"خايف أقرب ولا أجرّب، خليها مستورة أنا ف عرضك".**

(4)

مش نِـعْـقل ونبطّـل نحلم.

واذا كنتو مُصرّين قالْ يعنى،

هاتوا حتة.

خايف اقـــرَّب،

ولا أجرّب

خليها مَـسْـتورة أنا ف عرضَك.

*** * * ***

وبعد

قد أعود كل مرة بعد التقديم والشرح إلى جمع المتن مرة أخرى متماسكاً، اعتذارا له بعد هذا التشريح القبيح المفيد.

المتن مجتمعاً.

(1)

لله ياسيادى..،

عَـيـّل غلبانْ...،

مسكين تعبان.

يستاهل العطفِ والشفقهْ، وشوية حب.

(2)

نفسى اتمرجح، وارجع تانى أرضع مالْبِـزْ،

وأتَـلـــذّ.

عأيز ابْقَى معاكمْ،

شايـَـلِنّى شيلْ،
حتى على خشبة نـعْشْ.
هيلا بـيلا،
يـا حَلـُــلّى.
(3)
خلّينـا مع بـعض: نـتونّسْ،
ونـدَرْدشْ.
بـس مـا نـِمـْشيش قدّام.
وحانمشى لـيه؟
مـا تـبص يـا بـيه:
دا الـكلب بـيجرى ورا ديـلـه، نهاره وْلـيـــــلـُــــهْ،
وانـا ديـلى لافِـــفْ جوّايـــــــــا،
ولا حدّ منكم ويـــّـــاىَ.
(4)
مش نـِعْـقـل ونـبطّـل نحلم.
واذا كنتو مُصرّين قـالْ يـعنى،
هاتـوا حتـه.
. . .
. . .
خايـف اقـَــرَّب،
ولاّ أجرّب
خليـها مَــسْـتورة أنـا فْ عرضـَك

الإربعـــــاء 12-08-2009

712-التحذيـــر من تعريـــة مؤلمـة، بـــلا حركـة مشاركـــة

الحالـة (الخامسة):

التحذير من تعرية مؤلمة، بلا حركة مشاركة

أولا: تعرية الاغتراب اللذّ (الموت النفسى)

المواجهة أثناء العلاج النفسى بأن الوجود المغترب (مرضاً أو فرطَ عادية) هو موت نفسى بشكل أو بآخر، تعتبر من الصدمات العلاجية المفيدة أحيانا، الضارة غالبا إذا ما زادت جرعة التعرية فالرؤية فالألم، أو إذا ما أخطأنا فى اختيار التوقيت المناسب،

الحياة التراكمية الاغترابية تواصل مسيرتها بسلسلة من الرشاوى التسكينية والنكوصية، وبالتالى يتمادى الخمود حتى الموت (توقف النمو) تحت غطاء من اللذائذ المؤقتة المنفصلة عن بعضها البعض، وعن عائدها،

كان عنوان هذه القصيدة فى الطبعة الأولى هو **"الموت السرى المتدحلب"**، ذلك أن هذا الموت لا يسمى موتا أبدا، حيث أنه يتسحب تحت عنوانين شديدة الرشاقة بالغة الإغواء، مثل اللهو التفريفى الصاخب، أو الجنس اللذى يمارس لذاته **"مزيكا - أو جنس يا ويكا"**، بل إن لذة الأكل أو تعاطى المسكرات، قد تنضم بشكل أو بآخر إلى هذه النشاطات المغتربه حين تصبح أهدافا فى ذاتها **"كل واشكر" شامى بالفستق أو كفتة وكبده وحته كيف"**، كل ذلك قد يندرج تحت بند الرفاهية واللذة والمتعة والتريح، ليكن، ولنعترف أنه لا يوجد ما يدعو فى الحياة العادية أن ترفض ذلك أو أن ننكر حقنا فيه "قل من حرم زينة الله التى أحلها لعباده والطيبات من الرزق"، لكنه حق مشروط بالتفرقة بين الغاية والوسيلة، بين حق المتعة تصعيدا إلى متعة أرقى فأرقى وبين المتعة اللذيه المتوسط كنهاية للمطاف.

هذا العمى الجيد فى الحياة العادية يصبح معطلا فى العلاج النفسى، لأن كثيرا من الأمراض النفسية إنما ظهرت لتعلن أو على الأقل تعرّى التوقف عند هذه المرحلة اللذية التراكمية المغتربة

الاعتراف للمريض بأنه على حق فى رفضه هذا، برغم فشله فى إعطاء البديل، قد يجعل بصيرته تحتد أكثر فأكثر فيتماتدى المعالج فى إعلان أن كل هذه المظاهر هى نوع من الموت الذى علينا - بالعلاج- أن نتحفز لرفضه بتعريته، لكن ليس بالمرض ولكن بفرصة العلاج.

وهنا يعلن المتن تلك المقارنة الساخرة بين آلام إعلان الموت علنا، وبين التسليم لموت خفى يتسحب تحت اسماء تدليل خبيثة.

لا يـــاعْم. كده أحسن.

.....

أصل الموت علناً بيخُفْ.

ولا حدْ يقول، ولاحد يرد.

ولا فيه مزّيكا،

ولا جنس يا ويكا،

ولا فيه كل واشكر بالفستقْ،

ولا كفتة وكبدة وحتة كيف،

ولا فيه تصنيف.

ثانيا: تشكيلات أخرى للاغتراب

يعرّى المتن بعد ذلك تشكيلات أخرى لتجليات الاغتراب، ففى الفقرة التالية ينبه بسخرية أيضا إلى لعبة الاغتراب فى الكلام وفى المناقشات وفى تبادل الآراء بلا آراء (طق الحنك)، وفى مظاهر الاختيار بلا حرية حقيقية لا تتجلى إلا فى وجود بدائل للقرارات المطلوب الاختيار فيما بينها، وقدرة على التمييز، ثم على الحسم، ثم على اختبار نتيجة الاختيار، ثم على تحمل مسئولية هذه النتيجة واحتمال إعادة الاختيار .. إلخ بدون كل ذلك يصبح الاختيار مظهراً خادعا يضم إلى تشكيلات الاغتراب (موتا سريا متدحلبا) حتى لو سّمى حرية.

خلّينا كده نلعب فى السر،

قال إيه عايشين.

وأقول: "أنا رأيِ ياجماعة".

وكإنى عندى رأى صحيح.

وراح اعمل زى ما اكون باخْتار.

أو أرفع حاجبى وانا مِحتارْ.

كده،.. شبـــَــه الجـــدْ.

ثالثا: التحذير من الإيلام دون فِعْل

حين تتعرى الأمور هكذا فى سياق العلاج النفسى تصبح مهمة الطبيب (المعالج) أن يواصل التحرك بعد التعرية آملا فى عرض بدائل علاجية نمائية، وهنا يتجلى مأزق اختيارى جديد:

إذا توقف العلاج عند مرحلة تعرية هذه التشكيلات العادية (الرائعة) باعتبار أنها ليست إلا اغترابا مكافئا لموت تحذيرىّ (فرط الدفاعات المسكنه)، وأن المرض لم يظهر إلا لأن داخل المريض رفضها قبل أن يقوم العلاج بتعريتها، أو بإكمال تعريتها حدّ الألم، إذا توقف العلاج عند هذه المرحلة دون مشاركة حقيقية من المعالج تصبح المسألة أقرب إلى الفرجة والتجريح، أكثر منها مواكبة ومواجدة علاجية.

وقد يلتقط المريض ذلك - كما ورد فى المتن - منبها باحتجاج ساخر إلى سلبية إعلان هذه الرؤية بتسميتها "موتا" تحت زعم رفض الاغتراب، دون طرح بديل مع البداية فى التحرك نحوه مهما بلغت الآلام.

من هنا تأتى صرخة المريض ورفضه لزيف الاقتراب بعد هذا الاعلان (العلاجى) الصريح بأن المريض متوقف ومتراجع (ميت) بعد إجهاض ثورته (العادى)،

السخرية هنا ترفض هذا الموقف العلاجى المتفرج برغم صدق النية.

هذا التحذير الساخر هو تعرية بدوره للعلاقة العلاجية الرسمية "من سته لتسعة، بميعاد سابق" حين يُفرغ العلاج من المواجدة والمواكبة، لحساب تسمية المرضى وإعلان الوفاة والتحسر على ما آلت إليه حركته من سكون هامد.

يا أخينا:

لما انت عرفت انى ميّت، بتقرّب ليه؟

ماتكونشِى عايز تتفرّج؟

على إيه؟

عايـــــز تعرف ازاى المّيت بيحسّ.

إزاى بيطلّع حس.

ولا حاتاخد تفاصيل النَّعـْى؟

تكتب إعلان وبخط اسود وببنط عريض:

"إن المرحوم كان واحد بيه،

ولاخدْشِى نصيبُه فى الدنيا ويا عينى عليه.

والمعزى من ستة لتسعة،

بـــ "معاد سابق."

رابعا: إما الألم فالنمو .. وإما الموت الاختيارى الطيب

أحيانا يصل اليأس بالمعالج، والمقاومة من جانب المريض إلى الإقرار باستحالة تحريك الجمود المتحوصل داخل سياج من الدفاعات الاغترابية، وهنا يصبح التمادى فى تعتعة حركية النمو **نوعا من مضاعفة الألم بلا أمل**، ومن ثَمَّ يقفز المتن ناهيا عن مثل هذا العبث بمعنى:

إما محاولة متواصلة جادة تحت كل الظروف باعتبار أن هذا الموت بالاغتراب هو دفاع مشروع قابل للتحريك بقدر بذل الجهد ومواصلة الصحبة،

وإما تسليم طيب بحق المريض فى اختيار الدفاعات التى تناسبه، حتى لو كان المرض هو الذى بدأ بتعريتها،

وليس من حق المعالج فى هذه الحال أن يسمى هذه الدفاعات موتا مادام لم يواصل مع المريض ليحققا البديل.

إما التسليم بحق الاغتراب

وإما مواصلة مسيرة النمو العلاجى بلا توقف أبدا.

بس ما تِنْساش:

ضرب المّيت أكبر حُـــــرمه.

إزرع صبّار جنب التربهْ،

والشيخ "عارف" يقرا سورة الرحمن.

وبعد

إليكم المتن مجتمعا لعله يغفر لنا ما فعلناه به.

المتن مجتمعاً.

(1)

لا يـــــاعُم. كده أحسن.

.....

أصل الموت علناً بيخُضْ.

ولا حدْ يقول، ولاحد يرد.

ولا فيه مزّيكا،

ولا جنس يا ويكا،

ولا فيه كل واشكر بالفستقْ،

ولا كفتة وكبدة وحتة كيف،

ولا فيه تصنيف.

(2)

خلّينا كده نلعب فى السر،
قال إيه عايشين.
وأقول: "أنا رأيي ياجماعة".
وكإنى عندى رأى صحيح.
وراح اعمل زى ما اكون باخْتار.
أو أرفع حاجى وانا مِحتارْ.
كده،.. شبـــَــه الجـــدْ.

(3)

يا أخينا:
لما انت عرفت انى ميّت، بتقرّب ليه؟
ماتكونشِى عايز تتفرّج؟
على إيه؟
عايـــــز تعرف ازاى المّيت بيحسّ.
إزاى بيطلّع حس.
ولا حاتاخد تفاصيل النَـعْـى؟
تكتب إعلان وبخط اسود وببنط عريض:
"إن المرحوم كان واحد بيه،
ولاخدْشِى نصيبُه فى الدنيا ويا عينى عليه.
والمعزى من ستة لتسعة،
بـــ "معاد سابق."

(4)

بس ما تِـنْـساش:
ضرب المّيت أكبر حُـــــرمه.
إزرع صبّار جنب التربهْ،
والشيخ "عارف" يقرا سورة الرحمن.

الثلاثـــــــاء 18-08-2009

718- عـــن العـــلاج النفســـى والأيديولوجيـــــا (1 من 2)

لهذه القصيدة حكاية، فقد صدرت فى الطبعة الأولى للديوان باسم "شبه الإنسان" (فى 166 كلمة)، ثم جرى تحديث محدود بعد ذلك، لم ينشر (غالبا)، ثم أجرى تحديث أخير وأنا أعدها لأضمنها فى هذا العمل الذى لا يريد أن يستقر على منهج، فإذا بها تصل إلى أربعة أضعاف حجمها (735 كلمة)،

طيب!!! بالله عليكم أليس من حقها أن تصدر مستقلة أولا دون وصاية من شرح، أو إيلام بالتشريح

لست متأكدا!!

سوف أكتفى اليوم بتقديم الفكرة المقدمة

ثم ماتيسر من القصيدة بعد تحديثها

ثم نعود إلى ما تبقى غدا، متورطين أو غير متورطين فى التشريح والتسطيح، ربنا يستر،

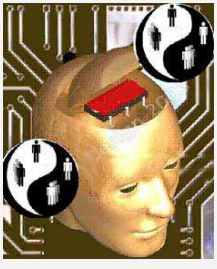

المقدمة وباعث القصيدة:

من أصعب ما يواجه الطبيب النفسى أن يعالج "أصحاب المبادىء الثابتة"، ليس مهما أن تكون المبادئ سليمة، أو صحيحة، أو أصح، ولكن الصعوبة تأتى من أنها ثابتة، والمتابع لحوارى مع الله استلهاما من مواقف ومخاطبات مولانا النفرى وهو يعلمنا خطورة العلم المستقر، وأيضا خطورة الجهل المستقر، خطورة هذا الاستقرار الجاثم على حركية نمونا، وبالتالى على توجهنا إلى الله تعالى، الجاثم بالعلم أو بالجهل فما بالك بالفكر المستقر، والنظرية المستقرة التى هى مرادفة للأيديولوجيا.

حين كتبت هذه القصيدة فى صورتها الأولى سنة 1974 ، لم يكن الاتحاد السوفيتى قد تفكك بعد، ولم يكن فوكوياما قد أعلن - بخيبة مؤقتة - موت التاريخ، كان -مثلما هو الآن- ما يشغلنى آنذاك هو "موت الإنسان" من حيث أنه **حركة ووعى وتاريخ**، وكان ما بلغنى من الممارسة الخاطئة للفكر الاشتراكى (وليس من حركية هذا الفكر البسيطة والبديهية والواقعية والممكنة) أن التاريخ توقف عندما فعله من قلبوه أيديولوجية هذا الفكر الحركى إلى جامدة، مع أن المفروض أن الفكرة فى عمق اصالتها، هى ضد فكرة الأيديولوجيا أصلا، شعرت أن حركية الفكر خمدت عند من زعم امتلاك حق احتكار تطبيق العدل، فما بالك عن من تبعهم - منا- مقلدين بغباء أو بإدعاء ممن لم يستوعبوها أصلا، ولم يعرفوا عنها إلا ما شاع عنها، أو ما بلغهم من ظاهر تطبيقها وسفه منفذيها.

الإشكالة فى العلاج النفسى:

هذه قضية سياسية لسنا فى موقع مناقشتها، وإن كانت القصيدة تبدو سياسية فى المقام الأول، خاصة بعد تحديثها، إلا أن ما يهمنا هنا هو ذلك الإنسان المريض الذى جاء يعانى وقد سبق أن تورط فى تقديس هذه المبادئ التى هى أصلا ضد "أى تقديس"، ثم نكتشف أن هذه المبادئ قد استعملها صاحبنا بتماسك بها حين قامت بحمايته شخصيا بنجاح، كآلية دفاعية أساسا، أكثر منها كموقف أو كمذهب عام قابل للاختبار سعيا إلى إقامة العدل وتحريك التطور على أرض الواقع لكل الناس؟ هذا الشخص كان - غالبا- يستعمل **النظرية الأيديولوجيا** تماما كما يستعمل شخص متدين الدين، ليس لتسهيل توصيله إلى الإيمان كدحا إلى وجه الحق، وإنما يستعمله ليستقر فى موقعه بعيدا عن حركية نموه (التى هى موازية - غالبا - لما أسماه كارل يونج : تجربة الرب) ، هنا

يصبح الدين آلية دفاعية Mechanism تماما مثلما تصبح الأيديولوجية الاشتراكية آلية دفاعية، وطالما نجحت هذه الآلية هنا أو هناك من قبل أن يمرض صاحبها، أو دون أن يمرض أصلا فليس للطب النفسى ولا العلاج النفسى حق حتى فى مجرد نقدها، إنما ينشأ الإشكال حين يأتى صاحب هذه الآلية (فى الدين الجامد أو الأيديولوجى المقدس)، ويعانى نفسيا، فيجد الطبيب نفسه مضطرا إلى التلميح أن هذه الآلية التى قامت بالواجب فيما قبل المرض، معرضة للفحص والنقد وإعادة النظر، مثل أية آلية أخرى،

هنا يقفز عامل آخر، وهو ما ألمحنا إليه فى مواقع أخرى كثيرة،. هذا العامل هو: ماذا عن أيديولوجية المعالج نفسه، وكيف يمكن أن تكون عاملا فاعلا بعلمه أو يغير علمه فى مسيرة العلاج، وهل يمكن أن يزعم المعالج أنه محايد فى حين أن داخل داخله قد يحكم على هذه أيديولوجية مريضه بالزيف أو بالفشل أو بالعبث أو بالاغتراب أو بغير ذلك ؟

فى البلاد المتقدمة يتجنب هذا الحرج الممارس حين يمتنع الطبيب - بالأمر وبالعرف وبالقانون- أن يسأل مريضه عن دينه أو عن توجهه السياسى، وكأن مجرد تجهيل هذه المنطقة عند المريض، مع تصور الطبيب أنه أخفاهما أيضا بالنسبة لنفسه (إيش أدراه؟) يمكن أن يصبح العلاج أكثر موضوعية. طبعا هذا كلام سطحى، ناقشناه أيضا مع موضوع استحالة الحياد المطلق فى العلاج النفسى.

إذن ما العمل؟

ليس عندى اهتمام مباشر بالعمل السياسى، وإن كنت - مثل أى شخص يعيش فى مجتمع تنظمه سلطة ما - سياسى رغم أنفى، تقفز لى هذه القضية بشكل شخصى حين اضطر، ولو بينى وبين نفسى أن أتساءل عن موقعى الشخصى من هذا المذهب السياسى أو ذاك، وأيضا عن موقفى من هذا النوع من التدين أو ذاك، وهى قضية تحتد حين أواجه بمريض صاحب مذهب واضح محدد، أو صاحب أسلوب فى التدين راسخ جامد ثم يأتى يسألنى النصح، فيقفز لى -غالبا- أنه لو كان على صواب فى مذهبه هذا أو فى طريقة تدينه ، لما مرض، ولما جاء يستشيرنى - أنا المهزوز على الأقل من وجهة نظرى وأمأل نفسى بشكل مباشر أو غير مباشر أين مذهبه مما حدث له.

لا يجوز أن يجرى الأمر كذلك، وفى هذه الحالة (حين أضبط نفسى متلبسا بهذا السخف)، أتصور أننى كان يمكن أن أعفى نفسى من هذا الحرج بأن أدعى الحياد، لكننى عادة لا أستطيع فأتقدم خطوة لأعامل هذا الموقف الأيديولوجى الجامد أو طريقة التدين المستقرة بلا حراك، أعامل هذا أو ذاك باعتباره ميكانزم معرض للاهتزاز مثل أى ميكانزم، وهكذا تنتقل القضية من منافشة المحتوى (مضمون الأيديولوجى، أو مضمون طريقة التدين) إلى العمل على إنجاح أى منهما كما كان ناجحا فى الحفاظ على تماسك صاحب أيهما متوازنا غير مريض، فإذا فشلنا، فالأمر يحتاج إلى إعادة نظر، لإطلاق مسيرة النمو، وهو نفس ما نلجأ إليه فى التعامل مع أى ميكانزم.

هناك بعد آخر ينبغى وضعه للاعتبار فى شأن المريض، قبل وبعد تعلقه بمنظومته الدفاعية: أيديولوجية" أو دينا، ذلك أن بعض المرضى الذين يحضرون للعلاج يعلنون أن ما ألَمّ بهم من مرض أو إعاقة إنما يرجع إلى تدهور قيم المجتمع عامة، والظلم السائد فيه، والاغتراب الغالب عليه ، وكذا وكيت، وكأن الحل ليس فى أن يشفوا هم، حتى يستطيعوا أن يواصلوا تغيير ما يعترضون عليه بالثورة أو الإبداع أو الإصلاح أو أى دور

يرتضونه ، بل إنه بعضهم يلح على الطبيب أن يفهم أنه لن ينصلح حال مرضه ، ولن يشفى إلا إذا انصلح حال المجتمع، وكأن مهمة الطبيب - حتى يشفيه - هو أن يُصلح حال المجتمع، ويقيم العدل، وربما يوزع الأرزاق، طبعا المريض لا يقول هذا صراحة ، ولكنه يحيل أية معاناة إلى مثل هذه الأسباب ويلقيها فى وجه الطبيب وينتظر.

فى كثير من هذه الحالات لاحظت كيف تحل المناداة بالمباديء المثالية، سماوية كانت أم إنسانية، محل الحياة الواقعية اليومية، وتبدو المباديء التقدمية أو الاشتراكية أو اليسارية أكثر إغراء للشباب من غيرها (أو هكذا كانت تبدوا أيام كتابة النسخة الأولى للقصيدة) ، فكنت كثيرا ما أتبين أن المناداة بهذه المباديء بكل هذا الحماس، وبكل هذا الكلام، فى الموقف العلاجى، هو نوع من إعلان ضمنى بعدم الالتزام بالمشاركة فى تحقيقها، وبرغم ذلك ، فقد لاحظت من أصحاب هذه المبادئ أنهم أحيانا يحضرون وعندهم تصور عن أيديولجية أو دين المعالج (من مقال قرأوه ، أو حديث سمعوه، أو شاهدوه أو خبر تناقلوه ...إلخ)، وحين يكتشف الواحد منهم أن المعالج ليس كما تصور (ليس اشتراكيا، ليس مستشيخا، ليس مثاليا ...إلخ) تهتز ثقته، وقد يتراجع، أو قد يواصل متحديا (هاديا أحيانا آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر) فتنقلب المسألة العلاجية إلى مناقشات سياسية أو اقتصادية أو فقهية،(لو لم يأخذ الطبيب حذره) وتضيع معالم المهمة العلاجية، وتبهت محكات قياس التقدم فى العلاج.

.. وفى العلاج الجمعى

لاحظت فى العلاج الجمعى أن أكثر أفراد العلاج اغترابا عن التفاعل النشط فى " **'هنا'** و**'الآن'**" هم الجاهزون بهذه الأفيشات البراقة، وحين كنت أصر أن أجذب بعضهم إلى اللحظة الراهنة، كان الواحد منهم يكاد يطلق عدوانه بلا هوادة احتجاجا على "رجعيتى"، وقد يشك فى محاولة غسيلى لمخه لأخلع عنه أيديولوجيته.. الخ" وبالتالى قد يتردد فى وضع الثقة ، أو حتى فى استمرار العلاج احتجاجا على بعدى عن التعاليم المقدسة (أيديولوجيا أو دينيا) التى يؤمن هو بها" ..

وكما يستغرق الشخص الرأسمالى فى جمع المال، ويكتمل اغترابه حين ينسى أن هذا المال ليس إلا وسيلة لتحقيق فرص أوسع لحركية نموه، وإطلاق حيويته، وتأمين وجوده.. ومن ثم اكتساب حرية داخلية تعقبها فاعلية الخلق والعطاء، كذلك فإن مثل هذا الشخص 'المبادئى كلاما ' يستغرق فى تكريس الأفكار والمباديء وتسلسل المنطق والدفاع النظرى عن ايديولوجيته ليحقق الانتصار "النقاشي"، فيكتمل اغترابه بالابتعاد المنظم عن ذاته وعن أرض الواقع الفردى وعن مواجهة مشاكل الوجود الجماعى فى نطاقها الحى، كل هذا قد يكون مقبولا ومفيدا فى مجال آخر غير مجال العلاج، لكن متى ما احتاج الأمر إلى طلب المشورة والمساعدة المهنية، بما فى ذلك من إعلان اهتزاز هذه الحيلة الأيديولوجية الدفاعية، فإن الحسابات تختلف، والمنهج يختلف، والمحكات تختلف.

القصيدة (مكتملة: بعد التحديث)

(1)

شِـدّوا الستايـرْ،
كعب دايـر،
وْخيوطها من ليف الضلامْ،
والنـــضْبة كانت مش كما الواجب،
ولا قدّ المقام،
وكإن مولانا ما كانشى
يوم إمام.

(2)

كان بودى ما شوْفشى إن الحارة سدْ.
كان بودى ينجحوا، لكن بجدّ
كان بودّى أصدّق انّ العْدلْ مُمكن.
كان بودى ، كان بودى !! ، قلت: "يمكنْ".

(3)

جه صاحبنا يشتكى من نور بصيرته
قام مِرَاجِعْ كْل سيرته،
اتوجَعْ، لكنُّـهْ كمِّل،
حتى لو خُرّاجُه عمِّلْ :

(4)

التعلب، فات فاتْ،
وفْ راســُهْ، أيْـدُولُوجِـيَّـاتْ.
والثورة: شوية كلمَاتْ،
ورجالها: لابْسين باشوات،
بيحكُّوا ويقولوا شعارات

(5)

"فى الواقعْ: إن الواقع، واقع جداً،"
والبنى آدم يادوبْ: مـادّة وْتَـارِيخ،
والتاريخ عَرْكَةْ اللّى فاز فيها بيْركَبْ.
يطلع المـنْـبَـرْ ويخطُبْ:

إلـعيـال الـشغـالـين هُمَّا الـلّى فـيُهمْ،
بـاسُمُهم نـــِـْلَعْن أبـو الـلّى خلّفـوهم
"بـاسْمُهُم كل الحاجات تِـبْقى ألـيـسْطَا
والـنسا تـلبس بـاطِيـسْـطَا
والـرجال يـتحجّـُبوا، عـامِلْ وأُسْطَىَ".

(6)

يـعنى كل الـنـاس، غُمُومْ الـشعب يَـعْنِى:
لُم لابـد إنـه بـيـتغذّى لِـحَد مـا بَـطْنُه تِـشْبَـْع.
وامّـا يِـشْبَعْ يِـبْقى لازِمْ إنُّـه يـسْمَعْ.
وان لَـقَى سْمُعُه يـاعيـنِي مِـشْ تمـام،
يِـبْقَى يـسجد بـعد مـا يـوطّى ويـرْكَـع.
بَـسّ يـلزَقْ ودنـه عَـالأرضِ كـِـــوَيِّـسْ،
وان سِمْع حـاجَةْ تِـزَيَّـقْ، تـبقى جَزْمـة حَضْرة الأخ الـلّى عـيّن نَـفْسُه "رَيّـسْ"،
لاجْلِ مـا يْـعَوَّض لـنَـا حرمَـانْ زمَـانْ. إمّـالِ ايـهْ؟
والـلّى يـشبْع مِـنكُو **أكل وشُــوفْ،ركوعْ، سَمَـانْ كلامْ،**
يِـقَدْر يـــِـنَـامْ:
مُطْمَـئِن،
أو ساعات يـقدر يـفِـــنْ.
والـلى مـا يـسمعشى يـبقى مُخّهُ فـوِّتْ،
أو غراب على عِشُّه زَنْ.

(7)

والحاجات دى حلوة خـالـص بـس إوعكْ تِـسْتَـمَـنّـــى إنـك تـقـيسها،
أصْلَـهَا خُصُوصِى، ومحْـطوطَة فى كـيسْهـا.
وانـت بـس تـنفّـذ الحتّة الـلّى بَـــظَـــتْ (يـعنى بـانـت).
إنـت حُـــرّ فْ كل حـاجة، إلاّ إنـك تـبقى حر.
(لأ، دى مـش زَلّـــــةْ قَـلْم، ولا هِيّـةْ هفـوةْ،
مـش ضرورى تـــِـتْـفَـهمْ، لـكن مـفـيَـدةْ،
زى تـفـكيكةْ "داريـدا").
يـعنى كل الـنـاس يـا حبة عينى ممكن تـبقى حرة.

حرة كما وُلدوا وأكْتَرْ،

يعنى بلبوص حر خالص، بس ما ينطقشى كلمة،

..... يِتخدش بيها حياءْ حامى البلاد من كل غُمّة،

ما هو مولانا رأى الرأى اللى ينفع،

الحكومة تقول، يقوم الكل يسمع.

واللى عايز أمر تانى، ينتبه للأوّلانى.

مش حا تفرقْ. قول يا باسط.

والوثائق فى المعانى، والمعانى فى الأوانى .

والأوانى فى المباني، والمبانى شكل تانى!!

(برضه تفكيكة داريدا، تبقى هاصِت).

وإلى الغد

نكمل ونرى

- لست متأكد هل كان ذلك فى الفصول الأولى من هذا الكتاب، إنما أنا متأكد أننا عرجنا إليه فى ما نشرنا فى باب التدريب عن بعد

- كما أذكر أننى أشرت إلى ذلك فى موقع آخر فى نشرات مختلفة أيضا

- كلما ناقشنا موضوع استحالة الحيادية المطلقة فى العلاقة العلاجية

الإربعـــــاء 19-08-2009

719- عن العلاج النفسى والأيديولوجيا، وموت الانسان (2 من 2)

مقدمة :

أشرنا أمس كيف أن هذه القصيدة لها وضع خاص بالنسبة لما جرى بها من تحديث المرة تلو الأخرى، وأيضا بالنسبة لعلاقتها بالعلاج النفسى، ثم تأكدت اليوم أنها تتضمن موقفا، أو نقدا سياسيا ممتدا، قد يبدو بعيدا بدرجة أو بأخرى عن موقف العلاج النفسى تحديدا،

لهذا فضلت أن أكتفى بنشر المتن، ربما تكون له وظيفة إعلان موقفى الشخصى من الجارى فى مجتمعى بالطول والعرض - والذى لابد أن يؤثر فى ممارستى المهنية .

وقد أنقذ هذا الاقتراح هذه القصيدة من ذلك التشريح القاسى الذى لا نعرف متى يتوقف.

ثم إننى فضلت اليوم أن أنشرها مجتمعه، أملا فى استيعابها بما هى، ثم دعونا ننتظر ما سوف يصلنا من تعقيبات عامة (سياسية وغير ذلك) وخاصة (بما قد يتعلق بالعلاج النفسى، أو حتى بموقفى الشخصى معالجا)

وربما احتاج الأمر إلى عودة لمناقشة الأمر، فى بريد الجمعة مثلا.

(ما سبق نشره أمس من القصيدة بعد التحديث من 1-7)

(1)

شِدّوا الستايرْ،

كعب داير،

وْخيوطها من ليف الضلامْ،
والنـــضبة كانت مش كما الواجب،
ولا قدّ المقام،
وكإن مولانا ما كانشى
يوم إمام.

(2)

كان بودى ما شوْفشى إن الحارة سدْ.
كان بودى ينجحوا، لكن بجدّ
كان بودّى أصَدّق انّ العْدلْ مُمكن.
كان بودى ، كان بودى !! ، قلت: "يمكنْ".

(3)

جه صاحبنا يشتكى من نور بصيرته
قام مِرَاجِعْ كْل سيرته،
اتوجَعْ، لكنُّــهْ كمِّل،
حتى لو خُرّاجُه عمِّلْ :

(4)

التعلب، فات فاتْ،
وفْ راســُهْ، أيْــدُولُوجِــيَّــاتْ.
والثورة: شوية كلمَاتْ،
ورجالها: لابْسين باشوات،

بـيحكـُّوا ويقـولـوا شعـارات

(5)

"فى الـواقـعْ: إن الـواقـع، واقـع جداً،"

والـبنى آدم يـادوبْ: مـــادّة وْتَـاِريـخ،

والـتـاريـخ عَرْكَـةْ الـلِّى فـاز فـيـها بـيْـركَبْ.

يـطلع المـــنْـــبَـــرْ ويخطُبْ:

إلـعيـال الـشغـالـين هُمَّـا الـلِّى فـيُـهمْ،

بـاسُمُهم نـــِـلْعَن أبـو الـلِّى خلّفـوهم

"بـاسْمُهُم كل الحاجات تِـبْقى ألـيسْطَا

والـنسا تـلبس بـاطِيسْـطَا

والـرجال يـتحجّـُبوا، عـامِلْ وأُسْطَىَ".

(6)

يـعنى كل الـنـاس، غُمُومْ الـشعب يَـعْنِى:

لُمْ لابـد إنـه بـيـتغذّى لِحَد مـا بَطْنُـه تِـشْبَـعْ.

وامّـا يِـشْبَعْ يِـبْقى لازِمْ إنُّـه يـسْمَعْ.

وان لَـقَى سْمُعُـه يـاعيـنِي مِشْ تمـام،

يِـبْقَى يـسجد بـعد مـا يـوطّى ويـرْكَـع.

بَسّ يـلـزَقْ ودنـه عَـالأرضِ كـــِـوَيِّـسْ،

وان سِمْع حـاجَـةْ تِـزَيِّـقْ، تـبقـى جَزْمـة حَضْرة الأخ الـلِّى عـــيَـن نَـفُسُه "رَيَـسْ"،

لاجْلِ مـا يْـعَـوَّض لـنَـا حرمَـانْ زمَـانْ. إمّـالِ ايـهْ؟

والـلِّى يـشبْع مِـنكُو **أكل وشُـــوفْ،ركوعْ، سَمَـانْ كلامْ،**

يِـقْدْر يـــِنَـامْ:

مُطْمَـئِن،

أو ساعـات يـقـدر يـفِـــنْ.

والـلى مـا يـسمعشى يـبقـى مُخّهُ فـوِّتْ،

أو غراب علـى عِشُّه زَنْ.

(7)

والحاجات دى حلـوة خـالـص بـس إوعكْ تِـشْتَـــمَـنّـــى إنـك تـقـيسهـا،

أصْلَـهَـا خُصُوصِى، ومحْـطوطَة فى كـيسْهـا.

وانت بس تنفّذ الحتّة اللّى بَـظّـــتْ (يعنى بانت).
إنت حُـرّ فْ كل حاجة، إلاّ إنك تبقى حر.
(لأ، دى مش زَلّـــــةْ قَلْم، ولا هِيّةْ هفوةْ،
مش ضرورى تِـتْـفَهمْ، لكن مفيَدةْ،
زى تفكيكةْ "داريدا").
يعنى كل الناس يا حبة عينى ممكن تبقى حرة،
حرة كما وُلدوا وأكْتَرْ،
يعنى بلبوص حر خالص، بس ما ينطقشى كلمة،
..... يِتخدش بيها حياءْ حامى البلاد من كل غُمّة،
ما هو مولانا رأى الرأى اللى ينفع،
الحكومة تقول، يقوم الكل يسمع.
واللى عايز أمر تانى، ينتبه للأوّلانى.
مش حا تفرقْ. قول يا باسط.
والوثائق فى المعانى، والمعانى فى الأوانى .
والأوانى فى المباني، والمبانى شكل تانى!!
(برضه تفكيكة داريدا، تبقى هاصِت).

(بقية القصيدة: ننشرها اليوم)

(8)

الدنيا دى طول عمرها تدّى اللى يِغْلبْ:
سيف ومطوةْ
واللى مغلوب يـــنضرب فوق القفا فى كل خطوةْ
أصل باين إن "داروين" كان ناويلْهَا:
إن أصحاب العروشْ.
ويّا أصحاب الفضيلةْ،
يعملولْنا جنس تانى.
جنس أحسنْ.
إسْمه: "إنسانْ مُحَسَّنْ،
واللى يفضل منّا إحنا؟
مش مهمْ.

إحنا برضه لسّة من جنس البشرْ. .. إلقديم.

يعنى "حيوانٌ بِينْطَق"،

مش كفاية؟؟

ليه بقى عايز يقلِّبْ، ولاّ يفهمْ؟

هوّا إيهْ ؟!!

هىَّ سايبةْ ؟!!

يعنى إيه الكل يفهم ؟!!!!

مش ضرورِى،

يِكفى إنه يقرا "ميثاق" السعادة،

واللى صعب عليه حايلقى شَرْحُه فِى خُطَبِ القيادةْ.

واللى لسّة برضه مش فاهم يُحاكم.

وانْ ثَبَت إنه برئْ:

يتَرَزْع نوطِ "العَبَطْ"

وانْ ثَبت إنه بِيفْهَمْ:

يبقى من أهْل اللَّبَط.

"يعنى إيه؟"

زى واحد ناسى ساعتُه.

يعنِى نِفسُه فِى حاجاتٍ، **مِشْ بِتَأعتُه**

"زى إيه؟"

(9)

زى واحد جه فى مخه- لا مؤاخدة - يعيش كويّس.

"برضه عيب"

هو يعنى ناقْصُه حَاجَةْ؟

قال يا أُمّى، والنبى تدعى لنا إحنا والرئيسْ،

ربنا يبارك فى مجهودنا يكتّر فى الفلوسْ.

بس لو نعرف معاهم قدّ إيه، واحنا لينا كامْ فى إيهْ!

(10)

"آدى أخْرِة فَهْمَك اللِّى مالُوش مُنَاسْبَة.

طبْ خُدوه، وضّبوهْ،

واحكُموا بالعدْل يعنى: إعْدلوهْ
تُهمتُه ترويج "شفافيِّه" مُعاصْرةْ
(هذا ملعوبُ الخَواجةْ)
وان رمِينَا الكومِى بدرى، تبقَى بَصرةْ.
"الكلاْم دا مِشْ بتاعْنَا،
دَشّ ماْ لهُوْش أى معنى"

تُهمتُهْ التانية "البجاحه"
واحنا فى عِز الصراخْه،
واللى عايز غير ما يُنشرْ،
هوّه حر انه "يفكرْ"،
فى اللى عايزُه.
أو يشوفُه جوّا حلمه،
وان حكاه يحكيه لأمُّه،
وانْ أخد بالُه وقاُلْه مُوَطِّى حِسُّه،
مستحيل حد يِمسُّهْ.

(11)

قالَها يا مّهْ أنا شفت الليلادِى:
إنى ماشى فى المعادِى.
شفت نفسى باخترعْ نظريَّةْ موضَهْ،
زى ساكنْ فى المقابرْ يبنى قصر ألف أُوضه:
"والعواطف أصبحت مِلْك الحكومةْ،
والحكومة حلوة خالص.
عبّت الحب الأمومى، والحنانْ،
جوّا أكياس المطالْبة بالسَّلاَم،
والطوابير اللى كانت طولها كيلو،
اختفت ما عادتشى نافعة.
"أصلنا شطبنا بيع وبلاش مِلاَوْعة "
واللِّى طَالُهْ من رضا الريّس نصيب:

فـازْ، وقّـــلـعْ.

والـلى لـسّه ما جاشِـى دوره. بـات مولـع.

قـام سعادة الـبيه قـايــلْ لُــهْ: "تـعـالى بـكُرَه"

[درس مش عـايـز مذاكـرة"]

وْرُحت صاحِى.

(12)

قـالُـوا إن أكْـرَمْـتُـوا مـيِّـــــتكُو ادْفِـنُـوه.

دا الـقـبر رخـامْ،

والـنقش علـيه آخر مـوضَةْ، خلاّلـه مقـامْ،

والـلى دَفَـنُـوه، سَوَا من مُــدَّة،

نِـسْـيُـوا المرحوم كـان مِن.

أتِـاريـه كـان شَبَه الإنْـسَانْ.

الثلاثـــــــاء 25-08-2009

725- دفاعات ضد "حركية" تجليات "الحب" على مسار النضج

الحالة السابعة (والأخيرة فى الفصل الأول)

لا توجد كلمة شائعة الاستعمال، سهلة التناول، مقدسة أحيانا، وملتبسة كثيرا، مثل كلمة الحب، ولعل المتابع لهذه النشرة، التى يبغ عمرها العامين بعد أيام، يعرف المساحة التى خصصناها للحب، وخاصة فى الملف الذى أسميناه "ملف الحب والكراهية"، وقد تناولت النشرة حتى بغير هذا العنوان (مثلا فى باب التدريب عن بعد، أو حالات وأحوال)، كثيرا من جوانب هذه الظاهرة الوجدانية الجوهرية، (المسماة: الحب) بأكثر من منهج. يمكن الاستنتاج من ذلك وغيره أن ظاهرة الحب ليست بالبساطة الظاهرة، وأن كل واحديراها بطريقته اليقينية التى توحى له - وأحيانا لنا- أنه "هو الذى يعرف "الحب الحقيقى".

نحن نتداول هذه الكلمة بإفراط شديد طول العمر، طول الوقت. ربما يسمعها الرضيع قبل أن يسمع "بابا" و"ماما"، ثم خذ عندك: بمجرد ان يكبر وينتبه إلى ما يقال حتى يواجَه بسيل من العبارات كلها تحمل كلمة الحب بشكل أو بآخر، فهى إما تعبير عن الحب، أو دعوة للحب، أوسؤال عن الحب (بتحب ماما أكتر ولا بابا؟ باحبهم الاتنين!!)، ثم خذ عندك ادعاء حب المدرسة، ثم حب الصديق والصديقة، ثم الحب الذى هو حب، والحب الذى كنظام الحب، ثم يتدخل الجذب الجنسى فى الموضوع، فيصبح الحب غراما وهياما، مع الإضافات المناسبة من الخيال والرومانسية والأحلام، وهات يا حب، ثم خذ أيضا حب الوطن (فرض عليّا)، وحب النادى الأهلى، وحب النبى وأهل بيته، ومحبة السيدة العذراء، وحب النفس، ولا مؤاخذة "الأنانية" (وهى غير حب النفس)، وحب الناس، والحب فى الله، والموت حبا، فى المحبوب أو بسبب المحبوب، أو مع المحبوب (بالمرة).

طيب بالله عليكم كيف نتناول هذه الكلمة، هذا المفهوم، هذه القضية، وهى هكذا، فى سياق العلاج النفسى.

حين وصلت إلى هذه القصيدة، هذه الحالة، وجدت أنها تمثل نموذجا له أهميته الخاصة لما تتناوله من مقارنة بين نوعين على الأقل من أنواع الحب، رحت أقلب فيما سبق وفيما لحق من قصائد هذا الديوان، فوجدت أن معظم القصائد، إن لم يكن كلها إنما تتناول قضية الحب أيضا بشكل أو بآخر، بل لعلها تتناول قضية العلاقة البشرية، ليس تماما فى سياق العلاج النفسى مهنيا، وإنما فى السياق الذى كتبت فيه هذه القصائد (وهو لم يكن سياق علاج نفسى أصلا، هذا إن وجدت هذه الشخصية التى تتحدث فى القصيدة، أو التى عنها القصيدة (الباب الثانى) من الأصل!!).

ما العمل؟

ما هو الأفضل؟

أن نسميه حبا، ويذهب المتلقى إلى ما يذهب إليه بمجرد أن يسمع كلمة "حب"، أم نسميه العلاقات البشرية فنمسخه ونحن نهرب من مسئولية التحديد والتفنيد، ونتكلم عنه وكأننا نتكلم عن معادلة رياضية فاترة؟

هل أجمع القصائد من الديوان التى تناولت تشكيلات الحب بشكل مباشر، ثم أخرج منها بمنظومة نتعلم منها ما هو الحب وكيف يتجلى فى مختلف صوره، فلا ألزم نفسى بقصيدة بذاتها تقدم الموضوع مخنوقا منفصلا، أم أتناول المضوع من خلال كل قصيدة بحسب ترتيبها، ثم نجمع الخلاصة لاحقا؟

قصيدتان قفزتا إلى من الباب الثانى وأنا أواجه هذا المأزق، قصيدة **"الترعة سابت فى الغيطان"**، وقصيدة **"دراكيولا"**، (ولست أدرى إن كانا سوف يظلان محتفظتان بالعنوان أم لا)،

الأولى: - **الترعة سابت فى الغيطان**- هى تعرى نوعا من الحب فيه سهولة وعطاء ودماثة وصدق وإخلاص، بلا شروط ولا معاناة ولا مقابل(يعنى) و....و.... وبالتالى بلا "آخر" آخر موضوعى حقيقى متميز (أنظر بعد)!!،

والثانية: -**دراكيولا**- تجلى فيه ما سمى حبا بشكل التهامى احتوائى قاتل، كأنه موت يقتات بموت، ويغذيه، **"بكره حا تحتاج موتى يا موت، ونموت جمعا"** ..إلخ (أنظر بعد).

المهم، هذه القصيدة الحالية تقدم لنا -على لسان صاحبتها- ثلاثة مستويات من الحب

الأول: الحب الامتلاكى (ويشمل الخصوصية والأمان والاطمئنان السرى الاعتمادى)

الثانى: الحب الجوع الاحتياج، فاحتياج الاحتياج (ويشمل شرب الماء المالح، والاستعمال المتبادل أحيانا)

والثالث: الإشارة إلى صعوبة النقلة إلى الحب: "القدرة على الحب" الممتد إلى الدوائر الأوسع؟. (ويشمل الاستعداد للحب والقدرة على توليده وتوجيهه وتحويله مسئولية وتحمل وطول نفس)

هذه القصيدة تتناول النوع الأول، وبعض الثانى، كما تحذر من احتمال مثالية أو استحالة أو عقلنة النوع الثالث

دعونا نرى:

نبدا بالفقرة الأولى من القصيدة:

عايزين إيه منِّى؟

أنا مالِى؟

أنا عايزه أعيشْ،

زىّ الباقْيِين،

يبقَى لى عشْ صغيّر، وعْيال.

ولـَفَندى بتاعِى (أيوه بتاعى مِلكى)،

يرجعلِى تملّى.. زىّ حمام الزاجلْ.

يحضنّى أنا وعيالِى،

يطوينِى تحت جناحُهْ،

وراح اربُطْ رجلُهْ بـْفتـْلَةْ لـَيْـطير

تعبر هذه الفقرة عن أكثر أنواع الحب شيوعا، **"زى الباقيين"**

وهو الذى يتصف بما يلى (وغير ما يلى):

1- الخصوصية **"يبقى لى عش صغير"**

2- والملكية: لفندى بتاعى (أيوه بتاعى ملكى)

3- وتصور الأمان: **يرجع لى تملى، يطوينى تحت جناحه**

4- والأسرة الصغيرة (غالبا فى المؤسسة الزواجية) **يحضنّى أنا وعيالى**

5- وضمانات ضد اللاأمان: **وراح اربط رجله بفتلة،..... ليـــطير.**

هذا النوع من الحب الثنائى الخصوصى الامتلاكى يظل فاعلا مفيدا طالما سكنت حركة طرفيه، وهو يغذى نوعا من العلاقة التكميلية (لا التكافلية) وهى ما تسمى أحيانا "علاقة القفل بالمفتاح"،Key and Lock relation ويظل الطرفان يتبادلان -من خلال هذه العلاقة- الأمان، والتأمين، فى مقابل (وعلى شرط) **"أن يستمر الحال على ما هو عليه"**، لأطول مدة ممكنة.

فى حالات كثيرة، مع استمرار نمو كل من الطرفين، كل بطريقته وحسب ظروفه، تهتز هذه العلاقة لأنها تكاد تحول دون نمو أحد، أو كلا، طرفيها، فتظهر الأعراض، إما عند أحد الطرفين، أو فيما يسمى "مرض العلاقة ذاتها"، Pathology of Relation أى أن كلا من الطرفين وحده لا يعانى من أعراض بذاتها، وإنما إذا ما تفاعل الطرفان معا، تظهر الصعوبة فى العلاقة، والفشل، والأعراض كما ذكرنا.

حين يعلن هذا المأزق فى **العلاج النفسى**، يحتاج الأمر إلى وقفة فاحصة ناقدة، تغرى الطبيب، أو تضطره، فى كثير من الأحيان، أن يتقدم نحو ما يسمى "إعادة التعاقد" بمعنى أن يعتبر أن العقد الثنائى السابق قد استنفد أغراضه فى ظروفه التى كانت حتى الآن، وأن الأمر يحتاج نوعا آخر من العلاقة، ويمكن إيجاز بعض ذلك كما يلى :

يسمح الطبيب أن تتخلخل العلاقة أكثر، ولو مرحليا، لإعطاء الفرصة للانتقال إلى مستوى أخر من الحب، وهو مستوى القدرة على الحب : حب الآخرين، وليس فقط الآخر، **فلا يعود هذا المحبوب محبوبا بديلا عن كل الناس، بل يصبح ممثلا لكل الناس**، وهو ما عبرتْ عنه ذات مرة ، بأن المرأة - مثلا- تحب **زوجها بالأصالة عن نفسها والنيابة عن حب كل الرجال**، (وقس على ذلك).هنا تصبح المسألة أقل احتكارا وأكثر حركية وحرية، تنتقل حركية "التواجد الاستبعادى" "معا": من **"أنا أحبك دون غيرك"**، إلى **"أنا أستطيع أن أحبك أنت وغيرك"**، لكننى أمارس الحب معك لأنك أقرب وأطيب، وتقوم بنفس ما أقوم به، أو على الأقل أنا أتوقع منك ذلك، وأعمل على تحقيق ذلك، وأنت كذلك،، تقوم به بدورك معى.(...وكلام من هذا، وهو كلام "كبير" هو الذى حذرتْ منه الحالة - القصيدة- وشككت فى إمكان تحقيقه)

هذا النوع الأخير - مهما زعم المحبون أنه مقبول من حيث المبدأ - هو مرفوض من داخلهم، إلا نادرا، إذ يبدو الأمر لكل المحبين والخائفين والمحتاجين والجائعين أنه مبنى على أمل بعيد، ومنطق خائب فاتر مرفوض غالبا فى داخلنا مهما بدا علينا الحماس نحوه، وعلينا أن نعترف بأن النقلة من تخصيص الحب وتركيزه على فرد واحد طول الوقت، إلى القدرة على الحب، تبدو أكبر من قدرات أغلب الناس، **ثم إنها قد تختلط بنقلة إلى الخلف نكوصا.**

نشأت المؤسسة الزواجية (وهى الممثلة الأكثر شيوعا للحب الثنائى، فالأسرى)، كحركة تطورية لتنظيم الجنس، وتربية الأولاد، وتكوين المجتمع الأحدث، وقد أدت وما زالت تؤدى، وظيفة اجتماعية، وعلاقاتية، شديدة الأهمية، كما لم يوجد بديل لها أثبت قدرته على الاستمرار والنجاح بشكل يبرر تجاوزها أو إزاحتها أو الاستغناء عنها حتى الآن. من هنا نفهم مشروعية منطق هذه الحالة فى هذه القصيدة وهى تصر على حقها فى الحفاظ على الاستمرار فى هذه المؤسسة، الأكثر أمانا، حتى لو لم تكن الأكثر إبداعا، أو امتدادا فى الآخرين، حتى لو كانت مبنية على مبدأ الاحتياج المتبادل بعد التعديل !!، بمعنى أن يحتاج طرف طرفا آخر، فيسعد هذا الطرف بهذا الاحتياج الذى أشعره بأن له وجودا ما، فيحتاج هذا الاحتياج أكثر مما يحتاج صاحبه الذى احتاجه، وهذا ما يعبر عنه المتن بشكل مباشر فى النص السابق الاستشهاد به: **"أنا نفسى حد يعوزنى، وأعوز عوزانه.** الاحتياج غير مرفوض فى ذاته، ولكن أن يظل هو الذى يحافظ طول الوقت على العلاقة، فهو أعجز من ذلك عادة.

الطبيب النفسى المعالج لا يملك - ولا هو من طبيعة عمله - أن يتصدى لهذا النوع البسيط الشائع من الحب، فبرغم أنه ليس غاية المراد إلا أنه يعلن بوضوح أن هذه هى المرحلة التى يعيشها أغلب الناس حاليا، تلك المرحلة التى تعلن نقص الإنسان حين يلح عليه احتياجه فيتبادله مع آخر، ولكن يبدو أن لهذا النوع عمره الافتراضى المتوسط أو القصير، خاصة إذا اضطرد نمو أحد الطرفين أو كليهما، حتى تتخلخل العلاقة، وتظهر الأعراض على أحد أو كلا الأطراف، فيجد الطبيب نفسه فى مأزق جديد من حيث أن عليه أن يصحح وضعا انكسر فعلا، وهو ينتبه إلى أنه بين أمرين:

إما أن يعيد الوضع إلى ما كان عليه دون إعادة تشكيل فيصبح أكثر عرضة للكسر من جديد، أو أكثر دفاعية وجمودا،

وإما أن يعرض، من خلال العلاج عامة، والعلاج الجمعى خاصة، (أو الخبرة الحياتية خارج سياق العلاج) يعرض تجاوز هذه المرحلة من **الحب الثنائى السكونى المستقل** إلى **القدرة على الحب** مع التنظيم الضرورى،

إن دفع الشخص أو المريض فى اتجاه هذا النموذج الأكثر

نضجا يهدد الشريك (الأكثر اعتمادية بالذات، وقد يهدد الشريكين) بالتخلى عن نوع من العلاقة، كان يقوم بوظيفته بكفاءة ما، وبضمان معقول، مضمون، برغم فشله الأخير، ومن هنا تبدأ المقاومة لأى احتمال آخر، حتى لو لاح أنه نموذج للحب أكثر نضجا وأطول عمرا، لكن "إيش ضمّنى"، هذا ما تقوله القصيدة،

المقاومة هنا تبدأ بإعلان التمسك بالقيم السائدة (**زى بقيت الناس**) حتى ولو فشلت هذه القيم برغم أنها السائدة عند أغلب الناس، وأنها قد أعلن فشلها بظهور **الأعراض عند هذين الشريكين بوجه خاص، فإن الدفاعات - فى البداية على الأقل- لا تطلب إلا الرجوع "كما كنت"، "زى بقية الناس"!!**

الإشكال أن هذه النقلة، من **الحب الخصوصى المنغلق "عليهما"، إلى القدرة على الحب** فى سياق جماعة (علاجية أو غير علاجية)، قد تُعلن كثيرا من بعض أفراد المجموعة، وأيضا فى العلاج الفردى، وهى قد تعلن من أحد الشريكين (مع احتمال أن يكون هو الأقل نضجا)، وعادة ما تصدر مزاعم النضج المعلنة هذه من أبعد أفراد المجموعة عن النضج، فيزعمون أنهم فاهمون وقادرون وكلام من هذا، وقد يصل الأمر ببعضهم أن يزعموا أنهم فعلوها بالفعل، وينتظرون، أو يطلبون، من شريكهم أن يلحقهم، الإشكال يصبح أكثر وأصعب حين يكون المعالج نفسه هو هذا الشخص الدفاعى المعقلن، بمعنى أن تكون درجة نضجه أقل بقليل أو كثير من هذه النقلة، وربما من مرحلة نضج بعض مرضاه، وهنا تصبح المقاومة التى ترد على لسان راوية هذه القصيدة فى محلها، ونستطيع أن نفهم سخريتها اللاذعة، مِنْ مَن يزعم تجاوز مازق النقلة إلى موقف أقرب إلى مثالية "لم تختبر"،

يقول النص فى ذلك:

أنا مالى بْكلّ الناسْ؟

ما تحبّوهمْ.

هوّا انا قلتلكُو انَا باكْرَه حَدّ؟

حِبُّوهم بكلامْكُمْ يعنى،

مش حا يخسّـــرْ.

ما انا بَرْضُهْ باحِبّ انِّى اتكلِّم،

لكنّى مِشْ قد كَلاَمِى

دا كَلام كِدَه بسْ

ولا عايزه أصلّحْ حَد،

ولا واخْدة كَـلاْمْكم جَد،

ولا نفسى أعدّل فى الكونْ،

ولا شَايْلَه هَم المطحون،

ولاْ قـادرة أصاحب المجنون

ولاّ نَـاويـة أبطَّل بَمْ ورَمْ.

واهُو كُلُه كَلاَمْ.

ادعاء - أو تصور- النمو بمجرد إطلاق الكلمات الرنانة شائع فى كثير من الممارسات الناقصة فى العلاج النفسى عامة، والعلاج الجمعى بوجه خاص، وأيضا فى الحياة العامة، وتنبيه الحالة هنا فى القصيدة، للمعالج، وللمشاركين فى نفس الوقت، هو تنبيه مشروع ومهم، حتى لا تصبح المسألة "مكلمة" مثالية لم تُختبر ذكرنى، "مكلمة"، تتمادى على حساب هدم مؤسسات فى مأزق حقيقى، مثل المؤسسة الزواجية التى لم يجد لها الإنسان بديلا أفضل حتى تاريخه.

تعلن هذه الحالة أيضا أسلوبا آخر للمقاومة، وهو الإستمرار الصورى مع الحذر المتمادى، **"ما انا بَرْضُهْ باحِبّ انِّى اتكلِّم، لكنّى مِش قد كَلاَمِى، دا كَلام كِدَه بسْ"**، لا يحتاج الأمر إلى التذكرة بأن هناك أكثر من صوت تتكلم به هذه الإنسانة ، أو أن هذه القصيدة إنما تترجم داخلها وليس خطابها مثل كل - أو معظم- قصائد الديوان.

كانت صاحبتنا هنا شديدة الحماس للكلام عن الناس والمطلق والحرية، وحين دخلت الاختبار الحقيقى هربت بكل ما عندها من قوة، وكان لسان حالها يردد هذا المنطق.. أن الكلام يمكن أن نساير به الشائع، بما فى ذلك ان نزعم اهتمامنا بالكل وحبنا لهم على حد سواء، وأننا تخلينا، أو قادرون على التخلى عن الامتلاك والخصوصية .. الخ ولا يهم بعد ذلك أن نحقق شيئا من هذا أبدا

(3)

أنـــــا عايزة حد يعوزْنِى،

وأعوز عَوَزَانُهْ،

إشبِعْـنى حسن ونعيماْ؟

إشمعنى بتوع السِّيما؟

أنا مش قدّ الحب التانِى

وانْ كان لازم نتطوْر؟!!

نتطوّرْ...!،

ما يـْضُـرّش.

بس ارجع تانى لْعشّى،

ولَفَندى بتاعى،

يطوينى تحت جناحهْ،

وانا ماسكةْ الخيط بالجامدْ،

تعبانة إنما راح اعاندْ

ما هو لو سبته حايطير

وانا مش قد التغيير

لهجة السخرية هنا، برغم قسوتها تقوم بوظيفة التعرية المأمول الاستفادة منها بأكبر قدر من المسئولية، هذا المقطع **" أنا عيزة حد يعوزنى، وأعوز عوزانه"** وهو الذى استشهدنا به فى البداية، هو مفتاح سر الأمر الواقع، وهو برغم واقعيته ليس مقبولا ولا ناجحا على المدى الطويل، خاصة فى الحالات التى واجهت الصعوبة بأمانة حتى الألم أو الشقاء أو المرض، ومع ذلك، ونظرا لصعوبة النقلة، يمكن قبول الدفاعات - التى تتعرى بهذه السخرية هنا - كمرحلة على الأقل.

أن القدرة على حب الجميع (الصنف كله)، وهو الذى تسخر منه راوية هذه القصيدة بصدق صادق، هو أمر واقعى -حتى لو كان نادرا- ومهما بلغت السخرية أو التعرية، فهو يتمثل فى القدرة على الحب الشامل (مركزا فى أفراد من لحم ودم) ثم فى ممارسة هذا الحب الشامل مع من تتعامل معهم فى الحياة اليومية (ممثلين لسائر البشر) وهو نقيض التقديس والذوبان والاعتمادية الرضيعية، إذ يحتاج إلى درجة من المسئولية والرفض الواعى، بقدر ما يتجلى فيه ما ينبغى الود والتراحم والشوفان, هذا النوع الذى يطرح على المريض (وعلى الطبيب) هو حب أيضا، بل لعله الحب القادر على الاستمرار باستمرار المحاولة والالتزام.. وهو مرحلة صعبة صعبة إلى أبعد الحدود.

من أصدق خبراتى فى العلاج النفسى أن يعلن أحدهم انسحابه من هذه المحاولة (مواصلة النضج)، لأنها أكبر منه (مثل صديقتنا هنا). ولكن هذا لا يبرر التنازل عن الأمل فيه، والسعى لتحقيق ولو درجة منه، فأكبر فأكبر طول الوقت،

إن مجرد السعى إلى إمكانية تحقيقه، ولو على المدى الطويل هو حركية علاقاتية وعلاجية واردة، مع احترام الوقت اللازم حتى تكون المسألة جدا، مما يتطلب تكرار الاضطرار للتأجيل أحيانا، شريطة ألا يكون التأجيل مهربا دائما،

ومع ذلك، فنظرا لندرته، فإن المعالج لا يعرض هذه النقلة نحوه إلا مضطرا، من حيث أن ما ألجأه إلى هذا العرض هو "فشل ما ليس كذلك".

لا مفر من أن نشير إلى بعض المحكات التى تبين أن هذا الصعب هو شىء عادى برغم ندرته، واحتمال تشوهه، وما دمنا مضطرين إلى المضى قدما فى طرق بابه، فعلينا أن نتعلم كيف نقيس مصداقيته أولا بأول، مثل أن يقاس:

بالقدرة على الابتعاد عن الشريك للاقتراب منه عل مستوى أنضج باستمرار(برنامج الدخول والخروج In and out Program) .

ثم بالتغير النوعى لطبيعة العلاقة ومسارها وإيقاعها

ثم باختبار القدرة على معايشة توجه المشاعر نحو "موضوع" (آخر) مع اختلاف ظروف التنفيذ الواقعى

ثم بمدى تواجد الآخرين المحيطين المحبين حول أصحاب هذه العلاقة الثنائية ... بما يمارسونه شخصيا فى مجالاتهم، وأيضا بمباركتهم وتكافلهم. ...إلخ

فى العلاج النفسى (الجمعى خاصة)، وفى الروايات وفى الأفلام, وفى النظريات الباهرة، يكثر الحديث عن التطور - كما أفعل الآن حالا وكثيرا- وقد لا ينتبه المحاورون أن وفرة الحديث عن التطورهو ضد التطور، (مثلما أن الحديث عن الجدل، هو ضد الجدل)، السخرية فى المتن من هذه العقلنة هنا شديدة الدلالة، **"وانْ كان لازم نتطور؟! نتطور!، ما يضرش!!!!!"**،

هذا النوع من السخرية ليس مرفوضا على طول الخط، وقد واجهتُ فى خبرتى مثل ذلك وأقسى من مرضى ينبهون بعض زملائهم الذين يتحدثون عن التطور وكأنه فنجان شاى، أو نزهة ترفيهية، دون حركة أو ألم، وأحيانا ما ينبهون المعالج إلى ما فى هذا الموقف من "طق حنك"!!!. قال أحدهم ذات مرة ما يوازى سخرية هذه الحالة، حين راح ينبه زميله أن المسألة ليست بمثابة: **'اديني واحد تطوّر وصلّحه .. مثلا'**

حين تتعمق مرحلة النمو فى العلاج الجمعى وتلوح صعوبة التطور وما يصاحبه من مخاطر مرعبة، أتذكر فأعلن لنفسى إعادة اكتشاف أنه **"...لن يتطور إنسان باختياره"** .. وإنما **بإلزام داخلى** ..نتيجة **حركة مضطردة، و ورطة موضوعية** تجعل الرجوع إلى الحالة السابقة أملا مستحيلا.

وحتى لو رضى المريض (أو المريضة) بالرجوع، فكثيرا ما يكون الأوان قد فات، فإما التقدم، وإما التدهور،

أما الرجوع **"كما كنت"** فهذا هو مطلب يتكرر عادة بلا طائل عادة.

اعتدت فى مثل هذه المآزق أن أواجه المريض -ونفسى- بأن عليه أن يراجع نفسه ولا يسير فى الزحمة والسلام، فإما أن يتحمل آلام المرض ومصاعب النمو، وإما أن يخبئ الأعراض بمعرفته: بالتسكين أو بالتنازل عن أية آمال إنسانية أنضج أو باليأس، فتختفى الأعراض دفاعيا، **ولا مانع** من هذا الاحتمال ما دام هذا هو المتاح مرحليا!!!

وإما أن يضطر لمحاولة طرق باب الطريق الآخر، الأندر، والأكثر نضجا لأن المسألة ليست عرضا (أو عزومة).. فقد أعلن المرض، أو المعاناة، أو الشقاء، انتهاء العمر الافتراضى لمرحلة لم تعد تصلح، ولنوع من التواصل فشل برغم نجاحه النسبى لفترة ما.

* * *

ثم نختتم النشرة بهذه القصيدة مجتمعة كما اعتدنا:

(أقدمها وأنا أعتذر لها، لعلها تغفر لنا ما فعلناه بها)

(1)

عايزين إيه منِّى؟
أنا مالِى؟
أنا عايزه أعيشْ،
زىّ الباقْيِين،
يبقَى لى عشْ صغيّر، وعْيال.
ولـَفَندى بتاعِى (أيوه بتاعى ملكى)،
يرجعلِى تملّى.. زىّ حمام الزاجلْ.
يحضنّى أنا وعيالِى،
يطوينِى تحت جناحُهْ،
وراح اربُطْ رجلُهْ بـْفتـلَةْ لـَيْطير

(2)

أنا مالى بْكلّ الناسْ؟
ما تحبّوهمْ.
هوّا انا قلتلكُو انَا باكْرَه حَدّ؟
حِبُّوهم بكلامْكُمْ يعنى،
مش حا يخسّرْ.
ما انا بَرْضُهْ باحِبّ انِّى اتكلِّم،
لكنّى مِشْ قد كَلاَمِى
دا كَلام كِدَه بسْ
ولا عايزه أصلّحْ حَد،
ولا واخْدة كَلاْمْكم جَد،
ولا نفسى أعدّل فى الكونْ،
ولا شَايْلَه هَم المطحون،
ولاْ قادرة أصاحب المجنون
ولاّ نَاوية أبطّل بَمْ ورَمْ.
واهُو كُلُه كَلاَمْ.

(3)

أنـــــا عايـزة حد يـعوزْنِـى،
وأعوز عَوَزَانُـهْ،
إشمِـعْـنى حسن ونـعيمـا؟
إشمعنى بـتـوع الـسِّيمـا؟
أنـا مش قـدّ الحب الـتـانِـى
وانْ كـان لازم نـتطوْر؟
نـتطوّرْ،
مـا يـْضـُرّش.
بـس ارجع تـانى لْعشّى،
ولَـفَـنـدى بـتـاعى،
يـطويـنى تحت جنـاحهْ،
وانـا مـاسكةْ الخيط بـالجامدْ
تـعبـانـة إنمـا راح اعـانـدْ
مـا هو لـو سبـتـه حـايـطير
وانـا مش قـد الـتـغيير

الإربعـــــاء 26-08-2009

726-قـــــراءة فـــــى عيـــــون بشريـــــة

الباب الثانى

قراءة فى عيون بشرية

مقدمة

انتهى الباب الأول بعد أن عرضنا سبع حالات ننقد من خلالها ما أسميناه "العلاج بالكلام"، ومع الإقرار بأن الكلام هو وسيلة من أهم وسائل العلاج، إلا أنه ليس دائما الوسيلة الوحيدة، ولا الوسيلة الأولى، ولا الوسيلة الأنجح، كما تبين من خلال كل فصول الباب الأول.

وللتذكرة فإن **العلاج النفسى ليس إلا استثمار علاقة بشرية ممنهجة لحفز عملية نمو اثنين فأكثر إلى ما خلقا به وله**، وأعنى: **المريض** الذى يعانى ويتوقف ويسأل النصح، **والطبيب** (المعالج) الذى يواكب مريضه مسئولا يتحرك معه وبه وهو يقرأ نصين بشريين معظم الوقت، نفسه والمريض، فيعاد تشكيلهما معا (معظم الوقت).

وليتحقق ذلك فهو يستعمل كل قنوات التواصل، بين البشر، ومعظم ما يناسبه من معلومات علمية وخبراتية وتجريبية.

نقد النص البشرى "معاً"

منذ اكتشفت أن ما أمارسه فى العلاج عامة، وفى العلاج النفسى خاصة هو نوع من النقد، وأنا مطمئن إلى ما وصلنى، ربما لأننى أمارس نقد النص الأدبى من قديم، ولكن لأننى **أعرف أن النقد الحقيقى هو إعادة تشكيل النص، فقد ترددت طويلا قبل الفرحة بفرحتى** باكتشاف هذا المصطلح الذى يعبر فعلا عن ما أمارسه، لأن المريض ليس مجال تشكيل من ناحيتى أساسا، أو أوّلا.

رويدا رويدا، وأنا أراجع ما أفعله مع مرضاى، خاصة فى العلاج الجمعى، اكتشفت أن نقد **النص البشرى (المريض) يختلف عن نقد النص الأدبى فى أن المريض نفسه يشارك فى عملية النقد، وأن الطبيب نفسه هو نص بشرى آخر**، وبالتالى فلا بد أن يكون عرضة للنقد من الطرفين طول الوقت. بهذا عدت للتصالح مع المصطلح الجديد، وتمنيت أن أضيف كلمة واحدة له هى "معا"،"أى **نقد النص البشرى معا**"، ومن ثم فإعادة التشكيل هى واردة لكلى النصّين طول الوقت.

تمييز بين البابين: الأول والثانى:

الباب الأول، الذى كان اسمه فى الطبعة الورقية الأولى "سبع جنازات"، كان بمثابة نقد العلاج النفسى التسكينى الكلامى بالذات، وكان اختيار عنوان الفصل "جنازات" هو بمثابة التنبيه إلى خطورة أن تتوقف حركية النمو -الحياة- من خلال سلبية أو خمول العلاج النفسى، عندما يقتصر على عمليات التفريغ الكلامى، فالتسكين فالتثبيت، لعل القصائد الست الأولى فى الباب الأول قد أظهرت سلبيات العلاج حين يدور فى **دائرة مغلقة** (تكرار ذات النصوص المحدودة طول الوقت طول العمر)، أو حين لا ينتبه إلى دلالات **الحركة فى المحل**، أو إلى احتمال أن المعالج يستعمل المريض **من على مسافة** ، كذلك أشرنا إلى احتمال الافتقار إلى المواكبة الحقيقية فى العملية العلاجية لحساب التعليم أو البحث العلمى، وكانت ثمة إشارة إلى الرعب من التغير من حيث المبدأ، ومن ثم إرادة التوقف الداخلية والتسكين حتى التثبيت، كما تمت تعرية وقفة النمو مع استجداء الشفقة حتى الاعتمادية الرضيعة المشلّة،، وأخيرا حين بَيّنا كيف يمكن أن يكون التوقف بسبب سجن مرحلة باكرة غير آمنة من العلاقات البشرية، تسمى الحب، وهو ما يواجهه العلاج النفسى أحيانا.

كان الفصل الأول نقدا خالصا لكل من العلاج النفسى التسكينى، وما يقابله فى الحياة العامة بشكل أو بآخر، بما يؤدى إلى جمود حركية النضج، وتوقف النمو،،حتى أسمينا ذلك باسم: "الموت النفسى"، وكانت أهم سلبية يمكن أن تؤدى إلى مثل ذلك هو تصور أن العلاج النفسى هو "مكلمة" تأويلية، وأحيانا تبريرية، لا أكثر.

قنوات أخرى للتواصل:

ولكن من حق أى شخص أن يتساءل أنه إن لم يكن الكلام هو الوسيلة (القناة) الأمثل للتواصل بين البشر، فى العلاج وغير العلاج، فما هى الوسائل والقنوات الأخرى؟

هذا الفصل يقدم ما أسميناه **"قراءة فى عيون بشرية"** بديلا عن الاسم الذى استعمل فى الطبعة الأولى وهو "لعبة السكات"، وقد تم هذا التعديل خشية أن نتصور أن **حديث العيون**، هو صمتٌ بشكل ما، إنه **لغة أخرى ربما أكثر ثراء وعمقا وصدقا من الكلام اللسانى بالألفاظ.**

العيون البشرية فى هذا الباب لم تكن عيون مرضى بوجه خاص، ولم ***تكن أيضا عيون أشخاص محددين فى عالم الواقع الملموس***، وبالتالى فهذا الفصل هو أبعد ما يكون عن عرض حالات، او وصف أشخاص بعينهم، هذا التأكيد ضرورى. لا أنكر أننى استلهمت بدايات بعض القصائد من خبرة شخصية شارك فيها أصدقاء كرام، بلغ من شجاعتهم وصدقهم أنهم أتاحوا هذه الفرصة بهذا العمق، لم أقرأ عيونهم هم، بل استلهمت من صدق بعض مواقفهم ما أكملت به قصائدى دون أن أعنى شخصا بذاته.

لم يقدم لنا فرويد وسيلة أفضل من الكلام، أو بصراحة غير الكلام، حتى حدسه التفسيرى، وشرحه التأويلى كان يستمده من الكلمات، بل إن **وضع التداعى الحر والمريض**

مستلق على أريكة العلاج و المحلل يجلس خلفه بعيدا عن التقاء نظراته، كان نفيا عمليا لأى احتمال لاستعمال أى وسيلة أخرى غير الكلام، وبالذات لغة العيون، الوضع شديد الدلالة من حيث أنه وضع **تجنب التقاء النظرات**، حتى وصف "بيرلز" فرويد (أحد رواد العلاج الجمعى) ربما مازحا، بأنه كان مصابا بعرض **تجنب التحديق Gaze Avoidance** وبالتالى كان يخشى أن تلتقى نظارته بنظرات المريض، ومن ثم أصر - وأوصى- أن يجلس المحلل خلف المريض أثناء التداعى الحر، الذى نقدناه بقسوة فى الفصل الأول ونحن نسخر من هذا الوضع بشكل خاص: **واحد نايم متصلطح، وعنيه تتفرج، على رسم السقف وعلى أفكاره اللى بتلف، تلف تلف، والتانى قاعد لى وراه ...إلخ ".**

مخاطر التواصل بالجسد

انطلاقا من فرويد ونقدا له، ظهرت مدارس تؤكد أهمية التواصل عبر قنوات أخرى غير الكلام، بالإضافة إلى الكلام, ولعل أكثر القنوات مخاطرة هى القنوات التى سمحت بدرجة من التواصل عبر الجسد سواء فى العلاجات الشعبية أو فى بعض تنويعات العلاج السلوكى والخبراتى، فقد ظهرت مضاعفات ليست قليلة من استعمال الأيدى والجسد، من بينها العدوان، وأيضا التجاوزات الجنسية، حتى اختلط الأمر على أحد أتباع فرويد - ويلهلم رايخ - وقد انفصل عنه، حين تمادى فى الشطح واستعمل أدوات مساعدة لتوصيل رسائله العلاجية حتى جن تماما (بالمعنى السلبي) وسجن قبل أن يقضى، وقد كان مبالغا فى ضرورة الالتحام الجسدى والتحرر الجنسى فى العلاج وغيره ..., ثم ظهرت لاحقا محاولات ليست أقل خطورة مثل العلاج الذى ابتدعه جانوف، وأسماه علاج "الصرخة الأولى" **Primal Scream..** إلخ

القصائد فى هذا الباب تؤكد على قنوات التواصل بالعين والوجه أساساً.

الاختراق بالنظر

لغة الاختراق بالنظر (البحلقة الكاشفة) فى عمقها وثباتها هى لغة خطيرة ومهدِّدة، وقد استعملتُها مؤخرا (منذ سنوات) أثناء الفحص الإكلينيكى التعليمى فى الكشف عن كثير من طبقات النفس التى لم تكن فى متناول الكلمات:

الحزن مثلا حين تصفه الكلمات بالاكتئاب أو "الدِّبْرشَن"، أو حتى "الهم" أو "الزهقان" أو "الغم"، ليس هو الحزن الذى اكتشفته من خلال خبرتى فى هذا الصدد. حين أسأل المريض عن **حزنه الخاص** جدا، **الدفين** فعلا ، أو عن حقه فى الحزن، أو عن من ذا الذى سمح له بالحزن، أو عن متى سمح لنفسه بالحزن، أسأله كل ذلك وعينىَّ تُواكبُ ألفاظى، محاولا مشاركته بالنظر، رافضا - لى وله - أن ننطق حرفا، ولمدة دقائق قد تطول أحيانا (نادرة) إلى أكثر من نصف ساعة صامتين تماما، من خلال هذا التواصل فى الـ "هنا والآن" تتكشف الطبقات التى نتعارف من خلالها على نوع آخر من التواصل، ثم لعل وعسى.....

أصعب من ذلك تكون الخبرة والمشاركة حين نقترب من إشكالة "الألم" (دع جانبا الآن الألم الجسدى وهو ظاهرة نفسية من أعمق ما يكون)، أعنى الحق فى الألم "معا"، وعن الحرمان من الحق فى الألم، ثم نصمت وندع عيوننا تتكلم، وهكذا.

كتبت هذه القصائد قبل أن أغامر باستعمال هذه الآلية فى العلاج، أو فى التدريب، أو فى البحث، ولم أكن أتصور أن هذه المشاعر بهذه الرقة والحدة والزخم هكذا بما لا يمكن وصفه بالألفاظ، وحين عدت لقراءة لغة العيون الآن فى هذا الباب لأقوم بما تيسر من شرح ثقيل، بما يشمل من احتمال التشويه، عرفت أننى كنت أمارس لغة العيون بدرجة أو بأخرى، دون أن أسميها كذلك.

إطالة النظر بجدية سَلسِلة تعمّق النظر تلقائيا، وهى تكشف دون استئذان عادة.

فى البلاد المتحضرة، على ما أسمع، تعتبر "البحلقة" نوعا من الوقاحة، فلا يجوز لك أن تطيل النظر فى راكب أو راكبة فى حافلة عامة (أتوبيس)، هذا بالنسبة للنظر إليها عشوائيا بأية صورة، فما بالك لو كان النظر فى غور العينين مباشرة، أعتقد أنك (هناك) سوف تحول نظرك فورا، أو تتفقان على موعد دون كلمات، أو تلعنك فى سرها، أو جهرا.

أما فى سياق العلاج، ولأن هذا الموقف غريب مهما مهدتُ له بالشرح، قد يخطر على المريض حين أطلب منه أن نتواصل دون كلمات (وأضيف أحيانا ودون المسارعة بتفسير أسباب ما يشعر به من حزن أو ألم أو غيره، لا بأحواله الراهنة، ولا حتى بذكرياته) أقول إن المنظر هو غير مألوف لدرجة أنه يمكن أن يوصف بالجنون، ومن هنا: ما جاء فى المتن " **"أنا مين؟"! ما تقولش.... مجنون؟ ما تخافشْ. جرّب تانى، مِا لأولْ"**، اللغة هنا لا تتواصل عبر غور العيون منفصلة عن تعبير الوجه، ونبض

اللون، والحركة عموما، وفى الوجه خاصة، وكل هذا يؤكد أهمية لغة الجسد بصفة عامة، وكثيرا ما يستنتج الطبيب تناقضا داخليا من خلال تأمله العميق للتناقض بين الكلمة والتعبير الجسدى، أو بين تعبير جزء من الجسد (الوجه مثلا) وتعبير جزء آخر (اليدين أو العينين ..... الخ).

حين أطلب من المريض أن نتواصل بالنظر دون كلمات، يرفض، ويتساءل، ويتردد، وقد يصبر، ويحاول، وقد لا يستطيع أن يكمل، وقد يتهيج، وقد يعود يحاول، ثم يستمر ....إلخ.

خبرات متنوعة تؤكد كم أن الكلام، مجرد الكلام، ولو بوصف المشاعر، قد يكون حاجزا دفاعيا برغم أنه -أساسا- وسيلة تواصلية.

وردت إشارات متعددة فى الباب الأول تشير إلى مثل ذلك وهذا بعضها للتذكرة:

• " ولحدّ ما يهدا الموج، واشترى عوامة واربطها على سارى الخوف، **ياللا نقول: "ليه"، وا"زاى"، "كان إمتى"، "يا سلام!!"، يبقى انا مظلوم"**. أو:

• أو: "نقعد مع بعض..، قال إيه ونحس!، **وكلام للصبح**، ونقول بنحب "

• أو: أدى صورتى يا سيدى شرمطها، وادى قصة حب، وادى عقله نقص وكسرة قلب، **أهو كله كلام** ...إلخ

إذا بلغت وظيفة "الكلام" الهروبية أن يغترب الإنسان عن إحساسه, يصبح التوقف عن الكلام مخاطرة قد تصل بالشخص إلى أن يدرك حقيقة اغترابه (وموته النفسي) من خلال الكلام وغيره، فيتألم حتى لا يطيق ويتراجع إلى الكلام قد يدفعه الألم إلى انتهاز فرصة إعادة البناء أو إعادة الولادة فى أزمة تطور جديد على طريق النمو البشرى.

****

وكالعادة، نختم بالمتن مكتملا:

يالاَ نلعب يا جماعة: لعبة "هُسْ".
فتَّـــح عينَـــكْ بُصْ،
إنْ كنت شاطـــرْ جِـــسْ.
"أنا مين؟"!!
ما تقولش.
مجنونْ؟
ما تخافشْ.
جرّب تانِى، مِا لأولْ:

... راح تتعلم تقرا وتكتب من غير ألفاظ:

مش بس عْـــنيكْ،
تـدويـرة وِشـــّـــكْ
وسلام بُـــقَّـــكْ عَلَى خَدّكْ،
والهزّه ف دقـنكْ،

وكلام الـلـون:
الـلـون اَلـبـاهت المـيّتْ،
والـلـون الأرضى الـكَـلـْحَـان،
والـلـونِ الـلى يـطق شرارْ،
والـلـون الـلى مـالـوش لـونْ،
وعروق الـوشْ،
والـرقـبـهْ،
وخْطوط الـقـورة،
وطريـقـةْ بَـلْعَكْ ريـــقـــكْ
تـشويحة إيـدك...
إلى آخرُهْ.

لما حانـسكت حانحسْ،
أو نِـعـلن مـوتـنـا.

وخلاصْ!
...
أوْ يمكن لما نْـحس،
نـقـدر نـبـتـدى مـاِلأول ؟

- لم أجد مقابلا بالفصحى لكلمة "البحلقة" حتى كلمة التحديق لم توصل لى ما أريد.

الإربعـــــاء 02-09-2009

733- مـش يمكـن يطلـع كـل ده :"أنـا" مـش "هـوّه"

لولا أننى أضفت الفقرة قبل الأخيرة لهذه القصيدة، لعدلت عن نشرها فى هذه الطبعة فى هذا السياق، إذْ ما علاقة خبرة شخصية أكثر منها مهنية بالعلاج النفسى، الذى هو موضوع هذا العمل فى صورته الجديدة؟ هل هناك سبيل لتصور ثمة علاقة دون تعسف؟

نبهت فى مقدمة هذا الباب الثانى أنه باب فيه قدر أقل من آليات **العلاج النفسى**، لكننى أعتقد أن فيه قدر أكبر من التعرية عموما، والحدس والإسقاط المحتمل، وبالرغم من أننى أكدت فى المقدمة هذا أنه لا توجد حالة واحدة - اللهم إلا حالتى الشخصية، هى حالة واقعية لشخص بذاته، وأن الصور الشعرية - فى نهاية النهاية- هى من نسج خيالى، برغم ذلك فإنى أجد نفسى أحتاج إلى تنبيه جديد يؤكد نفس التنويه، بالنسبة لهذه القصيدة بوجه خاص

ربما يكون من الأفضل أن أقدمه على أنه صديق برغم أنه من نسج الخيال، وهو صديق من أعز من عرفت، كنا فى فورة الشباب برغم فارق السن، نحلم كما يحلم الشباب، ولكن للكلام نهاية محدودة، وقدرات مختنقة، ولا فائدة حقيقية منه قبل أن يُختبَر، ولم تكن فى الستينيات ثمة فرصة لاختبار كلامى أو كلامه أو كلام أى واحد أو واحدة، فقد تولت الحكومة أمر الناس أكثر من اللازم، وأخفت عنهم ما أخفت، ولم نكن قد دخلنا امتحان نهاية المرحلة يونيو 1967، قبل هذه الكارثة بعام أو أكثر، سافر صاحبى بكل ريفيته الأصيلة، وخواجايته المكتسبة، وتواصلت المراسلات بيننا بشكل حميم، لا نحن كففنا عن الحلم بمستقبل أفضل لنا ولبلدنا، ولا نحن اقتربنا من الحلم بشكل يبرر استمرار تكرار نفس الكلام.

سافرت بدورى للخارج بعد أن رسبت الحكومة، فى الاختبار السالف الذكر، فزادت المراسلات جدة بيننا عبر الأطلنطى، وزاد محتواها شطحا وأحلاما، (لاحظ: مازلت أكتب من نسج خيالى، وحتى نهاية القصيدة).

سجلت القصيدة هذه المرحلة فى علاقتنا هكذا :

(1)

يَامَا قُـلْـنا ويامَا عِـدْنَا، ويَامَا أحْلامْنا خَـدتـْـنَا،

كـنّا بنخطط ونرسم، فى الرمال نِبْنى بيوتنا.

صاحبى سافرْ. خُـفـْنا نـِنْـسَى،

قلنا نكتب، حلم أيّـامنا اللى جايّةْ.

والكلام فوق الورق: بيخطـط الدنيا اللى هيّهْ.

حِلْمِنا بالعدل كان دايما شاغلنا،

والوَلاَيَا والغلابَا كانوا وصْلةْ حب بينّا.

كل خلق الله تـَـبَـعْـنَـاَ.

نشترى حتى اللى باعْـنـَا.

والسّمـاحْ، .... والمِلاح،

والشهاداتْ، والنجاحْ.

كل ده، قال و"احنا بـره"،

يعنى: بالحلم المسرّة.

وحين لاحت لى إرهاصات أن صاحبى على وشك اتخاذ قرار هجرة دائمة، فزعتُ، ورفضتُ، وصارحتُه بذلك، وقد أعدت تفاصيل هذه المصارحة شعرا فى نهاية هذا الديوان حين **قلت "يا طير يا طاير فى السما رايح بلاد الغُربْ ليه؟ إوعى يكون زهقك عماك، عن عصرنا، عن مصرنا، تقعد تلف تلف كما نورس حزين، حاتحط فين والوجد بيشدّك لفوق، الفوق فضا، الفوق قضا..** إلخ (أنظر بعد)، وعاد صاحبى حين سمحت له ظروفه بالعودة، و يبدو أننى تصورتُ أننى كنت أحد أسباب عودته، ولكن هذا كان مبالغة منى غالبا، فقد كان ارتباطه بناسنا، وطين أرضنا، شديدا طول الوقت.

(2)

قلت له: دى بلدنـا أوْلى،

ناسْنا واخْدينها مِقاوله.

صبْر، والشغلِ "عَلاَوْلـَـه".

حَنّ قلبه وجانى طاير،

بالبشاير.

بعد عودته استمرت المحارورات على مستويات متعددة، عملية، ومهنية، ومادية، وتجريبية، وإبداعية، وكان ظهور هذا العمل بالذات، "ديوان سر اللعبة"، هو أحد مظاهر هذه الحوارات المتعددة المستويات، بالاشتراك مع آخرين، وثقوا فى جدية ما نحاول، واستصعبوه، لكنهم دعمونا بمشاركة صادقة حميمة، لكن ظلت العلاقة الثنائية بينه وبينى محورية، وأساسية معظم الوقت، وكانت الأمور قد تكشفت عن مصائب السياسة، وتضليل الإعلام، وتشويه المهنة، وتمادى الظلم والاغتراب، لكن لم تتبين لنا سبلا عمليا للإسهام فى التغيير العام، وإن كنا لم نكف، أو نتراجع عن المحاولات الذاتية، فرادى، وأصدقاء، ومع عمق الرؤية أكثر فأكثر، تأصل الألم أكثر فأكثر، ومع الاقتراب الفعلى بينى وبينه، تجسد الاختلاف الجوهرى، وكان صديقى يشبهه بالاختلاف بين موقف "لاو تسو" (هو) و"كونفووشيوس" (أنا) فى تاريخ الصين !! وبدأت أتبين أن الاختلاف بيننا ليس يسيرا ولا ثانويا، فأحلامى طينية، وأحلامه رقيقة طائرة:

(3)

قلنا يالله نغوص سوا فْ طين أرضنا،

واحدة واحدة نِجْتِهِدْ على قدّنا.

وابتدينا من جديد،

حَطّ إيده ف إيدى، قلنا مش بعيد.

صاحبى راجع "حُرّ خالص"،

والكلام جاهز وهـــــايص.

صاحبى لابس عـمّة خضره

بس يرطن مالشمال، ولا عندهْ فكرةْ،

مش على بالـُــه اللى جارِى،

فى الزوايَا، فى التُّرَب، أو فى الحواري.

قلت اشوف مين اللى هلّ علىَّ يانى،

حين اقتربنا أكثر وجدت أن صدقه أبلغ، لكن أحلامه أكثر طموحا، وأكثر نعومة، ويبدو أن تربيته المدرسية الأجنبية، وطيبته الاجتماعية، ورقته الأخلاقية، قد غلبت على موقفه العملى الواقعى الإقدامى، أو هذا ما خيل إلىّ أنذاك: رحت أتساءل من واقع الاختبارات العملية إن كان هذا الصديق هو مَنْ عرفته طوال سنوات سلفت، مع طول الحوار، وصِدق المحاولة، أم أن السفر غيّره، أم أننى لشدة حاجتى إليه لم أعرفه أصلا كاملا متكاملا، وأننى فقط أكتشف بقيته مع تمادى الاقتراب والاختبار، والاختبارو الاقتراب، وقد تبينت وأنا أعيد قراءة هذه الفقرة من القصيدة، أننى حين لم أجده "هو هو"، لم أجدنى أيضا "أنا أنا"، (مالقيتوش، ما لقيتى نفسى، ") :

هّوه هوّه؟ ولا جانى حد تانى؟

قلت اجرّب،

قلت أقرّب،

ما لقيتوشْ. مالقيتْشى نفسِى،

قلت جوعِى بْيِعْمِى حسِّى.

يبدو أننى لم أيأس،

وتواصلت محاولاتى للقرب،

جنبا إلى جنب مع بداية القراءة فى العيون:

بسْ برضُهْ فْضِلت ادَوَّرْ،

قلت أبص ف عينُه أكتْر:

مش يمكن الاقى البذره الناشفَهْ الخايفَه الضأَيْعَه فْ بحر كلام:

عايزة تنّبت، مش قادرة؟

لا أحد يرتوى من داخله بنفسه لنفسه دون أن تخدعه ساقية مغلقة تصب ماءها فى بئرها ذاتها مهما دارت، لا بد من "آخر"، بالمعنى الحقيقى لمن هو "آخر"، ولو بنسبة ما، لا أحد يرفض أن تتاح له فرصة أن يروى جوعه إلى "البسط" unfolding "ليكون" to be فـ"يصير" to become "إليه"، اللهم إلا مضطرا، أو موهما نفسه أنه مضطر.

هذه "البذرة الناشفة الخايفة" هى كامنة فينا جميعا، هى تجف حين يكون ما يصلنا من الآخرين غير كاف لإروائنا، إلا بقدر ما يجنون ثمارنا كما تصوروها. تجف بذرتنا بداخلنا، ثم يأتى الكلام مهما كان صادقا، وجميلا، ليعمل بمثابة غطاء يحمى هذه البذرة الجافة من الذبول حتى العفن، لكنه لا ينبتها، فلا تترعرع إلا باقتراب آخر.

هذا ما تصورت أنه قد حدث فى صاحبى، (وفى نفسى غالبا، أو لاحقا)، لم ننتبه بدرجة كافية، أو فى الوقت المناسب أن علينا أن نكف عن الأمل فى إبداع أنفسنا والناس بالكلمات والنوايا الحسنة.

حاولنا باقترابنا من بعضنا البعض، ومعنا بعض الأصدقاء أن يكون عائد ذلك ريا لبذورنا ولبذور البشر الجافة من حولنا، الجاهزة للإنبات لو وصلها تواصلنا بهم إليهم، أعتقد أن الأمل كان يتجسد فى هذا الاتجاه كلما التقينا أو حاولنا، أو هكذا كنت أحلم، وهو كذلك (غالبا).

مش يمكن نشرب شفطة حب ترويـنا بدال سيل الجوع ما يغرّقنا؟

مِش يمكن شوفْـــنا لْـــنَاسْـنا يفوّقنَا؟

يبدو أن الشك ساورنى فى واقعية أحلامى هذه، ما دمنا بكل هذا الجفاف، وبكل هذا الجوع، ربما يكون العيب عيبه، أو عيبى، أو عيبنا كلينا.

واستمرت المحاولة بلا كلل أو ملل، وباضطراد متدرج، مع محاولة مزيد من الرؤية، ما أمكن ذلك حتى لا نهرب من بعضنا البعض إذا زادت الجرعة، لكن يبدو أن الإحباط كان ينتظرنى بشكل لا حل معه ، فواجهت السكون البعيد الخامد المغطى بعباءة الكلمات، وروائح حسن النية:

قلت أشوفُه، ماظْـــلموشْ،
دُخْت تدويرْ، مالْقِيتوشْ،
قالُوا جوُه،.. لسَّهْ حبَّـــهْ
قلت أدخلْ، حبّة حبّة
(4)
ولاقيتْنِي جوّا بحور ضَلمَه، مالْهاشْ شُطآن،
ولا حِسّ لْـــمَّـــوج،
ولا نِسمهْ تلاعبْ قلع شْرَاع،
أو حتى تهزّ القشهْ العايمهْ المنسيهْ.
ولا ضربةْ ديلْ سمكهْ، ولا طُحلب،
ولا قوقْع ولا أىّ حياهْ !!!
هـــوَّا الهو اتْـــــهـــوَّى ازاى ؟
راح فين يابْـــنى أنين الناى؟

وأنا أحدّث هذا العمل الأن جاءتنى الإفاقة التالية، وقد مرّ على كتابة القصيدة الأصل أكثر من خمس وثلاثين سنة، وهى ليست تراجعا، بقدر ما هى محاولة رؤية عادلة، ولو بأثر رجعى.

أظن أنها إفاقة صالحة لهدف هذا العمل بصورته الجديدة، أعنى توظيفه للإفادة فى العلاج النفسى: ذلك أننا كثيرا ما نحكم على مريض ما أنه تبلّد حتى أصبح لا يشعر بنا، وربما نحن الذين لا نشعر به، أو نتهمه أنه "بعيد"، وربما نكون نحن المسئولون عن هذا البعد، من هنا جاءت هذه الفقرة تقول:

(5)

مش يمكن كان نِفسى أرمى حِملى عليهْ؟
مش يمكن جوعى صوّر لى حاجات مش فيهْ؟

مش أحسن أبص على اللى بيجرالى من جوّهْ؟
مش يمكن يطلع كل ده :"أنا" مش "هوّه"

سِوا كده أو كده أو كده، دى الدنيا بقت هُسْ هُسْ!
يبقى نسكت، أو ياللا نرجع نتكلم ونرص !!

حين نكتشف اغترابنا فى الكلام، لا يكون الحل هو أن نكف عن الكلام، بل لعل الكلام يكون هو الممكن المتاح فى كثير من الأحيان، وليس أمامنا إلا أن نستعمله بما هو حتى تدب فيه- فينا- الحياة، إذْ يلتحم بقنوات التواصل الأخرى،

هذا الاستسلام للكلام فى نهاية القصيدة، وبرغم أنه بدا يأسا كاملا، وكأننا نعلن موت الفقيد، إلا أنه غالبا نوع من تأجيل الحكم، ربما انتظاراً لبعث ما ، بشكل ما.

يا خبر يا جدع!! كدهُهْ؟ !!!
لا ياعَم.
نتكلّم أحسنْ!
ما هو أصل المعزى:
"قهْوه ساده، وكلامْ".
*****

ثم نختتم النشرة بهذه القصيدة مجتمعة كما اعتدنا:

(أقدمها وأنا أعتذر لها، لعلها تغفر لنا ما فعلناه بها)

(1)

يَامَا قُلْنا ويامَا عِدْنَا، ويَامَا أحْلامْنا خَدتْنَا،
كنَّا بنخطط ونرسم، فى الرمال نِبْنى بيوتنا.
صاحبى سافرْ. خُفنا نِنْسى،
قلنا نكتب، حلم أيّامنا اللى جايّةْ.
والكلام فوق الورق: بيخطط الدنيا اللى هيّهْ.
حِلْمِنا بالعدل كان دايما شاغلنا،
والوَلاَيَا والغِلابَا كانوا وصْلةْ حب بينّا.
كل خلق الله تَبَعْنَاَ.
نشترى حتى اللى باعْنا.
والسّماحْ، .... والمِلاح،
والشهادات، والنجاحْ.
كل ده، قال و"احنا بره"،
يعنى: بالحلم المسرّة.
(2)
قلت له: دى بلدنا أوْلى،
ناسْنا واخْدينها مِقاوله.
صبْر، والشغل "عَلاَوْله".

حَنّ قلبه وجانى طاير،
بالبشاير.
(3)
قلنا يالله نغوص سوا فْ طين أرضنا،
واحدة واحدة نِجْتِهدْ على قدّنا.
وابتدينا من جديد،
حَطّ إيده ف إيدي، قلنا مش بعيد.
صاحبي راجع "حُرّ خالص"،
والكلام جاهز وهـــــايص.
صاحبي لابس عـمّة خضره
بس يرطن مالشمال، ولا عندهْ فكرةْ،
مش على بالـــه اللى جارى،
فى الزوايا، فى التُّرَب، أو فى الحواري.
قلت اشوف مين اللى هلّ علىَّ يانى،
هّوه هوّه؟ ولا جانى حد تانى؟
قلت اجرّب،
قلت أقرّب،
ما لقيتوشْ. مالقيتْشى نفسِى،
قلت جوعِى بْيعْمِى حسِّى.

بسْ برضُهْ فْضِلت ادَوَّرْ،
قلت أبص ف عينُه أكتْر:
مش يمكن الاقى البذره الناشفَهْ الخايفَه الضأَيْعَه فْ بحر كلام:
عايزة تنّبت، مش قادرة؟

مش يمكن نشرب شفطة حب تروينا بدال سيل الجوع ما يغرّقنا؟
مِش يمكن شوفْنا لْنَاسْنا يفوّقنَا؟

قلت أشوفُه، ماظْلموشْ،
دُخْت تدويرْ، مالْقِيتوشْ،
قالُوا جوُه،.. لسهْ حبَّهْ
قلت أدخلْ، حبّة حبّة
(4)
ولاقيتْنِي جوّا بحور ضَلمَه، مالْهاشْ شُطآن،
ولا حِسّ لْمّوج،
ولا نِسمهْ تلاعبْ قلع شْرَاع،
أو حتى تهزّ القشهْ العايمهْ المنسيهْ.
ولا ضربةْ ديلْ سمكهْ، ولا طُحلب،
ولا قوقْع ولا أىّ حياهْ !!!

هُوَّا الهو اتْهَوَّى ازاى ؟
راح فين يابْنى أنين الناى؟
(5)
مش يمكن كان نِفسى أرمى حِملى عليهْ؟
مش يمكن جوعى صوّر لى حاجات مش فيهْ؟

مش أحسن أبص على اللى بيجرالى من جوّهْ؟
مش يمكن يطلع كل ده :"أنا" مش "هوّه"

سِوا كده أو كده أو كده، دى الدنيا بقت هُسْ هُسْ!
يبقى نسكت، أو ياللا نرجع نتكلم ونرص !!

يا خبر يا جدع!! كدهُهْ؟ !!!
لا ياغَم.
نتكلّم أحسنْ!
ما هو أصل المعزى:
"قهْوه ساده، وكلامْ".
*****

وبعد

مرة أخرى: ما دخل هذه الصورة التى تبدو شخصية تماما بتوظيف النص الشعرى فى هذا الديوان فى الإرشاد إلى طبيعة العلاج النفسى؟

بالإضافة إلى ما ألمحت فيما سبق، فإن التعرف على الخبرة الشخصية للطبيب النفسى فى محاولته لتحقيق ما يدعو إليه مرضاه، يمكن أن يكشف جانبا إنسانيا فى خطوات الطبيب النفسى على درب النمو المضطرد.

لا يمكن فصل الخبرات الشخصية، المعلنة والسرية، للطبيب النفسى، صغيرا أو كبيرا، عن ممارسته مهنته، بل عن اختياره طرق علاجه، بل وعن مسار تنظيره ومبعث وضع فروضه إن كان قد وصل إلى مرحلة تسمح له بذلك، إن حياة سيجموند فريد شخصيا، وأحلامه، وعلاقاته، وتاريخه، وجذوره الدينية (اللادينية) والعرقية، قد أثرت جميعها ليس فقط فى ممارسته، بل أيضا فى تنظيره.

إن تعرية تعامل الطبيب، مع صعوباته الشخصية، داخل المهنة وخارجها، هى التى تمهد الطريق الذى يتعلم منه جوهرية احترام المريض، وهى أيضا التى تسمح للمريض أن يرى أن ما يسرى عليه، يسرى على من يعالجه.

الثلاثـــــــاء 08-09-2009

739- حركية استحالة العلاقة الممكنة بين البشر (1 من 2)

حين أعدت قراءة متن هذه القصيدة، فوجئت بهذا التكثيف المركز، والنقلات السريعة.

الصورة هنا كانت أكثر تنوعا وتداخلا وتدفقا. لو صح الحدس الذى شكلّها إذن فمهمة الطبيب النفسى تزداد صعوبة ومسئولية، حين يقول صلاح جاهين فى رباعيته الرائعة: إيه تطلبى يا نفس فوق كل ده، حظك بيضحك وانتى متنكده، ردت قالت لى النفس قول للبشر، ما يبصوليش بعيون حزينة كده"، تحترم هذا التلقى لعمق عيون البشر ووصفها بأنها حزينة، الأمر لا يتوقف عند تصنيف جاد مبدع: شعرى أو طبى، بأن هذه نظرة حزينة، وتلك نظرة نداهة، وأخرى فرحة، وغيرها مندهشة، إذْ يبدو أن هناك بعدا، أو أبعادا أخرى، على مستوى إنسانى كلى، ومن خلال العيون اساسا، وليس تماما،

يمكن رصد هذه النداءات وهذه اللغات وهذه الألوان فى العيون مع العجز التام عن تسميتها،

ما العمل؟

الجانب الآخر الذى وصلنى حين قرأت هذه القصيدة من جديد، هو أن الحياة الطبيعية الحقيقية قد تكون بنفس هذا التداخل والتكثيف، وأن أى اختزال أو تحليل لها هو أيضا نوع من الاغتراب أو التشويه، فالسويقة (والسوق، والمولد، ومحطة القطار، وميدان فى حى شعبى ..إلخ) فى حركتها المتداخلة المتكاملة تكاد تكون هى الوجه الخارجى لهذه الوجدانات المتنوعة كما تطل من عيون تجلت فى هذا التشكيل،

باختزاله أو تصنيفه يمكنه أن يتعرف على مريضه بشكل أكثر حركية فى وعى أكثر رحابة، يسرى ذلك على سائر العلاقات الحقيقية المبدعة بين البشر

هل يمكن أن ينمو هذا النوع من العلاقات من خلال مواصلة ممارسة الحياة بطريقة أقرب وأعمق؟

هل يمكن أن نتواصل دون الإسراع بحبس مشاعرنا فى ألفاظ هى غير قادرة على احتوائها إلا بعد تفتيتها وتسطيحها وحبسها داخل ما لا تحتاجه من تعبير أو تفسير؟

هل يمكن التدريب على تعليق الحكم بعض الوقت قبل الإسراع فى لصق أقرب صفة (أو اسم عَرَض) لما يصلنا من الآخر (مريضا أو سليما) أولا بأول؟

حين نقرأ هذه القصيدة، برغم أنها - مثل كل قصائد هذا الباب - لا تصف حالة مرضية، ولا سوية على أرض الواقع، لا بد أن نتردد بعد ذلك فى أن نسارع بوصف المرض والناس والعيون استقطابا : إما حزين أو فرحان، إما خائف أو مطمئن؟ هذا أمر وارد، وقد يكون مفيدا أحيانا، لكنه ليس كل القصة، وليس غاية العلاقة ولا غورها ولا طبقاتها

تبدأ القصيدة من أرض الواقع الخارجى، من السويقة، وأعتقد أن منظر السويقة التى كانت تعقد مرتين فى الأسبوع فى قريتنا ، الإثنين والخميس، كان مازال عالقا فى وعيى وأنا أكتبها، السويقة هى تصغير سوق غالبا، لكن هل يوجد تصغير للسويقة نفسها؟ بالإضافة إلى السويقة التى كانت تعقد على طرف البلدة فى نهاية مبانيها مع بداية حقولها، كانت هناك سويقة السويقة (إن صح التصغير) تعقد صباح كل يوم سبت على شريط قطر الدلتا قرب محطته، هى تجمع صغير يعقد قبل طلوع الشمس على قضبان القطار فعلا، ولم يكن معترفا به من كل الناس باعتباره سويقة رسمية!! (مثل سويقة الاثنين والخميس)، كان بمثابة تسهيل مرحلى لتبادل الأغراض والنقود قبل ركوب قطار الدلتا إلى سوق السبت فى قرية أكبر على بعد خمسة كيلو مترات (أصبحت هذه القرية مركزا مؤخرا) ، سويقة السويقة هذه كانت تغنى بعض الذين عزموا على شد الرحال إلى المركز من السفر، هذا إذا نجحوا أن يقضون حاجتهم شراء أو بيعا أو كليهما أثناء انتظار قطار الدلتا ذى الخط الواحد، وهكذا يوفر الذى أتم غرضه قبل السفر على نفسه المشوار ، ويعود وقد تحقق مأربه من السوق التمهيدى هذا (سويقة السبت الصغرى).

قطار الدلتا له شخصيته الخاصة ومواقيته المتباعدة غير المنتظمة وآثاره فى كل من عايشه طفلا، وهو يمثل لطفولتى علامة شخصية جدا لم أستطع أن أنساها، هذا المنظر الذى بدأت به هذا التشكيل كان يثير دهشتى، بل وخوفى، طفلا حين تصر نسوة البلد أن يكون اجتماعهن لتسويق حاجياتهن على شريط القطار ذاته وهن يعلمن تمام العلم أن القطار قادم ، ولكن يبدو

أن جميعهن (بعكسى طفلا) كن متأكدات أنه لن يدهسهن من ناحية، وفى نفس الوقت فإنه ليس له ميعاد ثابت فلا داعى لوضعه فى الحساب.. ومع ذلك فقد كان يداخلنى خوف من أن تخيب حساباتهن مرة، ويدهمهن القطار على غرة، رغم أنه لا يعرف المباغتة.

كان القطار يأتى ويصفر ويتلكع حتى يتفرقن فى مرح وفزع مصطنع، ولا يلبثن أن يعدن كما سبق بعد مروره، وبعد أن يركبه منهن من سوف تواصل السفر إلى سوق السبت :

والنظرةْ الصاحية الواسعة الزحمةْ ،

زىّ سويقةْ السبتْ، فى بلدنا.

زى القفف المليانة حاجات وحاجاتْ،

محطوطه بالذاتْ،

على قلب شريط قطر الدَّلتا.

كلّ ما القطر يصفَّر، بتلاقى الزحمة اتفضتْ.

والقفف السودا الَّنشوان، بتشيل القفف البيضاَ الملْيَانةَ

حاجات وحاجات.

وَمَّا القطر يعدى: ترجع كومْة القففِ النسوانْ، القفف النسوانْ:

تتلخبط على بعض، كما دقن الشايب.

المرأة فى بلدنا ليست مجرد قفة تنحط وتنشال، تملأ وتفرغ، التشبيه هنا لا يحط بالمرأة لتصبح مجرد قفة، بل أظن أنه يرتقى بالقفة (الشىء) لتصبح كائنا حيا تشارك صاحبتها التشكيل.

أظن أن ما جاء بعد ذلك فى هذه العيون هو غير قابل للشرح دون أن يتشوه، بل لعله أيضا لا يمكن استلهامه ليفيدنا فيما نحن بصدده لفهم النفس الإنسانية، شعرت أنى لو حاولت شرح هذه المشاعر المتداخلة المعبرة فى هذه العين كما رسمتها دون أن أقصد، لاضطررت أن أشرح الطب النفسى كله وعلم السيكوباثولوجى والعلاج النفسى معا، إن غاية ما يمكن أن أتوقف عنده آملا ألا يخل بتكامل الصورة كلها على بعضها بشكل أو بآخر، هو بعض الإشارات كما يلى :

• إن العين، فى لحظة بذاتها، قد تقول كل شىء معا، فى نفس الجزء من الثانية **"كل كلام الدنيا، وف نفس الوقت"**،هذه الحقيقة تذكرنا بجهلنا بقيمة هذه الوحدة الزمنية المتناهية الصغر، والتى بلغتنى بشكل رائع من باشلار فى "حدس اللحظة"، والتى أعتبرها ثروة العلاج النفسى، الجمعى خاصة، وفى نفس الوقت أتصور أنها هى هى لحظة التحول النوعى فى أزمات التطور، وبعض خبرات الإبداع، **"كل كلام الدنيا وف نفس الوقت"**

• الغوص فى العين فى هذه اللحظة واستيعاب كليتها هو ممكن وفقط، أما ترجمتها إلى ألفاظ أو إلى أى تشكيل آخر فهو الاستحالة نفسها، هذه المحاولة هى ليست إلا تقريبا لا يمكن أن أكون قد قصدت إليه بوعى كامل حتى أجمعها هكذا

• إن الشعر، هو الأقدر على احتواء مثل هذا التكثيف من أى تعريف علمى أو نثرى مجتهد

• إن ممارسة الطب النفسى الحديث بدون تدريب مثل هذا الحدس الفنى على هذه الإحاطة الكلية، قد تكون تراجعا عن ممارسات علاجية كانت فى يوم من الأيام أقدر وأشمل

• إن الأمل معقود فى الاستفادة والإفادة مما استحدث من إضافات علمية أمينة (لا تسويقية ملتبسة)، يمكن أن يثرى هذه الخبرة التشكيلية النقيدة التى نزعم أنه يمكن تدريبها بشكل أو بآخر ،

هيا نقرأ هذه الفقرة ونكتفى بها حتى نستوعبها بما قصدنا إليه من دعوة للتلقى بشكل آخر

أهى نظرة عينهْ زى سويقة السبت

فيها كلام الدنيا، وفْ نفس الوقت

فيها"رغبهْ" على "دعوه"، على "إشمعنَى"، على"رعشِةْ خوفْ"،

على "صرخة طفلْ"، على حَلَمةْ بزْ،

على "عايزه اختارْ"،

و"انا مالى ياعمْ"،

"مش عايزه ألمْ"،

على "نِفْسِى أعيش"، "بس ما تمشيشْ"،

"خلينى معاكْ"، "خلينى بعيدْ"،

التناقض هنا ليس تناقضا بقدر ما هو تداخل حركى جدلى متضفر، إذْ يختلط النداء بالدفع فى نفس اللحظة، ويتداخل الألم مع الرغبة ..إلخ إلخ مما يمكن أن يمسخ التشكيل كلما تمادينا فى التوصيف. قف.

ينتهى هذا المقطع بإعلان الرغبة فى الحياة بالمعنى البسيط، وفى نفس الوقت بالمعنى الحقيقى،

• قرار **"أن تعيش"** هو أصل كل الوجود، وهو قرار يستحيل بنوعية بشرية حقيقية إلا فى وجود آخر، إن مجرد الاعتراف بهذا القرار "قررت أن أعيش بشرا" ، يعلن اعترافا ضمنيا بأنه لا عيش هكذا إلا فى رحاب وعى بشر "أخر" يقرر نفس القرار،

• فى الندوة الأخيرة لجميعة الطب النفسى التطورى (عودة لفتح ملف الفصام) يوم الجمعة الماضى (4 سبتمبر) انتبهت إلى أن الإنسان المعاصر ما زال يعيش فى الموقع البارنوى paranoid position فى معظم تعاملاته معظم الوقت، على مستوى الفرد وعلى مستوى المجتمع أيضا

• اكتشفت برغم طول الخبرة ندرة الموقع الاكتئابى الأكثر نضجا على مسار النمو هو الذى ما يميز (المفروض يعنى) الإنسان الحالى النامى وهو يواصل تطوره ليتحمل مسئوليته الجديدة، لم تتضح لى ندرة هذا الموقف الاكتئابى إلا مؤخرا جدا، فما هو؟

هو الموقف الذى يعلن نوع العلاقة التى يمكن أن يتميز به الكائن البشرى دون غيره بوجه خاص،

آن الأوان أن أتوقف عند هذه التسمية ، "الموقف الشيزيدى" Schizoid Position، و"الموقف البارنوى "Paranoid Position ، والموقف الاكتئابى Depressive Position أقول إنه قد آن الأوان أن نبحث عن تسميات أخرى تناسب ثقافتنا بوجه خاص:

إنك بمجرد أن تذكر أو تكتب أو تقرأ كلمة **"اكتئابى"** أو **"بارانوى"** يذهب فكرك إلى ما هو مرض، (ولست متأكدا إن كان ذلك يحدث عند ثقافة الإنجليز بالنسبة للكلمة الأصلية بالإنجليزية أم لا)، من هنا يبدأ الخلط إذ أننا فى مقام الكلام عن مراحل النمو التى يمر بها كل فرد بلا استثناء وليس فى مقام وصف مرض بذاته، أو إمراضية خاصة، وبالتالى فعلينا

أن نحذر استعمال أبجدية من قاموس المرض النفسى لوصف النمو العادى، ولا يجوز أن نلوم الشخص العادى إذا ما سمع كلمة بارنوى، أو اكتئابى فذهب إدراكه واستقباله إلى أنه شىء يخص المرضى دون غيرهم، الأفضل ولو مرحليا أن نبتدع أسماء لهذه المواقف أقرب إلى طبيعة النمو لنبتعد قدر الإمكان عن هذا الخلط.

بالنسبة للموقف الشيزى فكرت أن أترك اسمه كما هو لأن الكلمة معربة وليست مترجمة، ولكن دعنا نتكلم عنه باسم **"موقف اللاموضوع"**، ثم نسمى الموقف البارنوى **"الموقف الكرّفرى"** أو الموقف **"الكرّ-فرى"** أو الأفضل حتى نكتسب شجاعة النحت **"موقف الكرّ-فر"** لمن لم يتعود على الإضغام فى نحت الكلمات، ثم يأتى الموقف الاكتئابى فنسميه **"الموقف العلاقاتى البشرى"**،

- اسمحو لى أن أعيد توضيح بعض ذلك برغم أننى قمت به من قبل مرارا، ولكن دون هذه التسميات الجديدة:

§ **الموقف اللاعلاقاتى:** هو موقف يبدأ داخل الرحم ويمتد لأيام أو أسابيع خارجه، وهو التواجد بلا علاقة أصلا بموضوع منفصل عن الذات ("ليس أنا" not me) وهو قد يستمر طاغيا فى كل مراحل النضج فى معظم حالات اضطرابات الشخصية، بحيث يتحول العالم كله تقريبا إلى إسقاطات واستعمالات ذاتية بقدر هائل من الشخصنة Personification والذاتوية Egoism فتصبح الموضوعات كلها مسقطة من الداخل بمعنى أنها موضوعات ذاتية Self Object وليست حقيقية، هذا الموقف يمكن إرجاعه تطوريا إلى مرحلة الكيانات الأحادية (حتى أحادية الخلية) حيث كانت لا تحتاج إلى موضوع، إلى آخر، حتى للتكاثر، فقد كانت تتكاثر بالانقسام (ودمتم)

§ **موقف "الكر- فر"**، : بمجرد أن يتعرف الكائن البشرى النامى على أنه لم يعد فى بطن أمه، وأن هناك عالم خارجى، وأن هذا العالم الخارجى يحوى موضوعات غيرى، غير ما هو "أنا" Not Me، يعتبر هذا الكائن النامى أن أى موضوع خارجى هو خطر عليه، ومن هنا يبدأ فى التوجس والحذر والخوف من الاقتراب والخوف من الحب والخوف من أية علاقة، وهو يمارس فى هذه المرحلة آليات الكر والفر والشك والحذر، يدافع بها عن كيانه وعن استمرار وجوده. هذا موقف فيه "موضوع حقيقى"، وهو يمارس نوعا من التفاعل معه، ولكن فى اتجاه الدفاع عن الذات لا أكثر،

أما بالنسبة للعلاقات فى هذه المرحلة (الكر- الفر) بين الأفراد من نفس النوع فإن العلاقات ليست منعدمة، لكنها قاصرة على الرعاية لتنشئة الأصغر، وعلى اللذة لحفظ النوع (الجنس للتكاثر)، وعلى التجمع معا، أيضا للحماية، دفاعا عن النوع، إذن توجد علاقات فى هذا الموقف، على هذا المستوى التلقائى، هذه العلاقات تحكمها آليات البقاء وغرائز حفظ الحياة والنوع، بأقل قدر من الاختيار والوعى على ما أعتقد.

يبدو أن الإنسان المعاصر، أعنى أغلب الناس - كما ذكرت منذ قليل - ما زالوا يعيشون معظم الوقت بهذا النوع من العلاقات **الكرّ-فرية**، وهى تظهر طول الوقت فى التوجس المعاملاتى تحت مظلة ألفاظ القانون أو مواثيق حقوق الإنسان كما تتجلى مباشرة فيما يسمى سياسة السوق، والتعصب الدينى المعلن والخفى، الشعورى واللاشعورى، والتعصب العرقى، والتعصب الطبقى، والتنافس فى كل المجالات، خصوصا التنافس الاغترابى، والحروب بأنواعها القديمة والجديدة، (الاستعمارية، والاستغلالية، والاستباقية، والإرهابية...إلخ)، كل هذا ليس إلا كر وفر بين الأفراد وبعضهم البعض، وبين المجموعات وبعضهم البعض، وبين الدول وبعضهم البعض)، هذه حقائق ليست مزعجة، وإنما هى حافزة للانتباه إلى تواضع موقعنا على سلم التطور، وإلى طول المشوار الذى ينتظر منا أن نقطعه د ون ردة إلى ما يشبه الموقف الشيزيدى اللاعلاقاتى تحت زعم النظام العالمى الجديد أو أى نظام يقلل الفروق الفردية والثقافية على حساب العلاقات الإنسانية الأرقى والأصعب فى المواقف البشرية الأكثر وعيا ومسئولية وجدلا

§ **الموقف العلاقاتى البشرى:** اكتسب الإنسان الوعى، ثم الوعى بالوعى، كمرحلة أخيرة هى الغالبة الآن، وبما أن هذا قد تم مؤخراً فإن مسيرة نموه عليها أن تمر بكل المراحل السابقة لتحتويها وتتجاوزها وتتكامل بها.

فى تقديمى لندوة يوم الجمعة الماضى كما ذكرت، انتبهت إلى ما ذكرته حالا من أن أغلب البشر اليوم لم يصلوا إلى هذا المرحلة العلاقاتية البشرية الحقيقية بحق، وأن أغلب الجهود المبذولة إبداعا، وتربية، وتصحيحا، وتكافلا إنسانيا هى تهدف لزيادة حجم جرعة هذا النوع من العلاقات التى تميز البشر دون غيرهم من الكائنات، لكن يبدو أننا نسير ببطء شديد فى الاتجاه الصحيح.

المصيبة أن مزاعم الحب والتضحية والسماح والمساواة ومثل هذا الكلام ، تمثل أغلبها ردة شيزيدية أكثر من أنها محاولات تطورية لاقتحام المرحلة التالية بما فيها من خبرة علاقاتية مؤلمة رائعة

الإنسان المعاصر ما زال يعيش الموقف الكرَ فرّى، وأغلب المحاولات الجارية، لتجنب هذا الموقف أو التخفيف منه هى بالنكوص إلى الموقف الشيزيدى، وليس بالتقدم إلى الموقف العلاقاتى البشرى.

الموقف العلاقاتى البشرى: هو الذى يضع الإنسان على قمة هرم الحياة التى نعرفها،

فهو يعلن أن الإنسان لا يكون إنسانا إلا فى وجود، ومع، إنسان آخر،

ويكون هذا الإنسان الآخر هو مصدر الاعتراف به،

وهو مرصد شوفانه،

وهو أيضا مصبّ مشاعره المتبادلة من نفس هذا الوع،

وهنا يبدأ التميز البشرى فى فرض صعوباته الرائعة.

لما كان الإنسان قد اكتسب الوعى، ثم الوعى بالوعى كما قلنا، فقد أدرك أن ثم "آخرا" هو ضرورى لأنسنته،

الآخر الحقيقى هو مصدر الحياة الأرقى بموقفه هذا الذى يسمى الحب،

ثم يكتشف الإنسان فى منطقة ما من مناطق وعيه، ليست ظاهرة على السطح دائما، أن هذا الآخر الذى هو مصدر هذا الحب (الحياة كإنسان) هو **هو أيضا مصدر التهديد بالترك، بالهجر**، تبعا لطبيعة حركية العلاقة لا أكثر،

هكذا يقفز الحذر من هذا المحب الموضوعى فعلا، ليس حذرا لدرجة إلغائه كما هو الحال فى الموقف اللاعلاقاتى (الشيزيدى) برغم مظاهر حميمية العلاقة،

وليس حذرا لدرجة تبرير استمرارية الكر والفر كسبيل أوحد للحفاظ على الحياة، ولكنه حذر يقول :

أنا على يقين من أن مصدر بشريتى هو هذا الآخر المحب

أنا لا أستطيع الاستغناء عنه أو عن من هو مثله

أنا على يقين -فى نفس الوقت- من أنه قد يتركنى

أنا سوف أتألم حين يتركنى، بل إننى متألم الآن لمجرد التفكير فى هذا الاحتمال

أنا لن أتركه

أنا لن أتركه يتركنى

أنا أحبه

أنا أمارس معه نفس الدور تماما

هو يحبنى

هو يمارس معى نفس الدور تماما

كيف أحتفظ بهذا وذاك <u>الآن</u> <u>هنا</u> <u>معا</u>

هذا مؤلم جدا،

لكنه بشرى جدا،

وهو أفضل من أى حل آخر، أفضل من العودة إلى الكر والفر

وأفضل من الكذب بإسقاط آخر من داخلى بالمواصفات التى لا تهددنى على هذا الشىء خارجى

وأفضل من العودة إلى قوقعتى لاغيا كل آخر

يا لروعة الألم الحب الرؤية الاستمرار

يا لفخرى بى ساعيا، فرحا، متألما

****

لا أعرف ما الذى اضطرنى لهذا الاستطراد الطويل المعاد غالبا

أهى ندوة الجمعة الماضية

أهى أنى اكتشفت أن كل ديوان سر اللعبة ثم شرحه فى ألف صفحة (وهو الجزء الأول من هذا العمل) لم يتناول (تقريبا) قضية إلا هذه القضية المستحيلة الرائعة الممكة؟ وكذا هذا الديوان وهذا العمل؟

عن الزمن والحركة

لا يمكن أن تفهم إشكالة العلاقة البشرية الناضجة بجمها وموضوعيتها إلا من خلال بعدى الزمن والحركة

"حتمية بُعد الحركة" هو هو الذى علّمنى أنه لا علاقة بشرية حقيقية إلا بتفعيل برنامج الدخول والخروج مع ترجيح جانبه الإيجابى الذى يحتم عدم تساوى ذراعى الدخول والخروج،

لا يمكن مسخ هذا البرنامج إلى ما هو إيجابى خالص، أو ما هو سلبى خالص، إذ يبدو أن المراوحة هى أيضا بين الحركة اقترابا وابتعادا نشطا، وبين التوقف ترقبا وجمودا وخوفا، **"خلينى معاك، خلينى بعيد"**

يمكن أن نقرأ هذا الموقف باعتباره موقف تردد سلبى قبيح،

كما يمكن قراءته باعتباره وعى بالجانبين معا، دون إيقاف نبض الحركة، مع تحمل الألم، واستمرار تبادل الوعى والرؤى

عن حركية المسافة أيضا:

الفقرة التالية فى القصيدة تركز على ما يسمى "المسافة":

وِاذا قلت أنا أههْ، أنا جىْ،

يسمعنى كَمَا صُفارة القطر، ويْخَافْ.

وينط كلام العين جُوَّهْ: فى البطنْ،

أو تحت الأرضْ.

وتْلاقى سواذْها وِبَياضها بيجرُوا ورا بعض،

زى النسوان اللى بتجرى بقففها.

وامّا ابعد تانى،

ترجع كل الكلمات الساكته المليانه ألم وحاجات،

و "تعالَى" و "رُوح" و "قوام" و "استنَّى"،

"وانَا نِفسى تْقَـرّب .. إلا شويةْ". "طبْ حبّه كمانْ"

"يانهار مش فايت !!، أنا خايفَهْ"،

"أنا ماشْيهْ".

إن إحياء حيوية المكان - المسافة- هو ضرورة لفهم وتأكيد وتعميق حيوية العلاقة، جنبا إلى جنب مع حركية الزمن.

لا توجد علاقة حقيقية بدون مسافة متغيرة، المسافة الثابتة تعلن ضمنا أن العلاقة إما خامدة متجمدة، أو هى غير موجودة أصلا، وأن كلا من برنامجى الدخول والخروج والإيقاع الحيوى إما يعملان بطريقة آلية فى المحل، أو هما متوقفان فعلا أو وظيفيا، أو أنها علاقة التهامية يحتوى طرف منها الطرف الآخر داخله وبالعكس

نرجع نتذكر نقدنا فى الباب الأول لموقف التحليل النفسى التقليدى من مسألة غلبة التركيز على الماضى والتداعى الحر، ثم نضيف هنا هامشا على رؤيتنا لشكل المسافة وطبيعة الحركة فى هذا الموقف:

يبدو أن التحليل النفسى التقليدى قد ارتاح بوضع المريض ممددا على الحشية، والطبيب (أو المحلل) قابع خلف رأس المريض دون النظر فى عينيه تحديدا،

فى العلاج الأحدث "وجها لوجه"، وفى العلاج الجمعى ، يختلف الأمر تماما، حيث تتحرك المسافات ونحن جلوس فى مواقعنا تحركا فاعلا واقعا يكاد يرى بالعين المجردة، وإن صح ذلك فى المرضى العصابين، فهو لا يساعد الذهانيين والوجدانيين وكثيرين من اضطرابات الشخصية.

نكتشف أثناء الخبرات النمائية العميقة -ومنها العلاج النفسى العميق- أن الإنسان (مريضا أو غير مريض) قد يرعب رعبا شديدا من الاقتراب الحقيقى من إنسان حقيقى من لحم ودم، له وعى ووعى ووعى بالوعى، مثله ، هذا هو ما أسميه فى كثير من صورى الشعرية : خطر الحب، برغم تحفظاتى من الالتباس المحيط بهذه الكلمة كما ذكرت مكررا، الخوف من الحب (مثل الخوف من الحرية) هو أعمق خوف يمكن أن نقابله فى أعماق النفس الإنسانية وبالتالى فى المريض ، حتى وإن لم يظهر بشكل مباشر أو ظهر العكس،

نحن نواجه هذا الموقف فى خبرة النمو أثناء العلاج الجمعى حيث لا يكون "الآخر" عدوا ولا منافسا فقط ... بل رفيق طريق أيضا .... مما يفتح الباب لاقتحام هذه المنطقة البشرية بديلا عن لعبة الكر والفر تحت أوهام المطاردة، وأيضا بعيدا عن الحب الناعم اللاغى للآخر برغم زعم وجوده. هذا الرعب

من هذا النوع الحقيقى من الحب هو نتيجة الخوف من التخلى عن دفاع الكر والفر، الذى يوهمنا أنه هو وحده الذى يحافظ على الحياة والبقاء، وعن دفاع العمى التسكينى المؤقت.

وبما أن هذا الخوف من الحب له ما يبرره فى الواقع حيث المجتمع التنافسى ما زال يحافظ على بقاء الأفراد فيه بآليات الكر والفر، فعلى المعالج أن يضع ذلك دائما فى اعتباره قبل أن يحاول أن يكسر هذا الدفاع الواقى أو ذاك.

ثم تنتهى القصيدة نهاية قاتمة، لكنها مفتوحة

والقفف المليانةْ الغلّةْ الكوسه البادنجانْ،

الحُبّ العطف الخوفْ العَوَزانْ،

تِفْضَى من كله.

ولا يفضل غير قضبان القطر.

زىّ التعبان الميتْ.

مستنيّه السبت الجىْ،

اللّى ما بـــيـــجيش.

هذه النهاية تقول إن ما يبدو من استحالة تحقيق النقلة البشرية المنتظرة، مع تزايد ألم المحاولة، قد يبدو مبررا للتنازل عن مواصل المحاولة، فتنسحب كل هذه الحركية إلى المجهول، إلى الداخل، إلى سكون الظلام، إلى حجر الثعبان الميت، كل هذا وارد لكنه ليس نهاية المطاف ما دام الإنسان إنسانا مازال به وعى ينبض.

نوع الإنتظار هنا لم يقفل تماما بهذه الصورة القاتمة ، لم يترتب عليه انسحاب مطلق عودة إلى كهف الدار، استغناء عن زخم السويقة، بل إن صاحب أو صاحبة هذه العيون الحية، تظل قابعة بجوار قضبان القطار حتى لوبدت ثعبانا متيا، حتى لو قالت "أنا ماشية" فهى لم تمش، وهى لم تعلن أن "السبت الجى" "عمره ما هو جى"، وإنما التعبير يقول أن الانتظار واعد، وبرغم أن القطار لا يأتى "الآن"، فهو سوف يأتى، وإلا فلماذا استمرار الانتظار بجوار القضبان؟

وبعد

استأذنكم فى نشر النص الكامل غدًا، حتى يتخلص نهائيا من هذه الوصاية البشعة.

مع أمل ألا تنسوا أهمية ودلالات هذه الوصاية البشعة.

الإربعـــــاء 09-09-2009

740- حركية استحالة العلاقة الممكنة بين البشر (2 من 2)

العين الثانية (2)

الحلقة (28)

قبل النص

نبهنى صديق ناقد إلى فقرة جاءت فى نشرة أمس، فهم منها أننى آخذ على صلاح جاهين أنه وصف الحزن الذى يطل فى عيون الناس ليبرر له أن نفسه متنكده مع أن حظها بيضحك، آخذ عليه أنه وصف حزنا ذا بعد واحد، وقد وصل احتجاج الصديق إلى أنه تصور أننى حاولت أن أبين أن شخصى قادر على وصف لغة العيون بالتكثيف الذى جاء فى نص قصيدتى، بطريقة أفضل!!

وبرغم استحالة ذلك، إلا أننى وجدت أن من واجبى أن أقدم هذا التنويه الحالى، ليس اعتذارا وإنما توضيحا واحتراما للناقد والشاعر معا.

لقد تعلمت من صلاح جاهين عن النفس البشرية مثلما تعلمت من ديستويفسكي ونجيب محفوظ وصلاح عبد الصبور، فكيف يخطر على بال أحد أننى أكثر من تلميذ مجتهد.

تصحيحا لما وصل للناس، أو لما أسأتُ التعبير عنه، أرجو لمن يهتم أن يرجع إلى دراسة متكاملة قمت بها مقارنة بين رباعيات صلاح جاهين ونجيب سرور وعمر الخيام، ظهرت فى كتاب كامل بعنوان "رباعيات ورباعيات" ليعرف قيمة هذا العبقرى عندى، وكيف علمنى **(الكتاب موجود بالموقع "كتاب رباعيات ورباعيات")**

ثم أكتفى هنا بأن أورد رباعيات أخرى لجاهين - بدءا برباعية أمس- دون تعليق، حتى نعرف كم أحاط هذا العبقرى الجميل بلغة العيون إحاطة غائرة وغامرة طول الوقت

عذرا يا أبا به
أوحشتنى
إيش تطلبى يا نفس فوق كلّ ده
حظك بيضحك وانتى متنكدة
ردت قالت لى النفس: قول للبَشَر
مايبصوليش بعيون حزينة كده
****
أعرف عيون هى الجمال والحسن
وأعرف عيون تأخذ القلوب بالحضن
وعيون مخيفة وقاسية وعيون كتير
وباحسّ فيهم كلهم بالحزن
****
أهوى الهوى وهمس الهوى فى العيون
وبسمة المغرم .. ودمعة الحنون
وزلزلات الحب نهد الصبا
أكون أنا المحبوب .. أو لا أكون
****
ورا كل شباك ألف عين مفتوحين
وأنا وانتى ماشين يا غرامى الحزين
لو التصقنا نموت بضربة حجر
ولو افترقانا نموت متحسّرين
****
قطى العزيز راقد على الكنبات
فى نوم لذيذ .. وبيلحس الشنبات
وانا كلّ عين فنجان مدلدق قلق
صدق اللى قال إن الحياة منابات
****

والآن هل تسمح لى يا صلاح أن ألحق بكل هذا الجمال النابض نص قصيدة "السويقة" مكتملة وأنا واثق من أنها سوف أن تتوارى وراء شمس إبداعك؟

أوحشتنى يـا رجل!!
الـسويـقـة
والـنظرةْ الـصاحية الـواسعة الـزحمهْ،
زىّ سويـقـةْ الـسبتْ، فى بـلدنـا.
زى الـقـفف المليـانـة حاجات وحاجاتْ،
محطوطه بـالـذاتْ،
على قـلب شريـط قطر الـدَّلـتـا.
كلّ مـا الـقطر يـصفَّر، بـتلاقى الـزحمة اتـفضتْ.
والـقـفف الـسودا الـّنسْوان،
بـتشيل الـقـفف الـبيضاَ المـلْيَانـةَ حاجات وحاجات.

وَمَّا الـقطر يـعدى:
تـرجع كومْة الـقـففِ الـنسوانْ، الـقـفف الـنسوانْ:
تـتلخبط على بـعض، كمـا دقـن الـشايـب.

أهى نـظرة عيـنـه زى سويـقـة الـسبت،
فـيـهـا كل كلام الـدنـيـا، وفْ نـفس الـوقـت

فـيـهـا"رغبـهْ" على "دعوه"، على "إشْعنَى"، على"رعشِةْ خوفْ"،
على "صرخة طفلْ"، على حَـلَمةْ بـزْ،
على "عايـزه اختـارْ"،
و"انـا مـالى يـاعمْ"،
"مش عايـزه ألمْ"،
على "نِـفْسِى أعيش"، "بـس مـا تمشيشْ"،
"خلـينى معـاكْ"، "خلـينى بـعيدْ"،
وِاذَا قـلـت أنـا أهـهْ، أنـا جىْ،
يـسمعنى كَمَـا صُفـارة الـقـطر، ويـخَافْ.
ويـنـط كلام الـعين جُوَّهْ: فى الـبطنْ،
أو تحت الأرضْ.

وتْلاقى سوادْها وبِيَاضها بيجرُوا ورا بعض،
زى النسوان اللى بتجرى بقففها.

وامّا ابعد تانى،
ترجع كل الكلمات الساكته المليانه ألم وحاجات،

و "تعالَى" و "رُوح" و "قوام" و "استنَّى"،
"وانَا نِفسى تْقَرّب .. إلا شويةْ".
"طبْ حبّه كمانْ"
"يانهار مش فايت !!، أنا خايفَهْ"،
"أنا ماشْيهْ".

(3)

والقفف المليانهْ الغلّهْ الكوسه البادنجانْ،
الحُبّ العطف الخوفْ العَوَزَانْ،
تِفْضَى من كله.
ولا يفضل غير قضبان القطر.
زىّ التعبان الميتْ.
مستنيَّه السبت الجىْ،
اللّى ما بيجيش.

الثلاثـــــــاء 15-09-2009

746- "القـــــــط/النمـــــــر بداخلنـــــــا" (1 من 3)

الباب الثانى الحالة (3)

.... الطريق إلى "الآخر" اقترابا، فتوجسا، فتراجعا

تتداخل مراحل النمو (أثناء النمو، أو أثناء العلاج) تداخلا خفيا ومتنوعا يحتاج إلى فحص متأن طول الوقت. لا يوجد موقف "كر- فر" (بارنوى) خالص، كما لا يوجد موقف "علاقاتى بشرى" (اكتئابى) منفصل تماما، التداخل يشمل التذبذب والمراوحة طول الوقت.

فى التشكيل الحالى المسألة **لا تقتصر** على التأكيد على الخوف من الاقتراب، من الحب، من الهجر، من الترك، التشكيل هنا لا يبدأ بالصد والدفع بعيدا بل **بمبادأة الاقتراب لاختبار إمكانية العلاقة دون التخلى عن التوجس والخوف**، هو ليس موقف "كرَ فر" صرف، بل إنه بمثابة محاولة نقلة، تذبذب خطوات تصف تنويعات متنوعة متبادِلة ما بين عدة مواقف فى نفس الوقت، طول الوقت، لكنها تنتهى - من فرط غلبة عدم الثقة والتوجس- إلى الموقف اللاعلاقاتى (الشيزيزى) **"حاخطف حتة لحمة من ستى، واجرى آكلها، تحت الكرسى المش باين".**

الصورة تبدأ بإعلان محاولة التراجع عن موقف "الكر والفر" (البارنوى) بالتقدم نحو الموقف العلاقاتى بشكل ما، كأنه يقدم أوراق اعتماده للآخر، ليعتبره "موضوعا بشريا" له حق الشوفان والاعتراف، وهو فى نفس الوقت يجس نبض وجود الآخر فى وعيه، وبالعكس، لعل وعسى:

والعين الخايَفَة اللى بْتِلْمَع فى الضّلْمَهْ

عمّالة تِختبِر الناسْ:

بِتقرّب من بَحْر حَنَانْهُمْ،

زى القُطّ ما بَيْشَمِّشْمْ لَبَن الطفل بشاربُه.

فى قصيدة "جلد بالمقلوب" فى ديوان سر اللعبة، كان الخوف من الاقتراب هو الأصل، بدأت القصيدة هناك بأمر كأنه نذير أو تحذير من الاقتراب (من العلاقة البشرية) دفاعا ضد أى اقتراب:

لا تقتربوا أكثر،

إذ أنى

ألبس جلدى بالمقلوب

حتى يدمى من لمس الآخر

فيخاف ويرتدّ إذْ يصبغ كفّيه نزْفُ حى!

أما فى الخبرة الحالية فقد حاولت أن أكشف كيف أن "التركيب البارنوى"، حين يحاول أن يخطو خطواته الأولى للتعرف على الموضوع إنما يفعل ذلك بتلقائية حذرة، وهو يتحسس طريقه للحصول على صك الوجود من خلال أن "يُشاف"، أن يُعترف به، هذه هى البداية التى تتيح له فرصة أن "يكون" فى "يتواصل". قصيدة "جلد بالمقلوب" (بالفصحى/سر اللعبة) تبدأ من بؤرة الموقف البارانوى (الكر- فر) بالدفع بعيدا، فى حين أن التشكيل هنا يبدأ بإعلان تجربة الاقتراب برغم استمرار الخوف:

بِتقرّب من بَحْر حَنَانْهُمْ،

زى القُطّ ما بَيْشَمِّشْمْ لَبَن الطفل بشاربُه.

عمّالَهْ بْتِسْأَل:

عـــــايزينّى؟

طبْ ليه؟

عايزينَّى ليه؟

توظيف هذا العمل (الشرح/الاستلهام) فى خدمة الإمراضية النفسية (السيكوباثولوجى) والعلاج النفسى، مع مخاطرة تشويه ومسخ الشعر شعرا، يسمح لنا بالإشارة إلى كيف أن محاولة عمل علاقة مع صاحب (مرحلة) هذا التركيب هى مغامرة تحتاج إلى مهارة علاجية فائقة، علاقة حقيقية تحتوى أوهام المطاردة ولا تكتفى بكبتها، ولا تتسطح بالنصائح والإقناع، فى خبرتى وجدت أنها مرحلة عادة ما قد تحتاج إلى ما هو أكبر من العلاج الفردى، (بالإضافة إلى اللازم من عقاقير) لاحظت أن

العلاج الجمعى، وكذلك علاج الوسط هما أقدر على احتوائها بإعطاء المريض فرصة اختبار أكثر من "موضوع بشرى واحد"، بما يزيد من فرصة نجاحه فى محاولته مواصلة مسيرة النمو.

تبدأ هنا المحاولة انطلاقا من موقف التوجس الحذر، بمراجعة الأمر عبر الاحتمالات الأخرى، وذلك من خلال طرح تساؤلات بديلة عن أن الموضوع (مَنْ هو **"ليس أنا"**) هو خطر طول الوقت، الشخص فى مسيرته النمائية فى هذه المرحلة لا يكل من التساؤل عن ما إذا كان "مرغوبا فيه" أم لا (عايزنّى!!؟). وهو بذلك يحاول أن يتجاوز يقينا سابقا كان يبرر له كره وفره طول الوقت، هذا اليقين الذى أكد له: *"أن أحدا لا يريده، لا يعترف به، لم يره، لا يرغب فى الاعتراف به"*، فهو بطرحه هذه الأسئلة يبدو أقرب استعدادا لتصديق الإجابة إن جاءت بالإيجاب، وهكذا يبدو أنه بدأ يخلخل يقينه من تجربته المريرة السابقة (توهما أكثر منها حقيقة) التى ضاعفت عنده ما وصله من مشاعر: الإنكار، والإهمال، والرفض...، فهو يتساءل - يسائل نفسه أساسا - ما الذى جدّ ، فيه أو فيهم، بحيث يشجعه على المضى فى المراجعة ربما يصله أنه أصبح "مرغوبا فيه الآن؟"

إشِمعنى الْوقْتِى؟

وهو يواصل التساؤل - مهما وصله من إجابات إيجابية- فهذه طبيعة المرحلة، التى لا تستبعد وصول أية رسالة ذات فاعلية نمائية إليه.

من الطبيعى أنه يلزم للإقرار بالرغبة فى قبول "وجود" آخر، أن تعترف به، أن ترى حقيقته الكلية ابتداء ما أمكن ذلك، الحاجة إلى "الشوفان" إلى الاعتراف ، لا تتطلب مجرد الإعلان التقريرى أو إطلاق ألفاظ الحب والرضا، ولا حتى الرعاية الظاهرية! إن الأم تريد ابنها بداهة و"تعوزه"، (إلا ما ندر)، لكن هل هى تريده وتظل تراه وهو فى طريقه أن يكون كيانا مستقلا منفصلا عنها بشكل حقيقى؟ أم أنها تراه غالبا، أو تماما، امتدادا لذاتها وكأنه ما زال قابعا فى رحمها؟ هل هى تراه "كله"، أم ترى الجزء الذى يظهر منه ويسمح لها بامتلاكه؟ حتى الطفل فى هذه السن الباكرة يريد أن يُرى كله، وأن يُعترف به كما هو، له، وليس باعتباره شيئا مضافا إلى ملكية الأسرة، إلى ملكية الأم بالذات، هذه المرحلة، هى طبيعة بيولوجية حيوية، وهى تستمر حتى نقضى.

اختفاء هذا الموقف البارنوى من ظاهر الوعى هو أدعى لافتراض أنه اختفى بالإنكار، لا أكثر، وذلك يتفق ما أشرنا إليه من غلبة هذا الموقف (الكر- فر) على معظم سلوك الإنسان المعاصر فى مرحلة تطوره الحالية (الحالة السابقة).

بِصحِيخ عَايِزْنِّى؟

بقى حَدْ شايِفْنِى يَا نَاسْ؟

مِـشْ لازم الـواحِـد منكم يعرفْ:

هوّه عـَايــز مـِيْن؟

بقى حد شايـِفـْنـِى أنـا؟

أنـا مـِيْن؟

أنـا أطلـع إيـه؟ وازاى؟

طبْ لـِيـه؟

الله يـسامـِحْـكُم. مـِشْ قصدِى .

السماح هنا ليس سماحا حقيقيا بقدر ما هو تسليم لمختلف الإجابات عن أسئلته اللحوح: ("عايزنى؟؟" - بقى حد شايقنى "أنا" - أنا أطلع مين ..)

إن الاشتراط الضمنى الذى يربط "العوزان" بـ "الشوفان" بهذا القدر من الموضوعية، والكلية، قد يبدو أنه للتعجيز أكثر منه مطالبة حقيقية بالاعتراف، يبدو أن المناورة هنا تهدف للوصول إلى تبرير تجنب الخوض فى علاقة حقيقية، إذ كيف يطالب الإنسان - فى هذه المرحلة- الآخرين أن يروا داخله أيضا، أن يروه كله، فى الوقت الذى يبذل فيه كل جهده لتحقيق عكس ذلك !!!

*وصل الأمر بأحد مرضاى من الصعيد جدا أنه كان يطلب من زوجته أن تجيب على أى سؤال يطرحه ..بنفس الإجابة التى فى ذهنه بنفس الألفاظ جدا، مثلا : إذا كان فى ذهنه أنها سوف ترد بالإيجاب بـ **"حاضر"**، فهو ينتظر هذا اللفظ تحديدا دون أية لفظ آخر مثل **"ماشى"**، **"موافقة"**، أو **"تمام"**، وكانت إذا لم تأت باللفظ (أو الجملة) المحدد الذى فى ذهه، يرفض وقد يعطيها فرصة أخرى وأخرى حتى إذا عجزت تماما ثار واعتدى عليها عدوانا بدنيا فعلا تحت زعم أنها لا تراه، ولا تحس به، ثم يتطور الأمر إلى ما هو أخطر فأخطر حتى الاتهام بالخيانة.*

حين تشتد الحاجة بمثل هذا الشخص، فإنه قد يرضى بأية علاقة حتى لو كانت سريعة، أو مؤقته، وهو قد يكتفى أن تكون من جانبه هو فحسب، ولو كبداية، ثم إنها حين تكون من جانبه بهذه المبادرة، فإنها قد تطمئنه إذ يظل هو المتحكم فى شروطها، وكأنه يخطفها خطفا دون إذن صاحبها، هذا الموقف يطمئنه جزئيا برغم استمرار توجسه ورفضه، وهو موقف انتظار بشكل ما، فيه درجة من البصيرة، لا تمنع استمرار المحاولة بل إنه يدل على عدم فقد الأمل فى علاقة مهما كانت واهية أو مؤقتة أو مذبذبة، لكن المحاولة مستمرة

وإلـيكم بعض ما سوف نبدأ بمناقشته غدا:

أنـا قـاعِـد راضى بْخوفِى المِـشْ راَضِـى.

أنـا قـاعد لامِمْ أغـْراَضِـى.

أنـا قـاعد راصدْ شادْ جامد،
قـاعد اتْـصنـَّتْ، فـاتـح وعِيْنى الجوّانى
على همس الـسِّت المِـشْ شايـفـانى،
وأسَهّيـهـا،
واتمَسّح فِ كْـعوب رجليـهـا.
تـتـْمـَلـْمـِلْ،
أخطف همسة "أيـْوَه"، أو لـَمـِسـَة "يـِمـْكـِن".
واجرى اتـدفَّى بْـ "يَعْنِى"،
وانـسى الـ "مـِشْ مـُمْكـِن".
******
ونـكمل غدًا:

الإربعـــــاء 16-09-2009

747-القـــــــــط النمـــــــــر بداخلنـــــــــا (2 من 3)

الباب الثانى الحالة (3)

الحلقة (30)

القط النمر بداخلنا (2 من 3)

واستخوْنكم، واتعرّى يمكن أطفّشكم!

أنا قاعِد راضى بْخوفِى المِشْ راَضِى.

أنا قاعد لامِمْ أغْراَضِى.

قاعد اتْصنَّتْ، فاتح وعْيى الجوّانى

على همس السِّت المِشْ شايفانى،

وأسَهّيها،

واتمَسّح فِ كْعوب رجليها.

تتْمَلْمِلْ،

أخطف همسة "أيْوَه"، أو لَمِسَة "يِمْكِن".

واجرى اتدفَّى بْـ "يَعْنِى"،

وانسى الـ "مِشْ مُمْكِن".

شرحنا أمس كيف أن هذا التشكيل، يغلب عليه محاولة حقيقية للاقتراب الحذر، ونحن نبدأ هذا الجزء الثانى من مفاجأة أن هذا الشخص بدأ يتحسس سبيله إلى "علاقة" ما، لكنه كان قد اتخذ موقف "الانتظار"، أكثر من استعداده لمواصلة برنامج

"الدخول والخروج"، الذى أشرنا إليه فى الحالة السابقة **(السويقة) نشرة 8-9-2009 حركية استحالة العلاقة الممكنة بين البشر (1 من 2)**، وأيضا هو يختبر هذه الخطوة الجديدة تجنبا للانسحاب الذى يغرى بأن يعفيه من مواصلة استجداء الرؤية تبادلا مع أشواك التحفز.

موقف الانتظار هذا يتجسد فى هذا التشكيل كنوع من **"الرضا النِزق بالبقاء على مسافة"**، حتى لو ظل الخوف يلازمه. تجسيده للخوف هنا ككيان مستقل يشير إلى رفض موقف الانتظار هذا. الخوف هنا قد تملكه الضجر حتى أصبح حالة لا تطاق مهما كانت مبررات تطويل موقف الانتظار **(راضى بخوف المشْ راضى)**.

هذا المقطع يظهر أنه مهما أعلن صاحب هذا الموقف رغبته فى الاقتراب، ومهما حاول بداية مشواره نحو تقليل المسافة بينه وبين الآخر، ومهما رضى بالقليل من الاعتراف به، أو سرقة بعض الدفء العاطفى حتى من وراء صاحبه أو صاحبته، فإنه يبدو كما لو كان لا يرحب بالتمادى فى هذا الموقف. إنه يتبين -حقيقة أم توجسا- أن ما يصله غير كاف، بل غير خالص، وسواء كان ما يصله أصيلا أو تفضلا زائدا، فإنه سرعان ما يفترض أنه عطاء مشكوك فيه، مغلف بضجر يبطل احتِمالِ أيةِ علاقة حقيقية (وأسَهّيها، واتمَسّح فِ كْعوب رجليها. **تتملمِلْ**)،

أغلب الظن أن كل هذه المشاعر هى استقباله هو، أكثر منها حقيقة الحادث خارجه، إنه هو الذى يتصور أنه غير مرغوب فيه لهذه الدرجة، وذلك استكمالا لموقفه التوجسى الذى شرحناه أمس، وهو أيضا امتداد لموقف **خطف العواطف، وسرقة بعض الدفء**. إن كل ذلك إنما يؤكد أن الثابت فى قاع وعيه هو أنه "مستحيل أن يّرى، أن يُقبل، أن يعترف به،

يحتاج اضطراد النمو، إلى المغامرة بقبول الاعتراف بأن ثم مصدرا للحب موجود **كموضوع حقيقى** يشجع حفز التقدم، الذى يحدث هنا هو غير ذلك تماما، بل هو عكس ذلك، **إذ سرعان ما تقفز ردّة حادة بشكل أكثر توجسا، وأحدّ شكا**، والأرجح أن هذه الردة بهذا العنف هى نتيجة أنه سمح لنفسه ببعض التصديق الذى سرّب إليه الدفء هكذا،(الفقرة السابقة)، ولعل هذا يقابل ما جاء فى قصيدة ديوان سر اللعبة، **(جلد بالمقلوب)**.

وبقدر شعورى بحنانك:

سوف يكون هجومى لأشوه كل الحب وكل الصدق،

فلتحذرْ

إذ فى الداخلْ

وحش سلبى متحفزْ

فى صورة طفل جوعان

وكفى إغراء

وحذار فقد أطمع يوما فى حقى أن أحيا مثل الناس

فى حقى فى الحب

الأمر هنا فى هذه القصيدة مختلف برغم أننا مازلنا فى نفس الموقف (البارنوى) من حيث أن هذا الجائع إلى الحب والاعتراف، هو هو الذى اقترب، هو الذى يتحسس طريقه، هو الذى يخطف أية بارقة حنان، هو المستعد أن يرضى بأقل القليل حتى توهما، لكنه لا يكاد يقر أن ثمَّ آخر، يعطى دفءًا ما، حتى يرتد على عقبيه فيدور مائة وثمانين درجة وهات يا توجس، وهات يا شك، وهات يا استخوان، وهات يا دفع بعيدا، ومن ثم الهجوم، والتهديد، والعدوان، بلا تردد، ولا هوادة. لم يمس أحدٌ له طرفا، لكنه ما كاد يصدق أن احتمال الحب والرؤيه والاعتراف وارد، حتى فزع ورفض ودفع وتنمر، ربما هذا ما يقابل ما جاء فى قصيدة "جلد بالمقلوب" حيث يحتد التوجس والهجوم والهرب، بالتحذير من الاغراء بالتلويح بالحب أو بالحنان (**يا من تغرينى بحنان صادق .. فلتحذر... إذ فى الداخل: وحش سلبى متحفز)**

..... الخوف من الاقتراب هو خوف من الحب، مع أن القصيدة هنا كلها تعلن، ومنذ البداية، أن السعى كل السعى بدا أنه محاولة لطرق احتمال قبول جرعة ما من الاعتراف، والرؤية، والقبول.

كيف يمكن فهم هذا التناقض الظاهر؟

فى الموقف العلاجى (والنمائى) يبدو أن هذا هو الذى يجرى بدرجات مختلفة من عمق معين:

بمجرد أن تلوح علاقة حقيقية، يقفز دفاع التوجسن فالعدوان، والتهديد، والتربص، والدفع.

هذا المقطع بالذات يذكرنا بشدة بالفرض القائل إن هذه المواقف المتتالية، ليست فقط مترتبة على علاقة الأم بطفلها فى مراحله الباكرة، بل إنها برامج منزرعة فى الإنسان نتيجة أنه يحمل فى تكوينه - بفضل الحق تبارك وتعالى- كل تاريخ تطور الحياة البيولوجية حتى مرحلة الإنسان، وبالتالى فإن دور الأم يكون بمثابة "المطلِق" releaser يبسط unfold هذه البرامج بناء على فرض القانون الحيوى biogenic law (= نظرية الاستعادة recapitulation theory)، ثم تستكمل الأم دورها بتدعيم هذا الموقف أو ذاك، حسب طريقة تربيتها له، وأيضا حسب تكوينها هى فى نفس الوقت.

هذه الفقرة من القصيدة تعرّى هذه الردّة الحادة بشكل صارخ

وأُبحّ لْكم مِن تَحْتِ لْتَحْت،

واستَخْونِكُم، واتعرّى يِمْكِنَ اطَفَّشْكُمْ

وأبويَا النِّمر يفكّركم:

زى ما هوَّه بياكل التعلبْ،

أنا باكل الفارْ.

لكنى لمّا بقيت إنسانْ، باكل الأطفالْ،

والنسوانْ المِلْـــــكْ.

هذا الموقف "الكر- فر" البارنوى لا يتميز فقط بالشك والتوجس، ثم الهجوم والهرب، لكنه يتميز أيضا باللجوء إلى طرق أخطر لإلغاء الآخر دون محوه، ليس بالرجوع إلى الموقف الشيزيدى (العودة إلى الرحم)، وإنما بإلغاء الآخر باحتوائه بداخله، إن جوع البارانوى إلى الحب، وفى نفس الوقت خوفه الشديد من الحب، أو بألفاظ أخرى: إن مغامرة البارنوى، وهو حريص كل الحرص على الاحتفاظ بالآخر (الموضوع) حتى لا يرتد هو إلى قوقعته وحيدا، تجعله يلجأ إلى آلية الاحتواء، التى تظهر غالبا فى الاندفاع نحو التملك المطلق حتى الالتهام. هذا ما يشير إليه هذا المقطع من هذا التشكيل: (لكنى لمّا بقيت إنسانْ، باكل الأطفالْ، والنسوانْ المِلْـــــكْ).

الموقف الالتهامى هنا، وهو أحد تجليات هذا الموقف البارنوى، يمكن ربطه بما ذكرناه فى الحالة السابقة "السويقة" **نشرة 8-9-2009 حركية استحالة العلاقة الممكنة بين البشر (1 من 2)** من أن الإنسان المعاصر عامة، مازال يمارس معظم أشكال سلوكه من خلال هذا الموقف البارنوى، وأن هذا الموقف هو الذى يفسر الحروب والتنافس وسياسة السوق، ونضيف هنا: إنه يفسر أيضا التهام الكبير للصغير، ومعظم صنوف الاستغلال والاستعمال الظالم، والإبادة للمختلف، عرقيا أو دينيا أو مذهبيا (أيديولوجيا).

ومع هذه الردة إلى عنف آلية الكر والفر، يتواصل الطرد، والإبعاد (التطفيش)، وهو هو موقف **"لا تقتربوا أكثر"** الذى جاء فى قصيدة "جلد بالمقلوب".

تتنوع آليات الطرد هنا يختلف عن ما جاء فى محاولة الطرد والدفع فى القصيدة السابقة (بالفصحى)، هو ملىء بالتنفير والتشكيك، والضجر، والإملال.

ما تخافُوا بقى منِّى وتتفضّوا

مِنتــِظْرينْ إيه؟

.. لسّه الحدوتة ما خُــلْـصِتْـشِى؟

"ما لْهاش آخر"؟

{طب قولّى كان فين أولها ؟....،

أو مين كان أصْله اللى قايلها؟}

ثم تعود التساؤلات وكأنها تهدئ من تسارع التراجع، تساؤلات تكمل محاولة التحمل وإعلان الحرص على مواصلة المحاولة:

أنـا نـفسى أصدّقْ:

إنى مـِتـْعـَـازْ.

مِـتـْعـِـاز وخلاَصْ.

إنـشـالله كَـلاَمْ!!

...

عايـْزِنـِّى ازاى؟

عايـزنـى كما الـوَحـْشِ الـكَـاسِـرْ،

ولا مكـسُورِ الـقـَلـْب ذلـيلْ؟

دانـا حِمْلى تـقـيلْ.

مـوَّالِى طويـلْ.

والـنـاس مـَلـْـهَّيـةْ.

إنما حـَاعـْمِـلـْها....

لـسّه حوالىّ ماحدّش خاف، ولاَ كدّبنى؟

طب هِه:

راح اسيبْ.

من أخطر المواقف التى قد يمر بها المريض البارنوى (أو أى إنسان يمر بحدة فى مرحلة الموقف البارنوى) هو أن يتخلى عن دفاعات الكر والفر، والتوجس والتآمر، وبالتالى أن يترك نفسه مطمئنا (جدا أو فجأة!!)، أو بتعبير أدق، أن يجرب خبرة الطمأنينة، قبل أوانها، الخطورة تأتى من أنه ينقلب فجأة إلى كائن طيب، رخو، هلامى يكاد يكون بلا دفاعات، ومن ثم بلا حول ولا قوة. من الناحية النظرية يمكن أن نتصور أن هذه التجربة يمكن أن تعتبر فرصة رائعة يتخلص بها من احتمال وقفته فى هذا الموقف بقية عمره، على اعتبار أنه بهذا التخلى قد تتاح له فرصة جديدة لبداية مختلفة لمسار أكثر تدرجا، ودعما، لكن من واقع خبرتى: الشخصية والمهنية، لا يسير الأمر هكذا، لأن هذا التنازل عن الدفاعات فى غير أوانها، يجعله نهبا لنفس الهواجس (أو الحقائق) وهو بلا حول ولا قوة، فيعانى أقسى المعاناة وأرعبها وهو يحاول أن يلملم نفسه أمام نفس القوى المغيرة (حقيقة أو تخيلا) وهو يتصور ساعتها أنها انتهزت فرصة تنازله عن دفاعاته فانقضت عليه .

اكتشفت أننى صورت هذا الموقف من قبل فى ديوانى سر اللعبة بالفصحى فى قصيدة أخرى هى **"جبل الرحمات"**

أختم يومية اليوم بإثبات نص المقطعين من الديوانين بالفصحى والعامية تمهيدا لمناقشة هذا الموقف الصعب فى حلقة الثلاثاء القادم.

أولا: من قصيدة "جبل الرحمات" "ديوان سر اللعبة"

.....

..للضعف الصادق، فى ظل حنان الناس، دور أقوى

.....

وتساقط دمعى أكثر

والتف الكل حوالى،

يغمرنى بحنان صادق،

هدهدة حلوة،

وتكورّ جسدى مؤتنسا،

فى حضن الودّ ودغدغته،

واهتز كيانى بالفرحة،

ليست فرحة،

بل شيئا آخر لا يوصف،

إحساس مثل البسمة،

أو مثل النسمة فى يوم قائظ،

أو مثل الموج الهادئ حين يداعب سمكة،

أو مثل سحابة صيف تلثم بَرد القمة،

أو مثل سوائل بطن الأم تحتضن جنينا لم يتشكل

أى مثل الحب..،

بل قبل الحب وبعد الحب،

شئ يتكور فى جوفى لا فى عقلى أو فى قلبى،

وكأن الحبل السرى يعود يوصلنى لحقيقة ذاتى ..

هو نبض الكون

هو الروح القدسى

أو الله.

-13-

.. .. واستسلمت،

لكن ..، لكن...، ماذا يجرى؟؟

وتزيد الهدهدة علوا ...

مـاذا يجرى؟
تـعلـو أكـثـر
لـيس كـذلـك...
تـعلـو أكـثـر
لـيست هدهدة "بـل صفعـا"
تـعلـو أكـثـر
بـل ركلاً ضربـا طحنـا
تـعلـو أكـثـر
أنـيـاب تـنـهش لحمى
الـكلب الـذئب انـتهز الـفرصة
اغتنم الـضعف وأنى ألـقيت سلاحى
.....
.....
*****
ثـانـيـا:
أمـا المتن المقـابـل فى الـقصيدة الحـالـيـة فـهو كمـا يـلـى:
لـسّه حوالىّ مـاحدّش خـاف، ولاَ كـدّبـنى؟
طب هِه:
راح اسيبْ.
أنـا جِسمى اتـبعزقْ،
زىّ فطيرة مشلـتـتة لـسّهْ مـا دخلـتـشِى الـفـرنْ.
ولا عـادْ لى إيـد ولاَ رِجْل،
ولا قـادر اتـْــلَـمْ..
...
يـاحلاوةِ دَقـةْ قـلبى وهىَّ بْــتِــحويـكُم.
يـا حلاوة نَـفَسي الـطـّالِـع داخلْ وسْطـــيـكُمْ.
طايـرْ نـواحيكمْ.
نـاحيـةْ ربـنـا فـيـكُـمْ.
يـا حلاوة الحنّيـةْ الهاديـةْ الـنـاديـةْ:

لا بْتسأل مينْ ولا لـيهْ!!

وانـا بـرضه نـسيت أنـا مين، وانـا إيـهْ؟

ولا عـاد لى إيـد ولا رجل

ولا عـارف اتـــــلم.

(7)

ولإمتى كده؟؟

لأ مش قـادِرْ.

أصْـل انـَـا خـايفْ

أنـا خـايفْ موتْ،

إخص عَـــلىَّ،

خـايف من إيـه؟

من لمس أيـديـن أيـهـا صَاحـــيِ.

....

أهى كِـدا بـاظتْ،

بـاظت منّى، رِجعتْ "لـكـنْ":

خـايف تِـفْـعـَصـَنـِى انـْتَ وهـُوَّه، وتـقـولـوا بـِنـْحـِب.

إيش عرّفكمْ بـالـلّى مـا كـانـشِى،

بـالـلّى مـا لُـوهشِى،

بـالـلّى مـا بـانْـــشى.

عمّال بـاحـْسب هـَمـَس حـَفِـيفـْكـُمْ.

بـاحـْسِبْ خوْفكُـمْ.

خوفـِى مـِنْـكُـم.

مّى مصـَهـْلـِل، وبـّيـِتـفـرّج،

ولا فـيش فـايـدة.

(8)

نـــطـّ منّى، غصب عنّى،

جوعه مسعور، ويـعـايـرنـِى.

.....

شككنى فى الـكُـلْ كـلـيـِلـهْ.

رجّعنى للوحدة النيلة!

لَّيـْتـنِى، وياريـْتنِى لقيـْتنى. .

*****

وحتى نلتقى الأسبوع القادم أرجو أن تخرجوا معى بعيدا عن هذا الموقف الصعب، ولو بعض الوقت.

ربنا يسهل...

الثلاثـــــــاء 22-09-2009

753- القـــــط النمـــــــر بداخلنـــــــا (3 من 3)

الحالـة (3)

خايف تِفْعصنى انت وهوّه، وتقولوا بنْجِبّ!!

انهيت الجزء الثانى من هذه الحالة قائلا: إن من أخطر المواقف التى قد يمر بها المريض البارنوى (أو أى إنسان يمر بحدة فى مرحلة الموقف البارنوى) هو أن "يتخلى" عن دفاعات الكر والفر، والتوجس والتآمر، فيتراخى "يسيب نفسه" مطمئنا (جدا أو فجأة!!)، أو بتعبير أدق: أن يجرب خبرة الطمأنينة، قبل أوانها، الخطورة تأتى من أنه قد ينقلب فجأة إلى كائن طيب، رخو، هلامى يكاد يكون بلا دفاعات، ومن ثم بلا حول ولا قوة.

اكتشفت أننى صورت هذا الموقف من قبل فى ديوانى "سر اللعبة" بالفصحى فى قصيدة أخرى هى **"جبل الرحمات"، (مَنْ يعطى جبل الرحمات الرحمة؟!)**، وجدت أن هذا الموقف الباكر يتميز عن الموقف هنا فى أنه أدق وصفا لهذه المغامرة غير المحسوبة عادة، فى هذه القصيدة الحالية من أغوار النفس، سمح الشخص لنفسه أن يتنازل عن دفاعاته بمجرد أن بلغه أن الآخر (الآخرين) لم يتركوه، ولم يكذّبوه: **"لسّه حوالىّ ماحدّش خاف، ولاّ كدّبنى؟ طب هِه: راح اسيبْ"**.

وهكذا ترك نفسه لهم، فى أمان واعد، وإن كان غير مضمون. فماذا حدث؟

ننظر أولا فى الموقف الأصعب فى القصيدة الباكرة **جبل الرحمات**، (وقد تناولتُه بالتفصيل فى الكتاب الأول **"دراسة فى علم السيكوباثولوجى"** (ص 285- ص 307):

..للضعف الصادق، فى ظل حنان الناس، دورٌ أقوى، وتساقط دمعى أكثرْ، والتف الكل حوالىّ، يغمرنى بحنان صادق، هدهدة حلوة، وتكورّ جسدى مؤتنسا، فى حضن الودّ ودغدغدته، واهتز كيانى بالفرحة، ليست فرحة، بل شيئا آخر لا يوصف: إحساس مثل البسمة، أو مثل النسمة فى يوم قائظ، أو مثل الموج الهادئ حين يداعب سمكة،أو مثل سحابة صيف تلثم بَرد القمة، أو مثل سوائل بطن الأم تحتضن جنينا لم يتشكل، أى مثل الحب..، بل قبل الحب وبعد الحب، شئ يتكور فى جوف لا فى عقلى أو فى قلبى، وكأن الحبل السرى يعود يوصلنى لحقيقة ذاتى .. ، هو نبض الكون ،هو الروح القدسى، أو الله.

واقع الحال أن هذا الموقف لا يمكن أن يصل إلى وعى صاحبه لا اثناء العلاج، ولا فى خبرات النمو، بهذه التفاصيل المحددة، ليس لأنه لا يحدث، وإنما لأنه إذا حدث بكل عمقه هكذا، لا يستغرق أكثر من ثوان، بل أقل، **لكنه يحدث**، ويتجلى فى الإبداع كما يتجلى فى الجنون، ونحن لا ندرك عادة إلا آثاره الإيجابية، أو السلبية،على المدى الطويل، الآثار السلبية هى الأكثر تواترا إذا لم نحسن الإعداد، والاستعداد له، وهى تحدث غالبا نتيجة لسوء التوقيت، واستسهال التخلى والنسيان البعدى.

أشرنا، وسوف نشير كثيرا إلى هذه اللحظات الشديدة القصر، التى تتم فيها النقلات النوعية المتناهية الصغر (والتى لها علاقة بحدْس اللحظة عند باشلار، وربما فاليمفتوثانية عند زويل)، هذه اللحظات الدقيقة جدا، يعرفها المعالج بحدسه اليقظ أكثر مما يرصدها بملاحظاته وحساباته، أما المريض (أو أى شخص ينمو)، فهو عاجزعادة عن رصدها إلا إحساسا غامضا إجماليا، لكن مهما ضؤلت هذه اللحظات، ومهما استعصت على الوصف، فإنها تثبت أن لها أثر باق حقيقى وممتد، ولو بعد سنوات، لسنوات،

ولعل محمود درويش كان يعنى شيئا من ذلك فى قصيدته «أثر الفراشة».. يقول درويش:

«أثر الفراشة لا يُرَى

أثر الفراشة لا يزول

هو جاذبيةٌ غامض يستدرج المعنى، ويرحلْ
حين يتضح السبيلُ
هو خفة الأبديِّ فى اليومىّ
أشواق إلى أعلى
وإشراق جميل
هو شامةٌ فى الضوء تومئ
حين يرشدنا إلى الكلماتِ
باطننا الدليل
هو مثل أغنية تحاولُ
أن تقول، وتكتفى
بالاقتباس من الظلالِ
ولا تقول..
أثر الفراشة لا يُرَى
أثر الفراشة لا يزول!»

المسئولية العلاجية بالذات (والعلاقاتية عامة) المحيطة بهذه اللحظات العابرة الزاخرة الغامضة هى جسيمة فعلا، ومتى شعر المعالج باحتمال مرور مريضه بمثل هذه الخبرة مهما ضؤلت، فإنه لو غامر بالسماح بها، فلا بد أن ينتبه إلى ما يمكن أن يترتب عليها، من **فرصة رائعة وتغيير جذرى**، أو من **نكسة تراجع فاندمال بشع.**

إن التخلى عن مثل هذا الشخص (أو المريض) الذى أمِنَ فترك نفسه بلا دفاعات فى رحاب من اعتقد أنه أهل لثقته ولو للحظة أو بعض لحظة هو من أكبر الأخطاء التى يمكن أن تُرتكب على مسار العلاج، والحمد لله أن قلة من المعالجين هم القادرون على التلويح بمثل هذا الأمان، أو السماح به، لكن المريض، من فرط وخز شوك الموقف البارانوى، ولهيب توجسه وحذره، قد يغامر بخوض التجربة من تلقاء نفسه بدون اختبار احتمال استعداد المعالج أن يتحمله، إن ذلك إذا ما حدث بمبادرة من المريض أو بدعوة ضمنية من المعالج، فإنه ينبغى أن يسارع المعالج بالتواجد المحيط الواثق بجوار المريض، فى متناوله، ولكن من على مسافة مناسبة، حتى لا يتمادى المريض فى الأمل فى الركون إلى أمان مطلق (عادة حسب تصوره)، أمان يسحبه إلى احتمال الامحاء فى الرعاية الحاوية، ومن ثَمَّ يجد نفسه فى موقف الاحتواء، المغرى بالانسحاب للموقف الشيزيدى ربما بغير رجعة.

الصورة فى قصيدة **"جبل الرحمات"** تشير إلى خطورة التخلى، حين يتحقق احتمال أن "الآخر" (الآخرين) لم تبلغه (تبلغهم) هذه النقلة، فيتمادى فى "الكر" دون "الفر" وهو يطلب الإذعان من شخص ألقى سلاح دفاعاته فعلا: **(.... واستسلمتْ، لكنْ .. لكن...، ماذا يجرى؟؟ وتزيد الهدهدة علوا .ماذا يجرى؟ تعلو أكثر ، ليس كذلك.. تعلو أكثر)**

ولا يتبين الذى يمر بهذه التجربة مدى الخدعة فى أول الأمر، فيظل يستقبل الرسائل آمنا فى البداية، مع احتمال دهشة وبدايات توجس، ولكنه رويدا رويدا يتبين كيف تنقلب الهدهدة إلى صفع، وركل، وطعن، وقد يتأخر إدراك ذلك حتى يكون الأوان قد فات فيعجز الشخص (أو المريض) أن يستعيد آليات كرّه وفرّه بالرجوع إلى الموقف البارانوى، (**"ليست هدهدة "بل صفعا"، تعلو أكثر، بل ركلاً ضربا طحنا، تعلو أكثر، أنياب تنهش لحمى، الكلب الذئب انتهز الفرصة، اغتنم الضعف وأنى ألقيت سلاحى.)**

هذا الموقف يمكن تعميمه إلى بعض المواقف العامة فى الحروب خاصة، حين تستغل الهدنة، أو وقف إطلاق النار، للتجهيز لانقضاض خادع، بعد انخداع أحد الطرفين بإلقاء سلاحه، أو استرخاء دفاعاته، (لا أريد أن أشير إلى هدنة 48 فى فلسطين وما بعدها، وما بعدها، وما بعدها. خلنا فى موقفنا الفردى هنا):

فى حالة حدوث سوء التوقيت هذا، على مسار العلاج، بما يترتب عليه ما ذكرنا بما يمكن أن ينتهى إليه من تراجع، ومهانة، وإحباط، إذا حدث ذلك فإن معاودة طرح استعادة الثقة بالمعالج، أو بالوسط العلاجى، تصبح أصعب مما كانت عليه قبل بداية العلاج بشكل أو بآخر.

قبل أن ننبه إلى التحفظات اللازمة لتجنب ذلك، دعونا نقرأ الصورة المقابلة فى "قصيدة القط" من هذا الديوان، فهى أخف:

يبدو أن صاحب الخبرة فى قصيدة "القط" من هذا الديوان "أغوار النفس" هو الذى أقدم على التنازل عن دفاعاته البارانوية، بمجرد أن اطمأن إلى أنهم - الآخرين - لم يتركوه ولم يكذبوه (**لسّه حوالىّ ماحدّش خاف، ولاَ كدّبنى!! طب هِهْ: راح اسيبْ")**

دعونا نلاحظ الفرق بين هذا السيبان، وبين ما جاء فى قصيدة جبل الرحمات، فلعلنا ننتبه إلى أن "السيبان" هنا هو تخل كامل عن دفاعات الموقف البارنوى، يصل إلى الشعور بعودة الجسد نفسه إلى معالم بدائية ممتزجة، بلا حول ولا قوة "(**أنا جسمى اتبعزقْ، زىّ فطيرة مشلتتة لسّهْ ما دخلتشِى الفرنْ. ولا عادْ لى إيد ولاَ رجْل، ولا قادر اتْـلَمِّ..ياحلاوةِ دَقةْ قلبِى وهىَّ بْتِحويكُم. يا حلاوة نَفَسى الطالِع داخلْ وسْطيكُمْ. طايرْ نواحيكمْ. ناحيةْ ربنا فيكُمْ. يا حلاوة الحنّيةْ الهاديةْ النادية: لا بْتسأل مينْ ولا ليهْ!! ولا عاد لى إيد ولا رجلْ ولا عارف اتلم.)**

ربما يكون الفرق المهم بين هذه الخبرة، وبين ما جاء فى القصيدة الفصحى، هو فى أمرين:

أن صاحب هذه القصيدة هنا لم يكن مريضا، وبالتالى بدت تلقائيته فى التنازل عن الدفاعات أقوى وأكثر مبادرة

ودافعة إلى مواصلة السعى إلى الآخر **("رايح نواحيكم")**، كما أن **القوة الضامة المركزية** التى أشرت إليها فى مواقع كثيرة من قبل، وهى التى تستلهم قوتها ومشروعيتها من انجذاب الوعى الشخصى إلى ما، وإلى من ، يجمع الناس بعضهم ببعض، (اجتمعا عليه وافترقا عليه)، بل إلى ما، وإلى من، يجمع الأكوان إلى بعضها دون أن ينفصل عن الوعى الشخصى (اقرب إلى حبل الوريد) ربما هذا هو ما عبر عنه الحدس الشعرى، **"يا حلاوة نَفَسى الطـَالِع داخلْ وسْطـــيكُمْ. طايرْ نواحيكمْ. ناحيةْ ربنا فيكُمْ"**، (هذا ضمان موضوعى أتعامل معه فى العلاج الجمعى عمليا، وفى علاج الوسط، وإلى درجة أقل فى العلاج الفردى، بشكل واقعىّ شديد الإفادة).

أيضا تتميز هذه القصيدة هنا بإضافة تشير إلى أن عدم تدعيم هذا الموقف بالالفاظ (والتفسير) هو أمر مطلوب وجيد، **(لا بْتسأل مينْ ولا ليهْ!!)** كما نلاحظ أن ثمة إشارة إلى أن ما يسمى التغير النوعى لإدراك الذات depersonalization (وهو من علامات النمو أكثر منه عرضا مرضيا) قد تم التنويه عنه فى المتن أيضا **"وانا برضه نسيت أنا مين، وانا إيهْ"**

التراجع هنا فى هذه القصيدة فقد بدأ من صاحب الخبرة نفسه حين لم يصدق أن هذا الحال يمكن أن يدوم، وأنه لا يمكن أن يُصبر عليه: **"ولإمتى كده؟؟ لأ مش قادِرْ". لم يكن نتيجة أن الآخر انتهز الفرصة فانقض عليه، إن المطمئن هنا (قبل الأوان)** قد يتملكه الخوف، وهو لا يسارع بلوم الآخرين واتهامهم بالتخلى أو الخيانة، بل إنه يتبين فى نفسه التنشيط الذى حدث للموقف البارنوى داعيا للتراجع، بدءا بالخوف من الاقتراب (لا تقتربوا أكثر)، بالخوف من الثقة، بالخوف من الحب، بالخوف من الآخر، وهو هنا يدرك مسئوليته فى الدفع والرفض، حتى أنه هو الذى يجهض التجربة، ويسارع بالعودة إلى ميكانزماته البارانوية بكل زخمها: **(أصلْ انـــا خايفْ، أنا خايفْ موتْ، إخص عَـــلىَّ، خايف من إيه؟ من لمس أُيدين أيها صَاحِـــى. أهى كِـدا باظْتْ، باظت منّى، رجعتْ "لكـنْ": خايف تِـفْـعَـصْـنِـى انـتْ وهـوَّه، وتقولوا بِـنْـحِب.)** وهو يبرر ذلك ليس بانقضاضهم عليه، وإنما بعجزهم عن رؤيته، عن الاعتراف به، عن حبه. **("إيش عرّفكمْ بالـلِّى ما كانشِى، بالـلِّى ما لُوهشِى، بالـلِّى ما بانُـــشى.)** وبعودته إلى دفاعاته البارنوية، يرجع التوجس، واليقظة البشعة المتلفتة، **(عمّال باحْسبِ هِـمْـس حـفِيفْـكُـمْ.باحْـسِبْ خوْفكُـمْ.خوفِـى مِـنْـكُـم. محّى مصـهـلِل، وبـيـتـفرّج، ولا فيش فايدة.)**

يبدو أن هذه الخبرة هنا هكذا يمكن أن تنتهى بمضاعفات أقل من الخبرة التى وردت فى القصيدة الأولى "جبل الرحمات"، فنلاحظ أن ثمة عودة تلوح فى اتجاه استعادة دفاعات الموقف البارنوى دون اندمالات ظاهرة، فيعلن مثل هذا الشخص الجوع إلى الآخر شريطة ألا يقترب، إلا بمقدار، فهو الشك والتوجس، فالتذبذب بين الإقدام والإحجام الذى يتصف به الموقف البارنوى ، لكنه يبدوا هنا أنه يتزايد باضطراد لا يعد بنهاية قريبة **(نـطـ مِنّى، غصب عنّى، جوعه مسعور، ويعايرنـِى.، شككنى فى الكُـلْ كليـلهْ)**

مع هذا التراجع والتمادى، يقفز تهديد جديد يلوح بالعودة إلى الخلف أكثر، إلى الموقف الشيزيدى، **رجّعنى للوحدة النيلة!** بلا طائل: **لَمّيـتْـنِى، وياريتْنِى لقيتْنى...**

ثم مزيد من التراجع إلى التحوصل،

من الصعب تماما أن يواصل مثل هذا الشخص (أو أى شخص) معايشة هذا الموقف طول الوقت، وهو إذ يحبط بكل هذا القدر، يجد نفسه فى مواجهة واقع قاس متربص بعيد مستعد للانقضاض، فيحاول أن يلملم نفسه وكأنه بذلك يحميها من استجداء آخر بلا أمل،

ولكن هذا اللم لا يحقق له وجودا بشريا حقيقيا "يأخذ ويعطى"،

فهو موجود فردا منفصلا،

فهو غير موجود (**لَمّيـتْـنِى، وياريتْنِى لقيتْنى**)

ومع استمرار هذا الوضع يكون المعروض هو نكوص كامل إلى الرحم، أى إلى مكافئاته الممكنة، (الانسحاب- التوقع- اليأس من الحب...إلخ) لكن المتن هنا يعرى هذا الانسحاب باعتبار أن العودة إلى الرحم هى نكسة وهزيمة، لكنها الحل المطروح الجاهز ظاهر

(فينك يا مّه؟ نفسى اتكوّم جوّاكى تانى، بطنك يامّه أأُمَـنْ واشرف من حركاتـــهم) ولكن هل هو حل فعلا؟؟!!

التراجع المتمادى يقدم هذه الخطوة كأنها حل ممكن، يعفى صاحبنا (يعفينا) من شوك الشك، وإهانة الصد، وقسوة الترك، ليكن، لكن لا بد أن نعلم أنه مهما بدت رغبة المريض (أو السليم) فى تجنب كل ذلك بالانسحاب الأقصى، فإن طبيعة دفع الحياة فى داخله، وفى خارجه أيضا، ترفض هذا الحل،

المتن هنا ينبه إلى صعوبة هذا التراجع مهما لوح بأنه الحل، فيُجرى حوارا بين الرحم (الأم) الملجأ التى تنبه أنه ليس سهلا هذا القرار، وبين المتراجع، تحذر الأم:

وانْ ما قدرتش!!؟

نرى من خلال هذا الحوار كيف ان الموقف البارنوى المحبط بعد إلقاء سلاح دفاعاته هو أصعب من الموت نفسه، حتى الموت يبدو بعيد المنال:

(= "إلموت أهون".

- وان ما حصلشِى؟

- = تبقى الفُرجَة، وْشَك الغُـــرْبَـة، وشُوكِ الوحْدة.)

إذا تبينت حقيقة قنوات النكوص إلى الرحم هكذا، وظهر مدى صعوبتها، وأيضا إذا امتنع العدم (الموت) لم يتبق

للشخص إلا العودة إلى الموقف البارنوى الذى يكون قد فقد زخم حدته تماما بعد أن ألقى سلاحه، فيغلب الجانب السلبى فيه: فهو لم يعد موقف كر وفر، بل أصبح موقف شلل، وغربة، وألم، وانتظار، وهذا هو أقسى وأذل أوجه الموقف البارنوى: حين يعجز عن الخطو نحو الموقف العلاقاتى (الاكتئابى)،
وفى نفس الوقت يعجز عن النكوص إلى الرحم،

وأيضا عن الاختفاء العدمى (الموت)، وأيضا وفى نفس الوقت يعجز عن أن يواصل شحذ آليات دفاعه كرا وفرا.

حين تسد الطرق هكذا يعلن المتن شكل المآل المهين (تبقى الفُرجَة، وْشَك الغُـــرْبَـة، وشوكِ الوحـْدهْ.)

وكأن هذا هو غاية الممكن بعد ذلك الإحباط القاسى.

فى العلاج النفسى، نحاول أن نتجنب هذا المآل الاستسلامى العاجز، حتى لو صاحبه اختفاء الأعراض المزعجة مثل الضلالات والهلاوس، خاصة ضلالات الاضطهاد، ليحل محله ضلالات الإشارة (مثلا)، ولعل هذا هو المقصود بـ "تبقى الفرجة"، وشك الغربة، وشوك الوحدة".

تنتهى الفقرة بأن هذا المصير هو الأمر الواقع الجديد (أهو دا اللى حصل!!).

هل يمكن أن يكون ذلك، أو بعض ذلك، هو مآل (أو مضاعفات) بعض العلاج النفسى غير الموفق؟

الإجابة هى بالإيجاب للأسف،

إن تعريض المريض للتخلى عن دفاعاته، دون جاهزية الإحاطة العلاجية، والدعم، والحوار الممتد، يمكن أن يؤدى إلى تأكيد الإمراضية (السيكوباثولوجى) برغم احتمال تخفيف الأعراض الظاهرة.

لا توجد فائدة، والموقف كذلك، إلى التركيز على بحث الأسباب، أو لوم المحيطين، ذلك أن الشخص (أو المريض) فى هذا الموقف يكون مشاركا فاعلا فى تفاقم أحواله، الذى انتهى إلى هذا الاستسلام الذى يبدو أبعد ما يكون عن احتمال إعادة التحريك، فماذا يقيد التساؤل أو البحث عن الأسباب، ونحن أمام واقع جسيم حصل ورسخ

(- طب ليه يا بنى؟

= " أهو دا اللى حصلْ".)

فى كثير من الأحيان، يتجمد الموقف عند هذا الاستسلام، شعوريا أو لا شعوريا، فهى لم تعد معركة كر، ولا هى تجاوزت ذلك إلى مخاطرة علاقة حقيقية بالموضوع مهما كانت مؤلمة، ولا هي سمحت بعودة إلى الرحم تراجعا طلبا لراحة سلبية وكرامة تجنبية، فلا يتبقى أمامه من فرصة تلامس مع آخر إلا "مخطف لمحة عاطفية من هنا"، أو "توهم رؤية محتملة لوجوده من هناك"، ثم عودة سريعة إلى الحوصلة الشيزيدية، وهكذا طول الوقت

(راجع "كما كُـنْـتْ"، قـاعدْ ساكتْ تحتِ سرير الستْ،

حاخطـــفْ حتة نظرة، أو فتفـُوتـِةْ حُـبْ،

واجرى آكلها لْوَحْدى، تحت الكرسى الـــ"مِش بـاين")

من هنا وجبت إعادة التحذير من جديد ضرورة إتقان حسابات التعرض لمثل هذه الخبرة، لأنها ما لم تكن محسوبة ومدروسة وتجرى فى مجتمع علاجى سليم، ووسط خاص وداعم وممتد للفترة الكافية، .. مالم تكن هذه الشروط متوافرة فإن التعريض لهذه الخبرة يصبح تخبطا عشوائيا خطرا.

أنا لا أنكر أننى فى أول حماسى لهذه الطرق العميقة الرائعة فى العلاج النفسى المكثف، لم أكن كثير الحسابات ولا دقيقها مثل الآن، ولذلك فقدت كثيرا من أصدقائي ومازلت متألما ليس فقط لفقدهم، ولكن لما يمكن أن يكون قد أصابهم من جراء حماسى، وبرغم هذا الإحباط المبدئى فإن المتابعة بعد ذلك بسنوات أثبتت لى أن هذه الخبرة مهما ألغيت وحاول صاحبها أن يتناساها أو يطمسها يمكن أن تعود لتثرى وجوده باختياره ولو بعد حين، الأمر الذى بدأ يخفف من ألمى، ويؤكد لى دائما قدرة الإنسان على استيعاب خبراته الإيجابية ولو طال الزمن .

وبعد

نختم الحلقات الثلاثة بإعادة القصيدة مكتملة كما تعودنا،

مع السماح بالتحسر على ما لحق المتن من تشويه وتشريح بهذا الشرح الذى لا يغفر له إلا أن يكون مفيدا من الناحية العملية:

(1)

والعين الخايَفَةْ اللى بْتِلْمَع فى الضَّلْمَهْ

عمّالة تِختبِر الناسْ:

بِتقرّب من بَحْر حَنَانْهُمْ،

زى القُطّ ما بـَيـْشَـمِـْشمْ لَبَن الطفل بشاربُه.

عمّالَـــهْ بْتِسْأل:

عـــــايزيـنّى؟

طبْ ليه؟

عايزيـنَّى ليه؟

.....

بِـصحِـيحْ عـَايـْزِنَّـــى؟

بقى حَدْ شايِـفَـنِـى يَـا نَـاسْ؟
مِـشْ لازم الـواحِـد منكم يعرفْ:
هوّه عَـايِـز مِـيْن؟
بقى حد شايِـفْـنِـى أنـا؟
أنـا مِيْن؟
أنـا أطلـع إيـه؟ وازاى؟
طبْ لـِيـه؟
الله يـسامِـحْـكُم. مِـشْ قصدِى .

أنـا قـاعِـد راضى بْخوفِى المِـشْ راَضِـى.
أنـا قـاعد لامِمْ أغـْراَضِـى.
أنـا قـاعد راصدْ شادِدْ جامد،
قـاعد اتْـصنـَّتْ، فـاتح وعِيْنى الجوّانى
على همس الـسِّت المِـشْ شايفـانى،
وأسَهّيـهـا،
واتمَسّح فِ كْـعوب رجليـهـا.
تـتـْمَـلـْمِـلْ،
أخطف همسة "أيـْوَه"، أو لـَمِـسَـة "يـِمـْكِـن".
واجرى اتـدفَّى بْـ "يَعْنِى"،
وانـسى الـ "مِـشْ مـُمْكِـن".
(3)
وأُبـصّ لْكم مِن تَـحْـتِ لـْتَـحْـت،
واستَـخْـونِـكُـم، واتـعرّى يـِمـْكِـنَ اطَـفـَّشْـكُـمْ،
وأبـويَـا الـنِّمر يفـكّركم:
زى مـا هوَّه بـيـاكل الـتعلبْ،
أنـا بـاكل الـفـارْ.
لـكنى لمّـا بـقـيت إنـسانْ، بـاكل الأطفـالْ،
والـنسوانْ المِـلـْـــكْ.
مـا تخافُـوا بـقـى منِّى وتـتفضّوا

مِنــتــِظْرينْ إيـه؟
.. لـسّه الحدوتة ما خُـــلـْصِـتْـشِى؟
"ما لْهاش آخر"؟
{طب قولّى كان فين أولها ؟...،
أو مين كان أصْله اللى قايلها؟}
(5)
أنا نفسى أصدّقْ:
إنى مِـتْـعَـازْ.
مِـتْـعِـاَز وخلاَصْ.
إنشالله كَـلاَمْ!!
.....
عايـْزِنـِّى ازاى؟
عايـزنـى كما الـوَحْشِ الكَـاسِرْ،
ولا مكـسُورِ القَـلْب ذليلْ؟
دانا جِمْلى تقيلْ.
مـوَّالِى طويلْ.
والناس مَـلْـهَّيـةْ.
إنما حَـاعْـمِـلْـها....
لسّه حوالّى ماحدّش خاف، ولاَ كدّبنى؟
طب هِه:
راح اسيبْ.
(6)
أنا جِسمى اتبعزقْ،
زىّ فطيرة مشلتتة لسّهْ ما دخلتشِى الفرنْ.
ولا عادْ لى إيد ولاَ رِجْل،
ولا قادر اتـْلَـمْ..
...
ياحلاوةِ دَقةْ قلبى وهىَّ بْـتِـحويكُم.
يا حلاوة نَفَسي الطَّالِع داخلْ وسْطـيكُمْ.
طايرْ نواحيكمْ.

نـاحيةَ ربـنـا فـيكُـمْ.
يـا حلاوة الحنّيةْ الهاديةْ الـنـاديةْ:
لا بْـتسأل مينْ ولا لـيهْ!!
وانـا بـرضه نـسيت أنـا مين، وانـا إيـهْ؟
ولا عاد لى إيـد ولا رجلْ
ولا عـارف اتـــــلم.
(7)
ولإمتى كده؟؟
لأ مش قـادِرْ.
أصـْل انـَـا خـايفْ
أنـا خـايفْ موتْ،
إخص عَـــلـيَّ،
خـايف من إيـه؟
من لمس أيـديـن أيـهـا صَاحـــيِ.
....
أهى كِـدا بـاظتْ،
بـاظت منّى، رِجعتْ "لـكـنْ":
خـايف تِـفْـعـَصْـنـِى انـْتَ وهـُوَّه، وتـقـولـوا بـِنـْحـِب.
إيش عرّفكمْ بـالـلّى مـا كـانـشِى،
بـالـلّى مـا لُـوهشِى،
بـالـلّى مـا بـانْـــشي.
عمّال بـاحـْسب هـَمـْس حـَفِـيفـْكـُمْ.
بـاحـْسِبْ خوْفـكُـمْ.
خوفـِى مـِنـْكُـم.
مخّى مصـَهـْلـلِ، وبـْـيـِتـفـرّج،
ولا فـيش فـايـدة.
(8)
نـــطـّ منّى، غصب عنّى،
جوعه مسعور، ويـعـايـرنـِى.
.....

شككنى فى الـكُـلْ كـلـيـلـةْ.
رجّعنى لـلـوِحدة الـنـيـلـة!
لَمَّيـْـتـــنِى، ويـاريـتْنِى لـقـيـتْنى...
(9)
فـيـنك يـا مّه؟
نـفـسى اتـكـوّم جوّاكى تـانى،
بـطـنك يـامّه أأُمـَنْ واشرف من حركـاتـْـــهم.
- وانْ مـا قـدرتـش؟
="إلمـوت أهون".
- وان مـا حصلشِى؟
= تـبـقـى الـفُـرجَة، وْشـَك الـغُـــرْبـَـة، وشـُوكِ الـوحـْدةْ.
- طب لـيـه يـا بـنى؟
= " أهو دا الـلى حصلْ".
(10)
راجع "كـمـا كُـــنْـــتْ"
قـاعدْ ساكتْ تحتِ سريـر الـستْ
حـاخطـــفْ حتة نـظرة،
أو فـتـفـــُوتـــِةْ حُـــبْ،
واجرى آكـلـهـا لـْوَحْدى،
تحت الـكـرسى الـــ"مِش بـايـن".

- (وقت كـتـابـة المتن الأصلى كـان 1976، فـالـشرح المبدئى 1978، وقـد اضطرد حرصى الـذى أثـبـتـه عـالـيـه عبر الـثـلـث قـرن الـتـالى حتى الآن 2009)

الثلاثـــــــاء 29-09-2009

760-نحـــــب؟ أم "نلعـــــــب حبـــــــــــا"؟

مقدمة :

حين وصلت إلى هذه الحالة الرابعة، بعنوان "البِرْكة"، تذكرت أننى استعملت هذه الصورة فى بداية ظهور هذه النشرة اليومية وأنا أتناول أبعاد **إشكالة التواصل البشرى**، قرأت ما سبق نشره، فوجدت به مادة تكاد تغطى كل ما كنت أنوى أن أقوله في هذه القصيدة وعنها فى هذا العمل الجديد، بل إننى اكتشفت فى مقدمة تلك النشرة بتاريخ 7-أكتوبر 2007، أننى أقررت أن اهتمامى الأساسى، مهما اختلفت العناوين هو حول هذه المنطقة الحساسة التى تميز الإنسان كائنا راقيا لا يستحق هذا الاسم **"الإنسان"** إلا حالة كونه **"متواصلا مع إنسان"** مثله.

كلمة "الحب" مثل كلمات الحرية والديمقراطية وحتى كلمة "الله"، (وليس حقيقة الله طبعا/- النفرى)، تمثل عندى إشكالة بلا حدود، لن أكرر ما سبق أن قلته عشرات المرات، فالمهم هو أن نفرق بين الحب الحب، والحب كنظام الحب، والحب اللاحب.

قبل أن أتم نشرة اليوم تصورت أن هذه النشرة لن تكون إلا إعادة للنشرة السابقة منذ سنتين، بعد إضافة ما تيسر من توضيح ضرورى لما هو إمراضية، (فى السواء والمرض)، مع ما يلزم من إضافات لما يجرى أحيانا فى العلاج النفسى خاصة، وهو هدف هذا الشرح لكى يتناسب مع عنوان الكتاب !

لكن هل هذا هو ما حدث تماما، أم أن هناك إضافة وتحديث؟

يمكنك أن تحكم بنفسك ! (قارن إن شئت نشرة 7-10-2007)

العلاقات التجاذبية السريعة، تتم غالبا، خاصة فى بلاد تسمح بعلاقات حرة سهلة **(هكذا تسمى)**، دون تردد أو خوف،

كما أنها تكسر القيود (إن كانت ثمة قيود) سواء كانت قيودا أخلاقية فوقية، أم دينية، أم تقاليد، لأنها تحدد الغرض منها: رغبة متبادلة، واتفاق معلن، وتخلٍّ جاهز، شيء أشبه **بالوجبات السريعة اللذيذة**.

هذه العلاقات تقوم بالواجب أحيانا، ولا يمكن شجبها على إطلاقها إلا بمقاييس أخلاقية ترتبط أساسا بالثقافة التى تتم فيها، فلكل ثقافة منظومتها الأخلاقية التى تسمح أو لا تسمح، تقر أو تجُبّ، ونحن إنما نسعى إلى التعرف على الطبيعة البشرية بما تيسر من حدس وتجارب وإبداع، وما أتيح من العلم

يبدا المتن هكذا :

والعين الهادية النعسانه بتقول أنا اهُـهْ.

أنا مِشْ خايفهْ

لو الاقى حد يقرّب لى

ولاقينى برضه باقرّب لهْ

حاخده بالحضن،

وكإنى باحب.

ميـّتى رايقهْ، و هاديْه، وخضرا...'

..... وخلاصْ.

أهم ما يميز مثل هذه العلاقات هو أنها لا تدّعى الحب، بل أحيانا تشترط ألا يكون فى هذا التقارب المحدود حبا. . التعبير قرب نهاية هذه الفقرة فى القصيدة، **"وكأنى باحب"**، لا يظهر عادة فى وعى من يتعاطون هذه الوجبات اللذيذة المؤقتة السريعة، وهو تعبير لا يتهم هذه العلاقات بالزيف، لكنه قد يكون قد حضرنى -شعرا- بمعنى " **ما دام الحب الحقيقى** (أنظر بعد) **غير موجود، فهيا "نلعب حبا"**، (مثلما كنا صغارا **نلعب "بيوتا"** فى الشرفة، ونهدّها بمجرد أن تنادى علينا أمنا، أو نسمع صوت المفتاح يعلن قدوم والدنا من العمل).

كل ما أرجوه منكم هو أن نؤجل الأحكام الآن ومن لا يستطيع أن يفصل حماسه الجاهز، وقيمه الخاصة، وهو يقرأ معنا هذه الاجتهادات غير المألوفة، فليعتبر أننا ننقد شعرا لا أكثر (هذه الملاحظة لم أضعها هامشا لأهميتها)

إذا تأملنا أن مجموعة هذه القصائد تكشف - ضمن ما تكشف - ذواتنا المتعددة، فتعرى الزيف أو تبرره أو تسميه تلطفا باسم أرقّ، وربما أصدق، فإننا سوف نجد أن أغلب قراءتنا لهذه القصائد فى هذا الكتاب بصفة عامة، ونحن نستلهم منها الطبيعة البشرية، أو على رأى الصديق الإبن أ.د. جمال التركى: نحاول أن نفك شفرة النص البشرى، هو أن نضيف ملاحظات هامة، وربما أساسية على عملية العلاج النفسى.

فكرة العيون التى بداخل العيون هى أساسية من حيث أنها شهادة مباشرة عن إمكانية الحوار مع ذوات متعددة، وبالتالى هى فكرة تتجاوز لغة الشعور واللاشعور، مع أنه لابد من الاعتراف بالفضل لسيجموند فرويد بهذا السبق، على الرغم من تعامله مع "الهو" باعتباره "شواشا" ليس له حضور إلا من خلال الشعور الظاهر، (الأنا)، القراءة هنا تتجاوز ذلك، كما تتجاوز أيضا ثلاثية إريك بيرن، (الذوات الثلاثة : الطفل واليافع والوالد) **فهى تتعامل مع أى عدد من االذوات باعتبارها كيانات كاملة، كل ذات منها (تنظيم- مستوى وعى- عقل آخر) لها موقف، ومشاعر، وفلسفة، ورؤية، لا تناقِض بالضرورة الظاهر**، لكنها قادرة بشكل غير مباشر على التعبير عن كل ذلك، إما بالأعراض، وإما من خلال آليات العلاج النفسى، أو غير ذلك.

القصائد عموما فى هذا العمل تجرى على لسان صاحب أو صاحبة العيون، ثم على لسان الذوات داخل العيون، ثم داخل داخل العيون، إلى ما يمكن من مستويات وتنظيمات متعاقبة متكاملة متبادلة، أومتعارضة ناقدة محذرة ساخرة.

نبدأ بالنافذة الخارجية، و"صاحبتنا الواجهة" تفتحها وتنادى، وتسمح، فهى تنكر خوفها، وتعلن استعدادها وجاهزيتها بنداء هادئ وسْنان:

والعين الهادية النعسانه، بتقول أنا اهُهْ.، أنا مِشْ خايفهْ،

لو الاقى حد يقرّب لى، ولاقينى برضه باقرّب له، حاخده بالحضن، وكإنى باحب".

لكن العين الداخلية الناقدة الحذرة المَحذِّرة تتربص بها، فتنقض بمجرد إعلان هذا الاعتراف الضمنى بزيف الجارى: **"وكإنى باحب".** ، تنتهز هذه العين الأخرى الداخلية الفرصة فتقفز متمادية فى تعرية هذه العلاقة قبل أن تبدأ هكذا :

والعين التانية جوّاها بتقول عنْدِكْ:

باين على شكلِك مش خايفهْ ؟

خايفة ليقولوا عليكى هايفة ؟

دانا خوفى اتجمّد من خوفى،

دانا خايفه أخاف.

والمية هاديهْ عشانِ بِركَة،

مش نيل ولا بحْر.

حسب تحذير هذه العين الأخرى الناقدة نكتشف أن اختفاء الخوف خارجيا، وهو الذى سمح بالنداء الظاهرى الجاهز، فهو إنكار للخوف، أكثر منه طمأنينة حقيقية، إذن فالدعوة الجريئة البادئة، ليست سوى الغطاء الذى يسهل مثل هذه

العلاقات السطحية السريعة المؤقتة، لحساب الانسحاب إلى الداخل الذى يساوى ما أشرنا إليه مكررا تحت لافتة الموت النفسى، وكأنه اعتراف بأن هذه الوجبات لا تسمن ولا تغنى من جوع، وإنما هى تؤكد اختيارا إمراضيا انسحابيا خامدا.

مشوارى طويلْ.

خلّونى فْ حالي.

البِنْج حَلالِى.

موتِى بيحلالى، يا خـــالى.

هل كل ذلك يبرر شجب هذه العلاقات السطحية التسكينية على طول الخط ؟

بصراحة: **ليس بالضرورة.**

قد ينجح مستوى العلاقات من نوع **"الوجبات السريعة"**، تلك طالما أن هذه العين الداخلية الناقدة المتربصة **موافقة، أو نائمة، أو مُستبعِدة**، حتى لو أقرت -ساخرة أو راضية- بأن هذا التخدير الإنكارى هو موت لذيذ (موتى بيحلالى ياخالى) .

فى العلاج النفسى - كما هو فى الحياة عموما- ليس المطلوب أن نرفض ومن البداية هذه المستويات التى نسميها مسطحة أو سريعة أو مؤقتة ما دامت هى العلاقات الممكنة على الأقل فى البداية.

إذا بدأنا بتصديق كل هذه التعرية القاسية كما جاءت فى القصيدة، فكيف يتدرج نضج العلاقات بقدر تدرج الكشف وجدل النمو؟

ليس المطلوب هو أن نعلن ومن البداية كل هذا الشجب الذى يتبدى لنا من خلال هذه التعرية القاسية هكذا، بل دعنا نقرأ هذا الشجب فى عكس الاتجاه حين نقرأ هذه التعرية باعتبارها ليست دعوة حقيقية للتقدم نحو علاقات أعمق واصدق، بقدر ما هى **مبرر لرفض العلاقة مع الآخر** من حيث المبدأ إعلانا للخوف الأزلى الأعمق من الحب، من الاقتراب، وبالتالى فإن هذا النقد الساخر- برغم صدقه- قد لا يوظف إلا لدفع الآخر بعيدا، تمهيدا للانسحاب الشيزيدى. (إلى الموقف اللاعلاقاتى)

"الخوف من الحب" الحقيقى، هو الإشكالة الأساسية فى كل هذا العمل، (هذا الديوان، هذا الشرح)، هنا ننبه أن المبالغة فى التحذير من تجنب العلاقات جميعا هكذا من حيث المبدأ، فى انتظار الأضمن والآمَن، هو تعرية قاسية تُجهض أية محاولة بدئية أن نقبل أن **"نلعب حبا"**، إلى حين أن نعرف **"كيف نحب"**،

أرجو ألا تُستقبل وجهة النظر هذه باعتبارها دعوة للاستسهال او تبريرا للإنكار، فلعلها نوع من **نقد النقد.**

الذين يمارسون العلاج النفسى المكثف أو العميق، يقعون فى مأزق حرج حين يتصورون أن ممارستهم لا بد أن تقتصر على تعهد إتاحة الفرصة لعلاقات موضوعية أبقى وأرقى، المفروض أن

العلاج النفسى هو علاقة مثل أية **علاقة بشرية، تبدأ بالموجود ، وتتدرج إلى الممكن، فالممكن**، وهكذا، بدون توقف، وكلما انتقل العلاج من مرحلة إلى مرحلة، تعاد صياغة الاتفاق، إلى ممكن آخر، أبعد وأرقى، وهكذا. هذا ما يمكن أن نسميه :

تجديد مستويات التواصل نحو الأعمق، وهو وارد دائما فى كل مجال ومع أى بشر يمارس العلاقات الإنسانية من أى نوع، والعلاج النفسى بعض ذلك.

هذه القصيدة، مثل معظم قصائد الديوان ، تبالغ فى تعرية ما أسميناه **"نلعب حبا"**، لعبة **"الوجبات السريعة"**، مع أن هذا المستوى قد يكون جيدا من حيث المبدأ، حتى فى العلاقات المستمرة المنظمة اجتماعيا أو دينيا، لكنه ليس بالضرورة غاية المراد، أو كل الإيجابى لكل مراحل النمو.

إن تحديد الفرق، بين **"الحب"**، و بين أن **"نلعب حبا"**، هو أمر مهم على الأقل من الناحية النظرية، ومن الناحية المهنية العملية فهو يمثل مسألة هامة فى قدرة المعالج على قياس مهمته، خاصة فيما يتعلق بمنع النكسة، "اللعب حبا" - خاصة على مستوى العلاج النفسى- **عمره قصير** عادة، والكائن البشرى يرضى به كمرحلة، وأيضا المعالج بفعل ذلك، ربما يكون هذا مثلما يرضى الطفل بالزحف حتى يتمكن من المشى، أما أن يكون الزحف هو البداية وهو النهاية، فهذا ليس إلا إعلان لتقزيم النمو، وتوقفه.

الفرق بين المستويين

تـُواصِلُ العين الداخلية هنا التعرية والتوعية بطبيعة الصفقة الظاهرة، فتنبهنا إلى ما ينخدع فيه "الآخرون" من أن هذه الواجهة من الوجود التى أتمت الاتفاق على لعبة الحب، هى منطقة، مهما بدت جميلة ولذيذة، إلا أنها فى النهاية ساكنة بلا موج ولا حركة ممتدة إلا فى مجالها المحدود، وأن الخضرة التى كانت توحى بالنضارة والطزاجة قد تتكشف عن قشْرة من الفطر ..(**والمية هاديهْ عشانِ بِـركَـة، مش نيل ولا بحـــــر**)

هذه الوجبات السريعة ، على فرض سماح المجتمع، وتماشيها مع منظومة قيم صاحبها، يمكن أن تعد ممارسة **لذيذة أو مفيدة، باعتبارها أيضا حق طبيعي لجوع طبيعى، ومع ذلك يبدو أنها ليست هى ما تميز الفطرة البشرية فى حركتها النمائية طول الوقت، ولا هى غاية تواصل الإنسان كما أكرمه الله**، وإذا كانت أغلب الحيوانات لا تجد بديلا عن مثل هذه العلاقات الشهوية المؤقتة، ولو كرشوة لمعظم إناثه حتى يواصلن مهمة التكاثر (دون شرط التواصل)، فإن الإنسان قد تجاوز هذه الرشاوى (المفروض يعنى)، وأصبح التواصل عنده متعدد المستويات معا.

حتى هذا المستوى الّبِلِذى الظاهر الذى رضى بلعبة الحب اضطرارا (قياسا يمكن أن نقولها هكذا: **إيش رماك على "اللعب حبا"، قال لك: قلة الحب**)، هذا المستوى نفسه، يود

لو أنه يكتمل ببقيته، فهو **"يعرض"** ضمنا على وعيه الداخلى أن يشارك فى العلاقة، بدلا من أن يبتعد استسلاما بعد أن ألقى فى وجه اللاعبين كل هذا النقد الذى كاد يفسد تلك الوجبة.

هذا "الكيان الداخلى" الناقد الساخر، هو الذى ارتضى التخدير طواعية وهو يعلن **"الخوف من الحب"** الحقيقى، بانسحابه، وكأنه يعرف - متألما أو مستسلما أو كليهما- أن الحب الحقيقى له مواصفات أخرى، كما أنه يحتاج إلى تعاقدات أخرى، أهمها: **ذلك الاطمئنان إلى عدم التخلى**، والذى يبدو أنه افتقده فى هذه الوجبات السريعة، فكان كل هذا النقد الساخر، فالانسحاب المتمادى.

مضى هذا الكيان الداخلى يؤكد موقف عدم الأمان الأساسى فى الوجود البشرى، فهو يرفض منح الثقة للآخر دون ضمانات (مستحيلة عادة)،

الخوف من العلاقة المهتزة، هو خوف من التخلى قبل الأوان، خوف من الخداع، من عدم تبادل مغامرة الخوض فى علاقة، ويبدو أنه هو السبب فى إفساد كل مستويات التقارب.

عايزنّى أصحَى؟

وجهنّم خوف مالْيانِى،

كما إبر التَلْج المحميّة؟!

والناس حوالّى بتتمنظر، زى ما هيَّه!!!؟

من حقي أبعدهم عنى،

ولا أيّها حاجة تطمَّنِّى.

هذا المستوى الداخلى، الذى بدا لنا فى أول الأمر أكثر يقظة، وأمانة فى الرؤية، أصبح - بانسحابه هكذا- مشاركا ضمنا فى لعبة نفى الآخر، أو على الأقل: هو يعلن أن العلاقة المعروضة بديلا عن العلاقة السطحية ليست كافية لإروائه، إنه بإعلانه ذلك يقول: **أنه لا يوجد ما يطمئن فى كل ما حوله ومن حوله**، وبالتالى فإنه بإصراره على **إبعاد الآخر الحقيقى (إن وجد أو وعد)**، إنما يعطى مشروعية لما بدا أنه يرفضه ابتداء، مع أنه بذلك يعطيه مبرراته: **"من حقى: أبعدْهم عنى، ولا أيها حاجة تطمنى"**

هذه المشاركة من الوعى الداخلى يمكن أن تكون نوعا من المناورة لتشويه ما بدا أنه وافق عليه، فهو يتمادى فى تعريتة للصفقة الظاهرة أكثر سخرية وقسوة، وكأنه يؤكد مرة أخرى من جديد أنها لعبة **"كنظام الحب"**، بل إنها لعبة **"الحب الزائف"**: حتى تبدو الصفقة رسما كاريكاتيريا متحديا وهو يقول:

أعملها وكإنِّى كإنِّى،

أتمايلْ، يتقربْ مِنّى.

أرسْمها: عايزة، ومَغْمُوزَة،

أشاور لُه، يفتح لى كازوزةْ.

*****

الشائع عن هذه الوجبات السريعة، أنها رغبة صريحة متبادلة بين اثنين، وهذا صحيح، **"ارسمها عايزة، ومغموزة"، أشاورله، يفتح لى كازوزة"**، لكن إذا كان هذا الكيان الداخلى غير راض بهذه الصفقات، أو على الأقل غير قانع بها، فلماذا لا يستيقظ، وينشط ويغامر بعلاقة حقيقة؟

ها هو يرد علينا بمبرراته التالية:

مانا لو حاضَحى،

ما انَا لازمْ اخافْ

وأموت ماخوفْ

وارجعْ أصحَى ألقانِى باحِس.

وانا خايفهْ أحِسْ، وخايفَةْ أبُصْ

هكذا أعلن الداخل صراحة أن **"الخوف من الحب"** ليس خوفا من الحب ذاته، بقدر ما هو **تحسّبا للترك**، ولو أتيحت لهذا الوعى الأعمق فرصة أن يقود مستويات الوعى معا للتضفر المتبادل المتجدد، للتكامل، بيقظة كافية، إذن لوجب الخوف أكثر لو أنه تمسك بهذا الشجب والحذر والتحذير.

يتعاظم هذا الخوف لدرجة الرضا بالموت جوعا، أو الموت شللا بلا حراك، تجنبا لهذا الرعب من الترك، وهذا ما جاء أيضا فى ديوان "سر اللعبة تحديدا: فى قصيدة **"جلد بالمقلوب"** كالتالى:

لكن الموت الواحد، أمرٌ حتمى ومقدَّر

أما فى بستان الحب، فالخطر الأكبر:

أن تنسونى فى الظل، ألا يغمرنى دفء الشمس

أو يأكل برغم روحى دود الخوف،

فتموت الوردة فى الكفن الأخضر،

لم تتفتح،

والشمس تعانق من حولى كل الأزهار،

هذا موت أبشع،

العلاج النفسى هو **فن تقدير التناسب بين جرعات الرؤية، وصعوبة الموقف، وقدر الخوف**، ثم هو **فن تقسيم هذا التقدير على مراحل العلاج المختلفة ما أمكن ذلك.**

الخوف المشروع والضرورى يأتى من مغامرة خوض عمق التداخل فى العلاقة بين البشر، العلاقة العلاجية وغير العلاجية، ذلك العمق الذى يسمح بإعادة الولادة (البعث) من خلال تجديد الوعى "معا".

هنا تصبح البصيرة رائعة ومعطلة أيضا، وهى تنشط فى العلاج كما تنشط فى أية علاقة نمو بين بشر وبشر، هى خبرة موت فبعث بشكل ما، والبعث هنا هو تخليق لوعى جديد يتولد من تجديد العلاقة من خلال اختراق هذا الخوف لاستعادة صدق العلاقة وحركيتها وأصالتها ، فى قصيدتنا الحالية:

"وارجع أصحى ألقانى باحس"،

هذا خوف آخر غير الخوف من الترك أو النسيان الذى أشرنا إليه حالا،

هو خوف جديد مسئول ومبرر، لأنه المغامرة فى اتجاه الإقرار باحتمال الاعتراف المتبادل مع آخر حقيقى، يُعتمد عليه، ويبقى فى وعينا حتى لو رحل.

هذا نموذج بعيد المنال لدرجة الاستحالة أحيانا، وذلك نظرا لقصور مرحلة نمو البشر فى مرحلة تطورهم الحالية، وإن كانوا على الأرجح فى الطريق إليه أكثر فأكثر،

العلاج النفسى هو فن اختراق هذه الصعوبة من احتمال اقتراب يعطى فرصة حياة تستأهل.

ليس معنى أن "الآخر" هو نفسه "فى حال" لا تسمح له بإعطاء كل الأمان المطلوب، أن نلغى محاولة عمل علاقة بشرية كلية كما يقول المتن فيما يلى:

خايفة أطمع فْ وجـُوْدك جـَنـْبِى

على ما اصـْحَـى وامُوتْ وارْجَـعْ أصـْحَـى،

حاتكونْ مش فاكر حتى انا مين,

أوْ كُـنـَّا فْ إيهْ.

(راجع ما ذكرناه حالا مقتطفا من ديوان سر اللعبة.

"لكن أن تنسونى فى الظل،.....،

والشمس تعانق من حولى كل الأزهار

هذا موت أبشع !")

إن ضمان التخفيف من رعب "الترك" **(الهجر)**، هو ألا تكون العلاقة ثنائية استبعادية بشكل مطلق **(إنت وبس اللى حبيبى)**، وبالتالى فحضور الناس (الآخرين) سواء بالعلانية، أو باعتبارهم "موضوعات مشارَكة"، أو "احتمالات بديلة"، هو مصدر لطمأنينة من نوع آخر، وربما هذا هو الذى أعطى **للعلاج الجمعى مشروعيته وأفضليته أحيانا**، وهذا ما تقوله الفقرة قبل الأخيرة،

لكن العين الداخلية المتوجسة الناقدة المرتعبة تسارع بنفى حتى هذا الاحتمال أيضا، ربما لفرط الخوف من القرب حتى أنها تعمم الإنكار إلى الناس جميعا **(طب فين الناس؟)**، فهى لم تقصر إنكارها للآخر على افتقادها لوجود فرد آخر مشارك لا يتخلى، وإنما بالغت حتى عمّمت هكذا:

بتقولوا ان الدنيا الواسعَهْ :

عمرها ما حاتبقى صحيح واسعة

إلاّ بالناسْ!!

طَبْ فِين الناس؟؟

إن إلغاء وجود الناس بهذا الحسم، يعقبه تأكيد جديد على الخوف من الترك، والهجر، والإلغاء: (**حاتكون مش فاكر حتى انا مين،.... أو كنا ف ايه**)

حين يصل الأمر إلى هذا المستوى من الرؤية، لا يتبقى إلا إعلان اليأس من الحب، ولو بوضع شروط معجِّزة لاستمراره، وتهيئة ظروف لضمان تجديده بلا توقف.

تنتهى القصيدة بإعلان اليأس الساخر تسليما عبثيا بالموجود المُفرغ من كل حب !!

ما فيش احسن مالحب العيرَة،

واللعب حسب التسعيرة

بس إوعى يا روحى تجيب سيرة

*** * * ***

وبعد

فى النهاية، كالعادة، نقدم القصيدة مجتمعة

اعتذارا، وليس تراجعا

(1)

والعين الهادية النعسانه بتقول أنـــــا اهُـهْ.

أنا مِشْ خايفهْ !!

لو الاقى حد يقرّب لى

ولاقينى عاوزه أقرّب له:

حاخده بالحضن،

وكإنى باحب

ميـّتى رايقهْ، و هاديْه، وخضرا... ،

وخلاصْ.

(2)

والعين التانية جوّاها بتقول عـْندِكْ:
باين على شكلِك مش خايفهْ ؟
خايفة ليقولوا عليكى هايفة؟
دانا خوف اتجمّد من خوف،
دانا خايفه أخاف.
والمية هاديهْ عشانِ بِركَة،
مش نيل ولا بحـــْر.
وخضارها مش زرع مـْنَعـْنَعْ. دا الـّريمِ ايـّاه.
مشوارى طويلْ.
خلّونى فْ حالي.
البِنْج حَلاَلِى.
موتى بيحلالى، يا خـــالى.

(3)

عايزينّى أصحَى !!!
وجهنّم خوف مالْيانِى،
كما إبر التَلـْج المحميّة !؟!
والناس حوالّى بتتمنظر، زى ما هيَّه!!!؟
من حقّى أبعدْهُم عنى،
ولا أيّها حاجة تطمّنَّى.
أعملْها وكانِّى كانِّى،
أتـْمايلْ، ... يتقربْ مِنّى.
أرسْمها: عايزة، ومَغـْمُوزَة،
أشاور لـُه، يفتح لى كازوزةْ.

(4)

مانا لو حاصْحَى،
ما انَا لازمْ اخافْ
وأموت مالخوفْ
وارجعْ أصحَى ألقانِى باحِس.

وانـا خـايـفـة أحـِسْ، وخـايـفـَـةْ أبـُـصْ
خـايـفـة أطمع فْ وجـُـودَكْ جـَـنـْـبِى
على مـا اصـْحـَى وامُوتْ وارْجَـعْ أصـْحَـى،
حـاتـكـون مش فـاكـر حتى انـا مين,
أوْ كُـنـَّـا فْ إيـهْ.

(5)

بـتـقـولـوا إن الـدنـيـا الـواسعَـهْ:
عمرهـا مـا حـاتـبـقـى صحيح واسعة:
إلاّ بـالـنـاسْ
(طَـبْ فـين الـنـاس؟)
مـا فـيش احسن مـالـضِّحْكِ الـعيرَة،
والحب حسب الـتـسعيرة
بـس اوعى يـا روحى تجيب سيرة

- أستبعد من هذه العلاقات الـ "قوام قوام" علاقات الدعارة "مع أنها مثال جيد للعلاقات (اللاعلاقات) السريعة المؤقتة، مع فارق أنها بمقابل وبلا اختيار متبادل إلا فى حدود قوانين وأخلاق السوق، لهذا أستبعدها من هنا،

لكن حتى فى علاقات الدعارة مدفوعة الثمن، أحيانا ما ترفض المرأة فيها القبلات، باعتبار أن وجهها وشفتيها - بما تقوم به من احتمالات الحب والتواصل- ليست ضمن محتويات أو شروط هذا اللقاء، فهما خارج الصفقة، هذا ما أخبرنى به صديق له فى هذه الأمور عن بعض خبرته فى الخارج، حين رفضت المرأة الفاضلة أن يقبل صديقى شفتيها، مشيرة إلى أن عليه أن يلتزم بمنطقة السماح: نصفها الأسفل وما يعلوه حتى الرقبة !!!).

الإربعـــــــاء 14-10-2009

775- أن يحب أحدنا الآخر بما يليق بالكائن البشرى

الشغل فى المستحيل

تمهيد

تأملت - من جديد - المأزق الذى وجدت نفسى فيه مؤخرا (كما هو حال أغلب الناس ممن ينتمون إلى ما يسمى "الإنسان المعاصر"، وليس "الإنسان العصرى") فوجدت أنه يتأرجح بين تناول العلاقات البشرية بعد أن بلغ هذا الكائن الحى الشقى الرائع: هذه الدرجة من الوعى بنفسه، وبضرورة الآخر شرطا لتواجده بشرا سوياً، أو ما يسمى عادة **الحب** ، وبين ما أسميه **جدل الموت والحياة**، وكلتا القضيتين متعلقتين بدرجة الوعى/الأمانة التى تورط فيه هذا الكائن الخاص جدا المسمى الإنسان

اكتشفت أن تناولى لإشكالة العلاقات البشرية من خلال هذا المتن تحتاج إلى توضيح مبدئى قبل المضى قدما فى ذلك.

رحت أكتب مقدمة لهذه الحالة الخامسة فإذا بها تصلح مقدمة للعمل كله:

مقدمة (1)

نلتقى حين نسعى

هذه هى الحالة الخامسة، ويبدو أنها ليست إلا شرحاً على متن الحالة السابقة (الحالة الرابعة: الأسبوع الماضى)،

لاحظت حتى الآن - للأسف- أن تعريه العلاقات المسماة "الحب" حتى النخاع هكذا، تنتهى إلى ما يشير إلى يأس ما، أو قل، إلى إيحاء باستحالة أن يتحاب البشر فيما بينهم بما وصلوا إليه من أزمة "الوعى، والوعى بالوعى" وأضيف الآن: "بما يشمل "مسئولية المشاركة فى جدل نمو الإنسان فردا ونوعا".

فكرت أن أتوقف عن التمادى فى توصيل رسائل مثل هذه قد تحمل فى ظاهرها جرعة من اليأس أو العجز لم أقصدها أبدا، قلت أنبه القارئ ببعض التوصيات التى قد تعيننى على توضيح ما قصدت إليه من هذه المحاولة هكذا:

أولاً: أن يتذكر القارىء أنها محاولة لفك شفرة النص البشرى بتعبير الابن والصديق د.جمال التركى، أو لعلها "نقد النص البشرى" كما اقترحت سابقا، فهو ليس حكما دامغاً

ثانياً: أن هذا العمل مرتبط بنص محدد هو متن شعرى كتب منذ 36 سنة، وينشر كما هو إلا ما ندر من تصحيح شكلى لجملة أو تحديث محدود فى شطر، ذلك أننى راعيت أن أى تغيير فى المتن أكثر من ذلك هو تجاوز للأمانة.

ثالثا: أن أعمال الكاتب تكمل بعضها بعضا، فإذا وصلت رسالة مثل الرسالة الحالية بها هذا القدر من التعرية لدرجة التلويح **باليأس أو الاستحالة**، فهى ليست فصل الخطاب، ومثل حروف وأرقام الشفرة (الكلمة المفتاح فى بريدك الالكترونى "مِيلَكْ" مثلا) لا يمكن أن تفتح الشفرة إلا باكتمال إدخال الكلمة المفتاح حَرْفا رقماً.

رابعاً: أن يتحمل معى القارىء قدرا من التكرار، لا أريد أن ألزم نفسى بتجنبه فى المرحلة الحالية، وآمل حين يصدر هذا العمل - إذا صدر- فى طبعة ورقية أن تخفّ جرعة التكرار قليلا أو كثيرا.

تُرَى: هل يستطيع القارىء الصديق أن "يعلق الحكم" (بلغة الفينومينولوجيا)، فيضع رأيه بين قوسين **حتى ينتهى من قراءة مجمل كل نشرة**، والأصعب والأهم: **حتى ينتهى من قراءة العمل كله**، والأصعب جدا حتى **يلم بما يكمله من أعمال الكاتب الأخرى**؟

إن ما أحاول توصيله لا ينتهى بحكم يحتاج إلى تعليق (تعليق الحكم) بقدر ما هو دعوة لتحريك الوعى فى اتجاه أرى أنه يصلح أن يجمعنا معا كلما مضينا قدماً أكثر فأكثر،

وعندى يقين بأننا نلتقى حين نسعى إلى أن نلتقى، لا حين نلتقى فعلا (أنظر بعد):

مقدمة (2) هذه القصيدة:

فرض قبل الفروض:

هيا نوجز الإشكالة فى هذا الفرض (1):

إن أى علاقة بين إنسان وإنسان هى علاقة بين عدة أناس، وعدة أناس أُخرْ، بداخلنا معا:

فهى علاقة متشابكة متداخلة، بها من التنافس (والمناورات والمخاوف بين الذوات داخلنا) بقدر ما بها من التكامل والجدل،

هذا تفسير العنوان الأول الذى تغير إلى العنوان الحالى، العنوان الأول كان كالآتى:

"مناورات ومخاوف الذوات داخلنا (فى ملعب الحب والحياء)"

أما أنها مناورات ومخاوف فهى كذلك نفيا أن تكون - فقط- صراعا أو سباقا تنافسيا حاضراً، مع أنها صراع محتمل وتنافس مشروع ، علما بأن المناورات والمخاوف هى خطوات نحو هذا الجدل الواعد.

أما أنها تجرى فى ملعب الحب والحياة، فذلك لأن كلمة "الحب" هى التى شاعت أكثر من غيرها فى توصيف العلاقات البشرية،

فروض مستلهمة من الخطوط العامة للقصيدة:

نشرت فى الاسبوع الماضى المستويات العشرة للعلاقات البشرية دون أى تطبيق أو تفصيل، وطلبت التأمل فيها لحين نشر المتن والشرح اليوم،

وهأنذا أعيدها - بعد تعديل طفيف - مع التذكرة بأن القصيدة إنما تقوم بتعرية المستويات الثلاثة الأولى، وإلى درجة أقل المستوى الرابع، وهى:

المستوى الأول: الجذب النداء والانجذاب الذاهل.

المستوى الثانى: اللذة المشتركة بعض الوقت.

المستوى الثالث: اللعب الحر معا - أحيانا.

المستوى الرابع: تبادل الاعتمادية

هذه المستويات الثلاثة + واحد، هى التى تعرضها هذه القصيدة بوجه خاص، وللأسف فإنها تقوم بتعرية هذه المستويات بقسوة بالغة (كما جاء فى شرح المتن فى نشرها السابق منذ عامين بتاريخ 8 أكتوبر 2007 "مَنْ" يحب "مَنْ"...؟")

وهذا ما نبهنى إلى احتمال الرسالة السلبية التى قد تصل من هذا المتن، حتى لو قمنا بشرحه هكذا دون حذر كاف.

الخوف كل الخوف هو من أن نتوقف عند هذه التعرية وكأننا نرفض هذه المستويات ابتداء ودائما، وهذا ضد الطبيعة البشرية الحالية،

وقد ساءلت نفسى عن مدى واقعية المستويات التالية، خاصة أننى وجدت أن المتن الشعرى فى كل الديوان قد تناولها بأقل القليل، فوجدت أنها مستويات تبدو نظرية أو مستحيلة.

الشعر شعر، ونحن لا نستطيع أن نقيم وصاية عليه حين يتوقف عند مرحلة التعرية ليدفعنا نحن لمحاولة تحقيق المستويات التالية مهما بدت مستحيلة ، وعلى الإنسان العصرى أن يعيش شرف محنة قصوره عن معايشتها بما تستحق، بما يلزمه بمواصلة السعى

إن الصعوبة حتى الاستحالة البادية ابتداء ليست مبررا لإنكار الحقائق، ولا للتوقف عن السعى لتحقيق الآمال الواقعية، ومن هنا جاء العنوان "الشغل فى المستحيل"

وفيما يلى ما تراءى لى من مستويات لاحقة، (نشرت أيضا الأسبوع السابق) وذلك مع إضافة قدر محدود جدا من التوضيح هكذا :

المستوى الخامس: انتشار الفرحة تواصلا إلى محيط من البشر أوسع فأوسع.

(وهذا يحتاج إلى تعرّف على مانعنيه بالفرح والفرحة حالة كونهما وسادة المشاركة معا)

المستوى السادس: جدل النمو .

(فننتبه إلى أن الجدل الذى يستحيل التحدث عنه دون اختزاله أو تشويهه ، هو حقيقة ما نمارسه فعلا دون تسمية، "لنكون فنصير"، رضينا أم لم نرضَ)

المستوى السابع: إعادة الولادة.

(وهذا ما يجعل تقييمنا للتواصل البشرى بما يتبقى منه،وليس فقط بما يتحقق به مؤقتا)

المستوى الثامن: الامتداد إليهم حُمْدًا.

(فنجد أنفسنا فى دائرة الوعى الجمعى، وهو شرط لا بد من توفره يكون القاسم المشترك الأعظم الذى يبرر تحققنا أفرادا بشريين)

المستوى التاسع: الألم الخلّاق كدْحا إليه.

(ثم تمتد بنا العلاقة إلى مستويات أعلى فأعلى من الوعى المشتمل، فنجد أنفسنا نعزف اللحن الأرحب مع الطبيعة المنفتحة إلى الوعى الكونى المفتوح النهاية إلى وجه الحق تعالى).

المستوى العاشر: إعادة دورة جدل الايقاع الحيوى فى نبضة جديدة على مستوى أعلى، وهكذا.

(غنى عن البيان أن هذا التصعيد ليس خطا مستقيما أو درجة بعد درجة، بقدر ما هو دورات معادة تتقدم مع كل دورة إلى ما تيسر من إمكانية تجعل المستحيل ممكنا مع استمرار الدورات حسب كفاءة الإيقاع الحيوى المفتوح النهاية)

رجعة إلى العنوان الحالى أقول:

الشغل فى المستحيل

بعد الرجوع إلى مادة "شغل" فى المعجم الوسيط اطمأننت إلى استعمالها لوصف ما خطر ببالى وأنا أتناول القضية تلو الأخرى بوصف الاستحالة، ثم أصر على أن نقتحم الاستحالة لنقلبها إمكانية، هو ما أصفه أحيانا بـ "إمكانية المستحيل" وهو شرف الكفاح لنكون بشرا،

هذه هى قضيتنا الممتدة بـــ الشغل فى المستحيل لنجعله ممكنا-

نحن نتعامل مع:

عدل مستحيل (تخنقه، وفى نفس الوقت تحقق ما تيسر منه: قوانين مكتوبة خانقة مختنقة، مع أنها خطوة اضطرارية على الطريق إليه)

حرية مستحيلة (تزيفها وتطمسها ديمقراطية عاجزة أو زائفة مع أنها خطوة اضطرارية على الطريق إليها)

حب مستحيل (يزيحه ويحل محله المستويات "الثلاثة الأولى + واحد"، مع أنها خطوة اضطرارية على الطريق إليه)

الحركة، الشغل، الكدح

أما لماذا استعملت كلمة الشغل، فهذا ما قد يحتاج منى إلى شرح أخير يقول:

لم تعد القيمة المجردة تهمنى، بقدر ما أريد التأكيد على العملية الجارية فيها وبها وحولها

· لا يوجد شىء اسمه "حرية"، وإنما يوجد سعى دائم لزيادة جرعة ما تيسر من الحرية

· لا يوجد شىء اسمه "الإنسان"، وإنما يوجد تطور مفتوح النهاية نحو ما يمكن أن يكون إنسانا

· لا يوجد شىء اسمه "العدل" ، وإنما توجد معادلة متحركة لتحقيق أكبر قدر ما التوازن بن وحدات الوجود المتكافلة لتعود على الجميع بما يحافظ عليها وينميها معا

· بل إن الحق تبارك وتعالى لا نؤمن به إلى حالة كوننا نتعرف عليه بتحريك" الكدح" إليه

وعلى هذا القياس

· لا يوجد شىء اسمه الحب، وإنما يوجد شغل طول الوقت لتحقيق تصعيد جدلى خلاق بين أفراد البشر وجماعاتهم لتتلاحق مستويات التواصل فيما بينهم ما أمكن ذلك، إلى إمكانية المستحيل.

يا ترى سهلتها أكثر؟ أم صعبتها لدرجة الاستحالة؟

وهل أمامنا سبيل آخر إلا أن نجعل المستحيل ممكنا؟

وبعد

آسف أن أكتفى بهذه المقدمة الضرورية،

وأعتذر بأن أعيد نشر المتن دون شرح (يمكن لمن يريد بعض الشرح أن يعود إلى نشرة 8 أكتوبر 2007 "مَنْ" يحب "مَنْ"...؟")

مع دعوة لحوح أن يشاركنا القارئ الصديق الصعوبة قبل أن نقدم على التعرية القاسية (للمستويات الأولى على الأكثر) لما هو التواصل البشرى البدئى

ولعل فى نشر المتن هكذا حرا طليقا، ما يعتذر لهذه المقدمة الشائكة التى استغرقت نشرة بأكملها بهدف تخفيف قسوة التعرية ، فإذا بها أشد قسوة (أم ماذا؟)

هل يستطيع هذا المتن خالصا أن ينسينا كل ما سبق فى هذه المقدمة

يا ليت

*****

المتن

وعيون مكْحُولة مْنَدِّيـــة.

تِسْحِـر وتشِدْ.

منديلْها على وش الميّة

مِستنّى تمـدْ:

إيدك، تسحبْها تروح فيها،

ولا مِنْ شَاف حدْ.

(1)

ماتكونشى يا واد الندّاهة؟

حركات الجنّية اياها؟

أنا خايف مِاللِّى مانِيش عارْفُهْ.

أنا شايفْ إللِّى مانيش شايفُه.

وتلاحِظ خوف تْطَمّنى.

وتقولّى كلام، قال إيه يعنى :

ماتبصّش جوّه بزْيادة،

خلّيك عالقَدْ.

شوف حركة عودى الميّادَة،

شوف لون الخدْ

(2)

و أحس بهمْس اللى معاها،

أنوِى أقرَّبْ.

وأشوف التانية جُـــوَّاهَـا،
أحلى وأطيبْ.
والخوف يغالبنى من ايـّاهـَا،
لأ. مش حَـاهـْربْ.
والطفلة تشاور وتعـافر،
بتقـّرب، ولاّ بـْتـِتـأَخـِرْ؟
وانْ مدّيت إيدى ناحيتها، بتخاف وتكِـشْ.
والتانية تنط تخلـّـيها: تـهـْرَبْ فى العـِش.
دى غيامةْ كـِدب وتغطـّيّة، ومؤامرة غِشْ.
(3)
وماصـدّقشى،
ولا اسلّمشِى،
أنا واثق إنها ما مَـتِـتْـشِى
أنا سامع همس الماسْكِـتْشِى
مش حاجى، لو هيّه ما جَاتْـشِى.
(4)
- جرى إيه يا أخينا؟ عَـلى فـِيْ ؟
حَاتْـصَحّى النايـِمْ؟ بـِضمانْ إيه"؟
جَـرَى إيه؟
مش عاجـْبـَك رسى لـِحَـواجـْبى، ولا لُـونْ الـُّروجْ؟
مش عاجبك تذكرة الترسو، ولا حتى اللوجْ؟
ما كَفاكْشى زِواق الباب؟
هيّه وكالة من غيرْ بّوابْ؟
أنا مش ناقصة التقليبهْ دِيّـــة،
ولا فيش جوّايا "الْـمِشْ هيّة"،
ولاَ فيه بنّـوتـــة بـْمَـرايلْهـَا،
ولا فيه عيّـل ماسك ديلهاَ،
(5)
إوعى تخطّى، أبْعـَد مِـنّى، حاتْلاقى الهِـوْ.

البيت دا ما لوهْشى اصْحَابْ.
دُولْ سَافروُا قَبْلِ ما يِيجُوا.
من يوم ما بنينا السدْ:
السد الجوّانى التانِى.
وانْ كان مش عاجبكْ، سدّى البرّانِى.
تبقى فقست اللعبة،
ومانيِشْ لاعبةْ.

(6)

دوّر على واحدة تكون هبْلهْ،
بتْسوُرَقْ مِنْ حَصْوِة نِبْلهْ.
تديلك قلْب الخسّاية!!
ومالكشِى دعوة بْجُوّايَا

.....

يا ما كان نفِسى،
بس ياروحْ قلبى "ما يُحْكمشِى".

الإربعـــــاء 21-10-2009

782- "السـدود" علـى طريـــق "جـــدل الحـب"

الحالـة الخامسة:

هذه الحالة (القصيدة) أيضا -كما ذكرنا الأسبوع الماضى - سبق أن كانت موضوع نشرة بأكملها منذ سنتين (8 أكتوبر 2007) ، بعنوان **"من يحب من؟ صفقات الظاهر، وأحلام التكامل"**، وبالتالى فلا مفر من تكرار، مع أمل أن نضيف تحديثا ما، وخاصة فيما يتعلق بالعلاج النفسى.

بصراحة وجدت أن الزمن الذى مرّ ما بين النشر الأول واليوم هو "عامان وأسبوعان إلا يومين"، وقد أوصيتُ فى الأسبوع الماضى بالعودة إلى هذا النشر الأول، مع احتفاظى بتشككى حول عدد من سوف يبذلون جهدا ووقتا لفعل ذلك، ثم إننى سألت نفسى هل مثل هذا العمل يمكن أن يُقرأ مرة واحدة؟ ألا يكون فى التكرار (الممل) معنى دعوة إلى إعادة القراءة؟

ثم أملتُ كما قلت فى المقدمة حالا أن يشمل هذا التكرار بعض الإشارة إلى العلاج النفسى الذى هو - فى نهاية النهاية - مسيرة نمو معا المريض والمعالج)، فهو رحلة تشكيل علاقة بشرية (محصلة الحب إن صح التعبير) بشكل أو بآخر.

عذرا

قصيدة اليوم هنا تحاول ان ترسم **تقاطعات** متحاورة بين **الذات الغاويةِ الظاهرة**، وبين **الفطرة الطفلية الطازجة الجاهزة المتخلـقة معا**، وهى تنبه إلى أن الاكتفاء بمستوى واحد على حساب حركية التكامل مع المستويات الأخرى، هو حب زائف، أو على أحسن الفروض حب مسطح قصير العمر،

فى خبرتى المحدودة، كدت ألاحظ فى كثيرات **تناسبا عكسيا** بين فرط التجمل والاهتمام بالشكل الظاهرى، (والديكورات، والإكسسوارات، والميك اب)، وبين مدى **الانسحاب الداخلى، والعجز عن التواصل المتعدد الأعمق للتكامل، (ليست قاعدة)** هذه السدود التى نبنيها حولنا ثم داخلنا طبقة وراء طبقة، ليست سدا واحدا كما تصورناها من خلال التركيز على مستويين للوجود هما الشعور واللاشعور، اللغة البيو-وجودية التى نتكلم بها هى لغة تتحدث عن "مستويات وعى" متمثلة فى وجود عيانى فى شبكات دماغ نيورونية (مخية)، مرتبة هيراركيا بحسب تاريخ التطور من جهة، وتاريخ النمو من جهة أخرى،

الذين يتناولون قضية التواصل بين البشر وكأنه تواصل بين اثنين أساسا فقط، ثم يصنفون الحب على هذا الأساس، لهم وجهة نظر **سليمة**، لكنها فى نهاية النهاية **"محدودة"** (حتى بعض تصنيفات إريك فروم فى "فن الحب") مع أنك تستطيع أن تقرأ حدسهم بهذا التعدد دون إعلانه مباشرة، وهذا ما يجعل **بعض تصنيفاتهم مقبولة، ومفيدة**.

حقيقة حركية الحب هى نوع من التفاعل المتكامل المتصاعد النابض بين عدد (حتى يشمل الكل) من مستويات الوعى، وعدد آخر، لا يفضل فيها مستوى عن الآخر اللهم إلا فى مرحلة من مراحل التفاعل، ثم تنشيط مرحلة أخرى أو مراحل هكذا.

قصيدة اليوم تُظهر بعض هذا التعدد المتداخل فى محاولة عمل علاقة حب: حيث يظهر مستوى صفقة الغواية الخارجى، فى مقابل مستوى البحث عن الكيان الخائف الأكثر أصالة، ثم نرى حوارالمقاومة، وأيضا مناورات **الخوف**، و **الاستبعاد، و الاختزال**، و **الامل**.

ذكرنا أمس أن هذه القصيدة إنما تقوم بتعرية المستويات الثلاثة الأولى، وإلى درجة أقل المستوى الرابع، (وسوف نعود لبقية المستويات لاحقا قرب نهاية العمل)

المستوى الأول: الجذب النداء، والانجذاب الذاهل.

المستوى الثانى: اللذة المشتركة بعض الوقت.

المستوى الثالث: اللعب الحر معا - أحيانا.

قصيدة اليوم تُظهر بعض هذا التعدد المتداخل فى محاولة عمل علاقة حب: حيث يظهر أن مستوى صفقة الغواية الخارجية، هو السائد على حساب أى تطور للحوار الأعمق والأكثر تكاملا، وقد حذرنا من الميل إلى شجب هذه المستويات البدئية ، اللهم إلا إذا طغت حتى غطت على فرص التبادل والجدل مع سائر المستويات النابضة الأخرى. كما سوف نتبين مثل ذلك فى هذه القصيدة، وبالذات قرب نهايتها، فنهايتها:

القراءة

فى بداية هذه القصيدة، يبدو أن التركيز كان على مستوى

الجذ والانجذاب، وهو ما يمسى أحيانا الكيمياء الوجدانية المتبادلة، وهو مستوى - كما أشرنا حالا، وأمس- ليس مرفوضا من حيث المبدأ بل لعله بداية لازمة مهمة، ويبدو أن وسائل الجذب كانت تبدو فاعلة فى بداية القصيدة لدرجة ثقة النداهة بسحرها القادر على جذب السائر على شط الترعة حتى تسحبه إلى غير رجعة (هذا ما يُحكى عن الجنية النداهة فى بلدنا، وهو بعض ما استلهمه يوسف إدريس فى قصته النداهة). وهو ما خالج صاحبنا من أن هذا الجذب الساحر، يحمل وراءه الاختفاء الغامض، الذى يعقبه أو لا يعقبه أن يظهر فى القرية هائما على وجهه انجذابا أو جنونا أو حبا مجنونا.

القصيدة هنا تبدأ بتعرية هذا المستوى من النداء والغواية، وهو مستوى قد يقابله بعض بدايات التعاقد فى العلاج النفسى الذى قد يتم بشكل مباشر أو غير مباشر بين معالج له حضور قوى يبعث على الثقة، وبين مريض يحتاج هذه الثقة فيستجيب لها بسرعة، وبأقل قدر من الشروط والحذر:

وعيون مكْحُولة مْنَدِّيـــة.

تِسْحِـر وتشِدْ.

منديلْها على وش الميّة

مِستنّى تمـدْ:

إيدك، تسحبْها تروح فيها،

ولا مِنْ شَاف حـدْ.

لابد أن لحكاية، أو اسطورة النداهة اصل شديد الغور فى النفس الإنسانية ، أسطورة النداهة من الأساطير الريفية المصرية، حيث يزعم الفلاحون أنها امرأة جميلة جدا وغريبة تظهر في الليالي الظلماء في الحقول، لتنادي باسم شخص معين فيقوم هذا الشخص مسحورا ويتبع النداء إلى أن يصل إليها ثم يجدونه ميتا في اليوم التالي، أو يلقونه وهو يهيم على وجهه جنونا، وقد يسخط حيوانا عقابا له أنه ترك النداهة الغاوية فى عالمها السفلى بعد أن شدته إليه بغوايتها.

ماتكونشى يا واد النّدّاهة؟
حركات الجنّية إياها؟
أنا خايف مِاللى مانِيش عارْفُهْ.
أنا شايفْ إللّى مانيش شايفُه.
.....
وتلاحِظ خوف تْطَمّنى.
وتقولّى كلام، قال إيه يعنى :
ماتبصّش جوّه بِزْيادة،
خلّيك عالقَدْ.
شوف حركة عودى الميّادَة،
شوف لون الخدْ

هذه القصيدة لا تستوحى أسطورة النداهة إلا من حيث هذا الانجذاب المسحور إلى النداء، ذلك لأنه فى حين تؤكد الأسطورة على أنه حين يقترب صاحبنا من السطح، يكون منجذبا انجذابا خالصا لسحر الغواية، إذْ يبدو أنه يريد ما وراء ذلك بشكل ذاهل، نلاحظ فى هذه القصيدة من البداية أنه منجذب بقدر ما هو خائف، يقترب ويرجو ما تحت السطح، فتنبهه الغاوية أن الصفقة ينبغى أن تقتصر على هذا المستوى، وأن عليه ألا يتجاوز الحدود، وأنه غير مسموح له أن يخطو إلى ما بعد السطح (**ما تبصش جوه بزياده، خليك عالقد**) ولتحقيق ذلك تذكره بجمال خارجها، وميادة عودها، ووردية خدودها.؟؟ إلخ،

هو يستمع إلى كل ذلك، لكن يأتيه همس من أعماقها، يناديه بلغة أخرى، وكأنه يستغل هذا الجذب المبدئى ليتعرف من وراء الظاهر إلى طبقة أكثر عمقا وتلقائية، وأقل صفقاتية وذهولا، وكأنه على من يحاول أن يواصل حركية جدل العلاقة، أن يستوعب مستوى الجذب ليتجاوزه وهو يحتويه، لينطلق منه إلى نكوص مشروع، ولعب حر، وهو ما تعنيه هذه الفقرة من تنشيط ما بالداخل من براءة الطفولة، وتلقائية الفطرة، وحلاوة اللعب، وبهذا نقترب من المستوى الثانى والثالث (اللذة المشتركة، واللعب الحر معا) مع الحذر الواجب من احتمال التوقف عند الجذب والانجذاب واللذة المنفصلة

وأحس بهمْس اللى معاها،
أنـــوى أقرَّبْ.
وأشوف التانية جُـــوَّاهَـــا،
أحلى وأطيبْ.
والخوف يغالبِنى من ايـّـاهـَـا،
لأ. مش حَـــاهـــربْ.

هذه الأخرى التى تناديه من عمق أبعد من جذب منديل السطح، ربما هى **الفطرة عروس البحر**، ولكن من يضمن له إذ يتقدم إلى هذا العمق الأجمل أن تستولى عليه النداهة المرتبطة بالمنديل السطحى، فيختفى فيها ومعها دون أن يكمل مشوار الحب التكاملى الجدلى

(**مستنى تمدّ: إيدك تسحبها تروح فيها، ولا مين شاف حد**).

وحين يستشعر هذا الخطر، وتراوده فكرة التراجع يجد أنه لا سبيل إلى ذلك إن أراد لجدل العلاقة أن يتواصل، فيقرر أن يواصل: فيتراجع عن التراجع

(**لأ مش حاهربْ**)

استجابة لهذا التصميم يأتيه نداء الداخل ، مع الحذر المناسب من الاقتراب

الحب بقدر ما فيه قرب، فيه قدر مساو، وأحيانا أزيد من الخوف من القرب.

يسرى ذلك على من يقترب، وعلى من يستجيب لمحاولة الاقتراب

والطفلة تشاورْ وتعافرْ،
بتقرِبْ، ولاّ بتِتأخِرْ؟
وانّ مدّيت إيدى ناحِيتها، بتخاف وتكشْ.
والتانيةِ تنط تخلّيها: تهرَبْ فى العِش.
دى غيامةْ كِدب وتغطيّة، ومؤامرة غِشْ.

الوعى الداخلى، الطفولة المستجيبة، ضعيفة بطبيعتها، بقدر ما هى جميلة بتلقائيتها

الظاهر الجاذب المكتفى بهذا المستوى حتى لو كان الاختفاء فى الذهول هو نهايته لا يتزحزح عن محاولته إفساد أى خطوة تحاول تجاوزه إلى داخل الداخل الصادق الواعد بل إنه يكبت هذه المحاولة الأعمق حتى تنسحب الذات الأجمل والأعمق على أثر التخويف من الاقتراب الحقيقى، وبمزيد من الإغراء بالاستكفاء بظاهر الجذب فالانجذاب، وهما ليسا إلا بديلا عن حقيقة العلاقة وعمقها، ومن ثم نفهم كيف أن هذا الإبدال أو التوقف ليس إلا: **"غيامة كدب وتغطيّة، ومؤامرة غش"**

تواصل السعى إلى الحوار والجدل مع المستوى الأعمق والأجمل، يرفض هذا الانسحاب من أثر الإحلال والتغطية، فهو لا يصدق أن المستوى الأعمق غير موجود، أو كان وهما، بل هو يعلن أنها - حلوة الداخل- لم تمُتْ، لأنها لا تموت، مهما بعدت أو اختفت:

وماصدّقشى،
ولا اسلّمشِى،
أنا واثق إنها ما مَتِتْشِى
أنا سامع همس الماسْكِتْشِي
مش حاجى، لو هيه ما جَاتْشِى.

فهو يواصل الإنصات، ويشترط لمواصلة الحوار (الحب) وجودها ليكمل معها (وربما مع غيرها، لكن معها أساسا)

"أنا سامع همس الماسكتشى"

تلك الأخرى - على السطح - تتصور أنه وهو يقترب، يقترب منها هى، استجابة لغوايتها، لكنه ينبهها، وربما ينبه نفسه أنه: **"مش حاجى لو هيا ما جاتشى"**، مهما بدا إغراء جذب السطح.

تنبيه واجب هنا:

- إن المسألة هى ليست **"إما أو "**، اللهم إلا إذا أصر **"السطح"** على استبعاد كل ما عداه،

- إن علاقة الحب الحقيقية هى حب **<u>لكل المستويات، بكل المستويات</u>**، بما فى ذلك حب الغاوية السطحية، ولو **بابا إلى العمق، ولكن ليس على حسابها،**

- التى على السطح هنا لا تعترف إلا بنفسها، ولو وصل

الأمر إلى تفضيل أن **"تلعب حبا"** بدلا من **أن "تحب"**، ها هى تنبرى لتحول بينهما، بين داخلها، والساعى إلى حب حقيقى، تحول بالمنع والتحذير والتشريط:

- جرى إيه يا أخينا؟ عَلي فِينْ؟
حَاتْصحّى النايِمْ؟ بِضمانْ إيه"؟
جَرَى إيه؟
مش عاجبَك رسى لِحَواجْبي، ولا لُونْ الُروجْ؟
مش عاجبك تذكرة الترسو، ولا حتى اللوجْ؟
ما كَفاكشي زواق الباب؟
هيّه وكالة من غير بّوابْ؟

هذه الغاوية على السطح إنما تعلن وصايتها على سائر المستويات، معترضه على مواصلة السعى، فهى تدافع عن مشروعية، بل **لذة الوجبات السريعة**، وعلينا أن نتذكر أنه "إيش رماك **على أن تلعب حبا**، قال **قلة الحب"**. هذه التى على السطح تريد ضمانا (بضمان إيه؟)، وهى مهما قدم لها من ضمانات (بما فى ذلك ورقة الزواج أيضا) **لن تسلم** - طالما هى منفصلة هكذا- **و هى لا تسمح لجميعها أن يشاركوا فى العلاقة المتعددة المستويات**، أى فى **علاقة حب. وليس لعبة حب**، فهى تتعجب من عدم رضاه بكل ما فعلته لإغوائه ليكتفى بهذا الظاهر (**ما كفاكشى زواق الباب، هيا وكالة من غير بواب؟**)

وقفة:

ماذا يحدث فى العلاج النفسى
على أى مستوى تتم العلاقة

بصراحة، إن العلاقات (العلاجات) المطروحة على مستوى الاقتصار على الإيحاء والطمأنة والتسكين (بالعقاقير أو بدونها) هو أقرب إلى مستوى الغواية والجذب والانجذاب، لا نزعم أن نهايته هى بالذهول أو العدم مثلما هو الحال فى أصل أسطورة النداهة، وإنما قد يكون نهايته السكون وتوقف مسيرة النضج.

تواصل العلاج النفسى الأعمق الذى قد يرتقى بالعلاقة إلى هذا التحاور على هذا المستوى، هو الذى يحفز النمو ويطلق جدل التطور بحيث يتم **إعادة التكشيل من خلال أزمة المرض ما أمكن ذلك**

لماذا يخاف أغلب المعالجين من المرضى المضىّ قدما إلى أبعد مما يسمى العلاج التسكينى، لا يوجد علاج حقيقى فيه إطلاق نمو أو إعادة تشكيل إلا ويمر المريض فيه بما نسميه **"مأزق التغيير"** بكل مخاطره وصعوباته والتهديد بمضاعفاته، من هنا، وبالذات فى العلاج الجمعى، يكون الحذر والتحذير، مصاحب بالخوف والتخويف، وكثيرا ما يتمادى هذا الخوف والحذر إلى ظهور آليات دفاع أكثر حدة تجمّد مسيرة النمو فينقطع العلاج فجأة، أو تنتقل الزملة المرضية إلى زملة أكثر صلابة وأقدر مقاومة

إن الزملاء الذين يبدأون بالتسكين، وأحيانا يسمونه الطمأنينة، وينتهون بالتسكين، مفضلين "السلامة" أولا وأخيرا، وأن الطيب احسن لا ينتمون إلى مسيرة النمو من خلال العلاج، وربما إلى مسيرة النمو برمتها، لأنه لا يوجد نمو دون آلام ومخاطر من حيث المبدأ

أنا مش ناقصة التقليبهْ ديّـــة،
ولا فيش جوّاىَ "الْـمِشْ هيّة"،
ولاَ فيه بنْـوتـــة بـمَـرايلْهـَا،
ولا فيه عيّـل ماسك ديلهاَ،

وبرغم كل ذلك التحذير والإنكار والمحو، فالطبيعة البشرية هى الطبيعة البشرية،

وهكذا يستمر النداء الخفى ، ويتواصل إصرار حفز النمو، فيتواصل بالمقابل التحذير، ويحل الصد وإعلان الدفاعات المانعة من التواصل، محل الجذب الذى يثبت من خلال ذلك أنه كان "كنظام الحب" وليس "الحب"

إوعى تخطّى، أبْعـَد منّى، حاتْلاقى الهِـوْ.
الـبيت دا مالوهْشى اصْحـَابْ.
دُولْ سـَافروُا قـَبـْل ما يـِيـجـُوا.
من يوم ما بنينا السدْ.
السد الجوّانى التانى.
وانْ كان مش عاجبكْ، سدّى البرّانـِى.
تبقى فقست اللعبة،
ومانيـِشْ لاعبةْ.
<u>هنا وقفة مهمة</u>:

إن العلاقات البشرية تنبنى على أساس **سلامة لبنَات التواصل الأولى** التى توضع **فى محلها، منذ الطفولة توضع فى وقتها، لغرضها، وهى التى يبنى بها بيت الثقة الأساسية فالكيان النابض النامى.**

إن التى (أو الذى) تستطيع أن تطلق داخلها ليشارك فى (لا ليستقل بـــ) عملية الحب، لا بد أن تكون **قد اطمأنت طفلةً** (ثم بعد ذلك فى أى **ولادة جديدة** فى **أزمات النمو**) إلى أنها ليست وحيدة، إلى أنها جزء من آخرين **<u>يريدونها ويعترفون بها فتريدهم وتعترف بهم</u>**،

هكذا تتاح لها الفرصة أن **<u>تبنى نفسها "بيتا"</u>** (وليس لنفسها بيتا) ، بيتا له أصحاب، **<u>هى أولهم، وليست آخرهم</u>**،

فالقصيدة هنا وهى تعرى هذا الخواء الداخلى: **"البيت دا ما لوهشى اصحاب"** إنما تعلن سبب هذا الهروب الكبير، وتعرّ إحلال المنديل على سطح الترعة، محل جنية البحر الطفلة الفطرة الجميلة،

"البيت" ليس له أصحاب لأنهم كانوا أشباحا لم يحضروا

واقعا مغذّيا أمنا أبدا، وهم مهما تحركوا إنما يلعبون لعبة تشبه الحياة، تشبه الحب، تشبه التواصل، يلعبونها سرا مع أنفسهم، ويختفون قبل أن يظهروا

"دول سافروا قبل ما ييجوا"

لكن هل يعقل أن يبنى طفلا ذاته (بيته) دون أن "ينتمى" أصلا؟

وكيف ينتمى وهو منذ وُجد لم تواجهه إلا الحواجز التى أقيمت لتحول دون التواصل الحقيقى (**القبول والاعتراف والأخذ والعطاء**) فحالت فعلا منذ البداية، بل قبل البداية، دون إلقاء بذرة الحب التى يمكن أن تؤتى أكلها كل حين "حبا حقيقيا متجددا" ؟ ذلك الحب المتعدد المستويات التى حيل بينه وبين أن يتنامى بواسطة تلك التى أدت إلى الميكانزمات الاستغناء عنه **بإقامة السدود، ليس فقط سد الغواية البرانية البديلة عن العلاقة، وإنما السد الجوانى التانى، وهو الذى يشير إلى عدم الأمان الأولى**

إذن: فالحاجز الذى تقيمه من الغواية الآن ليحول دون العلاقة المتكاملة ليس هو السبب الاساسى فى الإعاقة الحالية، وإنما يرجع السبب إلى الحاجز القديم **"السد الجوانى التانى"**، أما هذا السد البرانى، فكل المطلوب منه هو أن يقوم باللازم ليحقق المراد الجزئى فى وجبة سريعة، **أو فى وجبات رسمية راتبة، كنظام الوجبات المستخرجة من "الديب فريزرعلى طول المدى (الزواج الساكن الخامد).** دون أن يكون بداية لبنض جدلى تصعيدى منتظم إلى المستويات الأخرى، مع أنه يمكن أن يكون بابا إلى ذلك.

تنتهى القصيدة الحالة بتوصية ساخرة، بنكوص هروبى أيضا بديلا عن مسيرة النمو، وربما يكون هذا أكثر تمثيلا لمستوى العلاقة التى أسميناها **"اللذة المشتركة بعض الوقت"** (المستوى الثانى) ، وهو ليس أفضل كثيرا من **مستوى الجذب والإنجذاب**، فهو جاهز لتوقيف مسيرة النمو أيضا:

دوّر على واحدة تكون هبْلهْ،
بتْسوُرَقْ مِنْ حَصْوِة نِبْلهْ.
تديلك قلْب الخسّاية!!
ومالكشِى دعوة بْجُوّايَا
.....
يا ما كان نفِسى،
بس ياروحْ قلبى "ما يُحْكمشِى".
وبعد

يبدو أن من يريد أن يحب، ولا يكتفى بأن "يلعب حبا"، عليه أن يغامر بأن يعطى ويأخذ **"قلب الخساية**، ولايكتفى بأوراقها أو رأسها.

ولكن هل يكون للخساية قلب إلا إذا أحاطته كل هذه الأوراق التى ذبلت وجفت من فرط قيامها بدورها الرائع فى الحماية والدفاعات؟

إن من يريد أن يلقى بهذه الأوراق الصلبة ليكتفى بقلب الخسابة هو أيضا ليس محبا، وإنما هو قناص مستسهل.

وبعد (مرة أخرى):

خيل إلى أن المسألة أصبحت أصعب.

ليكن.

قلنا من البداية، حتى لو لم يكن لدينا بديلا: **"نستعمل الواقع (الخطأ)، لا نستسلم له، ونرفضه حتى نغيره".**

فهل نستطيع ذلك فى مسألة الحب هذه؟ (ربما مثلها مثل مسألة الديمقراطية والحرية والمال، وأشياء أخرى كثيرة)، **وإذا لم نستطع فهل يمكن أن نرضى بالموجود باعتباره النقص الواجب الدافع للتحريك، أم نستسلم له باعتباره البديل الدائم طالما لا يوجد غيره.**

تـُرى هل أصبحتْ المسألة أسهل أم أصعب؟

هل نشتغل فى المستحيل ليكون ممكنا،

أم نستسلم للممكن ليصبح مستحيلا

الإربعـــــاء 28-10-2009

789- فقـــه العلاقـــات بيـــن البشـــر(العين الحرامية)

محاولات دائبة، وألم متجدد، ونهاية سلبية: بالانسحاب للفرجة ....!!

والعين المهزوزَةْ الخايفة الحرامِيَّة،
زى الكلب السارق عضمةْ:
بتبص لتحت، وساعات للجنبْ.
وساعات بتبرّق وتبحلقْ حبَّةْ نونو،
ترجع تانى، تهرب منى، وتبُصّ لفوق.
أجرى وراهَا قبل ما تؤصلْ شُرّاعةِ البابْ،
أو تنزل تتسحب منى كده تحت دولاب.
وساعاتْ تِتْرَقّصْ وبياضها يغطى سوادْهَا،
وكأنه بيخبِّى بريئة واتَّهمُوهَا:
قَرِّت بالذنبْ،
من غير ولا ذنب.
بيقولوا ظبطوها بتتسوّل: فضلات الحُبْ.
وارجع ابصَّلها تنُط،
وتْفُطْ.

كمَا طفل على سِلّم تُـرُمَاىْ،

بـيْبِيع كبريت أو بـاغة،

أو إيـده خفيفةْ، عالسَّاعة والـولاّعةْ.

يخطف وينطْ.

القراءة:

فى هذه الخبرة اتضح لى الفرق بين برنامج "الدخول والخروج"، in-and-out program وبرنامج الكر والفر، fight-flight علما بأن هذه الحالة لم تكن تمارس أيا منهما، وإن كانت أقرب إلى موقف للدخول والخروج على مستوى تجسس الطريق "نحو الموضوع" (الآخر) للأول، دون الثانى،

فى **الكر والفر** دفعٌ حتى الطرد، أو **انسحاب** حتى الهرب، وهما يتبادلان،

وفى **الدخول والخروج**، إقدام إلى الآخَر والموضوع والواقع، ثم انسحاب إلى الرحم والاختفاء، وهكذا بالتبادل

الحالة هنا تعلن شيئا آخر، هى تظهر أن الخوف من الاقتراب له تشكيلات وتجليات متنوعة من أرقّها: هذا النوع من الإقدام الحذر المتوجس، يتبادل مع الإحجام الناقص، على خلفية من الشعور بذنب ما، وفى نفس الوقت الرغبة فى أخذ **"الحق فى القرب"**، فى الحب، فى الاعتراف، التى تترجم مظاهرها فى تجليات خاطفة ما بين السرقة والاستجداء والخوف والتردد:

والعين المهزوزَةْ الخايفة الحرامِيَّة،

زى الكلب السارق عضمةْ:

بتبص لتحت، وساعات للجنبْ.

وساعات بتبرّق وتبحلقْ حبّةْ نونو،

ترجع تانى، تهرب منى، وتبُصّ لفوق.

أجرى وراهَا قبل ما تـوْصلْ شُرّاعةِ البابْ،

أو تنزل تتسحب منى: كده تحت دولاب.

وساعاتْ تِتْرَقّصْ وبياضها يغطى سوادْهَا،

وكأنه بيخبِّى بريئة واتَّهمُوهَا:

قَرِّت بالذنبْ،

مِنْ غير ولا ذنبْ

حين تُحرم من حقك فى القرب، سواء كان ذك نتيجة لهذا الموقف المترقِّب المتردد، أو لأنهم نسوك أو تجاوزوك أو أهملوك، أو فى الواقع: نتيجة لكل ذلك معا، قد تضطر إلى أن تحصل عليه بما

يبدو أنه خطفا أو سرقة، هذا الموقف الذى بدأتُ به واصفا هذه الحالة يشير إلى أن الإقدام على عمل علاقة بآخر، حتى ولو بخطفها سرقة، لا يكشف تحايلا للحصول على غير حقك، بل هو يعلن جوعا لا يعرف طريقا للإرواء غير ذلك، جوعا للحصول على حق لم يصل صاحبه.

الواضح من هذا المقطع هو أنه بالرغم من الجوع الشديد إلى الآخر، فإن ثم شعورا حقيقيا بأن المسئول عن ذلك ليس بالضرورة هو الآخر وحده. هذا الشعور، فى هذه الحالة، كنموذج، ينبع أساسا من صعوبات صاحب هذا الموقف أكثر مما أنه نتيجة لرفضٍ يأتيه من خارجه.

الشعور بالذنب لدرجة الاعتراف بإثم لم يرتكبه الشخص أصلا، قد يكون هو العائق لاستقبال رسائل إيجابية من الآخر تعفيه من الاضطرار لسرقة العواطف أو خطفها هكذا، كما تعفيه من الاستجداء ومن غير ذلك مما سيأتى ذكره، هنا لا يوجد إثم اصلاً يحتاج أن نشعر إزاءه بذنب ما، هذا هو الغالب عند معظم البشر كمرحلة من التطور إلى البشرية الأكثر حرية ووعيا ومعيّة، إذن نحن لا نحتاج لاختلاق قصص وأساطير لتفسير هذا الشعور الأساسى بالذنب فى التكوين البشرى المعاصر، إلا إسقاطا لتفسير تكوين أساسى.

فى أطروحتى عن الشعور بالذنب، ربطت بين الوعى بالوعى، وبين الوعى بانفصال الإنسان كائنا واعيا مستقلا نسبيا عن الوعى الكلى، عن الوعى الهيولى الهلامى الأصلى، قدمت تفسيرا لهذا الشعور الأساسى أنه: **إعلان لورطة اختيار الإنسان أن يكون كائنا متفردا له وعى مستقل**، لا يحتاج الأمر- إذن، كما ذكرنا حالا ونكرر- لتبريرات لاحقة، جنسية أو أوديبية أو محارمية، اللهم إلا كنوع من التفسير اللاحق لإسقاط هذا الشعور الأساسى على منظومات التحريم والتنظيم، الفرض الذى طرحته سابقا يوجز هذه القضية فى هذ الجملة:

"أنا موجود ، أنا لى كيان مستقل، أنا واع بذاتى منفصلا عنهم وعنه=

إذن أنا مذنب، (دون أن اذنب)"،

هذا الشعور بالانفصال عن الأصل الكلى الهلامى، هو نفسه الدافع لمحاولة الوصل طول الوقت **" كل من انفصل عن أصله، يطلب أيام وصله"،**

وهو أيضا الشعور الذى يكمن أيضا **وراء مأزق السعى إلى المعرفة،**

المعرفة هى فى ذاتها ذنب **من هذا المنطلق الأساسى**، ذنب رائع أيضا، وهذا هو ما يغلب على كثير من تفسير حكاية (أسطورة، فكرة) الأكل من الشجرة المحرمة فى الجنة، (بالإضافة إلى ما يقابل ذلك من جنان الأساطير والإبداع الأدبى)، إن ما ترتب على الأكل من الشجرة المحرمة هو العقاب بإنزال الإنسان

إلى ارض الواقع الممسئول، مع منحه حرية الاختيار وأدوات التواصل الأساسية (الأسماء كلها)، وهى حرية شائكة، وأدوات ملتبسة، فهو قادر على الاختيار والكشف، وفى نفس الوقت خائف من المجهول والعجز.

لا يحل هذا الموقف، أو حتى يخفف منه مجرد اقتراب صادق من آخر، فالمسألة تحتاج تجربة ومثابرة لعل رسالة مطمئنة تصل بدرجة تسمح بعلاقةٍ ما.

التشكيل هنا يكشف من جوانب متعددة عن حركية **الاقتراب المغامر إلا قليلا، يقابله الانسحاب الحذر إلا قليلا،**

الجوع إلى العلاقة ليس دافعا تلقائيا للتقدم نحوها، بل كثيرا ما نجد أن العكس هو الذى يحدث،

فصاحبة هذا الموقف هنا يرفض الاقتراب حتى لو جاءت المبادأة من الآخر:

وأنت كلما حاولت الاقتراب منها حاولت هى الابتعاد، ربما لتحافظ على مسافة، **تعد ولا تفى ، لكنها** (المسافة) **لا تكفّ عن الوعد مجددا.**

الحاجة إلى الاقتراب أو الحب قد تحتد حتى تبدو تسولا من بعدٍ معين، وهذا من أصعب ما يضطر إليه بشر لا يجد فرصة حقيقية للأمان والاعتراف،

قد يظهر ذلك التسول فى شكل تنازل عن كرامة،

أو قد يتم بصفقة سرية بها ظلم شديد عليه،

أو قد يتجلى فى تنقل سريع بين مصادر الحب المحتمل، دون ارتواء حقيقى.

هذا الموقف يقدمه المتن بقسوة عارية حين يصف هذا التنازل بأنه تسول، مع إلحاق أن هذا التسول لا يحقق لصاحبه إلا **فتاتا من فضلات لا تغنى، بل إنها قد تزيد الجوع حدة وسعارا.**

هذا الموقف يبين كيف يمكن أن يترجح صاحبه بين خطف ما تيسر من عواطف، أو رائحة علاقة، أو إشارة اعتراف، وبين نوع من التسول الذى يصاحبه اعتذار أو استغفار عن الذنب الأساسى ، **ذنب الانفصال عن الوعى الكلى سعيا إلى وعى ذاتى متفرد،** وهو موقف لا يحل الإشكال من جذوره بقدر ما يعلن طبيعة هذه الوقفة فى هذه المرحلة، **وصعوبة المحاولة،** وللأسف، فإنه موقف إذا طال وتكرر بلا عائد، فهو ينتهى إلى نتيجة سلبية كما انتهت الحالة فى هذا المتن، ذلك لأن الذى تظهره الحالة هو أنه:

إذا تذبذبت المحاولات إلى هذه الدرجة وطالت المدّة، فإنها تجهض جميعها فى النهاية مهما استمرت وتكررت، ومهما قفزت من موقف إلى موقف فهى ليست فى النهاية إلا نوع من الخطف أو السرقة، ، ثم استجداء وتردد، فى مقابل الوعد بما لا يكون:

بيقولوا ظبطوها بتتسوّل: فضلات الحُبْ.

وارجع ابصّلها تنُط،

وتْفُــطْ.

كمَا طفل على سِلّم تُــرُمَاىْ،

بيْبِيع كبريت أو باغة،

أو إيده خفيفةْ، عالسَّاعة والولاّعةْ.

يخطف وينطْ.

هكذا يعرى المتن عمق هذا الموقف الذى لا يحله مجرد إعلان الإقرار بالوجود، أو التلويح بالإعفاء من مسئولية **"سرقة الرؤية"** و**"تسول القبول"**، هذه الحالة تكشف استمرار إصرار صاحبة الصورة على الحفاظ على نفس الموقف الحذر المتوسط المترجِّح بلا نهاية، ها هو المتن يعلن بشكل مباشر أن هذا التردد المشل لا يوصل إلى شىء:

عايزاكمْ.. مِش عايزاكمْ.

باسْتَخْونِـْكُم، وباجِيـكُمْ.

وباخَـافْ مِالْقُــربْ.

وما طِيقْــشي البُعــد.

وباخافْ لو عِينى جت فى عْــنيْ مِش "هيـَـهْ"،

وباخاف أكترْ لوْ طِلعتْ "هـِيَــه".

هذه الحالة تصف مرحلة انتقال حذرة، فهى تبدو نقلة حساسة من الموقف البارنوى إلى الموقف الاكتئابى، بالمعنى الذى أشرنا إليه سابقا موضّحين أن ما يسمى الموقف الاكتئابى (وليس الاكتئاب) هو موقف محاولة اختبار، وتقبل صعوبه العلاقة بالآخر بوعى متبادل مسئول. (لهذا اقترحنا تسميته بالموقف العلاقاتى الإنسانى) .

الموضوع (الآخر)، فى هذه النقلة هنا، لا يمثل خطرا يهدد وجودى، أو يقتحم هويتى، بل هو (الموضوع-الآخر) يحضر بداية بإقرار الاعتراف الحذر باكتشاف أن ما هو "آخر" هو مصدر حب ووعد بالتكافل معا للاستمرار دون أن يمحو أحدنا الآخر، وفى نفس الوقت هو يحمل - بطبيعته- تهديداً بخطر الترك أو الهجر، ووجود هذين الشعورين معا معظم الوقت يترتب عليه ما يسمى **بتناقض الوجدان.**

نكرر: التناقض هنا غير تناقض الوجدان المتصادم المُشل فى الأحوال المرضية، حيث التضاد فى المرض لا ينتهى إلا بنتيجة صفرية فارغة. هذا بعكس التناقض النمائى هنا الذى إنما يعلن طبيعية جدل العواطف التى نختزلها عادة بالاستقطاب باستمرار.

هذا الجدل النابع من حيوية التناقض الإيجابى هو الذى يفرز طاقة الدفع إلى استمرار نبض الحركية نحو الآخر، محصلة ذلك إن استمرت هذه الإيجابية هى ظهور الألم البشرى الأرقى، الذى ظهرت إحدى تجلياته فى هذا المتن فى نص عبارة: **"والدمعة يا دوب حاتبان"،**

لاحظتُ - فى خبرة العلاج الجماعى خاصة، وأيضا فى لقاءات **الفحص الصامت لإطلاق التعبير عن "الحق الألم" (أو الحزن)-** مما قد أعود إليه لاحقا فى عمل مستقل مع احتمال عرض صور حيه- لاحظت أن هذا الموقف الذى تترقرق فيه العين باقتراب دمعة تلمعُ ولا تهطل، هو الموقف الذى تمثله هذه العبارة تحديدا، وقد ثبت أنه - فى تقديرى بعد عشرات أو مئات الحالات -

(موقف يعبر عن الألم الإنسانى الناتج عن الإصرار على مواصلة التواصل مع آخر مختلف، وفى نفس الوقت وعى بأن هذا الآخر هو كيان مستقل منفصل يحاول نفس المحاولة، مع إدراك الصعوبة والتهديد فى آنْ.)

فى خبرة العلاج الجمعى (وأيضا فى اللقاء الإكلينيكى الصامت من حيث تجنب استعمال الكلمات المنطوقة) حين نصل (المريض وأنا) إلى مرحلة تعلن مثل هذا التواصل المؤلم، يتجلى هذا "الألم الحى" بعذوبته وصدقه فيما يعبر عنه عادة بتعبير هو ما يسمى: **"اغرورقت عيناه بالدموع"،**

هنا نلفت النظر إلى أننا لاحظنا مكررا أنه إذا امتدت هذه الخبرة حتى إدرار الدموع، فإن هذا البكاء يجهض المحاولة، وتنقلب العلاقة إلى مستوى آخر أقل فاعلية، بل ربما يكون سلبيا دفاعيا، **الأمر الذى دعانى -غالبا- إلى اتخاذ موقف علاجى يحول دون أن ينقلب اغروراق العيون، إلى دموع منسكبة**

هذا الموقف - حين أساعد أحد المرضى أن يسمح للألم بالظهور دون الإسراع بلصْفِهِ بسبب جاهز، وفى نفس الوقت ألا يسمح لنفسه بالتعبير عنه بالألفاظ حتى لا يجهض الخبرة - يبدو موقفا غير مألوف إذا قيس بتعبيرات علاجية سهلة مثل الفضفضة أو التنفيث، وكان بعض المرضى الآخرين، وبعض الزملاء والمشاهدين يستقبلون محاولاتى هذه باعتباراها قسوة مؤلمة، ولم يكن الحال كذلك عند أغلب المرضى من داخل التجربة، بل إن الناتج فى النهاية كان، ويكون، نوعا من الطمأنية الواعية بحقيقة صعوبات وأبعاد العلاقة بالواقع، وبالآخر، بل ويكون هو هو الدافع إلى استمرار العلاقة العلاجية إلى المرحلة التالية من محاولات **تنشيط مسيرة النمو** التى هى غاية هذا النوع من العلاج.

إذن ما تحفل به هذه النقلة من تناقض الوجدان الإيجابى، بمعنى حضور اكثر من عاطفة فى نفس مستوى الوعى، بعضها يبدو عكس الآخر، إنما هو إعلان لحركية التعاطف المتبادل اختبارا، وتراجعا، وتقدما، وحذرا، (ومن ثم: جدلا)، نقرأ مرة أخرى:

وباخَـافْ مِالْقُـرِبْ، وما طـيقْـشي البُعـد. وباخافْ لـو عِينى جت فى عْـنينْ مِش "هيـهْ"، وباخاف أكتر لـوْ طِلعتْ "هـيّـه"،

فى خبرتى أيضا لاحظت أن إطالة هذا الموقف هو مرهق لدرجة الخطر، لا أحد يستطيع أن يواصل كل هذا الألم الناشئ عن وعد لا يتحقق، وفى نفس الوقت لا يتراجع، وعد بعلاقة حقيقية، برؤية ما، باعتراف ما، بتواصل ما، أقول إن إطالة هذا الموقف دون أن يحقق أية درجة من الاقتراب الموضوعى الداعم الدافئ، إنما **يؤدى فى كثير من الأحيان إلى الإنهاك فالتراجع عن محاولة الاستمرار فى هذا الجدل الضرورى** لتنشيط دائم لعلاقة بشرية حقيقية.

العلاقة الحقيقية بين البشر هى حركة دائبة،

فالحذر هنا يصحبه احتمال الأمان،

والإحجام يسير جنبا إلى جنب مع محاولة الاقتراب،

والأمل فى وجود آخر رغم التهديد المصاحب لذلك هو أمل متجدد حقيقى وفعال.

وفى خبرتى - مصداقا لهذا التنظير - وجدت أن ظهور علامات هذه المشاعر المشتملة **للألم والحزن والدهشة وقدر من الطمأنينة لجدية المشاركة**، هو أكبر دليل على نجاح العلاج والتقدم على طريق النمو، وهذا يختلف تماما عن السائد من أن هدف العلاج هو "إراحة المريض"، أو حتى هو السماح له "بالتفريغ" أو "التنقيث".

لابد من التنويه هنا إلى أن الحرص عل "بسط" unfolding هذه المشاعر المؤلمة لا ينبغى أن يكون هدفا علاجيا فى ذاته، وإنما يلتزم المعالج بأن يضبط الجرعة والمدة المناسبة لمعايشة هذه الخبرة بما يحقق دفع عجلة النمو بالقدر البناء، ولا مانع من العودة إلى نفس الخبرة مع كل نقلة نمو لاحقة.

إذا أساء المعالج (أو أى آخر) حسبة الجرعة وطالت خبرة الألم بلا ناتج حالىّ أو واعد، **تهدِّدَ الكيان النامى بالتفسخ من فرط الألم،**

هنا- مع التهديد بالتفسخ- تقفز الحاجة إلى التغطية بأية آلية (ميكانزم) قديمة أو جديدة، بالكبت مثلا (**غطونى كويس**) أو بالانسحاب (**خلونى بعيد**) تجنبا لهذا التفسخ المهدد نتيجة لفرط الألم بلا عائد، هكذا يعلنها النص:

غطونى كويس،

خلونى بعيد،

لاتْبَعْزقْ.

نهاية هذه القصيدة (الحالة) هى سلبية لكنها واقعية بشكل منبّه ومؤلم، ذلك أنها أقرب إلى الحل اليائس الذى يعلن صعوبة الاستمرار فى معاناة هذه المشاعر بلا تقدم كاف نحو غاية العلاج (أو العلاقة).

فى العلاج الجمعى خاصة، وفى العلاج عامة، يمكن أن نقابل هذا الميكانزم الذى لا يكتشفه إلا خبير، أو ربما يتكشف نفس الميكانزم بعد بداية العلاج بفترة ليست قصيرة، وأحيانا يظهر بعد تحسن مؤقت، فتراجع منظم أو غير منظم،

هذا هو ما نسميه ميكانزم **"الفـُرْجهْ"**،

نعنى بـ **"الفـُرْجهْ"** هنا: المشاركة بالمشاهدة، والفهم بالعقل، وأحيانا الحكم على الجارى، بالتفكير بل وبالرأى، وعى،

يتفرج مثل هذا المريض على زملائه، وأيضا على الأطباء، من مسافة آمنة، كما أن ثم احتمال أن بعض المعالجين (خاصة فى موقف ما يسمى البحث العلمى) يتفرجون على المرضى، وهم يتعلمون منهم نظريا، إذْ يرصدون أحوالهم وتركيبهم، لينشروه بحث أو يشرحوه لدارسين: (وقد سبق أن أشرنا لمثل ذلك فى نشرة سابقة **الحالة دى صعبة ومهمة تنفع للدرس"**) ، يفعل الواحد منا هذا دون أن ينتبه إلى أن كل ذلك يجرى على حساب المشاركة الحقيقية، أى مواكبة المعالج للمريض أثناء مسيرة نموهما،

هذا نوع من الفرجة مهما كانت أغراضه نبيلة لتحقيق غرض آخر.

فى العلاج الخاص، يمكن أن تتم "الفـُرْجهْ" المتبادلة بعيدا عن الوعى الظاهر لكل من المريض والطبيب، طالما أن التعاقد مستمر على مستوى أن وقت الطبيب هو بضاعة قابلة للشراء، وأن حضور المريض ليشغل هذا الوقت، وهو يعرض نفسه أيضا لفرجة ما، هو أيضا ضمن الاتفاق التحتى الذى يتم بينهما، وهكذا قد تستمر العلاقة بينهم على مسافة (**أنا تذكرتى بلكون**) ما دامت شروط العقد التحتى سارية (**بفلوسى**).

أنـــا تذكرتى بلكونْ،

وراح اتفرّجٍ للصبح.

.....بـِفـْلوسى.

إن اتخاذ موقف المتفرج، حتى على مسافة هكذا، قد يكون هو الحماية المناسبة ضد فرط جرعة التلويح بأمل لا يتحقق، أو التهديد بتفاعل إنسانى غامض المعالم وذلك أثناء العلاج، خاصة العلاج الجمعى،

من هنا نرى أن ميكانزم "الفـُرْجهْ" الذى قد تنتهى به خبرة التعرض للألم الرائع السالف الذكر، هو اقرب إلى ما أسميناه سابقا **"الهرب إلى الصحة، أو ما يشبه الصحة"**، من حيث أنه مع اختفاء هذا المأزق المؤلم بالتراجع، بماتيسر من ميكانزمات جديدة، يعتبر المريض نفسه، والطبيب أحيانا، أن العلاج قد حقق أغراضه، وهذا احتمال يمكن قبوله على مستوى معين من تعريفات "الصحة"، و"العادية".

هنا يحضرنا سؤال يقول:

ألا يكفى اختفاء الأعراض سببا وجيها يقرر أن يتوقف العلاج ما دام قد حقق هذه الأغراض مهما كانت متواضعة أو متوسطة؟

الإجابة الجاهزة المنطقية هى : **نعم، هذا أوان مناسب لوقف العلاج.**

لكن واقع الحال أن العلاج قد يستمر لفترة تطول أو تقصر بعد ذلك، ويتوقف السماح بذلك على موقف المعالج وأهدافه (خاصة على مستوى العلاج الخاص) وأيضا يتوقف على موقف المريض وقدراته (خاصة فى نفس النوع: العلاج الخاص)، وهذا موقف يحتاج لشرح يطول بما لا يتناسب مع الالتزام بالمتن هنا/الآن دون استطرادات مفصلة.

هامش مهم:

خطر ببالى أن أضيف هامشا يصنف أشكال "″الفـُرْجةْ" " التى رصدتها فى نفسى وفى المرضى وزملائى أثناء الممارسة، إلا أننى وجدت أنه قد يضاعف حجم النشرة بما لا يتناسب مع طبيعتها، **فقلت أعدد بعض العناوين والعناصر حتى تتاح عودة**، وفيما يلى مجرد العناوين -تقريبا- على الوجه التالى:

أنواع "الفـُرْجةْ" وبعض أهدافها:

(عامة وليس فقط فى مجال العلاج)

ملحوظة بادئة (1): لفظ "الفـُرْجةْ" هو من قاموس اللغة العامية المصرية أساسا، ولم أجد فى مادة "فرج" بالفصحى ما يفيد نفس المعنى،

ملحوظة بادئة (2): (على فكرة: تتم "الفـُرْجةْ" بوعى أو بغير وعى، غالبا بغير وعى، وهى تنكشف فى العلاج الجمعى بالذات، حين ننبه المريض على اتخاذه موقف المتفرج، ينكره عادة فورا، وأحيانا تماما)،

- **"الفـُرْجةْ" للحفاظ على مسافة**

خشية الاقتراب، ومن ثم تجنـُّبا لمعاناة آلام المحاولة (عمل علاقة)

- **"الفـُرْجةْ" الانشقاقية**

أثناء العلاقة (حتى فى الجنس)، حين ينفصل جزء مهم (أو ذات منشقة) عن كلية العلاقة المتمازجة أو المتبادلة، وكأن شخصا آخرا يشاهد الجارى، سواء فى نفس الشخص أو فى شريكه، وهو يرصده، وقد يتابع أداءه من على مسافةٍ ما، مما تتحقق به درجة من الاغتراب المُخِل

- **"الفـُرْجةْ" للمشاهدة المعقلنة**

حين ينقلب المشارك (مريضا كان أم معالجا أم غير ذلك) إلى متفرج، كأنه يحضر مسرحية أو يشاهد فيلما او مسلسلا

- **"الفـُرْجةْ" للإعفاء من المشاركة الآنية**

من أهم القواعد التى تكسر موقف "ميكانزم" **"الفـُرْجةْ"**، فى العلاج الجمعى، هو الالتزام بمبدأ "هنا، والآن" (وأيضا : "أنا - أنت")، ويفيد ذلك أيضا فى التخلص من موقف **"الفـُرْجةْ" للتأجيل** (التأجيل عادة يكون بأغراض خفية مثل:

- حتى أستوفى شروطى السرية،
- أو حتى أطمئن،
- أو حتى أضمن لنفسى حق الرجعة..إلخ)
- **"الفـُرْجةْ" من موضع: الشفقة الفوقية**

نفرق دائما بين الشفقة، (ونعبر عنها أحيانا فى العلاج الجمعى، وإلى درجة أقل فى العلاج الفردى بالمصمصة - مصممة الشفاه، أو الصعبانية) وبين **التعاطف المشارِك**،

أن "تتألم على..."، غير أن "تتألم مع.."،

فما بالك بالصعبانية والطبطبة من أعلى

(ولعل تعبير **"تذكرتى بلكون"** فى المتن كان يشير إلى موقف الفرجة **من أعلى**، ومن بعيد معا)

وبعد

(قف !!

وإلا كتبت كتابا بأكمله)

- بما أن المتن بالعامية، وبما أن العامية لغة كاملة، وبما أن اللفظ هنا يؤدى المراد، بلا بديل ، فقد أثبته ما هو حتى أتجنب تشويه الخبرة أو اختزال الموقف، آملا أن يفتح الله على رجال مجمع اللغة العربية فيدخلونه إلى الفصحى، دون تشويه أو ترجمة .

الإربعـــــــاء 04-11-2009

796- حـوار حـــول هـذا العمـــل، خـارج حـوار الجمعـة

مقدمة

الله يسامحك يا جمال ويبارك فيك وينفع بك، تصور يا جمال أننى لأول مرة أحمد الله أن فكرة **"المنتدى"** حول هذه النشرة (الإنسان والتطور) وهى الفكرة التى خطرت لك منذ أكثر من عامين وكنت "تأمل أن تنشط حركية التواصل فيما بيننا من خلال ما ننشر ونفترض ونقترح"، تصور أننى **لأول مرة أحمد الله أنها لم تنجح** وذلك بعد أن عشت اليوم تجربة الحوار الأعمق والجاد فى هذا الحوار المستقل عن حوار الجمعة !!!!!

فوجئت بصعوبة الوفاء بحق المشاركين فى الحوار حين ينشط بعضهم جادين لمناقشة نشرة أو اثنتين فإذا بالمسألة تتشعب، وتتعمق حتى لا أكاد ألاحقها.

ما إن وصلت دعوتك يا جمال إلى الدكتور صادق السامرائى، وما أن نشرت الصديقة أمل حمود تعقيبها الجاد حول النشرة الأخيرة فى هذا العمل (فقه العلاقات البشرية) حتى وجدت أن متابعة ما وصلنى من حوارات حول نشرة واحدة أكبر من قدرتى على ملاحقته بالمسئولية التى يستحقها.

بصراحة فرحت لبداية مشاركة أ.د. صادق السامرائى، كما أنست بردود د. مدحت منصور، د.محمد أحمد الرخاوى على الصديقة أمل محمود، وكانت لى آراء وردود وتعليقات فى كل ذلك، غير الإشارة لما سبق نشره، فكرت فى الاستجابة لاقتراحك يا جمال بأن أخصص نشرة مستقلة واحدة فى الشهر لمناقشة هذا العمل، لكننى وجدت حلا أسرع وهو ما ما أمارسه الآن: هو تخصيص يوم واحد أسبوعيا لحوار هذه السلسلة ، بدءا

باليوم، بعيدا عن حوار الجمعة، وليكن يوم الخميس الذى سوف يخلو ابتداء من الأسبوع القادم نظرا لانتهائى من نقد كل أحلام فترة النقاهة (نجيب محفوظ) هذا الأسبوع (غدا)

وقفة للمراجعة

نشرة اليوم هى وقفة للمراجعة، ودعوة للمشاركة فى هذا الحوار الخاص بهذا العمل بل بنشرة واحدة وبعض أخرى، وقد تسلسل التفكير فى هذا الأمر تجاوبا مع اقتراحك يا جمال ، وسوف أكتفى بتقديم ما يلى :

1. تعليق د. جمال التركى على هذا العمل تحديدا ، مع إيراد ما اقتطفه للزملاء تحميسا لهم ودعوة للمشاركة.

2. استجابة د. صادق السامرائى للدعوة ورد د. يحيى عليه

3. إسهام د. صادق السامرائى وتفضله بملاحظاته على النشرة ، وربما على النشرات عموما.

4. تعليق د. مدحت منصور على تعقيب أ. أمل محمود على اليومية الأخيرة من هذه النشرة مع إشارة برابط إلى ن تعقيبها

5. تعليق د.محمد أ. الرخاوى على نفس التعقيب (أ. أمل محمود)

أما مداخلاتى أنا فى كل ذلك، فيما عدا حوارى مع د. صادق السامرائى، فقد أجلتها لخميس القادم

دعوة

وقبل أن أعرض تفاصيل ما سبق من عناوين، أدعو كل من يهمه الأمر أن يشارك بالرأى فى هذا اليوم المستقل حول هذا العمل من حيث:

1) أى تعليق خاص بالنشرة الأخيرة بالذات، بعد قراءة التعليقات المنشورة اليوم، بعد الرجوع إلى التعليق أ. أمل محمود، وتعقيب د. مدحت، د.محمد أ. الرخاوى، وربما الإشارات إلى ما سبق الإشارة من نشرات سابقة الأسبوع الماضى.

2) أى تعليق عن كل ما سبق نشره فى هذا الباب تحديدا حتى الآن سواء

3) أى اقتراحات مناسبة لتيسير التواصل، وتعديل التحرير

******

أولا: د. جمال التركى

قراءة فى يومية 2009/10/23 - حوار/بريد الجمعة

المقتطف: أننى أبذل فى هذا الشرح الذى أقوم به، جهداً أكبر من أى نشرة يوم آخر، ومع ذلك لا يأتينى عنه ما أنتظر من تعليق، لا أدرى لماذا لا يعلق الأصدقاء؟

كان قد وصلنى ذلك قبل أن تخطه يمينك... وصلنى كم الجهد المبذول منكم دون تردد أو انقطاع... دون استراحة المحارب (وهى من حقه)... رغم دعوات صادقة، حبا لك وخشية عليك وأملا فيك...،

حبا لك لما تمثله من وجه مشرق للإنسان المكرم الكادح لوجهه تعالى،

وخشية عليك، لما قد يسببه لك هذا الجهد من إنهاك وإرهاق وعنت، قد لا يتحمله جسدك المثقل بكدح سبع عقود لوجه الحق

و أملا فيك، أن تبقى بيننا/فينا إلى ما شاء الله، نورا تنير بصيرتنا بما أنعم الله به عليك...

أملا فيك أن تكون بنا و نكون بك ... تكون بنا منارة و نورا نهتدى بهديها...ونكون بك 'كتابا مفتوحا' تقرأه مفككا شيفرته، فتعرّفنا على أنفسنا/الإنسان فينا، فنعرف ذواتنا كدحا إليه إلى أن يأتينا اليقين. أما وقد أعلنت:

"أننى أبذل فى هذا الشرح الذى أقوم به، جهداً أكبر من أى نشرة يوم آخر"

فاسمح لى بإجابة خاصة بشخصى (أما الأصدقاء فلست مخولا الإجابة عنهم...

: إنى أطالع النشرة المتعلقة بـ. " دراسة فى علم السيكوباثولوجى (الكتاب 2)" أحيانا يوم صدورها وأخرى بعد أيام قليلة، فلا يصلنى منها ى قراءتى الأولى إلا النزر اليسير لثراء النص وعمق المعانى الكامنة إضافة لعدم تمكنى من العامية المصرية، فأعود لها ثانية و ثالثة (أحيانا أكثر)، وفى كل منها يصلنى ما لم يصلنى فى قراءة سابقة ...فيتابعنى ما وصلنى فى وعيى و يبقى فكرى فى تفاعل معه... منه ما أقبله، فيصبح جزءا من منظومتى الفكرية (اثراء لها) ومنه ما أتردد فى قبوله إلى مزيد المراجعة والتأمل و منه ما يحول بينه وبينى حاجزا، فيرفع فكرى "فيتو" تجاهه.

- أما ما قبلته فلا حاجة لى عادة للتعليق عليه...

- أما ما أتردد فى قبوله أكون فى حاجة أحيانا إلى التعليق عليه لمزيد تسليط الضوء وضوحا للرؤية...

- أما من يوجه ذهنى فى حقه "فيتو" فهو ما أكون بحاجة فعلا للتعليق عليه... لكنى أحيانا أفعل وأكثرها أمسك... فإن فعلت، أكون بحاجة إلى فترة زمنية لصياغة ردى وعند صياغته، أبقى أراجعه المرة تلوى الأخرى إلى أن أطمئن نهائيا إليه فأرسله (وهذا يتطلب منى عادة من ثلاث إلى أربع أسابيع). وإن أمسكت عن التعليق فلا لرغبة مني... لكن عقارب الزمن المتسارعة تلاحقنى فلا أجد المساحة الزمنية الكافية لصياغة رأيي....

انطلاقا من تجربتى الشخصية، أقترح عليكم أن تخصصوا بريد

"آخر لجمعة من كل شهر" للرد على قراءات الأصدقاء نشره " دراسة فى علم السيكوباثولوجى" وهكذا تسمح لنا بفسحة من الزمن للإطلاع والقراءة والتفكير ثم التعقيب عليها لاحقا... تسمح لنا تقدير ثمار جهدكم بما هو أهل له واستيعاب ما جاء فيه للتفاعل به/ معه لاحقا.

مقتطفات د. جمال التركى

نشرة "الإنسان والتطور" - السنة الثالثة، 14-10-2009 / العدد: 775

" دراسة في علم السيكوباثولوجي (الكتاب 2)"

شرح على المتن: ديوان أغوار النفس

الشغل فى المستحيل

أن يحب أحدنا الآخر بما يليق بالكائن البشرى المعاصر

مقتطفات

تأملت - من جديد - المأزق الذى وجدت نفسى فيه مؤخرا (كما هو حال أغلب الناس ممن ينتمون إلى ما يسمى "الإنسان المعاصر"، وليس "الإنسان العصرى") فوجدت أنه يتأرجح بين تناول العلاقات البشرية بعد أن بلغ هذا الكائن الحى الشقى الرائع: هذه الدرجة من الوعى بنفسه، وبضرورة الآخر شرطا لتواجده بشرا سوياً، أو ما يسمى عادة **الحب** ، وبين ما أسميه **جدل الموت والحياة**، وكلتا القضيتين متعلقتين بدرجة الوعى/الأمانة التى تورط فيه هذا الكائن الخاص جدا المسمى الإنسان

****

أن أعمال الكاتب تكمل بعضها بعضا، فإذا وصلت رسالة مثل الرسالة الحالية بها هذا القدر من التعرية لدرجة التلويح **باليأس أو الاستحالة**، فهى ليست فصل الخطاب، ومثل حروف وأرقام الشفرة (الكلمة المفتاح فى بريدك الالكترونى "مِيلَكْ" مثلا) لا يمكن أن تفتح الشفرة إلا باكتمال إدخال الكلمة المفتاح حَرْفا رقماً.

****

إن ما أحاول توصيله لا ينتهى بحكم يحتاج إلى تعليق (تعليق الحكم) بقدر ما هو دعوة لتحريك الوعى فى اتجاه أرى أنه يصلح أن يجمعنا معا كلما مضينا قدماً أكثر فأكثر، وعندى يقين بأننا نلتقى حين نسعى إلى أن نلتقى، لا حين نلتقى فعلا (أنظر بعد):

****

_إن أى علاقة بين إنسان وإنسان هى علاقة بين عدة أناس، وعدة أناس أُخرْ، بداخلنا معا:

فهى علاقة متشابكة متداخلة، بها من التنافس (والمناورات والمخاوف بين الذوات داخلنا) بقدر ما بها من التكامل والجدل،

****

وعلى الإنسان العصرى أن يعيش شرف محنة قصوره عن معايشتها بما تستحق، بما يلزمه بمواصلة السعى

****

...ثم تمتد بنا العلاقة إلى مستويات أعلى فأعلى من الوعى المشتمل، فنجد أنفسنا نعزف اللحن الأرحب مع الطبيعة المنفتحة إلى الوعى الكونى المفتوح النهاية إلى وجه الحق تعالى.

****

(غنى عن البيان أن هذا التصعيد ليس خطا مستقيما أو درجة بعد درجة، بقدر ما هو دورات معادة تتقدم مع كل دورة إلى ما تيسر من إمكانية تجعل المستحيل ممكنا مع استمرار الدورات حسب كفاءة الإيقاع الحيوى المفتوح النهاية)

****

وأنا أتناول القضية تلو الأخرى بوصف الاستحالة، ثم أصر على أن نقتحم الاستحالة لنقلبها إمكانية، هو ما أصفه أحيانا بـــ "إمكانية المستحيل" وهو شرف الكفاح لنكون بشرا،

****

نحن نتعامل مع:

عدل مستحيل (تحققه، وفى نفس الوقت تحقق ما تيسر منه: قوانين مكتوبة خانقة مختنقة، مع أنها خطوة اضطرارية على الطريق إليه)

حرية مستحيلة (تزيفها وتطمسها ديمقراطية عاجزة أو زائفة مع أنها خطوة اضطرارية على الطريق إليها)

حب مستحيل (يزيحه ويحل محله المستويات "الثلاثة الأولى + واحد"، مع أنها خطوة اضطرارية على الطريق إليه)

****

لم تعد القيمة المجردة تهمنى، بقدر ما أريد التأكيد على العملية الجارية فيها وبها وحولها

- **لا يوجد شىء اسمه "حرية"، وإنما يوجد سعى دائم لزيادة جرعة ما تيسر من الحرية**

• لا يوجد شيء اسمه "الإنسان"، وإنما يوجد تطور مفتوح النهاية نحو ما يمكن أن يكون إنسانا

• لا يوجد شيء اسمه "العدل" ، وإنما توجد معادلة متحركة لتحقيق أكبر قدر ما التوازن بن وحدات الوجود المتكافلة لتعود على الجميع بما يحافظ عليها وينميها معا

• بل إن الحق تبارك وتعالى لا نؤمن به إلى حالة كوننا نتعرف عليه بتحريك" الكدح" إليه

• لا يوجد شيء اسمه الحب، وإنما يوجد شغل طول الوقت لتحقيق تصعيد جدلى خلاق بين أفراد البشر وجماعاتهم لتتلاحق مستويات التواصل فيما بينهم ما أمكن ذلك، إلى إمكانية المستحيل.

مع دعوة لحوح أن يشاركنا القارئ الصديق الصعوبة قبل أن نقدم على التعرية القاسية (للمستويات الأولى على الأكثر) لما هو التواصل البشرى البدئى

****** ***** *****

نشرة "الإنسان والتطور" - السنة الثالثة، 21-10-2009
العدد: 782

" دراسة في علم السيكوباثولوجي (الكتاب 2)"

شرح على المتن: ديوان أغوار النفس

"السدود" على طريق "جدل الحب" والنمو

مقتطفات

الحب بقدر ما فيه قرب، فيه قدر مساو، وأحيانا أزيد من الخوف من القرب.

يسرى ذلك على من يقترب، وعلى من يستجيب لمحاولة الاقتراب

****

وبمزيد من الإغراء بالاستكفاء بظاهر الجذب فالانجذاب، وهما ليسا إلا بديلا عن حقيقة العلاقة وعمقها، ومن ثم نفهم كيف أن هذا الإبدال أو التوقف ليس إلا: **"غيامة كدب وتغطيّة، ومؤامرة غش"**

****

إن علاقة الحب الحقيقية هى حب **لكل المستويات، بكل المستويات**، بما فى ذلك حب الغاوية السطحية، ولو **بابا إلى العمق، ولكن ليس على حسابها،**

****

إن العلاقات (العلاجات) المطروحة على مستوى الاقتصار على الإيحاء والطمأنة والتسكين (بالعقاقير أو بدونها) هو أقرب إلى مستوى الغواية والجذب والانجذاب

****

تواصل العلاج النفسى الأعمق الذى قد يرتقى بالعلاقة إلى هذا التحاور على هذا المستوى، هو الذى يحفز النمو ويطلق جدل التطور بحيث يتم **إعادة التكشيل من خلال أزمة المرض ما أمكن ذلك**

****

لا يوجد علاج حقيقى فيه إطلاق نمو أو إعادة تشكيل إلا ويمر المريض فيه بما نسميه **"مأزق التغيير"** بكل مخاطره وصعوباته والتهديد بمضاعفاته، من هنا، وبالذات فى العلاج الجمعى

****

إن العلاقات البشرية تنبنى على أساس **سلامة لبنَات التواصل الأولى** التى توضع **فى محلها، منذ الطفولة توضع فى وقتها، لغرضها، وهى التى يبنى بها بيت الثقة الأساسية فالكيان النابض النامى.**

****

إن التى (أو الذى) تستطيع أن تطلق داخلها ليشارك فى (لا ليستقلّ بـــ) عملية الحب، لا بد أن تكون **قد اطمأنت طفلة** (ثم بعد ذلك فى أى **ولادة جديدة** فى **أزمات النمو**) إلى أنها ليست وحيدة، إلى أنها جزء من آخرين **يريدونها ويعترفون بها فتزيدهم وتعترف بهم**

****

لكن هل يعقل أن يبنى طفلا ذاته (بيته) دون أن "ينتمى" أصلا؟

****

... فحالت فعلا منذ البداية، بل قبل البداية، دون إلقاء بذرة الحب التى يمكن أن تؤتى أكلها كل حين **"حبا حقيقيا متجددا"** ؟ ذلك الحب المتعدد المستويات التى حيل بينه وبين أن يتنامى بواسطة تلك التى أدت إلى الميكانزمات الاستغناء عنه **بإقامة السدود، ليس فقط سد الغواية البرانية البديلة عن العلاقة، وإنما السد الجوانى التانى، وهو الذى يشير إلى عدم الأمان الأولى**

****

إذن: فالحاجز الذى تقيمه من الغواية الآن ليحول دون العلاقة المتكاملة ليس هو السبب الاساسى فى الإعاقة الحالية، وإنما يرجع السبب إلى الحاجز القديم **"السد الجوانى التانى**

****

يبدو أن من يريد أن يحب، ولا يكتفى بأن "يلعب حبا"، عليه أن يغامر بأن يعطى ويأخذ **"قلب الخساية"**، ولايكتفى بأوراقها أو رأسها.

****

ولكن هل يكون للخساية قلب إلا إذا أحاطته كل هذه الأوراق التى ذبلت وجفت من فرط قيامها بدورها الرائع فى الحماية والدفاعات؟

إن من يريد أن يلقى بهذه الأوراق الصلبة ليكتفى بقلب الخساية هو أيضا ليس محبا، وإنما هو قناص مستسهل.

****

حتى لو لم يكن لدينا بديلا: **"نستعمل الواقع (الخطأ)، لا نستسلم له، ونرفضه حتى نغيره".**

****

وإذا لم نستطع فهل يمكن أن نرضى بالموجود باعتباره النقص الواجب الدافع للتحريك، أم نستسلم له باعتباره البديل الدائم طالما لا يوجد غيره.

تـُرى هل أصبحتْ المسألة أسهل أم أصعب؟

هل نشتغل فى المستحيل ليكون ممكنا،

أم نستسلم للممكن ليصبح مستحيلا

******** ***** *******

بـــــدون تعليـــــــق

أننى أبذل فى هذا الشرح الذى أقوم به، **جهداً أكبر من أى نشرة يوم آخر**، ومع ذلك لا يأتينى عنه ما أنتظر من تعليق، **لا أدرى لماذا لا يعلق الأصدقاء؟**

يحيى الرخاوي

حوار/بريد الجمعة 2009/10/23

****

ثانيا: استجابة د. صادق السامرائى

تحية طيبة

بودى أن اساهم بالرأى والحوار الفكري العلمي المتطور للدكتور الرخاوى...لكني أجد صعوبة ...هل لديكم عنوان بريدي -إيميل آخر- يمكن التواصل من خلاله

د. يحيى:

الأخ الكريم أ.د. صادق السامرائى
أشكرك على كريم اهتمامك، ورقة مشاعرك
أنا أفضل أن يكون التعليق أو الحوار عن طريق بريد النشرة فى الموقع أولا بأول، حتى يستفيد الجميع،
شكرا مرة أخرى لك وللصديق الكريم صاحب الفضل المتجدد أ.د. جمال التركى ، كل دفعة منه برسالة واحدة تكفينى يا د. صادق لمواصلة المحاولة عاما بأكمله، فما بالك وهو يدعو مثلك إلى مأدبة التواصل
شكرا
الحمد لله
وعليك السلام

ثالثا: مشاركة د. صادق السامرائى، ومداخلاتى معه

الأستاذ الدكتور يحيى الرخاوى المحترم

مودتى وتقديرى وتحيتى لهذا التوقد الفكرى المنير

وودت أن أتفاعل مع أفكارك بهذه البداية المتواضعة.:

الإبحار فى عالم الإنسان رحلة ممتعة وشائكة ومذهلة , فما أن تعرفه حتى تزداد جهلا به , وتبقى متحيرا أمام لغة الكون الصغير الذى يكتنز أكوانا بلا حدود.

د. يحيى:

أهلا بك يا د. صادق

أخيرا وجدنا من يأخذنا مأخذ الجد بفضل صبر وترحيب ودعوة الإبن جمال التركى.

ثم دعنى أقر وأعترف بالصعوبة، وأتحمل نصيبى فى مسئولية ضعف التواصل وعسير الحوار، وآمل أن يكون تخصيص يوم أسبوعيا لمواصلة هذا الحوار الخاص سبيلا لإعادة تحرير العمل بما يسهل الأمر ولو قليلا حتى إذا صدر مكتملا - فى صورة ورقية أو إلكترونية - قد يكون أوضح وأكثر فائدة.

د. صادق السامرائي

يبدو أن هذا المخلوق (الإنسان) قد أصبح فى مأزق معرفته لنفسه وتشابك آليات فعله وقوانين سلوكه. ففى القرن العشرين عرفنا عن أنفسنا ما لم نعرفه فى القرون التى سبقته ,

د. يحيى:

أعتقد أننا عرفنا أنفسنا أكثر وأروع فعلا، ولكننا استعملنا فى ذلك بفرحة مشروعة، العقل الحسابى الأحدث جدا، تمّ ذلك على حساب عقول أخرى نحملها أيضا من تاريخنا التطورى، وهنا تجسّد لى المأزق أصعب وأعمق أنظر نشرة أنواع العقول

د. صادق السامرائي

هذه المعرفة شأنها كغيرها من المعارف تستخدم لأغراض متضادة مع بعضها.

د. يحيى:

أنا أقر أن استعمال المعارف له بعد أخلاقى ونفعىّ مهم، وهذا قد يقلب المعرفة إلى غير ما جعلت له، والمثل الأشهر هومعرفة سر تفجير الذرة الذى استعمل للتدمير والإبادة، كما استعمل للتطوير وتوفير الطاقة

لكننى لا أكتفى بهذا التحذير فحسب، لأن منهج المعرفة نفسه قد يكون اغترابيا إذا كان محتكرا أو منفصلاً عن بقية المناهج المكملة له وربما الأعمق والأصدق منه.

د. صادق السامرائي

عندما نتأمل المحبة , نرى أن المعارف والحاجات والتفاعلات والظروف المتغيرة بسرعة ، قد منحتها أشكالا وصياغات غير معهودة وكذلك تفسيرات وتعزيزات غير مألوفة. وهذا يدفع إلى الشعور بغيابها وسيادة ضدها الذى تقف بوجهه سدا يمنعه من الفيضان والإجتياح الأليم.

د. يحيى:

استعمالك يا د. صادق لكلمة المحبة، ربما يكون مفيدا بعد أن التبس الأمر من فرط استعمال وسوء استعمال كلمة "الحب"، وأنا مازلت أذكر كلمة التى استعملها ديستويفسكى فى الأخوة كارامازوف، أظن أن ديستويفسكى استعملها قاصدا ليصف نوعا خاصا من الحب الإنسانى الإيمانى، وقد اختلفت الآراء حول ترجمة هذه الكلمة (وهى كلمة Agape)، حيث فضلت بعضها تعريبها "أجابيه" حتى لا تختلط بما شاع عن الحب فى حين ترجمها آخرون إلى "المحبة"، وهى الكلمة التى استعملتها أنت هنا.

أما رأيك فيما ما لحق بكلمة المحبة، وقبلها وبعدها ما لحق كلمة على من تفسيرات وتعزيزات غير مألوفة فهو ما نحاول مناقشته فى هذا العمل وغيره، ربما امتداد لمحاولات سابقة وبالذات لإريك فروم فى كتابه "فن الحب"...إلخ.

د. صادق السامرائي

ويظهر أن هناك معادلة أرضية قاسية تخضع لها جميع المخلوقات فوقها ولا يمكنها الخلاص منها , وكأن الجاذبية تؤكدها وتحقق نتائجها. وضمن هذه المعادلة تظهر رؤانا وتتضح معالم إدراكنا للمنبهات والاستجابات من حولنا وفينا. فكل متناقض أو متضادٍ موجود ومتفاعل "والضد يُظهر حسنه الضد".

د. يحيى:

أما أن هناك معادلة، فهناك معادلة، وأتصور أنها برامج

البقاء والتطور التى احتواها التاريخ البشرى وهى مازالت قابعة فينا حتى هذه اللحظة.

أما أنها قاسية فهى قاسية رائعة واعده.

أما أن جميع المخلوقات تخضع لها، فأرى أن الخضوع ليس كاملا،ذلك لأن البشر يساهمون فى تطويرها بقدر ما يخضعون لها، وبالتالى فهم يمكنهم الخلاص منها باحتوائها فيما يخلقون به أنفسهم انطلاقا للخطوة التالية.

ولا أعتقد أن استعمال "كلمة الجاذبية" هنا هو الأنسب، وأنا أتصور أنك لا تعنى ما تفيده الكلمة فى الاستعمال العادى ربما تعنى برنامجا أشمل وأكثر إحاطة وامتدادا، دعنا نبحث عن اسم له.

وأخيرا، دعنى أختم ردى شاكرا وأنا أقول: إن انتمائى إلى الجدل الخلاق و الذى يجعلنى أتحفظ على القول "بأن الضد يظهر حسنه الضد" أنا أرى أن *"الضد يتخلق جدلا مع ضده، فيتجلى جمال الآتى"*،

وهكذا

*****

رابعا

تعقيب الأصدقاء على تعقيب أ. أمل محمود

النص الأصلى نشر كاملا فى بريد الجمعة نشرة الأسبوع الماضى ، دون رد تفصيلى، وقد جاءت الفرصة لنستمع إلى ما وصلنا ثم ندعو الأصدقاء لإعادة قراءته ليدلى من شاء بدلوه،

وأعد بأن أقوم بالرد على الجميع الخميس القادم ما أمكن ذلك.

*****

د. مدحت منصور

بريد الجمعة 30 - 10 التعليق على مقال أ. أمل محمود

و الخبز يحتاجه البشر , إن أصغر ما وجد معبرا عن المادة هو الذرة و التي تحتوي على نواة تحوي شحنات موجبة يدور في فلكها الشحنات السالبة و رغم أن رنين كلمة موجب تعبر عن القوة في إدراكنا كما أن رنين كلمة سالب تعبر عن العكس وصلنا من العلم أن الاثنان ضروريان لتستقر الذرة و تصبح متعادلة الشحنة متناغمة مع وظيفتها , إن أول ما عبر عن كائن حي هو الخلية و نواتها و التي تشتمل كروموسومات ذات قواعد نيتروجينية تكمل بعضها البعض يمكن تجاوزا اعتبار أن لكل سالب موجب يكمله فيما عدا كروموسوم y المحدد للجنس الذكري يكمله كروموسوم x الأنثوي و الذي نعتبره سالبا ليكون تركيب المرأة المحدد للجنس xx مقابل xy في الذكر ،

آسف لذكر معلومات تعلمونها جميعا و لكن إذا كان التركيب الجيني ليس واحدا هكذا خلقه الله و كذلك وظيفة الإنجاب فلماذا نتحدث دائما عن مساواة بالمعنى الحسابي و ليس المساواة بالمعنى التكاملي التناغمي , المفترض في الرجل أنه أقوى عضليا و أعلى حنجرة فوجد نفسه مؤهلا للصيد و أظن أن النساء في الكهف كن يقمن بأعمال تتناسب مع القوة الأقل و الدقة الأكثر كسن النصل مثلا. نأتي لرحلة آدم و حواء و التي بدأت بالمعرفة و كان أول ما عرفاه الجنس أظن لضرورته في إعمار الأرض و الذي هو جزء من عبادة أولاد آدم لله إن لم يكن الكل ثم جاءت أول جريمة على الأرض من صنع الرجال ليعرف الإنسان الذنب كما تخبرنا الأديان و تكون رحلته إلى البحث عن العدل و يصبح الرجل قاضياو نبيا كما بدأ مجرما ، لقد قتل قابيل أخاه قبل ظهور قوانين أو أعراف فكيف يمكن القول بأن الشعور بالذنب مكتسب؟ لقد استشرى العدوان و القتل و السبي مع ظهور الجماعات المتشرذمة و التي نمت لتصبح قبائلا فشعوبا ، بدأت درءا للعدوان و طلبا للحماية إلى أن زاد الإحساس بالقوة كإحدى السلبيات للتكافل الاجتماعي, نأتي لمنطقة الجنس فالتقسيم إلى جنس لذي و جنس تواصلي و جنس إبداعي هي عملية معرفية تسهل علينا الفهم و الدراسة أما في أثنائها يحدث كل ذلك و قد تتحول العملية في أي لحظة بين هذا و ذاك و حتى لو أن ذلك لم يكن ماثلا في الوعي مسبقا و قد يحدث هذا حتى في علاقة عابرة أو مؤقته ، فهل ننكر استمتاع المرأة بالجنس عبر التاريخ و قبل ظهور منظومة الأديان ثم فرض رموزها بعد ذلك سطوتهم على المجتمع في كافة مظاهر الحياة بما في ذلك الجنس ، كان الملك يمتلك عددا من الجواري تتفنن في إرضائه فلماذا يحب جارية دون غيرها فيتزوجها , هل تذكرين كيف أعادت راحيل شعبها بأكمله من المنفى ، أما كان يكفيه ما عنده من جواري, لقد أحب ملك فارس جاريته، ربما اختلف التعبير عن الحب، اما الحب فأظن أنه كان موجودا غريزيا أي جينيا في بني البشر.

المشكلة أننا لن نستطيع أن نخبئ ذلك الشعور الطبيعي أو ننكره و نصبر أنفسنا بأنه سيأتي يوم لا تصبح المرأة مثيرة للرجل و بالتالي لن يصبح الرجل مثيرا للمرأة و يتم التقارب بشكل لا يعتمد على كيمياء التقارب على الأقل كبداية و لكن سيتم بالتقييم بشكل أو بآخر ثم من قال أن نظرة المجتمع على عمومه تدين المرأة المغتصبة مع أنك تبدين من مقالاتك أعلى ثقافة من كاتب تلك السطور و تعلمين أبعد من ذلك. أما عن علاقة الرجل بالمرأة و علاقة الاثنين بالحب فهل ينفي كون الحب فعلا أن يكون في نفس الوقت احتياجا، الاعتراف فعل و هو في نفس الوقت احتياج و كذلك الرؤية ثم النظافة الشخصية و العامة و إعداد الطعام و هكذا , لقد عبرت المقالة عن منطلق رائع (الحب تتوافق رغبتي ورغبه زوجتي في الاقتراب سويا ... . .الحب هو العدل بأبسط معانية) ألا و هو أن تظهر صفوة من المجتمع تعبر الموقف البارانوي و الذي اتفقنا أنه السائد إلى الموقف الاكتئابي و برنامج الدخول و الخروج لتعطي مثلا و تربي أجيالا على

ذلك لتتسع الدوائر أكثر فأكثر أما أن نقف موقف المتفرج أو موقف اليائس لنتفرج في حسرة أو إحباط فلن نفعل شيئا للأمام إذن منتظرين أن يفعل الآخرون , مسألة علاقة الرجل و المرأة بالحب لن يحلها نبكي أو نتباكى على ملايين النساء و اللواتي ظلمن في الماضي و لن يحلها أن نعمم حكم على علاقات الحب و الزواج بأنها علاقات صفقاتية أو تجارية انتفاعية أو طفيلية فمن خلال هذه العلاقات ستظهر أنماطا أخرى على نهج التطور فالتطور لن يأتي من فراغ و لكن سيأتي من الموجود المتاح , لابد و أن نمضي قدما على درب التطور خطوة خطوة و أن تحدث محاولات مجهضة و لكنها سوف تضيف للوعي الجمعي و الذي سوف يتراكم بإذن الله العدل لتحدث تلك الطفرة التطورية.

****

د. محمد أحمد الرخاوى

والله قلبتي علينا المواجع وهيجتي علينا قضيتنا المحورية

قضية الحب الحقيقي وما هيته وادواته وعلاماته وما نعيشه اليوم في هذه المرحلة التطورية الانقراضية من عمر البشر

وعلاقة كل هذا بماهية زيف ما يسمي الحضارة الغربية الحالية كاحد وجوه العملة ونفاق وغباء ما يسمي عكس الحضارة الغربية في الوجه الآخر للعملة

في الغرب حيث اعيش لا يوجد ما يسمي حب اصلا وهذا شبه مكتوب في دستورهم الغير مكتوب!!!!!!

احبك بامارة ايه!!!!!!

حاجة كدة زي عبد الوهاب لما قالها وازعل منك ليه مانتي بنت قحبة واطية!!!!!!!

يختنق الناس في الغرب في اليوم الواحد ملايين المرات بسبب هذا الجفاء الصارخ --دون ان يعترفوا به-- فيظهر في موجات العنف والتفسخ الاجتماعي والشذوذ الذي (اعترف به وجودا اساسيا)

ينخر سوس الغباء والانانية والغطرسة وتقنين العدم (عكس الفطرة التي هي الحركة المركزية اليها)) في هذا المسخ فسينهار حتما قريبا ولو بعد مئات السنين

ملحوظة :- يموت كثير من الناس في بيوتهم فلا يعلم احد بموتهم الا بعد ان تتعفن الجثث وتنبعث ريحة الجيف!!!!!!!!!!!!

علي الوجه الآخر من الوجود تكثر التشويهات الصارخة للعلاقات بين البشر بما فيا من رياء ونفاق وبالتالي جفاف حتي لو كان الناس في ظاهرهم مجتمعون

الامثلة النادرة في التكافل الحق والحب الحق هنا وهناك للاسف لا تكفي لاستمرار هذا الكائن الرائع الظالم الجاهل

اذن مـاذا

اكرر ما ذكرته في البريد الماضي انه اذا لم يتولد وعي جمعي حتمي فعلي العصر اللعنة والطوفان قريب

والله اعلم

أخيرا يا سيدة امل محمود لا تجزعي واعبدي ربك حتي يأتيكي اليقين واليقين قد يكون هو الموت

ولكن اليقين اليقين هو ما يتخلق داخلنا مستمدا من خالق اليقين!!!!

****

د. يحيى:

وفى انتظار إسهامات أخرى، آملين أن تكون مختصرة ما أمكن، بما ذلك إسهامات الصديقة التى أثارت كل ذلك الحوار

شكرا.

الإربعـــــــاء 11-11-2009

804-امتـــداد وقفـــة المراجعـــة (2):الحـــق فـى الحـــب

بـين الاخذ، والـتسول، والـسرقـة، والخطف، والـصفـقـة، والـفـرض!

عينة من جلسة من علاج جمعى (منذ أسبوع واحد)

مقدمة

أدت بنا هذه الوقفة للمراجعة إلى العودة إلى ملف الحب والكراهية، كما ورد فى فى هذه النشرة بأشكال مختلفة خلال أكثر من عامين، من أول الألعاب النفسية، حتى أراجيز الأطفال، مرورا بما عرض فى حالات وأحوال، كما دارت مناقشات لم ينشر أهمها حول تسول الحب، وأيضا الحب كحق اساسى للوجود البشرى، ..إلخ، وكنا على وشك مناقشة كل ذلك، إلى أنه قد حدث فى الجلسة الأخيرة للعلاج الجمعى فى قصر العينى بتاريخ 4 نوفمبر 2009 أن أثير هذا الموضوع بشكل مباشر، **فرأينا أن نعرض نص ما دار فى الجلسة تأكيدا لأننا لا نتناول مواضيع نظرية، وإنما هى قضايا مستثارة بشكل مباشر فى الحياة والعلاج علا حد سواء**

سوف نعرض نص ما دار فى الجلسة بهذا الشأن اليوم

ثم نعرض غدا نص "الميكرو دراما" ولو أنها لا بد أن تعرض بالفيديو، لكن يحول دون ذلك اعتبارات أخلاق المهنة.

ثم نعد أن نعرض الاسبوع القادم التعليق على هذا النص، ومناقشته مع الزملاء الذين حضروا هذه الجلسة واشتركوا فى النقاش.

ثم نرجع إلى شرح ديوان أغوار النفس، علما بأن كل هذا ليس إلا شرحا له

هيا نرى ماذا حدث فى المجموعة أولا، حتى دون تعريف بأفرادها

اللهم إلا ترك أسماء الأطباء بدون تغيير، كما اعتدنا من قبل

.....

.....

هيام: أنا تعبانة

د.يحيى: هو فيه حد بيجى هنا غير عشان تعبان؟ يعنى انت وزملاتك واحنا بنيجى هنا الساعة سابعة ونص الصبح عشان نتعلم مزيكا، ما عشان تعبانين، لأه يا هيام مش معقول بعد 4 أشهر نبتدى من الأول خالص أحنا عملنا اتفاق يا بنتى وعرفتى نوع اللى بنعمله مع بعض، لأ يا هيام آن الأوان تخطى خطوة

هيام: أنا تعبانة، وعازوه ارتاح

د.يحيى: بذمتك احنا اتفقنا على كده؟ مش احنا قلنا احنا بنعالج، مش بنريح وخلاص، ونتيجة العلاج بنحصل على راحة من نوع تانى، إحنا يا هيام لازم نستحمل واحنا طالعين سوا

هيام: أنا حاسه أنى أنا نزلت

د.يحيى: هو أنتى طلعتى علشان تنزلى يا بنت الحلال، الكلام ده على العين والرأس لكن مش حاينفع ياهيام مش حاينفع تقدرى تروحى تشوفيلك علاج تانى وتريحى لأه ياهله لازم دلوقتى نعمل حاجه سوا سوا

هيام: أعمل إيه، أنا عايزة أموت

.....

.....

.....

د.يحيى: طب زى ماقولت لك فى الأول، حتى دى، بتقوليها وانت واقفة مطرحك

هيام: إزاى يعنى؟

د.يحيى: لما تقولى انا عايزه اموت ومش عارف ايه يبقى فيه هدف وراها، إنت بتقوليها ومش شايف احتجاج فيها، ولا حتى علامات موقف مختلف، زى ما تكونى بتشحتى مننا حاجة كدة مش واضحة، شوفان، طبطبة، ما فكرتيش بدال ما تمدى إيدك كده عمال على بطال، وما بيوصلشى ليكى حاجة، ما فكرتيش تدى لحد حاجة؟

هيام: لأه

د.يحيى: ليه؟

هيام: مش عارفة

د.يحيى: طب سمعتينى وانا باقول اللفظ القبيح ده بتاع الشحاته، إذا كنتى عايزة تشوفى قبحه قد إيه، ياللا نعمله بشكل مباشر، شحاته بشحاتة ياللا اشحتى مننا اللى انتى عايزاه، يمكن.....

هيام: انا عايزه حب

د.يحيى: حب!!!؟؟؟

هيام: آه

د.يحيى: ماشى، ياللا اشحتيه مننا واحد واحد، واحده واحده، ياللا: يافلانة والنبى اديني شوية حب، يافلان حن على بحبة حب، ياللا لفى علينا، إحنا كنا بنعلب زمان لعبة اسمها حبة ملح يقولك عند الجاره عارفاها، كنا نقعد كل واحد فى ركن من أركان الأوده الأربعة، والخامس يلف علينا واحد واحد، يقول حبة ملح، اللى فى الركن يقول له عند الجارة، وبعدين نسهيه ونتبادل الأركان، وان كان شاطر هوه يجرى ويلحق ركن له قبل ما التبادل يتم، حاجة كده زى الكراسى الموسيقية، ياللى لفى علينا ومدى إيدك وقولى، حبة حب، واحنا يمكن نقول لك عند الجارة، وانت وشطارتك يمكن تلحقى حاجة، ولا حا تشحتى وانتى واقفة مطرحك وراسك مايلة بنفس الزاوية كده بقالك خمس شهور؟

هيام: مش عارفة

د.يحيى: يلا يا بنتى اشحتى شوية حب من ده ومن ده بنفس اللفظ ده عشان تشوفى نفسك، عشان تشوفى حا ينفع ولا ما ينفعشى؟ عشان تشوفى منظرك يا شيخة يمكن تفوقى، ياللا والنبى الله يخليكى، ياللا يا هيام بدال حكاية الموت دى، ولا حتى على ما ربنا يكتبها لك أديكى بتتسلى بدال مانتى قاعدة، ياللا يا هيام ....

هيام: دكتوره منى انا عايزه شوية حب

د.يحيى: يابنتى اشحتى بمسكنه، مش انتى عارفة إننا ساعات بنمثل، ياللا اقلبيها دراما ومثلى

هيام: لأ ما اعرفش انا كده

د.يحيى: ما احنا بنتعلم، نفس اللى قلتيه، بس بمسكنة وشحاتة

هيام: بيبقى جوايا ده، بس ما بعرفش اطلعه

د.يحيى: ما احنا بنطلعه سوا سوا، واحده واحده، بنتلم ونكتشف نفسنا واحنا بنمثل، ياللا اشحتى يا هيام امال وحاولى تتقنى الدور

هيام: مش عارفه اعملها

د.يحيى: هو انت بتعملى غيرها، لو تفكرى راسك دى وهى مايلة على جنب بمسكنة كده، وانا عمّال أحاول تعدليها بقالى شهور واقول لك تبصى للى بتكليمه، لو تعرفى معنى الميلة دى، تعرفى إن راسك بتقول حاجة زى كده، حتى وانتى بتقولى عايزة أموت، زى ما تكونى بتشحتى حد يوافقك على الفكرة، لأ ومش بس يوافقك ويسهلها لك كمان، ميلة راسك على كتفك دى بتشحت حب، حسك بيشحت حب، كتفك نازل على ناحية بيشحت حب، وقفتك بتشحت حب، يا شيخة حرام عليكى فى حق نفسك، مش كده، هو انت بتعملى غير الشحاته، إيه رأيك؟ ياللا ندور على حاجة بدالها.

د.مى عبد السميع: آه آن الأوان بقى يا هيام

د.يحيى: يا ترى آن الأوان نعمل إيه يا مى، هوه إيه عكس الشحاته، ايه رأيك يا محمود؟ فيه فرق بين واحد بيشحت حب، وواحد معترف إنه عايز حب، بس ما بيشحتوش، تفتكر بيعمل إيه،

محمود: بيدى، العطاء عكس الشحاتة،

د.يحيى: أنا موافق، بس ده حاجة تانية، خلينا دلوقتى فى الأخد، نأجل العطاء لبعدين، أصل اللى بيشحت ولا حتى اللى محتاج قوى، يمكن يكون عطاؤه استغماية، هوه مقبول صحيح أحسن من الشحاتة، بس حقه راح فين لما يقلبها عطاء كده على طول وهو فى عز عوزانه للأخد يا شيخ، ما اتخافشى، إحنا كلنا مشتركين دكاترة ومرضى، كلنا محتاجين، بس مش لدرجة الشحاتة، الشحاتة شىء، والاحتياج شىء تانى.

محمود: الظاهر كده

د.يحيى: فيه حد هنا فينا كلنا مش عايز حب؟ طيب لو انت يا محمود عايز حب، واعترفت بكده، دا حقك الطبيعى، وما صلشى لك كفاية، أو ما وصلشى خالص، يا تشحته يا إيه؟

محمود: بصراحة كلمة تشحته دى صعب خالص

د.يحيى: ما انت عارفنا هنا، إحنا بنعرى المسائل زى ما انت عارف، هه! يا تشحته يا ايه

د.مى عبد السميع: ياخده

د.يحيى: ياخده؟ باين كده، هوه يا ترى الأخد غير الشحاتة؟ ما هو اللى بيشحت ما هو بياخد حاجه برضه، وأظن لما بيتأخروا عليه بيقلبها شحاتة، هوه ما فيش حاجة يا محمود غير كده عشان الواحد يتحصل على حقه؟ على حقك؟

د.محمود: يسرقه

يحيى: ماشى برضه، جرى إيه يا جدع انت بتسهلها ولا بتصعبها، أنا شايفك بتفاجئنى بحاجات مية مية، بس مش برضه

يا محمود السرقة تعتبر شحاتة غير شرعية، حاجة كده الأخد من ورا صاحب الحاجة، لكن فيه نوع من السرقة زى قطع الطريق، عينى عينك، يعنى تروح خاطف الحاجة من صاحبها عينى عينك، وان كان عاجبه، دى بقى مش شحاتة، دا انت بتاخد بالعافية، بس اللى بتاخده ده مش حقك، فإذا كان حقك تبقى عامل زى اللص الشريف، بتسترده، حاجة كده، يعنى تروح خاطف الحب كده واللى عاجبه، حقك يا اخى،

محمود: إزاى يعنى فى حكاية الحب دى، إزاى يعنى يكون حقى وآخده بالعافية زى قاطع طريق

د. يحيى: لو واثق إن الحق ده طبيعى، وإن ربنا اداهولنا بمجرد إن احنا اتولدنا، يبقى زى ما تكون بتقول للى حرمك منه، أو مش واخد باله: "جرى إيه يا جدع انت"، إنت ما تحبنيش ليه؟ بأمارة إيه؟ إيه رأيك يا محمود؟ يالله نختار حاجة من اللى اتقالت دى، ونجربها بطريقة الجروب، لحسن احنا كده زى ما نكون بنتناقش، وهيام مش معانا خالص، ياللا نشتغل هنا ودلوقتى، يمكن هيام تاخد بالها، وتشوف تبطل الشحاتة اللى هيى بتذلها دى، وما بتخلصشى، يعنى اختارلك حاجه من اللى اتقال ده كله: يا "تشحت" يا "تخطف" يا "تسرق" يا "تفرض"

محمود: أختار أخطف

د.يحيى: ماشى: يا للا نشوف حاتخطفه من مين فينا دلوقتى.

محمود: اخطفه من الدكتور يحيى الرخاوى

د.يحيى: عالبركة، إنت شايف أنا مرسوم ازاى النهارده، ولابس رسمى، عندى معاد مع الحكام بعد الجروب، ياللا اخطف لك شوية حب من غير ما تستأذنى، يعنى تنقض على الحاجة اللى انت شايفها تتخطف عندى بسرعة، وتخبيها وتجرى، إنت ما شفتش حدّ ايه وهى بتخطف كتكوت؟

محمود: لأ ما شفتشى، بس أنا بصراحة مستصعبها قوى

د.يحيى: عندك حق، بس حا نعمل إيه، إذا كان حق يبقى حق، يبقى بنمارس اللى ربنا خلقنا بيه، حتى لو خطف يا شيخ، حا نعمل إيه، أهو على الأقل أحسن من اللى هيام بتعمله فى نفسها ده، بس بينى وبينك: باين إننا كلنا بنعمله بس بدرجات مختلفة، واحنا مش داريانين. عايزين نبقى قد الكلام، إحنا انتقلنا من الشحاتة والأخد، إلى الخطف، أظن فيه حاجة أحسن من كده، لو حق بصحيح يبقى نفرضه فرض

محمود: يعنى إيه الفرض بأه، هوه الحب بتفرض

د. يحيى: الحب ما بيتفرضشى، إنما الحق فى الحب بيتفرض يا أخى، وإذا كان الحب حق، ليه يعنى ما يتفرضشى، إذا كان اللى حواليك مش شايفينك، ولا شايفين حقوقك، شوفها انت يا اخى، وافرضها،

واذا ما نفعتشى، إنت خسران إيه؟ مش ده اللى احنا بنتعلمه هنا، بدال الزن والمسكنة، إنك تخليك محتفظ بحقك حتى لو ما حدش إداهولك، أنت تخليك محتفظ بيه عشان ربنا هوا اللى اداهولك ما دام اتولدت بيه، ما دام انت بنى آدم.

ناهد: ما يمكن انا باحب واللى جنبى مش شايف ان انا بحبه

د.يحيى: إنشالله ما شاف، يبقى هو مش واخد باله من حقه، ما يرجعشى بقى يزن ويشحت يبهدل نفسه، زى هيام، الأول تشحت الحب، وبعدين ما تلاقيش، أو ما حدش يديها، أو ما ينفعشى، ما هو اللى بيتدى بالشحاتة ده ما منوش فايده، ده شغل، زى قلته، وبالتكرار يتعود عليه لحد ما يشحت كل حاجة، أنا بيتهيأ لى هيام بتشحت الموت زى بنتشحت الحب .

ناهد: طب يعمل إيه الواحد لو اللى جنبه ما حسش إنه بيحبه

د.يحيى: هوه الأول يبتدى بنفسه، يعطى نفسه الحق قبل ما يدوّر على اللى جنبه، عشان المسألة تبقى طبيعية، مش يقعد يحب وهو ما بيتحبشى ومش واخد باله، وحتى لو شعر بحقه، وما خدوش زى ما هو عايز، يتمسك بيه أكتر، مش معنى إنه ما وصلوشن إن يتنازل، كده يخسر مرتين، مرة وهوه بيحاول وما يحصلشى حاجة، ومره وهوه محروم.

ناهد: طب انا أجيب الحاجات دى ازاى يعنى، حضرتك بتقول كلام جامد قوى، مش عادى

د.يحيى: حا نعمل إيه يا ناهد، ما هو العيا برضه مش عادى، بيدخلنا معاه فى مناطق مش عادية، يعنى عاجبك هيام كده؟ نسيبها تموت يعنى بعد ما تلاقيش، ولا نسيبها تحت رحمة شحاتتها وعجزها والإهانات اللى بتهينها لنفسها وتشلها مطرحها وعوجة رقبتها كده زى التمثال يا شيخة حرام عليكى، ده وضع سلبى جدا، عمره ما يوصّل لحاجة

ناهد: يعنى إيه سلبى؟

د. يحيى: زى ما نكون، أو تكونى، عايزه الحب يبقى معروض فى سوبر ماركت، الواحد يمد إيده ياخده من عالرف، إيه رأيك يا إبراهيم نقعد نشحت من بعضينا طول العمر، ولا نعمل إيه؟

إبراهيم: احنا ما بنشحتش

د.يحيى: هو احنا بنعمل حاجه تانية غير كده، يا راجل، يا راجل حرام عليك.

إبراهيم: إذا كنا انا عايز هيام تحبني؟ انا أحب هيام الاول

د.يحيى: انا باتكلم على حقك انت الأول، اللى انت بتقوله صح، بس نبتدى بيك إنت، عشان ما تربطشى دى بدى قوى هيام تزن تانى: عايزة أموت، وبعدين قلبتها عايزه حب، أصل انت جيت متأخر يا إبراهيم

إبـراهيم: أنـا آسف

د.يحيى: ولا يـهمك، بس ما تـعملهاش تـانى، المهم، هيام النـهارده عملت حاجه بسيطه خالص انها أعلنت انها عايز حب بطريقه وصلتنا انها شحاته، مش عارف هى صدّقت ولاّ لأه، إحنا سيبناها واشتغلنا مع بعضينا كلنا، عشان تتطمن إنها مش هى بس اللى محتاجة كده قوى، لما نرجع لها حاتشاركنا إن شاء الله، فاحنا ما بنتكلمشى على إن احنا ناخد وندى دلوقتى، ده كلام كويس، أنا مش معترض عليه، كل الناس عايشة بيه، ما فيش مانع، ولو انها بينى وبينك، مرحلة ربنا يسهل واللى يقدر يعديها يعديها، أنا عمرى ما اعترضت على الصفقات، مش عيب، خصوصا لما تبقى صفقات معلنة، وقابلة للمراجعة

إبـراهيم: يعنى إيه

د.يحيى: لأه بقى، ما هو مش درس بقى حاقعد أشرح، أنا مش خوجة، إحنا دلوقتى استبعدنا الشحاتة، والسرقة، والخطف فى السر، وبرضه عرفنا إن صفقة الجروب عمرها محدود من ساعة ما بدأنا، يا ترى فيه إيه فاضل دلوقتى قدامنا عشان ناخد حقنا زى ما ربنا خلقنا. احنا دلوقتى فى منطقة تانية، حتى الصفقات مش متاحة، أو مش كفاية، ولا هى متاحة وجاهزة، ويمكن ما عادشى نافعة بالنسبة لنا، بقينا نفقسها لو فيها ظلم أو كذب أو حاجة من دى، إحنا دلوقتى فى حقى وحقك، بعيد عن لعبة الصفقات شوية

إبـراهيم: إزاى؟

د.يحيى: زى مانت شايف، إحنا دلوقتى فيه قصاد إن نشوف حقنا إن احنا نتحب ومش عارف ايه، إحنا بنتكلم إن انت عايز حب، وده حقك، تحصل عليه ازاى؟ هنا ودلوقتى؟ هل ممكن؟ هل فيه طريقة نتعلمها سوا، ولو حتى ما نمارسهاش غير عينة كده، طريقة تغنينا عن إننا يا نشحت يا نسرق يا نخطف؟ ما هو الحق لو وصل لك إنه حق بصحيح، يبقى تتعلم إنك تفرضه واللى عاجبه.

إبـراهيم: يعنى احترام مثلا؟

د.يحيى: بصراحة أنا باعتبرالاحترام هو من أعلى مراتب الحب، بى يبقى احترام مش تفويت من فوق، يعنى يبقى فيه عدل بصحيح، خلينا فى الحب، ولو ان الكلمة دى برغم كتر استعمالنا ليها بقت بتلخبط، يا شيخ كل واحد بيستعملها شكل تانى، بس ما قدامناش حل تانى، إنت هنا ودلوقتى عايز حب من الدكتوره منى عايز حب من ناهد عايز حب من أمجد، سيبك من أى كلام تانى دلوقتى، إنت بنى آدم ربنا خلقك، يبقى لازم تتحب عشان تعيش، مش كده، يبقى من حقك تتحب، وانت كنت مش واخد بالك زى أى حد فينا، بدرجات يعنى، جيت الجروب المنيل ده، وهيام راحت قايلاها، راحت مطلعاها من جوانا كلنا، طلعتها على الوش عندنا كلنا، قالت أنا عايزة اموت، بعدها على طول، أنا عايزة حب، زى ما يكون لو ما لاقيتشى

الحب اللى هى بتتطلبه، يبقى ما فيش غير الموت، بس هى طلعت مش بتتطلبه، دى بتشحته، أنا شاكك بقى إن الشحاتة دى تنفع لأى حاجة، حتى لو وصل منها حاجة، حاتبقى الحاجة اللى وصلت مغشوشة ومالهاش فايدة، الشحاتة لا بتوصل حب ولا نيلة، وهيام وغير هيام بتقدر تفقس المسألة لما تتكشف لأى سبب، وكتير بتتكشف لوحدها بمرور الزمن

إبراهيم: إزاى يعنى

د.يحيى: يعنى بالعيا، بتجربة كده ولا كده، بكبران، الواحد يكبر عن المرحلة دى، أى حاجة

إبراهيم: يبقى ياريتنا ما نكشفهاش

د.يحيى: بس اهى اتكشفت واللى حصل حصل، وادى احنا زى ما يكون لقينا إن البضاعه دى فاسدة، الشحاتة يعنى، لا بتوصل حب ولا حاجة، دى بالعكس، يعنى يجوز تعمل بهدله وتشويه وحاجات كده،

إبراهيم: طب حا نعمل إيه فى المقلب ده، دا الواحد....

د.يحيى: لأه عندك، إحنا هنا ودلوقتى، ما نقولش بقى الواحد والحب وعلى الانسان ان يحب أخيه الإنسان، وكلام شعارات من دى، أنا عايز حب، إنت عايز حب، هيام عايزة، نشوف حانتصرف ازاى، بعد كل اللى كشفناه ده، مش عايزين نشحت، وصفقة الجروب حتى لو رضينا بيها وصدقناها عارفين إن لها عمر محدود، ما ينفعشى تبقى بديل، إحنا بنتعلم منها إللى نعيش بيه بعدها، نعمل إيه؟

إبراهيم: طيب عايزين نتتعلم

د.يحيى: لا يا عم، ما انت عارف، أنا مش خوجة، إحنا مش فى فصل هنا، إحنا بنجرب ونشوف، ونراجع، وحاجات كده، ياللا يا بو حميد باسم الله

إبراهيم: يعنى أعمل إيه

د.يحيى: أى حاجة حسب قواعد الجروب، ربنا حطنا فى اختبار يشوفنا نستاهل الحقوق اللى اداهالنا ولا لأه، أدى حقك، وادى حق هيام، وادى حقى، حانعمل إيه؟ ما هو ما خبيش عليكوا ما مانا من حقى اتحب برضه، مش عشان دكتور كبير تقرطسونى؟ يعنى أنا باتكلم عن حقى انا شخصيا، زي يكم، انت عايز حب دلوقتى ولا لأه يا إبراهيم

إبراهيم: عايز طبعا

د.يحيى: أهى دى البدايه، تحصل عليه ازاى، وانا زيك وكلنا. ياللا عالبركة، إبتدى يا إبراهيم

إبراهيم: يا دكتور يحيى دلوقتى انا لازم احبك

د.يحيى: يا خبر!!، شفت يا إبراهيم، برضه بديت بإنك

تبنى، وبإنه لازم، بقى ده اسمه كلام يا ابنى ما تظلمش نفسك، إنت مصمم تدفع الحساب قبل حتى ما تتأكد إن البضاعة اللى انت دافع حسابها موجودة ولا لأه، إيه ده،حرام عليك

إبراهيم: يعنى حا تحبنى من غير ما انا احبك؟

د.يحيى: تانى؟ دى صفقه جيده انا مش رافضها، ما هى دى اللى احنا عايشين بيها كلنا لحد دلوقتى، بس احنا فى منطقة تانية اضطرينا ليها، منطقة تعرف حقك الأول، وبعدين تشوف حاتاخده ازاى، وكلام من ده، بعد كده نحسب دى قصاد دى، ما فيش مانع. يا ابنى اللى انت بتقوله ده ماشى فى الدنيا كلها، ومقبول، واهو ستر وغطا، بس احنا فى منطقة تانية.

إبراهيم: أعمل خير عشان تحبنى مثلا يعنى

د.يحيى: برضه حاسبها من ناحيتك الأول، للمرة الألف أنا مش رافض الصفقات، الغناوين كلها كده، إيه المانع، "حبنى قد ما تقدر يا حبيب القلب حبى لك اكتر واكتر من كل الحب"، خمس قصاد ستة: "كتّـر له كتّرله، إن حبك كتّر له وان لبّك كترله"، حاجة كده " إن حبتنى أحبك اكتر وان ملتنى راح انسى هواك"، إحنا مش فى كده، كل ده مقبول، إنما بقى هنا ودلوقتى إحنا لقينا نفسنا مضطرين ندور على حاجة تانية، بعيد شوية عن الصفقات

إبراهيم: طب حضرتك حبنى من غير أى حاجه خالص هنا ودلوقتى

د.يحيى: إمال أنا باعمل إيه، بس عندك حق، إلظاهر أنا باحبك على شرط تخف، ما هى صفقة برضه

إبراهيم: ما هو يا دكتور يحيى الحب مش حايجى إلا بالطريقه دى

د.يحيى: يا ابنى إنى انا اخد وادى، وتقدملى واقدملك دى قصاد دى، ماشى، أنا وموافق بس...

إبراهيم: ما عنديش حل تانى بصراحه

د.يحيى: طيب نبتدى بيه، ونشوف هوه ده اللى حايحل إشكالنا وإشكال هيام ولا لأه.

إبراهيم: ما هو مسيرك حايترد لك برضه الحب

د.يحيى: يا أخى انت تاجر صعب، ناصح، ومع ذلك لازم فيه حاجة تانية

إبراهيم: ما عنديش حاجه اقولها

د.يحيى: انت عملت اللى عليك يا إبراهيم، وعنادك بيخلينا ندور أحسن، إوعى تفكر انك بتقول كلام غريب، انا اللى باقول كلام غريب، بس مضطر والله، حاسس إن هو ده العلاج، يمكن احنا عيانين، والدكاترة دول وانا منهم رضيوا

يشاركوا العيانين، فاتورطوا معاهم ما يسكتوش على صفقات عمرها قصير، أو طويل بس فى الأخر صفقات هس هس، ولا ايه يا (دكتورة) منى، بس ما تنسيش إنت من حقك تولعى النور الاحمر فى أى وقت، اللى مش عايزة تشاركى فيه، ترفضى لحد ما تولعى الاخضر، وبعيدين عينك ما تشوف إلا النور، هه حاتولغى النور الأحمر ولا نكمّل؟

د. منى: نكمّل

د. يحيى: يعنى انت دلوقتى عايزه حب ولا مش عايزة حب يا منى

د.منى: أكيد

د.يحيى: بلاش حكاية أكيد دى، خلينا ناخد وندى واحدة واحدة

د.منى: آه

د.يحيى: يعنى انت عايزه حب؟

د.منى: آه

د.يحيى: طيب، إنتى لاحظت إن الشحاتة مش نافعة، ورفضناها لما هيام ابتدت بيها، ولاحظتى إننا بنرفضها (يلتفت إلى هيام) ..على فكرة يا هيام أحنا مش بنرفضها يا هيام علشان هى وحشه، لأه دى عشان هى مش نافعه، ويا ريت مش نافعة وبس، بتزود النصيبه نصيبتين، يعنى تذلى نفسك وما تحصليش على حاجه، خدتى بالك؟ يعنى انا باقولك عيب تشحتى مش عشان العيب واللى مش عيب، لأه عشان مش نافعة زى ما انتى شايفة، هى نافعة ولا مش نافعة..

هيام: لأ ه

د.يحيى: طيب معلشى، خلينا مع منى الاول، دكتورة برضه، إنت عايزه حب يا منى

د.منى: آه عايزه حب

د.يحيى: هى الشحاته نافعه يا منى،تحبى تجربى

د.منى: لأه

د.يحيى: هو انت بتعملى حاجه غير الشحاته

د.منى: آه، باعمل حاجات غير الشحاته، بادى كتير

د.يحيى: برضه بتعملى زى إبراهيم، تدى عشان تاخدى، يا بنتى ما فيش مانع، بس يابنت الحلال إحنا بندور دلوقتى على بداية تانية، إنك تحصلى على حقك، إنك تشعرى بيه، إنك تتمسكى بيه، وبعدين نشوف طريقة، تدى الأول وانت مش ضامنة تاخدى أصلا، حا تاخدى ازاى وانتى مش شايفه إنه حقك من

أصله، حاتاخدى لمجرد إنك إديتى؟ إنت دكتوره قد الدنيا ولا عيانه ولا حاجه، وده حقك عشان انت خلقة ربنا، تحصلى عليه ازاى؟، والدنيا زى مانت شايفة؟، تحصلى عليه ازاى، دلوقتى إبراهيم بيعمل زى كل الناس قالك أدى آخد، معقول، حاجة أخلاقية مية مية، إنتى كمان، عملتى زيه، معقول برضه، بس انا عمال أهابر عشان أأكد الحق الأول، حقنا من البداية، لو ده مش حق طبيعى يبقى الأطفال حا يعيشوا ازاى، ازاى نطلب من عيل ساعة ما يتولد إنه يدى عشان نحبه، ما هو الحق ده لسه هوه هوه موجود جوانا، بس يبتنظم وحاجات كده، إحنا هنا بندور عليها عشان نبتدى منه، ده اللى يمكن يحل إشكال هيام، وإشكالنا كلنا، ويمنع الشحاتة، احنا محتاجين حاجه اعمق، أضمن، إوعى تفكر يا إبراهيم ان انا رافض اللى بتقوله إنت أو مُنى، يمكن يا ابنى انا عامل حساب إن يمكن الشخص اللى انت حاتديله ده ما يرجع لكشى حقك اللى انت اديته عشان تاخده، تتسوح انت كده، أو يمكن تكون طالب حاجات مش عنده، وانت مش واخد بالك، ولا يمكن يستعبط ويديك حاجات فالصو مش انت اللى دافع التمن قصادها، أو حتى يديك مقلب قصاد اللى انت اديتهوله.

إبراهيم: اذا أنت اكرمت اللئيم تمردا

د.يحيى: إعمل معروف، إحنا ما بنستعملشى حكم وأمثال هنا، ومش عايزين نلبخ ونشتم، ما يمكن كلنا كده، ايوه يا دكتورة منى حاتولعى النور الاحمرولا تحبى تكملى مع الدكتورة مى أخف منى شوية، وانا إرجع خطوتين للخلف، بس اوعى تعملى إنت وهيَا شغل المجاملات بتاعة الدكاترة الحلوات المهذبات.

د.منى: لأ لأ، مش مسألة مى بس انا بافكر اعملها ازاى هنا ودلوقتى

د.يحيى: احنا قلنا خمس حاجات تقريبا على قد ما انا فاكر، "تشحتى" "تسرقي" "تخطفي" و"تفرضى"، وما رفضناش قوى "تدى- تاخدى"، إنت حرة تجربى أى حاجة من دول، ولا يمكن عندك حاجة جديدة لنج غير دول، المهم تورينا ازاى حا تاخدى حقك إنك تتحبى زى ما ربنا خلقك.

د.منى: بصراحة صعبة

د.يحيى: يعنى هى عشان صعبة، نتنازل بقى عن حقنا ولا إيه، ولما هى صعبة كده بنعرضها على العيانين ليه واحنا يا دكاترة مش قادرين عليها؟ إيه رأيك يا إبراهيم، تيجى نتنازل عن حقنا فى الحب يا إبراهيم ما دام مش عارفين ناخده، تيجى نستغنى عنه؟

إبراهيم: ما ينفعش

د.يحيى: طب نعمل ايه؟

إبراهيم: انا اللى انا عندى قلته

د.يحيى: اى حد يا جماعة عنده حاجة يقترحها علينا يقول لنا نعمل إيه، نعمل إيه يا أمجد؟ مش انت عايز تتحب زينا كده برضه، يا أخى قل لنا طريقة للحصول عليه، أنا عارف إن انا صعبتها، مع إنى كنت متصور إنى باسهلها لما باقول إن دى خلقة ربنا، ما دام أنا اتولدت، يبقى من حقى أتحب من غير ما اعمل أى حاجة، بالذمة إيه الصعوبة اللى فْ ده، نييجى نطبقها، نلاقينا ركنا حقوقنا دى على جنب، وهات يا صفقات، حا نعمل إيه؟ ماشى، بس ما توصلشى للشحاتة، والخطف والسرقة والبلاوى الزرقة دى. مش هما برضه أهلى هما اللى خلفونى، يعنى ربنا خلاهم يخلفونى عشان يركنونى جنب الحيطة، مش عايزين نلوم حد، إنما الظاهر المسائل بتمشى غلط، لما العيال ما ياخدوش حقوقهم، وهُبْ نلاقى نفسنا كبار وناقصنا حقوق كتير، نقوم نلبخ، وبعدين نعيا أو ما نعياش ونواجه الموقف الأصلى من أول وجديد زى دلوقتى، نعمل إيه يا أمجد إعمل معروف، قول حاجة

أمجد: مش عارف

د.يحيى: ما هو اذا ما عرفناش كلنا، وده محتمل، يا نقبل الشحاته، يا نستغنى عن حقنا، أنا ما ليش نفس نهرب من الموقف بإنى أقترح لعبة، إنتى عارفة يا مى أنا باتجنب اللعب اليومين دول عشان احنا كبرنا، وباخاف أكون باستسهل عشان الوقت يمر، أنا فاكر لعبنا لعبة أو أكتر فى المنطقة دى زى مثل **"أنا من حقى أتحب حتى لو..."**، فاكرة، وكانت مفيدة جدا، بس كانت فى جروب تانى، وبرضه لعبة، **"حتى لو ما حدشى حبنى، أنا ..."**.ونكمل"، فاكره،

مى: أيوه فاكره بس مش فى الجروب ده

يحيى: بصراحة أنا مش عارف ليه مش عايز أقترح لعبة دلوقتى، لأ عارف، أنا مش عايز استسهل، خلى الصعوبة تبان بحجمها، مع إنى شفت فى وشك اقتراحات لعب كتيرة مش كده يا مى؟

مى: آه، ما هى زنقة يمكن اللعبة تفكها

يحيى: لا والنبى، الله يخليكى،خلينا نستحمل شوية ونحاول نفكها بطريقة تانية ،تحب تلعب يا أمجد اللعبة اللى شاورنا عليها دلوقتى: "أنا من حقى إنك تحبنى حتى لو...." يعنى قصدى، برغم إنى مش عايز أقترح لعبة، إلا إنى قلت أشوف يمكن حد عايز .

أمجد: اجرّب

د.يحيى: بصراحة أنا ما زلت مقاوم أى لعبة برضه، بالرغم من إنى اقترحتها عليك يا أمجد، إيه رأيك يا مى، نعمل إيه؟

د.مى عبد السميع: دكتور يحيى طب لو فرضناه، قصدى لو فرضنا الحب على اللى قدامنا، إنه يحبنا يعنى ما دام دى خلقة ربنا، مش يمكن ده يأكد حقنا سواء استجاب هوه أو لأه،

د. يحيى: يا خبر عليكى يا مى، دا انت بقيتى أروبة، بس انا خايف تطلع لعبة ما هو حكاية "أنا من حقى إنك تحبنى حتى لو....."، ما هو فرض برضه

د.مى عبد السميع: لأ مش قصدى لعبة، يعنى نمثل إننا نفرضه، من غير ما نكمل الكلام ولا حاجة

د. يحيى: إزاى يعنى، برافو عليكى، أنا لقطت حاجة كده بس لسه مش واضحة قوى، كمّلى..

د.مى عبد السميع: يعنى مثلا **من حقى يا ناهد إنك تحبينى غصب عنك وعن اللى يتشدد لك**

د.يحيى: هى فكره جديده وكويسه بس فسريها لأنها ما وصلتنيش كفاية

د.مى عبد السميع: غصب عنك وعن اللى يتشددلك

د.يحيى: وعن اللى يتشدد لك؟ قصدك نقعد نقولها كده واحد واحد تمثيل، من غير ما نكمل أى كلام ولا حاجة، تبقى مش لعبة صحيح، تبقى زى ميكرودراما، والله فكرة، إستنى لما اشوف كده (يلتفت إلى إبراهيم): يا إبراهيم انت بتحبنى غصب عنك وعن اللى يتشدد لك، أظن يا مى انت قلتى: أنا من حقى إنك تحبنى، وانا من غير ما افكر قلبتها "إنت بتحبنى"، إيه رأيك؟

د. مى عبد السميع: اللى تشوفه حضرتك

د. يحيى: إللى اشوفه إيه، إنت صاحبة الاقتراح، خلينى أقول تفسير التعديل ده، ولو انى ما كنتش عارفه ساعة ما قلته، هوه جه كده لوحده، أنا تصورت إن واحنا بنفحص كده خلقة ربنا مع بعض، إن ربنا خلقنا بنحب بعض، عشان نحب بعض، جاهزين لحب بعش، يعنى أما أقول لإبراهيم انت بتحبنى زى ما اكون باقرر حقيقة، باعلن طبيعة بشرية، إنما أما اقول أنا من حقى، يمكن أحسن إن فيها طلب برضه، زى ما اكون باطلب منه حقى، يتهألى فيه فرق

د. مى عبد السميع: آه فهمت، يبقى نمثلها زى ما حضرتك عدّلتها

د. يحيى: طب وإيه بقى حكاية اللى يتشدد لك دى، هو مين اللى حايجوشه يحبنى، ولا يجوشنى آخد حقى

د. مى عبد السميع: مش عارفة

د. يحيى: إيه رأيك لو قلبناها غصب عنك وعن أهلك

د. مى عبد السميع: يا خبر، تبقى جامدة، صعبة يعنى، لا ما يصحش، دى زى ما تكون شتيمة .

د. يحيى: شتيمة ليه، ما انت عارفة احنا هنا بنغامر، وبعدين التمثيل تمثيل، مش كده ولا إيه؟ \

د. مى عبد السميع: تمثيل، بس بر ضه

د. يحيى: طب إيه رأيك نسيب اللى عايز يمثل يختار،يا إما يلعبها غصبن عنك وعن اللى يتشدد لك، يا إما اللى عايز يمثل "غصن عنك وعن أهلك يلعبها زى ما هو عايز. ينفع؟

د. مى عبد السميع: ينفع

.....

.....

وبدأت الميكرو دراما،

نعرضها غدا بعد استئذان المحاورين (كلهم أو بعضهم)

فإن لم يأذنوا، نكمل الأسبوع القادم.

الخميـــــــس 12-11-2009

804-امتـــداد وقفـــة المراجعـــة (3): الحـــق فـى الحـــب

بين الاخذ، والتسول، والسرقة، والخطف، والصفقة، والفرض!

مقدمة فى المنهج ثم تكملة نشرة أمس (2/2/3)

قبل المقدمة:

هذا هو أول خميس منذ صدور هذه النشرة لايظهر فيه نجيب محفوظ بشكل مباشر، أنا لا أعتذر له، فأنا أعرف ترحيبه بالمعرفة وبما أحاوله، ولا أفتقده، فهو حاضر بحضوره، وحاضر بسماحه لنا بهذه المساحة لفترة محدودة، وسوف أعود أخصص يوم الخميس له إن كان للنشرة استمرارا، وللعمر بقية، لأكمل ما بدأت منذ عامين، لنشرة أو اثنتين بعنوان "فى شرف صحبة نجيب محفوظ".

عذرا يا شيخى الجليل،

لعلك راض عن كل هذا

مقدمة:

كما هو متوقع، سوف نكمل ما بدأناه أمس، مع أن المفروض أن هذا اليوم (الخميس) قد خصص -بالاقتراح الجديد - لمناقشة ما يردنا من تعقيبات، تساؤلات حول هذا العمل، إلا أن ما حدث هو أنه لم يأتنا تعقيبات جديدة غير التى نشرناها فى يومية الأربعاء الماضى، **حوار خارج حوار بريد الجمعة**، ولا حتى أنا نشرت ردى على تلك التعقيبات المختلفة، ليكن، ولنستمر برغم الصمت مع أن الصديق أ.د. جمال التركى صاحب الاقتراح قد تفضل بتعميم دعوة للمشاركة فى مناقشة هذه التجربة فى

شبكتنا الرائعة (الشبكة العربية للعلوم النفسية) ، ليس فقط بالنسبة للنشرة الحالية المعنية، وإنما بالنسبة لكل ما صدر من نشرات فى هذا العمل **"فى فقه العلاقات البشرية**، الكتاب الثانى: دراسة فى علم السيكوباثولوجى، شرح ديوان سر اللعبة"، حتى الآن.

وإلى أن يصلنا ما يفتح ، أو يواصل الحوار ، دعونا نكمل من ناحيتنا توضيحات مناسبة

عن تطور المنهج

1. من خلال النشر المسلسل، والمتقطع، وجدتُ أن التعقيبات والتساؤلات، تثرى المتن والشرح معا، ورجحت أن الأصدقاء المشاركين بهذا الأسلوب، سوف يضيفون أولا بأول ما ينبغى إضافته، وأن الرد عليهم سوف يثرينى ويعدل بعض توجهاتى

2. خيل إلى أننا حين نصل إلى مرحلة النشر الورقى، ومن خلال مثل هذه المشاركة المستمرة، يمكن أن نصل إلى شكل مفيد ومتكامل، برغم هذه النقلات والاستطرادات أثناء النشر المسلسل

3. وصلتنى صعوبة الأخوة العرب غير المصريين من حيث أن المتن بالعامية المصرية، لكن يبدو أنه لا يوجد حل آخر، إلا أن نقبل كل اللهجات واللغات العربية كمنطلق، وقد تصورت أن علينا حين نصل إلى مرحلة النشر الورقى، أن نجعل الأولوية والغلبة للشرح بالفصحى، ثم نستشهد بالمتن كلما عنّ لنا ذلك

4. قد يقوم أحد الزملاء من أى قطر آخر بترجمة المتن إلى اللهجة المحلية إذا شاء، أو ربما أستطيع أنا إعادة صياغته بالفصحى، وإن كنت لست متحمسا لذلك، لأننى اكتشفت أن كل المادة المحلية (المصرية) التى سوف تعرض سواء دعما لهذا العمل، أو مستقلة، مثل أبواب (أو كتب): **"حالات وأحوال"**، أو **"التدريب عن بعد"**، أو **"ألعاب نفسية"**، أو **"مقتطفات من العلاج الجمعى"**، كل هذه الأبواب سوف تعرض شكاوى وأعراض وحوارات المرضى (والأطباء أثناء العلاج، والإشراف)، **بالعامية المصرية**، وعلينا أن نجتهد ونحن نتواصل كما فعل الأخ أ.د. جمال التركى فى الألعاب النفسية التى عرضت طوال عامين، وأن نتحمل لهجات بعضنا البعض، ونتحسس الطريق للتواصل أسوة بما فعلناه ونفعله مع لغات أجنبية صرف (الفرنسية أو الإنجليزية)، علما بأنه يستحيل أن نعرض - بأصالة تلقائية- لفهم النفس البشرية من خلال ثقافة معينة، إلا انطلاقا من لغتها جدا، كما هى بما هى، مع أنها نفس بشرية من نفس نوع الأحياء البشر فى كل مكان، لكنها شقاوة بنى الإنسان الذين تفرقوا هكذا، ولكن يبدوا أنهم يحاولون أن يتجمعوا ليتعارفوا من جديد.

5. المؤكد أن الشرح هنا وفى النشرة الورقية سوف يكون دائما باللغة الفصحى

6. احتراما لهذه الصعوبة (غلبة العامية المصرية فى ثنايا الكتاب)، قد يلزم عند الطبعة الورقية أن نجعل المتن على هامش جانبى، وأن نحرص على تماسك السياق بالفصحى فى المتن الجديد، ولو وافق المتابعون من الزملاء على ذلك، فقد يتغير العرض ابتداء من النشرات القادمة بهذه الصورة المقترحة، إذا استطعنا ذلك.

7. الأرجح أن يحتاج هذا العمل، ولو فى طبعة تالية، أن يتدعم بنصوص أخرى غير المتن الشعرى، مثلما تدعمت هذه النشرة الأخيرة التى كان لها فضل هذه الوقفة وتلك المراجعة، بهذا المقتطف أمس واليوم من جلسة علاج جماعى، وقد نلجأ لاحقا إلى دعم من شكوى مريض، أو تتبع علاجى، أو غير ذلك

8. لا أظن، ولا أريد لهذا العمل أن تدعم مصداقيته أو يعتمد قبوله بتوثيق من خارجه، مهما بلغت هذه الوثائق والنظريات من تماسك وشيوع، حين أقول من خارجه أعنى من خارج مادته: بدءا بالمتن الشعرى، مضافا إليه الخبرة المحلية على مستوى الثقافة المحلية (المصرية) والعربية، سواء من خلال حالات أو حوارات، أو تعقيبات، أو نقد جار (كل خميس كما اتفقنا).

9. إن ذلك لا يعنى بأية صورة من الصور الدعوة إلى الاستقلال ، أو الاستغناء، عن مستحدثات العلم المعاصر، ونأمل أن تكون دعوة الدكتور جمال التركى قد وصلت إلى الزملاء الأكثر اطلاعات على ثقافات أخرى، ومصادر علمية أخرى، فإن ذلك يمكن أن يمثل هذه الفرصة المستمرة المتجددة للنقد المقارن، ونقد النقد وهكذا.

10. قد يستتبع أيا مما سبق ذلك أن يكون النشر المسلس تتابعيا قاصرا على النص الجديد، ثم نلحق به النقد ونقد النقد نظريا (متن مواز مثلا) أو عمليا (حالة أو مقتطف علاجى) فى الطبعة الورقية بمشيئة الله.

****

من نفس جلسة العلاج الجمعى

تكملة مقتطف أمس من **نص ما دار فى جلسة الأسبوع الماضى من جلسات العلاج الجمعى بقصر العينى،**

سوف نعرض اليوم نص تمثيل "الميكرو دراما" التى اقترحتها د. مى فى نفس الجلسة.

(ملحوظة : يستحسن مراجعة نشرة أمس أولا)

هذا، وأنبه ابتداء كيف أننى أكتشفت أن عرض الدراما ثابتة النص بالألفاظ المكتوبة سوف يكون ضعيف الفائدة، فالأمر يختلف عن عرضنا للألعاب العلاجية سواء فى العلاج الجمعى، أم فى النشرات مباشرة، ذلك لأنه فى الميكرودراما، لن يكون هناك إلا نفس النص يؤديه المريض أو المعالج، والفرق هو

فى الأداء التمثيلى نفسه، عمقا وتسطيحا، بكل وسائل التمثيل جسدا وصوتا وحركات. ولكن ما باليد حيلة، فهذا هو الممكن مرحليا ما دمنا مصممين على تجنب استعمال الفيديو لاعتبارات أخلاق وآداب المهنة وحقوق المرضى.

(.....
.....
.....

مرة أخرى: يستحسن الرجوع إلى حالة أمس، وقراءة الحوار كله، الذى كان بعض أواخره كما يلى:

د.يحيى: (للدكتورة منى): احنا قلنا خمس حاجات تقريبا على قد ما انا فاكر، **"تشحتى" "تسرقي" "تخطفي" و"تفرضي"،** ومارفضناش قوى **"تدى- تاخدى"،** إنت حرة تجربى أى حاجة من دول، ولا يمكن عندك حاجة جديدة لنج غير دول، المهم تورينا إزاى حا تاخدى حقك إنك تتحى زى ما ربنا خلقك.

د.منى: بصراحة صعبة

.....

.....

د.يحيى: أى حد يا جماعة عنده حاجة يقترحها علينا يقول لنا نعمل إيه

.....

.....

د.مى عبد السميع: دكتور يحيى، طب لو فرضناه، قصدى لو فرضنا الحب على اللى قدامنا، إنه يحبنا يعنى ما دام دى خلقة ربنا، مش يمكن ده يأكد حقنا سواء استجاب هوه أو لأه،

د. يحيى: يا خبر عليكى يا مى، دا انت بقيتى أروبة، بس انا خايف تطلع لعبة، ما هو حكاية "أنا من حقى إنك تحبنى حتى لو....."، ما هو فرض برضه

د.مى عبد السميع: لأ مش قصدى لعبة، يعنى نمثل إننا نفرضه، من غير ما نكمل الكلام ولا حاجة

د. يحيى: إزاى يعنى، برافو عليكى، أنا لقطت حاجة كده بس لسه مش واضحة قوى، كمّلى..

د.مى عبد السميع: يعنى مثلا، **من حقى يا ناهد إنك تحبينى غصب عنك وعن اللى يتشدد لك**

.....

.....

د. يحيى: إيه رأيك لو قلبناها غصب عنك وعن أهلك

د. مى عبد السميع: يا خبر، تبقى جامدة، صعبة يعنى، لا ما يصحش، دى زى ما تكون شتيمة

د. يحيى: شتيمة ليه، ما انت عارفة احنا هنا بنغامر، وبعدين التمثيل تمثيل، مش كده ولا إيه؟

د. مى عبد السميع: تمثيل، بس بر ضه

د. يحيى: طب إيه رأيك نسيب اللى عايز يمثل يختار، يا إما يلعبها غصبن عنك وعن اللى يتشدد لك، يا إما اللى عايز يمثل "غصبن عنك وعن أهلك يلعبها زى ما هو عايز. ينفع؟

د. مى عبد السميع: ينفع

.....

.....

وبدأت الميكرو دراما

مرة أخرى: آسف لضعف نقل الصورة كما حدثت تماما، بمجرد تكرار نفس النص الكلامى، وفيما يلى:

أولا: بعض أشكال المقاومة

ثانيا: بعض الاختلافات التى سنعود إليها فى "نقاش ما بعد جلسة العلاج".

.....

هيام: يا دكتوره منى انت بتحبينى غصب عنك وعن اللى يتشددلك

د.يحيي: مش عارف انت مثلتيها ربع ربع، بس لو تمثليها جامد حاتحققى اللى (د.) مى عايزاه ده

هيام: (مرة أخرى) **يا دكتوره منى إنتى بتحبينى غصب عنك وعن اللى يتشدد لك**

د.يحيى: أحسن شوية، يا للا يا مى، إنت اللى ألفت النص، يبقى حا تلعبيها مية مية.

د.مى عبد السميع: يامريم إنتى بتحبينى غصب عنك وعن اللى يتشدد لك

إبراهيم: يادكتور محمد أنت بتحبنى غصب عنك وعن اللى يتشدد لك

د.يحيى: أنت بقى بالذات يا إبراهيم حاتقولها غصب عنك وعن أهلك

إبراهيم: لأه ، مش لاعب

د.يحيى: لأه إيه؟ ليه؟ ما هو كله تمثيل، ثم هوا انت عارف أهله ما يمكن بيحبوك ، والتمثيل بيقول أى كلام، ثم إن كلمة "أهله" دى إحنا بنتعامل معاها هنا حاجة تانية، ما بنقصدشى الأهل بحق وحقيق.

إبراهيم: "اللى يتشدد له" أحسن

د.يحيى: يا جدع طب ما تجرب دى وتجرب دى، مش يمكن فيه فرق مفيد

إبراهيم: لا هى اللى يتشدد له وخلاص

د.يحيى: بصراحة "اللى يتشدد له" دى خفيفة شوية، أصل الفكرة إن التمثيل اللى اقترحته مَىْ بيفترض إن التانى هو بيحبك، يعنى إذا كان عليه هوه بيحبك، بس الأهل بقى هم اللى يقعدوا ينفخوا فى العيل من دول، وهات يا تنافس، وهات يا تحوصل، لحد ما يمنعونا نحب بعض، وبعدين لما نكبر، نلاقيهم جوانا، برضه حايشينا عن بعض.

إبراهيم: يعنى يا دكتور يحيى عايزنى أقول ضرورى حكاية "وعن أهلك دى"

د.يحيى: يعنى، مش ضرورى ضرورى، لكن أدى احنا بنجرب، يمكن يطلع فيه فرق يخلى د. مى تعرف أنا حورت اللعبة ليه.

إبراهيم: لأه برضه

د.يحيى: لأه ليه يا أخى، إنت خايف ليه؟

إبراهيم: تمثيل يعنى تمثيل؟

د.يحيى: طبعا، إنت خايف لأهله يضربوك؟

إبراهيم: يا دكتور محمد

د.يحيى: لا وشك كان النوبة اللى فاتت كان أحسن من كده ، كان فيه حزم وغضب وتأكيد حقك، وحقيقة الموجود وكده، إنت خفت من أهله ولا إيه

إبراهيم: لا يا دكتور يحيى مش حاقولها، لأ.

د.يحيى: يا راجل ده انت بتعلن حقيقة إنه بيحبك تحت كل الظروف، حاتتنازل عن حقك عشان أهله؟

إبراهيم: يعنى أنا فرضت عليه الحب يعنى

د.يحيى: هوه مش فرض قوى، إنت مديت إيدك على الحتة اللى بتحبك فيه، خلقة ربنا

إبراهيم: لأه، مش كده قوى، لأه، ولاّ يمكن كده

د.يحيى: طيب إنت شايف إيه الفرق بين "غصبن عن اللى يتشدد لك"، وبين "غصبن عن أهلك"

د.محمد صلاح: ما يمكن اللى حايشدد له حد غير أهله

د.يحيى: صحيح، بس زى ما يكون كلمة "أهلك" حاتطلّع بُعْد تانى فى الحدوته، خصوصا مع مقاومتك دى، إيه رأيك يا هيام؟

هيام: حاكلم الدكتورة منى

د.يحيى: بس خلى بالك أهلها صعايدة يموتوكى

د.منى: ربنا يستر،

د.يحيى: خلى بالك إنتى يا هيام انت لعبتيها غصبن عن اللى يشدد لك الأول، وبرضه مع الدكتورة منى، دلوقتى حاتلعبها مع نفس الشخص بس حاتقولى غصبن عن أهلك

هيام: يادكتورا منى انتى بتحبينى غصب عنك وعن أهلك

د.يحيى: شوفتى فرقت أزاى ياعفريتة ، بان الفرق، إيه رأيك يا إبراهيم

إبراهيم: هى قالتها إنما أنا برضه مش حاقولها

د.يحيى: ليه؟

إبراهيم: قررت أن أنا مش حاقولها، يعنى مش حاقولها

د.يحيى: ليه بس؟

إبراهيم: من غير سبب

د.يحيى: أنا مش فاهم اوى يا إبراهيم

إبراهيم: مش فاهم ايه

د.يحيى: مش فاهم سبب رفضك الجامد ده، خصوصاً بعد ما هيام لعبتها وطلعت إن فيه فرق، وغضبها أكثر وأفصح

إبراهيم: هو اللفظ اللفظ فى حد ذاته هو اللى .....

د.يحيى: اللفظ بتاع "أهلك" يعنى

إبراهيم: أيوه، حتى لو كان تمثيل

د.يحيى: إحنا يا إبراهيم بالتمثيل ده، بنحاول نتعرف على حقيقة طبيعتنا اللى إحنا افترضناها، افترضنا إن حبنا لبعض دى خلقة ربنا، والظاهر مَىْ كانت حاسة إن فيه حد أو حاجة من برة هى اللى بتمنع ده، بتشوه الطبيعة دى، فجت كلمة اللى بيتشدد لك تشاور على حاجة عمومية، لكن غصبن عن أهلك حددت التشويه بييجى غالبا منين

إبراهيم: (يلتفت للدكتور محمد، ثم يندفع بصوت مرتفع) **يادكتور محمد أنت بتحبنى غصب عنك وعن أهلك**

د.يحيى: أخيرا !! دا احنا كنا بنتعتع فى جبل، أنا شاكر يا إبراهيم

إبـراهيم: يـعنى كـده كـويـس يـادكـتـور يحيى؟ كـويـس كـده؟

د.محمد صلاح: عـايـز أرد عـلـيـه بـقـى عـايـز أرد عـلـيـه

د.يحيى: ... إتـوكـل

د.محمد صلاح: يـا إبـراهيم أنـت بـتـحبنى غصب عنك وعن أهـلك

إبـراهيم: بـرافـوا عـلـيك يـا دكـتـور محمد ، أهـو كـده

د.يحيى: أيـه رأيك يـا إبـراهيم عـمـلـهـا كـويـس ؟

أمجد: بـس فى فـرق يـادكـتـور يحيى

د.يحيى: إيـه

أمجد: فـيـه فـرق

د.يحيى: فـرق إيـه

أمجد: أيـوه فـيـه فـرق بـين الاتـنين

د.يحيى: طبعـا فـيـه فـرق، إبـراهيم قـال لأ مش لاعب، مش عـايـز ألـعب حكـايـة أهـلك دى، واحـنـا اتـكـيـنـا عـلـيـه، فـراح لاعـبـهـا، وشـاف الـفـرق مش كـده؟

أمجد: آه، طيب وهوه انـا لازم ألـعـبـهـا؟

د.يحيى: لازم

أمجد: مـصمم حضرتـك؟

د.يحيى: بـس تمـثـيـل وإبـراهيم بـقـى الـلـى حـايـسـاعـدك يـعنى حيقـول لـك لأه ، أيـوه، مـثـل أحسن، إديـنى كـمـان

أمجد: محمود انـت بـتـحبنى غصب عنك وعن الـلـى يـتـشدد لـك

د.مـى: خـلـيـهـا أهـلك بـقـى مـا دام ثـبـت إن فـيـه فـرق

أمجد: أقـولـهـا تـانى ؟

د.يحيى: زى مـا انـت عـايـز

أمجد: محمود أنـت بـتـحبنى غصب عنك وعن أهـلك

د.يحيى: هى أحسن سنـه، إذا كـنـت عـايـز تخـلـيـهـا الـلـى هـيـه، ممكن تمسكـه مـن قـمـيـصـه وتهزه وانـت بـتـقـولـهـا، مـا هـو تمـثـيـل أقـوى شـويـة

أمجد: أضربـه يـعنى؟

د.يحيى: لأ مش ضرب ، تمـثـيـل بـالحركـة اصل الحركـة بـتـخـلـى الحكـايـة أقـوى شـويـة

أمجد: (وقـف أمجد ومـسك فى محمود) يـا محمود أنـت بـتـحبنى غصب عنك وعن أهـلك

د.يحيى: ..... يا أمجد أنا عايزك تلاحظ ازاى اتغلبت على مقاومتك اللى كانت عمالة تزيد تزيد من شوية

أمجد: غصبن عنى

د.يحيى: صح بس عملتها فى الأخر

د.محمد صلاح: ده أنت بهدلتنى ، حد بقى بعدى يلعب،

د.يحيى: تختار مين ؟

د.محمد صلاح: ناهد

د.يحيى: ناهد دى جاهزة دى، إنتى بقى حاتلعبيها يا ناهد مع المسئولة عن اللعبة الهبلة دى، هى اللى آلفتها

ناهد: ألعبها مع الدكتورة مَنْ يعنى

د.يحيى: زى ما انت عايزة

محمود: (مقاطعا) يا أمجد إنت بتحبنى

د.محمد صلاح: قوم أقف

محمود: (وقف محمود ومسك فى قميص أمجد) أنت بتحبنى غصب عنك وعن أهلك

د.يحيى: الكلام طلع كويس، بس وشك مش هنا خالص، وشك ما كانشى فيه أمجد، يعنى أمجد ماكانش فى وعيك وأنت بتقول

محمود: أعمل أيه

د.يحيى: الدكتور محمود حايساعدك

د.محمد: قوم أقف ياحمود تعالى كده خطوة كده

د.يحيى: هيام بصى ياهيام حايعملها صح ولا غلط

محمود: أنت بتحبنى غصب عنك وعن أهلك

د.يحيى: ماتقطعش القميص، يلا يا ناهد الدور عليكى

ناهد: مع مين كله لعب

د.يحيى: لأه مش كله، دورى على حد، أى حد

ناهد: ماشى، ألعب مع مين طيب

د.يحيى: أى حد ينفع

د.منى: أختارى أى حد والعبى معاه

ناهد: مع اللى لعب برضه

د.منى: آه مفيش مشاكل

ناهد: يا مريم إنتى بتحبينى غصب عنك وعن أهلك

د.يحيى: شوفتوا كان ليا حق أضمنها

ناهد: أعيد تانى ولا كفاية

د. يحيى: لا أنت بقيتى عفية فى حاجات كتير ؟

يا ترى فيه حدّ مامثلشى؟

د. مى: لأه

د.يحيى: الحمد لله، احنا بدأنا بيكى ياهيام، قولتى أنا عايزة اموت بسلبية فظيعة جداً وأنعواج، قصدى رقبتك يعنى، وبعدين انا عايزة أتحب، قمنا قلبناها انا بشحت حب، يعنى أنا ترجمتها لكده، طلع اللى بيشحت مابياخدش، ده بالعكس بيجوع اكتر، وبعدين مَىْ جت لها فكرة إن كل واحد يمّد إيدهْ على خلقة ربنا اللى فينا، واللى عاجبه، بصراحة الفكرة دى خطرت لى وأنا بشتغل مع عيانين ساعات، وأنا باكتب أحيانا لاحت لى كده بس مش بالوضوح ده، إحنا هنا فجأة وببساطة لقينا إن احنا ممكن نتعلم منها حاجة جديدة،

يا ترى وصلك يا هيام حاجة غير "أنا مش نافعة، عايزة أموت" وبعدين "عايز حب"، والكلام الخايب ده؟

هيام: حسيت أن أنا بارضى عن الحب بطريقة تانية

د.يحيى: أظن احنا اتعلمنا حاجة تانية هنا ودلوقتى مختلفة عن الشحاتة والموت، احنا عادة ما بنحبش نقول إيه اللى وصل لنا من التمثيل أو اللعب، بس اللى حصل النهاردة محتاج يظهر أكتر، يثبت شوية

هيام: اظهرها أزاى

د.يحيى: ماينفعش لو قولت لكأنا قلت لك، يبقى درس وبتاع ومش عارف أيه

هيام: أظن فيه حاجة أتغيرت، حاجة كده كويسة

د.يحيى: شوف أما أقول لك: ربنا حايسألك على النعمة اللى اداها لك دلوقتى، لو رفضتيها أو فعصتيها، مش كويس، أنا باكلمك جد، كل ده اتعمل من خلال اللى احنا بدأنا بيه النهاردة، إذا كان وصلك حاجة يابنتى تحافظى عليها، بس حاجة مختلفة وقوية، لكن هى بسيطة ممكن تبتدى بسيطة وتكبر هى كانت تبان صعبة جداً واحنا بنمثل وأنتى بتمثلى، لكن هوب هوب هوب بقيتى تعدلى راسك من غير ما تبذلى جهد ده عشان الكلام والتمثيل وصل حاجة تحمدى ربنا عليها، حاجة مش ضرورى تقوليها ولا تفسريها، بس احمدى ربنا عليها

هيام: الحمد لله

د.يحيى: بأقولك إيه: الحمد يعنى حمد، تحمديه من جوه جوه واحنا معاكى

هيـام: الحمد لله

د.يحيى: حاتنسى ده ازاى بقى؟ "الحمد لله" طالعة من جوّا جواكى، تيجى الجمعة الجاية تيجى تقولى عايزة أموت وعايزة أتحب؟ حاتنسى بذمتك دى أزاى؟ إنتى حمدتى ربنا على حاجة وصلت فعلاً حاتنسيها إزاى؟ بالذمة (ثم يلتفت للجميع)

حد وصله اللى وصل لهيام، هيام أصعب وأصعب بس مجرد أن هى توصل وتحمد ربنا بالشكل ده، يبقى الصعوبة خفت شوية

د.مى عبد السميع: أنا وصلنى

د.يحيى: مفهوم، من حقك، ما أنتى صاحبة اقتراح التمثيلية المهببة دى، فيه حد وصله حاجة سوا وهو بيمثل سوا وزمايله بيمثلوا سواً عن نفسه أو عن غيره

د.منى: أنا وصلنى

د.يحيى: يعنى أنتى ومَىْ دكاترة، طب يا ترى اللى مش دكاترة، يعنى والباقيين؟

ناهد: وصلنى، أنا وصلنى

د.يحيى: حاجة ماكنتيش تعرفيها قبل كده؟ هه؟! حد وصله حاجة زى اللى وصل لناهد أو لهيام أو لَمَىْ أو لمنى أو ليا أنا شخصيا بصراحة أنا وصلنى

أمجد: أكيد وصلنى

د.يحيى: اكيد وصلك، الله نوّر، طب وانتى يا مريم وصلك حاجة؟ حاجة عن حكاية الشحاتة والخطف، والسرقة، قصاد الحق اللى بنمد إيدنا وناخده من غير إذن

مريم: مش فاهمة، كل ده عن الحب

د. يحيى : أيوه

مريم: شوية، بس مش واضحة الحكاية

د.يحيى: (يلتفت لهالة التى بدت بعيدة وغير منتبهة)، زى ما يكون يا هالة أنتى بدأت تدقى من دلوقتى بايد الهون على اللى حصل، أيوه يا إبراهيم، وانت؟

إبراهيم: أيوه وصلنى وصلنى حاجة

د.يحيى: لك وعنك، ولاّ عننا

إبراهيم: مش واضح قوى

د.يحيى: (يلتفت إلى هيام من جديد) عرفتى يا هيام يعنى أيه تدقى بأيد الهون؟ يعنى بتحاولى تلغى كل اللى حصل، بتبططيه

هيام: مش قادرة أكمل

د.يحيى: ماشى، واحدة واحدة، لكن حاتروحى منه فين، اللى وصل وصل، طب تقدرى توصلى حاجة طيبة لحد هنا ودلوقتى؟

هيام: (تلتفت إلى ابراهيم)، أنا سعيدة أنك موجود معانا

د.يحيى: مصدقها يا إبراهيم

إبراهيم: آه

د.يحيى: انا كلمة سعيدة دى ماباحبهاش أوى، بس أنا مصدقها دلوقتى، مش ملاحظين

المسافات قرّبت إزاى من غير إذن!!

....

....

....

وبعد

الأسبوع القادم، (وربما امتدادا لما بعده) نأمل أن نعرض كلا من:

- المناقشة التى تمت بعد هذه الجلسة مباشرة بشأن هذه التجربة
- جانبا من استكمال آثار التمثيل وكيف تناولناه فى الأسبوع التالى
- الفرض الذى سوف نعرضه متكاملا

ثم نعود إلى المتن الشعرى "أغوار النفس"، وعرض الحالات

الإربعـــــــاء 18-11-2009

810-ربنـــا خلقنـــا نحـــب بعضنـــا البعـــض، لنبقـــى بشـــرا

.. إنت بتحبنى غصبن عنك!! (كيف؟)]

مقدمة:

توقفنا - مؤقتا والله العظيم- عن مواصلة شرح ديوان أغوار النفس

وقدمنا مقتطَفْين من جلسة علاج جمعى حدثت مؤخرا، وذلك بعد أن بدأت التعقيبات تأخذ مأخذ الجد، والاختلاف، والإضافة، والنقد، والتنوير

فتحول العمل ليصبح ذا ثلاثة منطلقات، أو ليسير على ثلاثة مسارات:

الأول: شرح المتن الشعرى، وهو ما نتابعه كل أربعاء غالبا، اللهم إلا فى مثل هذه الوقفة الاستطرادية التى سمحت بمثل نشرة اليوم، أو إذا تراكمت مواد من القسمين التاليين.

الثانى: هو الاستطرادات الداعمة، أو المكملة، أو المصححة أو الناقدة للمتن الشعرى وقراءته وإيحاءاته، سواء كان ذلك من نص سابق للمؤلف، شعرا أو نثرا أو تنظيرا علميا، أو من مقتطف واقعى من حالة إكلنيكية معروضة (حالات وأحوال)، أو جزءا من حالة مناقشة (التدريب عن بعد)

الثالث: هو حوارات الأصدقاء التى تدور حول هذا وذاك، أو تستوحى منه، (سواء من المتن الشعرى، أو من الشرح عليه، أو من تعقيبات وحوارات منشورة عنه) وهو ما يختص به يوم الخميس (غالبا) من كل أسبوع تحت عنوان "حوارت فقه العلاقات البشرية".

أما كيف سيكون الحال بعد جمع هذه المادة كلها، إذا ما تراءى لنا أن يصدر فى طبعة ورقية، إن كان ذلك مفيدا أصلا، فهذا أمر سابق لأوانه

دعونا نواصل، ونأمل، ونجتهد

والله المستعان.

وبعد

نشرنا فى الأسبوع الماضى نشرتين متتاليتين لمقتطف من جلسة حديثة جدا من جلسات العلاج الجمعى، وهى الجلسات التى تجرى حاليا فى قصر العينى، وكان ذلك بمناسبة بعض ما جاء فى متن العمل وشرحه وتعقيبات بعض الأصدقاء عن تشكيلات العلاقة البشرية، وخاصة فيم يتعلق بما يسمى **"تسول الحب"** أو **"الصفقات الثنائية"** إلى **"فعل الحب"** المتبادل بين البشر فى إطار من العدل والوعى المسئول.

واليوم هو موعد تقديم المناقشة الدالة التى دارت عقب نفس الجلسة ، وهو تقليد متبع يجرى بعد كل جلسة بين المدَرِّب، المعالج الأساسى وبين المعالجين والمتدربين بمشاركة من يشاء من المشاهدين تحت الإعداد، (بإذن وسماح المرضى طبعا) مع بعض التحرير اللازم للنقل من المشافهة إلى الكتابة

وكانت التمثيلية (الميكرودراما) هى جملة واحدة، اقترحتها الزميلة د. "مى" المتدربة فى المجموعة، جملة يقولها أفراد المجموعة يؤدونها بما أمكن من تعبير درامى بكل إمكانات التعبير، يسرى ذلك على المرضى والمعالجين، ولمرة واحدة، يقولها المؤدّى وهو يتوجه بها لأى من زملائه أوزميلاته، والجملة هى:

"يا فلان: إنت بتحبنى غصبن عنك، وعن اللى يتشدد لك، (أو:..... وعن أهلك)"

ولمتابعة المناقشة، ننصح الأصدقاء بضرورة الرجوع إلى نشرتى الأربعاء والخميس السابقتين أولا:

- نشرة: 11-11- 2009 [عينة من جلسة من علاج جمعى (منذ أسبوع واحد)]،

- نشرة: 12-11-2009 [مقدمة فى المنهج ثم تكملة نشرة أمس (2/2/3)]

المناقشة: بعد جلسة العلاج النفسى

بتاريخ 4-11-2009

د.يحيى: أى سؤال أو تعليق؟

د.منى: هى جديدة فكرة فرض الحب دى يادكتور يحيى

د.يحيى: فرض الحب!!؟ قصدك "فرض" بمعنى **Hypothesis** ولا بمعنى القهر

د.منى: بالمعنى اللى حصل فى الجروب، يعنى الفرض اللى جربناه فى الجروب

د.يحيى: أهو ده اللى عايزين نناقشه دلوقتى، هو اللى جرى ده قهر، ولا خلقة ربنا؟ لما أقول لواحد "إنت بتحبنى غصبن عنك" ، يبقى باقهره، ولا باخبّره باللى هوه مش واخد باله منه فى تركيبته الطيبة؟ الطيبة حتى غصبن عنه؟

د.منى: هوه ده تعليقى، يعنى أنا اكتشفت إن غالباً كلنا أو بالنسبة ليّا مثلاً يعنى، زى هالة كده يعنى، كلنا يعنى غالباً فى معظم الأوقات، بنشحت الحب

د.يحيى: ما هو ده اللى خضّنا وخلانا نمثل نشوف إيه الحكاية، وهل فيه حاجة بديلة ولا إيه، إحنا الظاهر بنشحته قصاد إن التانى يشحته برضه، وده نوع من الصفقات اللى شاورنا عليها فى الجروب، واحنا ما رفضناهاش، ما رفضناش الصفقات الشريفة المعلنة، إذا كان دى هى البضاعة الحاضرة، الأمر لله، بس تبقى بداية، مش كده وخلاص، زى ما شوفنا فيه طرق كتير تانية نعيش بيها مع بعض غير الشحاتة، زى ما شفنا كده

د.نهى: بس الدكتورة "مى" عملت حاجة جديدة خالص، أنا مش عارفة عملتها ازاى، أنا أعتبر إنها عملت اختراق **Break through**

د.يحيى: بصراحة آه، الجروب سمح بده، ربنا فتح على "مى" وراحت شايفاها

د.نهى: الجروب سمح للفكرة تطلع وتتحضن وتُختبر وتتعاش بالطريقة اللى اتعاشت بيها

د.يحيى: هوه الجديد النهارده هو اكتشاف ثروة تانية، قصدى تالتة، غير اللى انا قلت لكم عليهم، أنا فاكر أنا قلت إنى اكتشفت ثروتين، قريب، قلت مرة واتنين إنك تقدر تحصل على الثروتين دول ببلاش، بمجرد الوعى بيهم، ونصحت أى حد فيكم إنه يجرب يمارسهم، فاكرين ؟ فاكرة يا شادن؟ أظن أنا قلت الحكاية دى أكتر من مرة، ومكسوف أكررها، المهم، ما يجراش حاجة أقولها تانى وعاشر، الثروتين هما **"إنك تعرف"**، و**"إنك تحب"**، أظن أنا قلتهم بالفصحى، شكلهم أحسن، هما بصراحة وصلونى بالفصحى مش عارف ليه **"أنْ تَعرفْ"**، و **"أنْ تحبْ"**، تروح عامل ده أو ده من غير ما تستأذن، ولا يكون عندك أى غرض من ورا اللى بتعمله ده، سواء بتحب أو بتعرف، إلا إنك إنت نفسك تفرح بنفسك وانت بتاخد حاجة حلوة، تلاقى نفسك بتتملا بيها وانت بتعملها من غير ما تستأذن حد، وتقريبا من غير مقابل من اللى بيقولوا عليه، ثروتين بحق وحقيق اللى عايز ياخدهم يجرب، وحايلاقى الحكاية مش مستحيلة، يعنى تقوم عارف حاجة جديدة كدهه!! معلومة حلوة، فكرة منورة، إضافة توسع أفقك، تقوم واخدها لك، تبقى بتاعتك من غير ما تعمل حساب إنت واخدها ليه، لا عشان تتباهى بيها وانت بتناقش حدّ، ولاعشان تمتحن فيها، تقريبا هى بقت بتاعتك وخلاص، يمكن تعيش بيها بأيها شكل يوصلك منها، حكاية بقى إنك تحب أى حد من غير استئذان برضه غريبة جدا، أول ما وصلتنى الحكاية دى أنا اتخضيت، ليه يعنى، بأمارة إيه، ما يمكن ما يستاهلشى، ما يمكن يرفض ويكسفك، وبعدين اكتشفت فى نفس الوقت وانا باكتشف ثروة المعرفة المتاحة لأى حد ببلاش كده، اكتشفت إن ما دام انت اللى

بتعمل الحكاية دى، من غير استئذان التانى اللى بتعملها معاه، ومن غير ما تقول له من أصله إنت بتعمل إيه، يبقى مش حاتنتظر منه حاجة من أصله، إنت خسران إيه بالذمة؟ طبعا دى غريبة ودى غريبة، بس بصراحة لو حد يجربها حتى وهو بيهزر يمكن تنفع، يعنى واحد كده ما فيش بينك وبينه حاجة، ولا يتحب ولا نيلة، تقوم حابّه كدهه، صحيح فيه ناس مؤذيين مقرفين لا يمكن يتحبوا مثلا زى شارون، أنا مش قصدى للدرجة دى، هى المسألة مش عبط، ولا بقششة عواطف، بس انا كنت باتكلم، وما زلت عن الطبيعة البشرية، **ربنا خلقنا نحب بعض، نقوم نحب، خلقنا نعرف، نقوم نعرف، وساعة ما نحب لأننا كده، أو نعرف لأن ربنا خلقنا كده، نفرح ونكمل، ونقعد نعمل الحكاية كدهه، واللى عاجبه،** لحد ما يثبت استحالة عمايلها، وما أظنش إن ده ممكن يثبت إلا لو كنت بتعملها غلط، لو كنت حاطط شروط مثلا، لو كنت مستنى حاجة تانية بعد الخطوة دى، مش كده ولا إيه؟

د. محمد: إيه

د. يحيى: عندك حق، والله العظيم عندك حق، أنا بصراحة كل ما أقول لحد على الحكاية دى يا إما ما يصدقنيش، يا يفتكرنى إنهبلت، اقول له طب جرب تقوم حابب كدهه من غير إذن اللى بتحبه، وحتى يا شيخ من غير ما تعرفه، حاتلاقيك مبسوط، حاتلاقيك مبسوط والله العظيم، حاتلاقيك كسبت حاجه لك، تبقى ثروة دى ولا مش ثروة ؟ جرب لما توصلك معلومة ما تعرفهاش مش تقعد تقيسها على اللى عندك عشان ترفضها احتياطى عشان ما تتلخبطشى أو عشان تفضل زى ما انت، لأه، توصلك المعلومة، تسمح لها، يمكن هى دى الثروة، تفتش فيها يمكن فيها حاجة زيادة تضيف لك ولا مؤاخذة حتة حلوة هنا، ولا حتى حتة وحشة تفوقك، إنما تضيف والسلام، برضه تبقى ثروة، مش كده ولا إيه؟

د. محمد: ما انا قلت "إيه"

د. يحيى: إمال حاتعمل إيه فى اللى جى بقى يا محمد؟ حاتقول إيه فى اللى حصل النهارده؟ المهم: أنا لما اكتشفت الثروتين دول، وقعدت أوزعهم على اللى حوالىّ ببلاش، إفتكرت إنى أنا إكتشفت سر الكون، وفرحت، كل ما قابل حد عزيز، ولاحتى مش عزيز، بس بيسمع، أقول له يا جدع انت أنا عندى ثروة ببلاش تاخذها؟ يقولى ببلاش إيه يا جدع انت؟ هوّا فيه ثروة ببلاش؟ أروح قايل له الكلمتين دول، يفتح بقه زى الدكتور محمد دلوقتى، ويبص لى، ويمكن أصعب عليه، أو ما اعرفشى إيه ساعتها اللى بيدور فى مخه، أقول له طب جرب كده، إنت خسران إيه، جرب تحب فلان، وانقّى واحد يكون مش هوه، يقول لى ياخبر!!!، لا يا عم ده ما يستاهلشى، أقول له يا أخى هوا انا قلت لك يستاهل أو ما يستاهلشى، إن شالله ما عنه استاهل، **مش انت حبيته وهوه ما يستاهلشى، يبقى انت حلو، وعملت اللى ربنا خلقك بيه، ويمكن بحُبّك ده حا تساعده إنه يبقى يستاهل،** حد عارف، ما دام انت ما

استأذنتوش، ولا طلبت حاجة قصاد ده، وكسبت حلاوتك، إنت مالك بيه بقى بعد كده، أو قبل كده يستاهل ولا مايستاهلشى؟

د. نهى: بس إيه علاقة ده باللى حصل النهارده؟

د. يحيى: آه صحيح! أظن له علاقة، وعلاقته يمكن تطلع وثيقة جدا، صحيح إحنا هنا النهارده ما كناش بنعزم على بعض نحب بعض وخلاص، زى العادة، ده احنا كنا بنمارس حقنا إننا نتحب، لأه ومش بس حقنا، وبنطالب بيه وكلام من ده، لأه، إن دى حقيقة موجودة، إننا فعلا بنِتْحَبّ، ومش فاضل إلا إنها توصل لنا، وما علينا إلا إن احنا نمد إيدنا ونغرف. دى بقى أصعب من الحكاية الأولانية ميت مرة، حكاية **"إنك تعرف"**، و**"إنك تحب"**، (**"أنْ تَعرفْ"**، و**"أنْ تحِبْ"**)، ومع ذلك مثلناها بسهولة غريبة فعلا، الدكتورة "مى" ربنا يخليها راحت مادّه إيدها وجايبه التمثيلية، ما اعرفشى جابتها منين، لقينا نفسنا قدام حقيقة تانية بسيطة، وباين عليها مهمة جدا.

د. نهى: يمكن عشان كده أنا قلت ده "اختراق"

د. يحيى: بالظبط، إحنا زى ما يكون اكتشفنا إن زى ما هَواش ضرورى أستأذن إنى أحب، الظاهر **مش ضرورى أقدم أوراق اعتماد بوجودى عشان أتحب**، يعنى مافيش أى شرط إنى استأذن إنى أنا أتحب! المفروض إن السؤال ده ما ينطرحشى من أصله! إنما الظاهر هوه بينطرح بعد ما الطبيعة البشرية قعدنا نلعب فيها ونبوظها بالخوف والتوجس، والشك، والتحوصل واللى جارى، المهم: الدهشة اللى وصلتنى النهارده كانت غريبة شوية، **زى ما اكتشفت إن مفيش داعى إنى أستأذن وانا باحب**، الخبطه جات لى كده: **يانهار ابيض دا الظاهر إن كمان ما فيش داعى أسأل إن كنت باتحب ولا لأه**، الظاهر إن البداية إنى أتحب لأنى اتولدت، ولوده صحيح، لو ده وصل لنا بالتربية والطيبة، وإعادة التعرف على خلقة ربنا، يمكن الدنيا تتغير، فإذا احنا لقينا إن ده ماحصلشى، إن الناس، بدءا من أهلنا الغلابة، حرمونا من إننا نتحب ونحب كدهه خلقة ربنا، الظاهر ده حصل لأنهم الظاهر هما كمان من الأول حرموا، أو اتحرموا، من ده، فراحوا مقفلين مخازن الحب اللى من النوع ده، الحب اللى هوه خلقة ربنا، وما فضلشى غير الخوف والامتلاك والتنافس والطمع والحاجات دى، قمنا احنا بقى إيه مالقيناش حدّ بصحيح نقدر نديه، وناخد منه بالطريق الطبيعى البسيط، فنبتدى نقلق، وندور، ونسأل، ويتطور الأمر إلى الصفقات، والشروط، لحد ما يوصل للشحاتة، والاغتراب والجنون زى ما انتو شايفين، لو الكلام ده صحيح، واللى حصل النهارده بيشاور عليه، واحنا اكتشفناه، ولو حتى هوّه صحيح، ولو حتة صغيرة، اكتشفنا إننا مخلوفين نقدر نحب ونتحب، وبعد ما اكتشفناه قدرنا ننميه ونحافظ عليه، لو كده يمكن تبقى نقلة مهمة جداً، يعنى لما يكون ده هوه الأصل، إن احنا بنحب بعض لأن ربنا خلقنا كده، تاريخ تطورنا بيقول إن احنا عشان نستمر أحياء بشر بحق وحقيق لازم نبقى كده، يبقى

كل اللى علينا إن احنا نمد إيدنا على الحتة اللى استخبّت مننا ورا الخوف والجشع والطمع والغباء، **يعنى لما اقول لواحد أنت بتحبنى زى ما حصل فى الجروب، أنا مش بافرض عليه نفسى، أو بافرض عليه حاجة من برّاه، أنا بامد إيدى على مخزن الحب اللى ربنا خلقه فيه، وباخد حقى من غير ما استأذنه**، حاجة زى كده، على فكرة فيه أمثلة عامية بتنبة إن ده مش صح، فيه مثل أنا مش فاكر نصه، أظن بيقول إن "كل شىء بالخناق إلا ده بالإتفاق" مش عارف ليه، المثل ده غلط لو اتطبق فى الحتة اللى احنا وصلنا لها دى، ليه يعنى! ليه ماتقدرش تحب غصب عن التانى؟! مش بس كده، لأ وتقدر كمان تمد إيدك من غير إذنه برضه، تلاقيه بيحبك، حتى لو أنكر، أظن التمثيلية دى وصّلتنا للمنطقة دى، حاجة كده لو تتكلم فيها نظريا (كما أكتبها الآن) ماتنفعشى، ماتصدقهاش، تيجى تعملها على أرض الواقع، تلاقيها نفعت، زى النكتة - أستغفر الله- بتاعة الصلاة من غير وضوء تنفع؟ قال لك لأه ؟ قال لك وإيه رأيك إنها نفعت!! أهو برضه لو تفكر فى حكاية تمدّ إيدك من ورا التانى يحّبك، تلاقيها ما تنفعشى، لما عملناها ومثلنا ها باين عليها نفعت،

وبعدين "مى" عملت عاملة بقى مش مسبوقة، هى انتبهت للصعوبة، وشافت إنى رافض نهرب فى "لعبة" عشان ما نستسهلشى، ونقعد نقول "أنا من حقى ولكن....(ونكمل)"، وكلام من ده، ما احنا لعبناها قبل كده، راح ربنا فاتح على "مى" ، وزى ما تكون شافت إن فيه حقيقة ورا كل ده، **وهى إننا بنحب بعض فعلا، بس مش واخدين بالنا**، أو يمكن حايشين نفسنا عن إننا نشوف ده، ونكبره، ونمارسه، حاجة زى كده، طبعا ده اللى وصلنى دلوقتى مش ساعتها، مى لما اقترحت التمثيلية زى ما تكون قررت إحتمال إن ده حقيقة، **زى ما تكون عرضت على كل واحد مننا إنه يمد إيده على الحتة اللى بتحِب فى التانى، خلقة ربنا، وياخد منها اللى هوه عايزه، وهو بيعمل كده يروح زايح كل اللى يعترضه من حواجز أو حراس مانعاه عن باب مخزن الحب الربانى ده**، فراحت منتبهه كده بحدس ما لوش دعوة بأيها تنظير سابق، وراحت صايغاها فى الكلمات البسيطة دى. **"إنت بتحبنى غصبن عنك وعن اللى يتشدد لك**، أو **"وعن أهلك"** (بعد التعديل).

د. نهى: بس دى صعب قوى، زى ما يكون على قد ما هى ممكن تحل إشكال الشحاتة والصفقات والذل والكلام ده، يمكن تخلى الناس تستغنى عن الحب العادى، اللى هوّه مهم جدا، ما احنا عايشين بيه، حتى لو ما فيش، أدى احنا بندور ونستنى، أنا خايفة لانكون بكده بنستغنى عنّه، يبقى بتستغنى عن "الآخر"؟

د. يحيى: بصراحة آه، خوفك فى محله بس يمكن المسألة ما تكونشى استغنا قوى، يمكن تكون تذكرة بإن فيه حاجة أكبر مننا ورا الحب اللى احنا محتاجينه جدا ده، حاجة ما تتعارضشى معاه، بس ما تخليهوش بالشكل الصفقاتى ده، ولا يوصل للشحاتة طبعا، فما بالك بالمرض، والجوع للشوفان، وللاعتراف، الجوع المسعور اللى بيودى فى داهية زى ما انتى شايفة، وعارفة

د. نهى: بس ازاى نـيوْصِل ده بـده؟ يـعنى لما أكون أنـا حا حب من غير ما استأذن، وكمان حامدّ إيدى فى مخزن التانى واتحب من غير ما اقول له، يبقى فين العلاقة؟

د. يحيى: والله ما نى عارف، أنا متصور إن ده شىء يهدد بناء كبير جدا إحنا عايشين جواه فى الحياة، وفى القصص، وفى التاريخ، وفى الأسر، بناء بنتربى فيه وبنحتمى بيه، وبنربى أطفالنا جواه، وأنا مش معترض على اعتراضاك، أنا متصور إن البناء دى منطقة أمان ضرورية، إنما فيه أمان أكبر، لما نكتشف إن الحب ده مسألة بديهية، طبيعة عادية قبل الطبيعة اللى احنا بنفرضها على نفسنا ونسميها طبيعة، وهات يا نظريات، وهات يا فتاوى، الظاهر إن الامان الحقيقى مايجيش من إنك توفرى آليات الأمان المصنوعة، لأه، إنك تدورى على معادلة الأمان الطبيعية، لما تكتشفى إن طبيعتنا زى ما ربنا خلقها هى إننا نحب بعض، يبقى لا يمكن مهما تقعى حاتتكسرى، لأن ربنا هو اللى عملنا كده، فلازم حايلقانا واحنا بنقع، يعنى لما حد يقع من الأدوار العالية بتاعة البنا المؤمّن صناعى بالشكل إللى انا شاورت عليه دلوقتى، يقوم ما يتكسرشى برضه حتى لو آليات الأمان مش كفاية، يلاقى اللى يلقاه، اللى هى خلقة ربنا، يمكن يكون ده ضمان يخفف شوية ولا شويتين من حكاية **"إنت بتحبنى، لأ ما بتحبنيش، أنا عايزة اتحب، ما حدشى شايفنى"**، والكلام ده، مش معنى كده إن ده كلام مش مشروع، أو كلام فارغ، **لأ ده، كلام إنسانى طيب ومهم جدا وحقيقى، وهو بيعلن الضعف الرائع بتاع البشر،** لكن يبدو إن احنا عشان نكمل المشوار ونكون بشر بحق وحقيق، لازم ما نقفشى عنده، آدى كل الحكاية، أنا عايزك يا نهى تقولى اللى احنا بنتكلم فيه ده لأى حد من الى بيحبوا بعض، يكون مثلا زعلان من اللى بيحبه، وكده، قولى له يا أخى دوّر على اللى ورا ده، على الحتة اللى بتحبك فيه غصبن عنه، غصبن عن سوء الفهم ده، فى الغالب حاتلاقيها، أظن الأغلبية حايقولولك لأ ما ينفعشى، دا قال ، وعاد، وكلام من ده، تقولى له، ياأخى طيب ما يمكن فيه حته جوا جوا وأنت مش واخد بالك منها، ما تمد إيدك غصبن عنه وتصحّيها، ما تفتح مخازنها وتشوف الحكاية، يقول لك إلاّ، مش حا يصدق اللى إحنا عملناه دلوقتى فى الجروب، طبعا إنتى مش حاتيجيبى سيرة، مش معنى كده إن الحب مش كيميا، ولا إنه مافيهوش تمييز، وإن الحكاية سايحة ونايحة، لأه، إحنا هنا بنرجع لبدايات البداليات، القدرة على الحب نفسها، إنما عند التطبيق: الخصوصى خصوصى، كله خصوصى، ما فيش مانع، يجى ينتهى العمر الافتراضى للخصوصى، نرجع نبتدى من الأصل، حاجة زى كده، أنا مش متأكد.

د. نهى: مش عارفة، مش فاهمه، إيه الفرق؟

د. يحيى: مش كل واحد فى الجروب قدامك مد إيده ورا خالص جوا الجدع اللى بيكلمه، ولاّ الجدعة اللى بيكلمها، ولقى إن اللى بيعمله ده صح، ولما التمثيلية سمحت إن ينط له اللى

بيمنعه أو بيشككه، من خلال حكاية "غصبن عنك" دى، يعنى وهو بيمد إيده، اضطر يزيح اللى حايشه، إن كان الأهل (يعنى السلطة) همّا اللى حاشونا عن بعض - سواء بخوف أو بغباء أو بقلة أمان، مهما كانت حسن النية - أو غيرهم؟ وبرضه التمثيلية إدت الفرصة لمحاولة إزاحة أى حاجز تانى "اللى يتشدد له"، أى حاجز يبرر الوحدة والانسحاب والشك والكلام ده كله؟ مش ده اللى حصل؟

د. نهى: يمكن ، مش عارفة

د. يحيى: إحنا اتكلمنا فى الجروب عن الفرق بين "غصبن عن اللى يتشدد لك"، وبين "غصبن عن أهلك" مش كده يا منى

د. منى: أيوه

د. يحيى: أظن اللى بان من اللى حصل هو إن كلمة "اللى يتشدد لك" كانت بتشاور على كل العوامل اللى تحول دون انطلاق هذه الحقيقة البسيطة اللى اتعرت من التمثيلية، أما غصبن "عن أهلك"، فيمكن بتشاور أكتر على السلطة الوالدية أو ما يعادلها اللى بتحول دون التواصل الإنسانى بينا وبين بعضينا حاجة كده، قصدى زى ما باكرر باستمرار ، زى خلقة ربنا

د. محمد: يعنى إيه ؟

د. يحيى: بصراحة يامحمد أنا باخاف أخش فى المنطقة دى، مع إن مستحيل تجنبها، عشان كده كل ما اقرب لها أشاور على حتة منها، واكتفى بكده، أصل احنا ربنا حطنا فى منطقة معرفة صعبة قوى، إحنا ، قصدى الدكاترة النفسيين اللى عايزين يعرفوا، بنشوف البنى آدم عريان وهوّه بيتفركش، ويتشكل من لحم الحى، إحنا بنتعرف عليه باستمرار، ما فيش حاجة ثابتة زى ما بيفرضوها علينا فى العلم، أو بالتفسير الجاهز من أى مصدر، الأصل عندى هو نقطة بداية مش أكتر، والفطرة، اللى هى خلقة ربنا هى حركية مستمرة عبر رحلة تطور عظيمة وصعبة ورائعة، هى قانون حركة البقاء، وفى حالة الجنس البشرى، يبدو لما اكتسبنا الوعى وكلام من ده، اخترعنا حاجة اسمها **الحب، والقدرة على الحب**، وابتدينا نشوف الصعوبات اللى حوالين الحكاية دى، بما فى ذلك ضرورة الكره، ما انت عارف إن الكره علاقة برضه، وإنه هو جزء من حركية الحب زى ما قلنا ألف مرة، الكره مش عكس الحب، وانا كتبت فى الموقع كلام كتير من ده،

- نشرة 1-7-2008 **[نحن نخاف من الحب،..!! ونكره الكراهية!! إذن ماذا؟]،**

- نشرة: 22-7-2008 **[عن "الكره" و"الكراهية" خبرة شخصية حديثة !!]،**

- نشرة 19-8-2008 **[مقدمة عن الحب والجنس ثم: تجليات الحنان]،**

ولعبنا ألعاب كتير مع أصدقاء الموقع

- نشرة: 15-7-2008 [هل ثمَّ وجدان جديد يتخلق: "ألعاب الحب"]،

- نشرة: 24-9-2009 [حتى لو ما حدش بيحبنى: أنا من حقى.....]،

وجبنا عينات من العلاج الجمعى دى، عايزنى أقول لك إيه أكتر من كده، أنا بصراحة باحذركم من سوء استسعمال الألفاظ فى المنطقة دى، ومن تحوير كلامى أو سوء فهمه، أقول ربنا تاخدوها ربنا بتاع السلطة، وتبعدوه عننا سواء فى السعودية أو فى الجامع، أنا ربنا قاعد معانا هنا ودلوقتى، أنا باترعب لما اضطر أستعمل ألفاظ دينية شائعة، على طول بتوصل الناحية التانية غالبا، مش بس الدين، آجى أقول الطفل اللى جوانا يتقلب طفل بتاع المرقعه والسيبان والرضاعة والاعتمادية والكلام ده، خلوا بالكوا اللغة عملية متحركة ومسئولية، إعملوا معروف. بس أنا حاعمل إيه؟ حاجيب لغة منين؟ ما هو ده طفل صحيح بس مش لوحده، وده ربنا صحيح بس مش اللى هو استولوا عليه الرؤساء والمفتيين اللى واخدينها من على الوش، كده ما ينفعش

د.محمد: ما هو كل واحد بيتهيأ له خلقة ربنا زى ما هو عايز، أو زى ما قالوا له

د. يحيى: بصراحة: الله نور، بس انت بتشوف هنا بعينك إحنا بنعمل إيه، يعنى بتشوف إحنا بدأنا النهارده بشحاتة الحب، عرّيناها لقيناها بايخة ومُذلة ومش نافعة، قلنا صفقات، مشيت شوية بس مش مضمونة برضه، فجأة "مى" فتحت لنا فتحة وصّلتنا للأصل، قلنا نجرّب.

محمد: وليه ما نسميهاش حاجة تانية ، إشمعنى خلقة ربنا

د. يحيى: سميها زى ما انت عايز، ما انت عارف أول الاتناشر خطوة فى علاج وتأهيل المدمنين بيقول الواحد منهم: سلمت أمرى لله "كما أعرفه"، أو "كما أراه"، حاجة كده، يعنى ما يصحش نقف عند اللفظ ونقعد نتناقش فيه واحنا قاعدين على المكاتب، **إحنا بنشوف هنا ازاى فيه وعى بيتكون فى وسطينا واحنا حواليه، بناخد وندى منه، وبنشوف ازاى الوعى الجمعى ده بيبقى متصل بوعينا**، واحنا جزء منه، وفى نفس الوقت بنحافظ على استقلالنا بوعينا، الحاجة اللى انا شخصيا بازودها بقى، مش بافرضها، هى إن الوعى الجمعى المشترك اللى بيتكون ده بيتصاعد بالتدريج وباستمرار من غير ما نحدد مدى تصعيده ولا مسار تصعيده، مش ده أساس العلاج الجماعى برضه؟ أنا عارف إن مش كل الانواع اللى جارية فى العالم بتتدرج لحد حكاية التصعيد دى، إنما أهو كل شيخ وله طريقة، وكل شيخ وله لغته برضه، وكل ثقافة ولها متابعها.

د. محمد: بس لازم فيه لغة مشتركة

د. يحيى: طبعا، إنما ما حدش يفرض أى لغة أو أى تفسير ينكر اللى جارى قدام عينى وعينك، إحنا مش حانوقف الجروب ونقول لهم إيه هوه تعريف الفطرة، ولا إيه هى برامج التطور، ولا يعنى إيه ربنا، إنت شفت هالة لما حصل التغير مهما كان بسيط، وطلبت منها تقول "الحمد لله"، أنا مش كنت بادّرْوش، أنا كنت باشاور على فضل القوة الضامة المركزية، إللى جمعتنا لحد ما تكونت الحاجة المشتركة بينا، واللى أنا رأيي هى إنها اللى بتميز الإنسان المتواصل بشرا بحق، أنا بقى باشوفها وباعاملها موضوعيا على إنها حقيقة واصلة لربنا، وإن تدعيمها ممكن بكل شىء بنعمله صح عشان يعمّق اللى شفنا نفسنا اتخلقنا بيه أو عليه، واحد تانى يشوفها زى ما هو عايز، يسميها زى ما هو عايز، بالنسبة لى دى حقيقة موضوعية ومفيدة، وده يكفينى، إنت عارف علاقتى بالتفسير العلمى للقرآن، أنا ضده مائة فى المائة، إنما الحقائق الموضوعية لما تتوازى مع الوعى الإيمانى اللى انا باستلهمه من فطرتى، ومن دينى، زى ما كل واحد ممكن يستلهمه من دينه أو من مطرح ما هو عايز، الحقائق دى لما تبقى مفيدة، تبقى مفيدة، إحنا هنا جربنا إن خلقة ربنا معمولة عبر ملايين السنين - عشان نبقى بنى آدمين- بتسمح إننا نحب بعض، يبقى ننميها، ييجى بقى الأهل خايفين أو مغتربين يخزنوا الطاقة دى من خوفهم أو طمعهم، ندعبس احنا عليها، ونمد إيدنا ناخد منها غصبن **عن "أهلك"**، آسف عن الأهل اللى عملوا كده، تيجى عوامل تانية تساهم فى وضع الحواجز أو تقفّل المخازن، يبقى غصبن عن **"اللى يتشدد لك"**، أنا وصلتنى "اللى يتشدد لك" على إنها أى عوامل تحول دون أن نحب بعض بالمعنى البسيط ده.

د. نهى: بس دى حاجة زى ما تكون مثالية كده

د. يحيى: يمكن ، ويمكن لأه، يعنى الشحاتة هى اللى واقعية قوى ؟ يا شيخة!! ولا المذلة؟ خلى الصفقات على جنب، لأن احنا ما هاجمنهاش قوى، باين إن هى دى البضاعة الحاضرة، بس باضيف عليها كلمة إن الصفقات مقبولة لأنها "مرحلية"، مادام إحنا ما شيين فى السكة اللى بنقول عليها النمو وكلام من ده، أصل انا لما اشتغلت فى منطقة فطرة برامج حركية الإيمان، ولسه ما نشرتهاش إلا فى مرة فى مؤتمر على باور بوينت، شفت إن العلاقة بين البشر فى وضعهم الحالى، وهما بيحملوا كل تاريخ الحياة، والكر والفر، والاستغماية والانقراض والكلام ده كله، وبعدين وهما بيحملوا كل تاريخ الإنسان بما حوى من معارك، وظلم، وإبادة، وجنس، ومحارم، وقتل، وإغارة، وده تاريخ رائع مرعب فى الأساطير، بعد ده كله لقيت إن ما ينفعشى نمسك اتنين نقول لهم حبوا بعض جدا جدا بالبلدى كده وهما شايلين كل ده جواهم، يعنى إيه "نعلم العيال إن" على الإنسان أن يحب أخيه الإنسان؟"؟ بأمارة إيه؟ إذا سطحنا الحكاية كده هما يا إما حايكذبوا، يا حا يبقى حب مؤقت عمره قصير، يا حايتوقفوا وماعادوش يتحركوا نحو بشريتهم الحقيقية وسط بشر مثلهم فيه عامل بيجمعهم، لما أنا شفت الصعوبة التركيبية دى، بحثت عن جّماع ده كله، لقيت الحركة

والجدل والكلام ده داير على ودنه، بس مش بشكل عشوائى يعنى ولا سطحى، لأ بصيت لقيت إن عشان نستحمل تاريخنا ده إحنا مضطرين نتناغم مع مستويات أعلى فأعلى من الوعى أكثر إحاطة وأتقن برامج، وأنجح حركة، هى مش بعيد عن تركيبنا، هى بتبدأ مننا وتتناغم مع دوائر أوسع فى أوسع، بصراحة كفاية لحد كده، الظاهر المسالة بقت تنظير بايخ،

د. نهى: حضرتك كده صعبتها وسبتها

د. يحيى: أصل أنا باخاف وانا باقرب على المنطقة دى، أنا عادة باتوقع انكم تستسهلوا وتفهموها غلط ، مع إنى باكررها كتير غصبن عنى، إحنا صنايعية لنا هدف متواضع، إحنا المقياس اللى عندنا هنا هو مصلحة العيان، مسيرة العلاج ، وبنقيس صحة الفروض بتاعتنا بنتايج اللى بنعمله حتة بحته، وعلى فكرة المنهج بتاعنا ده هو ضد المقارنة، وضد اثبت لى واثبت لك، دا منهج تانى خالص، اللى عايز يشوف يجى يشوف، ما لوش حل تانى، وانا بخبرتى فى النقد باقول إن الإبداع الأدبى، وكل أنواع الإبداع بينى وبينكم، بيلعبوا صح فى المنطقة دى، أنا باشوف الحاجات دى فى الإبداع وفى المرضى، أكثر ما باشوفها فى الكتب، النفسية، وبصراحة الفلسفة عاملة شغل كويس برضه.

د. محمد: طيب، إحنا شفنا الفرق ما بين الشحاتة، وما بين مد الإيد واقتحام لمخزن الحب من غير استئذان، ده بقى حاينفع الدكتورة "منى" بإيه، وحاينفع الدكتورة "منى" بإيه، وحتى حضرتك؟

د. يحيى: باللى انت شفته عينى عنيك، ثم إننا يا أخى زى ما انت عارف، ما بنقيسشى كل خطوة بكذا وكيت، ماهى النقلة من الشحاتة، لتبادل الحب من غير تردد ولا حزق، ولا حتى صفقات غير صفقة قعدتنا مع بعضينا ساعة كل أسبوع لمدة سنة، النقلة دى، لحقناها بحمد الله عشان هو خلقنا بعد رحلة التطور دى كلها كده، خلقنا قادرين نستحمل كل تاريخنا ده، دى حاجات ما تترصدشى أول بأول، بالتراكم بتظهر النتائج فى حينها، وساعات ما يظهرشى أثرها إلا بعد سنين. وبعدين خلى بالك ساعات الحاجة تبقى صح، ولو إنها تبان صعبة أو مثالية أو أى حاجة من اللى انتو بتقولوا عليها، لأن غيرها زفت، هوه فيه إيه عندك بدال اللى حصل ده، شحاتة الحب، ولا خطفه، ولا سرقته، ولا إيه بالظبط؟ خلى الصفقات على جنب من فضلك، بس الزمن بيرجع يفلّى فيها خلى بالك، ولما عمرها الافتراضى ينتهى، بتحتاج النقلة دى.

د. منى: بصراحة الشحاتة لما اتعرّت قوى كده، واحنا كلنا بنشحت عمال على بطال، حا تخلى الواحد يحتاس

د. يحيى: بصراحة آه، خصوصا إن ليها أشكال كتيرة ما اسمهاش شحاتة، هى ساعات بتستخبى فى صورة مجاملات ، وعلاقات عادية ، يعنى مثلا لما واحد بقى يعيى ويوصّل لمراته، أو حبيبته، أو صديقته إنه عيان قوى قوى، وهوه مش عيان أوى ولا حاجة يبقى بيشحت، وهكذا، ثم خلى بالك يا منى، إحنا مش بنرفض الشحاتة من منطلق أخلاقى، إحنا بنرفضها من منطلق

نفعى، يعنى شايفة مع هالة، هىّ الشحاتة نفعت؟ لونفعت ما كانت بطلت، ما هى كل مرة عمالة تشحت بعوجة رقبتها، وبأنها عايزة تموت، والنهارده أعلنتها: عايزة حب، رحنا لاعبين "حبة حب - عند الجارة" راحت الحكاية مفقوسة. المفروض إن الحاجة لما ما بتنفعشى بنبطلها، فى المرض ده ما بيحصلشى، إحنا بنقعد نكرر نكرر نكرر وما بنزهقشى، وحتى يا شيخة فى الحياة العادية، زى ما انتى قلتى، هوه احنا بنعمل حاجة غير الشحاتة ، مش انتى اللى قايلة كده، وادى احنا شفنا إنها مش نافعة، يبقى نكررها ليه؟ المصيبة بقى إن حتى أبسط القواعد السلوكية احنا ما بنحاولشى نطبقها ونتعلم منها، يعنى الشحاتة مش نافعة، والصفقات عمرها قصير، طب نعمل إيه واحنا بشر، تيجى تظهر لنا حاجة بسيطة وحلوة غير ده وغير ده، نقول عليها مثالية وصعبة ومستحيلة، نعمل إيه، ما هو لازم نتعلم من واقع الممارسة مش بس من الكتب ، وزى ما انتى شايفة المسألة مش مسألة كلام، إنت لو قلت لهالة النهادة ألف مرة "أنا باحبك"، حاتنفع؟ مانتى شفتى وعارفة، وبره الجروب برضه، الصفقة حاجة تانية، أنا مش بدافع عنها، هى مش غاية المراد، إحنا اتعلمنا من إبراهيم إنها جاهزة لكن عزمنا عليه يعديها فعدّاها، إبراهيم زى ما لاحظتى، هوّه ابتدا بيها جوا الجروب ، "أنا أحب هيام تقوم هى تحبنى"، يعنى، ومع ذلك ما رضيناش بيها، لأنها مش حل، **لأن عشان الصفقة تبقى جيده وعمرها أطول شوية ، يبقى لازم يكون فيه حاجتين، عدل، وعدم وجود شروط خفية من تحت لتحت، ساعات يسموه تواطؤ غير معلن،** إذا كانت الصفقة عادلة إنت بتدى 5 بتاخدى 6 إنتى بتحترمى تسعة بيحترمك تمانية ، يعنى فروق ملحوقة كده، بالشكل ده عمر الصفقة بيطول شوية، **الجماعه الحبيبة تجيبلهم سيرة الصفقة دى يركبهم العصبى، تقولى عدل مش عدل، تواطؤ مش تواطؤ، ما لهمشى دعوة ، هوه حب مية مية، حلال عليهم، ربنا يسهل لهم، حد طايل،** الصفقة الصح لازم تكسّب الطرفين إنسانيتهم أكتر فى أكتر، الصفقة ساعات تتقلب شحاتة، وساعات تتقلب استغلال، لو إن العدل غاب، المصيبة لما الشحاتة تبقى سرية متبادلة، دى تبقى صفقة أخبث، عادة بتتم على حساب الأضعف، والمجتمع اللى بيقهر المرأة على ودنه، بيخليها خسرانة فى الصفقات السرية دى خصوصا، وبرضه فى العلنية بينى وبينك، إلا لو لحقت نفلسها، والأدهى عشان الراجل أخيب من كده مفيش، السرية والتواطؤ ما بيخلهوش يشوف الخسارة اللى هوه متدبس فيها لما يغيب العدل، ويعمى الوعى.

د. منى: طب نعمل إيه؟

د. يحيى: ما انا قلت، نرجع لخلقة ربنا، ومش بالمعنى الدينى الحرفى، لأه، بمعنى الحركة نحو العامل المشترك الأعظم اللى بيتخلق ما بينا بالعدل والوعى، اللى بيخلينا بشر نستاهل تكريم ربنا واحنا بنتجمع بيه وحواليه وإليه، إنت عارفة أنا باكرر حكاية "اجتمعا عليه"، و"افترقا عليه"، وباخاف لتحسبوا إن ده تفسير علمى للدين وكلام من الكلام الخايب ده، أنا وقفت قدام "افترقا عليه" دى سنين طويلة لحد ما فهمتها وانا بامارس العلاج الجمعى بالذات، "اجتمعا عليه" ماشى،

أدى احنا ينيجى، ونعمل دايرة ، والقاسم المشترك الأصغر بيتكون ما باناتنا، وبيسحبنا واحدة واحدة للقاسم المشترك الأعظم، ده حسب لغتى، كل واحد يقولها بالطريقة اللى تريحه، نيجى بقى لحكاية "افترقا عليه" أحس إن احنا واحنا بنروّح، والجروب بيتفض فى نهاية كل جلسة، ويكون الوعى الجمعى اللى على قدّه ده ابتدا يتشكل ما بينا، أحس إنه بيفضل موصل جيد مع بعضنا حتى واحنا بعيد عن بعض، مش إن إحنا نفتكر بعض بالذاكرة، لأه، ده وعى بيجمع البنى آدمين مع بعض لوحده، أظن ده اللى بيميز الجنس البشرى بعد ما اكتسب الإنسان الوعى والكلام ده، هو ده برضه اللى يعتبر تكريم للبشر، لأنه فيه فعل، وفيه مسئولية، عشان نبقى بشر، يبقى لازم يتخلق بينا وعى جمعى بالعدل والأصول، وعى متصل بوعى أعلى عشان يلمه، وده مش ميتافيزيقا ولا يحزنون، ده واقع ماثل، بيولوجى، ربنا خلقنا قادرين على تكوينه، بجروب مش جروب، أنا عمال أقول "اجتمعا" لأن الحديث الشريف أصله كده بيتكلم عن شابين تحابا فى الله، هنا حقنا نقول "اجتمعوا عليه"، ثم ما تنسيش حرف "فى" دى، "فى الله" ، دى عندى لها معنى موضوعى، يكاد يكون بيولوجى، ما فيش وقت لشرحه، برضه عشان ما تقولوش تفسير علمى وكلام من ده، أنا باقف كتير عند التلات حروف جر دول: "فى"،و "على" و"على"

نرجع مرجوعنا ازاى "نفترق عليه"، تلاقى الوعى الجمعى اللى بيتكون أثناء العلاج ده هو اللى بيلمنا برضه واحنا بنسيب بعض، لأننا بنسيب بعض تحت مظلته الواسعة جدا، يمكن هى كرسيه اللى وسع السماوات والأرض، تلاقينا إذا كانت هذه القوة الموضوعية هى اللى بتجمعنا صح، يبقى مهما بعدنا عن بعض كآحاد، فاحنا مستظلين بالمظلة الكبيرة، يعنى منتمين للوعى الجمعى تحت مظلة الوعى المطلق إلى وجه الحق تعالى، أنا متأسف، كل ما أحود التحويدات دى أخاف من الفهم الغلط، باخاف من اللى يختزلها لمعتقداته السطحية قوام قوام، وينسى إنها مسئوليته، وإنها مسألة قريبة نابعة منه راجعة له وكلام من ده، أنا آسف بجد،

د. نهى: يعنى، يمكن فهمت شوية، لكن

د. يحيى: ستين لكن، ولا يهمك، الأحسن الواحد ما يفهمشى قوى، المهم إن فيه حاجة رائعة فى الجنس البشرى ده، وإن العلاقات ما تتاخدش بالبساطة الشائعة، ولا بالاستسهال الجاهز،

د. منى: يبقى ممكن إيه بقى ؟

د. يحيى: والله ما نى عارف، يعنى انتى فاكرة إنى حليتها شخصيا يعنى؟ أهو بنحاول مع بعض، على فكرة أنا مش عارف فى بلاد بره بيحلوها ازاى، خصوصا الجماعة اللى بيتوقفوا عند العقل الظاهر، والحرية، وحقى وحقك، وكلام من ده، طبعا هما بيحبوا ويتحبوا والأشيا رضا، بس هما بيراجعوا نفسهم، بجدعنة عمال على بطال، وبياخدوا بالهم من حسابات العمر الافتراضى بتاع الحب المتاح، ومعدل التغيّر، وسرعة التبديل، وارتفاع

معدلات الطلاق، وده مش ضرورى يكون عيب قوى، ولا هوه برضه دليل نجاح، إحنا مانتفلحشى ونحكم على غيرنا، واحنا لا عارفين التفاصيل، ولا ناجحين يعنى اسم الله، وعلاقتنا بربنا مش هى اللى انا باشاور عليها، دا يمكن العكس، آسف، إحنا اللى شفناه فى الجروب ده هو لمحات من اللى عايز أشاور عليه، يعنى هالة مثلا ساعة ما قالت "الحمد لله" أنا اتصورت إنها كانت فى الاتجاه ده، هى صحيح بلعتها بعدها بـــ 5 ثوانى إنما أنا شايف فى خبرتى إنها مستحيل تلغيها تماما، مش احنا اتعلمنا كده برضه؟، اتعلمنا إن إحنا نشوف ونستنى ونشتغل وربنا يسهل، أهو اللى شفناه ده هو اللى حصل، والبنيّة حمدت ربنا وشكلها اتغير، يعنى هوا انا يعنى جيت حشرت فى مخها ربنا بالعافية، مش كل اللى حصل إنى عزمت عليها وطلعت منها رايقة ومختلفة، يبقى خلاص الحمد لله، ما هو ما حدش يقدر يرصد وفى نفس الوقت ما يقدرشى ينكر الحته اللى بتظهر قدام حواسه عينى عينك، وهى حتة بتبان إنها عكس المنطق وعكس الصفقات وعكس المشايخ وعكس العلم وعكس الكتب، مش عكس يعنى ضد، لأه، يعنى مش هيه، بس نبص نلاقيها موجوده قدام عنينا نقول لها لأه ما شفناكيش، يمكن اللى قالته "مى" وكان سبب فى اختراع التمثيلية دى، جه من حتة المعرفة الخفية دى، إحنا مش بنجّم، إحنا بنعيش الموجود، ونحترم النتايج، آدى كل الحكاية.

د. محمد: بس دول عيانين

د. يحيى: قصدك إيه؟ يعنى العيانين دول مش بنى آدمين ربنا كرّمهم برضه بأنهم بشر؟ دول فضلهم علينا يا راجل مالوش حدود، دول مش بس بيعرفونا يعنى إيه مرض، **دول بيعرفونا يعنى إيه بشر**، بيعرفونا أنفسنا يا راجل، ثم خلى بالك إحنا فى قصر العينى، وأغلبهم يا ما بيفكش الخط، يا ما كملشى ابتدائى، ونادر اللى عدى ثانوى، وناس غلابة وولاد حلال، بغض النظر عن التشخيص، ثم إحنا بندور على إيه؟ بندور على التحقق من اللى احنا شفناه، لقينا هنا فكرة، فرض طلع لنا لوحده لما شفنا بشاعة الشحاتة، وخيبة السرقة، وحسينا قصر عمر الصفقات، قام إيه، قام طلع لنا فرض بيقول: **" إن ربنا خلق البشر ، خلق الناس، وفيهم ميكانزم، بروجرام إنهم يحبوا بعض، وإن فيه حاجات إحنا عملناها فى نفسنا خبّت ده، أو منعته، أو صعّبته، حاجة كده، فجُعنا حب وشوفان"**، فراحت "مى" ربنا يكرمها رازعة التمثيلية، رحنا شايفين اللى شفناه، ننكره بأمارة إيه ؟ إنه مش مكتوب فى الكتب؟ يا صلاة النبى، مش ندوّر ازاى نستفيد منه يمكن نبطل شحاتة وكذب، مش يمكن نعرف فى الزنقات اياها نقول: **اللى ما بيحبنيش ان شالله ما حبنى، ما هو بيحبنى برضه غصبن عن أهله، وعن اللى يتشدد له"، حلوه دى!!** بس أنا قلتها يا دكتور محمد بالتمثيل الصامت معاك فى الجروب ساعة ما مسكتك من قميصك، أوريهم التمثيل الجد يبقى ازاى، ووصلك الكلام من غير كلام، مش كده؟ واهو انت اهه عمال تحبنى دلوقتى غصبن عنك وعن....

د. محمد: لأ بلاش، مش غصب عنى ولا حاجة،

د. يحيى: ربنا يخليك

- هذه الروابط مضافة عند التحرير كتابة طبعا لتسهيل الرجوع إليها لاصدقاء الموقع.

الخميـــــــس 19-11-2009

811- مـــرة أخـــرى: عـــن المنهـــج والموضـــوع

(قبل التمادى خارج الفكرة المحورية، ثم: بعض الحوار)

مقدمة

مرة أخرى، ليست أخيرة غالبا ، أعود لتوضيح منهج ومسار هذا العمل، حتى يمكن أن يثريه الحوار كما أملنا:

المسألة ليست طرح نظرية جديدة متكاملة للمناقشة، بقدر ما **هى استلهام فروض عاملة من نصوص حية وإبداعية،** هذه النصوص نابعة من ثقافتنا أساسا، العربية عامة، والمصرية خاصة، والإيمانية عمقا، وهى بذلك تأمل أن ترسم خطوطا وتشكيلات واعدة لنظرية فى الإنسان، وربما لمنهج فى الحياة، يتناسب مع هذه الثقافة، ليتكامل مع ثقافات أخرى تثريه ويثريها.

مصدر هذه الفروض تبدأ **بالنص البشرى:** مريضا أو غير ذلك، **وتمتد إلى نصوص إبداعية للكاتب بوجه خاص،** ثم ما يثريه الحوار الناقد **لهذه المادة تحديدا،**

وعلى ذلك، فإن الالتزام بالمصدر الأصلى للنصوص المحددة، ونقدها هو الخليق بأن يجعلنا نواصل معا **استجلاء الفروض، ولا أقول تحقيقها،** فهذا أمر سابق لأوانه إن كان ممكنا أصلا.

ما وصلنى حتى الآن من تعقيبات وهو قليل جدا، هو طيب وكريم ومفيد، لكنه يحتاج إلى إنصات، واستمرار ومناقشة، نرجوا أن ننجح فى ضبط خطاها، وتوجيه مسارها معا بشكل أو بآخر.

وبعد (1)

كنت قد أنهيت دعوتى للمشاركة فى الحوار (2009/11/4) بهذه الجملة:

"وفى انتظار إسهامات أخرى، آمل أن تكون مختصرة ما أمكن، بما فى ذلك إسهامات الصديقة التى أثارت كل ذلك الحوار".

إلا أن ما وصلنى حتى الآن لم يكن إلا إضافات محدودة ، أساسا من الزميلين الذين اشتركا فى فتح باب الحوار مع الصديقة أ. أمل، أكثر مما فعلا مع النص الأصلى للنشرة المعنية (أو لسائر النشرات)، كنت قد أجلت التعقيب على تعقيبهما انتظارا لرأى صاحبة الأطروحة الناقدة الذى لم يصلنا حتى الآن.

نشرة اليوم هى عودة إلى لفت النظر إلى طبيعة العمل وحدوده وذلك بعد أن شعرت أنه من ألزم اللازم أن نحدد معاً "كيف" و"إلى" "أين" حتى لا يخرج بنا الحوار عن المسار.

لهذا سوف أخصص أغلب نشرة اليوم لبعض ذلك، مع تعقيب مختصر على ما أجلت التعقيب عليه منذ أسبوعين.

بداية باكرة لها دلالتها

جاء فى النشرة رقم 26 بتاريخ 26 سبتمبر 2007، (أى منذ أكثر من عامين كاملين) مايلى:

التواصل بين البشر ضرورة وجودية بقائية، ليس فقط لحفظ النوع، وإنما لتأنيس الإنسان تتويجا لمسيرته التطورية الرائعة،

هو ليس اختيارا ثانويا.

الإنسان لا يكون إنسانا إلا إذا تواصل مع إنسان آخر،

" طيبْ"..، والحيوان؟؟ الحيوان يعيش بشكل جماعى منظم، بغرائز بقائية تصل فى رقتها أحيانا إلى ما يمكن أن يتعلم منه الإنسان، نحن لا نعلم شيئا ذا بال عن الجزء الإرادى فى هذا التعايش "معا ولا عن درجة الوعى بهذا التعايش.

يتميز الانسان - دون سائر الأحياء التى نعرفها - باكتسابه "الوعى" وما يترتب عليه (وبالذات: من الحرية أو الإرادة أو حمل الأمانة أو ماشابه)

التواصل لا يتم من خلال العواطف تماما أو فقط (خصوصا لمن يتعامل مع العواطف والانفعالات على أنها نوع من "الدوافع" أساسا) وإنما هو يتعلق بحركية الوعى كله، بكل مستوياته (بدءًا بالجسد إلى الوعى الإبداعى الفائق).

نبدأ بما يميز الإنسان من حيث هو إنسان حتى نتعرف على **بعض إشكالات التواصل الذى يميز الإنسان إنسانا**

الإنسان هو:

هو كائن حى يتمتع بالوعى، وهو يعرف ذلك: يعرف أنه واعٍ (الوعى بالوعى)

ولا يكون الإنسان إنسانا إلا بحركيّةٍ تربط هذا الوعى المركّب بوعى مركب آخر (إنسان آخر) يحمل نفس المواصفات.

على أى مستوى يتم التواصل بين البشر؟

(خاصة التواصل الثنائى الذى أظهر تجلياته التى تتبدى فيما يسمى: "علاقة حب"، وتقليديا: فى "الزواج"؟)

هل يتم على مستوى **نفعية العقل الممنطق النفعى** (صفقات عقلية أو معقلنة؟ صفقات شريفة أو مشبوهة)؟؟

أو على مستوى **العواطف والانجذاب المتبادل** (وهو أرقّ ما يوصف به التواصل)؟؟

أو على مستوى **الحوار الفكرى والنقاش اللفظى**؟

أو على مستوى **الغرائز والمتعة المنفصلة** (رشوة جنس أو تصبيرة عشق فى انشقاقٍ متبادل)؟

أو على المستوى **الأخلاقى والدينى:** العطاء والرعاية والمسئولية والعلانية والأوراق؟

أو على المستوى **القانونى والشعارات:** تنظيم المصالح، وحقوق الإنسان، وحقى وحقك، (ومثل هذا الكلام)؟

قبل أن أختم كلمتى يقفز سؤال لا يمكن الهرب منه يقول؟ هل حللتُ أنا شخصيا - فى حياتى الشخصية - هذا الإشكال؟ طبعا لا؟ إذن فماذا؟ إذن فهذا!!! يبدو أن هذا كل ذلك كان فى بؤرة وعيى وأنا أفتح على نفسى هذه الفتحة فى كتابة اليوميات يومياً "الإنسان والتطور".

وبعد (2)

بكل هذا الوضوح، ومنذ أكثر من سنتين فتحنا ملف "العلاقات البشرية"، وظل عرض الحالات يتوالى والألعاب النفسية تتنوع؟ والحوارات تجرى بكل نشاط فى هذه المنطقة بالذات، حتى وصلنا إلى "شرح ديوان أغوار النفس" "فقة العلاقات البشرية"

فهل يمكن أن يبدأ الحوار الآن من هنا فحسب؟!

ثم إلى مقتطف أخير من آخر نشرة رقم (810) 2009/11/17، أمس

..... وهى مناقشة ما دار فى جلسة للعالج الجمعى مؤخرا (منذ أسبوعين) كدعم، لبعض جوانب الفروض المطروحة فى هذا العمل،

جاء فى المقدمة ما يلى:

... تحول العمل ليصبح ذا ثلاثة منطلقات، أو ليسير على ثلاثة مسارات:

الأول: شرح المتن الشعرى، وهو ما نتابعه كل أربعاء غالبا...

الثـانى: هو الاستطرادات الداعمة، أو المكملة، أو المصححة أو الناقدة للمتن الشعرى وقراءته وإيحاءاته، سواء كان ذلك من نص سابق للمؤلف، شعرا أو نثرا أو تنظيرا علميا، أو من مقتطف واقعى من حالة إكلنيكية معروضة (حالات وأحوال)، أو جزءا من حالة مناقشة (التدريب عن بعد)

الثـالث: هو حوارات الأصدقاء التى تدور حول هذا وذاك،

وهذا ما بدأت محاولته اليوم الذى يبدو أنه لن يكمل.

وبعد (3)

من هذا المنطلق يصبح المطلوب **هو الالتزام بمناقشة هذه المحاولات تحديدا التى تستلهم نصوصا حية أكثر مما تستند إلى آراء وتنظيرات واجتهادات وآراء رائعة وضرورية، لها مجالات أخرى ومناهج أخرى**

ما بين هذه البداية الباكرة، منذ أكثر من سنتين والإيضاح المنهجى الأقرب (أمس) ظهرت نشرات كثيرة كثيرة تتناول نفس الموضوع وتنبه إلى ترامى مراميه، ومن مثل ذلك نقرأ معا الآن مقتطفا من **نشرة (رقم 775) بتاريخ 14 -10-2009، بعنوان الشغل فى المستحيل (أن يحب أحدنا الآخر بما يليق بالكائن البشرى المعاصر)**

.....

.....

هيا نوجز الإشكالة هكذا:

فروض مستلهمة

المستويات العشرة للعلاقات البشرية

المستوى الأول: **الجذب النداء والانجذاب الذاهل.**

المستوى الثانى: **اللذة المشتركة بعض الوقت.**

المستوى الثالث: **اللعب الحر معا - أحيانا.**

المستوى الرابع: **تبادل الاعتمادية**

.....

.....

المستوى الخامس: **انتشار الفرحة تواصلا إلى محيط من البشر أوسع فأوسع.**

(وهذا يحتاج إلى تعرّف على مانعنيه بالفرح والفرحة حالة كونهما وسادة المشاركة معا)

المستوى السادس: **جدل النمو .**

(فننتبه إلى أن الجدل الذى يستحيل التحدث عنه دون اختزاله أو تشويهه ، هو حقيقة ما نمارسه فعلا دون تسمية، "لنكون فنصير"، رضينا أم لم نرضَ)

المستوى السابع: **إعادة الولادة.**

(وهذا ما يجعل تقييمنا للتواصل البشرى بما يتبقى منه،وليس فقط بما يتحقق به مؤقتا)

المستوى الثامن: **الامتداد إليهم (الناس) حمْدًا.**

(فنجد أنفسنا فى دائرة الوعى الجمعى، وهو شرط لا بد من توفره يكون القاسم المشترك الأعظم الذى يبرر تحققنا أفرادا بشريين)

المستوى التاسع: **الألم الخلّاق كدْحا إليه.**

(تمتد بنا العلاقة إلى مستويات أعلى فأعلى من الوعى المشتمل، فنجد أنفسنا نعزف اللحن الأرحب مع الطبيعة المنفتحة إلى الوعى الكونى المفتوح النهاية إلى وجه الحق تعالى).

المستوى العاشر: **إعادة دورة جدل الايقاع الحيوى فى نبضة جديدة على مستوى أعلى، وهكذا.**

(غنى عن البيان أن هذا التصعيد ليس خطا مستقيما أو درجة بعد درجة، بقدر ما هو دورات معادة تتقدم مع كل دورة إلى ما تيسر من إمكانية تجعل المستحيل ممكنا مع استمرار الدورات حسب كفاءة الإيقاع الحيوى المفتوح النهاية)

فهل يا ترى من أشار فى تعقيبه إلى المستويات الثلاثة الأولى لا أكثر، يمكن مناقشته دون إحالته إلى المستويات السبعة الباقية التى لم نتناولها بعد؟

وهل يا ترى من ناقش أو سوف يناقش هذه النشرة سوف يرجع إلى النشرات الأقدم حتى تكتمل الصورة؟

أنا أزعم أن أحدا لا يحاورنى، ويبدو أحيانا أننى أشكو من ذلك، وهأنذا أعترف أننى أخطأت، لأننى اثبت الآن أننى السبب فى ذلك، وربما علىّ أن اواصل إثبات رؤيتى شاكراً حامداً كل من لا يحاورنى، بقدر ما احترم منصتا لكل من يحاورنى.

وبعد (4)

دعونى أختم الآن هذه النشرة اليوم بمحاولة تعقيب موجز على الصديقين الذين اشتركا فى التعقيب على مداخلة الصديقة أ.أمل محمود، ولم أرد عليهما فى حينه، معتذرا للكريم أ.د. صادق السامرائى وأنا استسمحه أن أؤجل ردى عليه إلى الأسبوع القادم

******

تعقيب على التعقيبين

(ملحوظة: من الأفضل طبعا أن يرجع القارئ أولا إلى كامل **التعقيب الذى نشر فى 2009/10/30 حوار/بريد الجمعة** لأننى سوف أكتفى بتعقيب سريع موجز بعد اثبات مقتطفات محدودة أتبعها برأيي.

د. مدحت منصور

"..... يمكن تجاوزا اعتبار أن لكل سالب موجب يكمله فيما عدا كروموسوم (y) المحدد للجنس الذكري يكمله كروموسوم (x) الأنثوي و الذي نعتبره سالبا ليكون تركيب المرأة المحدد للجنس (xx) مقابل (xy) في الذكر.." .. إلخ

د. يحيى

.. آسف يا مدحت، ما هذا؟ اسمح لى أن أقول لك أن المسألة بالنسبة لى على الأقل يصعب اختزالها إلى سالب وموجب، خاصة أن ما شاع وظهر على سطح وعينا هو أن الموجب هو إيجابى وأن السالب هو نقص وسلبى، وكل هذا اختزال لا يساعد فى فهم المرأة أو الرجل، مهما أكدنا على التكامل وكلام من هذا، بل إن هذا التكامل السكونى (سالب - موجب) لم يعد صالحا حتى فى فهم العلوم الطبيعية بالمفهوم الكموى الأحدث يا أخى،

كما انتهز الفرصة للاعتذار للصديقة أ. أمل حيث كان عنوان مداخلتها "الحب يصنعه البشر، والخبز يتسوله الفقراء" فقد حذفت الفقرة الأولى لخطأ مكتبى، وهى فقرة تعنون رؤيتها أدق وأشمل.

د. مدحت منصور

....فلماذا نتحدث دائما عن مساواة بالمعنى الحسابي و ليس المساواة بالمعنى التكاملي التناغمي، المفترض في الرجل أنه أقوى عضليا و أعلى حنجرة فوجد نفسه مؤهلا للصيد و أظن أن النساء في الكهف كن يقمن بأعمال تتناسب مع القوة الأقل و الدقة الأكثر كسن النصل مثلا.

د. يحيى

أظن يا مدحت أن ما وصلنى من مداخلة الصديقة أمل لا يركز على المساواة بهذا المعنى الذى وصلك وإنما على العدل، كما أن الفروق التاريخية وخاصة من واقع دراسة الأسطورة التى يبدو أن صاحبة المداخلة ملمة بها أكثر منى ومنك، هى فروق أعمق تاريخا وأرسخ أصولا، وبالتالى لا ينبغى أن نختزل تاريخ الرجل والمرأة وأدوارهما عبر التاريخ إلى مثل ما وصلنى من كلامك، وخاصة تعبيرك "المرأة فى الكهف"، مع أن ما بلغنى من المداخلة هى أن المرأة لم تقبع فى الكهف أبدا بهذا التصوير الذى ذكرت، إنها قد أدخلت قسرا إلى الكهف المعنوى القهرى الظالم مؤخرا (واعتذر لكما لجهلى الشديد بالتاريخ المكتوب خارج الدنا DNA الحى "الآن" وهو الذى استلهم منه

التاريخ الحيوى والبشرى كله وأحاول أن أحسن قراءته فى مرضاى، ونفسى، وبعض الأطفال والأميين اصدقائى).

د. مدحت منصور

"... نأتي لرحلة آدم و حواء و التي بدأت بالمعرفة و كان أول ما عرفاه الجنس أظن لضرورته في إعمار الأرض و الذي هو جزء من عبادة أولاد آدم لله إن لم يكن الكل ثم جاءت أول جريمة على الأرض من صنع الرجال ليعرف الإنسان الذنب كما تخبرنا الأديان و تكون رحلته إلى البحث عن العدل و يصبح الرجل قاضياو نبيا كما بدأ مجرما، لقد قتل قابيل أخاه قبل ظهور قوانين أو أعراف فكيف يمكن القول بأن الشعور بالذنب مكتسب؟ ... إلخ

د. يحيى

رجعت يا مدحت إلى أطروحتى عن الشعور بالذنب (الموسوعة النفسية "الذنب" - الإنسان والتطور إبريل 1988) ووجدت أن بها ما يرد على كثير من مقولاتك، وبعض مقولات أ. أمل، وأرجوك أن ترجع إليها أن شئت المزيد، وقد تناولت قضية ما هو موروث وما هو مكتسب والعلاقة بينهما فى موقع آخر وأنا أتعامل مع غريزة العدوان، دعنى أشكرك لأنك نبهتنى أن علىَ أن أوضح موقفى من أن اقتراف الذنب غير الشعور بالذنب، وهو يكاد يكون منفصلا عنه تماما ربما لهذا لم أربط العدوان بالشعور بالذنب كما فعلت أنت حين ربطت الجريمة الأولى بالشعور بالذنب، بل دعنى أقول لك من خبرتى الاكلينيكية إن أغلب من يعانون من الشعور بالذنب لم يرتكبوا ذنبا اصلاً، وربما أغلب الذين يرتكبون أبشع الذنوب لا يشعرون بالذنب (نتانياهو ودبليو بوش مثلا)

أما علاقة الذنب بالمعرفة والانفصال عن الوعى الكونى فهذا أمر قد اكتمل عندى من بعدٍ آخر عندما انفتح لى مؤخرا ملف "الموت" كنقلة من الوعى الخاص إلى الوعى الكونى وهو الذراع الثانى لحركية الوجود حيث الذراع الأول هو انفصال الوعى الفردى عن الوعى الكونى.

وهذا أمر يطول شرحه يا مدحت فدعنا نؤجله الآن، فاعذرنى مؤقتا.

د. مدحت منصور

"...نأتي لمنطقة الجنس: فالتقسيم إلى جنس لذي و جنس تواصلي و جنس إبداعي هي عملية معرفية تسهل علينا الفهم و الدراسة .... و قد تتحول العملية في أي لحظة بين هذا و ذاك و حتى لو أن ذلك لم يكن ماثلا في الوعي مسبقا و قد يحدث هذا حتى في علاقة عابرة أو مؤقته، فهل ننكر استمتاع المرأة بالجنس عبر التاريخ و قبل ظهور منظومة الأديان ثم فرض رموزها بعد ذلك سطوتهم على المجتمع في كافة مظاهر الحياة بما في ذلك الجنس"

د. يحيى

أنا معك جزئيا فى مجمل ذلك، وأى تقسيم هو تقريب اضطرارى عادة وليس فصلاً حادا، وكل تداخل محتمل وكل نقلة جائزة، بل واردة.

د. مدحت منصور

"...المشكلة أننا لن نستطيع أن نخبئ ذلك الشعور الطبيعي أو ننكره و نصبر أنفسنا بأنه سيأتي يوما لا تصبح المرأة مثيرة للرجل و بالتالي لن يصبح الرجل مثيرا للمرأة و يتم التقارب بشكل لا يعتمد على كيمياء التقارب على الأقل كبداية و لكن سيتم بالتقييم بشكل أو بآخر.

د. يحيى

حضرتى مثل هذا التساؤل فى آخر أطروحتى عن احتمال تكامل الرجل بالمرأة فى مجثى تحرير المرأة وتطور الإنسان، Link حين تساءلت عن مصير العلاقة الجنسية إذا تكامل الرجل بالمرأة فى داخله وتكاملت المرأة بالرجل فى داخلها، فانتبهت إلى حدود أطروحتى لأن التكامل بينهما خصوصا التكامل بالحوار الجنسى هو من أهم ما يميز الوجود البشرى حتى تاريخه، (الآن) أما لو حدثت هذه الفطرة (لا قدر الله - بينى وبينك -) فسوف نكون أمام جنس آخر له قوانين آخرى.

د. مدحت منصور

فهل ينفي كون الحب فعلا أن يكون في نفس الوقت احتياجا

د. يحيى

أظن أننى تناولت العلاقة بين الاحتياج والحب واحتمال النقلة الطبيعية فيما بينهما، وذلك فى النشرات الأخيرة، أو ربما فى بريد الجمعة بوجه خاص.

د. مدحت منصور

"...مسألة علاقة الرجل و المرأة بالحب لن يحلها أن نبكي أو نتباكي على ملايين النساء و اللواتي ظلمن في الماضي و لن يحلها أن نعمم حكم على علاقات الحب و الزواج بأنها علاقات صفقاتية أو تجارية انتفاعية أو طفيلية فمن خلال هذه العلاقات ستظهر أنماطا أخرى على نهج التطور فالتطور لن يأتي من فراغ و لكن سيأتي من الموجود المتاح , لابد و أن نمضي قدما على درب التطور خطوة خطوة و أن تحدث محاولات مجهضة و لكنها سوف تضيف للوعي الجمعي والذي سوف يتراكم بإذن الله العدل لتحدث تلك الطفرة التطورية.

د. يحيى

أليس هذا يا مدحت بعض ما نحاوله هنا طول الوقت

****

د. محمد أحمد الرخاوى

والله قلبتي علينا المواجع وهيجتي علينا قضيتنا المحورية قضية الحب الحقيقي وما هيته وادواته وعلاماته وما نعيشه اليوم في هذه المرحلة التطورية الانقراضية من عمر البشر

د. يحيى

أليس هذا التقليب هو فضل هذه المحاولات؟ هل أنت تشكرها أم تلومها؟ وهل التعتعة إلا تقليبات؟

ثم دعنى أصارحك أننى أتردد كثيرا حين يصلنى منك يا محمد ما أشعر معه أنك تستسهل استعمال الكلمات المتضادة متجاوة بهذا الشكل السريع السريع مثل قولك: "المرحلة التطورية الإنقراضية" ما هذا؟ أهكذا والسلام!!؟؟

ثم أين المواجع التى تقلبت لديك وأنت جاهز هكذا للحكم والرفض والشجب طول الوقت؟

الحب الحقيقى يا إبنى هو الحب الحقيقى سعيا حقيقيا معا، ووعيا مسئولا متجددا بكل مستويات الوجود إلى ما لا نعرف مما هو نحن

هل بلغك ذلك قبل وبعد ألفاظك الشاردة البراقة.

د. محمد أحمد الرخاوى

.... وعلاقة كل هذا بماهية زيف ما يسمي الحضارة الغربية الحالية كاحد وجوه العملة ونفاق وغباء ما يسمي عكس الحضارة الغربية في الوجه الآخر للعملة

في الغرب حيث اعيش لا يوجد ما يسمي حب اصلا وهذا شبه مكتوب في دستورهم الغير مكتوب!!!!!!

احبك بامارة ايه!!!!!!

د. يحيى

يا خبر أسود يا محمد!! إيش أدخل الحضارة الغربية حشرا هكذا فى مقولة بهذا العموم؟ ماهذا!! من قال لك هذا؟ يبدو أنك لم تذهب إلى الغرب اصلاً؟ أين تعيش يا رجل منذ سنوات؟ إن كنت تعنى بكلماتك هذه أنه لا يوجد ما يسمى حب أصلاً فى الغرب فاسمح لى أن أسألك أن تخبرنى من الذى أطلعك على هذا السر العظيم، إذا كنت لم تنظر حولك لترى البشر بشرا ينبضون بكل ما هو صادق وعميق، ألم تشاهد السينما التى ينتجونها؟ ألم تقرأ الإبداع الذى يكتبونه؟

أنت هكذا تهدر كل القيم الإنسانية بهذا التعميم الأعمى، ثم دعنى أقول لك إنى عجزت عن متابعة سطورك بعد ذلك حين ألحقت هذا التعميم بقولك:

"أحبك بأمارة إيه؟

هل تعنى أن الرجل الغربى يقول ذلك لصاحبته أو أن المرأة الغربية تقول ذلك لرجلها ما هذا؟ بأمارة إيه؟ اليسوا بشرا؟ وما علاقة هذا بالنشرة- أو بمداخلة أ. أمل؟

أنصحك يا محمد بقراءة يومية أمس يا رجل نشرة 18-11-2009 "ربنا خلقنا نحب بعضنا البعض، لنبقى بشرا" حتى يصلك كيف يحب بعضننا البعض - خقلة ربنا - فى كل مكان وزمان، بأمارة أننا بشر غربا أو شرقا مسلمون، أو هندوسيون، إلى أن قلت فجأة يا محمد وبلا رابط:

د. محمد أحمد الرخاوى

حاجة كدة زي عبد الوهاب لما قالها وازعل منك ليه مانتي بنت قحبة واطية!!!!!!!

د. يحيى

لم أفهم - حتى خفت عليك - كيف قفزت فجأة هكذا إلى استشهاد غبى بألفاظ قبيحة هكذا، وكيف نسبت تلك المقولة إلى محمد عبد الوهاب الذى اشتهر بالدماثة والرقة بوجه خاص،

الأرجح عندى حتى اليقين أنه لا يمكن اثبات أن محمد عبد الوهاب قال ذلك أصلاً، وحتى لو أنه قاله فإنه استشهادك فى غير محله، فهو يتكلم على "أزعل منك بأمارة إيه"، وإيش جاب أزعل منك بأمارة إيه إلى " أحبك بأمارة إيه"،

إن ما وصلنى من هذه الفقرة وهذا التفكك ربما هو الذى جعل بعض الأصدقاء من قراء الموقع يتصورون أنك توجه السباب لكاتبة المداخلة، مع أن هذا غير وراد ولاهو حتى مرتبط بتفكك كلامك هكذا

يا ترى هل سقطت أسطر فى الميل حتى بدا الأمر كذلك؟؟

د. محمد أحمد الرخاوى

يختنق الناس في الغرب في اليوم الواحد ملايين المرات بسبب هذا الجفاء الصارخ --دون ان يعترفوا به- فيظهر في موجات العنف والتفسخ الاجتماعي والشذوذ الذي (اعترف به وجودا اساسيا)

د. يحيى

لا يا شيخ !!!!!!!

د. محمد أحمد الرخاوى

علي الوجه الآخر من الوجود تكثر التشويهات الصارخة للعلاقات بين البشر بما فيها من رياء ونفاق وبالتالي جفاف حتي لو كان الناس في ظاهرهم مجتمعون

د. يحيى

كلام معاد وسخيف ولا ينفع أحدا، ولا ينفعك أنت بالذات

د. محمد أحمد الرخاوى

على الوجه الآخر من الوجود تكثر التشويهات الصارخة للعلاقات بين البشر بما فيا من رياء ونفاق وبالتالي جفاف حتي لو كان الناس في ظاهرهم مجتمعون

د. يحيى

كعادتك تقفل الباب من الناحتين فلا يبقى سواك، بكل هذه التشوه يا ابنى، حرام عليك فى نفسك

د. محمد أحمد الرخاوى

اكرر ما ذكرته في البريد الماضي انه اذا لم يتولد وعي جمعي حتمي فعلي العصر اللعنة والطوفان قريب

د. يحيى

كيف يتولد وعى جمعى من مثل موقفك هذا، كدت أقول بمثلك أو بأمثالك،

يبدو يا محمد أننى ضقت ذرعا بموقفك الصعب هذا الذى يؤذيك هكذا، والذى ما أن تخرج منه لو سويعات حتى ترتد إليه بكل هذا القبح!!!

لماذا؟

لماذا؟ يا إبنى

ليس هكذا

الإربعـــــــاء 25-11-2009

817-استطـــراد آخـــر: بعـــض تجليـــات "تســوّل الحـب"

مقـتطفـات من متن: "أغوار الـنفس"

مقـدمـة

مرة أخرى، الله يسامحك وينفع بك أكثر فأكثر يا جمال يا ابن التركى، منذ اقترحتَ تخصيص يوم مستقل لمناقشة هذا العمل (شرح ديوان سر اللعبة) وأنا أحاول أن أفى بما اقترحتَ لتيسير الفهم ودفع عجلة الحوار، إلا أنه ترتب على ذلك أن حبل الشرح انقطع لحساب الحوار، وأيضا، لاحتمال تعديل المنهج.

حين جاء فى عنوان الحلقة الأخيرة التى أثارت كل هذا الجدل كلمة **"تسول الحب"**، توالت الأسئلة تتساءل عن أبعاد هذه الظاهرة التى تتخفى وراء أسماء أخرى لذيذة، أو خبيثة.

وقد استدرجتنا فكرة فضح **هذا التسول** إلى الاستشهاد بمقطع من جلسة علاج جمعى يجرى حاليا فى قصر العينى، فنشرنا تفاصيل ما حدث حول الميني دراما التى جرت فى العلاج الجمعى حديثا، وبدأت بطلب إحدى المريضات"حبة حب"، ثم أعلنت زميلة شجاعة أنه يبدو أننا لا نفعل شيئا إلا أننا "نشحت الحب"، ثم ابتدعت زميلتها المتدربة أيضا تلك الميني دراما التى حاولنا من خلالها، ثم من خلال المناقشة بعدها، أن نسبر أبعاد هذا التسول، سواء من حيث واقعيته، أو من حيث لزوم تجاوزه، كما ظهر فى الميني دراما، منذ أن فتحنا هذا الملف والتساؤلات تترى، وأغلبها يرفض، هذه التعرية هكذا.

تذكرون من البداية أنى حذّرت من احتمال أن الشرح يفسد المتن، وقد تحقق هذا الاحتمال ولو جزئيا

رحت أراجع المتن كله بسرعة، وإذا بى أعثر على صور صريحه تعرى هذه الظاهرة بشكل قوى، مباشر، وقد لاحظت أن بعض ما صادفنى هو وارد فيما سبق من نشرات، أما البعض الآخر، فسوف نلتقى معه فى شرح نشرات لاحقة.

ومع أن أى مقتطف من قصيدة يفقد بعض ميزاته، وأحيانا كل ميزاته، حين ينفصل عن سياق كل القصيدة، **إلى أن هذا السبيل قد يكون ضرورة لاستكمال العمل من الناحية العلمية، حتى على حساب بعض جمال الإبداع.**

غامرت وخصصت هذه النشرة، لجمع بعض فقرات من المتن لشرح نفس الظاهرة من قصائد مختلفة، حتى ولو على حساب قطعها من السياق.

أنت المسئول يا جمال عن هذا التوقف، والتداعى، والاستطراد، فدعنى أشكرك لأننى أتبين رويدا رويدا أن ذلك سوف يكون أكثر فائدة حين نصل إلى نهاية العمل ثم نعيد تحريره لنصدره معا فى نسخة ورقية مع إعادة تحريره إن شاء المولى القدير.

أليس هو الكتاب الثانى فى دراسة فى علم السيكوباثولوجى.؟!؟!؟

أورد المقتطفات دون تعقيب، سواء كانت هذه المقتطفات قد وردت مع شرحها فى نشرات سابقة، أم أنها ستقابلنا لاحقا، لعلها تظهر بعض تجليات ما أسميناه **"تسول الحب"** بشكل مباشر دون وصاية.

المقتطف الأول: قصيدة "لله ياسْادى"

.....

لله ياسِيادى...،

عَـيِّـلِ غلبانْ....،

مسكن تعبان.

يستاهل العطفِ والشفقةْ، وشويّة حب.

.....

نفسى اتمرجح، وارجع تانى أرضع مالْبِزْ،

واتْلـــــذ.

عأيز ابقى معاكمْ، شايْلِنّى شيلْ،

حتى على خشبة نعْشْ.

هيلا بيلا، يا حَلُـلّى.

المقتطف الثانى: قصيدة " "لله ياسْيادى"

.....

.....

.....

وحانمشى ليه؟

ما تبص يا بيه:

دا الكلب بيجرى ورا ديله، نهارو وْليـــــلُـــــهْ،

وانا ديلى لافِـــفْ جوّايـــــــــــا،

ولا حدّ منكم ويـــّـــايَا.

.....

مش نيعْقل ونبطّل نحلم.

واذا كنتو مُصرّين قالْ يعنى،

هاتوا حتة.

خايف اقـــَرَّب،

ولا أجرّب

خليها مَسْتورة أنا فْ عرضَكْ.

المقتطف الثالث: قصيدة "حمام الزاجل"

اشعنْى حسن ونعيما؟

اشعنى بتوع السِّيما؟

أنا مش قدّ الحب التانِى

وانْ كان لازم نتطوْر !!!!

نتطوّرْ،

ما يـْضُرّش.

بس ارجع تانى لْعشّى،

ولَفَندى بتاعى،

يطوينى تحت جناحهْ،

وانا ماسكةْ الخيط بالجامدْ،

لـــَيْـــطيـــــر.

المقتطف الرابع: قصيدة "القـــط"

.....

.....

قـاعد اتْـصنـَّتْ، على همس الـسِّت المِـشْ شايـفـانى،

وأسَهّدها،

واتَمسّح فِ كْـعوب رجلـها.

تـتـْمـَلـْمـِلْ،

أخطف همسة "أيـْوَه"، أو لـَمـِسـَة "يـمـْكـِن".

واجرى اتدفَّى بـ"يَعْـنِى"، وأنسى الـ"مـِشْ مـُمْكـِن".

.....

.....

.....

أنـا نـِفـسى أصدّقْ:

انى مـِتـْعـَازْ.

مـتـْعـاز وخلاَصْ.

انشالله كَـلاَمْ!!

.....

.....

دانـا حِمْلى تـقـيلْ.

مـوَّالِى طويـلْ.

والـنـاس مـَلـْهـِيـَّـةْ.

.....

.....

نـطّ منّى، غصب عنّى،

جوعه مسعور، ويـعـايـرنـِى.

.....

لَمّيـْتـنِى، ويـاريـتْنِى لـقـيـتْنى.

.....

.....

فـينك يـا مّه؟

نـفسى اتـكوّم جوّاكى تـانى،

المقتطف الخامس: قصيدة "الـقـــط"

راجع "كـمـا كُـنْـتْ"

قـاعدْ ساكتْ تحتِ سريـر الـستْ

حاخطـــفْ حتة نظرة،

أو فـتفـُوتـِةْ حُـبْ،

واجرى آكلها لْوَحْدى،

تحت الـكرسى الـــ"مِش بـايـن".

المقتطف الـسادس: قصيدة "نـايـــم فى الـعسـل"

والـعيون الـتـَّانـْيـَه دى بـتقـول كلامْ،

زى تخاريف الـصيام؛

الـصيام عن نـبضِة الألـَم الـلى تِـبْنى،

الـصيأم عن أىَّ شئ فـيه المُـغـامْـرَه،

.....

.....

والأفـندى الـلى لابـسها فى الـعسل نـايم بـيحلَم،

.....

شرطِ إنـه لم يخطّـى أو يِـسلّـمْ

مشْ على بـالـُه الـلى جارِى،

"إنّـه عمّال يـستخبّى أو يـدارى".

وان وَصلُّه، غَضْب عَنُّهْ

يـترمى سْطحَهْ ويُطْلُبْ حتّه مـِنُّـهْ:

شرط إنـه يحِـلـه فى الـبزازة دافـْنَةْ، جَنْب فُمُّهْ.

المقتطف الـسابع: قصيدة "نـايـــم فى الـعسـل"

.....

ساح صاحبـنـا وعام مـلزّق واتـرسم،

خلّـص الـرضعة، ومـدّدْ، وانـسجم.

قـالـُّهْ سَّمْنَا كمان حبّةْ نـغَمْ: كِيدِ الـعدَا،

يـا سلام!! هوا جوّاك كلّ دا!؟

أنـا نِـفْسِى ابـقَى كده؟

بس حبُّونى كمانْ.

خُط حتُّهْ عالميزان.

أصلِى متعَّود زمانْ:

انى انام شبعان كلامْ.

المقتطف الثامن: قصيدة "نايـــم فى العسل"

"يا أخينا مِدّ إيدك

يا أخينا هِمّ حبَّهْ.

الحكاية مِش وِكالة بْتَشتِرِى منها المَحَبَّةْ".

قام صاحبنا بانْ كإنه مِش مِمَانِعْ،

بس قاعد ينتظر"بِنِچ اللذاذة"

كلّه دايب فى الإزازة.

المقتطف التاسع: قصيدة "نايـــم فى العسل"

.....

قام صاحبنا راح مصدَّق،

رَاحْ مِنَاوْلُه عرضحال فيه المُراد:

".. بعد موفور السلام":

نفْسِى حبّةْ حُبْ.. أو حتّةْ حقيقهْ،

نفسى أفْهَمْ فى اللى جارى ولو دقيقهْ،

المقتطف العاشر: قصيدة "نايـــم فى العسل"

المعلّم قالّه:"ماشى، يالله بينا"

- يالله بينا!!!؟

يالله بينا؟ على فين؟

دانا مستنى سعادتك.

روح وهات لى زى عادتك.

أى حاجة فيها لذّة،

الكلام الحلو، والمنزول، ومزّة.

.....

إوعَى تـزعل منّى: دنَـا عيّل،

بـاريّل،

لـسّه عندى كلام كتير أنـا نفسى اقـولـه،

عايـز اوْصف فى مشاعرى وإحساساتـى،

واقـعد اوصفـهـا سنين،

مش حـا بَطّلْ، خـايـف ابـطّلْ،

لـو أبـطّل وصف فى الاحساسْ حَاجِس،

وانـا مِش قـد الـكلام دهْ.

المقـتطف الحادى عشر: قصيدة "الـتزعة سابـت فى الـغيطان"

.....

.....

من كُـثْر مـا انـا عطشان بَـاخَـاف أشرب كَـــدِه من غير حسابْ!

لـكن كمـانْ:

مش قـادرْ أقـول لأه وانـا نفسى فى نـــدْعةْ مَـيّهْ من بحر الحنـان!

يـا هلْترى:

أحسن أمـوت من الـعطش؟

ولا أمـوت من الـغرق

وبـعد

إذا كنـا نـتحدث عن الـعلاج الـنفسى، فـإن ممارسة هذا الـعلاج دون الانـتبـاه إلى هذا الـبعد الاعتمـادى والاستجدائى المحتمل حضوره فى الـعلاقـة الـعلاجية يصبح تـعطيلا لـلنمو لا دفـعا لـه.

هذا وقـد الـتقـينـا، كمـا سوف نـلتقى بهذه المقـتطفـات فى سيـاق شرح متن الـقصائـد الـتى احتوتها مكتملة.

وغدا نـنـاقش بـعض مـا وصلنـا بـشأنمـناقشة هذا الـبـاب كـلـه، وخـاصة الـنشرة الـتى بـدأنـا مـعهـا فصل الحوار هكذا، وبـعض الـتعـليقـات الخاصة بها، وبـغيرهـا، (وأيـضا بـعض الـتعـميمـات بـصفـة استـثـنـائـيـة).

الخميـــــــس 26-11-2009

818- مزيد من التعقيب، وبعض الحوار، (وعموميات مؤقتا)

دراسة فى علم السيكوباثولوجى (الكتاب الثانى) الحلقة (37)

امتداد وقفة المراجعة (2):

الحق فى الحب عينة من جلسة من علاج جمعى (منذ أسبوع واحد)

أ. زكريا عبد الحميد

ملاحظة 1: سطور أ.أمل ذكرتنى بكتابات د.نوال السعداوى فى شبابها.

ملاحظة 2 : تقول السطور "الحديث عن وعى كلى لدى الانسان أمر شديد الصعوبة.."، أعقب بدورى: أليس الحديث عن الرجال كحزمة واحدة أو كتلة واحدة أمر شديد الصعوبة كذلك؟..

ملاحظة 3: وأخيرا جملة "*لو اعدنا تربية الأجيال فى الحضانات والمدارس والجامعات على فعل الحب*" ذكرتنى بواحدة من روايات الخيال العلمى لـــ الدوس هسكلى (لا اذكر عنوانها) يهجو فيها هذا الأمر

د. يحيى:

ابتداء، لم أجد وجه الشبه الذى ذكرت فى هذه المداخلة مع اجتهادات الدكتورة نوال السعداوى خاصة فى شبابها، أنا لا أنكر أن لها فضل ما، لكن التناول هنا هو من زاوية أخرى بطريقة أخرى.

الإشكال يا زكريا هو أننا اعتدنا أن نختصر آراء ورؤى بعضنا البعض إلى أقرب واحد شاعت عنه مقولة بذاتها، فليس كل نصير للمرأة هو "قاسم أمين"، وليست كل من أرادت أن تضع

المرأة فى مكانها الأوْلى بها تاريخا وحاضرا هى د. نوال السعداوى، هذا اختزال يحرمنا من حسن تلقى واستيعاب الإضافات الإبداعية الحقيقية التى يمكن أن تصحح المسار من خلال جدية وتجديد تناول القضايا الجوهرية، للرجل والمرأة، أو لأىٍّ من قضايا التطور والمعرفة، خاصة لو كان التناول نابعا من مصادر لم نألف تناولها بهذا العمق، مثل الأسطورة والتاريخ، ونقدهما، وإعادة تشكيلهما

ثم أحيل ملاحظتك الثانية والثالثة إلى صاحبة الأطروحة، إن تفضلت بمواصلة الحوار، وقد أعود إليك لأقول رأيي الخاص إن شئتَ ووجهتَ الحديث إلى شخصى.

أ. رامى عادل

الحب هو الروح، اوالمشكاه، القنديل اللى تجلى لرابعة العدوية، حين تجلى، فعرفت الهوى

د. يحيى:

لا أوافقك على اختزال الحب إلى تعريفك هذا هكذا، وربما إلى أى تعريف كان، كما لا أحب أن أحدده فى خبرة رابعة العدوية مع احترامى الشديد لتجربتها وانبهارى بها.

عندى أن الحب غير الهوى غير الغرام غير المحبة، غير كلمات كثيرة نرددها ونحسب أننا نتفق على ما تعنيه، وكل منا له قاموسه الخاص، وهذا ليس عيبا فى ذاته، لكن علينا أن نضعه فى الاعتبار حتى نتواصل بالرغم من اختلافنا حول تحديده من الألفاظ.

د. مدحت منصور

نريد أن نفرق بين (غصب عنك) وبين الإكراه، فأنا أرى أن "كل شئ بالخناق.." كان يشير إلى الإكراه أما "غصب عنك" التى استعملت فى الدراما هنا فهى تشير إلى أنه موجود سواء قبلت أم رفضت، اعترفت أم أنكرت.

كى تحب شخصا غصب عنه هو صعب وبعيد عن مفهوم جيلنا عن الحب و لكن لتشعر بالامتلاء أعتقد أنك يجب أن تتجرد من كل تلك المفاهيم بما فى ذلك الرغبة فى القرب فتمتلئ فيتخطى الحب امرأة ليضم كل النساء ثم يضم كل الناس فلا تصبح وحيدا فتشعر بامتلاء أكبر يوصلك للخير وربما للإيمان. ولكن تخيلت أنه الحب كما فى الأساطير أو فى الإنسان الذى ندعى أنه كان بدائيا، يقابلها عند جدول الماء أو البحيرة فى سكون الدنيا وسلامها فيحبها ثم تأتى إلى الجدول كل يوم باحثة عنه أو يأتى باحثا عنها ثم تتوالى القصة أو تنتهى بمأساة لتبدأ قصة جديدة.

د. يحيى:

إضافة شارحة، أتفق مع بعضها، وأختلف مع أخرى كما جاء فى النشرات الثلاثة، وبالتالى فأنا مازلت أعتقد أننا مازلنا فى بداية البداية...

شكرا

د. مها وصفى مباشر

لما مَرّرت اللى حضرتك بتقوله على العيانين وعلى نفسى ده لقيته قريب قوى وطبيعى خالص. طيب ليه بقى محتاج كل الجهد ده علشان نطلعه من العيان ويستفيد منه بشكل صحى! يمكن علشان المعنى اللى حضرتك ذكرته" إن ربنا خلق البشر، خلق الناس، وفيهم ميكانزم، بروجرام إنهم يحبوا بعض، وإن فيه حاجات إحنا عملناها فى نفسنا خبّت ده، أو منعته، أو صعّبته،حاجة كده، فجُعنا حب وشوفان"

وعلى أى حال سوف أجربها اليوم فى العلاج الجمعى بشكل ما: حكاية الحق فى المعرفة والحق فى الحب.

المهم دلوقت يا د.يحيى أنا باحبك غصب عنك وكنت عايزة أقول لك كل سنة وإنت طيب وبخير وعطاء ماشاء الله فى يوم أو أسبوع ميلادك ولكنك كنت مسافر.وربنا يخليك لنا

د. يحيى:

أظن يا مها أننا نكتشف أن أعظم الأمور هى أبسطها وأقربها، كما يبدو أننا حين ابتعدنا عن "خلقة ربنا"، قد لعبنا فى تركيبتنا لعبة غبية فعلا، وما إن نرجع إلى أصل الأصول حتى نجد أن الجمال والسلاسة والحب أقرب من كل ما نتصوره عنها

المهم وصلت هديتك، وتهنئتك، وشكرت صدقك ووفائك، وفرحت بكلماتك واطمأننت أن لحياتى (أو ما تبقى من حياتى) فائدة تستحق

وأنت بالصحة والسلامة

*** * * ***

دراسة فى علم السيكوباثولوجى (الكتاب الثانى) الحلقة (36)

حوار حول هذا العمل، خارج حوار الجمعة

أ. عابر سبيل

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، محاولاتكم لسبر غور النفس البشرية وفهم العلاقات البشرية لامست تجربتنا الخاصة بدقة، وسؤالنا يدور حول:

ما مدى إمكانية معاودة الكر والفر أو الاقدام والانسحاب لمثل هذه العلاقة رغم وجود بديل للآخر لدى الطرف الأول وتأكيده على موت مشاعر الحب لحبه الأول؟؟؟؟

الواقع يحكى انه يستحيل لكن العقل الباطن يرفض الانصياع لمثل هذا المستحيل !!!

فما السبيل لحل مثل هذا الصراع؟؟؟ وما هى الحكاية؟

أفيدونا وجوزيتم خيرا.

د. يحيى:

أولا: أريد أن أنتهزها فرصة لأنبه الجميع إلى ضرورة التفرقة بين عدة مصطلحات تداخلت فى بعضها البعض حتى اختلطت الأمور وهى، "الكر والفر"، و"الاقدام والانسحاب"، ثم "برنامج الدخول والخروج"، وأيضا "حركية جماع الكره والحب" أرجو أن تتاح الفرصة للتمييز بينها من خلال استمرار هذا العمل، وهذا الحوار:

الكر والفر هو ما يقصد به: الهجوم عدوانا، والتراجع توجسا ومناورة، وهو ما يصف الموقف البارانوى الأكثر بدائية

برنامج الدخول والخروج يقصد به ذراعىْ الإيقاع الحيوى، وهى حركية إيجابية شريطة ألا تنتهى نبضه الإيقاع فى نفس موقعها، فالنوم واليقظة مثلا يمثلان دخولا وخروجا نمائيا، إن أديا وظيفتهما بكفاءة، تماما مثل دورات النوم الحالم "ريم"REM تبادلا مع النوم غير الحالم، وكل هذا يختلف عن موقف تناقض الوجدان الذى يجمع الحب مع الكره، كما يجمع الكره مع إما سلبا حتى الشلل وإما جد لا حتى التخلقّ من جديد.

آسف للإيجاز المُخِلّ، لكننا سنعود مرارا وتكررا لتأكيد هذه الفروق وتوضيحها.

ثانيا:

مشاعر الحب لا تموت ، وإن تغير منطلقها ومصبها،

وطاقة الحب تتجدد باستمرار،

والقدرة على الحب - كما بدا فى جلسة العلاج الجمعى- هى طاقة مبرمجة فطريا جاهزة للتفعيل قبل وبعد، مع وبدون مواقعة الحب فعلا ظاهرا، هذه طبيعة بشرية بقائية مهما اختلفت التسميات، وتنوعت درجات وعينا بها

ثالثا: إنه لا يحل حب محل حب وإنما يضاف إليه حب جديد يحتويه ويرتقى به (أحيانا بعد التعديل أو التحديث من خلال الخبرة أو الخبرات السابقة).

أ.رامى عادل

فى انتظار قراءة الأسطر الثلاثة المرسلة للاستاذه أمل محمود من حوالى اسبوعين أو اكثر قليلا، ليس مره ثانيه يا عم يحيي، غصب عن اهلى عايز اشوف سطور عزيزه، من غير ما تعلق

د. يحيى:

والله يارامى لا أدرى أين هذه السطور، ولا حتى أين الاستاذة أمل، سوف أعاود سؤال السكرتارية، الله يسامحهم، اعتذر لك، ولها، وأرجو أن ترسلها لنا هذه السطور ثانية، وأعدك ألا أعلق.

د. محمد أحمد الرخاوى

ترددت كثيرا قبل ان ارد على سيل السلخ والشتائم التى تخصنى بها وحدى المهم ان هذا ليس موضوعى فقط اذكرك ان الغرب هم من اباد الهنود الحمر فى امريكا والسكان الاصليين فى استراليا بالملايين ان الغرب قتل حوالى 80 مليون من بعضه البعض فى الحرب العالمية الاولى والثانية!!!!!!!

ان الغرب هو الذى انشأ اسرائيل وهو الذى يناصرها حتى الساعة جهارا نهارا واللى عاجبه انت لا تعيش فى الغرب وبالتالى تحكم على رؤيتى دون ان تعرفها

ابداعاتهم مقفولة ولن تجدى حين يحل الانقراض

اخيرا موضوع اغنية عبد الوهاب دى نكتة. عبد الوهاب طبعا ما قالهاش.

انا كنت فاكرك عارفها. صارت مثلا لما حد يقول للتانى زعلت منى ولا ايه يقوم يرد عليه :- ابدا وحازعل منك ليه مانت ابن .....كل سنة وانت طيب وربنا يسامحك

د. يحيى:

وانت بالصحة والسلامة

حين تقول يا محمد قولا طيبا أرد ردًّا طيبا، أما حين تصرخ وتشجب وتعمم على الناحيتين، فأنا أوقفك عند حدك ما أمكن ذلك، وعادة لا يمكن ذلك

لو سمحت إقرأ نفسك الأن وانت تقول "ابداعاتهم مقفولة" هكذا "خبط لصق"!

هل انت قرأت واحد على مائة من إبداعاتهم الحالية أو السابقة بكل ما فيها من نقد ومراجعة وأصالة وإضافة؟،

إن أعظم ما فيهم هو تلك الابداعات الجادة المتقنة الناقدة الذاهبة العائدة طول الوقت،

لماذا تظلم نفسك يا محمد بالإصرار على هذا الموقف وأنت تعيش بينهم وتتجنس بجنسيتهم؟ وربما تتزوج إحدى كريمتيك أو كلتاهما منهم.

واحدة واحدة يا محمد من أجلك أنت

أما أنا فمن حقى أن اقتلك حرصا عليك، وفى الإسلام كما تعلم "لا قصاص لقاتل ولده"

وأخيرا، كنت أتمنى ألا ترجع لهذا الاستشهاد القبيح فى غير محله، حتى بالشرح أو بالاعتذار، نحن نتكلم عن الحب، وهذا الاستشهاد هو عن الزعل، وأنا لا أعرف النكتة التى أشرت إليها، وهى بايخة، وتتكلم عن "حازعل منك ليه" وليس حاحبّك ليه؟

ما هذا؟

لماذا فتحت هذه السيرة مرة ثانيه يا إبنى.

لولا أن أمك الطيبة الجميلة هى ابنة عمتى، لقلت لك أهو انت اللى .....

كل سنة وانت طيب.

* * * *

دراسة فى علم السيكوباثولوجى (الكتاب الثانى) الحلقة (37)

امتداد وقفة المراجعة (2):

الحق فى الحب عينة من جلسة من علاج جمعى (منذ أسبوع واحد)

د. محمد أحمد الرخاوى

فكرتنى الحكاية دى بموضوع العلاقة مع الآخر دون نبس كلمة فعلا فيه لغة شديدة الدلالة موجودة فعلا بين الناس دون كلام، ذلك كثيرا لدرجة ان ساعات يتهيألك ان فى واحد مثلا عدوك ومفروض يكون عدوك (حسب الدور المطلوب) وبعدين تلاقى راح فط شايفك من جوة عشان شفته من جوه، ويصبح الاتنين اللى جوة مصاحبين بعض ويحبوا بعض من غير ما يتكلموا ولا كلمة وساعات ما حتى لو ما شافوش بعض تانى

المسألة كلها سماح وصدق وموقف وجودى مع اقل القليل من اللغة التى نعرفها الآن تصور فعلا ان احنا فى مرحلة تطورنا او تدهورنا الحالية اصبح من الحتميات تخلق لغة جديدة دون كلام!!!!!!!

د. يحيى:

أخيراً يا محمد مددت يدك بداخلك فوجدت هذه القدرة على الحدس وهذا القدر من السماح،

المهم، هى لقطة درامية لمجموعة من البشر، مرضى ومعالجين، استطاعوا، أن يختبروا صفة إنسانية، برنامجا بشريا من خلال القيام بتمثيل مينى دراما شديدة القصر، هذه الصفة الرائعة، القدرة على الحب، نحن قد دمرناها بالعمى والخوف والشك طول الوقت، ومع ذلك ما إن مددنا يدنا إليها دون استئذان، ودون مخاوف وحسابات مسبقة، حتى وجدناها، ولو كعينة.

الدنيا بخير يامحمد

شكرا، وأرجو أن تتعهد هذا الجانب فيك أكثر فأكثر

د. مدحت منصور

فضلت أن أعلق قبل أن أقرأ الفرض فى الحلقة التالية حتى لا أتأثر به ،ما وصلنى أن هناك حب هو حقى وحقك و حق الناس

فيه سواء أن نحب أو نحب (ضم النون و فتح الحاء) هو ما خلقنا الله به وهناك حب ما أخص به أحد أو ما يخصنى به أحد أو هو حب موجه وهو أيضا حق وأيضا خلقنا به اما النوع الأول فلا نسأل أنفسنا كيف ولماذا وماذا نأخذ و ماذا نعطى وأما الثانى فهو ما يحدث فيه هذا الخلط والاختلاط بين ما هو شحاته وما هو صفقة وما هو سرقة أو فرض و كأننا نحتاجه جدا ولا نطمئن أننا سنحصل عليه أوتوماتيكيا فيحدث كل التحايل فى وسائل الحصول عليه من صفقة لرشوة إلى آخر وسائل التحايل ويبدو أن شئ ما (ربما الاطمئنان) لو حصلنا عليه مع الحب لارتقى للنوع الأول أو هو نوع من التركيبة التى تستطيع أن تحب دون أن تسأل لماذا تحب وتشعر بالحب دون أن تسأل لماذا تحب (ضم التاء و فتح الحاء) يعنى الموقف يقول : أنا أحبك لأنى أحبك و فقط وأشعر أنك تحبنى لأنك تحبنى وفقط وأظل أحبك وإن لم يصلنى حبك وأشعر أنك تحبنى وإن لم يصلك حبى.

د. يحيى:

شكراً

وأرجو أن يكون ما نشر لاحقا فى الحلقة الثانية (الحق فى الحب بين الاخذ، والتسول، والسرقة، والخطف، والصفقة، والفرض!) والمناقشة (ربنا خلقنا نحب بعضنا البعض، لنبقى بشرا) ما يرد على تعليقك بما يكفى.

*** * * ***

دراسة فى علم السيكوباثولوجى (الكتاب الثانى) الحلقة (38)

امتداد وقفة المراجعة (3): الحق فى الحب بين الاخذ، والتسول، والسرقة، والخطف، والصفقة، والفرض! مقدمة فى المنهج ثم تكملة نشرة أمس (2/2/3)

د. أسامة عرفة

"متاهة البحث عن الحب المجهول"

عذرا وجدتنى رافضا بشدة هذه المرة هذه المحاولة الجادة لاقتناص ما أطلق عليه الحب

لم اعد أحتمل طلب ما لا أعرف و ما لا أستطيع أن أفرضه.

دعنا نستبدل الحق فى الحب بالحق فى العدل إنى أتصور جدلا أننى أستطيع فرض العدل حتى ولو بالقوة لكننى لا أستطيع فرض الحب بالقوة فالحب لا يفرض إلا بالحب

ما رأيكم فى مقولة الحب القائم على العدل .. هل يجتمع حب و ظلم .. هل يقوم الحب فى نطاقه الأوسع بدون العدل

وإلى مزيد من الحوار

د. يحيى:

أولا: من قال إننا نبحث عن الحب "المجهول"، ومن قال أنه "اقتناص"؟

إننا نمد يدنا لنغرف من الفطرة، من برنامج القدرة على الحب، وهو موجود -خلقة ربنا- ونحن الذين أخفيناه عن أنفسنا حتى صار مجهولا نحن نتحدث عن "الحب الموجود" وهو عكس "الحب المجهول" تماما.

ثانيا: أرجوك يا أسامة أن تشاركنا فى استيعاب المفاجأة التى وصلتنا من خلال "الميني دراما" التى جرت فى العلاج الجمعى وقد ناقشناها بعد هذه النشرة بعنوان "ربنا خلقنا نحب بعضنا البعض، لنبقى بشرا"

ثالثا: أوافقك تماما على مقولة الحب القائم على العدل إلا أنك لابد أن تعلم أن العدل أصعب من الحب.

وأخيرا: هناك فرق بين أن تفرض الحب، وبين أن تمد يدك دون استئذان، لتأخذ ما هو موجود لك فعلا عند الآخر، (وبالعكس: ما هو موجود عندك له) من بعض "خلقة ربنا"، وهو ما جرى فى "الجروب" غالبا.

فى انتظار حضورك معنا صابرا مثابرا فى المستحيل الممكن، وأذكّرك أننى أكره المثالية كره العمى،

ربنا لم يخلقنا مثاليين، لذلك نحن نبحث فى خلقة ربنا، كما هى، وليس كما ينبغى أن تكون

أما أن الحب لا يفرض إلا بالحب فهذا وارد وهو غير مرفوض، لكنها قضيتنا الآن، نحن لسنا فى هذه المنطقة الآن، لعلها منطقة "الصفقات الأرقى" ونحن لم نرفض مبدأ الصفقات الشريفة العادلة، تلاحظ ذلك لو عندك وقت لمراجعة ما طرح فى مقتطفات العلاج الجمعى فى المجموعة وفى مناقشة السيكودراما.

أ. نادية حامد

أول مرة انتبه بالشكل ده لـــ حقى فى الحب من اللى قدامى بمختلف المعانى التى طرحتها حضرتك من (الأخذ/التسول/الفرض) وصلنى الإصرار الشديد على هذا الحق؟

د. يحيى:

عندِك حق

أ. علاء عبد الهادى

بعد ما قرأت الحق فى الحب لقيت نفسى باخد حقى بالخطف والصفقة والسرقة مع كل واحد بشكل مختلف، مش عارف اتراجع ولا أكمل .. حاسس إنها عدم إمانة؟

د. يحيى:

هذا غير صحيح،

الحق حق

وأخذ الحق بأى طريقة هو حق

وهذا منتهى الأمانة.

أ. رامى عادل

هو فيه علاقه بين ان الواحد يفرض على الناس حبه،وبين انه "ما استعصى على قوم منال اذا الإقدام كان لهم ركابا"، هذا إذا اعتبرنا الحب هو المنال.

د. يحيى:

أعتقد أنها علاقة شكلية مسطحة.

ثم لعلك لاحظت أننى لا أرحب كثيرا بالاستشهاد بالشعر والحكم الشائعة وحتى بالنصوص المقدسة، ربما لأننى أستشعر ان كل هذه الاستشهادات، تحشرنا فيما شاعت عنه هذه النصوص، بدلا من أن توصلنا لحالة الوعى الإبداعى الذى أخرج هذه النصوص مكتملة لتحركنا، إلى الممكن خارج سجن النص، فما بالك لو كان "خطابيا" هكذا

أعذرنى يارامى، لكننى لم اشعر أن ما جرى فى المجموعة كان له علاقة لا بـ"منالا" ولا بـ : "الإقدام ركابا".

المسألة ليست بالعافية هكذا.

أ. السيدة

هل يمكن ان يحيا الانسان بدون حب انا فعلا ممكن اافرض حبى على الاخر بس يكون يستاهل يتحب فيه كلمه احنا ديما بنرددها بتوضح ده هى\"نفسك معنا\" وهى استلهام الحب والروح والوجوووووود حتى لو الشخص ده مش حانا من خلال حبى ليك اضر الحب احساس وتواصل وأخذ وعطاء انامن خلال حبى ليك دخلت على النت وعلى الموقع واستفدت كتير حاسة انى بدأت اكتشف الناس من جديد وقرارتى بقت افضل على فكره فيه ناس كلتير زى د. محمد احمد الرخاوى عاشقين للاختلاف ومنفرين\"بالضمة\" بصراحه انازهقت منه لكن حضرتك لازم تتحب غصب عن اى حد

د. يحيى:

ولماذا غصب

المهم الناس

ونحن منهم، ومعهم

أ.د. صادق السمرائى

الدكتور يحيى الرخاوى المحترم: شكرا على هذا التفاعل الفكرى الأصيل ، وتقديرى للدكتور جمال التركى على إتاحته الفرصة للتواصل معكم والأخوة الزملاء على هذه الشبكة الحيوية...وأرجو ان لا أكون قد أسهبت ، فبعد أن قرات مداخلاتك ، أجاد القلم بهذه الموضوعات فى سنحة نادرة من الوقت ...

تقديرى للإجتهاد الفكرى المضيء

د. يحيى:

أشكرك يا د. صادق على فضل كرمك، وأشاركك فى إرجاع الفضل للأخ والإبن والصديق د. جمال التركى، وأستسمحك أن أنشر باقى رسالتك مكتملة دون تعليق مباشر، لأننى لاحظت أنك تعرض من خلالها فكرا موازيا، أكثر من أنها تحمل تعليقا محددا عن ما ينشر فى هذا الباب (الكتاب الثانى فى السيكوباثولوجى، شرح ديوان أغوار النفس)، وقد خصصنا يوم الخميس لذلك بناء على اقتراح د.جمال.

أعلم أنك تفضلت بتوضيح كثير مما استوضحته أنا فى حوارنا السابقا، إلا أننى أوضحت بعد ذلك أملى فى أن يكون هذا اليوم هو مشاركة حوارية فى نقد هذه المحاولة المستمرة التى تهدف للتعرف على النص البشرى، من خلال هذا النص الإبداعى (أغوار النفس)، بالإضافة إلى النص البشرى المتعرى خاصة (المريض)، (مثل الدراما فى العلاج الجمعى).

وفيما يلى نص رسالتك الكريمة دون تقطيع، ثم قد أجتهد فى تذييل موجز فى النهاية نعود بعده معا إن شاء الله إلى النص البشرى والإبداعى المحدد وتداعياته.

أ.د. صادق السمرائى

الجاذبية...هى أحد أسرار المخلوق المسمى "إنسان" ، هى طاقة كامنة فيه ، تتحفز حينا وتخمد حينا آخر. وفى الحالتين ، تحقق تفاعلا متوافقا مع قدراتها الفعالة والمؤثرة فى الذات والموضوع.

لا أستطيع أن أسميها أو أرسمها ، لكنها تحدد مساره وتسوقه إلى حيث تريد .

هل هى فكرة ، إدراك، وعى ، تجلى ، إشراق ، تفاعل ، إنتماء؟...لا أدري!

هذه القوة أجدها فى مرضاى وأعرفها عند الآخرين من الأفذاذ أصحاب الأثر الكبير فى فتح الآفاق . وهى التى تقرر بأن المخلوق يريد أو لا يريد الحياة ، وربما تكمن وراء جوهر ديناميكيات " الغرائبية " فى السلوك الفردى والجمعى عند البشر. إنها طاقة مهيمنة ، مستعبدة لنا.

وباختصار ربما إنها قوة انجذاب البشر نحو التراب أو الغياب!

وأرجو ان لا تقترب منها بمنظار التبسيط وتقل لى بأنها إرادة الموت أو غريزته وملحقاتها، فنحن فى صدد البحث فى أسرار الإنسان.

المعرفة سلطان السلوك ، وبقدر ما نعرف تكون طبيعة السلوك المولود والمتحقق فى الواقع أو المحيط الذى نسعى فيه

، وباختلاف المعارف يتنوع السلوك البشري. فعندما نتأمل ثقافات الشعوب ونغوص فى أعماق المجتمعات ونتحسسها عن قرب، يتضح دور المعرفة فى تحديد معالم سلوكها. وكلما توسعت المعرفة أصبح السلوك أكثر تعقيدا وتركيبا . وكلما أمعن البشر بالجهل ، ينحدر سلوكه إلى تلك الآليات الأولية البدائية الدفاعية البسيطة المباشرة. وبين المعرفة والجهل ما لا يحصى من طبقات السلوك والتفاعلات النفسية الصاخبة التى تضج بها الحياة وتستعر.

المحبة: أوسع وأشمل من الحب ، لأنها القدرة على التمازج النقى الخلاق مع أخينا الإنسان، والإطلاع على أرقى وأنبل وأسمى المشاعر الصادقة المتموجة فى أعماقه. إنها إرادة السعى المتوهج الدفاق بسحر الصفاء والألفة والمودة والرجاء.

لنبحر فى محيط الإنسان ونزور جزره المرجانية ونطلع على ما يدور فى دياجير أعماقه من احتدامات وصراعات ، ونصيخ السمع لدوى انفجارات الرغبات الهائلة التى تبحث عن ديمومة انتماء أبدى لنسغ الخلود وسر البقاء. وربما سنقوم بجولة غير معهودة فى ربوعه السحيقة المتأججة المتسعة الملتهبة كالكون الشاسع الرحيب.

وأمنياتى بمزيد من الفوز بمكنونات التجلى وجواهر الوعى والإشراق.

أيّها الإنسان مهلا، هل ترى أم كوهمٍ يتراءى ما ترى؟!

عبثا تسعى وتدرى مَن سعى دونها يبقى يعانى ما جرى

سرّ أسرار الوجود المنتفى نقطة فيها صراخٌ قد سرى

الإنسان: مدينة الأعماق الإنسانية قد وضعت أسسها منذ ما لا يحصى من القرون، ومضت على نهجها الأجيال مقلدة ومتكيفة مع بعض متغيرات المحيط الذى تكون فيه، لكن التغيرات الخارجية التى تستدعى تكيفا معها لم تكن سريعة ومعقدة، بل يمكن القول بأنها ثبتت وترسخت على طول المدى، وكذلك خريطة مدينتنا الخفية قد تأكدت وثبتت، ولم تواجه التحدى والإهتزاز العنيف إلا فى القرن العشرين، وخصوصا النصف الثانى منه ولا زالت فى دوامة التحديات. وهذا أصاب مدينة اعماقنا بهزات شديدة واضطرابات متسارعة، أفقدتها القدرة اللازمة على التواصل والتكيف مع المتغيرات المتحققة فى الواقع الذى عليها أن تكون فيه وتتأقلم معه. أى أن المسافة اخذت تتسع ما بين الذى فينا والذى من حولنا، وهذا قد دفع إلى الإنشطار والتعدد والتفتت النفسى وتشظى طاقاتنا الغريزية ودوافعنا الذاتية، وأصاب عالمنا الداخلى بالتشوش والارتباك ، حتى لترانا نطارد السراب. فالذى جرى ويجرى هو زعزعة غير معهودة أو منظورة لأجهزتنا النفسية والروحية وتمزقات متنافرة لطبقات وعينا وإدراكنا. ولهذا يكون من الصعب علينا أن نتبين حقيقة الإنسان المعاصر فى هذا الجيل أو الأجيال القليلة القادمة،

لأن خريطة الأعماق بحاجة إلى زمن طويل لكى تنضج وتترسخ وتكتسب القدرة على السيطرة والتواصل المتوازن مع إرادة الذات وديمومة النوع. وهذا يعنى أننا نستخدم آلياتنا وأجهزتنا النفسية القديمة المهيمنة علينا للتفاعل مع مستجدات بحاجة إلى آليات ومهارات لم نتعلمها من الأجداد، وهذا ربما سيدفع بنا إلى ترسيخ آلية التقليد والتعدد الذاتي. وهكذا فأننا سنشهد اضطرابات عنيفة ومتفاقمة- بدأت فى النصف الثانى من القرن العشرين- وستتعاظم على مدى القرن الحادى والعشرين، ولن نعرف الهدوء والحكمة إلا بعد أن نتمكن من بناء أجهزة نفسية جديدة فى دنيانا الحائرة. فالعلاقات البشرية ستعكس هذا التشوش القائم فينا ولأن الواقع من حولنا هو مرآة لما نخفى ونضمر، وبهذا نرسم مأساتنا ونصنع حياتنا.

كما أن ما يحصل أوجد تناقضا ما بين الصورة الذهنية للذات الفردية وحقيقتها الواقعية والغريزية، فأصبحا فى حالة تناقض وصراع، يدفع بالإنسان إلى الخسران، لأنه يعبر عن اختلال قدرات التكيف والتوازن والتواؤم مع التبدلات المتنامية فى محيطه، ولنمو إطلاعه على العالم الذى هو فيه، وتفاقم ضخ المعلومات وانتشارها وتوفرها، أضاع قدرات التواصل ما بينه وبين ذاته، وأصيب بحالة من التشتت أو تعدد الأدوار والاستجابات وتنافرها التام.

أرجو أن لا أكون قد أثقلت عليك، فهذا غيض من فيض، وأملى أن يسمح لى وقتى بالمزيد إذا رغبت...ومرحبا بك فى حوار جديد.

وفى الحوارات القادمة سنتناول موضوعا محددا ونسبر أغواره إذا رأيت هذا الاقتراح معقولا، أم أجدك تميل إلى التنوع والتعدد لتعكس لوحة الحياة على السطور.

*****

تذييل

د. يحيى:

أحترم كل هذا الالتزام بالتعريف الواضح لما تعنيه بكل من الجاذبية والمعرفة والمحبة، ثم احترامك الشديد لطبيعة الانسان الغامضة الرائعة معاً، خاصة وانت تتكلم عن "مدينة الأعماق الانسانية" فتذكرنى بجمهورية أفلاطون التى اعتبرها أفلاطون مجرد تكبير بالغ للنفس الإنسانية، فى حين تعامل معها الكافة على أنها جمهورية مائلة،

توقفت عند تعبيرك القائل: إن "الجاذبية" ربما تكون "قوة انجذاب البشر نحو التراب أو الغياب"، وفرحت، ووافقت بحذر. شكراً

أما رؤيتك لضرورة تغير الإنسان المعاصر ليتلاءم مع الانجازات التى ابتدعها عقله أو أبدعتها عقوله، فهى رؤية تحفزنا إلى حمل مسئولية التطور وأمانة الحياة

وأخيرا، دعنى أكرر أننى فى انتظار نقدك البناء لهذا العمل المتواصل فى هذا الكتاب المحدد الذى يتوالى صدوره يوم الأربعاء، مثلما جاء فى أغلب بريد اليوم المخصص لذلك كمثال:

بريد الخميس خاص بما يثيره المتن والشرح والاستطردات من قضايا حول "دراسة فى علم السيكوباثولوجى شرح ديوان سر اللعبة"، وما يثيره النص البشرى إذ يتعرى من فروض ورؤى، نعرضها ونناقشها فنتعرف علينا "ثقافة مختلفة، وإنسان واحد".

وأكرر شكرى

وعليكم السلام

الإربعـــــــاء 02-12-2009

824-الحـــزن اليَـقِـــظ، وآلام الرؤيـــــة/البصيـــــرة

الحالـة الـــ 43

الحزن اليَـقِـظ، وآلام الرؤيـة/البصيرة

(الدِّمعـة الحيرانـة)

ملاحظة بـادئـة:

ملتزمٌ أنا بترتيب القصائد كما وردت فى الديوان، وهذا قد يبعدنا مؤقتا عن "فقه العلاقات البشرية"، وإن كان واقع الحال لا يمكن أن يفصل أية رؤية للكائن البشرى عن علاقة ما بهذه التيمة الأساسية: "هل يكون البشر بشرا إلا إذا تواصلوا بحق؟!"

الرؤية التعرية هنا لا تستبعد رؤية صعوبة العلاقات البشرية، بل لعل هذه الصعوبة تقع فى بؤرتها، وهى المرحلة التى تميز محاولة الإنسان المعاصر أن يقيم علاقة جدلية واقعية بآخر حقيقى، وهذا هو موضوعنا الأم.

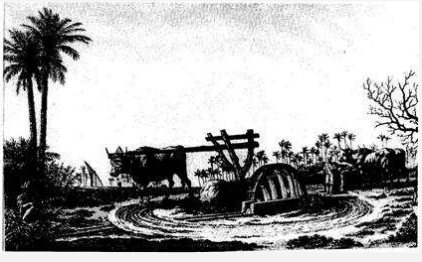

تمهيد

كنت صغيرا، حين أجلس بجوار الساقية (الحلزونة) أتعجب لماذا يُحكمون الغُما (الكيس المجدول على ناحيتين لتغطية نصف وجه البقرة الأعلى، بما فى ذلك العينين) أثناء دورانها منفردة (أحيانا تدور مزدوجة فى صحبة أخرى!!) و"الناف" على رقبتها متصل بعمود محورى يقع فى مركز دائرة الساقية تماما. لم أعرف إلا مؤخرا أن حدس الفلاح المصرى قد وصل إلى أن هذه الطريقة توحى للبقرة أنها تسير قُدُما فى خط مستقيم، فتنسى - أو هو يرجو بحدسه أن تنسى- أنها تدور فى نفس الدائرة طول الوقت، حين أدركت هذا أو تصورته، فزعت للخدعة، ورفضتها، لكننى حين عدت أتأملها، وجدت أن بها نوعا من الرحمة الخبيثة، التى يمكن أن تكون ضمن ما يسمى لؤم الفلاح المصرى (تنطق بعامية بلدنا، "لؤن"، بمعنى الذكاء الخاص!!) الذى لم أكن أتصور أنه يشمل نشاط حدسه.

كنت أشاهد أيضا تلك البقرة الأخرى المربوطة فى شجرة التوت أو الجميز، تنتظر دورها بعد أن تجهد البقرة المغماة من الدوران مغمضة العينين، فتحل البقرة المربوطة محلها، وتنتقل البقرة المربوطة إلى الساقية، فى حين تربط البقرة التى كانت مغماة فى نفس الشجرة، لتأخذ قسطها من الراحة بعد أن يفكوا عنها غماها.

هذا المنظر هو الذى أوحى لى بهذا التشكيل الشعرى، وأنا أنظر فى هذه العين (غالبا فى المرآة)

(1)

والعين الواعية الصاحية المليانة حُزْن:

،، ،، ،،

عمركشِى شفتِ بقرة واقفةْ لوَحْديهَا،

مربوطة فْ شجرة توتْ، جنب الساقية،

وعْنيهَا الصاحية تحتيها دمعة،

لا بتنزلْ ولا بتجفْ؟

عمّالة تْبُصّ لزميلتْهَا المربوطةْ فى النـّافْ،

والغُمَى محبوك عالراسْ،

والحافِر يُحْفُرْ فى الأرضِ السكة اللِّى مالهاش أوّل ولا آخِرْ؟

مع كل أزمة نمو، أو خبرة إبداع حقيقى، تحدث مثل هذه الوقفة بوعى فائق: هى وقفة نقد يقظ، وقفة مراجعة، وقفة استعداد لبداية جديدة فى اتجاه مجهول، وهى وقفة حتمية يمر بها كل إنسان ما دام مازال حيا ينمو، لكنها قد لا تصل إلى الوعى الظاهر فى كثير من الأحيان، وإن وصلت فقد يتم محوها بعد ثوان حتى لا تجرؤ أن تطل ولو كذكرى عابرة، هذه الوقفة

تتجلى أكثر وضوحا وأطول عمرا فى عملية الإبداع الحقيقى طول الوقت، وهى تحتدّ فى البداية، وإن لم تكن بالضرورة تسمى وقفة أو تدرك بما هى كما هى، لكن نتائجها تدل عليها عادة.

فى **أزمات النمو**، وخاصة أثناء المراهقة وأيضا أزمة منتصف العمر، بل وسائر أزمات النمو، قد تعاش هذه الوقفة بعمق كاف ومسئولية مؤلمة، فتحفز النمو، وتسهم فى إعادة إبداع الذات.

فى المرض، (بدايات أى مرض نفسى جسيم تقل فيه الميكانزمات فجأة) تحتد هذه الوقفة، ومن ثمَّ: تتعاظم الرؤية بشكل مضاعف حتى تصبح معجِّزة برغم نفس حدة الكشف، وعمق النقد، وبدلا من أن تكون فرصة مراجعة لبداية جديدة، تصبح سببا أو مبرر إعاقة من فرط الألم الذى عجز "الوعى/الفعل" أن يستوعبه، أو يحتويه، يحدث ذلك أكثر فى الاكتئاب الحيوى اليقظ (أسميه أحيانا **الاكتئاب البيولوجى النشط** تمييزا له عن عكسه تماما، الذى أسميه **الاكتئاب اللزج النعّاب**، وأسماء أخرى).

فى العلاج، تتم المواجهة، باحتواء هذه الرؤية الأعمق باعتبار أنها خطوة ضرورية لا بد من دفع ثمنها إن كان العلاج هو مواكبة عملية النمو للحفز على استكمالها، وليس إجهاض نبضة النمو.

المتن هذه المرة أوضح من أن يحتاج إلى شرح.

هو يعرى الاغتراب الذى يلزم لاستمراره أن تظل الميكانزمات العامِيةُ نشطة طول الوقت، بحيث تنقلب مسيرة النمو إلى **"دائرة مغلقة"**، التى هى ليست إلا وقفة دائمة خادعة، وهى أكثر خداعا من **"السير فى المحل"**، فهى تمثل سيرا إلى الأمام، أو ما يشبه الأمام، ينتهى إلى نفس النقطة طول الوقت، طول الوقت.

هذه الرؤية الكاشفة قد تحدث تلقائيا كما ذكرنا، وقد تحدث نتيجة إفاقة تحدث كنوع من التلقى المبدع.

تأتى الاستثارة من مُحبٍّ صادق مُواكب، أو من إبداع محرِّك، أو من علاج مغامر،

العلاقة بين تبديل البقرة بزميلتها، لتحصل على نوبة راحتها، وهكذا، تذكرنا من جديد بطبيعة **الإيقاع الحيوى**، وحتمية تناوب نشاط مستويات الوعى.

هل تصدق أن الأحلام هى نوع من هذا الكشف السرى، حتى دون أن نتذكرها أو نحكيها؟

إن التقليب الذى يحدث أثناء النشاط الحالم (نوم الريم REM: نوم حركة العين السريعة) يشمل نوعا من الرؤية السرية، التى ينتج عنها إعادة تنسيق المعلومات -Re

patterning ، من البديهى هنا أن كلمة "الرؤية" تستعمل مجازا بشكل مبالغ فيه، الرؤية هنا مفترضة، لا تُستنتج إلا من خلال نتائجها حين تكون كل "دورة" "نوم/حلم/يقظة" هى دورة إعادة ولادة بشكل أو بآخر (الحمد لله الذى أحيانى بعد ما أماتنى وإليه النشور- كما ذكرنا سالفا مرارا).

حين يقول المتن على لسان البقرة المربوطة فى شجرة التوت **"أنا كنت بالِفّ ومش دارية، كان لازمته إيه؟ بتشيلوا الغُما من على عينى، وتفكونى ليه"**، هى لا تحتج، بل تعلن ألم الكشف الذى أكد لها أنها لم تكن تسير إلى الامام، بل كانت تدور فى نفس الدائرة مثلما تدور زميلتها الآن، **"والغما محبوك عالراس، والحافر يحفر فى الأرض السكة اللى مالهاش أول ولا آخر".**

فى كثير من الأحيان، إن لم يكن فى معظم الأحيان، يرجو الإنسان، ويسعى أن يرى الحقيقة عارية أكثر فأكثر، وهو يتصور أن هذا حقه من ناحية، وأنه سوف يرتاح حين يرى ما يريد أن يراه، هذه طبيعة بشرية ترتبط بأليات المعرفة المتجددة المغامرة بشكل عام، (حتى يمكن ربطها بأكل الفاكهة المحرمة)، وبقدر الحرص على رؤية ما فى "الحجرة المغلقة" المحظور فتحها، وبقدر السعى إلى اختبار ما بداخلها بالذات، تكون مفاجأة المعرفة، والأسف المبدئى (أنظر الملحق). الذى يلحق هذه المعرفة المفاجئة إنما يعلن رغبة شكلية فى التراجع عن هذه الرؤية، لكن من رأى، حتى لو أغمض عينيه بعدها، فسوف يظل ما رآه ماثلا أمامه، ليس ماثلا فقط، بل ومانعا له أن يرتد إلى الاغتراب العامى من جديد.

أغلب العلاج الميكنى المخمِّد، هو نوع من "تلبيس" "الغُمَا تانى"، وهذا هو ما جاء فى المتن حرفيا:

(2)

والبقرة الواقفة تقول:

أنا كنت بالِفْ ومشْ دَاريْـَةْ كان لازْمِتُه إيه؟

بتشيلُوا الغُمَا من عَلَى عينِى وتْفكُّونِ ليهْ؟

عَلَشانْ أرْتَاحْ؟!!!

هىَّ دى راحَة إنى أشُوفْ ده ؟!

لو حتى لْبِسْت الغُمَى تانى ماانـَا برضه حاشُوفْ.

وساعتها يا ناس:

مش حاقْدر ألفّ.

.... ما هو لازمِ الواحدْ ما يشوفشِى،

لو كانْ حايلِفْ.

العلاج النفسى المنطلق من منظور نمائى لا يكتفى بأن يستوعب هذه الرؤية بحجمها الموضوعى، وأن يساعد المريض الذى حضر بها أو عاشها أن يحتويها، ويواكبها حتى يتجاوز آلامها دون أن يتنازل عن مواصلة مسيرته، بل إن العلاج يستثير مثل هذه الرؤية بجرعات مجزأة، وذلك لمن يخشى أن يخوضها وحده، هذا النوع من العلاج النفسى لا يكتفى بالحفاظ على هذه الرؤية مع ضبط جرعة الألم، وإنما هو يعمل على ضبط جرعة التنشيط بتعرية محسوبة، بالحد من اللجوء إلى الميكانزمات تدريجيا، بحيث يسمح لمن يمر بها تلقائيا - من خلال أزمة المرض- أن يعايشها بالقدر الذى يمكن به أن يستوعبها. يتم ذلك بوجه خاص **فى العلاج النفسى الجمعى.**

حين تشترك المجموعة ، بما فى ذلك المعالجون، فى هذا الكشف، للإقلال من الميكانزمات، يصبح الألم المصاحب أكثر احتمالا، ومن ثم يصبح حفز النمو أكثر جاهزية،

أغلب - إن لم يكن كل - ما عرضناه فى هذه النشرة خلال أكثر من عامين كعينات مما أسميناه **"الالعاب النفسية"**، والتى شارك فيها كثيرون من أصدقاء الموقع، كانت تقوم بدور تحفيز الرؤية حتى لو بدت مؤلمة، وليس الحد منها، الفرق بين أن تمر بهذه الخبرة من خلال مفاجأة مرعبة، وأنت وحدك تماما، وبين أن تمر بجرعة فجرعة منها، وأنت وسط آخرين يمرون بنفس التجربة، هو الفرق بين بداية ما يمكن أن يتطور إلى مرض (أو إبداع) وبين العلاج النفسى الجماعى بوجه خاص (الذى هو ضمناً: إبداع الذات ما أمكن ذلك).

كثيراً ما نعيش محاولة من أحد المرضى (أو المعالجين) لمحو الرؤية الجديدة التى مارسها أثناء العلاج الجمعى، بنسيانها، أو التراجع عنها، أو سوء تأويلها، وقد يلاحظ ذلك زميل مريض آخر، أو معالج، حين يهم أحدهم بالإنسحاب لعدم قدرته على تحمل هذه الجرعة، فيقول له: وحاتعمل إيه بعد ما اتدبست وشفت ده دلوقتى ("وماذا ستفعل بمعرفتك ورؤيتك التى مرت بك هنا الآن؟)" فيرد قائلا: "إيه يعنى، حانسى واغمض أو أطنش تانى" (سأحاول أن أنسى وأغمض عينى من جديد) " فيسخر الأول "إبقى قابلنى"... وقد يعلق ثالث "دا بعدك"...أو "بعيد عن شنبك"، وغير ذلك من تعليقات تشير إلى أن هذه الرؤية يصعب محوها..بعد ظهورها فى هذا السياق وضبط جرعتها.

الهدف الأهم لما يسمى **"العلاج النمائى التوجه"** هو استيعاب هذه الرؤية للنمو من خلالها لتكملة المسيرة بإيجابياتها وآلامها.

ينتهى المتن بالإشارة إلى ما يصاحب هذه الرؤية، الأقرب إلى الإبداع منها إلى المرض، من سماح وصبر وأمل فى أن تكون بداية التعرف على "آخر" يصاحبه وهو يعايش هذه الخبرة عبر مسيرته، مسيرتهما، مسيرتهم، معا.

هنا تتأكد علاقة: المعرفة، بالعلاقة بالآخر، بالألم الحى الخلاق، بالحزن الإبداعى....،

لِتَوَاجُدِنَا معاً

(3)

الله يسامحكم، دلوقتى:

لا انا قادرة ارتاحْ،

ولا قادرة ألفْ.

لا الدمعه بْتِنْزلْ،

ولا راضيةْ تجفْ.

أشرت فى المقدمة كيف أن هذه الرؤية مرتبطة بشكل أو بآخر بموضوعنا الأساسى "فقه العلاقات البشرية". الإنسان المعاصر يعيش أزمة ممتدة هى أقرب إلى ما يسمى "الموقف الاكتئابى" كما أسمته ميلانى كلاين، والذى فضلت أن اسميه "الموقف العلاقاتى البشرى" وهو الذى يحاول الإنسان المعاصر فيه أن يرسى قواعده من ألم، ورؤية، وإقدام وتحمّل، وفرحة معاً، ليكون بذلك هو النوع الأغلب فى العلاقات بين البشر، ليكونوا بشرا . الإنسان - كما ذكرنا- لا يكون إنسانا إلا إذا كان واعيا بدرجة ما بوعيه حالة كونه يتجادل (لا يتحاور فحسب) مع وعى إنسان آخر يحاول معه نفس المحاولة، هذه العلاقة الأرقى هى التى يتكون منها نوع من الحزن الذى وصفناه بأنه "حزن" "إيجابى" "نشط"، وعلى ذلك فالمفروض أن نفرح به شريطة أن تضبط جرعته، هذه الخبرة التى هى أقرب إلى ما يسمى "الحزن الصامت الأصيل، يكون فيها:

الألم صحوة،

والمثابرة اقترابا،

والاحتياج طلبا شريفا،

والعطاء فرحة

والفرحة طيبة لا تلغى ألم الرؤية،

ولا تقف بعيدا عن الخبرة،

ولا تتجاوز عدل التبادل العلاقاتى.

إنه بالرغم من الألم الذى يعانيه من يمر بهذه الخبرة الرؤية الضرورية ليكون "بشرا"، فإن ذلك لا يترتب عليه سخط أو سخرية أو انسحاب، أو عدوان، بل الأرجح أنه يجذبنا إلى بعضنا البعض فى إطار من التسامح المؤلم، (هنا "الله يسامحكم دلوقتى ...الخ".

قمة إيجابية تجربة هذا الحزن اليقظ الذى يمثله هذا الموقف تشمل:

التوقف للمراجعة،

والسماح للاقتراب،

والرغبة فى "الحياة معا"،

مع الاعتراف بالعجز المرحلى..،

أعتقد أننى ذكرت فى أكثر من موقع (ربما فى التعليق على مقاطع من العلاج الجمعى، أو فى مقابلة مع مريض عرضناه فى باب "حالات وأحوال") أننى أفرّق بين الحزن وبين البكاء، وأن الدموع حين تترقرق فى العيون، ولا تسيل، هى أصدق تعبير عن موقف هذا الحزن الإيجابى الأصدق، أما حين تتدفق بلا حساب فهى أبعد عن هذه الخبرة، بل إن الامر قد وصل بى إلى أن أربط - فى كثير من الأحوال - ربطا عكسيا بين هذا وذاك، بمعنى أنه كلما انسكبت الدموع، خفتت الخبرة الأكثر عمقا،

* * * *

ملحق النشرة (إبداع موازٍ)

مقطع من قصيدة لى بالفصحى بعنوان: **"عفواً فعلتها"** دون تعليق يشير إلى خبرة موازية

يـــــاليتنى طفوتُ دون وزن
ياليتنى عبرتُ نهرِ الحزن
من غير أن يبتلَّ طرفى فـَرَقا.

ياليت ليلى ما انجلى،
ولا عرفتُ شفرة الرموز والأجنـَّة.
إى هجرة الطيور ،
فى الشاطئ المهجور .
عفوا فعلتـــــها ...
-2-
المهربُ الجبان ،
العمرُ بعدُ ما بدا ،
المهربُ الأمانِ.
فك الحبالَ صلـّت السلاسل،
العمر بعد ما انقضي.
-3-
أشلاؤها: تفجرت مضيئه.
نرى ، ندور ننكفئ.
.....إلخ

الخميـــــــس 03-12- 2009

825- عـــودة إلى الألعـــاب النفسيـــة، لتعويـــض الصمـــت

ربما كانت دعوة سابقة لأوانها، أن نخصص اليوم لحوار حول هذا العمل!

ربما ثبت أن الأصدقاء المعقِّبين يفضلون أن ينتظروا حتى يكتمل العمل ثم يعقبون

أو أن هذا العمل، مثل سائر ما تحتويه النشرة، به من المفاجآت أو غير المألوف ما يجعل المعقب يفضل الرجوع إلى مراجعه، وليس إلى خبرته الذاتية أو المهنية قبل أن يعقب،

لاحظت أن ما وصلنى من تعقيبات هى شديدة الجودة، والإفادة، لكنها بدت لى "مماسة" tangential، والعجيب أن التعقيبات على التعقيبات قد جاءت حول هذا "التماس" حتى بدت خارج الفكرة المحورية، ولعل الخطأ هو من جانبى لكثرة الاستطرادات وتعدد الفروض

هذا الكتاب الثانى فى "السيكوباثولوجى"، الذى انتهى إلى أن يكون أساسا فى **"فقه العلاقات البشرية"**، لا يتناول قضية العلاقات بين المرأة والرجل مثلا كقضية محورية أو أصلية، وإنما هو يحاول أن يستهدى من نص شعرى محدد، (ديوان أغوار النفس) قضية العلاقات البشرية الأساسية، بين الفرد والآخر، ولكن ما أن انفتح ملف العلاقة بين الرجل والمرأة، وتاريخها، وما وصلت إليه هذه العلاقة من ظلم وقهر للمرأة وعدم تكافؤ الفرص...إلخ، حتى جاءت التعقيبات تناقش هذه القضية دون الفكرة المحورية عن **"فقه العلاقات البشرية"**، حتى التعقيب الوحيد الذى جاءنى هذا الأسبوع كان مناقشة

د. مدحت منصور لأطروحة الأستاذة أمل محمود، وهو يعاتبها لها أنها لم ترد حتى الآن، بل ويكاد يتهمها أنها تتفرج على الردود، وإن كنت أوافق على العتاب فإننى لا أوافق على الاتهام بالفرجة، فنحن لا نعرف ظروفها، أو لعلها لاحظت أننا خرجنا خارج الموضوع الأصلى، من يدرى

المهم، كسبنا فضل الاستجابة لاقتراح أ.د. جمال التركى، وإسهام الدكتور صادق السامرائى، والأستاذة أمل محمود والدكتور مدحت منصور والدكتور محمد أحمد الرخاوى، وآخرين من الأصدقاء الطيبين الذين ساهموا فى هذه المحاولة قصيرة العمر.

آخر لحظة: (الساعة 12 ظهر الأربعاء)

وصلنى حالاً تعقيب من د. أسامة عرفة، ود. أحمد عثمان، على نشرة اليوم "الأربعاء"، ولم أتراجع، وسوف أرد عليه غداً.

تراجع واقتراح

ابتداء من اليوم، سوف أوقف تخصيص هذا اليوم لهذا الحوار، وسوف أواصل نشر ما يصلنى تباعا حول هذا العمل ضمن حوار الجمعة، فإن تجمع ما يحتاج لتخصيص يوم الجمعة الأول من كل شهر لمناقشة هذا العمل بالذات، وهو الاقتراح الأول للدكتور جمال التركى ، فقد يكون ذلك مناسبا،

وإنى إذ أعتذر عن هذه النقلات المفاجئة، والأبواب المجهضة، وتشتت المواضيع، أذكّر الأصدقاء أن هذا هو ما يميز - ويعيب - هذه النشرة منذ صدورها .

الاقتراح الجديد (فى نهاية هذه النشرة) هو تحايل جديد لإشراك الأصدقاء فى القضايا التى يطرحها المتن، وملحقاته.

فقد تذكرت مدى إقبال أصدقاء النشرة والموقع على المشاركة فى الاستجابة لما كنا نعرضه من **"ألعاب نفسية"** نختبر به ومعه قضايا حساسة ، بمنهج طليق، فوضعت - أيضا على سبيل التجربة - عشر ألعاب جديدة، عن طبيعة "العلاقات البشرية"، (وأهمها حاليا ما يسمى الحب) وقلت أجرب الدعوة إلى المشاركة عن هذا السبيل المباشر، لعل وعسى:

دعوة لاستجلاب المناقشة "باللعب"!!!

نذكر القراء بقواعد اللعبة فقد مضت شهور دون أن نطرح لعبة جديدة، والقواعد كالتالى :

1. تتكون اللعبة من جملة ناقصة، عليك أن تكلمها، يستحسن مشافهة، ثم نكتبها فيما بعد

2. إقرأ الجملة بصوت عال وكمّلها بسرعة باقل قدر من التفكير المنطقى

3. مقبول أن تقول أى كلام، حتى لو بدا غير مرتبط ارتباطا وثيقا بالجملة الناقصة...

4. لا تحاول أن تتراجع عما قلته

5. يمكنك بعد أن تنتهى الاستجابة الأولى أن تعيد المحاولة، على شرط أن تترك **المحاولة الأولى كما هى** وترسل لنا الاستجابتين، ثم تقارن، أو نقارن نحن، أو لا نقارن اصلا

6. لا تنسَ أن الجمل الناقصة المقترحة لا تعبر بالضرورة عن رأيك الحالى فعلا، لكن إنطقها، وكأنك تمثل هذا الرأى لحظة اللعب، ثم تعود لرأيك الاصلى وتتمسك به كما تشاء.

وإليكم الألعاب العشرة التى خطرت لى من خلال الأسئلة والاعتراضات التى وصلتنى مشافهة أو كتابة حول المتن الشعرى أو الشرح له، أو المناقشة حوله:

أولا: بالعامية المصرية

1) ربنا خلقنا نحب بعض كدهه من غير أى حاجة، بس اللى بيحصل بقى ..... **(كمّل)**

2) لأ مش ممكن...!!! أنا عشان أحب لازم أتحب الأول، .....، يبقى بقى ..... **(كمّل)**

3) ما هو ازاى أحب واحد(ة) وانا عارف إنه(ا) ممكن يسيبنى (تسيبنى) فى أى وقت؟!!!! بس برضه ..... **(كمّل)**

4) طب وانا حاخسر إيه لو حبيت واحد ما يستاهلشى الحب، ما دام مش مستنى منه حاجة....، إنما يعنى ..... **(كمّل)**

5) أحسن حاجة الواحد يحب اللى بيحبه وبس، طب وانا أضمن منين إن ..... **(كمّل)**

6) أنا ما اقدرشى أحب حد ما اعرفوش، مش يمكن ..... **(كمّل)**

7) طيب، إفرض أنا صدقت اللى بتقولوه، وقعدت أحب أحب ، وما حدشى حبنى، مش برضه يبقى معنى كده إنى..... **(كمّل)**

8) الظاهر إنى أنا فعلا لو مديت إيدى جوه أى حد حالاقيه بيحبنى، بس إيش ضمّنى ..... **(كمّل)**

9) إحنا مخلوقين نخاف من بعض، ونتخانق مع بعض، والحب بقى ييجى بعدين لما نطّمن لبعض، طيب !! يحصل إيه بقى لو ..... **(كمّل)**

10) أحسن حاجة بلاش نستعمل كلمة حب دى من أصله ما دام احنا مش قادرين نتفق على معناها، أنا أقترح ..... **(كمّل)**

ثانيا: بالفصحى

1) لقد خلقنا الله نحب بعضنا البعض تلقائيا، لكن ما يحدث فعلا هو ..... (أكمل)

2) لا ..لا ..هذا غير ممكن، أنا لكى أحِب، لا بد أن أحَب أوّلا ، إذن ..... (أكمل)

3) لكن كيف بالله عليك أحب أحدا وأنا أعلم تماما أنه يمكن أن يتركنى فى أى وقت، !!! لكن أيضا ..... (أكمل)

4) ليكن..، وماذا سوف أخسره لو أننى أحببت من لا يستأهل حبى، طالما أنا لا أنتظر منه مقابلا أصلا، ولكن أيضا ..... (أكمل)

5) الأفضل أن أحب من يحبنى، وكفى، فمن أين لى أن أضمن أن..... (أكمل)

6) أنا لا أستطيع أن أحب أحدا لا أعرفه، ألا يجوز أن ..... (أكمل)

7) لنفرض أننى قبلت ما يقال، وجعلت أحب ، وأحب، وأحب، ثم لم يحببنى أنا أحد، ألا يعنى ذلك أنى ..... (أكمل)

8) يبدو فعلا أننى لو مددت يدى بداخل أى إنسان سوف أكتشف انه يحبنى، ولكن كيف أضمن ..... (أكمل)

9) لقد خلقنا ونحن نخاف من بعضنا البعض، ونتعارك مع بعضنا البعض، ثم يأتى الحب حين نطمئن لبعضنا البعض، لكن ماذا إذا حدث أن ..... (أكمل)

10) يبدو أنه من الافضل ألا نستعمل كلمة "حب" من حيث المبدأ طالما الاختلاف حول معناها هو بهذا الحجم، أنا أقترح ..... (أكمل)

الإربعـــــــاء 09-12-2009

831- تســـول الحـــب، والاعتماديـــة الرضيعيـــة (1 من 2)

قبل الحالة:

تعودت من القارئ وصديق النشرة وصديق الموقع أن يصبروا علىّ حتى تماديت فى الطمع فى كرمه وسماحه!!

وجدت أننا ابتعدنا عن الكتاب الأصلى ولم نعد نقدم حالات جديدة، فقررت أن أؤجل التعقيبات والاستجابة للألعاب إلى الأسبوع القادم لصالح نشر الحالة التاسعة؟؟ على جزأين اليوم وغدا

أنا أحبكم

وأنتم كذلك

فسامحونى

يحيى

فى فقه العلاقات البشرية: دراسة فى علم السيكوباثولوجى

لوحات تشكيلية من العلاج النفسى والحياة

شرح على المتن: ديوان أغوار النفس

الحالة: (8)

مرة أخرى:

(وهامش عن جرعة الرؤية فى العلاج النفسى الجمعى خاصة)

تكاد تكون هذه الحالة تطبيقا مباشرا لما أسميناه "تسول الحب"، يتجلى ذلك هنا فى موقف علاجى محدد، يكاد يعرض مقارنة حادة بين العلاج النفسى الفردى التسكينى بالكلام، وبين العلاج الجمعى المواجهى النمائى، **Confrontation Growth-Oriented Group Therapy**

هذه الحالة بوجه خاص، كانت لها تاريخ طويل فى العلاج النفسى الفردى، أنجزت من خلاله درجة معقولة من التكيف، والتسكين حتى تخرّج صاحبها من كلية قمة، واختفت الأعراض البادئة. ثم إنه قرر بوضوح أن يواصل العلاج الجمعى، باعتبار أنه مرحلة لاحقة تفيده فى استكمال النمو، حسب ما سمع، خاصة وأنه - بتخرجه - لم يعد فى حاجة إلى جرعة زائدة من آليات الدفاع العامِية، وقد كان صادق النية فى أن يحاول وأن يكمل.

الذى حدث هو العكس تماما، فقد عرّت تجربة العلاج الجمعى المواجهى الجرعة المفرطة من الاعتمادية التى ربما اعتادها صاحبنا أثناء العلاج الفردى، وقبله، لكنه اصر على مواصلة المحاولة، وكلما تقدم فيها، أكد موقف "المتفرج" دون مشاركة، ازدادت ميكانزمات العقلنة والاعتمادية، حتى صار واضحا للجميع أنه لا ينوى أن يتقدم إن لم يتراجع.

كان صاحبنا شاطرا تماما فى وصف ما به، بل وما بغيره، كما كان حاذقا فى الإعجاب بما يجرى حوله من محاولات وتجارب، ومفاجآت مخاطر، لكنه كان دا ئما يحمى نفسه بمزيد من الطلبات من موقف سلبى متلق، بلا محاولة جادة من جانبه لأى حركة نحو التغير الكيفى الحقيقى.

كان صاحبنا مثابرا منتظما فى حضور اللقاءات كلها تقريبا، دون أى تغيير من جانبه، وحين تكررت المواجهة، وتعرى موقفه أكثر فأكثر، بدأ العدوان الاحتجاجى يحل محل المقاومة الاعتمادية، ليختم تجربته بالاحتجاج على قائد المجموعة، معالجه القديم، وكان احتجاجه موضوعيا منبها، مؤكدا ما ذهبنا إليه فى العلاج النفسى بأنواعه، من ضرورة ضبط جرعة الرؤية الجديدة، لتتناسب مع فرص احتوائها ، وظروف واقعها، على مسار النمو

المتن أيضا تعرض لمقارنة مباشرة - ساخرة - ما بين الاقتصار على العلاج بالتسكين والضبط والربط باستعمال العقاقير أساسا، وبين العلاج التكاملى الذى يستعمل العقاقير دعما لمسيرة النمو بجرعات متغيرة حسب مسيرة الحالة كما ذكرنا دائما.

والآن إلى المتن:

(1)

والعيون التَّانْيَه دى بتقول كلامْ،

زى تخاريف الصيام؛

الصيام عن نبضِة الألَم اللى تِبْنى،

الصيأم عن أىَّ شئ فيه المُغامْرَه،

الصيام عن إن لازم كل بنِى آدم يِفَتّح،

مش يتنّـح

الصيام عن أى حاجة فيها إنى: عايز أكون زىّ خلقة ربنا"

مسألة أن أكون **"زى خلقة ربنا"** تكررت كثيرا فى هذا العمل، وأنا - بصراحة - لا أجد لها بديلا ، حتى كلمة "الفطرة" أجدها بديلا أكثر غموضا فعلا من **"زى خلقة ربنا"**

يتحفظ العلماء عادة على هذه اللغة، وربما عندهم حق، فما أن تنطق بهذا التعبير **"زى خلقة ربنا" أو "كما خلقنا الله"** ينبرى أهل السلطة الدينية ليستولوا على كل ما بعد ذلك لصالح تعميق سلطتهم، وليس لصالح إطلاق المسيرة البشرية لتكمل مشوارها "إليه"، وأيضا ينبرى العلماء المحدودون يتهمونك بالقفز وراء الحقائق العلمية المحددة إلى ما يسمونه الميتافيزيقا، الذى أقصده، وغالبا يقصده الناس، بهذا التعبير، هو أن يكون الإنسان إنسانا، كائنا متميزا، يحمل تاريخ تطوره كله، لا يلغى أوله لصالح آخره، ولا يطلق لأوله العنان على حساب مكاسب تطوره، هذا ليس حلا توفيقيا وسطا، لكنه تاريخ الحياة وتاريخ الإنسان، هو الحركة الدائبة، المتناوبة، لتحقق الجدل فى دوراتها المتعاقبة، هذا تحديدا ما أتصور أن الحق تعالى من خلال التطور قد هيأه لهذا الكائن الفائق الرقى، الظالم نفسه برقيه المنقوص.

حين يقول المتن إن صاحبنا قد أغلق وعيه فَصَام عن أى احتمال أن يكون كذلك، فإن المقصود، (وهو الذى حدث فى هذه الخبرة) أنه راح يقاوم كل محاولة تفاعل يمكن أن تهز ما استقر عليه من دفاعات مجمّدة، وبالذات تلك الدفاعات التى قويت أثناء العلاج الفردى، وكذلك حتى انتهت الخبرة (القصيدة) كان يضع اللوم على قائد المجموعة (لمِعالج السابق) وهو لا يتحرك من موقعه، خوفا من: **"نبضِة الألـم اللى تِـبْنى"**، من **"أىَّ شئ فيه المُـغـامْـرَه"**، من الرؤية الجديدة إن لازم كل بنِى آدم يـفِـتّح، مش يتنَّـح"

حتى لو كنت قد حددت هذا التعبير من **(زى خلقه ربنا)** بفكرى التطورى ضمنا فى الحلقتين السابقتين بأن ربنا خلقنا نحب بعضنا البعض، وأن ما يحدث بعد ذلك ليحول دون ذلك، هو بفعل فاعل، حين يرفض هذا الصديق أن يكون **"زى خلقة ربنا"**، فإن هذا يعنى أنه متمسك بميكانزماته التى اكتسبها لتحميه من التهديد بشطح غير محسوب على مسار النمو، هذا ليس عيبا ولا نقصا فى مرحلة معينة، أم أن يكون هذا هو نهاية المطاف، فهو الامر الذى نتوقف عنده، ونتعلم من مثل هذه الحالة أن المسألة ليست كذلك.

حين أتيقن من مثل هذه الحالات أن موقفها صلب وحاسم، أتراجع عن الحماس للنصح بالعلاج الجمعى خاصة، وأحيانا، ولو أنها نادرة، أنصح مثل هذا الشخص بالتوقف فعلا عن المشاركة فى علاجات تعرضه لما ليس فى حسبانه، نعم، أن يتوقف عن التردد

على هذا النوع من العلاج النفسى الجمعى، لكن الذى يحدث عادة هو أن يصر مريضٌ ما على أن يخوض التجربة، وله كل الحق، وفى هذه الحالة أستسلم للانتقاء الطبيعى، فكم من مريض تصورت أنه لن يتحمل أن يكمل معنا المسيرة، وإذا به يفعلها ونصف، وكم من آخر بدا متحمسا جاهزا للتغير، لكن ما إن تبدأ الخبرة حتى يتراجع بسرعة إلى دفاعاته المتينة تماما، حتى ينقطع عن العلاج المهدد بخلخلتها.

أهم صفة تصف هذه الوقفة هى الاستسهال وتجنب الألم وتصور العلاج تصورا سحريا يحل المشاكل بدون ألم (بالبنج)،

ورغم انبهار صاحبنا الكلامى بما يجرى، وإعلانه البدئى أنه يريد أن يكمل المسيرة، إلا أنه، ومن البداية، يحدد طريقه الذى يؤدى به إلى عكس ما يعلن دون أن يدرى. هذه الصورة الاعتمادية المرفوضة من حيث المبدأ لها ماوراءها من مبررات، أهمها، وفى هذه القصيدة بالذات: تجنب الألم مهما ضؤلت درجته، ناقشنا فى الحالة السابقة "ألم البصيرة"، ودافعنا عنه وأوضحناه فى حوار بريد الجمعة بشكل تفصيلى، وإن كان غير كامل، لكن الذى مر بجرعة مفرطة من الألم (يحدث ذلك عادة فى بداية أزمات التطور الحادة أو بداية الخبرة المرضية) ثم لم يجد أحدا بجواره، ولم يجد دفعا بداخله لتحمله أو تجاوزه، ثم لملم نفسه بدفاعات أيا كانت، إن من مر بمثل هذه الخبرة يأبى - عادة - أن يعود إليها تحت أى إغراء، ولو رأى أن هذا هو السبيل الوحيد لاستعادة دفع الخطى على مسار النمو. لكن العجيب فى مثل هذه الأحوال أنه لا يستسلم لدفاعاته - مثل أغلب العاديين - بل يظل يتصور أن فى الإمكان أن يحقق أمنيته النظرية، بجرعات جاهزة من الهدهدة والتفريغ والحمل (أن يحمله آخر) والاعتمادية. ويظل الموقف هكذا طول الوقت، كما تبين القصيدة: لا هو يكف عن إعلان المحاولة دون محاولة، ولا هو يحاول فعلا، ولو بأى درجة كانت، صاحبنا كان يبدو، دون بقية المجموعة، مرتاحا، حالما، مستقرا، لكنه دائم الإعلان عن نيته فى المشاركة، ولكن بشروطه.

(2)

العيون دى صرّحت إن صاحبنا

عمره ما حايعلن يسيبنا

بس شرطه يَتّنه نايمْ فى العسل، عمال بيحلَم،

بَسْ عامل نفسه بيحاول، ويتكلمْ، ويحكُمْ،

شرطِ إنه لم يخطّى أو يسلّمْ

مشْ على بالُه اللى جارِى،

"كل همّه، يستخبَّى أو يدارى".

وان وَصلُّه، غَضْب عَنُّهْ

يـترمى سْطيحَهْ ويُطْلُبْ حتّه مـِنّــهْ:

شرط إنـه يجيـله فى الـبزازة دافْيَةْ، جَنْب فُمُّهْ.

أعتقد أن هذا الجزء من المتن، هو المقابل الشعرى المباشر لما سبق شرحه حالا قبل عرض النص، إن الذى كان يميز هذا الموقف بوجه خاص هو إلحاح صاحب هذه العيون لإعلان "نـيَّتِه" فى المشاركة، وفى نفس الوقت طلبه المباشر أن يعطيه أحدهم ما يتصور أنه حقه دون سعى من جانبه إليه (برجاء مراجعة المقطع الذى نشرناه من جلسة العلاج الجمعى: عايزة حُبَ **(نشرة 12-11-2009 "الحق فى الحب بين الأخذ والتسول")** دعما لشرح مثل هذا المتن)

هذه الرؤية المعقلنة هى مكافئة تماما للعمى الكامل، **"مش على باله اللى جارى"**، لأنها رؤية مع وقف التفيذ إلا بهذه الشروط التى هى ضد كل قواعد ما يسمى "مسيرة النمو".

مرة أخرى: إن مما يستدعى العجب هو تساؤل يقول: إذا كان الأمر كذلك، فلماذا يصر صاحب كل هذه الدفاعات القوية، على استمرار المحاولة بهذا الإلحاح والانتظام فى طرق الأبواب؟ بالرغم ما يصله من صعوبات، وما يرى من مشقة وألم لازمين للخوض فى التجربة؟

إن التفسير الأقرب هو نجاح آلية (ميكانزم) العقلنة بشكل فائق بما يجعله يواصل الرصد لما يجرى من على مسافة آمنة، بحيث يصبح العقل النشط المتفرج مصدًّا قويا طول الوقت، ضد التغير، ويصبح صاحبه غير مهدد فعلا بالتغير الفعلى، فهو لذلك يواصل المطالبة بالتغيير ألفاظا منطوقة لا أكثر.

لكن هل هذه هو كل ما فى الامر؟

لكن المسألة لا تقتصر على هذه القناة للتوصيل بالكلمات والرموز المعقلنة، فالجسم يتلقى، والوجدان يتلقى، والوعى - بمستوياته - يتلقى، ومن هنا تأتى أهمية البيت فى المتن **"وان وصل له غصب عنه"**، نعم الذى يحدث أن الرسائل التى تصل لمثل صاحبنا من وراء ظهره، تصله فعلا غصبا عنه، وهو لا يرفضها بل يمحوها فورا بعكس ما نتصوره، يمحوها بأن يتقبلها ويطلبها من الوضع مستلقيا رضيعا، **"وان وصل له غصب عنه، يرتمى سطيحة ويطلب حتة منه"!!!**

ثانيا: فى هذه المرحلة يستغنى صاحبنا عن فعل التغير بمتابعة كل ما يجرى، وبالتالى يتجنب مواجهة داخله وكأن أفراد المجموعة **تحقق بالنيابة عنه** أمانيه وتحل صراعاته أما هو فيتصور أنه "عرف" الحكاية فلا توجد مشاكل ولا خطوات بعد ذلك.

ثالثا: فى نفس الوقت يجد صاحبنا نفسه فى موقف المقاومة العنيفة بإعلان "عدم الفهم" متى ما اقتربت الرؤية الذاتية منه، أو تهدد بضرورة التفاعل.

رابعا: هذا لا ينفى أبدا أن يصله ما يغيّر تركيبه الدفاعى ولو من خلف ظهره.. أو من خلال ما يسمى الانتباه السلبى، فلاشيء بهذه الجدية يمكن أن يُهْدر بلا جدوى تماما حتى ولو توقف وصوله عند مرحلة التنظير والعقلنة.

خامسا: وبسبب هذه الزحمة من المتناقضات: (مثل الحضور مع المقاومة، والفرجة برغم الاستيعاب السرى) يستمر هذا الموقف ربما إلى أجل غير مسمى .. وينبغى على المعالج أن ينتبه إلى ذلك كله وأن يتعامل معه على هذا الأساس فى حينه.

(3)

كان صاحبنا حلو خالص فى الكلام
كان بيتفرج، وهوه بعيد تمام،
كل ما نديله حتّه، يترسم ويقول كمان.
عايز أخطى، بس شرطى، فى الأمان
كان مركِّز عاللى كان واخد عليه
لما كان بيحكَّى للى شافُهْ "بيهْ":
كلُّه "مين"، و"زمان" و"ليه"!!
شيخ طريقة أو حكيم ما اعرفشى إيه،
.....
.....
بس دِى ياناسْ لقاهَا حكاية تانية ـ
يعنى شغل "هنا" و "حالا" كل ثانية
كل ما واحد يهمّ
نفسه يعنى يهم زيّه، بس لأ، من غير ألمْ !!
يقلب الخبرة مشاهدة كإنه فيلمْ:
.....
قالُّهْ سَّمْنَا كمان حبّةْ نغَمْ:
كِيدِ العدَا،
يا سلام!! هوا جوّاك كلّ دا!؟
أنا نِفْسِى ابقَى كده؟
بس حبُّونِى كمانْ.
حُط حتَّهْ عالميزان.
أصلِى متعَّود زمانْ:
إنى انام شبعان كلامْ.

تـأكيـد جديـد لـنفس الموقف، لـكن يضاف إلـيه الحذر من موقف المتفرج، الـذى انفصل عن المشاركة حتى بـدا مستلذا بـألم الـذى يحاول، **"بس سمعنا كمان حبة نغم"**، أما إضافة **"كيد العدا"** فقد تكون إشارة إلى أنه يقر أن هذه المحاولة يرفضها أغلب الناس، بل وقد يدمغونها باعتبارها اختلافا يصل إلى درجة مخاطرة الجنون، لكن صاحبنا يتصور أنه يربأ بنفسه أن يكون من هؤلاء، فهو يصفق لمن خاض هذه التجربة الجديدة، نيابة عنه غالبا، وبالتالى هو "يكيد العدا" أيضا نيابة عنه.

ليس هذا فقط، بل إنه يبدى إعجابه بالمؤدى، **"يا سلام!! هوه جواك كل ده!!"**، وأمنيته (الكلامية) أن يتقمصه **"أنا نفسى ابقى كده"**

هذا الموقف يعتبر أكثر سلبية بكثير من موقف الشخص اذى رضى بالعادية، أو بفرط العادية كنهاية للمطاف، فصاحبنا هنا لا يرفض المحاولة كما قلنا، لكنه حتى وهو يعلن أنه يتمنى أن يمر بمثل ما يمر به هذا المتقلب على جمر الحقيقة، يلحق نفسه بما يكشف أن هذا التمنى نفسه هو الذى يخدعه ويحول بينه وبين المحاولة الحقيقية، فهو يلحق أمنيته فورا بأن يمد يده "متسولا" **بس حبُّونِى كمانْ.**

"حُط حتُّهْ عالميزان"، وهو يعزو ذلك إلى خبرته السابقة فى العلاج الفردى الكلامى التسكينى التأويلى، **".أصلِى متعَّود زمانْ: إنى انام شبعان كلامْ.**

الذى حدث ان المجموعة وقائدها انتبهوا إلى كل هذه السلبيات التى جعلت وجود صاحبنا مثيرا للدهشة من ناحية - لماذا يستمر؟- ومانعا للمشاركة الزائفة السطحية التى كان يمثلها أصدق تمثيل حتى أن الباقين لم يكتفوا برفضه، بل خافوا ورفضا أن يسلكوا سبيله.

المقطع التالى يمكن أن نقرأه على لسان حال المجموعة، أو على لسان حال قائدها (وهى ليس لها قائد بطبيعتها) وهى تبدأ بتنبيه صاحبنا أن يكف عن التسول ويشرع فى المبادأة، إن كان صادقا فى أنه **"أنا نفسى ابقى كده".**

ويتكرر الموقف وكأنه سوف يهم أن يفعلها، لكن سلوكه، وإعلانه، وإصراره على التمسك بموقع المتلقى طول الوقت، يكشف نفسه بسرعة هائلة: **قام صاحبنا بانْ كإنه مشْ مِمَانِـعْ، بس قاعد ينتظر "بنج اللذاذة"، كلّه دايب فى الإزازة"**

هذه الفقرة بالذات، وتعبير بنج اللذاذة، كله دايب فى الإزازة ، هى من أصرح الفقرات نهيا عن المفهوم الشائع: **ان العلاج النفسى هو تربيح وتسكين وتفريق.**، معظم المرضى، وأهلهم أكثر منهم لا يطلبون من الاستشارة النفسية، أو العلاج النفسى وبالذات فى البداية إلا "أن يرتاحوا"، وقد ناقشنا ذلك فى هذا الكتاب مرارا، ونكرر هنا أن هذا حقهم، ولكن ليس على حساب رحلة نموهم.

كل هذا لا يعنى أن يمتنع المعالج أن يعطى جرعة "التريح" الضرورى بين الحين والحين، وخاصة فى البداية، ولو على سبيل الرشوة حتى تستمر مسيرة العلاج إلى أن يعاد التعاقد لدفع عجلة النمو.

يقول لسان حال المجموعة، الذى يستحسن أن نتمثله فى قائد مفترض حالا:

(4)

"يا أخينا مِدّ إيدك

يا أخينا هِمّ حبَّهْ.

الحكاية مِش وِكالة بْتَشتِرِى منها المَحَبّةْ".

قام صاحبنا بانْ كإنه مشْ مِمَانِعْ،

بس قاعد ينتظر "بِنجِ اللذاذة"

كلّه دايب فى الإزازة

رضعة الحب اللى جىّ جاهز ودافى

رضعه كاملةْ إلدّسم، سكّرها وافى !!

****

وبعد

نتوقف هنا حتى نستوعب هذا الموقف غير المألوف، ظاهر التناقض دون تناقض، **لنكمل نفس الحالة غداً** على حساب استجابة المشاركين فى اختبار فرض **"الحب الجاهز: خلقة ربنا"** بمنهج اللعب النفسى التى قدمنا من خلاله عشرة ألعاب الأسبوع الماضى. **نشرة 3-12-2009 "عودة إلى الألعاب النفسية، لتعويض الصمت"**

وإلى الغد

وأكرر الاعتذار

****

حلقة الغد

غداً يبدأ "المعلم" قائد المجموعة (أو لسان حال المجموعة) بكشف موقف صاحبنا بأن يعرض (أو يتصنع أنه مستعد) أن يوصل له جرعة الحب والرعاية حتى بؤرة قلبه (توصيل المنازل Delivery)

وفيما يلى نص تصنع هذه الاستجابة الكاشفة كما جاءت فى المتن:

(5)

والمعلّم ضْبُرهْ بجباله الطويلة،
قال "لابد أشوفْ لُه حيلهْ":
قال لـــه يا ابنى تعالى جنبى
إنت تطلب، وانا البّى،
راح صاحبنا معرّى جوعه، نطّ كل اللى مْدَارِيهْ
عرضحال كاتب جميع ما نـِفـْسُه فيه:
".. بعد موفور السلامْ،
نِفْسِى حبّةْ حُبْ .. أو حتّةْ حقيقهْ،
نفسى أفْهَمْ فى اللى جارى ولو دقيقهْ،
نفسى أعرف فى اللى بتقولوا عليهْ،
نفسى اشوف دا إسمه إيه"

****

وغدا نناقشها

الخميـــــس 10-12-2009

832- تسـول الحب، والاعتماديـة الرضيعيـة (2 من 2)

فى فقه العلاقات البشرية: دراسة فى علم السيكوباثولوجى

لوحات تشكيلية من العلاج النفسى والحياة

شرح على المتن: ديوان أغوار النفس

الحالة: الثامنة

مرة أخرى:

تسول الحب، والاعتمادية الرضيعية (2 من 2)

(وهامش عن جرعة الرؤية فى العلاج النفسى الجمعى خاصة)

توصية:

أنصح بقراءة حلقة أمس لضمان تواصل المتابعة

مقدمة:

توقفنا أمس عندما بدأ "المعلم" (قائد المجموعة أو لسان حال المجموعة) يعرض على صاحبنا ساخراً أن يطلب ما يشاء!! وختمنا حلقة أمس بالمتن الذى يعلن ذلك.

ونبدأ حلقة اليوم بنفس المتن:

(5)

والمعلّم ضْبُرهْ بجباله الطويلة،

قال "لابد أشوفْ لُه حيلهْ":

قال لـه يا ابنى تعالى جنبى

إنت تطلب، وانا البّى،

.....

راح صاحبنا معرّى جوعه، نطّ كل اللى مْدَارية

عرضحال كاتب جميع ما نـِفـْسُه فيه:

".. بعد موفور السلامْ،

نِفْسِى حبّةْ حُبْ .. أو حتّةْ حقيقهْ،

نفسى أفْهَمْ فى اللى جارى ولو دقيقهْ،

نفسى أعرف فى اللى بتقولوا عليهْ،

نفسى اشوف دا إسمه إيه"

موقف صريح آخر لإعلان التسول، لكن التسول هنا يتجاوز تسول الحب، فهو يتسول أيضا المعرفة، فهو يدرك - من بعد أعمق - أن كل رؤيته لحقيقة الجارى، ولألم الذى يحاول أن يخوض التجربة، ليست إلا رؤية زائفة، بل إنها يمكن أن توصف بأنها حتى: "ضد الرؤية" (قارن الحالة السابقة)، وقد عرى المتن داخل صاحبنا حين يقرن تسوله للحب، بتسوله للحقيقة، ويلحق ذلك مباشرة بإعلان جهله بما يجرى حوله برغم كل مزاعمه أنه يراه ويعرفه، وبالتالى يطلب منه، ويحاول أن يكونه، بل إنه يعترف أن كل الأسماء التى أطلقها على هذه الخبرة أو الخبرات، غير كافية للإحاطة بها: **"نفسى أعرف فى اللى بتقولوا عليه، نفسى أشوف دا إسمه إيه".**

فى خبرتى كنت أترك مثل هذا الشخص وكأنى أهمله، لعله يستثار من بعيد لبعيد، وبعد فتره تطول أو تقصر حسب حساباتى أحاول بداية الحوار معه، ومن ثم الأمل فى التفاعل، ولكنه فى العادة يعود يكرر الكلمات الجارية فى المجموعة .. دون إحاطة كافية بمضمونها، أو تحمل مسئوليتها، أو حتى محاولة احترام حفزها.

الذى حدث - كما قلنا سابقا- أن المعالج السابق لصاحبنا كان هو هو الذى ظهر فى المتن وكأنه يحاور صاحبه القديم، وهو يحاول أن يظهر له الفرق بين خبرة العلاج الفردى، وخبرة العلاج الجمعى،

الفقرة التالية من المتن تظهر محاولات هذا المعالج استدراج صاحبنا إلى كشف مدى ما يريد من هذه الاعتمادية، التى حلّت محل المواكبة التى لوّح المعلم بها: **"المعلم قال له: ماشى ياللاّ بينا "**

ولكن بلا جدوى أيضا:

(6)

المعلّم قالّه: "ماشى، يالله بينا"

- يالله بينا!!! يالله بينا؟ على فين؟

دانا مستنى سعادتك.

روح وهات لى زى عادتك.

أى حاجة فيها لذّة،

الكلام الحلو، والمنزول، ومزّة.

أنا أحكى، وانت تتصرف براحتك.

أنا تعجبنى صراحتك،

يبدو فى هذه الصورة من جديد الاثر السلبى للإصرار على مفهوم أن العلاج النفسى ليس إلا تفريغا بالكلام، الحنين هنا إلى مرحلة العلاج الفردى الكلامى التسكينى واضح بصورة صارخة.

كثير من المرضى يتصورون أن دورهم ينتهى عند الحكى، والباقى على المعالج **"آنا أحكى، وانت تتصرف براحتك"**، وإعجاب صاحبنا بصراحة المعالج قد يكون إشارة إلى استقباله هو وليس إلى دور المعالج الحقيقى، فأى معالج مهما بلغ تعاطفه مع مريضه، وتأثره بفكرة التريح والتسكين والتفريغ، لا يمكن أن يقبل أن يطول هذا الوضع، وإلا انتهى إلى غاية السلبية، صراحة المعالج حتى فى رفض القيام بهذا الدور، قد يقلبها مثل هذا المريض إلى تصفيق للمعالج دون أن يصله رفض المعالج لكل هذه الاعتمادية.

وهنا أحب أن أشير إلى أن التحسن الظاهرى الذى قد يتوهم المريض والمعالج معا أنه تم فى العلاج الفردى.. قد تتبين طبيعته الهروبية والدفاعية إذا ما أتيحت الفرصة لاختباره فى بوتقة العلاج الجمعى بما يحمله من مواجهة وتفاعل ومقارنة واختيار، خاصة حين يتصاعد موقف المعالج حتى يرفض مثل هذا المريض، وكأنه يعاقبه "يزعل منه" يهمله، يكشفه، يواجهه، يهدده بقطع العلاج، لكن صاحبنا يكاد يكون على يقين من حقه فى ألا يتغير مهما تغيّر نوع العلاج،

نقرأ المتن:

إوعَى تزعل منّى: دنَا عيّل باريّل،

لسَّه عندى كلام كتير أنا نفسى اقوله،

عايِز اوْصف فى مشاعرى وإحساساتى،

واقعد اوصفها سنين،

مش حا بَطّلْ، خايف ابطّلْ،

لو أبطّل وصف فى الأحساسْ حَاجِس،

وانا مِش قد الكلام دهْ.

يلاحظ هنا أن الخطاب **هو بلغة الجزء الأعمق من النفس.** كما هو الحال فى هذا العمل كله .. لأن كل هذه الدفاعات تحدث - طبعا - بعيدا عن وعى المريض الظاهر، أمّا الطبيب "أو

المعالج" فإنه يلتقطها من خلال تقمصه بالجزء الأعمق لمريضه، ثم قد يتبينها المريض فيما بعد، أو لا يتبينها. عندما أشرح هذه الفقرة التى تقول **"لو أبطل وصف فى الإحساس حا حس"**، لا يصدقنى أغلب تلاميذى أو زملائى الأصغر، ناهيك عن مرضاى.

المعتقد العام هو فى الاتجاه العكسى (كما أشرنا سابقا غالبا)، معظم الناس يعتقدون أن وصف الإحساس هو سبيل إلى تعميق الإحساس، النص هنا ينبه إلى أنه فى كثير من الأحيان، ولا مجال للتعميم بداهة، يكون وصف الإحساس بالالفاظ هو بديل عن معايشة هذا الإحساس، وفيما يلى مشهدين يؤكدان ذلك، الأرجح أننى اشرت إليهما سالفا أيضا وهما

أولا: فترات الصمت التى تحدث مصادفة فى العلاج الجمعى، فتتفجر خلالها أحاسيس مختلفة، لمن يحمى نفسه بسبات خفيف أو عميق، أو على الأقل بسرحان ممتد، قد يكسره زيادة فترة الصمت أكثر وأكثر، فى هذه الحالات التى عايشتها فى العلاج الجمعى عددا متوسطا من المرات، كانت المشاعر الحقيقية التى تظهر خلال الصمت أعمق، مما يسهل علينا التقدم إلى طبقات أخرى من الوجدان، ومستويات أخرى من الوعى.

ثانيا: تلك التجربة التى وصفتها أيضا فى حلقات سابقة: حين أعرض على مريض فى لقاء إكلينكيى - تعليمى فى الغالب - أن يسمح لحزنه أن يظهر دون (ا) أن يعزوه إلى سبب، حالى أو سابق، وأيضا (ب) دون أن يعبر عنه بالألفاظ، (احيانا أستعمل تعبير: يمارس حقهُ فى "الألم")، وإذا بنوع آخر من الأحاسيس يطل من العينين والوجه والجسد **دون ألفاظ** مؤكدا الفكرة التى جاءت فى المتن هنا: أنه **"لو أبطل وصف فى الإحساس حا حس"**،

داخل "صاحبنا" هنا، يعلنها هكذا: أنه لن يسمح لمشاعر أصدق أن تطل منه رغما عنه.

ينبغى أن ننبه هنا إلى أن وصف الإحساس ليس منهيا عنه على طول الخط، فالقدرة على ترجمة الأحاسيس إلى ألفاظ هى أداة للفنانين والشعراء خاصة، وإن كانت قد مرت علىّ فترة شعرت فيها أن الشعر بالذات قد يكون ضد الثورة، اللهم إلا شعر التحريض، وهو ليس شعرا جدا، أو على الأقل ليس من أفضل الشعر، وإذا كنا نشجع الطفل فى نموه العادى أن يتعلم الرموز (الكلام) فى طريقه إلى التفوق الإنسانى، فإن الرموز اللفظية التى تصف الانفعال بوجه خاص هى من أعجز الرموز وأكثرها غموضا وتداخلا. إن النمو عند الأطفال وغيرهم لا يعنى أن يحل الرمز محل الخبرة.. الكلام يساعد الطفل ليستطيع بعض خبراته بما تيسر من رموز.

فى هذه الصورة التى أقدمها هنا **يخرج اللفظ عن هذه الوظيفة** - كما ذكرنا - **ويصبح بديلا عن الخبرة .. يصبح اغترابا عن الوجود.**

حين يتأكد هذا الموقف هكذا، من داخل داخل المريض، يصبح الاستمرا بنفس شروط التعاقد البدئى مضيعة للوقت فى أغلب الأحوال، وهنا يحق للمعالج أن يفرض توقف العلاج (حتى الطرد). وأنبه هنا أن من قواعد العلاج الجمعى الذى نمارسه أنه يحق لأى فرد، معالج أو مريض، أن يعلن رغبته فى طرد أى فرد آخر(معالج أو مريض)، على شرط أن للمطرود أن يستمر غضبا عن الطارد، وكثيرا ما يحدث ذلك إثناء العلاج، لكن لم يحدث أبدا أن طَرَدَ مريض معالجا، وإن كان هذا وارد من حيث المبدا، وحين يستعمل المطرود حقه فى الاستمرار غضبا عن طارده حتى لو كان المعالج، ونطلب من المريض أن يفرض حضوره رغما عن طارده (المعالج)، بالألفاظ تارة، وبالبقاء دون تنفيذ الطرد تارخ أخرى، يحدث عادة فى هذا الموقف نوع من **"إعادة التعاقد"**، وهذا يوثق العلاقة الجديدة برغم ما يبدو فى ظاهر الأمر من شكل القسوة.

المقطع التالى فى المتن يعلن مثل هذا الموقف من المعالج ببساطة **"شوف لك حد غيرى"**، ولعل هذا يبين أيضا أن هذا الإجراء ليس حرمانا من العلاج، وإنما هو اقتراح بعلاج آخر، قد يكون المريض فيه أقل مقاومة، وأكثر استفادة حسب شروطه.

المقطع التالى يعرض أيضا مقارنة ساخرة بين العلاج التسكينى بالعقاقير المهدئة أو القامعة (مع أنها هى هى التى تستعمل منظّمة، ومنسَّقة مع اختلاف الطريقة والجرعة والتوقيت بحسب مسيرة العلاج التكاملى)، وهو - المقطع- يشير أيضا إلى وسائل هروبية أخرى، من أول الهجرة الهروبية إلى التوقف عن مسيرة النمو تماما مما نسميه أحيانا - برغم قسوة الاسم - الموت النفسى ، وهو يقابل الاغتراب المزمن، وما يسمى "فرط العادية الروتينية المعادة"، وهو ما يدل عليه تعبير **"إنه مش لازم نعيش"**،

بديهى أن هذه الجملة ليست دعوة للانتحار بقدر ما هى حفز إلى الحياة مرة أخرى "كما خلقنا الله".

(7)

المعلم قالُه: شوف لَكْ حد غيرى،
جَنْبِنَا دكّانة تانيةْ،
فيها "بيتزا" مِالّلى هيَّه،
أو "لازانْيَا".
فيها برضكْ وصفهْ تشفى مالعُقد،
إسمها "سيب البلد".
فيها توليفة حبوب من شغل برّة.
تمنع التكْشيرهْ، والتفكيرْ، وْتِملاكْ بالمسرّة.
فيها حقنةْ تخلّى بَالَك مِستريـــحْ.
تِنتشِى وْتفضَلْ مِتَنَّحْ.
فيها سر ما يثْنِسِيشْ.
إنـــه "مِشَ لازمْ نعيش"!!

المتن يظهر لنا كيف استجاب صاحبنا لهذا الطرد الصريح بأن أعلن مقاومته للتغيير رغما عنه، وهذا لا يتعارض مع إصراره البدئى على التغيير مثل الآخرين **"أنا نِفْسى ابقى كده"**، لكن حين وصل الأمر إلى التهديد بـــ... "إنهاء التعاقد" هكذا، استثار هذا الموقف مقاوكة صاحبنا فراح يكشف عن أسبابه للمقاومة.

هذا النوع من العلاج بالمواجهة والتعرية، إن لم تضبط جرعته، ويمتد زمنه إلى درجة كافية، ومهما كانت حسن نية من يشترك فيه، وموافقته على شروطه، وأيضا مهما سمى أنه علاج من منظور النمو والتطور ومثل هذا الكلام، فإن فيه خطورة أن يطغى عليه فكر مثالى، تحت تأثير معالج له حضور قوى، أو منظومة ذاتية طاغية ظاهرة أو خفية، وبالتالى، فإن المريض الذى يلتقط أيا من هذا مهما كان حماسه، يخشى على هويته، على منظومته الخاصة من الاهتزاز، سواء كانت منظومة دينية، أو أيديولوجية سياسية، أو ذاتية ظاهرة أو خفية، يخشى عليها لدرجة أن أية دعوة للمخاطرة بالتغيير تترجم لديه بانها إغارة من منظومة المعالج الأقوى، أو من منظومة المجموعة ككل، وهنا تقفز المقاومة (المشروعة بصراحة)، ولا تهدأ إلا حين يكتشف المشارك أن له حق الاحتفاظ **"بنفسه وهُويته كما هى"**، وأن المطلوب هو **السماح بإضافة جدلية من خلال الاختلاف الموضوعى المقاس بمقاييس النمو والتكيف والإنجاز معا.**

هذا ما أعلنه صاحبنا بصريح العبارة هكذا :

(8)

قام صاحبْنَا إِنْقَمَصْ، بس ابْتَسَمْ.

قال عليكْ نور يا معلم،

(بسّ انا مش ناوى اسلِّم.)

قال لِـنَفْسُهْ مش حاشوفْ غير اللِّى انا قادر أشوفه.

هىَّ لعبه؟

هوه عايزنى أكون من صنع إيده؟

واللى بيْقُولُهْ، أعيدُه؟

إنما بعيدْ عن شوارْبُـــهْ،

مشْ مِصاحْبُهْ.

حا نزل اتدبّر شُؤونى

وسط هيصة الناس حاَضِيـــع.

لما أصِيع،

زنقة الستات ألذْ.

مالِحقيقه اللى تهز.

بس ياخْسَاره مانيش راجل يِسدْ،

والنِّسَا واخداها جَدّ.

الاحتجاج هنا والمقاومة يعلنهما "داخل" صاحبنا، وليس ظاهره، كما أشرنا سالفا، وحين ترفض علاقة الاعتمادية العلاجية بهذا الوضوح، سواء بسبب لا جدواها، أو بسبب تناقضها مع قيم هذا النوع من العلاج وأهدافه، تتجلى فى داخل المريض بدائل استسهالية ليس فيها مخاطر الرؤية، ولا اشواك العلاقة الموضوعية، ومن أهمها الاعتماد على المواد (حتى الإدمان الطبى أو غير الطبى)، هذه البدائل الهروبية لا ينبغى الحكم عليها بأحكام أخلاقية أو دينية ابتداء، وإنما بمدى سلبيتها أو إيجابيتها على مسيرة النمو، فقد يكون فى مثل هذا الاستسهال تنازل عن الهوية الحقيقية بقبول الضياع وسط كتلة الناس الممتزجة **"وسط هيصة الناس حاضيع لما اصيع"،**

مثل هذه الحلول ليست بالضرورة سلبية على طول الخط، حسب الثقافة التى تتم فيها، وحسب العائد منها على المشاركين فيها، وعلى المجتمع الأوسع، فى ثقافتنا هنا الأرجح أنه يتم استعمال المرأة بشكل يخلو من العدل نظرا لظروفها الأكثر انسحاقا، تاريخا وحاضرا.

صاحبنا هنا يأمل أن يجد مَنْ تقبله هكذا مستسهلا، أو حتى مُستعمِلاً، لكن يبدو أنه حتى هذا ليس متاحا لمثل هذا الشخصيات الاعتمادية المرتعدة، وها هو داخله يعلنه أنه لن تتحقق ذاته، ولا حتى لذته، وهو بهذه الصفات، لأن المراة التى يمكن أن تمارس علاقة حقيقية ، لا تريد هذا النوع من الاعتماد من ناحية، ولا تستطيع أن تملأ احتياجا مثقوبا هكذا، من ناحية أخرى.

المقطع التالى يعلن أن هذا الحل "الدون جوانى" هو فاشل أيضا لأن صاحبنا (وأمثاله) ليس حتى دون جوانا.

كثيرا ما ينخدع الناس فى مثل هذه التصرفات الدون جوانيه وكأنها تصرفات ناجحة مثرية، إلا أنى فى خبرتى المهنية على الأقل كنت أتبين من خلال معلومات متراكمة أن كثيرا من هؤلاء الذين يلجأون إلى هذه الوسائل لتأكيد الذات .. كثيرا منهم يعانى من ضعف جنسى إن عاجلا أو آجلا بشكل أو بآخر، وتفسير ذلك عندى أن هذه المحاولات الدون جوانيه تتم بشكل نكوصى منشق (وليس نكوصا واعيا) وبالتالى تأتى الإعاقة من جانب من النفس فى مواجهة الجانب الناكص على المستوى اللاشعورى وكأن أحدهما يقول للآخر: **إذا كنت نجحت فى الإغراء فسأُفْشِلك فى التواصل ..** ومن ثَمَّ ستعرف ما هو الفشل الحقيقى، مع استمرار السعار وراء تعدد العلاقات..واستبدالها وتكرارها بلا جدوى.

ها هو المتن يعلن على لسان "داخل صاحبنا الناقد" احتمال فشل هذا الحل هكذا:

"النِّسَا عايزالْها راجل يملى راسها،
مش يبيع روحه لِها علشان ما باسْها.
النِّسَا عايزه اللى عيبُه مش فى جيبه، وماشِى حالُهْ،
عايزه واحد يِنْتبه لِلِّى فى بالها، زى مايشوف ما فى بالُه،
النِّسَا عايزه اللى يعرف امتى بيقولْهَا "انّ لأه"،
أيوه "لأهَّ"، بس "لأهَّ" ليهَا بيهَا.
عايزهْ واحد تِحتويهْ، بس تضمن إنُّه قادرْ يِحتويَها."
وانا مش قد الكلام ده!!

الاعتراف هنا صريح من جانب هذا "الداخل الناقد" بأن هذا الحل الذى لاح له فى البداية ، والمتن هنا يعبر عن أن العلاقة الحقيقية التى تبنى الطرفين، هى علاقة ندّية بها من العدل والرؤية ما يؤكد أنها علاقة بين اثنين من جنس البشر، وليس بين مُلتهم ومأدبة، ولا بين مستعمل وأداة، من هنا، وعلى لسان نفس الناقد الداخلى، وليس المعالج، ولا زملاء التجربة ، يظهر المتن بوضوح موقف المرأة التى تقبل وتستطيع أن تمنحه الاعتراف، وليس مجرد اللذة والتفريغ، مثل هذه المرأة تريد شريكا يمثل لها آخرا حقيقيا، بما يشمل تواصل متعدد القنوات، من أول أن يملأ كل منهما وعى الآخر، **"يملا راسها"** ، وليس من يذل نفسه طلبا لرضاها، أو رشوة للحصول عليها، أو يشتريها بما فى جيبه ليس إلا، وأيضا: تتعدد قنوات التواصل لتشمل الحدس المتبادل **"عايزه واحد ينْتبه لِلِّى فى بالها، زى مايشوف ما فى بالُه"،**

وأيضا: صاحبنا ينبهه داخله إلى أن العدل المتبادل يسمح له أن يعترض على شريكته بأمانة موضوعية، وليس مجرد دفاعا عن النفس، فلا أن يتنازل عن حق الاعتراض المسئول لمجرد إرضائها، ويكون حق الاعتراض **"إن لأه"** متبادل ومسئول بقدر ما يعود عائده على دفع العلاقة أكثر فأكثر إلا علاقة إنسانية حقيقية، **النِّسَا عايزه اللى يعرف امتى بيقولْهَا "انّ لأه"، أيوه "لأهَّ"، بس "لأهَّ" ليهَا بيهَا.**

وأخيرا، فيبدو أن داخل صاحبنا يعرف مدى بعده عن كل ما تتطلبه المرأة التى تجاوزت أن تكون مجرد جسم أنثوى منحشر فى "زنقة الستات"، بهذا الشكل،

والمتن ينهى هذه الرؤية بإظهار أن العلاقة الحقيقية، سواء مع امرأة، أم فى العلاج الجمعى، وما شابه، **هو تبادل الاحتواء لتعميق حركية "الدخول والخروج"،** بديلا عن الالتهام، أو الاستعمال، **"عايزهْ واحد تِحتويهْ، بس تضمن إنُّه قادرْ يِحتويَها."**

يعود صاحبنا الذى نحمد له استمراره هكذا، ينتبه إلى أن هذا الوعى الناقد الذى كشف له شخصيا فشل مهاربه، هو

ناتج من خبرته فى هذا النوع من العلاج، وبالتالى جعله كمن رقص على السلم، فلا هو أعمى تماما يمشى حاله مثل غيره، ولا هو يواصل رحلة النمو ويدفع ثمنها ، حتى الحل الهروبى الّذى، يبدو أنه أفشله قبل أن يبدا، لم يأت الإفشال من نصائح المعالج، ولا من القياس على خبرة الذين يحاولون فى المجموعة، لكنه جاء من واقع رؤيته الأمينة، برغم أنها لم تنفعه حافزا لاستمرار تجربة نموه، فهي رؤية صادقة وكاملة، برغم أنها عاجزة ، وذلك **لأنها معقلنة تماما.**

هل هذه الرؤية الناقدة دفعت صاحبنا، أو تدفع مثله، أن يواصل رحلة النمو الصعبة، من خلال المغامرة المحفوفة بالمخاطر، والألم الواعد بالتجاوز؟ الإجابة هى أن الوعى المعقلن، حتى من داخل الداخل ناقدا قويا هكذا، ليس كافيا - عادة - للتغلب على مثل هذه المقاومة القوية.

وها هو صاحبنا يعلن أسفه أنه لم يستطع أن يتخلص مما وصله من رؤية، وفى نفس الوقت لم يستطع أن يكمل، فيروح يضع اللوم كل اللوم على من عرّضه لهذه الجرعة المفرطة، دون أن يتأكد من قدرته على تحملها،

هذا هو ما تناولناه فى حلقات سابقة مكررا (هنا، فى باب التدريب عن بعد أيضا)، عن ضرورة ضبط الجرعة، ليس فقط جرعة العقاقير وتناسبها مع مسيرة النمو، وإنما أساسا جرعة الرؤية، وتناسبها مع الألم، والحركة.

نسمع عتاب صاحبنا الهجومى على المعالج، وهو محق فيه، برغم احتمال عدم موضوعيته:

(9)

كله منَّكْ يا مِعلمْ:

ليه تفتَّح عينِ وِتْوَرينى نَفْسى؟

ليه تلوَّح باللى عمره ما كانْ فِى نِفْسِى؟

واحده واحده، كُنت هَدِّى،

قبل ما تْحَنِّسْنِى ،يعنى، بالحاجاتْ دِى.

ليه تخلِّى الأعمى يتلخبط ويرقص عالسلالم ؟

كنت سيبْنِى فى الطَّرَاوةْ، يعنى صاحى زى نايم.

داهية تلعنْ يوم مَا شُفتَكْ.

يوم ما فكرت استريحْ جُوّا خيمتكْ.

يوم ما جيتـْلَكْ تانى بعد ما كنت سبتك.

يا معلّم: إما إنك تقبل الركاب جميعاً

اللى واقف، واللى قاعد، واللى مِتشعبط كمان،

نختم هذا الشرح بشىء من الإعادة (التى يمكن أن تنقح لاحقا حين يجمع الكتاب فى طبعة ورقية)، وهى إعادة تتعلق بنفس القضية الخطيرة التى تبدأ بالتساؤل :

إلى أى مدى يحق للمعالج أن يغير من نوع وجود المريض، وقيمه؟

إن احتجاج صاحبنا الأخير هذا هو إعلان من جانبه - رغم سلبيته - محذر رائع،

الاختلاف حول هذه القضية شديد، وأغلب الآراء ترجح صراحة أنه ليس من حق المعالج أن يتدخل بأية صورة فى نوعية وجود آخر، أو منظومة قيمه، وبرغم أننى مع هذا الرأى ابتداء إلا أننى أعيد صياغة التعبير هكذا:

.. "ليس من حق المعالج من حيث المبدأ - أن يتدخل فى نوعية وجود آخر أو منظومات قيم من يعالجه، بشكل مباشر، ولكن أيضا ليس مطلوبا منه أن يخفى عن مريضه نوع وجوده هو (وجود المعالج)، خاصة مع المريض الذهانى، فالأرجح أن هذا الأخير سوف يلتقط منه ما يشاء دون إذنه، وعلى ذلك:

فكلما كان التدخل واعيا كان آمن وأكثر انضباطا،

وأضيف:

إن الحديث عن المعالج والعلاج يختص بدائرة محدودة فى المجتمع، وأن الذى قد يسمح للمعالج بهذا التدخل الواعى المسئول هو عاملين أساسين:

أولا: وجود أعراض ضاق بها المريض وبالتالى فهو ساع إلى التغيير ابتداء،

ثانيا: حضور المريض باختياره النسبى للعلاج، ثم تأكيد حضوره هذا بانتظامه فى الحضور برغم كل شىء.

إذا ما توفر أحد هذين الشرطين فهو اعتراف ضمنى بأن المريض يوافق على تغيير ما، والمعالج عادة - كما تبينت أثناء خبرتى- يعرض تغييرين:

أحدهما تغيير ثورى نحو النمو والتطور.. (وعليه أن يكون ناجحا شخصيا فى ممارسة هذا السبيل ولو جزئيا، وإلا فالخدعة أخطر من كل تصور).. فهو يقف مع هذا التغيير ويساهم بالمشاركة فى استمراره، وهو يشير ضمنا، من واقع ممارسته إلى نتائجه،

أما **التغيير الآخر** الذى يعرضه المعالج - بطريق غير مباشر فهو تعديل ما استجد من أحوال مرضية (أعراض وإعاقة) بالرجوع إلى نوع الوجود القديم شريطة اختفاء الأعراض والاستمرار فى الاداء على أرض الواقع

على المعالج أن يترك المريض يلجأ إلى هذا التغيير الأخير بنفسه - وربما ضد محاولات دفعه لمواصلة النمو - حتى يتحمل مسئولية نتائجه

أما الذى ينبغى أن يرفضه المعالج فهو الحل الوسط المائع المتذبذب فى صورة استمرار الأعراض أو استمرار الاعتمادية أو استمرار الخداع **"بالرقص على السلم"** بين الاختيارات المطروحة.

الخلاصة :

نستنتج من كل هذا أن المطلب الذى انتهى به المتن على لسان صاحبنا المحتج، هو مطلب حر فى ظاهره، لكنه تبريرى سلبى فى نهاية الأمر، لأنه لم يدفع المريض للانسحاب من الخبرة ، وتحمل مسئولية ذلك.

صاحبنا هنا يتمنى - ويطلب ويعمل على - أن يوقف المسيرة

لكنه يفتح الباب بأمانة شديدة، لاحتمال استمرار النمو إذا أحسن ضبط الجرعات جميعا، وتناسب البصيرة، مع الألم، مع الحركة، مع المواكبة، مع النمو.

يا معلّم: إما إنك تقبل الركاب جميعاً

اللى واقف، واللى قاعد، واللى مِتشعبط كمان،

أو تحط اليافطة تعلن فين خطوط حَدّ الأمانْ.

كل واحد شاف كده غير اللى شايفُهْ،

يبقى يعرف إنه يمكن لسّه مِشْ قَدّ اللى عِرْفُهْ.

الخميـــــــس 17-12-2009

839- بنضج الوجدان البشرى: حركية "لتعارفوا" (الحب)

في فقه العلاقات البشرية: دراسة في علم السيكوباثولوجي

لوحات تشكيلية من العلاج النفسى والحياة

شرح على المتن: ديوان أغوار النفس

تابع استجابات أصدقاء الفرض الخاص

بنضج الوجدان البشرى: حركية "لتعارفوا" (الحب)

مقدمة:

نشرنا أمس إستجابة ست لأصدقاء اللعبة المكملة للفرض المطروح للمناقشة، والذى نرى أن نحدّده على الوجه التالى:

"إن ما يميز الإنسان هو قدرته أن يتعهد جماع مراحل تطوره كما هيأها له خالقه ليطلق طاقة التواصل (المسماة الحب) لتحقيق الوجود البشرى وهو المُستوعب لكل تاريخه مراحل تطوره حتى الآن".

****

وسوف نعرض اليوم تسع إستجابات لنفس اللعبة ثم نناقش الإستجابات الخمسة عشرة الأسبوع القادم.

ملحوظة: يقتصر النشر اليوم على الاستجابات فقط دون ما أضافه المشاركون من تعقيبات تالية لإستجاباتهم مما سوف نناقشه فى بريد الجمعة 2010/1/1 الخاص بمناقشة هذا الفرض الممتد.

****

دراسة فى علم السيكوباثولوجى (الكتاب الثانى)

عودة إلى الألعاب النفسية

أ. أحمد سعيد

1- ربنا خلقنا نحب بعض كدهه من غير أى حاجة، بس اللى بيحصل بقى ..... **إننا بنخلق أسباب للحب**

2- لأ مش ممكن...!!! أنا عشان أحب لازم أتحب الأول، يبقى بقى..... **الحب أصله الحب**

3- ما هو ازاى أحب واحد(ة) وانا عارف إنه(ا) ممكن يسيبنى (تسينى) فى أى وقت؟!!!! بس برضه ..... **باحبه وممكن كمان أتمسك بيه**

4- طب وانا حاخسر إيه لو حبيت واحد ما يستاهلشى الحب، ما دام مش مستنى منه حاجة....، إنما يعنى..... **أنا استاهل أعيش الحب جوايا**

5- أحسن حاجة الواحد يحب اللى بيحبه وبس، طب وانا أضمن منين إن ..... **اللى باحبه بيحبنى أو اللى بيننا حب اصلا ولا لأ**

6- أنا ما اقدرشى أحب حد ما اعرفوش، مش يمكن ..... **هو أتعرف عليا**

7- طيب، إفرض أنا صدقت اللى بتقولوه، وقعدت أحب أحب أحب ، وماحدشى حبنى، مش برضه يبقى معنى كده إنى..... **مابعرفش أتحب**

8- الظاهر إنى أنا فعلا لو مديت إيدى جوه أى حد حالاقيه بيحبنى، بس إيش ضمّنى ..... **إنى حاقدر أشيل مسئولية الحب ده**

9- إحنا مخلوقين نخاف من بعض، ونتخانق مع بعض، والحب بقى ييجى بعدين لما نطّمن لبعض، طيب!! يحصل إيه بقى لو..... **بعدما ماطمنت عرفت إن الحب ده ماينفعش**

10- أحسن حاجة بلاش نستعمل كلمة حب دى من أصله ما دام احنا مش قادرين نتفق على معناها، أنا أقترح ..... **مساحة القرب فى مقابل البعد**

*****

أ. إسراء فاروق

1- ربنا خلقنا نحب بعض كدهه من غير أى حاجة، بس اللى بيحصل بقى ..... **الخوف كتير بيضيع المعنى الحقيقى للحب**

2- لأ مش ممكن...!!! أنا عشان أحب لازم أتحب الأول، يبقى بقى **اعرف يعنى أيه حب عشان أعرف استقبله صح**

3- ما هو ازاى أحب واحد(ة) وانا عارف إنه(ا) ممكن يسيبنى (تسينى) فى أى وقت؟!!!! بس برضه ..... **هاحبه أياً كانت النتيجة**

4- طب وانا حاخسر إيه لو حبيت واحد ما يستاهلشى الحب، ما دام مش مستنى منه حاجة....، إنما يعنى..... **أنا إنسان محتاج احس إنى بأخد زى ما بأعطى**

5- أحسن حاجة الواحد يحب اللى بيحبه وبس، طب وانا أضمن منين إن ..... **أعرف أكمل على طول كده**

6- أنا ما اقدرشى أحب حد ما اعرفوش، مش يمكن ..... **يجرحنى**

7- طيب، إفرض أنا صدقت اللى بتقولوه، وقعدت أحب أحب ، وماحدشى حبنى، مش برضه يبقى معنى كده إنى..... **أنا نفسى محتاج شغل مع نفسى**

8- الظاهر إنى أنا فعلا لو مديت إيدى جوه أى حد حالاقيه بيحبنى، بس إيش ضمّنى ..... **إن ده موجود فعلاً**

9- إحنا مخلوقين نخاف من بعض، ونتخانق مع بعض، والحب بقى ييجى بعدين لما نطّمن لبعض، طيب !! يحصل إيه بقى لو..... **حبينا بغض النظر عن أى حاجة (خوف أو خناق)**

10- أحسن حاجة بلاش نستعمل كلمة حب دى من أصله ما دام احنا مش قادرين نتفق على معناها، أنا أقترح ..... **كلمة القبول للآخر بديل لحد ما ربنا يكرم**

*****

أ. أيمن عبد العزيز

1- ربنا خلقنا نحب بعض كدهه من غير أى حاجة، بس اللى بيحصل بقى ..... **أننا بنحب نفسنا وبنتربى على حسابات**

2- لأ مش ممكن...!!! أنا عشان أحب لازم أتحب الأول، يبقى بقى..... **أنا باصعبها على نفسى**

3- ما هو ازاى أحب واحد(ة) وانا عارف إنه(ا) ممكن يسيبنى (تسينى) فى أى وقت؟!!!! بس برضه ..... **يفضل جوايا مشاعر تجاهه**

4- طب وانا حاخسر إيه لو حبيت واحد ما يستاهلشى الحب، ما دام مش مستنى منه حاجة....، إنما يعنى..... **ما قدرش أعمل ده لأنى هازعل من نفسى**

5- أحسن حاجة الواحد يحب اللى بيحبه وبس، طب وانا أضمن منين إن ..... **الحب ده مايعطلنيش**

6- أنا ما اقدرشى أحب حد ما اعرفوش، مش يمكن ..... **اتاذى أو أذيه بجى ده**

7- طيب، إفرض أنا صدقت اللى بتقولوه، وقعدت أحب أحب ، وماحدشى حبنى، مش برضه يبقى معنى كده إنى..... **يبقى فّى أنا حاجة غلط**

8- الظاهر إنى أنا فعلا لو مديت إيدى جوه أى حد حالاقيه بيحبنى، بس إيش ضمّنى ..... **أنى ألاقى نفسى باحبه**

9- إحنا مخلوقين نخاف من بعض، ونتخانق مع بعض، والحب بقى ييجى بعدين لما نطّمن لبعض، طيب !! يحصل إيه بقى لو..... **حبينا بعض من الأول يمكن مانعرفش معنى الحب**

10- أحسن حاجة بلاش نستعمل كلمة حب دى من أصله ما دام احنا مش قادرين نتفق على معناها، أنا أقترح ..... **أن كل واحد يعملها بطريقته**

*****

أ. عبير محمد

1- ربنا خلقنا نحب بعض كدهه من غير أى حاجة، بس اللى بيحصل بقى ..... **إننا بنخاف من الحب ده**

2- لأ مش ممكن...!!! أنا عشان أحب لازم أتحب الأول، يبقى بقى.... **عمرى ما حأحب**

3- ما هو ازاى أحب واحد(ة) وانا عارف إنه(ا) ممكن يسيبنى (تسينى) فى أى وقت؟!!!! بس برضه ..... **هأحرم نفسى ليه من الخبرة دى، مش يمكن مايسينيش**

4- طب وانا حاخسر إيه لو حبيت واحد ما يستاهلشى الحب، ما دام مش مستنى منه حاجة....، إنما يعنى..... **لو هو كمان بيحبنى ويستاهل حيبقى أحسن كتير**

5- أحسن حاجة الواحد يحب اللى بيحبه وبس، طب وانا أضمن منين إن ..... **إن الحد ده بيحبنى بجد**

6- أنا ما اقدرشى أحب حد ما اعرفوش، مش يمكن ..... **يجرحنى**

7- طيب، إفرض أنا صدقت اللى بتقولوه، وقعدت أحب أحب أحب ، وماحدشى حبنى، مش برضه يبقى معنى كده إنى..... **ماحبيتش بجد**

8- الظاهر إنى أنا فعلا لو مديت إيدى جوه أى حد حالاقيه بيحبنى، بس إيش ضمّنى ..... **مش حايخاف يقرب زيي**

9- إحنا مخلوقين نخاف من بعض، ونتخانق مع بعض، والحب بقى ييجى بعدين لما نطّمن لبعض، طيب !! يحصل إيه بقى لو..... **ما جاش**

10- أحسن حاجة بلاش نستعمل كلمة حب دى من أصله ما دام احنا مش قادرين نتفق على معناها، أنا أقترح ..... **إننا نسيب نفسنا شوية ونسمح بالقرب يمكن نكتشف انك بتحب من غير ما ما تحس**

*****

د. أسامة فيكتور

1- ربنا خلقنا نحب بعض كدهه من غير أى حاجة، بس اللى بيحصل بقى ..... **أن احنا بنعمله بالعقل**

2- لأ مش ممكن...!!! أنا عشان أحب لازم أتحب الأول، بس يمكن مش شرط، يبقى بقى..... **أحب وخلاص**

3- ما هو ازاى أحب واحد(ة) وانا عارف إنه (ا) ممكن يسيبنى (تسينى) فى أى وقت؟!!!! بس برضه..... **لازم نجرب ونتوجع**

4- طب وانا حاخسر إيه لو حبيت واحد مايستاهلشى الحب، ما دام مش مستنى منه حاجة بالمقابل، إنما يعنى..... **ربنا موجود**

5- أحسن حاجة الواحد يحب اللى بيحبه وبس، طب وانا أضمن منين انه..... **حايجى وقت ومش حايجبنى**

6- أنا ما اقدرشى أحب حد ما اعرفوش، مش يمكن..... **مايحبينش**

7- طيب، إفرض أنا صدقت اللى بتقولوه، وقعدت أحب أحب أحب ، وما حدشى حبنى، مش برضه يبقى معنى كده إنى..... **باحب خلقة ربنا**

8- الظاهر إنى أنا فعلا لو مديت إيدى جوه أى حد حالاقيه بيحبنى، بس إيش ضمّنى..... **ده حب حب**

9- إحنا مخلوقين نخاف من بعض، ونتخانق مع بعض، والحب بقى يجى بعدين لما نطّمن لبعض، طيب !! يحصل إيه بقى لو..... **اطمنا بدرى بدرى**

10- أحسن حاجة بلاش نستعمل كلمة حب دى من أصله ما دام احنا مش قادرين نتفق على معناها،أنا أقترح..... نكمل جنب بعض واللي يحصل **كل واحد يسميه براحته**

*****

د. محمود حجازى

1- ربنا خلقنا نحب بعض كدهه من غير أى حاجة، بس اللى بيحصل بقى ..... **إن مافيش حد مطمئن لحد**

2- لأ مش ممكن...!!! أنا عشان أحب لازم أتحب الأول، بس جايز الواحد مايعرفش يحب يبقى بقى **يعمل إيه**

3- ما هو ازاى أحب واحد(ة) وانا عارف إنه(ا) ممكن يسيبنى (تسينى) فى أى وقت؟!!!! بس برضه ..... **لازم نحب**

4- طب وانا حاخسر إيه لو حبيت واحد ما يستاهلشى الحب، ما دام مش مستنى منه حاجة....، إنما يعنى..... **أكيد كسبت حاجة حلوة**

5- أحسن حاجة الواحد يحب اللى بيحبه وبس، طب وانا أضمن منين إن ..... **الشخص ده بيحبنى**

6- أنا ما اقدرشى أحب حد ما اعرفوش، مش يمكن ..... **يكون حد بيحبنى**

7- طيب، إفرض أنا صدقت اللى بتقولوه، وقعدت أحب أحب ، وماحدشى حبنى، مش برضه يبقى معنى كده إنى..... **خسرت**

8- الظاهر إنى أنا فعلا لو مديت إيدى جوه أى حد حالاقيه بيحبنى، بس إيش ضمّنى ..... **إنى أنا أحبه**

9- إحنا مخلوقين نخاف من بعض، ونتخانق مع بعض، والحب بقى ييجى بعدين لما نطّمن لبعض، طيب !! يحصل إيه بقى لو..... **ما أطمناش**

10- أحسن حاجة بلاش نستعمل كلمة حب دى من أصله ما دام احنا مش قادرين نتفق على معناها، أنا أقترح ..... **نمارسها فقط دون التسمية**

*****

أ. علاء عبد الهادى

1- ربنا خلقنا نحب بعض كده من غير أى حاجة، بس اللى بيحصل بقى ..... **غير كده**

2- لأ مش ممكن...!!! أنا عشان أحب لازم أتحب الأول، يبقى بقى **لو حبيت لازم استحمل**

3- ما هو ازاى أحب واحد(ة) وانا عارف إنه(ا) ممكن يسيبنى (تسيبنى) فى أى وقت؟!!!! بس برضه ..... **حاكمل يمكن يتغير**

4- طب وانا حاخسر إيه لو حبيت واحد ما يستاهلشى الحب، ما دام مش مستنى منه حاجة....، إنما يعنى..... **حايسبب مكان فاضى عندى واحس بخسارة**

5- أحسن حاجة الواحد يحب اللى بيحبه وبس، طب وانا أضمن منين إن ..... **بيحبنى**

6- أنا ما اقدرشى أحب حد ما اعرفوش، مش يمكن ..... **مايحسش بجى ده**

7- طيب، إفرض أنا صدقت اللى بتقولوه، وقعدت أحب أحب ، وماحدشى حبنى، مش برضه يبقى معنى كده إنى..... **فى حاجة غلط**

8- الظاهر إنى أنا فعلا لو مديت إيدى جوه أى حد حالاقيه بيحبنى، بس إيش ضمّنى ..... **أنه بيحبنى**

9- إحنا مخلوقين نخاف من بعض، ونتخانق مع بعض، والحب بقى ييجى بعدين لما نطّمن لبعض، طيب !! يحصل إيه بقى لو..... **حبينا بعض**

10- أحسن حاجة بلاش نستعمل كلمة حب دى من أصله ما دام احنا مش قادرين نتفق على معناها، أنا أقترح ..... **إن احنا نكمل بالموجود دلوقتى لأنى مؤمن بوجودها**

*****

د. إسلام إبراهيم

1- ربنا خلقنا نحب بعض كدهه من غير أى حاجة، بس اللى بيحصل بقى ..... **طب وأنا هاخسر إيه**

حبيت واحد مايستاهلش الحب مادام مش مستنى منها حاجة

كنت محتاج حد معايا

2- لأ مش ممكن...!!! أنا عشان أحب لازم أتحب الأول، يبقى يبقى ..... **يلعن أبو الحب**

3- ما هو ازاى أحب واحد(ة) وانا عارف إنه(ا) ممكن يسيبنى (تسينى) فى أى وقت؟!!!! بس برضه ..... **غصب عنى باحب**

4- طب وانا هاخسر إيه لو حبيت واحد ما يستاهلشى الحب، ما دام مش مستنى منه حاجة....، إنما يعنى..... **لو طلع كويس كان يبقى أحسن**

5- أحسن حاجة الواحد يحب اللى بيحبه وبس، طب وانا أضمن منين إن ..... **الحب ده يستمر**

6- أنا ما اقدرشى أحب حد ما اعرفوش، مش يمكن ..... **يطلع بيمثل عليا**

7- طيب، إفرض أنا صدقت اللى بتقولوه، وقعدت أحب أحب ، وماحدشى حبنى، مش برضه يبقى معنى كده إنى..... **فاشل**

8- الظاهر إنى أنا فعلا لو مديت إيدى جوه أى حد حالاقيه بيحبنى، بس إيش ضمّنى ..... **إنى استعمل الناس**

9- إحنا مخلوقين نخاف من بعض، ونتخانق مع بعض، والحب بقى ييجى بعدين لما نطّمن لبعض، طيب !! يحصل إيه بقى لو..... **الحب انتشر اكتر**

10- أحسن حاجة بلاش نستعمل كلمة حب دى من أصله ما دام احنا مش قادرين نتفق على معناها، أنا أقترح ..... **ألا تعبر عن مشاعرنا بالكلام لأن الكلام يفقد المشاعر مصداقيتها**

*****

أ. هيثم عبد الفتاح

1- ربنا خلقنا نحب بعض كدهه من غير أى حاجة، بس اللى بيحصل بقى ..... **ما بنعرفش نحب بعض**

2- لأ مش ممكن...!!! أنا عشان أحب لازم أتحب الأول، يبقى يبقى ..... **اسمح إنى أتحب**

3- ما هو ازاى أحب واحد(ة) وانا عارف إنه(ا) ممكن يسيبنى (تسينى) فى أى وقت؟!!!! بس برضه ..... **هأحبه لو سابنى**

4- طب وانا حاخسر إيه لو حبيت واحد ما يستاهلشى الحب، ما دام مش مستنى منه حاجة....، إنما يعنى..... **أنا محتاج لها**

5- أحسن حاجة الواحد يحب اللى بيحبه وبس، طب وانا أضمن منين إن ..... **الحب يبقى حب**

6- أنا ما اقدرشى أحب حد ما اعرفوش، مش يمكن ..... **يخدعنى**

7- طيب، إفرض أنا صدقت اللى بتقولوه، وقعدت أحب أحب ، وماحدشى حبنى، مش برضه يبقى معنى كده إنى..... **هيأس فى الآخر**

8- الظاهر إنى أنا فعلا لو مديت إيدى جوه أى حد حالاقيه بيحبنى، بس إيش ضمّنى ..... **إن حبنا يكمل بعضنا**

9- إحنا مخلوقين نخاف من بعض، ونتخانق مع بعض، والحب بقى ييجى بعدين لما نطّمن لبعض، طيب !! يحصل إيه بقى لو..... **إطمننا من الأول**

10- أحسن حاجة بلاش نستعمل كلمة حب دى من أصله ما دام احنا مش قادرين نتفق على معناها، أنا أقترح ..... **ننسى المعنى خالص**

*****

الإربعـــــــاء 06-01-2010

859-"نيجاتيـــف" إنســـان، وتعريـــة قاسيـــة صادقـــة

الحالـة (16)

مقـدمة

توقفنا عن عرض بقية اللوحات التشكيلية عدة أسابيع، لاختبار فرض **"تلقائية الحب** كأصل طبيعى (*خلقة ربنا*)، فى مقابل تسوّل الحب، وصفقات الحب الجيدة والمشبوهة، واستشهدنا بعينات من العلاج الجمعى، وألعاب نفسية شارك فيها أصدقاء كُثُرٌ للموقع، وبدأنا فى قراءة وتفسير استجاباتهم فى الحلقة السابقة بعد عرضها

قبل ذلك مباشرة، انتبهت فجأة إلى أننا ابتعدنا عن أصل المتن، وعن شرح الديوان، فطلبت من السكرتارية أن يجمعوا لى ما نشرناه فى هذه الحلقات، وإذا بها تربو على خمسمائة صفحة من الحجم الكبير **A 4** وهو ما يقابل سبعمائة صفحة من الحجم المعروف للقطع الكبير فى الكتب (حجم 70 X 100)، كل ذلك ولم نصل بعد إلى شرح نصف الديوان!!!.

قررت أن أتوقف فورا عن الاستطرادات، وأن أكمل اللوحات والشرح، ثم نرجع بعد ذلك، لما يتفتق عنه الشرح من "فروض"

لا أجد فى نفسى رغبة فى الاعتذار، لكننى أجد تفسيرا لعزوف الأصدقاء والقراء، أو عجزهم، عن المتابعة والمشاركة فى مناقشة عمل بهذا التنوع والتذبذب طول الوقت،

معكم حق

دعونا نكمل ونحن نتعلم معا.

لوحات تشكيلية وليست حالات

هذه الحالات ليست حالات إكلينيكية واقعية، ولا حتى مـَتخيلة بشكل روائى شعرى مطلق، ولا هى تصف أشخاصا بالذات، إنها من وحى الفروض العلمية العملية التى استلهمناها من مزيج من الحالات المرضية، والأصدقاء المشاركين، وتراكم الخبرة، وإلهامات الأسطورة الذاتية للمؤلف،

أعيد هذا التنويه وأؤكد عليه لسببين :

الأول: *أن أنفى تماما أية شبهة أننى أصف شخصا بذاته ممن عرفت أو ممن يحيطون بى، مهما تشابهت بعض السمات والأحوال (اللهم إلا شخصى أنا: قصيدة "المعلم")، أنظر بعد.*

الثانى: *هو أن أنفى عن مرضاى تلك الصورة السلبية التى تظهر مضخمة فى بعض الحالات، وكأنها كاريكاتير لإبراز ملامح معينة، وقد نبهنى إلى ذلك صديق علق فى البريد معترضا على ما جاء بالحلقة الماضية بعنوان* ***"تسول الحب، والاعتمادية الرضيعية"****، حين تصور أن ما جاء بالمتن من تعرية موقف المتسول المعتمد، هو حالة مريض بذاته، وأن مخاطبته بهذا الأسلوب الذى جاء أيضا فى المتن ثم فى الشرح، لا يليق، طبعا هذا لم يحدث، ولا يجوز أن يحدث، بالرغم من أننا ذكرنا أن هذه القصيدة هى فعلا من وحى صديق شاركنا بعض التجربة، وكانت له خبرة بالعلاج الفردى من قبل، لكن أبدا ليس هو هو، وقد أكدنا على ذلك فى بداية العمل، لكن يبدو أن الصديق المحتج - وعنده بعض الحق- لم ينتبه إلى هذا التنويه الباكر، فوجبت إعادة التوضيح، وعلى من يريد أن يتابع ماذا يحدث فعلا مع المرضى، احتراما ومشاركة، أن يتابع باب "حالات وأحوال"، أو باب "التدريب عن بعد".*

• هذا العمل يتناول فروضا علمية، وردت فى متن شعرى،كتب بالعامية المصرية عن، "فقه العلاقات البشرية"، التى تتجلى فى المرض وغير المرض، والتى نأمل أن يكون لها مكان فيما أسماه الصديق الجميل د. جمال التركى "فك شفرة النص البشرى"، ومن ثم قد تساعدنا فى لأم شروخ وجروح وتمزق المريض النفسى.

يا ترى هل نعيد هذه الفقرة كل مرة حتى ينتفى اللبس

المهم : بدءا من هذه النشرة، سوف نلتزم ما أمكن بالترتيب التالى:

(1) الشرح على المتن أساسا

(2) ثم نرى بعد ذلك كيف نتاول نفس الفروض التى سوف تستخرج منه، بكل الدعم المتاح من واقع ما يلى:

- **الممارسة الإكلينكية،**
- **والعلاج النفسى،**

- والخبرات الذاتية التى قد نكتشفها من خلال الألعاب، والنقاش

تصحيح شكلى:

الحالة السابقة مباشرة نشرت باعتبار أنها "الحالة الثامنة"، لكن واقع ترتيب وترقيم الحالات كما جاءت فى النشرات، وليس فى المتن أنها الحالة الخامسة عشر وتفسير ذلك هو أنها جاءت فى المتن باعتبارها الثامنة فعلا، فهى "العين التامنة" فى الفصل الثانى فى المتن الشعرى الذى اشتمل على "خمستاشر عين"، أما الفصل الأول فقد اشتمل على سبع حالات، بعنوان "سبع جنازات"، أمَا وقد جمعنا الجنازات (الفصل الأول) على العيون (الفصل الثانى) لعرض الحالات مجتمعة مسلسلة، فالأفضل أن يتواصل ترقيم الحالات جميعها بتسلسل مضطرد، وأفضل الأفضل أن نصحح الاسم، فبدلا من أن نسميها "حالة" فيظن القارئ أنها حالة مرضية بالضرورة، سوف نسميها "**لوحة تشكيلية**" 1-2.....بدءًا من الآن"،

وسوف نقوم بتصحيح هذه التسمية فى الموقع بالنسبة للحالات السابقة، فتكون هذه النشرة هى التشكيل هى الحالة الخامسة عشر، وسوف نصحح التسلسل فى النشرات السابقة فى الموقع فورا

وقد وجدنا الأنسب بعد هذه المرحلة أن نصحح عنوان الكتاب كله، بفضل المناقشات التى دارت حوله، وخاصة من الإبن د. جمال التركى إلى العنوان الذى جاء فى هذه النشرة (أنظر العنوان، شكرا)

اللوحة التشكيلية (16)

نيجاتيف إنسان: وتعرية قاسية صادقة

هذه الحالة (مرة أخرى: التى هى ليست حالة مريض ولا شخص بذاته) تصف ظاهرة بشرية معاصرة لما يحدث للإنسان المعاصر من اغتراب حتى لا يعود إلا ظل كيان خال من المعالم، مجرد رقم مفرغ من وجوده الذاتى تماما، "كأنه هو"، مشروع لم يكتمل **"زى نيجاتيف صورة مش متحمضة".**

هى تشكيل لموقف "متفرج يائس عنيد"، أعدم أية بارقة أمل من هول الألم، واكتفى برؤية ورصد بشاعة وجودة الممثل لما يراه الوجود العصرى الغالب فى مرحلة الإنسان الحالية، حين يعجز أن يحوّل الألم إلى طاقة تدفعه لمواصلة التحدى.

الكلام على لسان صاحب الصورة نفسه، كما هو الأمر فى معظم المتن.

صاحبنا يعرى هذا الموقف الاغترابى بشجاعة، وهو يعلن بكل وضوح أن الألم الساحق يمحق الوجود البشرى النابض ويقلبه شبحا بلا حضور، ثم هو ينسحب إثر ذلك رافضا أى مزيد من المواجهة أو التعرية، فلم تعد ثمة مساحة لتحمل ألم جديد، شجاعته فى آخر جولة قبل إعلان الهزيمة هى أنه قادر على إعلان موقفه الرافض لأية حركة تلوّح بحتمية مزيد من تحمل الحقيقة العارية للانطلاق منها، ولذلك فهو يبحث عن وسيلة (آلية= ميكانزم) يعمى بها من جديد، وينبه الذين لم يخوضوا التجربة حتى النخاع مثله، أن يبتعدوا عنه، حتى لا يسدوا عليه سبل هربه الذى لم يعد أمامه إلا أن يلجأ إليه تجنبا لمزيد من الرؤية، أى مزيد من الألم:

راح اسيبكم تحلموا

آنا من كتر الألم بطلت حلم

صرت حلم

صرت نيجاتيف صورة مش متحمضة

الحلم هنا يشير إلى معنى آخر، غير معنى حلم الليل أثناء النوم، هو ظل الشخص أو صورته المسطحة التى تحل محله، برغم أنها تحمل اسمه، ويا ليتها صورة، بل هى "نيجاتيف" هذه الصورة، ويا ليته "نيجاتيف" يكتسب مشروعيته من أنه قابل للتحميض ليصبح صورة، بل هو مشروع مجهض من فرط التعرية مجرد ظل باهت يحل محله. إن المطروح الوحيد على أى منا، إذا أفرغوه، أو أفرغ نفسه من ذاته، هو أن يستمر "كأنه هو"، فى حين أنه غير موجود أصلا، وكلما همَّ أن يحقق بعض "ما هو" بمزيد من البحث والرؤية، لحقه ألم المواجهة ساحقا حتى يفسد المحاولة، التى تشلها شدة جرعة الرؤية الصارخة **"حاكم النور - مانت عارف- بوظ التحميض يا عم".**

قمة هذا النوع من اليأس هو الموقف العدمى المشوّه حين يصبح الوجود مجرد "عفريته" لإمكانية وجود لا يتحقق، يحدث هو أقرب إلى صورة نفسه المشوهه Distorted Self-Image نقرأ هذه الجزئية من المتن على بعضها :

....

آنا من كتر الألم بطلت حِلم.

صرت حِلم.

صرت نيجاتيف صورة مش متحمَّضَه.

بكره حَاتحمَّضْ فى أُوضه مُظلمه.

اسمها أُودةْ العَمَى.

ليه بِتيجُوا تْنَوَّرُوهَا بالحقيقة.

حاكِمِ النُّوْر- ما انت عارف-

بَوّظ التحميض ياعم.

بألفاظ أخرى: هذه إشارة إلى أن الذات الداخلية، إذا بلغت درجة بشعة من التشويه، من فرط ما لحقها من إنكار، وإلغاء، وإهمال، وإيلام، وسحق، لا يكون هناك حل إلا إخفاءها تماما بميكانزمات شديدة التغطية، **"بكره حاتحمض فى أوضه مظلمة، إسمها أودة العمى"**، الذى يخفى صورة النفس المشوهة هى الحيل الدفاعية (العمى)، وحين تتراجع هذه الحيل أو تضمحل وفى نفس الوقت تشتد البصيرة يعجز الإنسان عن أن يخفى على نفسه هذا الإدراك المؤلم، وفى نفس الوقت يعجز أن يعيش مجرد صورة - مثل سائر الناس - وليس كيانا حيا متطورا.

والأن نقرأ نصف المتن على بعضه:

(1)

والعيون دى رخره واضحه مصمِّمةْ؛

بالصِّراحة والشجاعة تقول بصدق:

راح اسيبكُمْ تحلمُوا.

(2)

"إقفل الباب وانت خارج".

هوّا ده شرط الحياة اللى احنا عايشنها النهارده.

إما تحلم، وانت قاعِدْ، فى العَصَارِى، أو حوالين الشوالى،

وسْط ناسْ مُغمى عليها من حلاوة الحلم أوْ مِنْ ظَبطْ معيارْ المزاج.

إما تحلم من هنا للصبح أو ...

أوْ تصير الحلم نفسه.

مرة أخرى: هو يضع اختيارين عدميين:

- إما مشاركة الأغلبية العمى والضياع والاغتراب، والتخدير الجماعى،
- وإما الاستسلام لوجود زائف **"أوتصير الحلم نفسه"**، تصير الحلم بالمعنى الذى أشرنا إليه فى المقدمة.

والمتن يفرق بعد ذلك بوضوح بين هذا الحلم الشبح (النيجاتيف) كما يصفه، وبين الحلم الذى هو أمل أن نعيش كما خُلقنا دون تشويه، الذى يقوله الجزء الثانى من القصيد أننا نتربى على أن تحقيق حلمنا المشروع أن نكون بشرا كما خلقنا الله هو المستحيل نفسه **"لما قالوا الحلم دكهة مستحيل يبقى حقيقة"**، أى أنه: حين حيل بيننا وبين أن نكون أنفسنا، أن نواصل تحقيق أسطورتنا الذاتية، لم يعد أمامنا إلا الاستسلام بأن نلغى وجودنا لنصبح هذا الحلم الشبح نيجاتيف الصورة، وهذا ما يعنيه **المتن "الحقيقة تبقى حلم".**

(3)

ما هو مش ممكن يا عَالَم غير كِدَه!

لَماّ قالو "الحلم دُكهةْ" مستحيل يبقى حقيقه،

يبقى لازم إلحقيقة تبقى حلمْ

زى نيجاتيف صورة مش متخَّمضَه،

حتى لو حَمْضتها آهى بَرْضُه صورةْ،

مش حقيقه.

برغم أن هذه اللوحة لا تصف حالة فصام بالذات، إلا أننا نتعلم من الفصام جذور إشكاله الإمراضى من داخلنا، هذه الرؤية تعتبر تمهيدا لإمراضية الفصام مع أنها يمكن أن تكون عامة وكامنة عند الأسوياء.

يقول "شولمان" فى كتابه "مقالات عن الفصام" أن مشكلة الفصامى هى أنه يسعى إلى المثالية المطلقة.. ويصر على تحقيق التكامل الإنسانى التام وإذا به يجد الطريق إلى ذلك مستحيلا وليس مجرد شاق "بعكس الثائر الذى يصر على تحقيق نفس الحلم ولكن بأسلوب واقعى متدرج"

وأضيف من واقع المتن هنا:

إن الإنسان (وليس بالضرورة الفصامى) حين يواجَهُ باستحالة تحقيق هذا التكامل الإنسانى المثالى المطلق، قد لا يقبل فكرة التدرج المتناغم المضطرد على مسار نبض النمو المتزايد، وإنما هو يسارع بتشويه وجوده بأن يسقط أبشع ما فيه على العالم. ثم هو لا يستقبل إلا هذه البشاعة المشوهة حتى دون اللجوء إلى الحيل الدفاعية التى تخفى هذه الرؤية المزعجة وهو بذلك يكتفى بهذه الوقفة فى موقف ذى البصيرة المستقلة الحادة المخترقة وفى نفس الوقت العاجزة اليائسة، هى التى برغم أنها لا تنطفئ بسهولة، لا تدفع لعمل أى شىء نحو التغيير، هذا الإنسان لا يقبل أن يعيش الحياة العادية بصورة جيدة، مقبولة والسلام، لكنها ليست الحقيقية، وفى نفس الوقت هو لا يستطيع أن يتكامل تكاملا مطلقا وفورا، فلا يتبقى له إلا وجود شائه.. يمثل جزءا من الحقيقة ولكن بلا فاعلية إطلاقا.

استرجاع جزء محذوف

حين انتهيت من شرح هذا المتن الآن، افتقدت فقرة أخيرة كان لى بها علاقة طيبة، وفيها ذكر لمُثُل أفلاطون، وعالمه المثالى وكلام من هذا، وتصورت أنها سقطت سهوا من سكرتاريتى، طحت فيهم لوما وتأنيبا، وإذا بهم يذكرونى أننى أثناء مراجعتى المتن استعدادا لنشره فى طبعة ثانية، قمت بحذف هذه الفقرة بنفسى، فتذكرت، وتساءلت، لماذا يا ترى حذفتها، ثم عادت تحضرنى الآن بهذه الحميمية، فكتبتها من ذاكرتى، وها هى ذى:

صبّحك بالخير يا عمى أفلاطون

لما قلت ان السرير:

هوا أصله مش سرير

دا بس صورة

والبنى آدم كمانِ ليّام دَهِهْ

برضه صورة

.....

بس وكفاية كده!

هيه سورة؟!!!

الآن فهمت، لقد اكتشفت أنها أقل شاعرية، وكأنها مناقشة نظرية فلسفية بشكل مسطح، وأن الشطر النهائى سخيف، ويبدو أنه حضرنى لمجرد أن أقفل التشكيل عند هذا الحد، **"بس وكفاية كده"**، وحين عادت هذه الفقرة الآن بشاعريتها الضعيفة، وقفلتها السخيفة، وجدت أن بها ما يضيف إلى ما أريد قوله وتوصيله كالتالى:

أنا لم أقبل أبدا قبل أن أكتب هذا النص الشعرى ما وصفه أفلاطون بعالم المثل، وأذكر أننى رفضته من حيث المبدأ حين قرأته لأول مرة.

ثم إننى حين اشتغلت بعمق فى موضوع "الإدراك" ومحاولة تفسير الهلوسة بوجه خاص، وصلت إلى مايلى:

(1) بدأت أميز بين الموضوع الحقيقى Real Object، والموضوع الذاتى Self Object ، وأننا نبدأ فى التعرف على ما فى العالم فى هذه الدنيا من خلال إسقاطاتنا، أى أننا نبدأ بإدراك الموضوع (الآخر - الأشياء) على أنها موضوع ذاتى، أى أننا نرى الأشياء كما نريد أن نراها، وليست كما هى.

(2) ثم مع تواصل النضج، يتراجع الإسقاط ويتواصل اضطراد إدراكنا للموضوع على أنه أكثر موضوعية = "موضوع حقيقى" Real Object

(3) هذا ما فهمته من دعوة السيد البدوى **"اللهم أرنى الأمور كما هى"**، ويتم الانتقال من استقبال الموضوع على أنه موضوع ذاتى إلى موضوع حقيقى ليس فقط على مسار النضج العادى الذى يتواصل أو لا يتواصل، وإنما يبدو أنه هو أيضا آلية رحلة الكدح إلى التناغم مع الوعى المطلق، إلى وجه الحق تعالى، أو لعلهما واحد.

(4) إذن يمكن القول أن المسألة هى عملية متصلة، مدى حياتنا المحدودة، تبدأ من إدراكنا الأمور بما هو داخلنا، وتنتهى (حقيقة الأمر أنها لا تنتهى، وإنما تستمر نحو...) أن نرى "الأمور كما هى".

(5) أعتقد الآن أن أفلاطون حين أدرك أن رؤية الأمور، والأشياء، والناس، والموضوعات "كما هى" مستحيلة، اعتبرها كيانات مجردة ثابتة بعيدة فى عالم "الماوراء" الذى أطلق عليه عالم المثل.

"افلاطون، يقول ان الذي نراه من هذا العالم الذي نلمسه، ونختبره من خلال الحواس هو عالم غير حقيقي، بل هو عالم مشابه او مستنستخ من العالم الحقيقي بصورة غير كاملة. اذن عالمنا ليس عالما حقيقيا لكنه عالم مبصومة أو مطبوعة عليه فكرة الحقيقة. لذلك يقول افلاطون: ان معرفتنا عن الحقيقة هي كمعرفة الجالسين في الكهف امام النار ويرون ظلال اشخاص يمرون من خلفهم على جدار الكهف، لذلك فالعالم المادي هو غير كامل، بل هو عالم النقص. إذا ما قورن بعالم المثل أو العالم الحقيقي" .

(6) ثم إنى عدت أقرأ فكر أفلاطون من منطلق بيولوجى فاستطعت أن أترجمه إلى فكر تطورى نمائى بشكل أو بآخر، فأُنزل المثُل التى زعم أولويتها وأصالتها من سمائها إلى أنها مجرد "الموضوع الحقيقى" الذى نأمل أن نراه (ندركه) كما هو، وجعلت الصورة التى زعم أنها مجرد طبعة مستنسخة من الأصل المثال لتظهر لنا تقليدا للأصل فى العالم المادى، رأيتها أنها تقابل ما نسميه الآن "الموضوع الذاتى"، أى ما نبدأ به إدراكنا للأشياء من خلال إسقاطاتنا التى تتراجع بانتظام مع تراجع آليات (ميكانزمات) دفاعاتنا، فيقل الإسقاط باستمرار، ليتجلى الموضوع الحقيقى "هنا والآن" بالتدريج وحسب درجة النمو، وبالتالى نهبط بالمُثُلْ إلى البيولوجى، ونهبط بالروح إلى العقل، ولو أن أفلاطون نفسه رادف بينهما (بين: الروح والعقل) بشكل ما،

وهكذا نحن نأمل، عن طريق التطور والنمو، أن نرى الأمور كما هى.

(7) وأخيرا، وهذا ما يخص هذه القصيدة، فإذا افترضنا أن نفس العملية التى تتم بالنسبة لإدراك الخارج واستحالة إتمامها حتى نهايتها فى خلال حياتنا الفردية بهذا التدرج فإن الأمر قد يسير على نفس الدرب وبنفس الآلية بالنسبة للمواضيع الداخلية (داخلنا) وفرص إدراكها **"العين الداخلية"**، وهو الفرض الأساسى الذى أصبحت أفسر به الهلوسة (وغيرها) باعتبارها نوعا من إدراك موضوعات الداخل.

(8) الأرجح أننا ندرك دواخلنا على مسار متدرج أيضا من **"الموضوع الداخلى الذاتى، إلى الموضوع الداخلى الحقيقى"**، وبالتالى، نحن معرضون لخبرة رؤية حقيقة داخلنا مرحلة فمرحلة، حسب كدح النمو، وتناسب المسئولية، فإذا اختل هذا التناسب يبدأ التخوف والتحذير واحتمال المفاجآت (كما ظهر فى المتن والشرح).

(9) وهكذا يمكن فهم ما جاء بالمتن، وكيف يتوقف الإنسان من فرط الألم عن مسيرة الكشف، ثم يرضى أن يكون معكوسا "يشبه الإنسان"، **"نيجاتيف"** غير قابل للتحميض أصلا، وفى نفس الوقت، يظل محتفظا ببصيرته الحادة بهذه الإضاءة الكاشفة.

والبنى آدم كمان ليام دهه، هوه صورة"

بس وكفاية كده، هى سورة

*** * * ***

إسمحوا لى فى النهاية أن أقدم المتن على بعضه حتى تلعنوا الشرح، كما فعلت أنا الآن:

والعيون دى رخره واضحه مصمِّمةْ؛

بالصِّراحة والشجاعة تقول بصدق:

راح اسيبكُمْ تحلمُوا.

أنا من كتر الألم بطلت حِلم.

صرت حِلم.

صرت نيجاتيف صورة مش متحمَّضَه.

بكره خاتحمَّضْ فى أُوده مُظلمه.

اسمها أُودةْ العَمَى.

ليه بِتيجُوا تْنَوَّرُوهَا بالحقيقة.

حاكِمِ النُّوْر- ما انت عارف-

بَوّظ التحميض ياعم.

(2)

"إقفل الباب وانت خارج".

هوّا ده شرط الحياة اللى احنا عايشينها النهارده.

إما تحلم، وانت قاعِدْ، فى العَصَارِى، أو حوالين الشوالى،

وسْط ناسْ مُغمى عليها من حلاوة الحلم أوْ مِنْ ظَبطْ معيارْ المزاج.

إما تحلم من هنا للصبح أو ...

أوْ تصير الحلم نفسه.

(3)

ما هو مش ممكن يا عَالَم غير كِدَه!

لَماّ قالو "الحلم دُكهْ" مستحيل يبقى حقيقه،

يبقى لازم إلحقيقة تبقى حلمْ

زى نيجاتيف صورة مش متخَّمضَه،

حتى لو حّمضتها آهى بَرْضُه صورةْ،

مش حقيقه.

ثم الجزء الذى كان محذوفا:

صبّحك بالخير يا عمى أفلاطون

لما قلت ان السرير: هوا أصله مش سرير

دا بس صورة

والبنى آدم كمان ليام دهه

برضه صورة

.....

بس وكفاية كده

هيه سورة؟!!!

- استعمل هذا المفهوم لأول مرة بمناسبة ما كتبته نقدا مقارنا لرحلة ابن فطومة لمحفوظ، مقارنة بالسيميائى لكويلهو، بعنوان: الأسطورة الذاتية: بين سعى كويلهو، وكدْح محفوظ"، وسوف ينشر قريبا فى دورية نقد نجيب محفوظ التى يصدرها المجلس الأعلى للثقافة، وقد أنشر منه هنا بعض مقتطفات فى يوم "محفوظ"، الخميس.

- سيلفانو أريتى: وصفها أساسا فى إمراضية الفصام

الإربعـــــــاء 13-01-2010

866-"نيجاتيـف" إنســان، وتعريــة قاسيــة صادقــة

مقدمة:

وصلتنى هذه القراءة الأمينة المحركة من الصديق صاحب الفضل ، الإبن أ.د. جمال الترك، وأنا أعرف مدى اهتمامه بما أكتب، وتقديره لما أحاول، واحترامه لما أرى فقررت أن أخصص هذه النشرة اليوم ، التى يعتبر النقاش فيها تكملة لنشرة الأربعاء الماضى.

الحالة (16)

"نيجاتيف" إنسان، وتعرية قاسية صادقة

(الحلقة الثانية)

حوار:

د. جمـــــــال التركـــــــــى X د. يحيى الرخاوى

المقتطـــــــــــف " لا أجد فى نفسى رغبة فى الاعتذار، لكننى أجد تفسيرا لعزوف الأصدقاء والقراء، أو عجزهم، عن المتابعة والمشاركة فى مناقشة عمل بهذا التنوع والتذبذب طول الوقت

د. جمال التركى:

من يعتذر لمن .. أجزيتَ فأوفيتَ، أنت حجة علينا/على قصورنا/على اغترابنا/... أنت تعرى دفاعاتنا الواهية حتى لا تبقى لنا حجة أمام ذواتنا/ الإنسان/ الحق... علّنا نُلقى السمع ونشهد...

د. يحيى:

أستغفر الله العظيم يا جمال، أكثر الله خيرك يا رجل، قصور ماذا وتقصير ماذا والناس فى حال أنت أدرى بها؟، كل الحكاية أننا تعودنا على التلقى والترديد، أكثر من النقد أو حتى النقض، نقيس حياتنا، وعلمنا ومعرفتنا "كميا" فقط بمقاييس

ليست من صنعنا، ولا تنتمى لثقافتنا، إن ما تتفضل به أنت، وكل أبنائى وبناتى الذين يساهمون بسؤال، أو إقرار، أو تصحيح، هم زادى وزوادى لأستمر، برغم أن أغلب المشاركين إنما يشاركون بضغط تعليمى منى كما تعرف، لكننى آمل بعد مضى المدة، أن يعتاد بعضهم على الأخذ والرد، فلا يتوقف بعد رفع الضغط، ولو من باب العادة، ثم خذ عندك هذا المثل الكريم: ضيف جديد، لعله زميل عزيز، اسمه د. أشرف، يكتب لنا من كندا، فى البدء كتب لنا بالإنجليزية منذ أسابيع، وقمنا بالترجمة ترحيبا به، ثم طلبنا منه الكتابة بالعربية، -أو بخط اليد- (صورة)، فأنا أعرف صعوبات من يقيم فى الخارج ويستعمل حاسوبا ليس به إمكانية الكتابة بالعربية، لكنه تفضل مشكورا وحل الإشكال بطريقة ما، وكتب لنا بالعربية الجميلة تعقيبا، وتصحيحا، وإضافة كانت من أجمل وأعمق ما تلقيت، أليس هذا كافيا يا رجل؟ (أرجو أن تقرأ حوارنا معه يوم الجمعة الماضى) أكثر الله خيره وخيركم جميعا.

المقتطـــــــــــــف " ... الألم الساحق يمحق الوجود البشرى النابض ويقلبه شبحا بلا حضور.

د. جمال التركى:

الألم الجسدى (مهما بلغت قسوته) لا يرقى إلى الألم النفسي/ المعنوي/ الروحي... ألم الخواء.. ألم اللامعنى... ألم العبث الوجودي. إنه ألم يسحق الوجود البشرى النابض.. إنه يحوله شبحا فاقد الملامح... وهل من سحق أكثر ...

د. يحيى:

أنت تعرف طبعا أننى لا أعنى الألم الجسدى ابتداء، وإن كان من أرقى وأصعب الخبرات، كما أننى لا أرحب بالألم النفسى الساحق، لكننى أعلن دوما أنه بدون ألم حقيقى ومناسب، فلا علاج ولا نمو، حتى أننى حين كتبت مؤخرا عن ما أسموه "شريان الحياة" أعلنت مخاوفى أن نُستدرج إلى الحلول التسكينية كبديل عن المواجهة المؤلمة، بما فى ذلك إعلان الاستسلام، وكنت أود أن أقول: إن حربا يموت فيها أربعين مليون مصريا، ويتألم الباقين لفقدهم، (ناهيك عن من يتفضل من العرب ليستشهد معنا)، لهى أفضل الف مرة من الانجرار وراء إلهاء متعمد، وتسكين خبيث، تحت مظلة الشفقة الإعلامية، دون تغير النظم الظالمة القاهرة، أنا لم أطلب إغلاق المعابر أو الحدود كما تصور البعض، وإنما نبهت إلى أن شريان الحياة هو الشريان الذى تجرى فيه دماء العدل، وبلازما الحقوق الإنسانية الحقيقية، وليس مجرد المعونات الاحتفالية مهما كانت ثرية وجادة، الألم الإنسانى الأرقى كدحا إلى وجهه تعالى هو الذى التقطته مؤخرا فى نقدى المقارن بين السيميائى لكويلهو، وبين "رحلة ابن فطومة" لنجيب محفوظ، والذى سوف ينشر قريبا فى دوريته النقدية ، يصفه نجيب محفوظ على لسان قنديل (ابن فطومة) أثناء رحلته وهو يسعى إلى امتداد الذات نحو الحق تعالى، يصفه محفوظ قائلا: "فنضجت الرغبة الأبدية فى الرحلة

على لهيب الألم الدائم"، وقد علقت على ذلك فى نقدى بقولى : " أليس هذا هو "الكدح" إليه تحديدا!!؟، فى هذه الأطروحة قارنت بين امتداد الذات إلى الوعى الكونى فوجه الله، وهو ما يميز ثقافة المؤمنين عامة، وثقافتنا إن كنا مؤمنين أو فى طريقنا إلى ذلك، وهى الفكرة المحورية فى رواية ابن فطومة، وبين تحقيق الذات التى فلقونا بها حتى تضخمت ذواتنا على حسابنا، ودمتم (سوف أرسل لك فى بريدك الخاص هذه الأطروحة التى فكرت فى إنزالها بالنشرة، ولكنها عشرون صفحة من الحجم الكبير : حوالى 7000 كلمة).

المقتطـــــــــــــف: "إن المطروح الوحيد على أى منا، إذا أفرغوه، أو أفرغ نفسه من ذاته، هو أن يستمر "كأنه هو"، فى حين أنه غير موجود أصلا، وكلما همَّ أن يحقق بعض "ما هو" بمزيد من البحث والرؤية، لحقه ألم المواجهة ساحقا حتى يفسد المحاولة، التى تشلها شدة جرعة الرؤية الصارخة ..."

د. جمال التركى:

أفرغوه/أفرغوهم/أفرغونا/أفرغوا الإنسان ... قفوهم إنهم مسؤولون، إنهم من تعرف من لوبيات "قوى خفية" ولا تعلم/أعلم/نعلم أكثرهم

إذا أفرغ ذاته... وهل يفرغ الإنسان ذاته، إلا إذا بُرمج (مبنى للمجهول) عن وعى منه أو دون ذلك (و ما أكثر البرامج الخفية التى تعمل فينا ولاندركها/ يدركونها هم) وتم تنضيبها فى عقولنا فعملت فعلها فينا و نحن نعتقد أننا أحرار فى قراراتنا واختياراتنا وتوجهاتنا. إنها قوة البرمجة... أن تنفذ إرادة واضع البرنامج معتقدا أنها إرادتك وأنك تفعل ما تريد/ يريدون دون أن تعى أو حتى تشك.

د. يحيى:

هذا صحيح، أرجو أن يكون عندك الوقت لتتبع ما أنشره كل اثنين عن " الحرية"، من وحى ما تعلمته من مرضاى"حكمة المجانين"، وقد وصلت إلى الحلقة الأخيرة (العاشرة) أول أمس. إن منهج "نعم- لا"، هو هو منهج "إما - أو"، وهو يختزل المعرفة إلى معرفة "كمّية" يختزلون بها وجود البشر، إلى ما يريدون، لأننا لا نستعمل فيها إلا أقل ما هو نحن، أعنى ذلك الجزء الذى يسمونه العقل، وهو ليس إلا العقل الظاهر المبرمج بواسطة السلطات الطاغية، الخائبة فى نفس الوقت، برغم أنها منتشرة فى كل مكان، وهل هناك فضيحة أكبر من برمجة العالم جميعه على الاعتقاد بأن ثم مرضا وهميا جديدا قد ظهر فجأة، وما هو إلا أنفلونزا كل سنة، وهو أقل خطورة وأضعف انتشارا، وأقل وفيات، هو هو الإنفلونزا منذ كانت الإنفلونزا مرضا له حجمه وتاريخه كما تقول الإحصاءات، لكنهم أضافوا عليها هذا العام مضافا إليه كنوع من التدليل فأصبحت "أنفلونزا الخنازير"، وهات يا إى ون وإتش ون، وهات يا بيع مصل

وعقاقير كما تشاء لمن لا يعيد النظر فى أى شىء، كل هذه الموجة من التضليل والتخويف والتهويل والكذب هى شعار هذه المؤسسات على مستوى العالم، ولعلك تابعت يا جمال كيف كشفت الخدعة رسميا حتى نوقشت أخيرا على مستوى البرلمان الأوربي الذى قرر كما جاء فى صحف اليوم (الأحد) المطالبة بالتحقيق فورا فى أسباب تصنيف هذه الإشاعة وباء عالميا، كما قرر مساءلة شركات نوفارتس، وجلاسكو وغيرها، وأيضا مساءلة مسئولين فى منظمة الصحة العالمية، ومع أننى أرجح أنهم لن ينتهو إلى إدانة، فالقانون لا يدين العلماء على علم زائف، تدعمه كل هذه القوى، هذا مثل صارخ لما يحدث فى كل شىء من أول 19 سبتمر والبرجين إياهم، وأوهام القاعدة حتى حرب العراق وحوادث الإرهاب المصنوعة منهم أنفسهم فى كل مكان. لا أريد أن انتقل بك إلى السياسة، فلهذا مقام آخر، وكلام آخر، لكننى أوافقك على التحذير من البرمجة، بما فى ذلك البرمجة العلمية، أعنى شبه العلمية.

المقتطـــــــــــــف: "...أن الذات الداخلية، إذا بلغت درجة بشعة من التشويه، من فرط ما لحقها من إنكار، وإلغاء، وإهمال، وإيلام، وسحق، لا يكون هناك حل إلا إخفاءها تماما بميكانزمات شديدة التغطية.."

د. جمال التركى:

هذه الميكانيزمات الشديدة التغطية تعتم "الذات الداخلية" عن الوعي.. فلا يدرك الإنسان ما لحقها من تشوه بشع ويظل ينعم بالعيش الرغد... إنها العيش القشرة/ العيش السطح ، وأى ألم فظيع يلحق من تجرأ فك هذه الميكانيزمات و الإطلاع عما وراء القشرة.

د. يحيى:

ما زلت مجتهدا يا جمال فى تدريب نفسى، وزملائى على ضبط جرعة الألم التى نسمح بها، أو نسعى إلى تنشيطها عند المريض وعند أنفسنا أثناء رحلة العلاج (والتربية والنمو)، ضبط جرعة الألم أصعب طبعا من ضبط جرعة الدواء، وكلاهما ضرورى، لا يجوز أن نروج لإيجابية الألم إلا إذا أحسنا الحسبة، حتى لا ينقلب الألم سحقا معجزا، وهذا بعض ما جاء فى هذه اليومية، وسوف يأتى كثيرا فى بقية هذا العمل.

أما عن انشغالى بالذات الداخلية، فسوف تجد تفاصيل البحث عنها ، ثم التفرقة بينها وبين الأسطورة الذاتية ، وأيضا بينها وبين الذات الممتدة إلى الوعى الكونى فوجه الحق تعالى، سوف تجدها أيضا فى أطروحة النقد المقارن السالفة الذكر بين كويلهو ومحفوظ، وهى التى سوف أرسلها لك بصفة شخصية، يوم الأربعاء، يوم نشر هذا الرد بمشيئة الله.

المقتطـــــــــــــف: "الذى يخفى صورة النفس المشوهة هى الحيل الدفاعية (العمى)، وحين تتراجع هذه الحيل أو تضمحل وفى نفس الوقت تشتد البصيرة يعجز الإنسان عن أن يخفى على نفسه هذا الإدراك المؤلم، وفى نفس الوقت يعجز أن يعيش مجرد صورة - مثل سائر الناس - وليس كيانا حيا متطورا".

د. جمال التركى:

من اشتدت بصيرته فقد أوتى خيرا كثيرا... من استطاع أن يتخلص من جاذبية ميكانزمات مستحكمة فقد أدركت بصيرته رحمة الحق تعالى... سيتألم حتما، إنها ضريبة الإدراك الخلاق، الإدراك الذى يجعل الإنسان فى تناغم مع الكون والحياة... يجعله كيانا حيا متطورا جديرا بالتفضيل و الكرامة على كثير مما خلق تفضيلا... و إلا فهو كـ..... بل أضل سبيلا.

د. يحيى:

هل تسمح لى أن أذكـّر الجميع بدءا بنفسى وبك، أننا ما دمنا ما زلنا بشرا نسعى، فإننا نحتاج عددا من الميكانزمات العاملة إيجابيا طول عمرنا، أذكّرنا بذلك لأننى أخشى من التمادى فى التركيز على سلبيات وجود الميكانزمات حتى نتصور إمكانية، أو حتى أفضلية الاستغناء عنها جملة، حتى ننكرها فى غير أوان الاستغناء عنها، وكأن أحدنا يستطيع أن يعيش بدونها، إن غاية السعى - كما تعلم- هى أن تقل حاجتنا إليها باستمرار، وباضطراد لا أكثر ولا أقل؟ كثيرا ما اعتبرت هذه الميكانزمات، فى الوقت المناسب، للغرض المناسب رحمة من ربنا، حتى قلتِ يوما: " ياربنا يا ربنا، أدِمْ علينا نعمة العمَى"، وحين فـهم هذا الشطر خطأ من كثيرين، زدت صفة على العمى، ليكون ألا يحرمنا من رحمة العمى المؤقت، أو العمى المرحلى، أوالعمى الضرورى، لا أكثر، رحلة النمو يا جمال هى رحِلة الاستغناء عن الميكانزمات تدريجيا بكل الألم الذى ذكرتـه أنت حالا، عبر نبضات النمو المتلاحقة، من خلال كل الإيقاع الحيوى الرائع، "ليل/نهار"، "لباسا/معاشا"، "نوم/يقظة" "حلم/نوم"، "قبض/بسط"،"صلاة/كدح".. ، إلى آخر ما أدعو الله أن يمكننى أن أقدمه للناس من واقع ما رأيت، وأن يصل إلى وعى بشرى يقظ، ولو واحد مثلك أو مثل د. أشرف، حتى أصدق فأكمل، ثم يصل إلى أصحابه وقتما يشاء ربنا.

المقتطـــــــــــــف: "حين حيل بيننا وبين أن نكون أنفسنا، أن نواصل تحقيق أسطورتنا الذاتية، لم يعد أمامنا إلا الاستسلام بأن نلغى وجودنا لنصبح هذا الحلم الشبح نيجاتيف الصورة".

د. جمال التركى:

إذا أصبحنا " نيجاتيف الصورة/ نيجاتيف انسان" ... أصبحنا الحلم/ الانسان الشبح/ الإنسان الهيكل/ الإنسان الجسد له خوار... عندها لن نلغى وجودنا فقط (بالاستسلام) إنما سنلغى الآخر... وآخر يلغى آخر... فآخر و آخر.. ولا يكون الفرد" فقط هو " نيجاتيف الصورة" إنما كل المجتمع "نيجاتيف الصورة".. كل البشرية "نيجاتيف الصورة" .. عندها ينقرض ما بداخل الإنسان كإنسان فينقرض كإنسان.

د. يحيى:

عندك حق، كل الحق، بعد تهريج 11 سبتمبر المتناهى الخبث،

وغباء من اعترف بما لم يقترف، ليتباهى بقدرات يستحيل أن يمتلكها أصلا، وبعد قتل الشيخ يسن دون محاكمة بقرار رسمى من مجلس وزراء دولة معترف بها عضوا فى الأمم المتحدة، وبعد اجتياح غزة، وغير غزة، وكل غزة، وبعد شراء العلماء، وبرمجة الأبحاث لصالح أصحاب الأموال لترويج مصل وعقار، وبعد شراء منظمات عالمية، وبعد...،وبعد...، وبعد...: علينا أن نطلق نفيرا طويلا عاليا فعلا ينبه أن الجنس البشرى أصبح معرضا للانقراض أسرع مما كنا نتصور. لكن عندك!! دعنى أطمئنك، وأطمئن كل من يسعى كدحا: إن تواصل حركية النمو تجعل الكادح محصن بمصل ضد الاغتراب والتشظى لصالح التواصل مع من مثله ممن يحاول نفس المحاولة، فى أى مكان فى العالم المسكين الممزق هكذا الآن، الأمل يزداد خاصة بعد تمادى ثورة التواصل الأحدث (وأنت وما تفعله خير مثال على ذلك)، كل ذلك يفتح باب التفاؤل على مصراعيه آملين أن يتجاوز كل الناس خطر الانقراض لو أحسنوا التواصل وداوموا الكدح، وقاوموا البرمجة الخبيثة الجارية على الناحية الأخرى.

المقتطـــــــــــف: "ويتم الانتقال من استقبال الموضوع على أنه موضوع ذاتى إلى موضوع حقيقى ليس فقط على مسار النضج العادى الذى يتواصل أو لا يتواصل، وإنما يبدو أنه هو أيضا آلية رحلة الكدح إلى التناغم مع الوعى المطلق، إلى وجه الحق تعالى، أو لعلهما واحد".

د. جمال التركى:

الانتقال فى الموضوع" من " الذاتي" إلى " الحقيقي" عبر مسيرة النضج... إن لهذه النقلة/الرحلة أدوات ومتطلبات.. فهل المتاح من حولنا من إعلام، فكر، سياسة، فلسفة.. .يدفع برحلة الكدح هذه إلى التناغم مع الوعى المطلق فيثريها ليسمو الإنسان فيما هو انسان أم يعوقها فينتكس لما هو فيه بدائى حيوانى ؟

د. يحيى:

هو انتقال تدريجى إيقاعى حيوى بالضرورة، نحن نبدأ مسيرة الإدراك من إدراكنا للموضوع خارجنا كما نحب أن نراه، وكما نسقط عليه منا ما تيسر حتى لا يعود هو، وهذا هو الموضوع الذاتى، ثم تتدرج المسألة مع اضطراد النمو، حتى نتمكن من أن نراه رويدا رويدا بما هو كما هو، أى نراه موضوعا حقيقيا، وكل هذا يحتاج طبعا إلى أدواته الخاصة جدا، والأساسية جدا، كما تقول، وهى موجودة بفضل الله، اكتسبها الإنسان بعناد رائع عبر تاريخ تطوره، فهو يستحقها، أما ما يجرى الآن حولنا، وهو المتاح لنا منهم (لا منا، ولا من ربنا)، فهو كما تقول، وألعن، لكن يذهب الزبد جفاء يا جمال، يذهب الزبد جفاء بلا أدنى شك.

أنتهز هذه الفرصة لأطمئنك أن مواصلتى كتابة النشرة يوميا أعطتنى أنا شخصيا فرصا كثيرة لإعادة النظر فيما كنت

قد توقفت عنده من أفكار وفروض، خذ مثلا كيف أن هذا الجزء من المتن الذى استشهدت فيه بأفلاطون، وكنت قد حذفته، ثم أعدته وأنا أكتب هذا الشرح على المتن، كيف أنه فجأة جعلنى أتصالح مع أفلاطون جزئيا، ذلك أننى كنت قد استقبلت أفلاطون كما استقبله الكثيرون باعتباره مثاليا ميتافيزيقيا منظرا، وكلام من هذا، لكننى حين أعدت النظر من خلال مدخل "الموضوع الذاتى" و"الموضوع الحقيقى" هكذا، عرفت أنه رأى ما نرى الآن بلغة أخرى، ولم يملك إلا أن يعبر عنها بما كان، جزاه الله خيرا من عنده، وغفر لنا وله، أنا لم أحب أفلاطون، ولا أرسطو الذى سجن الفكر الإنسانى فى "منطقه" قرنين من الزمان، أحببت سقراط طبعا وخاصة من خلال محاكمته، لكن يبدو أننى مثل غيرى لم ننتبه أننا لم نعرف أغلب سقراط إلا عن طريق أفلاطون فى محاوراته، فقد أجرى أفلاطون محاوراته على لسان سقراط احتراما وعرفانا، أو تحايلا واختراقا، لست أدرى، وإنى آمل أن أصالح أرسطوا فربما عرفته عن طريق من عرّفنى به وليس منه مباشرة، باب المعرفة مفتوحه، وإعادة النظر ممكنة دائما، لقد فرحت يا جمال فرحة شديدة وأنا أعيد اكتشاف أفلاطون أثناء كتابتى، فشعرت بفضل النشرة علىّ شخصيا حتى لو لم يحاورنا إلا بضعة نفر، فلا تشغل بالك.

المقتطـــــــــــــف: ".. الأرجح أننا ندرك دواخلنا على مسار متدرج أيضا من "الموضوع الداخلى الذاتى، إلى الموضوع الداخلى الحقيقى"، وبالتالى، نحن معرضون لخبرة رؤية حقيقة داخلنا مرحلة فمرحلة، حسب كدح النمو، وتناسب المسئولية، فإذا اختل هذا التناسب يبدأ التخوف والتحذير واحتمال المفاجآت"

د. جمال التركى:

نعم مرحلة فمرحلة، حسب كدح النمو.. لكنى أرى أن هذا " النمو الكادح" يتراجع أكثر فأكثر ليغدو لصالح " النمو البيولوجي/ النباتي/الغرائزي/الدوافعى ، خاضعا فقط لـ"نوتة الشفرة" المركب فينا... ومع تدنى مستوى النمو الكادح لوجه الحق تعالى رفعة بالإنسان يتقهقر إنسان هذا العصر إنسانيا.. الا نكون مقبلين على زمن شهد/سيشهد فيه الإنسان من القلق والحيرة والضياع ما لم يعرفه على مدى تاريخه (رغم انفجار معرفى علمى لا يبقى و لا يذر)

د. يحيى:

عندك يا جمال، أنا استعمل "البيولوجى" لاحتواء كل شىء حتى ما يدور حولنا فى الكون، بيو:حياه، لوجى: علم، وهل هناك ما يقع خارج "علم الحياة" لا علم المؤسسات المغلق عليهم، تصور يا جمال أننى من فرط عناد تفاؤلى، أتعامل مع الغرائز باعتبارها برامج متطورة متحورة، لا ساكنة ولا بدائية، هذه البرامج هى أيضا بيولوجية، تكاملية نولد بها بشرا منذ وجدت، إلى أن نتكامل بها ومعها، وعلينا تعهدها وإطلاقها إلى غايتها، وربما تتطور بدورها من واقع الممارسات

الأقوى، وقد تعاملت مع غريزة الجنس فى أطروحتى "الغريزة الجنسية من التكاثر إلى التواصل" من هذا المنطلق، ثم هكذا أيضا تعاملت مع الإيمان فى أطروحتى عن الغريزة الإيقاعية التوازنية، من هنا بدأ تصالحى مع الغرائز التى نسميها نباتية، أو بدائية، لأنها لا تكون كذلك إلا إذا استقلت وارتدت إلى فجاجتها المنفصلة عن باقى البرامج التطورية (الغرائز) الأحدث فالأحدث، الجنس إذا استقل كان نشاطا بيولوجيا لذيا تكاثريا على أحسن الفروض، لكنه إذا تكامل مع الوعى الأرقى، مع الغريزة التواصلية، وحتى مع العدوان فى حضوره الإبداعى لا التحطيمى أصبح هو ما يسمى "إيروس"، وهو لفظ لم أجد له مقابلا بالعربية حتى الآن ففضلت تعريبه لا ترجمته، نشرة 8-1-2010 "حوار/بريد الجمعة" كذلك توصلت من خلال هذه الفكرة نفسها إلى فرض يتعلق بما أسميته " الغريزة الإيقاعية التوازنية"، وهى البرنامج الذى يوجهنا بفطرتنا إلى هارمونية التناسق مع الوعى الكونى إلى وجه الحق تعالى، منذ ذلك الحين وأنا لا أتكلم عن الغريزة كغريزة إلا إذا كانت منفصلة، أما إذا اتصلت بمستويات الوجود الإنسانى، فالكون، فى حركية جدلية تطورية، فهي برامج إنسانية راقية ورائعة تحتوى ما قبلها باستمرار وتجدّدْ، تصور يا جمال أننى حين تعاملت مع هذا الفرض، قابلت أناسا عاديين ومرضى يخافون من الإيمان فيكبتونه أو يعقلنونه خشية أن يتحرك برنامجه بداخلهم، مثلما يخاف غيرهم من انطلاقة الجنس فجًّا أو محارميا فيكبتونه، جاءنى أحدهم يتصور أنه ملحد، وكنت قد أبلغتهُ رأيي (أو فرضى) أن الخلايا لا تستطيع أن تلحد ما دمنا ما زلنا على قيد الحياة، جاءنى منزعجا أنه حلم أنه يصلى، وأنه بعد أن قرأ التحيات التفت يمينا ويسارا وقال السلام عليكم ورحمة الله، "هل هذا كلام"؟ هكذا قال، كان منزعجا وخائفا أن يكون هذا معناه ردة إلى التخلف، وكذا وكيت، طمأنته إلى أنه مازال ملحدا بفضل عقله، إلى ان يتصالح مع باقى خلاياه، وباقى عقوله، كان صديقا طيبا، فابتسم وهو يودعنى، وخف رعبه من هذه الغريزة الإنسانية الأرقى.

الغريزة الإيمانية يا جمال يكبتها المرعوب من انطلاق برنامجها خشية أن يمتد ذاته إلى "مالا يعرف"، (الغيب)، وهو حين ينجح فى كبتها، حتى لو حسب نفسه متدينا لا يتبقى له إلا شكل الدين، أو هو يُعَقلنها فيختزلها فى تفسيرات لفظية مغتربة عن الوعى الحركي الذى يصلنا مثلا من القرآن الكريم مباشرة، والنتيجة هى ألا يبقى لدينا إلا صورة دين مغترب يحبس النص النابض، فى اللفظ القابض، فلا يشحذ جدل الكدح النوابى إلى الغيب، الإبداع اليقين،

أسف للإطالة، (وللحديث بقية)

ولك شكرى،

وعليك السلام.

الإربعـــــــاء 20-01-2010

873-لوحات تشكيلية وليست حالات (سوف نكرر هذا التنوية كل مرة)

هذه الحالات ليست حالات إكلينيكية واقعية، ولا حتى متخيلة بشكل روائى شعرى مطلق، ولا هى تصف أشخاصا بالذات، إنها من وحى الفروض العلمية العملية التى استلهمناها من مزيج من الحالات المرضية، والأصدقاء المشاركين، وتراكم الخبرة، وإلهامات الأسطورة الذاتية للمؤلف.

****

اللوحة (17)

الحب بالراحة !!!!

الرىّ "بالراحة"، هو تعبير من بلدنا، وهو ذلك النوع من الرى الذى لا تستعمل فيه أية آلة (ولا حتى الطنبور أو الحلزونة). لا يمكن الرى بهذه الراحة إلا حين يكون مستوى الماء فى الترعة أعلى من مستوى الأرض، ويكفى الفلاح أن "يقطع" مدخل المياه من الترعة فتنساب المياه إلى الأرض "بالراحة".

كانت هذه اللوحة التشكيلية، لصاحبة هذه العيون التى تملك هذه القدرة التى تسمح بأن ينساب نهر حنانها وحبها وطيبتها إلى كل من يطلب منها "شفطة" مياه، سواء كان عطشانا، أم كان يرى هذه السيدة الكريمة سبيلا من حقه أن يأخذ منه نصيبه "بالراحة"، وكانت هى تكاد لا تمانع بنفس السهولة والكرم، وحين هممت أن أتقمص بعض الجارى، اكتشفت التناقض بين ما دار بخلدى، وبينى ما أنا أنبح صوتى به ليل نهار لأبين صعوبة العلاقات البشرية، وأظهر مدى التناقضات الشائكة والمحيِّرة، التى تحفز إلى المثابرة المستمرة، حتى تتحول أسهم المواجهة المتصادمة فى التواصل البشرى إلى حركية الجدل فالنمو المتجدد.

كنت أتعجب من صاحبة هذه العيون التى لا تضع شروطا ولا مواصفات لمن تغرقه بمياه حنانها وغمر دفئها.

ما هذا الذى تمنحه هذه السيدة الفاضلة؟

هل هو الحب الذى نتحدث عنه أم شىء آخر؟

ملأنى العجب وأنا أصف الجارى (أو المتخيل):

والنظره دى رخْرَه عجب.

ماباشوفشى فيها إلاشئ كما الحنان.

لا لُهْ شروط ولا سبب.

وأقول لنفسى يا ترى:

هوّا حنان الدنيا كله اتجمّع الليله هنا؟

عمال بِيْغمُرْنَا كَدِه من غير حِسَابْ،

كَمَا تِرعَه سابِتْ فى الغيطان،

إللى بطونها اتْشَقَّقِتْ

الحاجة إلى الحنان حاجة ملحة وشاملة .. وهى تحتد فى الحزين، والوحيد، والمنعزل، كما أنها تظهر تلقائيا مثلما تحتاج أى أرض إلى مياه الرى، كما أن هذه الحاجة تحتّد أكثر بعد توالى الإحباط ..، وعند شدة الاحتياج، كما أن كل هؤلاء، يعمون عادة عن إشكالة طبيعة هذا الحب السهل المنساب بلا حساب.

فى قريتى أيضا، تترك الأرض مددا طويلة فى فصل الجفاف حتى تتشقق تماما جوعا إلى المياه، ويفيد هذا الجوع فى أن يعرض باطن الشقوق للهواء والشمس بدرجة تجعلها أكثر خصوبة وإثمارا، وحين يأتى وقت الرى بعد فترة معلومة، يقال إن الفلاح *"يطفى" الشراقى*، وهو تعبير مختلف عن "يروى الأرض"، لأنه فعلا يغمر هذه الأرض المتشققة من الجفاف، الملتهبة من التعرض للشمس المشتاقة إلى المياه، يطفئها غمرا بما يملأ شقوقها حتى تفيض، وتشبع، وهذا الغمر يقوم بوظيفته التخصيبية استعدادا للزراعة المناسبة.

المقابل فى كرم طوفان حنان هذه السيدة - ومن تمثله- وصلنى من ملاحظتى أن الغالبية الغالبة تطلبه، وتسعى إليه، سواء فى الحياة، أو فى مقام العلاج النفسى، ونشرت أن هذا حقهم من حيث المبدأ، سواء كان طالب الارتواء: قلبا حزينا، أو قلبا وحيدا، أو قلبا جفّ وتقشف، أو قلبا مجروحا "من عمايل الناس"، أو قلبا متهالكا "متمهمطا" من كثرة القهر والتمزيق والإهانة والاستهانة، أو قلبا منبوذا موصوما بالتجاوز أو حتى بالهرطقة لمجرد أنه تجرأ على النظر فى المقدسات، أو نقد السلطة، أو قلبا مبدعا تجرأ فكشف عن جانب من الحقيقة (مش صحّتُ الأسطى إمام من غَفْلته، واللى يصحّى الناسْ يا ناسْ، أكبر غلط) فلم ينل إلا الرفض والنبذ. كل هؤلاء يمثلون جمهور العطاشى الذين يتقبلون الغمر من مصدر المياه "بالراحة" بدون تمييز، وأيضا بلا صعوبة.

لكن هل يرتوون هكذا بدون جهد من جانبهم؟، بدون إسهامهم فى السعى إلى الرى؟ ناهيك عن تحمل أن تكون العلاقة متكافئة، والمسئولية مشتركة؟

فى كثير من الأحيان يأتى المريض طلبا للعلاج ليرتاح، ليعتمد، ليجد الحل جاهزا، والتفسير مقنعا، والعقدة لها من يحلها دون أن يشارك هو بالقدر الكافى فى ذلك، وقد تجلى ذلك تماما فى نشرة سابقة **(نشرة 6-1-2010 "نيجاتيف" إنسان، وتعرية قاسية صادقة)** وقد يتحقق له ذلك، أو بعض ذلك فى بداية رحلة العلاج، أو مع تعاطى بعض المسكنات، أو المريّحات من عقاقير وسماح، لكن العلاج الحقيقى، مثله مثل التربية والنمو فى أى مجال يتطلب غير ذلك، ويسرى فى طريق مختلف.

والمّيهْ بالراحةْ بتطفِى فى "الشراقيِ"

مِنْ دُونْ ولا ساقيهْ تِنوُح،

ولا قادُوسْ ولا شَادُوف.

الميه تُغْمُرْ والحَنَانْ بِيْبَشْبِشِ القلب الحَزِينْ،

والقلب إللى مَالُوش حبيبْ،

والقلب إللى من عمايل الناسْ بقى حتّةْ خشب،

والقلب إللى اتمهمطت دقاته أصبح مثل كوره مْن الشراب،

تضربها رجلين العيال طول النهار.

وان جت على أُزاز ام هاشم يبقى يوم أزرق وطين،

يالكوره تتشرمط يا إمّا ان العيال يتفركشوا.

حتى إذا ازاز "ام هاشم" ما اتْكَسَرِشْ.

مش صحت "الأسطى إمام" من غفْلِتُهْ.

"واللّى يصحى الناس يانَاسْ أكبر غلط"!

هؤلاء العطاشى لا يرتوون عادة "بالراحة" لمجرد أن لهم حقهم فى الرى، قد يخدّرون أو يهدأون، لكن الارتواء شىء آخر، مع التأكيد أنهم عطاشى فعلا ، بغير ذنب جنوه غالبا!! إذن ماذا؟

فى خبرتى، لاحظت أن هذا الحب السهل الجاهز، حتى عند معالج نفسى طيب، ليس هو الذى يلزم المريض لينمو به ومن خلاله، هو حب اقرب إلى الفيض الذى لا يتوجه تحديدا إلى واحد بذاته، ليس بمعنى القدرة على الحب، ولكن بمعنى أن هذا الغامر بلا تمييز لا يحدد الفروق الفردية فى الذات المعنية (الموضوع)، موضوع الحب، بل إنه يغمر من يجده دون تفرقة: "من يعطش يشرب" (وخلاص)، فهل يا ترى هذا هو الحب الذى يميز الكائن البشرى بما سبق ان أشرنا إليه من أنه اكتسب الوعى، ثم الوعى بالوعى، ثم هو يثابر طول الوقت، ليميز الموضوع "كما هو"، كما اشرنا فى اللوحة السابقة؟ **(نشرة 13-1-2010 "نيجاتيف" إنسان، وتعرية قاسية صادقة "2" حوار: د.جمال التركى X د. يحيى الرخاوى)** هل هذا هو الحب الذى يحاول أن

ينمو باضطراد حتى يقلب "الموضوع الذاتى" إلى "موضوع حقيقى" يسمح بعلاقة بشرية تليق بالبشر؟ هل لهذا الغمر دون تمييز ودون جهد عمر يسمح بتطوره، لنتغير من خلاله إلى ما هو أكثر مسئولية، وأقوى اقترابا من بعضنا البعض، وأصعب أيضا؟

وارجَع أشوف نهر الحنَانْ

ألقاه بيطفى فى الشراقى بْدون "أوان"

لكِن الشراقى مَهْما شَّققْها الجفاف؛

الميه راح ترويها صُحْ،

لكن كمانْ

إن سابت الميّه على العمَّالْ على البطَّالْ حاتغرق أرضنَا،

حتى لو الأرض شراقى مْـَشَقَّقَهْ،

ولاّ الزراعة بدونْ أصُولْ؟

مش لازم الأرض تجف وتتعزق؟!

أو ضَرْبِة المحراثْ تِشُقّ الأرض تقلبِ تبْرِهَا؟!

فى العلاج النفسى، مثلما هو الحال فى التربية والنمو، يكون **عامل التوقيت** من أهم العوامل، إن لم يكن أهمها فى دفع النمو (والشفاء) فى مساره الطبيعي، والمتتبع لما ننشره هنا فى هذه النشرة فى باب **"التدريب عن بعد"** لا بد أنه لاحظ أن كثيرا من التوصيات، والتوجيهات، والاستشارات، تنتهى ليس إلى أن علينا أن نفعل كذا أو كيت، بقدر ما تنتهى إلى **"متى نفعل ما تقرر أن نفعله"، أى متى يكون القرار فاعلا، فيكون صوابا، ومتى يكون نفس القرار خطأ فى وقت آخر**، وهكذا، أضف إلى ذلك عامل "الوقت" اللازم لسبك عملية النمو مع التذكرة بأن "الوقت" نميز التوقيت.

لا يمكن أن يتم نمو بدون وقت، قفزات التغير لها دلالتها الرائعة، لكنها وحدها، بدون أن يتم الإعداد لها فى وقت كاف لإنضاجها، وبدون أن يلحقها بعدها فعل مناسب لاستثمارها، لا تدل على شىء إيجابى بالضرورة.

وارجَع أشوف نهر الحنَانْ،

ألقاه بيطفى فى الشراقى بْدون "أوان" ،

بدون أوان هنا، إشارة إلى سوء التوقيت،

نتكلم دائما فى العلاج النفسى والتربية والنمو عن **"الجرعة"**، إضافة إلى التوقيت، عن أن ضبط جرعات الدعم المباشر، وجرعة المسافة، وجرعة النصح، **(نشرة 9-12-2009 "تسول الحب، والاعتمادية الرضيعية" "1 من 2")** لا يقل أهمية وحساسية عن ضبط جرعة الدواء،

شعرت من هذه الخبرة أيضا أن فرط غمر الحنان هكذا قد يأتى بعكس الرى، وهو الغرق.

لكن الشراقى مَهْما شَّققْها الجفاف؛

الميه راح ترويها صُحْ،

لكن كمانْ

إن سابت الميّه على العمَّالْ على البطَّالْ حاتغرق أرضنَا،

حتى لو الأرض شراقى مْـَشَقَّقَهْ،

ولاّ الزراعة بدونْ أصُولْ؟

أصول الزراعة، مثل أصول التربية، مثل أصول العلاج النفسى: لابد لها من الإعداد، والتدرج، وضبط جرعة المسافة المتغيرة، وتسميد الأرض مثل تسميد الوعى، ثم خذ عندك تقليب التربة ، وتخطيط الخطوط، مثل تعتعة الوعى، ورسم المسار فى التربية والعلاج النفسى (بل والإبداع). إذن فالمسألة ليست غمرا بالحب والحنان والود والإراحة، بقدر ما هى تخطيط مناسب لحركية الوعى بمستوياته "معا"، وتحريك منضبط على مسار معَدّ، هذا ما يشير إليه المتن هكذا:

مش لازم الأرض تجف وتتعزق؟!

أو ضَرْبِة المحراثْ تِشُقّ الأرض تقلبِ تبْرِهَا؟!

العلاج النفسى كما أشرنا، يحتاج - بالإضافة إلى عاملى الوقت والتوقيت الذى ذكرناهما حالا- إلى خطوات منظمة، وإلى ضبط العواطف وأحيانا منعها حتى تجف الأرض، ليس بالإهمال ولكن بالحساب، ثم إلى جرعات منظمة من الألم والعمل (العزيق) أو جرعات قاسية من الرؤية العميقة للوصول إلى الجوهر (ضربة المحراث تشق الأرض تقلب تبرها)

كما لاحظنا فى النشرة قبل السابقة **(الحالة 16 "نيجاتيف" إنسان، وتعرية قاسية صادقة "الحلقة الأولى")**، أن سوء فهم العلاج النفسى، يؤدى إلى فرط الاعتمادية، وانتظار الحل السحرى من المعالج، كما أن أغلب الناس، وبعض الأطباء والمعالجين، يتجنبون كل ما يؤلم المريض، ونحن نكرر باستمرار أنه لا يمكن عمل علاقة حقيقية بين البشر بدون صعوبة حقيقية، ولا يوجد نمو بدون ألم، ومع ذلك فإن الإعلام وبعض التربويين يبالغون فى التأكيد على التفويت، والإراحة، ويحتجون احتجاجا قويا على أى ضغط، على طالب النصح، أو المريض، مثلما يحتجون على صعوبة الامتحانات، وعلى صعوبة الالتزام، وعلى صعوبة انضباط المواعيد ، كل ذلك هو ما كتبته فى المتن احتجاجا من هذه السيدة الكريمة، وهى تتقطع شفقة على الأرض وسلاح المحراث يخترق طبقاتها، كما تخترق رؤية المعالج والمريض نفسه طبقات وعيه حين يكتسب البصيرة، تحتج هذه السيدة الكريمة فى المتن على أى احتمال شدة مهما كانت لازمة فتقول:

والنظره إللى بْتْغْمر الكون بالحنانْ من غير حِسَاب بتقول:

"حَرام..،

يانَاس حَرام:

أرض الشراقى مْشَقَّقَة، جاهزه،

بلاش نِجْرح شُعُورْها بالسَّلاَحْ..."

أعود إلى رفضى ما يجرى، وأنا أتعجب من هذه الشفقة الرجراجة،

ينبه المتن أن غمر المياه، ليس هو الرى المناسب، ثم إنه يحتاج إلى "صرف" سريع لزائد المياه حتى لا تفسد البذور، وقد أحلوا الرى بالتنقيط، أو بالرش، محل الرى بالغمر حتى لا تفسد البذور، وأيضا توفيرا لجهود الصرف الضرورى اللاحق، بل إن الاهتمام بالرى المتدفق (وهو ما يقابل هنا: الحنان والشفقة والمبالغة فى تخفيف الألم على حساب معاناة النمو فى العلاج النفسى) قد يلهينا عن ضرورة وضع البذرة ابتداءً (البذرة فى العلاج النفسى هى: المعنى، حتم التغير النوعى، إشراقة النقلة الكيفية...الخ) حتى تأتى الإحاطة والرعاية والتنمية والحنان لترعاها بعد غرسها.

من هنا فاض بى فصرخت محتجا:

يا ناس يا هُوه: بقى دا كلامْ؟ بقى دا حنانْ؟

"الزرع لازِم يِتْروِيِ"! أيوه صحيحْ،!!

بس كمانْ: الَزرِعْ لازم يِتْزَرَع أوَّل،

ماذَا وإلا البذرة حاتْنَبِّتْ وبسْ.

تأكيد جديد لنفس المعنى، وللأسف فهذا المعنى - التلقائية بلا حدود .. وتجنب الإيلام - هو الشائع فى الكذبة التى كادت تضيع أطفالنا تحت اسم "التربية الحديثة"، وهى هى التى تشوه معنى العلاج النفسى البناء وتصوره وكأنه مجرد نزهة للتبرير والطبطبة، وكثيرا ما قابلت شبابا ونساء كانت ثورتهم الحقيقية فى داخل داخلهم هى أن المسئولين عنهم فى مرحلة ما من مراحل عجزهم كانوا أجبن من أن يقولوا لهم "لا"، وأعنى بها "اللا" المحبة المسئولة مهما بدت قاسية أحيانا. وهو المعنى الذى سوف يأتى ذكره فى لوحة لاحقة "وعْيال ليأم دى غلابة، لا فى عصا ترحمهم ولا حكمة، مِنْ مش الجان!" إن الغمر بالحنان إذا لم يسبقه ويلحقه ويصاحبه تهيئة النظام التربوى الذى يستوعبه ويستفيد منه يصبح إطلاقا للسلبيات تحت عناوين حديثة براقة.

وهكذا أعلنت فى المتن خوفى من أن تكون هذه العواطف المنسابة هكذا دون حساب، هى نوع من التخلى عن مسئولية العلاقة الموضوعية، المميِّزة، أن تكون خوفا من هذا المستوى الآخر من الجدل الشائك، والحركة المغامرة الضرورية فى إرساء علاقة بين البشر.

وهكذا رجح عندى فرض يعتبر أن هذا الحب هكذا "بالراحة"، ليس إلا خوف من الألم، ونوع من الهرب من المواجهة ومن التناقض اللازم للجدل العلاقاتى التطورى، وأيضا أنه تجنب للجهد والمشقة. (وتعبير "قلة مفيش" تعبير سائد عند أولاد البلد عندنا يعنى العدم والفراغ).

يا ست ياصاحْبِة بُحور الحب والخير والحنان:

إوعِى يكون حُبَّك دا خوف،

إوعى يكون حبك دَهُه "قِلّــةْ مافيش".

إوعى يكون حبك طريقه للهرب من ماسْكه المْحَرَاتْ،

وصُحْيانك بطول الليل لَيِغْرق زرعنا.

وبرغم كل هذا النقد، والمحاذير، فإن العطشان جدا، الوحيد جدا، المفرغ جدا، - حتى لو كان مثلى - حتى لو أدرك أن هذا الغمر بالحنان، والحب "بالراحة" ليس هو حاجته تماما، فإنه من فرط احتياجه (من كتر ما انا عطشان)، يجد نفسه بعد كل تخوفاته، وحساباته (باخاف أشرب كده من غير حساب) يجد نفسه غير قادر على رفض النهل فى المتاح ، وهو لا يتمنى أكثر من قطرة واحدة مما يجرى أمامه، فلا يستطيع الرفض، ويعلم أن الهلاك ينتظره فى التمادى فى أى من الاتجاهين، فينتهى المتن بهذه النهاية الواقعية المؤلمة قائلا:

من كُتْر ما انا عطشان بَاخَاف أشرب كَــدِه من غير حسابْ!

لكن كمانْ:

مش قادرْ أقول لأَه وانا نفسى فى نـدْعِةْ مَيّهْ من بحر الحنان!

يا هلْترى:

أحسن أموت من العطش؟

ولا أموت من الغَرق؟!

*****

وأخيرا: إليكم المتن مجتمعا

لعله يخفف من آثار عدوان تدخل الشرح الجاف (1)

والنظره دى رخْرَه عجب.

ماباشوفشى فيها إلاشئ كما الحنان.

لا لُهْ شروط ولا سبب.

وأقول لنفسى يا ترى:

هوّا حنان الدنيا كله اتجمّع الليله هنا؟

كَمَا تِرعَه سابِـتْ فى الغيطان،
إللى بطونها اتْشَقَّقِتْ
(2)
والمّيهْ بالراحةْ بتطفِى فى "الشراقِي"
مِنْ دُونْ ولا ساقيهْ تِنوُح،
ولا قادُوسْ ولا شَادُوف.
الميه تُغْمُرْ والحَنَانْ بِيْبَشْبِشِ القلب الحَزِينْ،
والقلب إللى مَالُوش حبيبْ،
والقلب إللى من عمايل الناسْ بقى حتّةْ خشب،
والقلب إللى اتمهمطت دقاته أصبح مثل كوره مْن الشراب،
تضربها رجلين العيال طول النهار.
وان جت على أُزاز ام هاشم يبقى يوم أزرق وطين،
يالكوره تتشرمط يا إمّا ان العيال يتفركشوا.
حتى إذا ازاز "ام هاشم" ما اتْكَسَرِشْ.
مش صحت "الأسطى إمام" من غفْلِتُهْ.
"واللّى يصحى الناس يانَاسْ أكبر غلط"!
(3)
وارجَع أشوف نهر الحنَانْ
ألقاه بيطفى فى الشراقى بْدون "أوان"
لكين الشراقى مَهْما شَّققْها الجفاف؛
الميه راح ترويها صُحْ،
لكن كمانْ
إن سابت الميّه على العمَّالْ على البطَّالْ حاتغرق أرضنَا،
حتى لو الأرض شراقى مْـَشَقَّقَهْ،
ولاّ الزراعة بدونْ أصُولْ؟
مش لازم الأرض تجف وتتعزق؟!
أو ضَرْبِة المحراتْ تِشُقّ الأرض تقلبِ تبْرِهَا؟!
(4)
والنظره إللى بْتُغْمر الكون بالحنانْ من غيرِ حِسَاب بتقول:

"حَرام..،! يـانَـاس حَرام:

أرض الـشراقـى مْشَقَّقَـة، جـاهزه،

بـلاش نِـجْرح شُعُورْهـا بـالـسَّلاَحْ..."

.....

يـا نـاس يـا هُوه!!!!:

بـقـى دا كلامْ؟!! بـقـى دا حنـانْ؟!!

"الـزرع لازِم يـتْروِي"! أيـوه صحيحْ،

بـس كمـانْ: الـزرِعْ لازم يـتْزَرَع أوَّل،

مـاذَا وإلا: الـبذرة حـاتْـنَـبِّتْ وبـسْ.

(5)

يـا ست يـاصاحْبِة بُحور الحب والخير والحنـان:

إوعِى يـكون حُبَّك دا خوف،

إوعى يـكون حبك دَهُه "قِـلّـــةْ مـافـيش".

إوعى يـكون حبك طريـقـه لـلهرب من مـاسْكه المحْرَاتْ، وصُحْيـانـك بـطول الـلـيل لَـيغْرق زرعنـا.

(6)

من كُـتْر مـا انـا عطشان بَـاخَـاف أشرب كَـــدِه من غير حسابْ!

لـكن كمـانْ:

مش قـادرْ أقـول لأه وانـا نـفسى فى نـدْعِةْ مَـيّـهْ من بحر الحنـان!

يـا هلْترى:

أحسن أمـوت من الـعطش؟

ولا أمـوت من الـغَرق؟!

الإربعـــــــاء 27-01-2010

880-أبـــــواب وسراديـــــب (1 من 3)

اللوحة الثامنة عشرة

هذه الحالات ليست حالات إكلينيكية واقعية، ولا حتى مـَتخيلة بشكل روائى شعرى مطلق، ولا هى تصف أشخاصا بالذات، إنها من وحى الفروض العلمية العملية التى استلهمناها من مزيج من الحالات المرضية، والأصدقاء المشاركين، وتراكم الخبرة، وإلهامات الأسطورة الذاتية للمؤلف.

مقدمة

هذه اللوحة تمثل واحدة من أصعب الخبرات التى مررت بها فى هذا الاستكشاف، كنت كلما وصلت فيها إلى تصور لمستوى من مستويات الوعى (أو حالة ذات أو سّمها كما شئت) أطمئن كأنى حللت اللغز، لكننى أجد وراء هذا المستوى من الأسرار والمفاجآت ما لم أكن أتصور، وقد تتالت السراديب والأبواب المسحورة، حتى إذا ما انتهيت إلى آخر سرداب، أو ما تصورته كذلك، فوجئت بأننى ربما كنت أسير إلى عمق صعب لايزال مغلقا علىّ، أكثر منى مستكشفا لما حيرنى باباً من وراء باب، وسردابا بعد سرداب.

قراءة اللوحة

دعونى أعترف أننى أخرت تشكيل هذه اللوحة أثناء المحاولة الشعرية الأولى شهورا طويلة، إذ يبدو أننى كنت أتوقع تلك الصعوبة فعلا، أما من ناحية الشكل فقد وجدت أنها أقرب اللوحات إلى القصص الشعبى وهو كما أشرت فى البداية أقرب إلى هذا العمل الذى أقدمه ربما كجزء من هذا الفن الذى كاد ينقرض تحت وطأة ضربات التقنية والسرعة، إلا أننى بعد أن انتهيت من صياغتها شعرا، على مراحل، تماما كما كان استكشافى لها على مراحل، رحت أقرأها مجتمعة، وإذا بى أكتشف أنها ليست لهذا الشخص الذى استلهمت منه اللوحة، ولا لغيره، ربما هى صورة طبقات الوجود البشرى وتراكماته بشكل أو أو بآخر.

نحن الآن فى مجال استكشاف "فقه العلاقات البشرية"، هذه اللوحة بالذات، لا تتناول هذه القضية بشكل مباشر مثل ما سبقها أو ما سوف يلحقها، إنها تشكيلات "واعدة طارده" طول

الوقت، وكأنها بقدر ما تغرينا أن العلاقات البشرية ممكنة، وأن التعرية لا تمنع تحمل رؤية بعضنا البعض ومن ثم مغامرة الاقتراب، هى تكشف لنا أن وراء كل باب سرداب، ولكنه سرداب لا ينتهى إلى الحجرة المسحورة التى تكشف السر كما يبدو لأول وهلة، وإنما ينتهى إلى باب آخر لا نعرف ما وراءه إلا بما يشبه الوعد، فأى مغلق، يغرينا أن نتصور أن وراءه شىء يحتاج أن يغلق عليه باب ما.

أكاد أشفق على قارئ المتن أن يرفض الصورة برمتها من كثرة تتالى الإحباط، وقد يجعلنى ذلك أفضّل أن أنشرها على ثلاثة أجزاء أو أكثر، أو كما تسير الأمور

أحب أن أشير ابتداءً إلى ضرورة الصبر فى إصدار الأحكام فى مجال العلاج النفسى خاصة (والحياة عامة) وإلا عوقت الأحكام مسيرة التقارب والنمو، وعلى المعالج أن يكون متفتحا للمفاجآت ..، وأن يتذكر أن أى تفسير إمراضى (سيكوباثولوجى) هو مجرد فرض، وأن الفرض الجيد هو القادر على توليد فروض أجود، وليس بالضرورة أن ترتبط جودته بمدى صحة إثباته.

وبرغم ضرورة التمسك "بنظريةٍ ما" كبداية، إلا أن المعالج ينبغى أن يكون هو سيد النظرية لا عبدا لها، وفى رأيي أن فرويد رغم تطويره نفسه ورؤيته ونظرياته باستمرار، إلا أنه كان سجين فكره خاصة بالنسبة لما اعتبره هو أهم فتح فتحه التحليل النفسى عليه، وهو تفسير الأحلام، أردد كثيرا رأيي آسفا: أنه سجن نفسه فيما فرحَ به إلى هذه الدرجة، ثم إنه، لظروف تطوره واكتفائه بعمله العيادى الخاص، لم تُتَح له فرصة ممارسة علاج الجنون بالعلاج النفسى، ولا معايشة المجانين كما كان الحال مع جاك لاكان مثلا أو مع سيلفانو أريتى، تلك الخبرة التى أتاحتها لنا العقاقير الحديثة، أكثر فأكثر حتى سمحت لنا أن نتخطى حدود فرويد، مع احترامنا لكل محاولاته.

كانت واجهة عيون صاحب هذه اللوحة رائقة هادئة، قوية النداء، وكأنها سوف تبوح بكل ما فيها إلى ما بعدها لمن يتقدم نحوها، إذا ما اقترب منها، كانت واعدة بأسرار جاهزة، لكننى كنت كلما اقتربت منها، أكتشف - كما قلت - أن وراء الأسرار أسرار، ووراء كشف اللغز، ما هو ألغـَزْ.

نبدأ بالفقرة الأولى من المتن:

(1)

وعيون عمّالة بتوعدْ من غير وعْـد.

بِتْشاوِرْ: على باب مكتوب فوق منه:

"سرداب السعد"،

بوابة تصب فْ بوابةْ،

والجنّى بينفُخْ فى الغابة،
والبَنُّورةْ قْـدَّام الساحر،
والآخِـرْ: ما بايِـنْـلُوشْ آخِـرْ.
يا ترى حانـْلاقى قلب نضيفْ وصْـغّيـر وبرئ،
كما قلب العصفور فى الجنّة،
ولاّ حانـْلاقي نَقَايَـةْ مِـشْمِـشْ: جامدة وخايفة وملمومة،
واذا حَـتّـى اتكسرت، مرارِتْهـَا صَـعْـبْ؟

هذا التساؤل البادئ هو ما جاء حالا فى المقدمة، وهو يشير بوضوح إلى مدى حاجتنا إلى فتح هذا الملف الصعب، إن عمق الوجود البشرى هو نتيجة لتراكم وتداخل مستويات تطوره، وأنه فى جدل دائم لن يتم أبدا حالة كونه يتشكل باستمرار فى رحلة تطور كتب عليه أن يعى بعضها، وأن يشارك بقدر ما يستطيع فى توجيه مسارها.

يبدو أن الاستقطاب فى نهاية المقطع هو ضد ما عشته بعد كتابة هذا المتن منذ خمس وثلاثين سنة، إن عمق الوجود البشرى لا يمكن اختزاله إلى "إما.....أو"، ربما كان ما تركتنى فيه هذه العين من حيرة بعد هذه الرحلة الطويلة هو الذى جعلنى أتصور أن استقطابا ما يمكن أن يريحنى من طول ومشقة هذه الرحلة المحيرة، هذا الاستقطاب يرجعنا إلى بؤرة إشكالة الوجود البشرى: هل أصل الفطرة هو تلك الطفولة الطاهرة البريئة المنطلقة، أم هى قلق المادة غير الحية الجافة التى تولدت منها الحياة بفضل الله، مهما كان هذا التصور حقيقة مرة تهز أحلامنا عن أنفسنا بشكل أو بآخر. لقد تناولنا بعض جوانب هذه القضية فى هذه النشرة فى أكثر من موضع بأكثر من عنوان **(نشرة 6-11-2007 عن الفطرة والجسد وتَصْنيم الألفاظ)**، **(نشرة 30-9-2007 الصوفية والفطرة والتركيب البشرى)**؟ (قضية ماهية الفطرة وطبيعتها) ولن أستَدرج الآن للعودة إليها الآن، فأكتفى بأن أعلن رفضى لهذا الاستقطاب الذى جاء بالمتن هكذا، وإن كان لا بد أن أختار فأنا أميل إلى ترجيح هذا القلق المخفى وفى نفس الوقت المفجر للحياة: مهما كان مرا، أو مهما بدا مرا، أفضل من السذاجة التى قد يثبت عجزها برغم أنها **"قلب نضيف وصغير وبرئ كما قلب العصفور فى الجنة"** فأنا أميل أن نفهم الفطرة كقانون وبرنامج حركى قادر أن يخلق الحياة مهما بدا : **"نقاية مشمش جامدة وخايفة وملمومة"**

ما وراء "الباب الأول"

بمجرد أن فتحتُ هذا الباب الأول، اختفى هذا النداء الواعد الذى لاح لى وأنا لم أطرقه بعد، فأطلت على نعيب هو نذير بالتشاؤم، والخراب، ينعق بسخرية لاذعة.

أول طبقة فى الوجود الإنسانى المغترب هى طبقة تبدو خاوية

(خراب) يمكن أن تتصف باللامبالاة، ولكن بالتأمل فيها قد يثبت أنها دفاع ضد الانجرار إلى النفاق من خلال التعبير السطحى بالامتلاء، أو تردي أصوات أوهام حب عابر أو انجذاب ظاهر.

هذا هو ما نحاول التأكيد عليه باستمرار ونحن نشرح للأصغر كيف أن وصف الفصامى مثلا (ناهيك عن الشخص العادى) باللامبالاة، أو التبلد، أو فقد المشاعر، هو وصف سريع جائر، فكما ألمحت سابقا فإن مثل هذه الأعراض ماهى إلا إعلان خراب "وجود" ما، وعدم جدواه، وميزتها الأساسية - رغم طبيعتها المرضية - أنها تعلن فشل هذا الوجود وعجزه، ومن هنا أصبحت ، برغم وصفها عادة بالسلبية، ذات قيمة دالة إذا أحسنّا ترجمتها إلى ما تقوله. وإن كانت فى ذاتها تمثل مصيبة لصاحبها إن لم يستفد منها ويستوعب ماوراءها.

المجتمع (نحن) عادة ما يرفض المريض النفسى (المجنون خاصة) لأنه يعلن فشل وجودنا المغترب هذا، فنقابل ذلك بأن نهاجم المريض، أو ننفيه، أو ننظر إليه من أعلى بنفس منطقنا الذى انفصل عنه ليحكم عليه. إن دفاعاتنا لتغطية ما فى داخلنا مما يشبه هذا الذى يعلنه المجنون هى دفاعات هامة ومطلوبة فى كثير من الأحيان، لأنها تحمينا من مواجهة هذه الحقيقة:

فينا من يخاف المجنون ويفر منه فراره من الأسد،

وفينا من يشفق عليه شفقة تنفيه تماما وتبعده عنا ونحن ننظر إليه من أعلى نمصمص شفاهنا.

قابلت فى خبرتى أشخاصا عاديين أصيبوا برهابات مختلفة، من بينها رهاب فقد السيطرة، لمجرد أنهم قابلوا مجنونا من الذين يهيمون فى الشوارع

وثمة مجموعة أخرى من الأسوياء الدارسين للطب العام، أو لعلم النفس، أصابهم مثل ذلك وغيره، بعد زيارة عابرة، هى جزء من مقرر دراسى، لمستشفى أمراض عقلية،

صحيح أن نعيق البومة ليس رمزا كاملا يصلح لمقابلة بصيحة المجنون، لكننى اخترت جزئية تشاؤمنا من نعيقها، وتطيرنا من رؤيتها.

المجنون - على لسان البومة هنا - ينبهنا إلى أن البومة المتهمة بأنها لا تهوى إلا العيش فى الخرابات (الخراب)، إلا أن هذا الخراب الظاهر هو أقل خطرا وأجهزللتعمير من خراب خفى قد يعشش داخلنا، **(بتبصولِى ليهْ؟ أنا مالِى؟ حوَالىّ خراب؟ دا خرابــْكُم إنتمْ. دانا كترّ خيرى.**

عماله بازَعّق وأقول: "فيه لسَّه حياة .. حتى فى خرابهْ"). ونحن لا نفعل إلا أن ننكر هذا الخراب، ونغطيه برفضنا أى تلميح له إو إعلان عنه كما يرمز إليه نعيق البومة هنا.

إذا كان الجنون عارا سلبيا فى طريق مسيرة الحياة، فهو الوجه الآخر للوجود المفرغ الذى نعيشه، وميزة الجنون أنه يعلن ذلك صريحا.

المرض بهذه الصورة هو رفض للموت النفسى الخبيث إذا لبس ثوب الحياة العادية المتجمدة المغتربة، لكنه رفض فاشل، لانه هو فى ذاته موت آخر متحلل.. لكنه عموما صيحة منذرة قد تبعث حياة فيمن يحسن تلقيها، حتى لو لم يتحمل مسئوليتها من أطلقها: (المريض).

ولقيت فى الأول صورة البومة
بتبصْ، وتبحلقْ:
وتقول جرَى إيه؟
بتبصُّولِى ليهْ؟
أنا مالِى؟
حوَالىّ خراب؟
دا خرابــْكُم إنتمْ.
دانا كتَّر خيرى.
عماله بازَعَق وأقول:
"فيه لسَّه حياة .. حتى فى خرابهْ".
تكونوش عايزينْهَا، تِخْرَب فى السرْ؟
"خليها تعدّى"، "خلّيها تمرّ"!
ولا حد ينبّه، ولا حد يزنّ
والإسم حياة، والفعل " كإن"
وبدال ما نغيّر، نحكى ونْفِنّ؟

مرت علىّ فترة من فترات حماسى فى تحقيق نبض فكرى "حالا"، كنت أميل فيها إلى رفض الفن كمهرب بديل عن الحياة، كما رفضته كتفريغ إسقاطى لما يعتمل بنفوسنا، ولم أفهم رفض أفلاطون للفن واعتباره "تقليد التقليد" إلا خلال هذه الفترة تحديدا، رفضت الفن التنفيثى، أو التفريغى أو الإبدالى، أو حتى بلغة أرسطو: "التطهيرى"، رفضته - فى تلك الفترة- واعتبرته خدعة مخدرة تؤجل مواجهتنا بالتزام اللحظة الراهنة، وكنت آنذاك فى أشد حالات إصرارى على أننا "إما نعيش الآن .. أو .. لا نعيش"، ثم مرت الأيام وصدمنى الواقع والفشل، وأدركت أن بعد الزمن ضرورى للتطور ورأيت قصور مرحلة وجودنا البشرى الحالى .. وعدت أتصالح مع الفن كرؤية للمستقبل، وإيقاظ للوعى، وبديل عن الجنون وتعلمت أنه لا يضير الفنان ألا يعيش - شخصيا- رؤيته العميقة فى الحياة اليومية، فهو يبلغ الرسالة إلى أهلها، ويقوم بدوره بغض النظر عن نوعية وجوده الشخصى، كما تعلمت أن إيقاظ الوعى التنويمى السائد إنما يتم بنجاح أكبر بصدمة الفن الحى .. وإلا فقد يتم بثورة الجنون بسلبياته. ومخاطر التناثر من جرائه.

ويبدو أننى حين كتبت هذه اللمحة كنت أعلن احتجاجى على لسان المريض الذى يعلن خراب حياتنا على هذه الصورة لو أننا اكتفينا بطرح وجودنا الآخر ومشاكلنا فى صورة فن "بديل عن الحياة" (مرة أخرى كما قال أفلاطون: تقليد التقليد) ، لكننى تراجعت كثيرا كما ذكرت.

تجمدت الصورة، تصنمت اللمبالاة، وصارت العين التى كانت نذير الشر من الزجاج تعمل كزر للباب الثانى

(3)

وِأقَرَّبْ أكتر مالصَّوره،

وأبص ف عين البومه.

واستغرَب!

دى عيونها إزاز.

عاملين كده ليه؟

حسِّس، جرَّب، يمكن،

وألاقى العين مش عين،

دِى زْرَار،

وأجرّب أزق. تتحرك كُلِّ الصوره،

والباب التانى يْبان:

الباب الثانى:

أشعر أن من الأفضل أن اتوقف عند هذا الباب اليوم، لأكمل نفس اللوحة المرة القادمة،

لكن هل ياترى سوف نظل نذكر ما قلناه اليوم؟

ربما يكون مناسبا لصعوبة اللوحة أن نطرح المتن كله اليوم فى نهاية هذه النشرة، لمن شاء أن يمر به جميعه دون شرح (مشوِّه) قبل أن نعود إليه، وربما نطرحه مرة أخرى فى نهاية حلقات هذه اللوحة، إذ يبدو أنه يستحق ذلك.

وفى نفس الوقت قد يكون فى نشر هذا المتن بالذات مجتمعا، ما يفسر ما جاء فى المقدمة من تعدد النقلات، وتكرار الإحباط

(1)

وعيون عمّالة بتوعدْ من غير وعْد.

بِتْشاوِرْ: على باب مكتوب فوق منه:

"سرداب السعد"،

بوابة تصب فْ بوابةْ،

والجنّى بينفُخْ فى الغابة،
والبَنُّورةْ قدَّام الساحر،
والآخِرْ: ما بايِنْلُوشْ آخِرْ.
يا ترى حانْلاقى قلب نضيفْ وصْغّير وبرئ،
كما قلب العصفور فى الجنّة،
ولاّ حانْلاقي نَقَايَةْ مِشْمِشْ، جامدة وخايفه وملمومة
واذا حَتّى اتكسرت، مرارِتْهَا صَعْبْ؟

(2)

ولقيت فى الأول صورة البومة
بتبصْ، وتبحلقْ:
وتقول جرَى إيه؟
بتبصُّولِى ليهْ؟
أنا مالِى؟
حوَالىّ خراب؟
دا خرابْكُم إنتمْ.
دانا كترَّ خيرى.
عماله بازَعّق وأقول:
"فيه لسَّه حياة .. حتى فى خرابهْ".
تكونوش عايزينْهَا،
تِخْرَب فى السر؟
"خليها تعدّى"، "خلّيها تمرّ" !
ولا حد ينبّه، ولا حد يزنّ
والإسم حياة، والفعل " كإن"
وبدال ما نغيّر، نحكى ونفنّ ؟

(3)

وِأقَرَّبْ أكتر مالصَّوره،
وأبص ف عين البومه.
واستغرَب!
دى عيونها إزاز.
عاملين كده ليه؟
حسِّس، جرَّب، يمكن،
وألاقى العين مش عين،

دِى زْرَار،
وأجرّب أزق. تتحرك كُـلّ الصوره،
والباب التانى يْبان:
(4)
الشيخ قاعدْ وِشُّهْ منوّرْ،
مركون على عصا بيفكر.
وعنيه بتشع الحكمة.
دا شبهْ سيدنا سليمان
وعيالْ لإيّامْ دِى غَلاَبَهْ،
لافى عَصَا تَرْحَمْهُم ولا حِكْمَة،
مِن مَسَّ الجَان
والجان أيَّامْنَا، لابسين جلد الإنسانْ.
ولا عاد بِيْهم الواحد منهم سورة "الكرسى"،
ولا سورة "الناسْ".
والحكمة مَا مَاتِتْ مِنْ مُدَّه.
ما فاضلشى إلا الحكمة الموضه،
تِلقَاهَا مَلْفُوفهْ،
حوالين حِتَّة شكولاتهْ، جوّا الصالونات.
- إلحقنا يا عمّى الشيخ شُفْنَا .
- "ألحقكو ازاىْ؟
إنت اهبل؟ ولاّ بْتِستهِبلْ؟
دَانَا صورهْ".
وأبُص كويسْ.
"دى النملة بتزحف فى بياضها".
وعيون الحكمة الصابرة الغرقانة فْ بحر آلام الناس،
تستنجد بِىَّ:
- إعمل معروف شيل النملة دى بتقرصنى،
دَانَا صوره، دَانَا ميِّتْ،
وعَصاتى السوسْ بهدلها،

حانْكِفى عـَلـَى وشَى تَـو مَـا تـبقى دِقـِيقْ،
والـكل حايـفـرح.
"دقِّـى يـا مزيـكا ،
شِّمنـا يـا ويـكا".
"إعمل معروف شيل الـنملة" .
وِأحاول اشيلـها،
أتـاريـها الـتـانـية زرار،
والـبـاب المسحوْر بـِيْـــزَيــَّقْ.
(5)
هوّا انْتِ؟
بـالـبسمة الهاديـهْ الـناديـةْ،
والـعين الـلى بْتجرِى وراكْ بِحنـانْـهاَ،
وْبـتــنِـْدهـَلـَك ماطْرحْ ماتْــرُوحْ.
هوّا انـتِ؟ مونـاليـزا الـطاهرة الـفـاجرة؟
الـواحد عايـز إيـه غير بـسمة حُبْ، وِحنـَان،
والـصدق الـدافِ وْكُلَّ الـطيبَهْ يــْـلِـفـــُّـونى،
وكإن الـشر عمرُه مـا كـان.
وكإن الـدنـيـا أمـان فى إيمان،
وكإِن الـبسمه الـصادقـة تْـدَوِّبْ أيـهـا حقـد، وأيـــُّـهَـا خوف.
....
جرى إيـه؟ الـواحد كـان حايـصدق، وكإن الـصورةْ حقـيقـَـهْ؟
يـا أخيـنـا:
مين المسئول عن بـعضيـــنَـا؟
عن أكل الـعيشْ؟
عن قـتـل الـغدر؟
عن طفـل عـايـزْ يـتَـربـَّى وِسْط المْكَنِ، الـقِـرْشْ الـدَّوْشَه الـدَّمْ؟
عن جوع الـنـاس؟
عن بـيـع الـشرف الأمـل ألـبُكْرَه: امبـارح؟
وأبـصّ لْـهَـــا تـانى واقـول:

بـالـذمه بـتضحكى على إيـه؟
دى الـبسمة الحلوة الـرايقة المليانـَـهْ حنانْ .. وخلاصْ،
يمكن تـبقى مصيبه الأيـام دِى!
حا تخلِّى الـواحد يـتهيأ لـُـه إن الـدنـيا بخير، ويـنْـامْ،
يحلم بـالجنه...،
وِخلاصْ!
وعشان أبـْـعـد تـأثيرها:
قـهقـهت كما بـْـتُـوع الحـتِّـــهْ،
فى المُـــولـــدْ.
بـصِّيتْ لـــلـصُّـورَهْ،
طَلَّعتِ لـْـسَـانـِى:
تـكشيره امّـال..! .. كـدِهـُـه!
تـبويـزه امّـال..! .. كـدِهـُـه!"
وتـغيظنى ولا تـــبـــوزش.
وأنـا أعمل عقلى بـعـقـلـيـــها من كـتر الـغـيظ،
"بـــلا نـيلة بـتضحكى على إيـه ؟"
وأحاول اشوه ضحكتها، وأغطيها،
يـا خرابى !!
الـصوره دى رخره بـتـتحرك،
وبـيفـتح بـاب:
(6)
الـشاب وسيم وحليوه .. واقف مـــنـــطور،
والـوش بـريء ربـــانـــي.مافيهوش ريحة الـتعبير،
واسمه "دوريـان"
هوا انـتَ الـصوره ايـاها؟
ودا صاحبك إلـلى اتمنى ف يـوم يخدعنا
ما يـبانـــشى عليه بصمات الـسن،
ولا خـــتم الـشـــر، ولا صـــوت لـــضمـــير.
وان كـان لازم تـتسجل كل عمـايـــلـــه:

راح عامل صورة يبان فيها التغيير.
وكإنها صورة الحق الجوانى البشع العريان".
إنما دى الصورة هنا مايعه ؟.
ما يكونشى جواها البِشعه؟
أقلبها:
يظهر لى الباب الأخراني.
دا مفيش ورا آخر باب، ولا أوده ولا بواب!!

(7)

والاقيلك بحر التيه، من تحت البحر الميت،
والطفلة الغلبانة بتبكى، ولا حد شايفها.
والميه مية نار، والجلد صدف ومحار،
لا هى قادره تصرخ، ولا راضية تموت.
يا ترى يا جماعه الطفله دهه "صورة، صورة" دوريان؟
ولا أنا غلطان؟
أنا نفسى أطلع غلطان،
أحسن ما اشوف:
طفل بيتشوه،
من كتر الخوف،
وسط العميان.

الإربعـــــاء 03-02-2010

887- أبـــــواب وسراديـــــب (2 من 3)

دراسة فى علم السيكوباثولجى
فى فقه العلاقات البشرية
لوحات تشكيلية من الحياة والعلاج النفسى
شرح على المتن : ديوان اغوار النفس

اللـوحة (18)

هذه الحالات ليست حالات إكلينيكية واقعية، ولا حتى مُتخيلة بشكل روائى شعرى طليق، ولا هى تصف أشخاصا بالذات، إنها من وحى الفروض العلمية العملية التى استلهمتها من مزيج من الحالات المرضية، والأصدقاء المشاركين، وتراكم الخبرة، وإلهامات أسطورتى الذاتية.

وصلنا فى الحلقة الأولى من هذه اللوحة إلى أن البومة التى ظهرت وراء أول باب، والتى نعتبرها عادة نذير شؤم، وإعلان عن خراب إنما كانت تنذرنا بأننا نكرهها ونتشاءم منها لأنها تكشفنا "تكونوش عايزينها تخرب فى السر"، "دا خرابكم إنتم".

ونكمل السيْر فيما وراء الباب الأول إلى الثانى.

وِأقَرَّبْ أكتر مالصَّوره،

وأبص ف عين البومه.

واستغرَب!

دى عيونها إزاز.

عاملين كده ليه؟

حسِّس، جرَّب، يمكن،

وألاقى العين مش عين،

دِى زْرَار،

وأجرّب أزق. تتحرك كُـلِّ الصوره،

والباب التانى يْبان:

قلنا أنه برغم ما يعد أى باب مغلق بفك الطلسم إذا ما فتحناه لنعرف ما وراءه، فإننا لا نجد فى هذه اللوحة وراءه إلا سرداب يغرينا بالسير إلى نهايته لعلنا نجد ما يشفى الغليل، غليل المعرفة ابتداءً.

الذى حدث أننى اكتشفت أن وراء هذا النذير الصادر من البومة المحذرة، والتى قلنا حالا أنها كانت تنبهنا إلى احتمال أن الخراب هو فى داخلنا وليس فى خارجنا كما نزعم، أقول إننى حين انتبهت إلى هذا التحذير، اكتشفت أن وراءه حكمة بالغة، تمثلت لى فى حكمة سيدنا سليمان بكل الحقائق والأساطير المنسوجة حوله، بما ذلك عمره، وكيف أن الجان ظل يحسبه حيا وهو ميت متكئ على عصاه، إلى أن نخرها السوس فانكسرت، فانكفأ على وجهه، فعرف الجان، لست أدرى بعد كم من السنين، أنه مات، فانطلق فى نشاطه العبثى والتعددى من جديد.

الجان عندى حقيقة واقعية كما الأحلام وكما الواقع سواء بسواء، كل ما فى الحكاية أننى آراه وجودا ماثلا فى داخلنا، كما أرى الاحلام بما هى، لا بما نحكيه عنها كأنها هى، وجودا ماثلا أيضا يكملنا، وهذه الرؤى (الفروض) تسهل الأمر علىّ وأنا أتعامل مع مرضاى حين يسألونى عن إيمانى بوجود الجان، فأقر بصدق أننى أفعل، وأحترم، وأتفاهم مع هذه الذوات الأخرى بما يفيد الكل النامى، كل الفرق أننى أسميها أسماء علمية أحيانا، وأتعامل معها باحترام يسمح بالجدل فالتكامل فى كل نبضة نمو.

الحكمة التى يمثلها هنا سيدنا سليمان هى التى تكمن وراء البومة النذير المحذّر وفى نفس القوت هى تمثل غلبة العقل والتعقل (وليس العقلنة)، العقل "القادر الحاسب المحاسب"، ولها أسماء أخرى فى مدارس أخرى. نحن - فى ثقافتنا - نبالغ فى تقييم دور هذا الحكيم القابع داخلنا، وهو ليس بالضرورة مرادف للضمير، أو للأنا الأعلى، (فرويد)، أو حتى للذات الوالدية (إريك بيرن)، هو تنظيم يحترم الواقع بقدر ما يحتوى بقية مستويات الوعى ويحيط بها

الأرجح أن هذا المستوى الحكيم من الوعى قد يمثل تكثيفا لمفهومين من مدرستين متباعدتين: المفهوم الأول هو مفهوم يونج (كارل جوستاف) عن اللاشعور الجمعى وأن الإنسان عمره لا يبدأ يوم يولد ولكنه يحمل دهورا من الحكمة والغرائز البناءه فى أعماق أعماقه، والمفهوم الثانى مستمد من لغة إريك بيرن (مدرسة التحليل التفاعلاتي) فى حديثه عن حالة الأنا الوالدية التى تشمل الجد وجد الجد .. فى التحليل الأعمق.. هذه الحكمة العميقة والجاهزة هى إشارة إلى أن التركيب البشرى ممتد عبر الأجيال: ليس فقط بوراثة استعداد بذاته بالمعنى السطحى، ولكن بمعنى البصم ببرامج بيولوجية معقدة تتكون منها الذاكرة الجينية بكل طبقاتها.

ربما ما أردته هنا، أو ما وجدته، أو قرأته فى هذه اللوحة، هو أن القديم المتجدد، والحكمة المحيطة، لهما تمثيل كامل فى وجودنا، ومن ثم فإن استيعابهما وتمثلهما فى الحاضر فى تكامل مع طاقة الغريزة ودفعها هو السبيل الحقيقى لمسيرة التطور، وإلا فإهمال أى جزء جهلا أو خوفا لا ينتج إلا إنسانا ناقصا أو مشوها .

ودى صورة مين؟

عمره كام دهر؟

الشيخ قاعدْ وِشُّهْ منوّرْ،

مركون على عصا بيفكر.

وعنيه بتشع الحكمة.

أسطورة المرأتين فى قصة سيدنا سليمان، حين احتكمت إليه وكل منهما تدعى أنها أم الطفل، ثم حكم سيدنا سليمان المبدئى بأن الحل هو أن يشق الطفل مناصفة بينهما، قاصداً أن يتبين من هى الأم الحقيقية، ربما يكون فيها تلميح رمزى إلى الإنقسام الذى يحدث أثناء النمو للنفس البشرية، وهذا فى تصورى هو ما يقابل الانشقاق المبكر حسب فكر المدرسة التحليلية الإنجليزية الحديثة (ميلانى كلاين وفيربون وجانتريب). عندى أن الترجمة النفسية لهذه الأسطورة هى أن الأم التى تمارس أمومتها بنجاح هى التى تستطيع أن تتعهد هذا الانشقاق، لكنها ترفضه إذا كان انشقاقا يعنى الاغتراب المتباعد فى اضطراد، حتى أنها تفضل أن تحافظ على "كلية" حياة طفلها ولو لمرحلة ما، حتى لو تعهدته أمٌ سيئة فى تلك المرحلة، وحين يكتشف سيدنا سليمان من هى الأم الحقيقية، لا يتحقق الانشقاق بمعنى الاغتراب أو الهلاك، ولكن يظهر الأمل فى خلخلة تؤدى إلى تحريك مرحلى فى رحاب أم مرنة، ومن ثَمَّ إلى تلاحم جدلى نام، وهكذا، فضلا عن الانشقاق الدورى الطولى من خلال نبضات الإيقاع الحيوى (دورات "النوم/الحلم/اليقظة" أساسا)،

"فاكرين القصة ؟؟

مين أنقذ طفل الأم

من جشع الست التانية !!؟

سيدنا سليْمان.

" مين كلّم نملة، وذل الملكة " ؟

- سيدنا سُليْمَانْ

هذا النوع من تقديس الحكمة الغائرة فى وجودنا يعطى لهذه الحكمة قدرات وينسج حولها معجزات مبالغ فيها تسمح بـــ، أو تدعو إلى ، اعتمادية معطلة للنمو، وإذا كانت حكمة سيدنا سليمان قد تجلت فى حكمه بقسمة الطفل ، فظهرت الأم الحقيقية،

فإن قدراته على التحكم فى الجان (مستويات الوعى التحتية)، والتخاطب مع الحيوانات والحشرات والطيور، هى من قبيل هذا التقديس، وهكذا، يمكن أن يتجاوز هذا المستوى دوره الإيجابى بشكل أو بآخر، خصوصا فى التربية.

هكذا تعّرت أمامى طبيعة وحقيقة القوة الظاهرة التى تكمن وراء باب الحكمة الراسخة، وحينذاك قفزت إلى ذهنى إشكالة علاقة هذا المستوى بالنمو عامة، وبتربية الأطفال بوجه خاص، وأنه حين تثبت هشاشة هذه القوة، وأنها قوة من فوق السطح، يفتقد الأطفال إلى من يلمهم إلى نفسهم، بديلا عن التسيب بلا معالم، تحت رحمة القوى البدائية (الجان) أو الانشطار بلا عودة.

يبقى البومة كان عندها حق
طب فين الكدب وفين الصدق؟
وفين الضرب وفين الحب
وفين العفو وفين الذنب
إزاى نسمح لعيالنا:
بالشق، الضم، النبض، الود،
اللعب، الجرى، العّد:
على عزف الناى
حانربى عيالنا ازاى؟
وعيالْ لِـــيّامْ دِى غَـلاَبَـهْ،
لا فى عَـصَـا تـــرْحَـمْـهُم ولا حِـكْمَة،
مِـن مَـسَّ الجَـان
والجان أيَّـامْنَا، لابسين جلد الإنسانْ.
ولا عاد بِـيْهم الواحد منهم سورة "الكرسى"،
ولا سورة "الناسْ".
والحكمة مَـا مَـاتِـتْ مِـنْ مُدَّه.
ما فاضلشى إلا الحكمة الموضه،
تِلقَاهَا مَلْفُوفهْ،
حوالين جِتَّة شكولاتهْ، جوّا الصالونات.

المخاطر البشرية التى تحيط بالبشر، وبالأطفال بالذات، من خلال القهر والسحق والظلم والبلبلة والتخبط، وأحادية

التوجه، واستقطاب القيم، هى مخاطر واقعة ومتزايدة، وإذا لم نضع ذلك فى الاعتبار فى تربية الأطفال بتهيئة التناسب بين جرعات الحنان والقسوة وحسن توقيتهما ... فالنتيجة هى السحق تحت أقدام الشر المعاصر الذى استحوذ على طاقة العدوان واستعملها فى العنف القاتل المغير على بعضنا البعض، هذا العدوان الصريح الذى جعل من الإنسان المعاصر قاتلا لأفراد من نفس نوعه دون عائد بقائى.

لم يعد مطروحا حاليا ما يمكن أن يسمى " العصى الرحيمة" فى تربية الأطفال (لا فى عصا ترحمهم، ولا حكمة، من مس الجان)

لم يعد العنف البشرى العدوانى يرتدع بردع داخلى أو خارجى، ولم يعد للكبير أو الإله أو 'الحكيم قيمة فاعلة، مات كونفوشيوس فى العصر الحديث، وأرى أن كل ذلك يحرمنا أصلا من التفاعل الجدلى الضرورى للنمو والتكامل، وقد بلغت تفاهة الحكمة المطروحة فى السوق، واغتراب النصائح مبلغا جعل الاستشهاد بأى من ذلك مدعاة للسخرية أكثر منه سبيلا للنمو.

ثم يتجلى لى العجز الغائر وراء صورة هذا الشيخ المقدسة التى تعرت عن هشاشة داخلية، لكننى أكتشف أنه برغم إعلان موته، وأنه لم يتبق منه إلى ما يشبه الحكمة، مازال يستطيع أن يتألم، ليس لنفسه فحسب، بل لنا أيضا، وهو ينبهنا أن يتولى كل منا أمر نفسه دون انتظار معجزة من مقدس، بل إنه نفسه يطلب أن نلحقه هو نخفف عنه ما ألَمّ به، لا أن يلحقنا لينقذنا مما آل إليه حالنا،

- إلحقنا يا عمّى الشيخ شُفْنَا .
- "ألحقكو ازاىْ؟
إنت اهبل؟ ولاّ بْتِستهبلْ؟
دَانَا صورةْ"
دا انا ميت.
وأبُص كويسْ جوا عنين الصورة
وألاقى النملة بتزحف فى بياضها
والنمل اصحابه من مدة
إنما كات عينه يا خوانّا مليانة ألم،
مش قادر يستحمل ألمه، وبيبكى بدال الدمع الدم
- إعمل معروف شيل النملة دى بتقرصنى،
وعَصاتى السوسْ بهدلها،
حانْكِفي عَلَى وِشّى تَو مَا تبقى دِقِيقْ،

حين يتكشف هذا المستوى من الحكمة الطيبة، والقدرة الواعية، عن كل هذا الضعف الذى يحتاج إلى أن يعان لا أن يعين، دون إعداد كاف لضمان استمرار النمو فى اتجاه التكامل، أى النضج الحقيقى، تنقض القوى البدائية بعنفوان فجاجتها (الجان) لتخرب الدنيا، وهى تبرر النكوص وما يشبه الحرية، وكذا تبرر وتدعم اللذة قصيرة العمر.

والجانْ الإنسان الجِنّ،

حايقيم أفراحه مش حايِوْنّ

فى الخمارة: فى الحارة السّدْ

فى الدايرة المقفولة الضّلْمهْ، ما فيهاش حدْ

"دقِّى يا مزيكا ،

شِّمنا يا ويكا".

إن ما يمثله القديم الحكيم .. سواء بجذوره فى اللاشعور الجمعى، أو فاعليته كحالة من حالات الأنا الوالدية أو علاقاته الزائفة المغلقة على نفسه .. هو هذا الذى ينطلق حين ينكشف عجز هذه الحكمة عن قيادة واحتواء سائر المستويات.

وفى استغاثة أخيرة يصيح الشيخ الميت المتألم :

إعمل معروف شيل النملة

فأستجيب رحمة به واحتراما لألمه، وإذا بى أكتشف وراء كل هذه الحكمة، مستوى وعى آخر لم يكن فى حسبانى.

وِأحاول اشيِلها،

أتاريها التانية زرار،

والباب المسحوْر بِيِْزَيِّقْ.

نعم باب آخر لم يكن فى الحسبان.

وإلى بقية اللوحة فى الحلقة القادمة.

- يلاحظ أن المتن هنا تعدل قليلا عن ما ورد فى النشرة السابقة الأسبوع الماضى.

الإربعـــــــاء 10-02-2010

894-أبـــــــــواب وسراديـــــــــب (3 من 4)

اللوحة التاسعة عشرة

هذه الحالات ليست حالات إكلينيكية واقعية، ولا حتى مـتخيلة بشكل روائى شعرى مطلق، ولا هى تصف أشخاصا بالذات، إنها من وحى الفروض العلمية العملية التى استلهمناها من مزيج من الحالات المرضية، والأصدقاء المشاركين، وتراكم الخبرة، وإلهامات الأسطورة الذاتية للمؤلف.

الجزء الثالث:

موناليزا

مازالت نظرة "موناليزا" وبسمتها تحير النقاد، وبالذات نظرتها الخاصة جدا، الغامضة، الواعدة، الحاوية، ولقد حاولوا تفسير هذه النظرة من أول أنها تمثل ما تبقى عند ليوناردو دافنشى من نظرة أمه، إلى أنها تمثل جوعا أو كبتا جنسيا عند الفنان نفسه.

(موناليزا) *بالإيطالية* *Mona Lisa*: أو الجيوكاندا *بالفرنسية* *La Joconde*: هي لوحة رسمها الإيطالي ليوناردو دا فينشي. يعتبرها النقاد والفنانون واحدة من أفضل الأعمال على مر تاريخ الرسم. إختلف النقاد والمحللين بتفسير تلك البسمة، وتراوحت الآراء بسر البسمة بدرجات مختلفة إبتدأ من" إبتسامة أم دافينشي" وانتهاءا "بعقدة جنسية مكبوته لديه." (موسوعة ويكيبيديا 2010)

ما أردت توضيحه هنا باستعارة صورة الجيوكندا هكذا هو تكملة، دون تطابق، للوحة السابقة بعنوان "الحب بالراحة"

، فى هذه الحالة (اللوحة السادسة عشرة) حين وصلتُ إلى ما بعد طبقة الوعى السابقة حلقة (2-4) التى حذرت فيها من الاستسلام إلى اعتبارها إيجابية على طول الخط، فوجئت بمستوى أكثر تحييرا من مجرد شكل الحكمة، أو شؤم البومة وتحذيرها، وهو المستوى من الوجود **الأقرب إلى دعوة للكشف من خلاله** منه إلى إبلاغ بالواقع، فما يميز لوحة الجيوكانده، هو أنها تسمح بالإسقاط بشكل متنوع متعدد، بحيث يبلغ الناظر إليها، أو الذى يتلقى نظرتها المتابعة له حيث ذهب، أن يسقط عليها مايريد، إلى أن يجد نفسه فى رحابة الإبداع يأخذ منها ما شاء لما شاء،

وصلنى أن هذه النظرة هى تعبير عن مستوى من الوعى فج راق فى نفس الوقت، يكمن داخل كل منا، وهو يحمل ما يحمل من نداء الغموض، وتداخل المشاعر، بحيث لا يمكن تسميته أو تجريده رمزا، وهو ما حاولنا تجريبه مؤخرا فى لعبة متحدية فى ندوة هذا الشهر، (فبراير 2010) لنثبت من خلاله أن التعبير عن المشاعر البشرية فى لفظ واحد أمر شديد الصعوبة، برغم ظاهر سهولته، وهو يؤدى عادة إلى اختزال المشاعر المكثفة والمتداخلة إلى ما لا يمكن أن يحتمله هذا اللفظ، وغالبا ما يترتب على ذلك أن تختنق المشاعر داخل الألفاظ بما قد يعيق التواصل الأشمل والأرحب.

قبل ان نعرض للفرض وبعض نتائج التجربة دعونا نقرأ معا ما جاء فى أول المتن:

هوّا انْـتِى!!!
بالبسمة الهاديةْ النادية،
والعين إللي بْتجرى وراكْ بحنانْهاَ،
وْبتنِدهلك ماطْرحْ ماتْرُوحْ.
هوّا انتِ؟ مونـاليزا الطاهرة الفاجرة؟
الواحد عايز إيه غير بسمة حُبْ، وحنَإن،
والصدق الدافى وْكُلَّ الطيبَهْ يلِفونى،
وكإن الشر عمرُه ما كان.
وكإن الدنيا أمان فى أمانْ،
وكإن البسمهْ الصادقة تْدَوِّبْ أيها حقد، وأيُّهَا خوف.

طفولة + جنس + جسارة				
1	2	3	4	5
•عفريت كل الناس نضج •خلقه ربنا براءة شلبة •حرية •مرآة نفسى فيها نضوج مبكر •الحياة •الحب والعلاقة بالآخر فاتسى عجرم؟؟ •إطلاق الحياة •حياة حلوة • فكرة	•لعوب •جنس عارم •قلة أدب •شقاوة	شباب	الحلم	تفسخ

هذه الطبقة من النفس قد تكون أقرب إلى الفطرة وهى تلامس فى نفس الوقت ما يسمى الغريزة (الطاهرة الفاجرة)، وبديهى أنه يصعب على الشخص العادى أن يتصور اجتماع هذين النقيضين (ظاهرا)، إلا أن اجتماعهما -على عمق بذاته- هو أكثر تواترا من كل تصور، بل إن البديل عن قبول تواكبهما هو: إما الاختزال، وإما الإنكار والتجنيب.

التجربة التى أجريناها فى ندوة المقطم هذا الشهر بدأت من واقع ما رددت به على د. أميمة رفعت فى باب "استشارات مهنية" عن حالة وصفت أنا سلوكها فى ردّى بأنه "مزيج من الطفولة والجنس والجسارة"، ثم عدنا نمد النقاش والتجريب إلى مزيد **من اختبار احتمال خنق المشاعر داخل ألفاظها**، ومن ثمّ الحيلولة دون استيعابنا لتنويعات المزيج بينها كما ذكرنا حالا.

أجرينا تجربة مع بعض من تطوع من حضور الندوة، بأن طلبنا منهم أن يسموا هذا المزيج الذى ورد فى التعليق على الحالة باسم واحد، أو بعبارة قصيرة، فجاءت النتائج كما هو مبين فى الجدول الأول.

حين رحنا نقرأ النتائج لم ننجح أن نصنف أية مجموعة من الاستجابات مع بعضها

البعض تحت اسم بذاته، فجعلناها فى خمسة مجموعات دون تسمية كما هو مبين فى الجدول الأول أيضا.

ثم تمادينا فى التجربة بطرح بعض "المزج" العشوائى (تقريبا) حتى نتأكد من هذا التحدى الذى علينا أن نضعه فى الاعتبار أثناء تسمية عواطفنا، وقد جاءت النتائج على الوجه المبين فى الجدولين الثانى والثالث.

إنوثة + إثارة + برود				
1	2	3	4	5
•مثقف •مت نكرف •غنج •مت منحرفا •إمرأة شريرة	•نجمات السينما •الزوجة الحسرية	المستقبل؟		

تدلله + ذكاء + سلطة				
1	2	3	4	5
•سيدتنا •حكامنا مجمل مبارك	صديق خلن	كهنوت وتطرف •المطروح فى السوق		

مثل + طفلة + ثروة				
1	2	3	4	5
جنس	• جلي الآن وذا لصلمي بيها • تزويبا			

دين + تحولة + ثروة				
1	2	3	4	5
تحدد الزوجات	بتقطا			
•صاحب التوجيه والنور				

ليس هذا موضوعنا الآن، لكننى أردت أن أوضح فيما يتعلق **بفقه العلاقات البشرية:** إن التعامل مع العلاقات البشرية تحت لا فتات اسماء العواطف، ليس هو بالضرورة اقرب ولا أصدق قنوات التعامل. إن ما يجرى بين الحيوانات مما حفظ بقاءهم لم يكن له أسماء غالبا، ولكن الكائنات التى نجحت ألا تنقرض (مرة أخرى: واحد فى الألف عبر تاريخ الحياة) قد نجحت أن تتواصل دون تسمية المشاعر التى تواصلت بها.

فى هذا المستوى من الوعى، أطلّ علىّ التحدى هذه اللوحة، إذْ وجدت وراء باب الحكمة (الحلقة السابقة،هذا المستوى الغامض الواعد الساحر المغرى، فوصفته كما سبق، لكننى اسرعت بنقد ما وصلنى من حيث أنه لو استقبلنا ظاهره وحده كما يبدو، استقبلناه استسلاما لغواية **غموضه ووعوده**، قد يكون **خدعة لا تخدم عمق العلاقات البشرية**، إذ قد نلتقط مما يصلنا الجانب السهل الظاهر من التشكيل، وبالذات من النظرة،

هيا نقرأ كيف تشكل الاحتجاج والنقد "فى المتن" لهذا الاحتمال:

جرى إيه؟
الواحد كان حايصدق، وكإن الصورةْ حقيقـَـهْ؟
يا أخينا:
مين المسئول عن بعضينَا ؟
عن أكل العيشْ؟
عن قتل الغدر؟

عن طفل عايزْ يتَربَّى وسْط المْكَن، القِرْش الدّوْشَه الدّمْ؟
عن جوع الناس؟
عن بيع الشرف الأمل ألبُكْرَه: امبارح؟
وأبصّ لْهَا تانى واقول:
بالذمه بتضحكى على إيه؟
دى البسمة الحلوة الرايقة المليانَـهْ حنانْ .. وخلاصْ،
يمكن تبقى مصيبه الأيام دِى!
حا تخلّى الواحد يتهيأ لـُه إن الدنيا بخير، وينْامْ،
يحلم بالجنه...،
وخلاصْ!

فى العلاج النفسى، وخاصة العلاج الجمعى، نتواصل مع بعضنا البعض بالألفاظ بداهة، إلا أن ثم تواصل آخر يجرى طول الوقت من خلال قنوات أخرى، لا نعرف أغلبها، ولا نعرف أنها نجحت أم فشلت إلا من خلال نتائجها كما ذكرنا مرارا من قبل.

هذا المستوى الذى ظهر لى هكذا فى هذه اللوحة يعلن بوضوح أن التواصل البشرى لا يتم، وبالتالى يصعب أن يكون بناء وحقيقيا وخليقا بما هو إنسان، إلا على مستويات متعددة، ومنها، أو لعله أهمها **هذا المستوى الغامض الواعد** هكذا. علينا إذن أن نحترم الألفاظ التى نتبادلها فى العلاج وغير العلاج، لكن علينا أيضا ألا نتوقف عندها، ولا نقدس مضمونها الشائع فى نفس الوقت، خذ مثلا الالفاظ التى تعبر عن الحب على ناحية، وتلك التى تعبر عن الحقد (مثلا) الناحية الأخرى، حين يقول أحدهم لآخر "أنا احبك.." فى العلاج (الجمعى خاصة) أو فى غير العلاج، فى الحياة العامة، يمكن أن نتساءل، دون أن نشكك، عن: ماذا تعنى - بالضبط- هذه الكلمة! "الحب"،

القراء والأصدقاء الذين واصلوا معنا اللعب (النفسى) فى هذه النشرة منذ نشأتها، لا بد قد تعجبوا لما أظهرته هذه الألعاب من تصالح مع عواطف نعتبرها سلبية، مثل الكراهية، وأيضا لابد أن أى صديق شاركنا قد تحفظ -معنا- على المبالغة فى تقديس ألفاظ قد لا تكون لها حق فى أية قدسية،

إن قبول التناقض، وتحمل الغموض tolerance of ambiguity هو أساس حركية الإبداع على سواء مسيرة النمو، أو على مستوى الإنشاء التشكيلى، أو على مستوى النقد. فى أطروحتى عن العلوم النفسية والنقد الأدبى & والتى ظهرت أيضا فى كتابى "تبادل الأقنعة"، أخذت على عباس العقاد الذى يعد ناقدا رائدا، عجزه عن استيعاب تناقض العواطف خاصة فى نقده الرائع لابن الرومى، فقد استقطب ذلك التناقض الذى:

..... تتشكل منه المسيرة الولافية التى لا يمكن استيعابها إلا باحتمال رؤية - وممارسة - ومواجهة الضدين للتفاعل الخلاق والتوليد التصاعدى. لكن يبدو أن العقاد لا يحتمل ذلك أصلا، فاهتمام (العقاد) المفرط بتأكيد نمط محدد للشخصية إنما

يشير إلى موقفه الساكن، ومن ثم تسكينه لما يرى وبالتالى : الميل إلى الاستقطاب أو الاختزال. العقاد يميل غالبا إلى إفتراض رجحان أحد الضدين، وهو يلتمس التأويلات لظهور الضد المقابل. على سبيل المثال نراه يفسر شهادة ابن الرومى على نفسه بالحقد بأنه ادعاء للحقد وليس حقدا، أو بأنه لتخويف الناس من قدرته على الحقد، أو بأنه كان يتعاطى صناعة البرهان فأحب أن يمتحن قوته فى المنطق والفلسفة ويستشهد على ذلك - ضمن شواهد أخرى - بأن ابن الرومى قد ذم الحقد كما مدحه. وكل هذه الاستنتاجات والدفاعات تشير إلى أحادية زاوية الرؤية نتيجة للعجز عن استيعاب الحركة الجدلية، وعن عدم تحمل مواكبة "قفزات النمو الكيفية". وقد يرجع ذلك إلى شخصية العقاد الصارمة - برغم موسوعيته - كما قد يرجع إلى منهجه الفكرى الذى يميل فى أحيان كثيرة إلى الإفراط فى "الالتقاط - فالتعميم". ..... ولكن من أين لابن الرومى أن يقول:

وما الحقد إلا توأم الشكر فى الفتى وبعض السجايا ينتسبن إلى بعض

(إبن الرومى).... قد أبلغنا رؤية متداخلة لا فكاك من الاعتراف بأنها إنما تعلن لحظة حدس عميق، اكتشف فيها الشاعر المبدع كيف ينتسب الحقد إلى الشكر والعكس بالعكس. وهذا الانتساب لا يقتصر على وحدة الأصل بل على ولاف المسار. (وقد) .... ذهب العقاد ينفى بالحجة تلو الحجة حقد ابن الرومى أصلا، ويذهب إلى أن اعترافه به أدل على عدم وجوده. والناقد هنا أوْلى باللوم من الشاعر: ذلك أن "حركة" بصيرة الشاعر المخترقة لطبقات وعيه ذهابا وإيابا قد تفرض عليه رؤية ما لا يُحتمل وقد يتراجع، وقد يعود، وعلى الناقد أن يواكب "حركته" هذه، لا ليبرر تناقضاتها ويرجح أحد شقيها، وإنما ليجمع مفرداتها فى كل جديد لم يقدر الشاعر بفيض صوره أن يلم به. العقاد بتفسيره النفسى الأحادى البعد، اضطر إلى تثبيت عامل غالب يقيسه بمقياس محدد الوحدات، وأغفل - مضطرا فى الأغلب - الوضع الدائم النمو لما هو شعر وشاعر، حيث تكون الصفة الأساسية هى عنف الترحال بين الداخل والخارج، وسرعة الانتقال من "مستوى رؤية" إلى "مستوى رؤية آخر"، إلى مستوى سلوك،

هذه اللوحة، على هذا المستوى من الشعور تعلن بوضوح أهمية استيعاب الكائن البشرى لمستويات من التواصل، **ليس لها اسم من ناحية**، كما أنها كثيرا ما تكون مزيجا مما لا نقبله عادة إلا استقطابا.

يختتم المتن تشكيل هذه اللوحة بالتحذير من الاستسلام إلى تأثير ظاهر السهولة التى تصلنا من عيون الجيوكانده، وذلك بتعرية مبالغ فيها لما وراء هذه الابتسامة الواعدة.

وعشان أبـْعـد تـأثيرها:

قهقهت كما بـْتـُوع الحـتِّـــهْ،

فى المُـــولـــدِ.

بـضِّيتْ لـــلصـُّورَهْ،

طَلَّعتِ لـْسَـانـِى:

تـكشِره امّال ..! .. كـــدِهــُه!

تـبويـزه امّال ..! .. كـــدِهــُه!"

وتـغيظنى ولا تـــبـــوزش.

وأنـا أعمل عقلى بـعـقـلـيـــهـا من كـــتر الـغـــيظ،

"بـــلا نـيـلـة بـتضحكى على إيـه؟"

نـلاحظ فى هذا الـتشكيل المتعدد الـطبقـات أن الانـتقـال من مستوى إلى آخر، يـتم بـعد تـعرية المستوى الـذى بـدا وكـأنـه غاية المراد، كما نـلاحظ أن الـتعرية تـبلغ عادة من الـقسوة ما يـكاد يـنسينا دور هذا المستوى من الـوعى فى تـشكيل الـعلاقـات الـبشرية، وهذا خطأ بحت، فـلـيس معنى أنـنا نـعرى مستوى فـنكشف حدود دوره دون أن نـرفـضه، أن نـنكر موقـعه ودوره، كل المطلوب هو ألا نـتوقـف عنده أو نخدع بـظاهره، إن تـعريـتـه لـيست سوى تـنبيه لما بـعد ذلك، لـنقـبل الـتعدد لـنؤلـف بين المستويـات أبـدا على طريـق الـنمو.

وهكذا يـلوح لـنا من جديـد فى نهايـة هذا الـسرداب أيـضا، وقـد كـنا نحسبه نهايـة المطاف، بـاب جديـد، يـغرى بـتواصل حركـتـنا إلى مستوى وعيٍ أعمق هكذا:

وأحاول اشوّه ضحكتها، وأغطيها،

يـا خرابى !!

الـصوره دى رخره بـتـتحرك،

وبـيـفـتح بـاب:

وإلى الحلقـة الـقـادمـة والأخيرة، بـالـنسبـة لهذه الـلـوحـة، نـرى مـا وراء هذا الـبـاب،

وإلى أى سرداب آخر يـقـودنـا.

الإربعـــــــاء 17-02-2010

901-أبـــــــواب وسراديـــــــب (4 من 4)

هذه الحالات ليست حالات إكلينيكية واقعية، ولا حتى متخيلة بشكل روائى شعرى مطلق، ولا هى تصف أشخاصا بالذات، إنها من وحى الفروض العلمية العملية التى استلهمناها من مزيج من الحالات المرضية، والأصدقاء المشاركين، وتراكم الخبرة، وإلهامات الأسطورة الذاتية للمؤلف.

مقدمة:

اكتشفتُ مصادفةً أثناء بحثى فى حاسوبى أننى قمت بتحديث بداية هذه القصيدة بإضافة ستة أسطر لم أثبتها فى الحلقة الأولى من هذه السلسلة "أبواب وسراديب" (1 من 4)، وقد أرجعت سبب هذه الإضافة إلى أننى فزعت من نهاية هذه اللوحة (التى تمثلت فى العثور على طفل فى آخر سرداب وهو يبكى إذْ يتقلب فى "ماء النار"، وقد تجمد جلده (صدف ومحار) وهو لا يستطيع أن يصرخ، ولا حتى أن يموت، ومن هول هذه النهاية رجّحت أن تكون رؤيتى هذه هى مبالغة شديدة نتيجة الخوف من أن يكون هذا هو حقيقة داخل داخلنا إذا مضى الأمر هكذا، وقد تمنيت أن أكتشف خطئى: "أنا نفسى أطلع غلطان" حتى لا أرى كل هذه التشوية الذى يمكن أن يلحق بفطرتنا لأننا لا نراها أصلا، من فرط رعبنا أن نرى الحقيقة ("طفل بيتشوه، من كثر الخوف وسط العميان").

هل يا ترى نجحت هذه المقدمة المضافة أن تخفف من هذه الرؤية المتألمة المرتعبة؟، هل يمكن أن ينجح هذا الاستدراك فى أن يفتح باب الأمل، إذا نحن غامرنا بالتعرف على بعضنا

البعض بما هو نحن "خلقة ربنا"، وبالتالى استطعنا أن نحمل أمانة "أن نكون معاً"، بأقل قدر من إلغاء أحدنا للآخر، وبأكبر من قدر من التحمل للاستمرار، وبالتالى نستحق أن نكون بشرا بحق إذ نتعرف على حقيقتنا الجميلة؟؟

نبدأ هذه النشرة الأخيرة بتلك المقدمة المزيدة وأيضا سوف أنهى الحلقات بها، تأكيد الترجيح الأمل، مهما بلغ الخوف من احتمال مرارة الحقيقة العارية:

ما تيالاّ نقايس نستحملْ، نفضل مع بعض،

دا الموت الوغد بيتسحب من تحت الأرض،

إنما فيه بذرة منسيّهْ،

مِسْتنية،

نرويها نشوفها انها هيه،

تكبر، تمتد!

بهذه السلاسة، تصورت أن المسألة، برغم كل السراديب الخادعة والنهاية المرعبة، لا تحتاج منا إلا أن نتذكر ما نسيناه، وما أنسانا إياه إلا الرعب والجشع الشيطانى أن نذكره، يبدو فعلا، كما يقول المتن فى هذه المقدمة أن كل ما علينا هو أن نُقِرّ بوجود هذه الطبيعة الجميلة الحيوية كأصل للوجود البشرى، وأنها قابلة للنمو والترعرع بمجرد أن نعترف بها ونطلقها على سجيتها معاً "بذرة منسية، مستنية، نرويها نشوفها انها هيّه، تكبر تمتدْ.

وبعد

بعد جرعة التخفيف هذه، ربما يمكننا أن نتحمل أن نواصل فتح آخر الأبواب، الذى فتح لنا حين حاولنا -ساخرين- أن ندفع بخدىّ "الموناليزا" إلى أعلى حتى تمحو ابتسامتها الغاوية الغامضة الواعدة، وإذا باللوحة تتحرك، ونكتشف أنها هى هى الباب الأخير، الذى يظهر من ورائه سرداب يؤدى إلى هذه الصورة هكذا:

....

والساحر قاعد متّــاخِــر،

والآخِــرْ، ما بايلنْــلوش آخِــر.

وعيونه بتوعدْ،

من غير وعد.

يا ترى حانــلاقى قلب نضيفْ وصغيــّر وبرىء ،

كما قلب العصفور فى الجنة؟

ولا حانــلاقى نقايــة مــشمــش، مافيهاش ريحــة الــروح.

واذا حـتـــى اتكسرتْ، مرارتْهَـا صـعْـب ؟

ويـأتـى الجواب بظهور ما وراء هذا الـبـاب الأخير وهو تـشكيل يـعلن الـتحذيـر من المراوغة وإخفـاء الـبشاعة وراء وجه أمـلس ، بـالـغ الـبراءة، أو حتى هو يـورى كـأنـه الجمال الخادع، كل هذا تجسد لى فى اسطورة "دوريـان جراى"

الـشاب وسيم وحليوه .. واقف مـــنـطور،

والـوش بـريء ربـــانـــي.مافيهوش ريحة الـتعبير،

لـكنْ بـايـنْ، وكـإنـه جميلْ،

واسمه "دوريـان"

هوا انـتِ؟ إلـصوره ايـاها؟

ودا صاحبك إلـلى اتمنى ف يـوم يخدعنا

مـا تـبـانـــشـى عليه بصمات الـسن،

ولا خـــتم الـشـــر، ولا صـــوت لـــضمـــير.

وان كـان لازم تـتسجل كل عمـايـــلـــه:

راح عـامل صورة يـبـان فـيـهـا الـتغيير.

وكـإنـهـا صـــورة الحـــق الجـــوانـــى الـــبـــشع الـعـــريـــان".

قصة صورة "دوريـان جراى" لأوسكار وايـلـد" أشهر من أن تحكى، فـكرت أن أكـتب مـوجـزا لهـا، إلا أنى اكـتفـيت بما ورد فى المتن هنـا، أمـا ورود هذه الـصورة على هذا الـعمق الـرابـع فى هذا الـتشكيل، فـكـان تـعبيرا عن أن هذه الـبراءة والهدوء والـتلمـيح بـالخلود فى المستوى الـسابـق (مـونـالـيـزا)، لا يـدل على عجز فـقط عن مـواجهة الـواقـع بـل إنـه قـد يخفى وراءه نـقـيضه تمامـا

هذه الـقضية تـواجهنى بـشكل مـؤلم يحذرنى كـثيرا من تـصديـق ظـاهر رقـة الـنـاس وبـراءتهم فى مجتمع قـاهر قـاس كـمـا هو حـالـنـا الآن، وقـد تـكـرر إعلان شكى فى أكـثر من نـقـطة وصورة فى هذا الـعمل (راجع مـثلا الـعين الـرابـعة نـشرة 29-9-2009 " نحب؟ أم "نـلـعب حبـا"؟)، ونـشرة "الحب بـالـراحة"

الحذر من هذه الـصورة الـبريـئة والـبسمة الـفطريـة الـساحرة.. هو حذر، الانخداع بها وهى تخفى وراءهـا الـوجه الآخر لـبشاعة الـوجود إذا استسلمنـا لهـا ولم نـعتبرها مجرد بـدايـة لـرحلة الـنمو والجدل فى مـواجهة بـشاعة تـشويـه الـتركيب الـبشرى حين تـنفصل طبقـاتـه عن بـعضهـا الـبعض، فـتصبح عرضه لـنهش أى ظـالم مـفـترس.

بـعد كل هذه الـرحلة الـطويـلة والافتراضات المتلاحقة، تـركنى صاحب هذه الـعيـون فى حيرة من أمـره لا أدرك مـاذا يـقـبع فى سراديـب أغواره فى نهايـة الـنهايـة، بـصراحة، عزوتُ هذا الـغموض

بسبب تكثيف كل هذه الطبقات هكذا، إلى أنه قد أسقط كل ضعفه وشره وقسوته ونوازعه على شريكه هذا وهو (هى) أقرب الناس إليه .. وبذلك بدا هو رائق رقيق ملغز، فى حين بدا هذا القريب الحميم مشوها عاجزا.. وهذا أشبه بما يعرف فى الطب النفسى بالجنون المُقحم Folie imposé الذى قابلته متواترا فى خبرتى فى ثقافتنا بالذات حين رحت أشاهده فى بعض حالات الإدمان التى أسميتها "الإدمان بالنيابة" حين يدمن الابن نيابة عن والده، أو بعض حالات الانفلات الجنسى بالنيابة حين تنحرف البنت "نيابة" عن أمها ...الخ

وبعد

لقد أردت من مجمل هذا التشكيل هنا أن أوضح مدى الصعوبة فى إدراك طبقات النفس حين تغطى إحداها الأخرى وكيف أن علينا ألا نتوقف عند مستوى تحتّى وكأنه نهاية المطاف مهما بدا مفاجأة، فربما وراءه ما هو أكثر غورا وأهم دلالة.

الفقرة الأخيرة فى المتن كانت من البشاعة والإرعاب ما جعلنى أخففها بالمقدمة المزيدة التى جاءت فى أول هذه النشرة، والتى سنكررها - كما قلنا - فى نهاية القصيدة أيضا.

إنما دى الصورة هنا مايعه ؟.

ما يكونشى جواها البِشـــعه؟

أقلـــبـــها:

يظهر لى الباب الأخراني.

دا مفيش ورا آخر باب، ولا أوده ولا بواب!!

(5)

والاقيلك بحر التيه، من تحت البحر الميت،

والطفلة الغلبانة بتبكى، ولا حد شايـــفـــها .

والميه مية نار، والجلد صدف ومحار،

لا هى قادره تصرّخ، ولا راضية تموت.

يا ترى يا جماعه الطفله دهه "صورة، صورة" دوريان؟

ولا انا غلطان ؟

أنا نفسى أطلع غلطان،

أحسن ما أشوف:

طفل بيتشوهْ،

من كتر الخوفْ،

وسط العميانْ.

ملحق الحلقة الأخيرة

اعتذاراً عن احتمال تشويه المتن الشعرى بهذا التشريح الشارح للأسف، نختم حلقات هذه اللوحة - كما فعلنا فى الحلقة الأولى- بإعادة نشر المتن مجتمعا بعد ما أمضينا معه شهرا كاملا نفتح أبوابا، ونتوه فى سراديب،

لعل فى الإعادة فائدة أن تتصدر القصيدة تلك الفقرة المزيدة التى تتركنا آملين بكل المسئولية والتحدى والحفز للفعل معاً، وأيضا أن ننهيها بها، وكأننا نضعها بين "قوسين من الأصل القادر"

(1)

ما تيالاّ نقايس نستحملْ، نِفضَل مع بعض،
دا الموت الوغد بيتسحب من تحت الأرض،
إنما فيه بذرة منسيّة،
مستنيّة،
نرويها نشوفها انها هيه،
تكبر، تمتد!

(2)

وعيون عمّالة بتوعدْ من غير وعْد.
بِتْشاوِرْ: على باب مكتوب فوق منه:
"سرداب السعد"،
بوابة تصب فْ بوابةْ،
والجنَّى بينفُخْ فى الغابةْ،
والبَنُّورةْ قْدَّام الساحر،
والآخِرْ: ما بايِنْلُوشْ آخِرْ.
يا ترى حانْلاقى قلب نضيفْ وصْغّير وبرئ،
كما قلب العصفور فى الجنّة،
ولاّ حانْلاقي نَقَايَةْ مِشْمِشْ، جامدة وخايفه وملمومة
واذا حَتّى اتكسرت، مرارِتْهَا صَعْبْ؟

(3)

ولقيت فى الأول صورة البومة
بتبصْ، وتبحلقْ:

وتقول جرَى إيه؟
بتبصُّولِى ليهْ؟
أنا مالِى؟
حوَالىّ خراب؟
دا خرابـْكُم إنتمْ.
دانا كترَّ خيرى.
عماله بازَعق وأقول:
"فيه لسَّه حياة .. حتى فى خرابهْ".
تكونوش عايزينْهَا،
تِخْرَب فى السر؟
"خليها تعدّى"، "خلّيها تمرّ" !
ولا حد ينبّه، ولا حد يزنّ
والإسم حياة، والفعل " كإن"
وبدال ما نغيّر، نِحْكِى ونفنّ ؟

(4)

وِأقَرَّبْ أكتر مالصَّوره،
وأبص ف عين البومه.
واستغرَب!
دى عيونها إزاز.
عاملين كده ليه؟
حسِّس، جرَّب، يمكن،
وألاقى العين مش عين،
دِى زْرَار،
وأجرّب أزق. تتحرك كُلِّ الصوره،
والباب التانى يْبان:

(5)

الشيخ قاعدْ وِشُّهْ منوّرْ،
مركون على عصا بيفكر.
وعنيه بتشع الحكمة.

دا شبــهْ سيدنـا سليمـان
وعيـالْ لايّـامْ دِى غـَلاَبــَهْ،
لافى عَـصـَا تــرْحَـمْـهُم ولا حـِكْمَة،
مـِن مـَسَّ الجـَان
والجان أيَّـامْنَـا، لابسين جلد الإنسانْ.
ولا عاد بـِيْهم الـواحد منهم سورة "الـكرسى"،
ولا سورة "الـنـاسْ".
والحكمة مـَا مَـاتـِتْ مـِنْ مُدَّه.
مـا فـاضلشى إلا الحكمة الموضه،
تِـلقَـاهَا مَـلْفُوفـهْ،
حوالـين جِتَّة شكولاتـهْ، جوّا الـصالـونـات.
- إلحقنـا يـا عمّى الـشيخ شُفْــنَـا .
- "ألحقكو ازاىْ؟
إنت اهبل؟ ولاّ بْــتـِسـتهِبلْ؟
دَانــَا صورهْ".
وأبُص كويـسْ.
"دى الـنملة بـتزحف فى بـيـاضهـا".
وعيون الحكمة الـصابـرة الـغرقـانـة فْ بحر آلام الـنـاس،
تـستنجد بِىَّ:
- إعمل معروف شيل الـنملة دى بـتقـرصنى،
دَانـَا صوره، دَانــَــا ميِّــتْ،
وعَصاتـى الـسوسْ بهدلها،
حانْكِفـي عـَلـَى وِشِّى تَـو مَـا تـبقى دِقـِيقْ،
والـكل حايـفـرح.
"دقِّــى يـا مزيـكـا ،
شِّمنـا يـا ويـكـا".
"إعمل معروف شيل الـنملة" .
وِأحاول اشيلـها،
أتـاريـها الـتـانـيـة زرار،

والـبـاب المسحوْر بـيْـــزَيـَقْ.

(6)

هوّا انْـتِ؟

بـالـبسمة الهاديـهْ الـنـاديـةْ،

والـعين الـلى بْـتجرِى وراكْ بِحنـانْـهـاَ،

وْبـتـــنِـْدهـَـلـَـك مـاطْرحْ مـاتْـــرُوحْ.

هوّا انـتِ؟ مونـالـيـزا الـطـاهرة الـفـاجرة؟

الـواحد عـايـز إيـه غير بـسمة حُبْ، وِحنَـان،

والـصدق الـدافِ وْكُلّ الـطيبَهْ يـــْـلِـفـــُّـــونى،

وكإن الـشر عمرُه مـا كـان.

وكإن الـدنـيـا أمـان فى إيمان،

وكـإن الـبسمه الـصادقـة تْـدَوِّبْ أيـهـا حقـد، وأيـــُّـــهَـا خوف.

....

جرى إيـه؟ الـواحد كـان حـايصدق، وكـإن الـصورةْ حقـيقـَـهْ؟

يـا أخيـنـا:

مين المسئول عن بـعضيـــنَـا؟

عن أكل الـعيشْ؟

عن قـتل الـغدر؟

عن طفـل عـايـزْ يـتَـربـَّى وِسْط المْكَنِ، الـقِـرْشْ الـدَّوْشَه الـدَّمْ؟

عن جوع الـنـاس؟

عن بـيع الـشرف الأمـل ألْـبُـكْـرَه: امـبـارح؟

وأبـصّ لْـهَـــا تـانى واقـول:

بـالـذمه بـتضحكى على إيـه؟

دى الـبسمة الحلوة الـرايـقـة المـلـيـانـَـهْ حنـانْ .. وخلاصْ،

يمكن تـبقى مصيبه الأيـام دِى!

حا تخلّى الـواحد يـتهيأ لـــُه إن الـدنـيـا بخير، ويـنْـامْ،

يحلم بـالجنه...،

وِخلاصْ!

وعشان أبـــْعـــد تـأثـيرها:

قهقهت كما بْـتُـوع الحـتِّـــهْ،
فى المُـــولـــدْ.
بضِّيتْ لـــلصُّورَهْ،
طَلَّعتِ لـْسَـانـِى:
تكشيره امّال..! .. كـدِهـُه!
تبويزه امّال..! .. كـدِهـُه!"
وتغيظنى ولا تـبـوزش.
وأنا أعمل عقلى بعقليها من كتر الغيظ،
"بـلا نيلة بتضحكى على إيه ؟"
وأحاول اشوه ضحكتها، وأغطيها،
يا خرابى !!
الصوره دى رخره بتتحرك،
وبيفتح باب:
(7)
الشاب وسيم وحليوه .. واقف منطور،
والوش بريء ربانـي.مافيهوش ريحة التعبير،
واسمه "دوريان"
هوا انتَ الصوره اياها؟
ودا صاحبك إللى اتمنى ف يوم يخدعنا
ما يبانـشى عليه بصمات السن،
ولا ختم الشر، ولا صوت لضمير.
وان كان لازم تتسجل كل عمايله:
راح عامل صورة يبان فيها التغيير.
وكإنها صورة الحق الجوانى البشع العريان".
أقلبها:
يظهر لى الباب الأخراني.
دا مفيش ورا آخر باب، ولا أوده ولا بواب!!
إنما دى الصورة هنا مايعه ؟.
ما يكونشى جواها البِشعه؟

والاقيلك بجر التيه، من تحت البحر الميت،
والطفلة الغلبانة بتبكى، ولا حد شايفـــها.
والميه مية نار، والجلد صدف ومحار،
لا هى قادره تصرخ، ولا راضية تموت.

يا ترى يا جماعه الطفله دهه "صورة، صورة" دوريان؟
ولا أنا غلطان؟
أنا نفسى أطلع غلطان،
أحسن ما اشوف:
طفل بيتشوه،
من كتر الخوف،
وسط العميان.
ثم نعيد المقدمة، الأمل، التراجع إلى الأمل:
ما تيالاّ نقايس نستحملْ، نِفضَل مع بعض،
دا الموت الوغد بيتسحب من تحت الأرض،
إنما فيه بذرة منسيّة،
مستنيّة،
نرويها نشوفها انها هيه،
تكبر، تمتد!

الإربعـــــــاء 24-02-2010

908- فانـــــــــوس ألـــــــوان

دراسة فى علم السيكوباثولجى
فى فقه العلاقات البشرية
لوحات تشكيلية من الحياة والعلاج النفسى
شرح على المتن : ديوان اغوار النفس

هذه الحالات ليست حالات إكلينيكية واقعية، ولا حتى مُتخيلة بشكل روائى شعرى مطلق، ولا هى تصف أشخاصا بالذات، إنها من وحى الفروض العلمية العملية التى استلهمناها من مزيج من الحالات المرضية، والأصدقاء المشاركين، وتراكم الخبرة، وإلهامات الأسطورة الذاتية للمؤلف.

فانوس ألوان

(ضبط جرعة التعرية والرؤية)

مقدمة:

هذه اللوحة تشكيل جديد يحذر من التمادى فى تعرية الذات، أو الآخر، تحت زعم صدق الرؤية، وتعميق البصيرة، لدرجة قد تصيب صاحبها بالعجز عن التغيير الممكن فعلا، هذا ما أسميته فى شرح سابق "الرؤية المرة"، أو "الصدق المعوَّق". كانت محاولات هذه السيدة بوجه خاص محاولات عنيدة وهى تصر على مواصلة الكشف دون حذر، وكنت أحيانا أتمنى لها العمى، وأحذرها من أن فرط بهر النور قد يعشى البصر. لكن، والحق يقال، كانت كلما ازدادت صدقا، زاد إصرارها على مواصلة الرؤية، دون الانتباه إلى ضرورة التناسب اللازم بين ثالوث **"الرؤية- الحفز- الفعل"**. كانت حركية الجماعة التى تحاول معهم نفس محاولتها، ولكن بدرجات مختلفة، تجذبها إلى صحبتهم متصورة أنها كلما رأت داخلها، وواقعنا أكثر، كانت أقرب للطريق السليم الذى نحاول السير فيه، واقدر على التغيير اللازم لذلك.

فى نفس الوقت لم تكن تنكر أن هذه الرؤية مؤلمة غاية الألم، ويبدو أنها كانت تكتفى بالألم تكفيرا، عن المسئولية فعلا، وحين كانت تستعبط لتوهم نفسها أنها لا ترى ما ترى، كانت سرعان ما تكتشف أنها تكذب على نفسها أولا، فى محاولات تعمية نفسها بأى مستوى من الوعى، بلا طائل، وكان كل ذلك يجعلها تخاف أن ترى أكثر، وتخاف أن ترى أقل (تعمى)، تخاف أن تتألم أكثر، وتخاف أن تتبلد فتنخدع، كانت تحافظ على المسافة بينها وبين أى آخر، دون أى استغناء، وأيضا دون أية مغامرة باقتراب أكثر.

والنظره دى صادقهْ، وْمحتاره، وْخايفهْ؛

خايفهْ مِنْ الصَّدق وكُثْر الشّوفْ المُر.

خايفه مِنْ بُكَرَهْ.

عمّالَه بتقول:

"نفِسى آجى معاكُو.. حتى ماشيَه حافيهْ

بس شوك الأرض بيَخزَّقْ عِنَيّهْ.

نفِسى اغَمّضْ، نفسى أعْـمَى.

بس برضُه الشوكْ فِى قَلْبِى،

حتى لو قلت الضلام ستر وغطا،

أبقى شايفه .. إنى عاميه".

وحين كانت تبلغ درجة قصوى من الخوف والألم وبهر الرؤية، كانت تحاول أن تشكك نفسها فيما يجرى، بما فى ذلك ضرورة أو جدوى أو معنى هذا الكشف المتلاحق، فتحاول أن تسمح للشك فى صدق الجارى ولزومه أن يتسحب إلى داخلها، وهى لا تشك فى الآخرين بقدر ما تشك فى نفسها، بل وأيضا فى رؤيتها شخصيا، أعنى فى صدق رؤيتها، لا فى فاعليتها أو ما يترتب عليها .

والشك الشوك بيشكشِك:

"مش يمكن كل كلامكو الصح: مش صح؟

مش يمكن أنا باعملّكوا فخ؟

مش يمكن باكْذب.

لاجْلَ أهْرَب والعبْ..؟

هذه كلها صورة مؤلفة تسمح لى أن أبين كيف أنه فى العلاج النفسى ينبغى الحذر من هذا التعميق فى الرؤية بجرعة أكبر من القدرة على استيعابها، ويعتبر ضبط جرعة التعرية بتهيير الدفاعات النفسية المعيقة (وأحيانا العادية) من أصعب مهام المعالج، أصعب كثيرا من ضبط جرعة العقاقير حسب مرحلة مسار العلاج، ثم إن ضبط جرعة الرؤية لا يلزم بالنسبة

للمريض فحسب، بل هو يشمل المعالج أيضا وباستمرار، ولا توجد مؤشرات، أو خطوات، أو تعليمات محددة تُحفظ فتنفذ، فتساعد المعالج على ضبط جرعة تعرية المريض بل والمعالج أيضا. المعالج هو دائم التجربة، دائم المراجعة دون تردد، هو يعمل على استيعاب كل جرعة أولا بأول، وعليه ضبط الخطوة تلو الخطوة من خلال النتائج المرحلية بخبرته المتنامية.

أحيانا، من فرط جرعة الرؤية يتعامل المريض معها، بشكل قد يخدع المعالج، وذلك باللجوء إلى استعمال ما تيسر من ميكانزمات أخرى أهمها العقلنة، وأحيانا تقوم هذه العقلنة بتعطيل مسار العلاج بقدر أكبر.

فى العلاج الجمعى بالذات قد تخدع آليه "العقلنة" كلا من المعالجين والمرضى على حد سواء، وقد يطمئن صاحب هذه الرؤية إلى انبهار الآخرين بقدرته على الغوص ليس فقط فى داخله، وإنما فى داخلهم، بشكل عميق ومخترق أيضا، وفى هذه الحالة قد يكون الاستمرار فى التصفيق (بمعنى فرط القبول بإعجاب وحماس) لهذه الرؤية هو ضد مسيرة العلاج النمائى بشكل أو بآخر. ثم إن بعض من هم مثل هذه الحالة قد يفخر بأنه يرى حجم سلبياته وطبيعة ميكانزماته التى عرّاها لدرجة تصور له أنه -بذلك - قد كفّر عنها، مع أن واقع وقفته منظّرا تقول إنه لم يخطُ بعد ذلك أية خطوة فى محاولة تغييرها، **وكأنه يعلن سلبياته ليثبتها لا ليتخلص منها.**

وحين ينتبه صاحب هذه البصيرة، المعقلنة جزئيا، إلى لعبة العقلنة والتكفير دون تغيير، قد يحاول أن يخفى بعض رؤيته هذه عن المعالج، وربما عن الآخرين، وأحيانا عن نفسه، لكنه عادة لا ينجح:

النـاسِ بتْحَاوِل تِخْفِى الِكْذب،

إنما صاحْبِتْنا بِتِخْفِى الصِّدْق.

والكذب حْبالُه طويلَهْ،

والصدق مصيبته تقيله،

هذا ما حدث مع صاحبة هذه اللوحة - تخيلاً- حتى تصورت أن محاولتها أخذت تتمادى فى كل اتجاه دون أن تعلَم أنها تدور حول نفسها، فطغت الحلول المثالية، والأحلام المؤجلة على كل ما يمكن أن يترتب على إدراك هذا الواقع العارى من حركة نمائية مسئولة، وبرغم ذلك يتواصل استمرار الرؤية المعقلنة، وكانت هذه السيدة تتخفى طول الوقت من الجميع ومن نفسها بكثرة النقلات بين التفاعلات والانفعالات المتنوعة الصادقة أيضا:

خُدْ عندكْ: حتة كدْب،

على نبضة صدقْ،

على رسمة حبْ،

على صرخة همْ،

على سكتة غمْ،

وتلخبط كل حاَجاتها على كل حاجاتها،

بالقصد.

فى العلاج النفسى حين يحدث مثل ذلك لا يكون عادة دليلا على خوض مأزق التغير بقدرْ ما يكون ربكة تعطل صاحبها وتخدع المعالج أو المجموعة بالتالى، ومن ثَمَّ لا يترتب على هذا الموقف أى تحفيز نحو التقدم للخطوة التالية.

صاحبتنا كانت تبدو أنها تلجأ إلى هذه الخلطة المقصودة المتنقلة بسرعة من حال إلى حال فلا تسمح لأحد بالاقتراب، لأنه يمكن حين يقترب الآخر أكثر أن يفاجأ بنقلة إلى موقع آخر، أو مشاعر أخرى، أو موقف آخر دون توقع فينسحب، وتطمئن هى إلى ثبات موقفها وموقعها محتفظة بمسافة من الأمان الدفاعى الحامى.

فى مثل هذه الأحوال تنجح الحالة أن تحافظ على تلك المسافة ثابتة بينها وبين "الآخر" (الموضوع)، أو على الأقل تتحرك فى دائرة مغلقة، أى أنها برغم ظاهر الاقتراب والابتعاد لا يتغير وضعها فى النهاية. وتزداد مقاومتها مع استمرار انسحابها أمام أى اقتراب، برغم حاجتها إلى الآخر "الموضوع"، بشكل متزايد.

وانْ جَهْ وَاحِد وْشاوِرْ عقله يقرّب:

تحرَن وترفَّمْ،

تضرب تْبِملـّمْ

وتعاند زى العيَّل لما يزق البزْ،

مع إنه جعانْ.

يتضاعف الموقف باللجوء إلى درجة من الاستعلاء حين تعلن لنفسها ولغيرها أنها تفهم أكثر، وترى أعمق، وتحس أصدق، وتفكر ألمع، وكل هذا يكون صحيحا من حيث القدرة على الفهم والوصف والتنظير، لكنه يكون غالبا بعيدا عن اختبار الواقع، فتهرب أكثر فأكثر فى المثالية التى نبهنا إلى سلبيتها فى أكثر من لوحة تشكيلية فى هذا العمل، ويظل الزعم بالمثالية هو المطروح والمسئول عن إطلاق الشعارات، والتعامل مع أحلام اليقظة الشاردة كأنها واقع محتمل:

وتقول أنا مخِّى مافيش زيُّه،

وتدوَّر عاللى مافيش زيُّه :

وتلاقى: "يسقُط شر الناس،

ويعيش الحب"

وخلاص.

- إزاى؟

- مِشْ شغلى.

المفروض أن مرارة الرؤية، وشوك المسيرة، هما الناتج الطبيعى لصدق الرؤية، وهما الدافع لحركية النمو، أمّا المثاليه المزركشه فهى عكس ذلك، إذْ ترسم الأهداف جميلة جذابة، لكنها تلحق ذلك بتعرية صعوبة الطرق الموصلة إليها بطريقة مبالغ فيها تجعل الوصول إلى هذه الأهداف يكاد يكون مستحيلا، فتُجل ذلك النكوص الطفلى ومزيد من المثالية، محل التوجه الهادف المسئول، دون التخفيف حتى من آلام كل ذلك،

وبجور المّر بْتِرْوِى الشوكِ الصبْر.

والبحر بعيدْ، ومالوش شطآنْ.

ولا فيش مقداف ولا دفّه،

ولا ريّسْ، ولا بمبوطِى.

كان من أكثر الأمور إيلاما لى ما واجهنى حين كنت أتابع صاحبة هذه اللوحة وهى تتمزق بين ما تراه من تناقض ظاهر بين أمومتها الطيبة، وبين طموحها المثالى الطوباوى تقريبا، وكانت تحاول أن تحل المشكلة بحل وسط، أقرب إلى التسوية المثالية المعقلنة الساكنة منه إلى حركية النمو الجدلية الواقعية المسئولة الأصعب:

والطفلة تشقّل فى اللفة وتقول:

رمضان اهُو جىْ، وحاقول وَحَوِى،

واستَنّى الفجر.

وليالٍ عشر.

وراح افتح طاقة القدْرْ.

وأطَلَّع منها فانوس ألوانْ.

بس كبير خالِصْ.

قد الدنيا بجالها.

ولاقِينِى قَاعْدَه فْ وسْط عِيالِى،

وعيالى كتار، وكبار.

يبقى حلّيتْهاَ يا حَلُلّى.

لا انا سِبْت غـَيالى،

ولا سِبْت الـنَّاسْ.

بصراحة، ومن خلال خبرتى، فى العلاج النفسى، لاحظت أن المريض الذى يصل إلى هذه الدرجة من الرؤية المخترقة المعقلنة معا، وفى نفس الوقت يتوقف عند هذه التسوية المثالية الساكنة، لا يحاول أن يهرب من رؤية داخله مها بدا شائها أو متمزقا أو مؤلما، قد ينجح أن يخفيه فقط عن الآخرين، بعض الوقت، حسب مقتضى الحال لا أكثر.

أحيانا تستعمل مثل هذه الرؤية العميقة المخترقة منطلقا لإبداع فائق، هذا إذا ما أفرغها صاحبها فى إبداع خلاق خارجه، حتى ولو على حساب نموه شخصيا، بمعنى أنه بدلا من أن يبدع ذاته من خلال ما رأى، يكتفى بأن يسجل بأدوات إبداعه تشكيلا جميلا جديدا بديلا عن إبداع ذاته،

وقد سبق أن ذكرت أننى قد مرت على فترة رفضت هذا الإبدال، لكننى عدت فقبلته باعتباره محطة قد تكون لازمة، ومفيدة، لكل من صاحب الرؤية المبدعة ومن يتلقى نتائجها على السواء.

كثيرا ما تختلط أجزاء رؤية الحقيقة مع محاولات إخفائها عن الآخرين بشكل مشوش مما يزيد الموقف غموضا، وقد يكون ذلك مقصوداً من عمق آخر، وبالتالى تتوقف مسيرة النمو بحل سلبى مختار نسبيا، فى هذه الحالة لا ينفع العلاج النفسى التقليدى عادة، لأن مثل هذه الحالة قد تعرف وتفسر كل ميكانزماتها أدق وأعمق من المعالج نفسه، أما العلاج النفسى المكثف المخترق فهو يقابل من صاحبة هذه الرؤية بعناد وتحد بلا هواده، وكأنها مبارزة تحدٍّ مستمر، وتصبح كل طاقة المريض موجهة إلى تملك ناصية الوعى والإرادة يستعملهما ضد أية محاولة تغيير أو اقتراب من الخارج. وبرغم هذا العناد القوى، إلا أنه لا يؤدى إلى أى حل حقيقى مهما نجح ظاهريا، فهو موقف تتصاعد مرارته باستمرار **نتيجة اصطدام حدة الرؤية، مع عناد الجمود، مع الخوف من الاستسلام والاعتماد على آخر، مع العجز عن النسيان والعمى، أو حتى التعامى ..**

ولا يأتى الغد الموعود أبدا.

وقد يخفف من وطأة هذا الموقف بعض الوقت -تكرار ظهور تلك الأحلام الوردية ولو فى أفق بعيد، إلا أنه بالنسبة لهذا التشكيل، كانت هذه الأحلام دائما مضروبة بحقيقة الرؤية ومرارتها.

وبرغم وضوح عناد التوقف، وأوهام المثالية، وقوة المقاومة، إلى أننى لم أستطع أبدا أن أستلسلم لأى حكم سلبى على صاحبة هذا التشكيل، وانتهت اللوحة وأنا بين التصديق والتكذيب، بين اليأس أو أن يتفتح أمامى باب احتمال آخر لا أعرف ما وراءه، فأتركه مفتوحا، آمِلاً منتظرا إلى ما لا نهاية.

وأبص بشك، وأحاول أصدّق.

وتبص بعِند، وتقول أنا قَدَّك.

والطفل اللى جواىَ يقول "أنا مالى، مِش يمكن!"

والشيخ اللى بَرَّاىَ يقول: "لا ياعَم، مش ممكن".

وتبصْ، وأبصْ.

وأشوفْلَكْ طاقةِ القدر فْ عينها،

من غير فوانيس، ولا ناس.

والنور بقى نار بِتْلَهْلِبْ.

إنما جواها: فيه "بكره". أو "يمكن!".

"... مش يمكن!!!؟"

حين يفرض تحد مثالى على الطبيب - أو المعالج - النفسي، فلابد أن يفتح عقله لاحتمال تحقيقه وألا يبادر بالرفض أو التعجيز، وخاصة إذا كان صاحب التحدى يحمل مسئوليته، (وهو أمر نادر فى موقف العلاج النفسى وإلا فلماذا للعلاج؟) والطبيب (أو المعالج) عموما يستفيد من فتح أبواب عقله لكل الاحتمالات الجديدة الممكنة ليتطور هو ذاته.. وفى نفس الوقت يسمح للمريض أن يحس بذاتيته .. ويتحمل مسئوليته فى النهاية .. سواء نجح فى مواصلة الطريق، أم رضى بالتوقف.

كثيرا ما يصلنى - شخصيا - من هذه النهاية المفتوحة عرْض يقول:

إذا لم يتمكن الآخر (بما فى ذلك المريض) ان ينجح فى هذه الرحلة، فليكملها الطبيب او المعالج لنفسه، بنفسه،

وهكذا يظل الباب مفتوحا باستمرار.

*****

ملحق النشرة:

نجحت فكرة عرض المتن الشعر مكتملا بعد هذا الشرح التشريحى الذى يسرق منه شاعريته بشكل أو بآخر، وهانحن نواصل ذلك هذه النشرة، ونسأل الأصدقاء الرأى هل نفعل مثل ذلك مع كل لوحة ولو فى نهاية فقراتها؟

المتن مكتملا:

والنظره دى صادقهْ، وْمحتاره، وْخايفهْ؛

خايفهْ مِنْ الصَّدق وكُثْر الشّوفْ المُر.

خايفه مِنْ بُكَرَهْ.

عمّالَه بتقول:
"نفِسى آجى معاكُو.. حتى ماشيَه حافيهْ
بس شوك الأرض بيَخزَّقْ عِنَيّهْ.
نفِسى اغَمّضْ، نفسى أعْـمَى.
بس برضُه الشوكْ فِى قَلْبِى،
حتى لو قلت الضلام ستر وغطا،
أبقى شايفه .. إنى عاميه".
والشك الشوك بيشكشِك:
"مش يمكن كل كلامكو الصح: مش صح؟
مش يمكن أنا باعملّكوا فخ؟
مش يمكن باكْذب.
لاجْلَ أهْرَب والعبْ..؟
الناسِ بتْحَاوِل تِخْفِى الِكْذب،
إنما صاحْبِتْنا بِتِخْفِى الصِّدْق.
والكذب حْبالُه طويلَهْ،
والصدق مصيبته تقيله،
خُدْ عندكْ: حتة كذْب،
على نبضة صدقْ،
على رسمة حبْ،
على صرخة همْ،
على سكتة غمْ،
وتلخبط كل حاَجاتها على كل حاجاتها،
بالقصد.
وانْ جَهْ وَاحِد وْشاوِرْ عقله يقرّب:
تحرَن وترفَّمْ،
تضرب تْتِملـّمْ
وتعاند زى العيَّل لما يزق البزْ،
مع إنه جعانْ.
وتقول أنا مخِّى مافيش زيُّه،

وتـدوَّر عـالـلى مـافـيش زيُّـه:
وتـلاقـى: "يـسقُط شر الـنـاس،
ويـعيش الحب"
وخلاص.
- إزاى؟
- مِشْ شغلى.
وبجور المّر بْتِرْوِى الـشوك ِ الـصبْر.
والـبحر بـعيدْ، ومـالـوش شطآنْ.
ولا فـيش مقـداف ولا دفّـه،
ولا ريّـسْ، ولا بمبوطِى.
والـطفـلة تـشقّـل فى الـلفـة وتـقـول:
رمضان اهُو جىْ، وحـاقـول وَحَوِى،
واستَنّى الـفـجر.
ولـيـالٍ عشر.
وراح افـتح طاقـة الـقـدْرْ.
وأطَلَّع مـنـهـا فـانـوس ألـوانْ.
بـس كـبير خـالِـصْ.
قـد الـدنـيـا بجالها.
ولاقِـيـنِى قَـاعْدَه فْ وسْط عِيـالِى،
وعيـالى كـتـــار، وكـبـــار.
يـبقى حلّيـتْهـاَ يـا حَلُلّى.
لا انـا سِبْت عْـَيـالِى،
ولا سِبْت الـنَّـاسْ.

وأبـص بـشك، وأحـاول أصدّق.
وتـبص بـعِنـد، وتـقـول أنـا قَـدَّك.
والـطفـل الـلى جواىَ يـقـول "أنـا مـالى، مِش يمكن!"
والـشيخ الـلى بَـرَّاىَ يـقـول: "لا يـاعَم، مش ممكن".
وتـبصْ، وأبـصْ.

وأشوفْلَكْ طاقةِ القدر فْ عينها،

من غير فوانيس، ولا ناس.

والنور بقى نار بِتْلَهْلِبْ.

إنما جواها: فيه "بكره". أو "يمكن!".

"... مش يمكن!!!؟"

- العقلنة Intellectualization هى آلية أو حيلة نفسية "ميكانزم" تشير إلى استعمال المنطق العقلى المنظم منفصلا عن كل من الوجدان المصاحب، وأيضا دون التزام بحفز الفعل المترتب على هذا المنطق الصحيح عادة.

الإربعـــــــاء 03-03-2010

915-أن تكـــــون "ذاتـــــك" معـــــــه، معهـــــم!

هذه الحالات ليست حالات إكلينيكية واقعية، ولا حتى مـَتخيلة بشكل روائى شعرى مطلق، ولا هى تصف أشخاصا بالذات، إنها من وحى الفروض العلمية العملية التى استلهمناها من مزيج من الحالات المرضية، والأصدقاء المشاركين، وتراكم الخبرة، وإلهامات الأسطورة الذاتية للمؤلف.

أن تكون "ذاتك" معه، معهم!

مقدمة:

هذه اللوحة مستوحاة من حالة استلهمها خيالى من حالة قريبة منى جدا، لم أسمح للخيال أن يقترب من حقيقتها الطيبة، إلا بعد أن أخفيت معالمها، فجاءت هذه اللوحة لتكمل بعض أبعاد إشكالة "فقه العلاقات البشرية"

هو شخص ذو طبع صامت هادئ، يوحى بالطمأنينة لكل من يقترب منه، أو يسأله، أو يستنصحه، أو يستعين به، كان من البديهى أن أشارك فى ذلك لشدة حاجتى .. للطمأنينة، والدعم، والتصديق، بل والاعتماد، أحسست أن فى ذلك ظلم له، فمعنى أن يطمئن الجميع له بهذه الدرجة وبهذا الإجماع أنه لن يأخذ حقه بدوره فى مثل ذلك، وقد ينوء بحمله، أو تتعثر خطاه، المعنى الأصعب هو أن يستمد هو معنى وجوده من هذه الطمأنينة إليه، والاعتماد عليه، فتتوقف خطى نموه شخصيا.

فى **العلاج النفسى** ينبغى أن يكون المعالج على وعى كامل باعتماده على مرضاه.. ، أو بتعبير أدق باعتماده على اعتماد مرضاه عليه.

وفى **العلاج النفسى الجمعى** خاصة قد يظهر مثل هذا الشخص المغرى بالاعتماد عليه من بين المرضى، فيقوم بهذا الدور المطمئِن طول الوقت (على العمال على البطال) .. فيعوق مسيرة اعتماد الآخرين على أنفسهم بشكل ما .. ويستمد وجوده - على حساب نموه - من ذلك الاعتماد الذى يلعب فيه بشكل غير مباشر دور المعالج **Playing Psychiatry**.

وعيونه الرايقه الهاديه،

قال إيه؟! بتطمن ؟!!

بس أنا مش قادر اتطمن،

أصله بعيد عن بعضه قوى!!

ينبغى أن نفرق بين أن تكون مستويات الوجود البشرى للفرد **بعيدة عن بعضها**، من أن تكون **متصارعة مع بعضها** من أن تكون **متصادمة مع بعضها ..**

وعلى الجانب الآخر أن تكون: **.. متعاونة مع بعضها** أو **متفقة ساكنة مع بعضها** أو **متكاملة فى بعضها.**

فى هذا التشكيل نحن أمام أول صفة : أن تكون **بعيدة عن بعضها.**

وصلنى أن هذا البعد الذى بدا لى أكبر من تصور الجميع (ومن هنا ثقتهم واعتماديتهم) هو نتيجة لتنامى قشرة صلبة اضطر صاحبها لتقويتها بكل ما أوتى من صبر وعناد، وقد رجحتُ أن ظروف الواقع طوليا قد اضطرته أن ينمى هذه القشرة لمواجهة العالم الخارجى القاسى المتحفز من البداية، هذا الاضطرار هو مشروع من حيث المبدأ، شريطة أن يكون مرحليا، أما إذا كان نهائيا وثابتا حتى تطغى هذه القشرة على حاجاته الفطرية وحقه فى الضعف والأخذ .. فإن الأمر يصبح تقزيما وإعاقة دائمة معجزة.

أن يبتعد بعضنا (مستوى من مستويات وجودنا) عن بعضنا (مستوى آخر) هو مقبول لو كان مرحلة ضرورية لها عمرها الافتراضى، ثم تنبعث الحركة وتتغير المسافات باستمرار.

فى **العلاج النفسى** كثيرا ما نواجَه بهذه القشرة وقد تجمدت لدرجة تكاد تعلن أن التوقف دائم وأنه لا سبيل إلى التعتعة للتقريب بين المتباعدين، وعلينا أن نحترم ذلك، ونعطى الفرصة الكافية من الزمن والإصرار، ونحن حريصون كل الحرص ألا ننخدع بحركة زائفة، أو عقلنة تعلن الحاجة إلى الحركة، لكنها لا تؤدى إلا إلى مظهر الحركة دون حركة، بمعنى الحركة الزائفة (أو المغلقة فى المحل) بشكل أو بآخر.

فى **اضطراب الشخصية**، وفى العصاب المزمن، وفى فرط العادية Hyper-normality نقابل هذا الابتعاد ويحتاج الأمر إلى ما ذكرنا.

فى **المرض الجسيم** تتشقق هذه القشرة وتنفلت منها فقاعات طاقة عشوائية، أو تتكسر تماما، ويحدث التناثر.

وقد يتم التفاهم أو التعاون بالتناوب بين المستويين (وأى مستويين أو أكثر) مما يتفق مع قانون جيد هو أساس جوهرى فى تفكيرى، ألا وهو **الإيقاع الحيوى**، ويحدث هذا التناوب بطريقة منظمة أظهرها التناوب بين النوم واليقظة، وبين الحلم واللاحلم أثناء النوم، وكذلك التناوب بين العمل والراحة، بين المنطق الأرسطى والانطلاق الخلاق، ولكن هذا التناوب يكون صحيا وصحيحا إذا لم يتم فى دائرة مغلقة، وهو يصبح ضابط إيقاع التكامل حين تنتهى كل دورة أعلى من موقعها بأى قدر حتى لو لم يكن النمو ملموسا حالا.

هذا هو ما نأمل أن نوضحه فى مسيرة كل من العلاج النفسى، والنمو، **فما العلاج النفسى إلى موجز مهنى مبرمج يتوجه نحو إطلاق سراح الطبيعة فى نبضها النامى**، المفروض أن العلاقة بين هذين المستويين تنقلب بفضل هذا النبض الحيوى إلى تناقض تأليفى حيوى نابض، **فيصبح عمل القشرة فى ذاته إثراءا للجوهر الأعمق، ويصبح الجوهر الأعمق هو الطاقة المختزنة القادرة على خلخلة جمود القشرة**، ومن ثم تهيئة مسامية سامحة منضبطة فى نفس الوقت، ولا يتم هذا التكامل إلا بحوار تطورى يؤلف بين الأضداد دون تسوية حلوسطية.

حاولت أن أرصد مثل هذا النبض بطريقة تطمئننى إليه مثل سائر المتطمئنين، فعجزت، وكثيرا ما عزوت هذا العجز لطمعى فى تحريكه، ربما لنفسى، أكثر مما ينبغى، أو يستطيع.

البعد بين أجزاء صاحبنا (أصله بعيد عن بعضه قوى) لم يصلنى فى شكل الصراع أو التصادم، وإنما حضرتنى صيغة أكثر عدلا، فأسميته **"تصالح مؤجَّل"**، وقد كان علىّ أن أرصد محاولات اقتراب صاحبنا هذا من بعضه قبل أن أسمح لنفسى بالتفاؤل باستمرار مسيرة التكامل.

فى **العلاج النفسى**، لا بد من هذا الإصرار على رصد أية بارقة حركة مهما ضؤلت أو خفت صوتها، إن أى تراخ يبعد بنا عن صلابة التفاؤل من خلال احترامنا المطلق للطبيعة البشرية هو ضد ما هو علاج نمائى حقيقى، الأمر الذى أصر على ترادفه بأنه ضد "خلقة ربنا".

شايف حاجتين بقليله:

إشى جوه قوى .. قوى خالص،

واشى بره قوى .. قوى خالص،

والهو بناتهم بيخوف.

(2)

نظراته تمـــــــــــد.

وسْـــكاتـــه يـخـض،

وحســـــابـــه يـْعِـــد.

ويـبقـــلـــل لما بيضحك،

وبـيـضحك لما بـيـسكـت،

وبـيـسكت لـمـــا بـيـحس.

راكن على سور التراسينه،

كما زير فـخـار شـكـلـه مـزوق.

والعطشان مـنـا يروح جنبه،

يمكن يشرب.

ولأن هذا البعد بين أجزاء صاحبنا ليس صراعا أو تصادما .. فإنه كان كثير الصمت، حاد الانتباه..، حاذق الحسابات..، إلا أن ذلك كله كان مدعاة لتساؤلى وانتظارى للمفاجآت.

كان هذا الوجود الخاص المتباعد عن بعضه إلى هذه الدرجة - من وجهة نظرى- يعلن العجز عن التعبير عن الخبرة الداخلية أو معايشتها إلا بتفجرات تكاد تصل إلى ما يشبه التشنج أحيانا، كانت أحيانا تفجرات ضاحكة، وأحيانا انقضاضات صاعقة، يتبادل ذلك مع صمت دفاعى ممتد، وكانه قلب النبض الحيوى المتبادل إلى نبض أخر (فى المحل غالبا) بين طورين بديلين هما: **الانقضاض الصارخ، والانسحاب الصامت.** صمته هذا كان يصل إلى الأغلبية على أنه حكمة هادئة، فى حين أننى كنت أشعر وراءه بمزيج من خوفه الذى قد يصل إلى الجبن، واحتمال التأجيل الذى يدل على متانة الأمل فى الخطوة الواثقة التالية، فأطمئن إلى التفسير الأخير، لكن لا يستمر هذا الاطمئنان طويلا.

فى **العلاج النفسى**، لا ينبغى أن يسمح المعالج لنفسه بالاستقرار فى مرحلة معينة أكثر من اللازم، إن مايصلنا من معلومات نبنى عليها رأينها فى مرحلة ما، هو **مجرد فرض قابل للاختبار** باستمرار على طول مسيرة العلاج المتغير أبدا:

(3)

وارجع وأشك ف تسهيمتـــــه:

ما يكونشى الزير دا منحس؟

ولا هوا يـــلطشه ولا يـــبـــرد،

ولا بيطرّى عالقـــــلب.

الاقتراب من هذا التركيب المتباعد عن بعضه البعض، الصلب القشرة، الواعد بتفاؤل هادئ عنيد، المهدد بتفجر صاخب خطر، ينبغى أن يتم بمنتهى الحذر حتى لا يتفجر منك بغير

احتمال رأب الصدع، وهنا تصبح الحسبة مع مثل هذا التركيب من أصعب ما يمكن، لكن لا مفر من المحاولة، كنت كلما اقتربت منه بأمل أن يطمئن هذا الذى يطمئن إليه الجميع فيحرمونه من حقه فى الطمأنينة بدوره، كان يقابلنى بمقاومة لا حدود لها، تظهر فى اعتراضات غاضبة، أو انفجارات صاخبة، أو عشوائية خائبة، وكل ذلك لا يسمح بأى تمهيد للسبيل إلى تواصل مهما بدت المحاولات جادة من الجانبين

مانا كل ما اجرّب أمّيله حبّه: بيكركر، ويبقلل،

والميه لما بتنزل - إذا نزلت - بتطرطش،

وتغرق وشى قبل ما توصل زورى،

إذا وصلت خالص.

فى **العلاج الجمعى** خاصة يكون الأمر شديد الصعوبة، وبالتالى فإن الحذر وضبط الجرعة هو من أهم أسلحة التعامل مع مثل هذا التركيب، وقد كنت أخشى طول الوقت أن يكون هذا الصمت والحكمة المبكرة هو نوع من التبلد الدفاعى الخادع الذى يبدو كأنه الحكمة، وهو ليس سوى الحذر من الاقتراب.

اقتحام هذا التركيب بالتلويح بالعطاء، والطمأنة، والاقتراب الواعد، يقابل عادة بالرفض، والتأجيل، والثقة بالقدرة على الاعتماد على النفس، دون حاجة لأى عون خارجى، وبرفض عنيف لأى مبادرة بالعطاء مهما كانت جادة وأصيلة:

(4)

وأحاول أخرم حلقه،

أو اصنفر جلده.

وصاحبنا يزرجن ويقوللى:

"أنا حا تصنفر من جوه".

ينفخ نفسه ويبعجر،

وأخاف يتفجر.

لا ينبغى أن تؤخذ هذه الدرجة من المقاومة على أنها علامة سلبية تحول دون استمرار العملية العلاجية الآملة فى إزالة عرقلة حركية النمو، إن المبالغة فى الحرص على الاستقلال، وعلى تفضيل البدء من داخله دون اعتمادية (أنا حا تصنفر من جوه)، قد تثبت فى النهاية أنها طريق أضمن تجنبا للتقليد أو الاعتمادية أو التبعية.

فى **العلاج النفسى الجمعى** خاصة تصعب تماما التفرقة بين هذا العناد الاعتزازى الصريح الواعد بانطلاق مستقل منضم إلى التوجه المشترك المحيط، وبين العناد المغرور المعتز بذاته على حساب أى علاقة حقيقية فيها تهديد لما استقرت عليه صورة الذات بما يشمل الثقة المفرطة التى تصل إلى الغرور،

وما دمنا نتكلم عن **"فقه العلاقات البشرية"**، فدعونا نتعرف بأمانة على هذه الصعوبة الجديدة من شخص له كل هذا الحضور الواعد الإيجابى ظاهرا، ومع ذلك هو يمارس كل هذه المقاومة بكل هذا العناد الذى قد يتمادى حتى يحمّل صاحبه ما لا طاقة له به، مما قد يوقفه فى النهاية.

هذا بعض ما حيرنى طول الوقت وأنا أصر على ترجيح إيجابية محاولته (يتهيأ لى الهو بيصغر، ويقرب حبه من نفسه، ويقرب بعضه على بعضه)

وأبجلق جوا عنيه:

يتهيأ لى الهِوْ بيصغر،

ويقرب حبّه من نفسه

ويقرب بعضه على بعضه

واسمع لك قرش سنانه،

وعنيه بتطق شرار،

وصداغه بتنفخ نار.

طريق العلاج الصحيح (والنمو..مهما كررنا) هو أن تكون المسيرة صحبة إيجابية، صحبة تسمح **"بالانفراد" بقدر ما تمارس احترام المسافة والاختلاف**، وفى نفس الوقت تكون حاضرة جاهزة لرفض الانسحاب مهما بلغ الخوف من الاعتماد والتبعية، لا أريد أن أكرر تعبير **"أن تكون وحدك مع" to be alone with** بشكل يفقده أهميته، دعونا نستعمل تعبير " أن تكون نفسك معهم وبهم "بدلا من أن "تكون وحدك مع" ونترجمه بالمرة حتى لا يزعل أحد **To be yourself along with = them**

الإنسان (مريضا أو متطورا) يحتاج إلى رفيق سلاح .. ولا يحتاج إلى محفة نقل، ولا إلى مخبأ مصفحة، وهكذا ، هكذا فقط يمكن أن تقرب أبعاضنا من بعضها، مهما بلغت المشقة وتضاعف للجهد.

(6)

لا يا عمْ، الطيب أحسن.

مالناش غير إننا نمشى، ونمشى، ونمشي.

وما دام ما احناش حا نبطل،

يبقى لمْ بد حانوصل.

يا حلاوة المشى الجدْ

حتى لو قال العنْد

لأه، مش عايز حَدْ.

فى النهاية -كما هو فى البداية- فإن الضمان الأوحد على طول الطريق مع تقين بالمعْيه، هو الاستمرار بجدية الكدح المثابر أما تبادل الطمأنينة مؤقتا فهو دور محدود..، وقد يكون مقبولا لفترة، ولكنه لا يقوم مقام 'جهاد البقاء' وهو الجهاد الأكبر.

مواصلة السير، مع الائنناس بأن هناك من يقوم بنفس المحاولة.. لنفس الهدف العام هو السبيل الوحيد للطمأنينة والأمان. ومن ثم النمو.

وهكذا تصبح كل صعوبة هى بعث لأمل واقعى جديد.

ملحق النشرة:

ننشر المتن مجتمعا كما اعتدنا مؤخراً.

المتن مكتملا:

وعيونه الرايقه الهاديه،
قال إيه؟! بتطمن ؟!!
بس أنا مش قادر اتطمن،
أصله بعيد عن بعضه قوى!!
شايف حاجتين بقليله:
إشى جوه قوى .. قوى خالص،
واشى بره قوى .. قوى خالص،
والهو بناتهم بيخوف.
(2)
نظراته تمـــــــــــد.
وسْكاته يخض،
وحسابه يْعِد.
ويبقلل لما بيضحك،
وبيضحك لما بيسكت،
وبيسكت لما بيحس.
راكن على سور التراسينه،
كما زير فخار شكله مزوق.
والعطشان منا يروح جنبه،
يمكن يشرب.

(3)

وارجع وأشك ف تسهيمتـــــه:
ما يكونشى الزير دا منحس؟
ولا هوا يـــلطشه ولا يـــبـــرد،
ولا بيطرّى عالقـــــلب.
مانا كل ما اجرّب أمّيـله حبّـه: بـيـكـركر، ويـبـقـلـل،
والميه لما بتنزل - إذا نزلت - بـتـطـرطـش،
وتغرق وشى قبل ما تـوصـل زورى،
إذا وصـلـت خـالـص .

(4)

وأحاول أخـــرم حـــلـــقـــه،
أو اصـنـفـر جلده.
وصاحبنا يـزرجن ويقولـلى:
"أنا حا تصنفر من جوه".
ينفخ نـفـسه ويـبـعـجـر،
وأخاف يـتـفـجر.
وأجـلـق جوا عنيه:
يتهيأ لى الهِوْ بيصغر،
ويقـرب حـبـّه مـن نـفـسه
ويقـرب بعضه عـلى بـعـضه
واسمع لـك قرش سـنـانـه،
وعنيه بـتـطـق شرار،
وصداغه بتنفخ نار.

(6)

لا يا عمْ، الطـيب أحـسـن.
مالناش غير إننا نمشى، ونمشى، ونمشي.
وما دام ما احناش حا نبطل،
يبقى لمْ بد حانوصل.
يا حلاوة المشى الجدْ
حتى لو قال العنْد
لأه، مش عايز حَدْ.

الإربعـــــاء 10-03-2010

922- فشـــل علاقـــة المـــوت المتبـــادل: عـــدما (1 من 3)

هذه الحالات ليست حالات إكلينيكية واقعية، ولا حتى متخيلة بشكل روائى شعرى مطلق، ولا هى تصف أشخاصا بالذات، إنها من وحى الفروض العلمية العملية التى استلهمناها من مزيج من الحالات المرضية، والأصدقاء المشاركين، وتراكم الخبرة، وإلهامات الأسطورة الذاتية للمؤلف.

فشل علاقة الموت المتبادل: عدما (1 من 3)

(1) دراكيولا

مقدمة:

هذا التشكيل مستوحى من تصور مبالغ فيه عن نوع من العلاقات بين البشر، هو أقرب إلى **التهلكة المتبادلة**، وإن كانت تسمى فى بعض مراحلها بنفس الاسم: "الحب"، هو تشكيل من أبشع ما تصورت (وبينى وبينكم، ما عايشت) مما أسميه أيضا "الصفقات القاتلة لطرفيها"، برغم أنه شائع تحت نفس الاسم (مرة أخرى: الحب).

هذه علاقة تتجاوز كثيرا صفقة الاحتياج المتبادل، والتأمين الثنائى، **(نشرة 25-8-2009 دفاعات ضد "حركية" تجليات" الحب"على مسار النضج)** وهى أيضا تعرى مستوى أخطر وأخبث لا يقارن بمستوى ما سبق أن نقدناه من الغمر بالحنان حتى الإغراق بلا علاقة حقيقية، مثلما ورد فى **(نشرة 20-1-2010 " الحب بالراحة")**

ترددت كثيرا فى محاولة مواجهة هذه الخدعة، وتشريح أبعادها، ولكنى لم أملك إزاء حقيقة ما وصلنى من مخاطرها وخداعها إلا أن أعريها وهى بكل هذه البشاعة، وبما تثيره من ألم أيضا.

التناول هنا يعرى تلك الطبقة الأعمق من النفس البشرية التى لا تحقق أمانها إلا من خلال الالتهام المسعور، بكل عواقبه السلبية حتى: الهلاك والإهلاك.

الموت الذى يتكرر ذكره هنا هو نوع آخر من المفاهيم التى استعملت فيها نفس اللفظ "الموت"، هذا النوع من الموت المذكور هنا يمكن أن يطلق عليه **"حركية العدم"**، وهو غير **"الموت السكون ضد الحركية"** أصلا، وهو أيضا غير **"الموت الهيام التلاشى"** فى بعضنا البعض (*بأموت فيه وبيموت فيّه*)، كل هذه تنويعات لبعض أشكال الموت بمعناه السلبى الساكن العدمى، أما الموت الذى سبق أن تناولته باعتباره **"نقلة الوعى الشخصى إلى الوعى الكونى"** **(نشرة 8-7-2009 "إحياء المعنى يملأ الكلام!!)**، وأيضا باعتباره **"ازمة نمو"** **(نشرة 10-6-2009 " صعوبات مبدئية، وخطوط عامة)**، فهو عكس كل هذا الإهلاك والعدم والإعدام على طول الخط.

الموت هنا فى هذا التشكيل هو خليط من أنواع المجموعة السلبية الأولى، وهو أقرب إلى غريزة الموت التى قال بها سيجموند فرويد ولم يتعهدها بالقدر الكافى، وهى الغريزة المسئولة عن التدمير، والتهلكة، والانسحاب فالعدم، ضد الحب والقرب والإبداع وإعادة الولادة، والتعرية شديدة الصعوبة حيث الخلط وارد، الإنكار جاهز، والأسماء التى يسمى بها هذا الموت قد تكون العكس تماما، **(تصور أنه يسمى هنا "الحب"!؟)**.

أنا مـــش عندى إلا الموت.

باشترى بيه الناس وباسّميه "حب".

والناس عايزه تحب تموت،

أيوه تموت،

جوا بطن الحوت

هذا التشكيل هو أخطر أنواع ما يسمى الحب الثنائى (حصريا إن صح التعبير المستحدث).

نقد الحب الثنائى المتفرد وارد منذ أفلاطون الذى نقده ووصف حبا أرحب وأرقى، فاتّهم ظلما بأنه دعى إلى ما تصوروه أنه الحب العذرى، حتى أصبحت كلمة الحب الأفلاطونى دالة على الخيال واللاواقعية وهى غير ذلك، حقيقة أن الإنسان برغم مرور آلاف السنين - لم يرتق بعد إلى ممارسة القدرة على الحب انطلاقا من هذا الحب الثنائى، الحب الثنائى طبيعة بشرية، وتنظيم اجتماعى، وتطور طبيعى، لكن ليس على حساب القدرة على الحب، أو على حساب الانطلاق منه إلى مزيد من الحب،

التوفيق بين هذا الحب الثنائى والحفاظ على القدرة على الحب إنما يتم بأن يكون الشريك هو ممثل للجنس الآخر، أو للجنس البشرى عامة، بما عبرت عنه هكذا: "أحبك بالأصالة عن نفسك، والنيابة عن سائر النوع، أو سائر البشر"، وهو ما تبينت صعوبته حتى الرفض فى **(نشرة 20-8-2009 دفاعات ضد "حركية" تجليات"الحب" على مسار النضج)** "دفاع ضد الحب العام"

أن تكون العلاقة الثنائية مجرد تنظيم اجتماعى ودينى يحتوى حب اثنين فأكثر هو أمر طبيعى ومهم ووارد باعتباره اختبارا للتطور والتكامل معا بما يتيح أيضا أفضل مجال صحى لتربية الأطفال ..، لكن الانطلاق منه إلى حب أكبر فأكبر، ليس على حسابه، (ليس على حساب الحب الثنائى) هو أمر صعب كما بينّا فى أكثر من نشرة، كما أن العجز عن تحقيق ذلك الحب الممتد الأكبر لا ينبغى أن يقلل من ضرورة السعى لتحقيقه، فهو الحب الأرقى والأبقى حتى لو أجلت ممارسته على أرض الواقع مهما أجلت، إن الصعوبة لا ينبغى أن تنتقص من لزومه أو تخدش من صلابته. (دع جانبا الآن العوامل التى تسمح بذلك سواء فى الفرد أو فى المجتمع أو فى التربية أو فى العلاقة بالكون ..إلخ).

فى نفس الوقت علينا أن نحترم النقد المتواصل لأنواع الحب الأخرى، لأنها ليست كلها سطحية أو بلا لازمة، ولكن لأنها تعلن عن مرحلة نقص رائعة، ربما ضرورية، على طريق مسيرة الإنسان الحالية. إن فشل المؤسسة الزواجية الذى تعلَنُ زيادته باستمرار هو بمثابة دعوة إلى الانتقال **منها وبها** إلى ما يعد به التقارب بين البشر من تطور وتكافل لصالح النوع كافة.

اود لو أعتذر ابتداء **عن البشاعة التى قد رسمتُ بها هذه الصورة (كما سترد: هكذا)**

إلا أنى لا أملك أمام التزامى بمحاولة الصدق فى تقديم ما رأيت إلا أن أقدمها كما وصلتنى فشكلتها بما رأيت، وقد يغفر لى ما انفتح فى آخرها من باب أمل واعد برغم كل ما تقدم من قبح وموت والتهام وعدم، هكذا أطل الأمل واثقا فى النهاية وصاحبتنا تقول:

لو ما لاقيش الموت حوالىّ حاموّت موتى

.....

لحظة كل شواهد القبر تطلعّ خضرة

.....

لحظة طفلة صغيرة ثايرة تقدر تقتل

تقتل وحش يمص الدم

*****

تبدأ الصورة، بتعرية تعلن أن المتحدثة البادئة هى العيون الأخرى (عيون جوه عيون بتقول: = مستوى منظومى أعمق من الوعى)،

وهى عيون تبدو محذِّرة (حاسب عندك)، لكنه ليس تحذيرا بالمعنى العادى، لكنه نوع من التحدى المنذر بالتمادى إن لم نتبه إلى جدية النذير:

وعيون جوا عيون بتقول:

حاسب عندك:

إوعى كمنك عطشان تعمى وتشرب منى،

أنا مش عندى إلا الموت.

باشترى بيه الناس وباسّميه "حب".

والناس عايزه تحب تموت،

أيوه تموت،

جوا بطن الحوت

والبوسه بتشلب دم،

والحضن مغاره ملانه البنج السحر السم.

يبدأ الطفل حديث الولادة فردا يتحسس طريقه خائفا من العالم الخارجى، وهو يبنى علاقاته الأولى مع هذا العالم بقوانين عدم الأمن (وهو الموقف البارنوى أساسا) فيروح يمارس علاقته بالآخر من خلال الكر والفر، الذى هو اعتراف ضمنى بالآخر، برغم ظاهر الحذر واحتمال سلبية المآل، ومع ذلك فهى علاقة موضوعية لا تسمى حبا طبعا، لكن بها من التواصل ما يتفق مع قوانين هذا الموقف (وقد تناولناها بالتفصيل فى نشرة سابقة صورة "القط" أساسا **(نشرة 15-9-2009 " القط/النمر بداخلنا)** وقد يتعمق هذا الموقف البارانوى بمزيد من عدم الأمان المتضاعف يتزايد حتى يبرر الانسحاب إلى حيث **"لا - موضوع"** (الموقف الشيزيدى)، وقد سبق أيضا الإشارة إليه فى نفس النشرة، (راجع ساكت تحت سرير الست حاخطف حتة نظرة من ستى واجرى آكلها لوحدى تحت الكرسى المشْ بَاينْ)، وقد يحل الموقف البارنوى بحل أكثر عدمية، وذلك باقتحام التهامى يختفى معه الموضوع من العالم الخارجى فى داخل المهاجم الملتهم الخائف فى نفس الوقت، هذا ما أشرنا إليه فى نفس قصيدة القط أيضا (باكل الأطفال والنسوان الملك).

دراكيولا هنا لا تلتهم الموضوع لتستمتع بذلك، بقدر ما أنها تلتهمه لتلغيه، أى أن هذه الصورة تجسد الجانب الإلتهامى بالذات، وفى نفس الوقت هى تعلن أن الضحية تشارك فى التسليم لهذا الالتهام، وأنها (الضحية) تتغافل عن طبيعته، حتى تسميه بنفس الاسم "الحب"، (والناس عايزة تحب تحب تموت)، لكن "دراكيولا" هنا تبدو أكثر أمانة وأقل مناورة، فهى تعلن أن هذا الذى تسميه الضحية حبا، ليس إلا الموت، وأن هذا النوع من الموت هو هو ما تستلم له الضحية، وما تنخدع فيه تحت اسم الحب، مع أنه - من نص أقوال الملتهِم -

ليس إلا عدم داخل "بطن الحوت"، مع أن آثار الجريمة ماثلة للعيان، والدم يلطخ الشفاه (والبوسة بتشلب دم)

أنا مـــش عندى إلا الموت.

باشترى بيه الناس وباسميه "حب".

والناس عايزه تحب تحب تموت،

أيوه تموت،

جوا بطن الحوت

والبوسة بتشلب دم،

كيف بالله عليكم، يمكن أن يكون هذا هو حقيقة الجارى فى مثل هذه العلاقات، وفى نفس الوقت، تسعى إليه غالبية الناس؟ (والناس عايزه تحب تحب تموت، أيوه تموت، جوا بطن الحوت)، يبدو أن هذا النص فى المتن، يريد أن يؤكد أنه **مهما تواتر هذا النوع من العلاقات، ومهما كان هو المتاح، إلى أن تعريته ربما تكون أول خطوة لتجاوزه.**

أحيانا يكون الدافع لقبول هذا النوع من التسليم لمثل هذه العلاقة وبرغم ما تحمل طبيعتها من إرهاصات الإلغاء والمحو بالالتهام وغيره، وأيضا برغم ما يعلن من أنه جريمة ملطخة بالدم، أحيانا يكون **مطلوبا كنوع من التخدير هربا من وحدة بشعة لا تطاق.**

يقول المتن إن هذا النوع من الحب ما هو إلا الموت نفسه فى أخفى صوره، التخدير هنا ليس فقط تغييبا للوعى، لكنه تخدير **بسم زعاف مدسوس داخل كهف العدم الذى يمثله هنا: "بطن الحوت"**، ربما كرمز للعودة إلى الرحم القبر، (وليس الرحم لإعادة الولادة = خروج يونس من بطن الحوت استجابة لتواصل وعيه مع الوعى الكونى المطلق، نتيجة وعيه بانحرافة مساره سابقا: لا إله إلا انت سبحانك، إنى كنت من الظالمين)، الانسحاب هنا بالالتهام الدراكيولى إلى جوف الحوت هو انسحاب بلا رجعة.

يعرف كل من يتابع هذه النشرة عزوفى عن، بل رفضى لأية، محاولة مما يسمى "التفسير العلمى لأى نص مقدس"، لهذا أنبه أن هذا ليس تفسيرا علميا لأى نص، بقدر ما هو تذكرة بفرض أساسى يكاد يكون فكرة محورية استلهمتها من مصادر هذا العمل، فكرة تلتف حولها فروض هذا العمل **"فقه العلاقات البشرية"**، ها هى:

"إن العلاقة الثنائية" وجها لوجه، دون رابط مساعد يجمعهما، ويتصاعد بهما إلى المطلق، هى التى أنشأت كل هذه الصعوبات الحالية، وقد سبق أن أشرت بحذر شديد، إلى معنى **"اجتمعا عليه"، و"افترقا عليه"**، فى الحديث الشريف وأيضا **"تحابا فيه"**، وبالتالى فلابد من أن ثمَّ برنامجا آخر يلزم للحفاظ على التواصل والاستمرارية بين اثنين، التفرقة هنا

بين العودة إلى بطن الحوت بلا رجعة، وبين العودة إلى الرحم (فى النوم أو فى الحلم أو فى النكوص فى خدمة الذات **ARISE** التى **Adaptive Regression in the Service of the Ego** وصفها بللاك **Bellack** كأحد أهم وظائف الذات)، هذه التفرقة يعززها الفرض الذى أقدم من خلاله متن العلاقات البشرية هنا، هكذا:

.. إذا لم يتواجد وعى جمعى يجمع بين وعى الأفراد بعضهم لبعض، فإن الصعوبة تزداد أضعافا مضاعفة بالنسبة للعلاقات الثنائية حصريا،

(ويضيف الفرض الذى أطرحه):

إن الوعى الجمعى نفسه يمتد فى وعى النوع إلى وعى الكون لتتواصل دورات التناسق بين هارمونية الذات وهارمونية الكون (إلى وجه الحق تعالى) . فإذا أنكرت هذه الوصلة (تحت أى اسم) تتعرى هذه الصفقات المهلكة بمثل هذا التقارب القاتل لطرفيه، كما يعلمنا المتن.

والحضن مغاره ملانه البنج السحر السم.

وبـــدال ما الزهره الطفله تنبت جوه الورده القلب،

بنبيع بعضينا لبعـــض، والقبض عدم .

ولا فيش معجزه حا تطلع يونس زى زمان،

ولا فيش برهان،

نكـــروا الرحمان.

وبعد

أتوقف هنا مضطرا وأوصى-قبل أن نكمل- بقراءة القصيدة كلها دون شرح، ثم نعاود تناول الأجزاء جزءًا جزءًا:

كل القصيدة:

(1)

وعيون جوا عيون بتقول:

"حاسب عندك"!

إوعى كمنك عطشان تعمى وتشرب منى،

أنا مـــش عندى إلا الموت.

باشترى بيه الناس وباسميه "حب".

والناس عايزه تحب تحب تموت،

أيوه تموت،

جوا بطن الحوت

والبوسة بتشلب دم،
والحضن مغاره ملانه البنج السحر السم.
وبـــدال ما الزهره الطفله تنبت جوه الورده القلب،
بنبيع بعضينا لبعـــض، والقبض عدم .
ولا فيش معجزه حا تطلع يونس زى زمان،
ولا فيش برهان،
نَكَـــُروا الرحمان.

(2)

لسه عيونها بتقول:
إوعـــك منى ..!
... لو بتحب صحيح ما تصحصح.
لو تتأمل حبه حا تعرف،
لو ماتخافش الموت حاتشوفنى إنى الموت،
وبامس الدم .
لكن الدم المالح ينزل يهـــرى ف جوفى،
ويخلـــينى أعطش أكتر.
ولا يرويـنى إلا الدم.
ولا يرويـنى الدم.
ولا يرويـنى إلا أشوفك ميت زيي.
وارمى مصاصتك،
وأرجع أشكى وأبكى وأحكى،
"نفس القصـــة".

(3)

لو ماتخافشى الموت: موتنى،
موت موتى،
لو بتحب الدنيا صحيح، إوعى تسيبنى لنفسي.

(4)

بس الموت جواك بيقولى: إوعك تصحى .
أيوه صحيح أنا جيتكو لوحدى !

جيتكم ليه ؟
أخفى جريمتى ؟
جيت أتعلم: لما أمص الدم ما بانـــشى ؟
ما يطرطـــشى ؟
جيتكو أموت وسطيكـم يعني؟
واسمى باحاول ؟
ولا بيـــنـــشى ؟
(5)
إنما باظت منى اللعبه،
ولا كنت اعرف.
ولا كنت اعرف إن الناس الحلوه كتار.
ولا كنت اعرف إن صباع الرجل الحى،
أقوى كتير من مليون ميت.
آه ياخساره فقستوا اللعبه.
وانا فرحانه،
وخايفه،
وعايزه،
ورافضه،
نوركم جامد يعمى عـنيه.
زى فراشه تحب النور،
تجرى عليه، وتحوم حواليه
وتموت فيه،
ترقص قبل ما تطلع روحها،
"آه يا حلاوه النور موتي"
....
هوا النور بيموت برضه إلا الضلمه ؟
بعدها نور الفجر بيشرق من جواي.
(6)
بس انا خايفة

أصلى ضعيفة، وطفلة لـــوحدى، وباحْبى ف حجر الناس واتلخبط.

لأ، حاستي..، لأ مش طالـــعـــة .

خايفه لـــدكـــهـــه تمثل دورى:

تختفى تحت الجلد، أو ورا ضحكة،

أو تتصرف زى الناصحة،

تعرض فكره،

يمكن تنسوا.

وانت تعوزها تانى فى السر.

(7)

دكـــــهه التانية الوغدة تقول:

بكره حا تحتاج موتى يا موت، ونموت جمعا.

بكره حاتحتاج تخفى جريمـــتـــك، جوا جريمتى،

بكره بتاع الناس بينور.

بكره بتاعى وحش يعور،

آه فين بكره، آه من بكره.

(8)

ترجع برضه الطفلة تعافر، وبتستنجد:

شمس الحق اللى فى عنيكم تقتل ليلى اللى اسمه بكره،

ليل اللعبة الضلمة التانية، ليل السرقة الوسخه العامية.

ليل الوغد يموت روحى، وروحك فيه.

وغد الطمع الخوف الهرب الكلبشة فينا،

حاكم الخوف عايز يسحبنا بـــعـــيد وحدينا.

(9)

بس التانية الناصحة كهينة وعارفه طريقها:

واقـــفه تعايـــره:

إوعى تلومني.

إنت عايـــزنى كده.

تقتل روحك وبتتمسكن، وتقول حاسبي؟

هوا انا ممكن أقتل إلا اللى اختار قتله ؟
تبقى جريمة عاملها اتنين.
كل جريمة عاملها اتنين.
ذنب المقتول زى القاتل،
أصله استسلم.
(10)
وانا حذرته وقلتله حاسب.
إوعك تعمي.
إوعى لاموتك يحليلى موتي.
أنا نبهتك .. إوعك تنسي.
لو مالاقيش الموت حوالى، حاموت موتي.
لكن الطفله عفية وصاحية، تضرب تقلب، وبتتنطط:
- أنا صاحيالِك،
إنتى تموتى تروحى ف داهيه، أنا ماباموتشي.
أنا باستنى اللحظة بتاعتى، علشان أطلع.
أنا جايباكى هنا برجليكى .. علشان أشبع.
من ورا ضهرك .
بعد شويه أجرى وابرطع.
غصبن عنك .
غصبن عنه.
(11)
أنا طول عمرى واقفه استنى اللحظه دهيه:
لحظة كل شواهد القبر تزرع خضره.
لحظة كل الناس الحلوه تموت موتي.
لحظة طفله صغيره ثايره، تقدر تقتل.
تقتل وحش يمص الدم.
لحظة لما الله سبحانه يرضى عليًا:
"أحلف، يحصل .
أصله وعدنى،
وانا صدقته.

الإربعـــــــاء 17-03-2010

929-فشـــل علاقـــة المـــوت المتبـــادل: عـــدما (2 من

هذه الحالات ليست حالات إكلينيكية واقعية، ولا حتى مـَتخيلة بشكل روائى شعرى مطلق، ولا هى تصف أشخاصا بالذات، إنها من وحى الفروض العلمية العملية التى استلهمناها من مزيج من الحالات المرضية، والأصدقاء المشاركين، وتراكم الخبرة، وإلهامات الأسطورة الذاتية للمؤلف.

دراكيولا (2)

فشل علاقة الموت المتبادل: عدما (2 من 3)

قبل النشرة

أمـّا وقد وصلنا إلى هذه المرحلة،

("جملة" اعتراضية وسط التسلسل)

فإليك الاختيارات المطروحة التى تحاول هذه القصيدة - وغيرها - أن تجسدها باستمرار وإلحاح طوال هذا العمل باختصار:

v إما أن تحب غيرك فيكون هو مفتاح الحب إلى غيره، فالحياة.

§ وإما أن تحبه جدا جدا، دون غيره لأنه لا يوجد مثله ولن يوجد.

****

v إما أن تحب لأن الله خلقنا نحب بعضنا بعضا: حتى نتعايش بشرا نحافظ على النوع وعلى الحياة.

§ وإما أن تحب لأنك جائع جدا جدا إلى من يـَبْلِـغـَكَ أنه "يريدك" بغض النظر عن الثمن الذى تدفعه مقابل ذلك.

****

v إما أن تحب محبوبتك طريقا إلى غيرها من البشر فهى بداية.

§ وإما أن تحبها دون غيرها فهى بداية المطاف، ونهايته معا

****

v إما أن تحبه لأنك التقيته فتقاربتما دون إنكار احتياجكما لبعضكما البعض ===> إلى الناس.

§ وإما أن تحبه لأنك تحتاج إلى احتياجه إليك، وهو كذلك، ودمتم.

****

v إما أن تحبها بالأصالة عن نفسها والنيابة عن سائر غيرها (فالنوع)

§ وإما أن تحبها لأنها لا مثيل لها الآن وقبلا ومستقبلا

****

v إما أن تحبه، فتستطيع أن تحبه هو وغيره أكثر فأكثر باستمرار.

§ وإما أن تحبه فيحتكر طاقة الحب التى لديك له "حصريا".

****

v إما أن تحبه لتستعمله ويستعملك لتسدا بذلك نقصكما الدافع أكثر لحب الناس الناقصين أيضا، وباستمرار...

§ وإما أن تحبه لتستعمله فيستعملك فى دائرة خاصة، فلا ينسد النقص لأن الدائرة انغلقت عليكما.

****

v إما أن تحرص على تنمية "القدرة على الحب"، فتتولد وتتزايد قدرات حبك لتغمر بها مساحات أكبر فأكبر

§ وإما أن تغرقه بكمٍّ هائل من الحب، هو فى مضطرد نقصان بطبيعته الكمية غير المتولدة.

****

وبعد:

أعتقد أن علىّ أن أتوقف، وأن أعترف بتداخل هذه الاختيارات **حتى تبدو أنها واحدة،**

وهى فعلاً واحدة،

وقد أرجع إليها فى الفصل الأخير، فى هذا العمل،باعتبارها العناصر اللازم تناولها لتوصيل فروض هذا العمل "فقه العلاقات البشرية"، إذ يبدو أنه ينبغى أت تجمع الاستشهادات الدالة، والتصنيفيات المقارنة من قصائد كثيرة وشروح متنوعة.

أما لماذا قفزتْ إلىَّ هذه الاختيارات الجذرية الآن وانا لم أكمل بعد شرح هذه القصيدة "دراكيولا"، فذلك لأنه قد بلغنى أن ما وصل من هذه القصيدة بالذات هو تعرية صارخة وصاخبة، ربما مبالغ فيها، لهذا النوع من الحب الذى نحذِّر منه، حتى لا يستأهل أصلا أن يطلق عليه كلمة حب،

وفى نفس الوقت لم يصل من نفس القصيدة أن دراكيولا نفسها التى تمارس امتصاص الدم فالإهلاك باندفاع جائع ملتهم، هى التى تحذر فريستها من الهلاك الذى يتعاونان فى إتمامه، وهى التى ترجو من هذه الفريسة أن تساعدها فى أن توقف الدائرة الجهنمية التى ينحدران من خلالها نحو هاوية العدم معا.

كما لم يصل أيضا إلى أى من الذين قرأوا القصيدة مجتمعة فى النشرة السابقة مدى قوة وعنفوان وذكاء تلك ***"الطفلة الفطرة العملاق الطيب"*** التى تقاوم بعناد عنيد حتى تنتصر فى نهاية القصيدة.

من هنا جاءتنى فكرة التوقف عن تتابع شرح المتن لأقوم بعمل عملية جراحية أشبه باستئصال سرطان خبيث، حتى لا يتمادى فيلتهم الخلايا السليمة الحية الفطرية، ثم نعود إلى الشرح فى حلقات قادمة.

النشرة

عملية تشريح واستئصال "سرطان" عدم الأمان

برغم أن عنوان الحلقة السابقة بدأ بكلمة **"فشل** ما هو: "علاقة الموت المتبادل عدما"، حتى لو سمى حبا، إلا أن ما نشر من هذا التشكيل (الجزء الأول) أثار نفورا واشمئزازا واستبعادا بشكل أدهشنى، برغم أن بعض هذه المشاعر كانت لدىَ شخصيا حتى أعلنت حرجى من تعرية هذا النوع من العلاقات كل هذه التعرية.

حاولت أن أرد فى بريد الجمعة على بعض هذه الانطباعات المنزعجة من صورة هذا الحب الثنائى العدمى، إلا أننى وجدت نفسى أرد بأن أوصى بالانتظار حتى تنتهى الحلقات الكاملة لهذا التشكيل الذى وصل مـُفزعاً هكذا فى البداية.

رجعتُ إلى المتن الشعرى قبل أن أكتب هذا الجزء الثانى، فوجدت أن **القصيدة إنما تعلن فشل هذا النوع من التواصل العدمى مهما سمى "حبا" أو "عشقا" أو "غراما" أو "هياما"،**

بل إن التحذير من مضاعفات هذا الحب جاء على لسان "بصيرة" مصاصة الدم "دراكيولا" نفسها طول الوقت تقريبا.

رحت أجمع من القصيدة (المتن) ما وصف هذا **الحب الالتهامى (الجريمة المشتركة)** الذى أسميته بصريح العبارة **"التهلكة المتبادلة"**، فوجدت أننى لم أورد على لسان دراكيولا، ولا الطفلة بداخلها التى انتصرت فى النهاية أية إشارة إلى أن هذا الجانب السلبى البشع يمكن أن ترجح كفته مهما بلغ عنفوانه وتغطرست قوته وتمادى تحديه.

مسحتُ بمقياس الأورام الذرى مساحة هذا الجزء الذى يمثل هذا الجانب السرطانى مصاص الدم، وفى نفس الوقت يعلن ألاعيبه ومناوراته، ثم قمت بتشريحه جراحيا حتى أتممت فصله عن الجزء السليم (الأصل) الذى يقاومه ويتحداه، وهو **"خلقة ربنا"** داخلنا، فاكتشفتُ أننى طوال الحدس الشعرى الذى أفرز القصيدة، كنت منتبها إلى **قوة الفطرة فى الداخل** التى تجسدت فى **طفلة جميلة طيبة قادرة عملاقة** وهى التى انتصرت فى النهاية،

شعرتُ وأنا أفعل ذلك أننى إنما أقوم بعملية جراحية صعبة، **لاشك أنها قد تشوه المتن شعرا، لكننى أحسست أنه لا مفر من إجرائها لانقاذ الفطرة وإظهارها،**

فصلتُ الجزء السرطانى عن الفطرة القوية المتحدية، المنتصرة فى النهاية، فوجدت أن المسألة ليست بها أى لبس، وأن عملية استئصال السرطان قد نجحت **وانتصر الحب الحياة، القدرة، الخلق، البناء، الإيمان** على *العشق الالتهامى، مصاص الدم، "الموت العدمى معا"* .

قررت أن أغامر اليوم بأن أخصص النشرة لعرض خطوات العملية ونتيجتها، بعد تشريح المتن واسئصال الورم،

فأعرض الجزء السرطانى وحده أولا مستقلا،

ثم أعرض ما تبقى من حياة ونبض بعد نجاح العملية سعيا إلى وجه الحق تعالى.

لست متأكدا إن كان هذا سوف يزيد الأمر وضوحا، أم أنه لن يقدم إلا مزيدا من التشويه للمتن الشعرى.

التشكيل التركيبى :

الفكرة التى قد تساعد على قبول إجراء هذه العملية أن فى هذا التشكيل المتداخل عدة كيانات معاً:

v كيان ظاهر غير آمن، مرعوب ملتهم جائع، يندفع إلى احتواء "الموضوع" الآخر، حتى الموت العدمى، وهو (هى: دراكيولا) **تتصور أن هذه هى الطريقة الوحيدة للحصول على الأمان وكأنه الحب:**

هذا الكيان يعرف ماذا يفعل، وهو يحدد فريسته بشكل صريح، ولفرط ثقته بأنه قادر على التهامها، يحذر فريسته طول الوقت من أنها مسئولة ليس فقط عن مآلها العدمى، وإنما أيضا عن ضياعه هو ، فهو يعرف فى قرارة نفسه أنه لن يحصل على الأمان مهما تمادى فى الالتهام ومص الدم

"ولا يروينى إلا الدم، ولا يروينى الدم"

- يوجد داخل هذا الكيان، كيان آخر،

"وعيون جوه عيون بتقول:

حاسب عندك"،

هذا الكيان الوغد الملتهم يتمتع ببصيرة ناقدة لدرجة التحذير، وهو يعلن كلاما فيه محاولة إيقاف التمادى فى طريق خاسر، لكنها بصيرة عاجزة تساعده فى النهاية على التمادى فى جريمة الإعدام الانتحارى .

"بكره حا تحتاج موتى يا موت، ونموت جَمعاً"،

بصراحة هذا المستوى البصيرى الناقد محير فعلا، ذلك لأنه يبدو أنه يريد من يوقفه عن التمادى فى هذا السعار الهلاكى حتى أنه يستنقذ بفريسته ألا تقبل التسليم له، ربما يكون فى ذلك إنقاذ لهما معا، لكنه فى نفس الوقت يشلّ حركتها، الاستنقاذ يظهر جليا فى قولها:

"لو بتحب الدنيا صحيح:

إوعى تسيبنى لنفسى"،

وأيضا هى تتهم فريستها أنها ترفض أن تتراجع عن التمادى فى التسليم بالالتهام، فالموت:

"بس الموت جواك بيقولـّى: "إوعِكْ تصحى".

بلغت حدة بصيرة دراكيولا مصاصة الدم أنها إعلنت موقفا مـُرَاجعا يتساءل : ما الذى أتى بها إلى وسط هؤلاء الناس (الناس مع بعضهم البعض يكسرون احتكار الحب الثنائى حصريا) ، ما الضى بها إليهم بعد أن كانت قد ألغتهم من حسابها أصلا. هل كانت تناور؟ أم تخدع؟ أم توهم نفسها بأنها تريد أن تتراجع أو تتوب عن جرائمها المسعورة، حتى إذا عجزت عن ذلك، تمادت فى مص الدم والالتهام ، فالإعدام المشترك،

" أيوه صحيح !!! أنا جيتكم ليه؟

أخفى جريمتى؟

جيت أتعلم لما أمص الدم ما بانشى؟ ما يطرطشى؟

جيتكو أموت وسطيكم يعن، واسى باحاول، ولا ابيّنشى ؟"

برغم كل هذه الرؤية، إلا أن هذا الكيان غير الآمن "دراكيولا" يتمادى فى جريمته وهو لا يفيق أبدا بمحض إرادته، إلى أن يأتيه الفشل/الإفشال من انتصار داخله الفطرى الأقوى **"الطفلة الفطرة العملاق الطيب".**

حضور **الفريسة** فى القصيدة كان متوترا، لكنها لم تتكلم بلسانها مباشرة أبدا، ولم تدافع عن نفسها، مع أنها متهمة من جانب دراكيولا المفترسة مصاصة الدم ، بأنها مشتركة فى عملية الإعدام المشترك، وذلك بالتمادى فى العمى إنكارا للعدم، مع أنها لا تحقق إلا العدم نفسه بهذا الاستسلام،

ودراكيولا تتحدى فريستها أن تستغنى عنها :

"لو ما تخافشى الموت حاتشوفنى إنى الموت، وبامص الدم"

وهكذا لا يتحقق الوجوده العدمى لكليهما إلى من خلال هذه المؤامرة العدمية الانتحارية معا:

"بكره حاتحتاج موتى يا موت، ونموت جمعا"

وبعد

أكتفى فيما يلى بإعادة تقديم أغلب المتن، بعد تشريحه بالعملية الجراحية، وفصل هذا عن ذاك، فأقدمه من جديد بالترتيب التالى:

أولا: السرطان الذى تم استئصاله.

ثانيا: "الطفلة الفطرة العملاق الطيب" الذى انتصر أخيرا

أولا:

"الحب التهلكة معا":

العدم المشترك (السرطان المُسْتأصل)

(1)

.....

أنا مـــش عندى إلا الموت.

باشترى بيه الناس وباسميه "حب".

والناس عايزه تحب تحب تموت،

أيوه تموت،

جوا بطن الحوت

والبوسة بتشلب دم،

والحضن مغاره ملانه البنج السحر السمْ.

وبـــدال ما الزهره الطفله تنبت جوه الورده القلب،

بنبيع بعضينا لبعـــض، والقبض عدمْ .

ولا فيش معجزه حا تطلع يونس زى زمان،

ولا فيش برهان،

نكـــروا الرحمان.

.....

.....

(2)

لكن الدم المالح ينزل يهـــرى ف جوفى،

ويخلـــينى أعطش أكتر.

ولا يرويني إلا الدم.

ولا يرويني الدم.

ولا يرويني إلا أشوفك ميت زيي.

وارمى مُصاصتك ،

وأرجع أشكى وأبكى وأحكى،

"نفس القصـــة".

(3)

بكره حا تحتاج موتى يا موتْ، ونموت جمعا.

بكره حاتحتاج تخفى جريمـــتك، جوا جريمتى،

بكره بتاع الناس بينور.

بكره بتاعى وحش يعوّر،

(10)

إوعى تلومني.

إنتَ عايـــزنى كده.

تقتل روحك وبتتمسكن، وتقول حاشْي؟

هوا انا ممكن أقتل إلا اللى اختار قتلـــه؟

تبقى جريمة عاملها اتنين.

كل جريمة عاملها اتنين.

يبقى المقتول هوّه القاتل، أصله استسلم.

والآن:

نعود إلى الكيان الحى بعد استئصال السرطان منه لنتأكد معا من قوة التركيب الفطرى الطفلى العملاق المحب المؤمن الأقوى، (خلقة ربنا)، وهو الذى انتصر فى النهاية بل وعلى مدى القصيدة، ومع ذلك فقد كان خافيا على قراء النشرة السابقة مع أننى تعمدت نشر القصيدة كلها،

ربما لهذا السبب استأصلنا السرطان الدراكيولى، حتى نشاهد أصل الفطرة ونطمئن قبل أن نكمل:

ثانيا:

"الطفل الفطرة / العملاق الطيب"

(5)

ولا كنت اعرفْ....

ولا كنت اعرف إن الناس الحلوهْ كْـتَّارْ.

ولا كنت اعرف إن ضْباع الرجل الحى،

أقوى كتير من مليون ميت.

....

وانا فرحانه،

وخايفه،

وعايزه،

ورافضه،

نوركم جامد يعمى عنيه.

زى فراشه تحب النور،

تجرى عليه، وتحوم حواليه

وتموت فيه،

ترقص قبل ما تطلع روحها،

"آه يا حلاوه النور موِّتني"

لأ ماحصلشِى!!

....

هوا النور بيموّت برضه إلا الضلمه ؟

بعدها نور الفجر بيشرق من جوايا.

(7)

بس انا خايفة

أصلى ضعيفةْ، وطفلة لوحدى، وباحْبى فْ حجر الناس واتلخبط.

لأ، حاستني..، لأ مش طالعة .

خايفه لدكهه تمثل دورى:

تختفى تحت الجلد، أو ورا ضحكة،
أو تتصرف زى الناصحة ،
تعرض فكرة !!،
يمكن تنسُوا.
وانت تعوزها تانى فى السر.

(9)

.....
.....
ترجع برضه الطفلة تعافر، وبتستنجد:
شمس الحق اللى فى عـْنِيكم تقتل ليلها اللى اسمه بكره،
ليل اللعبة الضلمة التانية،
ليل السرقة الوسخه العامية.
ليل الوغد يموّت روحى، وروحك فيـّه.
وغد الطمع الخوف الهرب الكلبشه فينا،
حاكم الخوف عايز يسحبنا بعيد وحدينا.

(10)

لكن الطفله الأصل الصَّحْ عفة وصاحبة،
تضرب تقلب، وبتتنطط وبتتحدّى:
- أنا صاحبالك،
انتى تموتى تروحى فْ داهيه، أنا ماباموتشى.
أنا باستنى اللحظة بتاعتى، علشان أطلع.
أنا جايباكى هنا برجليكى .. علشان أشبع.
من ورا ضهرك .
بعد شويه أجرى وابرطع.
غصن عنـّك .
غصن عنـُّه.
أنا طول عمرى واقفه استنى اللحظه دهيه:
لحظة كل شواهد القبر تنبِّت خـُضره.

لحظة كل الناس الحلوه تموّت موتى.

لحظة طفله صغره ثايره، تقدر تقتلْ.

تقتل وحش يمص الدم.

لحظة لما الله سبحانه يرضى عليّأ

أحلف يحصلْ

أصله وعدني

وانا صدَّقتُهْ

*****

وبعد

ولكن ما علاقة كل ذلك بالعلاج النفسى؟

وهل العلاج النفسى إلا علاقة حب مسئول، بآخر حقيقى، يبنيان معاً كل ما يمكنهما من اعتراف متبادل فانطلاق إلى رحاب الناس تحت مظلة رحمة الحق سبحانه، بأقل قدر من الاعتمادية والتملك والإحتواء والشروط.

وهذا ما سوف نرجع إليه فيما تبقى من أجزاء هذه القصيدة بعد هذه **الجملة الاعتراضية** التى احتلت نشرة بأكملها.

الإربعـــــــاء 24-03-2010

936- تشكيلات ومراتب العلاقات، وملامح أخرى للفرض

هذه الحالات ليست حالات إكلينيكية واقعية، ولا حتى متخيلة بشكل روائى شعرى مطلق، ولا هى تصف أشخاصا بالذات، إنها من وحى الفروض العلمية العملية التى استلهمناها من مزيج من الحالات المرضية، والأصدقاء المشاركين، وتراكم الخبرة، وإلهامات الأسطورة الذاتية للمؤلف.

استطراد آخر عن العلاقات الثنائية إلى الناس إلى الهارمونى المطلق وبعض معالم الفرض

دراكيولا (3 من ..؟)

جملة اعتراضية أخرى:

تشكيلات ومراتب العلاقات، وملامح أخرى للفرض

كان ذلك يوم 15 إبريل سنة 2008، أى قبل سنتين إلا أيام، هنا فى نشرة الإنسان والتطور رقم 228 ، وكان العنوان هو "تشكيلات الارتباط الثنائى بين الأحياء، (والبَشَرْ!) .

لا أظن أن أحدا من الذين يتابعوننا يذكر هذه النشرة ، (وهل أحد يذكر نشرة أول أمس يا رجل؟)، الموضوع كان مقتطفا من أصل البحث **"تحرير المرأة وتطور الإنسان"** الذى أشير إليه فى يوميات سابقة خلال هذا الاسبوع، وأيضا سوف نعود إليه يوم الأحد القادم. وهو عن أنواع الارتباط الثنائى بين البشر، ما له وما عليه، وكيف يتدرج ،أو ينتقل، من نوع إلى نوع.

اكتشفت اليوم وأنا أهم بكتابة هذا الجزء الثالث شرحا على قصيدة "دراكيولا" ، وأيضا بعد مراجعة ما وصلنى من تعقيبات تشير إلى الفزع من بشاعة هذا النوع من العلاقة النمطية حتى حال هذا الفزع دون رؤية الوجه الآخر للمحاولة ، مما أدى بى إلى القيام بالعملية الجراحية التى أجريتها للنص الشعرى الأسبوع الماضى، لفصل سرطان هذا الارتباط "التهلكى المتبادل"، عن بقية جسم القصيدة، ليظهر النوع الأكثر نضجا من خلال مقاومة "التهلكة معا" إذ يبزغ احتمال الارتباط الثنائى "إليهم"، ثم "إليه"، اكتشفت من خلال كل ذلك ضرورة العودة إلى مراجعة ما جاء فى البحث سالف الذكر عن تطور المرأة، ثم ما اقتطفت منه فى النشرة المذكورة.(15 أبريل 2008)

أبدأ الآن بإعادة نشر الجدول الذى صنّف أنواع **الارتباط الثنائى**، استلهاما من أنواع الارتباط بين الأحياء

نوع الارتباط الثنائى بين الأحياء	الكائن الأول (أى كائن حى)	الكائن الثانى (أى كائن حى)	المقابل البشرى الثنائى (مثلا: الزواج)
(1) الارتباط التكافلى Mutualism	يستفيد وينمو بما هو، لما هو من خلال مواكبته للآخر.	يستفيد وينمو **أيضا** بما هو، لما هو من خلال مواكبته للآخر	العلاقة التى ينمو **من خلالها** كلّ من الطرفين بالرؤية، والتكافل، والقرب، والحركة، والتقارب الجسدى، والتباعد الحميم، مع الاحتفاظ بمسافة مرنة متغيرة متجددة طول الوقت.
(2) الارتباط التعايشى Commensalism	يستفيد من خلال التواجد مع الآخر، **وليس على حسابه**.	لا يستفيد ولا يتضرر بما يفعله الآخر، ويواصل هو حياته وهو يسمح لهذا الآخر بما يأخذه حسب الأحوال والمتاح.	العلاقة (الزواج) من جانب واحد، حيث يستمر أحد الأطراف (الرجل) عادة، موافقا على ما يأخذه الطرف الآخر منه، أحيانا فى مقابل

			استعمال هذا الطرف استعمالا طرْفيا برضاً نسبى، أو بدون هذا الاستعمال، فتحقق -مثلا- المؤسسة الزواجية للرجل تأكيد رجولته ومواصلة إنجازه فى حين تمارس المرأة (الزوجة) - ربة المنزل دون عمل خارجه عادة- اعتمادها غير الطفيلى عليه، وهو ماض فى سبيله لنفسه وتقتصر استفادتها على الحصول على احتياجاتها الأساسية برغم توقف نموها نسبيا أو تماما. *(وطبعا قد يحدث العكس تماما حين الزوج هو المعتمد، وتمضى الزوجة فى نموها ودعمه دون أن تتضرر)*
(3) الارتباط الطفيلى Parasitism	يستفيد ويعيش على حساب الطرف الآخر معتمدا عليه، مستهلكا طاقته، (ماصًا غذاءه).	يصاب بالضرر من هذه العلاقة الاعتمادية الماصَّة، المستهلِكةْ.	الارتباط (الزواج) الاستعمالى، الذى تصل فيه الاعتمادية الطفيلية إلى درجة أن يستعمل أحدهما الآخر لتفريغ شحناته على حساب انسانية هذا الآخر ونمائه وحقوقه، فمثلا: الرجل يستعمل المرأة أمّاً أو مجالا للتفريغ

			على حساب كيانها واستقلالها، أو تستعمل المرأة الرجل كممول للمصاريف أو مُذَبْذب للجنس، لا أكثر فيعاق ويُستنزف فقط.
(4) الارتباط بلا دعم Amensalism (آسف للترجمة مؤقتا)	يعاق أو يصاب بالضرر نتيجة لهذا الارتباط	**لا يتأثر لا ضرراً ولا فائدة، وكأن أثره السلبي على الطرف الآخر هو نتيجة ثانوية يتحملها الطرف الآخر وحده الذى ارتضى ذلك، أو احتاج لذلك، أو اضطر لذلك**	مثل الزواج (أو العلاقة) التى تدفع فيه الزوجة - عادة - ثمن العلاقة دون أن يتأثر الزوج إذْ يمضى فى طريقه المستقل (الناجح عادة) يستعملها بعض الوقت، كما يمكن أن يستبدلها أحيانا أو يضيف إليها، وهكذا يتفاقم الضرر وتتمادى الإعاقة خاصة لو الظروف فرضت استمرار هذه العلاقة الظالمة مددا طويلة.
(5) الارتباط التحطيمى التَّهْلُكى Synnecrosis	يتحطم ويعاق حتى التهلكة من خلاله وبسبب هذه العلاقة الثنائية.	يتحطم ويعاق **أيضا** حتى التهلكة من خلال وبسبب هذه العلاقة الثنائية.	مثل الزواج أو العلاقة التى تعطل الاثنين معا حتى لو أرضتهما بعض الوقت، إرضاءً طرْفيا يبرر بعض الاستمرار حتى التهلكة، ويبدو أن هذا النوع علي خطورته يحقق **نزوعاً عدميا لكلا الطرفين.** *(وهو يتم بنوع من التواطؤ: هو ما ظهر جليا حتى الآن فى قصيدة دراكيولا (2010/3/23*

ملاحظات مضافة :

فى هذه النشرة وجدتها فرصة للكشف عن مزيد من معالم ما أسميناه سابقا "الارتباط التحطيمى التهلكى"، وهو ما أسميناه فى نشرة الأسبوع الماضى "الارتباط التهلكى المتبادل"، وأيضا: "الحب التهلكة معا"

ينبغى أن نؤكد مرة أخرى ما أشرت إليه منذ أسبوع، ثم فى النشرة الباكرة، (2008/4/15) من **أن كل أنواع العلاقات يمكن أن تعتبر مرحلة، بما فى ذلك هذا الارتباط التهلكى**، إذ أنه من البديهى - إلا فى الحالات المرضية فعلا، ولو لم تسمَّ كذلك - أنه بمجرد أن يشعر أحد الطرفين، أو كلاهما، أنها تهلكة، فسوف يجد نفسه مضطرا إلى فصم هذا الارتباط، أو استبداله بما هو أقل خطرا منه، وهكذا

ثم إننى لا حظت فى النشرة الباكرة منذ سنتين : أن النوع التكافلى (رقم "1" الذى هو الأفضل) قد ركز على توصيف إيجابيات هذه العلاقة بين "اثنين" بما فيها من حركة وتنوع، ومسافة، وفائدة لكلا الطرفين، **دون إشارة ولو ضمنية إلى امتداد هذه العلاقة الخلاقة - بطبيعتها - إلى الأخرين بما أسميناه فى الأسبوع الماضى "القدرة على الحب"**، وهو ما حاولنا أن ننبه ونحن نؤكد "أن الناس الحلوة كتار" وأن "صباع الرجل الحى أقوى كتير من مليون ميت!!" وهو ما ركزنا عليه كعلامة على نوع الحب الإيجابى الذى يبدأ باثنين ولا ينتهى بهما، أى الذى يكون فيه **حب الاثنين لبعضهما البعض هو المدخل إلى حب الآخرين، فالتناغم مع الطبيعة، فالمطلق**، وهذا ما وصفناه بالتوجه نحو **القاسم المشترك الأعظم**، إلى وجه الحق تعالى. هذا **الامتداد التلقائى تناغما وتناسقا وصلاة وإيمانا (بكل التشكيلات الإبداعية الممكنة)، هو نوع الحب الذى لا يحل محل الحب الثنائى ولا يستغنى عنه، لكنه ينطلق منه**، وهذا ما صنفناه فى النشرة السابقة مما رأيت، بعد التساؤلات التى وصلتنى، أنه قد يكون أوضح حين نبينه فى جدول كالتالى (برجاء ملاحظة ظاهر التكرار، دون تكرار):

إما أن تحب غيرك فيكون *هو مفتاح الحب إلى غيره*، فالحياة.	**وإما أن تحبه جدا جدا، دون غيره لأنه *لا يوجد مثيل له ولن يوجد*.**
إما أن تحب لأن الله خلقنا *نحب بعضنا بعضا: حتى نتعايش بشرا* نحافظ على النوع وعلى الحياة.	**وإما أن تحب لأنك *جائع جدا جدا إلى من يُبلغك أنه "يريدك"* أنت جدا بغض النظر عن الثمن الذى تدفعه مقابل ذلك.**
إما أن تحب محبوبتك (محبوبك) *طريقا إلى غيرها* (غيره) *من البشر فهى بداية*.	**وإما أن تحبها *دون غيرها فهى بداية المطاف، ونهايته معا***
إما أن تحب لأنك تحتاجه وهو يحتاجك لتنطلقا معا إلى احتياج الناس لكما معا .	**وإما أن تحبه لأنك *تحتاج إلى احتياجه إليك، وهو كذلك، ودمتم.***

إما أن تحبها *بالأصالة عن نفسها والنيابة عن سائر غيرها* (فالنوع)	**وإما أن تحبها لأنها لا مثيل لها الآن وقبلا ومستقبلا**
إما أن تحبه، فتستطيع أن تحبه هو وغيره أكثر فأكثر باستمرار.	**وإما أن تحبه *فيحتكر* طاقة الحب التى لديك له "*حصريا*".**
إما أن تحبه لتستعمله ويستعملك لتسدا بذلك نقصكما الدافع أكثر لحب الناس الناقصين أيضا، وباستمرار...	**وإما أن تحبه لتستعمله فيستعملك فى دائرة مغلقة خاصة، فلا ينسد النقص ولا تنفتح الدائرة**
إما أن تحرص على تنمية "القدرة على الحب"، فتتولد وتتزايد قدرات حبك لتغمر بها مساحات أكبر فأكبر	**وإما أن تغرقه بكمٍّ هائل من الحب، هو فى نقصان مضطرد بطبيعته الكمية غير المتولدة**
إما أن تحبها (تحبك) *مدخلا إليهم*، فى رحابكما لتحققا التكامل *كدحا إلى وجهه تعالى فيكما*.	**وإما أن تحبك (تحبها) *بديلا عنهم، غائبا (غائبة) فيكما على حسابهم*.**
إما أن تحبها (تحبك): لتتحركا فى اتجاه ضام إلى بعضكما البعض إلى غيركما إلى ما بعدكما، بعدكم.	**وإما أن تحبك (تحبها) ذاتا محدودة، بعلاقة لها عمر افتراضى غير معروف، ونهاية أكيدة قريبة أوبعيدة بلا سبب كاف ظاهر عادة**
إما أن تحبها (تحبك) بكل ما هو أنت بما فى ذلك الجنس والصلاة، بكل المعانى (الجماعة، الجماع، الجامع)	**وإما أن تستعمل بعضها، لتستعمل بعضك، لأغراض صريحة أو خفية، على أى منكما أو على كليكما.**

العلاج النفسى فيه كل هذه الاحتمالات:

أما علاقة فقه العلاقات البشرية هكذا، بالعلاج النفسى، وبهذا الفرض فهى علاقة وثيقة ومباشرة، من حيث أن العلاج النفسى هو مساعدة المريض لاستعادة خطى نموه وتوازنه إنسانا يعيش مع آخرين، ليتميز إنسانا أكثر فأكثر، وذلك من خلال علاقة بشرية بإنسان آخر (المعالج) له خبرة فى تنظيم هذه المسائل، وفى نفس الوقت يسير هذا المعالج فى نفس الاتجاه وهو يواصل مسيرته، سواء فى مهنته أو فى مسيرة حياته شخصيا- (المفروض يعنى) - بنفس الصعوبات التى يعايشها مع مريضه.

تتجسد العلاقة الثنائية وتتطور فيما يسمى "العلاج الفردى"، ثم تختبر وتتاح الفرصة إلى الانتقال منها/بها - دون إلغائها- إلى العلاقة الجماعية فى كل من "العلاج الجمعى" و "علاج الوسط"

هذه هى الحكاية.

وطبعا ثم احتمالات أخرى حين نواجه أثناء العلاج أنواعا أخرى من العلاقات وهى تعتبر من "مضاعفات" العلاج النفسى بجرعة تزيد أو تنقص نتعامل معها أثناء الأشراف.

ملامح الفرض تلوح من جديد: (ولو كان فى ذلك إعادة):

سبق أن طرحت بعض أجزاء فرض هذه الدراسة كلها أكثر من مرة، وليس عندى رغبة الآن لمراجعة ذلك، إلا أننى حين انتهيت إلى هذه القصيدة التى يبدو أنها آخر القصائد التى تشرح العلاقات الثنائية، وربما هى أهم القصائد، وجدت أنه قد آن الأوان لأوضح بعض جوانب الفرض، خاصة وقد تواتر استعمال ألفاظ تحمل شحنة دينية خاصة، تُستقبل عادة بغير ما قصدتُ إليه تحديدا.

• إن العلاقة الثنائية هى مرحلة هامة وضرورية، بدءا من علاقة الطفل بأمه

• إنه لا يمكن الاستغناء بالعلاقة الثنائية عن العلاقة بالجماعة

• إن العلاقة بالجماعة الصغيرة (العلاج الجمعى) فالكبيرة نسبيا (علاج الوسط) هى نقلة طبيعية، لعلها تمثل متسع العلاقة بالأسرة، فالمدرسة مثلا (وما يوازيهما)

• إن هذه الخطوات لا تحدث فى مراحل متتالية، بقدر ما هى تتحرك فى إيقاع حيوى خلاق: فى دوائر تتسع باضطراد، وتتداخل بانتظام، وتمتد فى آفاق معروفة، فمجهولة واعدة (الغيب)

• يبدو أن الاقتصار على العلاقة الثنائية باعتبارها غاية المطاف هو ضد الطبيعة البشرية، ومن ثم ضد النمو، والتطور، ومن ثم: الصعوبات والمضاعفات.

• لا يوجد تفاضل مطلق ودائم بين علاقة وعلاقة، حيث ان الصحة العلاقاتية تتطلب الحركة الإيقاعية المضطردة ذهابا وجيئة، دخولا وخروجا، بصفة إيقاعية دورية مستمرة، دون تجاوز أو اختزال، ما دمنا أحياء

• يبدو أن الإيمان، كنزوع بيولوجى أساسى، يتيح الامتداد الضام للوحدات البشرية التى تتوجه من خلاله نحو قاسم مشترك أعظم

• تختلف المسميات لهذا القاسم المشترك الأعظم باختلاف الأيديولوجيات، والفلسفات، والديانات، لكنها تتفق فى التوجه، والامتداد، وفتح أبواب الإبداع المتجدد

إيقاف

أستأذنكم، نتوقف مرة أخرى، ونؤجل شرح بقية المتن فقرة فقرة، أملا فى استيعاب بعض ما أوجزنا وكررنا،

آملين أن نكمل الأسبوع القادم.

الإربعـــــــاء 31-03-2010

943-توّقـــف تعسفـــــى، وطلـــــب مشـــــــورة!

هذه الحالات ليست حالات إكلينيكية واقعية، ولا حتى مُتخيلة بشكل روائى شعرى مطلق، ولا هى تصف أشخاصا بالذات، إنها من وحى الفروض العلمية العملية التى استلهمناها من مزيج من الحالات المرضية، والأصدقاء المشاركين، وتراكم الخبرة، وإلهامات الأسطورة الذاتية للمؤلف.

توّقف تعسفى، وطلب مشورة!

دراكيولا (4)

مقدمة:

بدا لى وأنا أهم بكتابة هذه الحلقة الأخيرة فى مسلسل دراكيولا أن هذه الحالة، اعنى القصيدة أعنى اللوحة، قد أخذت أكثر مما تستحق، لكننى حين راجعت الحلقات الثلاث السابقة وجدت أنها كصورة تشكيلية، لم اتناول فقراتها فقرة فقرة أدخل منها إلى ما تيسر مما أريد.

كثرة الاستطرادات والتنظير قد أحاطت بالشعر حتى أغرقته فى لجة من الألفاظ الجافة فبدا عاريا من جماله برغم أن القصيدة مكتملة قد نشرت أكثر من مرة على مدار الحلقات السابقة.

ثم إنى لا أعرف ماذا وصل من نتيجة العملية الجراحية التى أجريتها مضطرا على المتن، وقد بدت لى مثل عملية **فصل الألوان** التى هى خطوة ضرورية لنشر صورة ملونة، إلا أن المتلقى للصورة لا يرى إلا نتيجتها كاملة، أما إذا رأى العملية (عملية فصل الألوان) ذاتها، ورأى كل لون منفصل وحده، فإنها تصبح صورة بشعة، أرجو ألا تكون قد وصلت الحال بنا -معى هذه العملية الجراحية- إلى هذا الوضع

لكل هذا قررت أن تكون هذه الحلقة هى **مجرد إعلان بإجهاض ما كان يمكن أن يتداعى لو أننى حاولت مع هذا التشكيل المتداخل أن أقدم شرحا على المتن مثل كل تشكيل سابق: فقرة فقرة.**

ومن ثم سوف أقتصر فى هذه الحلقة الأخيرة على تقديم موجز للخطوط العريضة التى سبق تقديمها فى الحلقات السابقة حتى أنهى الحديث عن هذه اللوحة مؤقتا، باختزال تعسفى (ربما)

الأرجح أننى حين أنتقل إلى مرحلة الجمع الكلى والتحرير الشامل لحلقات هذا العمل مجتمعة، سوف يمكننى من تحرير هذه الحلقات بشكل آخر، وأيضا قد أتمكن من تقديم الكتاب كله بشكل آخر، وربما يخرج من جزأين، أو قسمين: الكتاب الأول هو التشريح الموضعى كما ظهر حتى الآن وأنا أقدم قصيدة بقصيدة، وكل قصيدة (فيما عدا هذه الأخيرة) فقرة فقرة،

الكتاب الثانى: ربما يكون بمثابة تقديم تصنيف لأنواع العلاقات البشرية ، خاصة المسماة الحب، وهو يقتطف من كل قصيدة ما تيسر مما يعيد التربيط والتحرير بشكل آخر

ربما.

الاختصار الختامى، الذى يحمل قدرا من الاختزال التعسفى، وأيضا قدرا من التكرار الممل غالبا، أقدمه فى السطور التالية :

- إن الحب النابع من عدم الأمان، وهو الأكثر شيوعا فى الحب الثنائى لعامة الناس، يكاد يشترط إلغاء الآخرين، وقد يظهر ذلك جليا فى شعر قديم مثل:

" يالتنى وأنت يا لميسُ فى بلدة ليس بها أنيسُ" ،

أو:

ألا ليتنا يا عز كنا لذي غنًى *بعيرين نرعى في الخلاء* ونعزُبُ.

كلانا به عر فمن يرنا يقل على حسنها جرباءُ تعدِي وأجربُ

- إن هذا الحب الملتهم النابع من عدم الأمان، مهما اشتعل بين اثنين لهيبا حارا لفترة ما، فهو إنما يعقد صفقة الموت معا، إذْ يغذى موت كل طرف موت الطرف الآخر

- إن وعيا داخل داخل هذا المحب يحاول أن يحول دون هذه النهاية، وكأنه يعرف قصر عمره الافتراضى، وكأنه يريد أن ينتحر، أو ينحره محبُّه، أملا فى أن تتفجر منهما ينابيع طاقة الحياة الحقيقية الممتدة إلى حب الناس

- إن هذه العلاقة مهما تماسك طرفاها فيما بينهما بتواطؤ جبان، لا يمكن أن تنتصر مع استمرار حركية النمو فتنجح فى أن تلغى نبض الحياة بداخل طرفيها، أو إلى الناس.

- إن النصر فى النهاية هو للحياة، ضد الموت العدمى بتدعيم "القدرة على الحب" على حساب "الانغلاق فى الغرام الثنائى" المستبعد لغير صاحبيه حصريا.

- إن التواصل بين اثنين يحتاج، ليصبح أرقى بشريا، أن يمتد إلى ثالثٍ ورابع، وكل الناس، الأمر الذى لا يتحقق إلى بحركية متجددة ممتدة ، يدعمها وعى جماعى ضام، تحت مظلة وعى أعلى فأعلى، وأشمل فأشمل، فأوسع وأوسع، بلا نهاية

وبعد

فإنه يمكن لأى صديق أن يرجع إلى الحلقات الثلاثة السابقة، وإلى كل القصيدة، ويختار منها المقتطفات التى تدعم كل نقطة من النقاط السابقة، وذلك إلى أن نعود إليها فى تحرير جامع فى النسخة الورقية ، أو من منطلق آخر ضمن إعادة تحرير شامل فى جولة أخرى

ذكر ما تبقى:

لم يبق فى هذا الفصل الثانى إلا لوحتان بهما من الخصوصية، والسيرة الذاتية، ما سبق أن نشرته -غالبا- فى أعمال أخرى مثل الترحالات، وخاصة الجزء الثالث، وأخشى أن أفرض على الأصدقاء ماهو شديد الخصوصية هكذا، مما قد يجدونه فى مكان آخر، لهدف آخر غير **"فقه العلاقات البشرية"**، فتجربتى الذاتية لا تمثل بأية درجة خاصة ما هو فقه العلاقات البشرية، **فما أنا إلا فرد من المليارات البشرية الموجودة عرضا، ومن ملايين المليارات من الأحياء التى وجدت طولا.**

القصيدة التالية **"ياترى"** هى استلهام من أقرب الناس إلىّ

أما القصيدة الأخيرة ، بعنوان **"المعلم"** فهى "مازق وجودى الشخصى" وهو الذى يكمن وراء كل هذا، وبالذات انطلاقا من موقفى، أو موقعى، بين كل هؤلاء الأصدقاء الحقيقيين أو المتخيلين.

تكتمل هذه القصيدة الأخيرة ، بالقصيدتين اللتين يشملهما **الفصل الثالث** الذى كان اسمه فى المتن المنشور سابقا "لعبة الحياة"، وكلاهما يعبران عن ما هو، أو ما يوازى السيرة الذاتية ، وبالتالى يكملان قصيدة المعلم.

من كل هذا شعرت أن كل ما سيأتى بعد ذلك به جرعة من الذاتية قد لا تكون مناسبة مع كل التعميم الذى عايشناه قبل ذلك، وربطناه بشكل ما، ولو بتبرير مفتعل **بالعلاج النفسى، الذى هو ليس إلا "تسخير العلاقات البشرية المهنية الإيجابية ، لإعادة تشكيل النص البشرى، من خلال فهم وتوجيه وحوار وجدل البشر مع بعضهم البعض، حين يتصدى إنسان محب مسئول للأخذ بيد إنسان يعيش المعاناة، أو يتوقف بالإعاقة، أو يتشوه بسوء التناول.**

لم أتخذ قرارا بعد

وقد آخذ فرصة **توقف مؤقت** لالتقاط الأنفاس منتظرا رأى الأصدقاء:

هل أتوكل على الله وأكمل مهما بلغت الجرعة الخاصة أو غلبت السيرة الذاتية، خشيرة ألا يكتمل العمل أبدا - كالعادة- إذا أنا توقفت؟

أم أتوقف لفترة تطول أم تقصر حتى يطّلع الأصدقاء على أصل المتن فى هذه اللوحات الأربعة (يا "ترى"، "المعلم"، "جمل المحامل"، "الخلاص"؟؟؟)

ما رأيكم دام فضلكم ؟؟

وإلى الأسبوع القادم

يحلها حلاّل

الإربعـــــــاء 07-04-2010

950-"بيجمـــــــــاليـــــــــون"(1 من 2)

الحلقة (60)

"بيجماليون" (1 من 2)

هذه الحالات ليست حالات إكلينيكية واقعية، ولا حتى متخيلة بشكل روائى شعرى مطلق، ولا هى تصف أشخاصا بالذات، إنها من وحى الفروض العلمية العملية التى استلهمناها من مزيج من الحالات المرضية، والأصدقاء المشاركين، وتراكم الخبرة، وإلهامات الأسطورة الذاتية للمؤلف.

أما قبل:

هذه هى آخر لوحة تشكيلية مستلهمة منهم (معظم التالى هو منى أنا غالبا)، وهى تقع فى موقع متوسط بين ما أشرتُ إليه مما نبهت أنه أقرب إلى السيرة الذاتية، وبين ما استلهمته من أقرب من سمحوا لى بالاقتراب، وهى كما ننوه دائما مع كل لوحة، لا تصف شخصا بذاته إلخ...

تقديم

الرؤية الموضوعية هى مشكلة الوجود، ولا يدّعيها أحد إلا إن كان لا يعرف حقيقة ما تعنى، إنها أقرب إلى بعض صفات ما يسميه ماسلو "الوجود شبه الإلهى", وقد تصورت أيضا أن تصاعد درجات الوعى عند هيجل إنما يرسم سهاما نحو الطريق إلى احتمال مثل هذه الرؤية الموضوعية المطلقة، كما أعتقد أن معظم التطورات فى مناهج البحث والمعرفة حاليا، إنما

تعلن أمرين معا: *عجز الإنسان فى مرحلته الحالية عن الرؤية الموضوعية، وحاجته الشديدة إليها فى نفس الوقت.*

الذى يجعل الرؤية ذاتية (ضد موضوعية) هو 'احتياج' الإنسان أساسا، بما يستتبع ذلك من تحيز وهوى وخوف وتفكير آمل .. الخ . صاحبة هذه الصورة، أعنى من استلهمتُ من حضورها هذا التشكيل، هى من أقرب الناس إلىّ، وحاجتى إليها لا سبيل إلى إنكارها أو التخفيف من قدرها، ولذلك جاءت رؤيتى لها محفوفة بالحذر والتردد والمراجعة، وإذا كان لنا أن نعترف أن "الرؤية الموضوعية" المطلقة هى هدف بعيد المنال.. فأول الطريق إليه هو أن نقر أن رؤيتنا جميعا هى "ذاتية" ابتداء، ثم نأمل من هذه البداية أن نعترف بنسبيتها وقصورها، لعل ذلك يحد من غرورنا وغلوائنا فى تصور إمكانية موضوعيتنا قبل الأوان.

وهذا هو بعض ما حاولت أن أعترف به هنا هكذا:

صاحبة هذه الصورة ليست بالغموض التى توحى به القصيدة، لكن أحيانا يكون فرط سلاسة الوجود هو مدعاة للدهشة حتى الرفض، بما يشمل افتراض صعوبات وتعقيدات غير موجودة، لمجرد بساطتها، ومباشرتها. هذه السيدة كانت تتميز بقدرة حدسية خاصة أرمز لها هنا 'بقراءة الفنجان' (وفى الواقع كانت تمارس ذلك أحيانا) وكنت أحتار فى تقييم هذه القدرة هل هى حدس معرفى مخترق يمكن الاعتماد عليه، أو يسمح باستلهامه، أم أنه نكوص استسهالى غير مسئول؟

إذا كان الطبيب النفسى له رؤية أعمق بطبيعة عمله - أو المفروض أن يكون كذلك - فى مجال ممارسته مع الذين يحضرون إليه يسألونه النصح، فلا يصح أن نتصور أنه يملك نفس حدة الرؤية بعيدا عن مجال عمله، وبالذات : فى محيطه الخاص، بل إنه قد يعوض ما يتحمله من أعباء الرؤية الموضوعية أثناء ممارسته مهنته بأن يتجاوز ربما عنها أكثر من الشخص العادى - دون أن يدرى عادة- وذلك خارج نطاق هذه الممارسة، **فيرى أموره الخاصة، وصور ناسه الأقرب، كما يحب، أو كما يخاف، وليست كما "هى"**، ربما نعطيه بعض العذر احتراما لضعفه واعترافا بمحدودية قدراته الإنسانية، هذا الاحترام والسماح، وخاصة من جانبه لنفسه، قد يساعدانه على استمرار تحمل مسئولية مهنته، إلا أن هذا العمى الانتقائى - فى عمق العدل- يترتب عليه ظلم يقع على الأقرب فالأقرب ممن يحتاجهم هذا الإنسان الضعيف المرهق، فهو قد يمارس - من خلال نظرته غير الموضوعية أكثر فأكثر - تحويل أقرب من حوله إلى ما يرى ويظن، وليس إلى ما هم، وهو بذلك يفقد من يحتاجه بحق، لأنه لا يعود "آخرا" أصلا، بل يصيِّره كيانا من صنع إسقاطاته، يستعمله لسد احتياجاته، ويا ترى هل يستطيع أن يخرج من هذا المأزق أم لا، هذا يتوقف على مسار نضجه، ومدى قدرته على مواصلة نموه.

هذا التشكيل، يمكن فهمه أكثر إذا تذكرنا **الخطوط العامة لأسطورة بيجماليون**، وهى ليست صورة مطابقة للقصيدة، لكنها على الأقل موازية، مع اختلافات كثيرة خاصة فى النهاية.

وفيما يلى الفقرة الأولى من القصيدة لعل بعضها يبرر استشهادنا، دون تطابق، بأسطورة بيجماليون. (التى سنورد موجزا لها كملحق لهذه النشرة)

والعين دى عيونها صعبْ،

يعنى انتَ وبختك: يا السَّبعة الكومى، يا البنت القلبْ.

ساعه تعرف سر الدنيا فْ كنكة قهوه.

وساعات اظبطها بتكشف سرّى، على سهوهْ

والعدسة بتاعتى اللى بتكبر،

تيجى لحدِّيها وتدغوشْ،

وتصغّـــر،

.....

لأ والأدهى:

يتهيأ لى،

إنها يعنى:

(مش قادر اشوفها زى زمان)،

دى بتبقى تمام زى الشوَفَانْ

أسطورة بيجماليون تبين لنا كيف أننا حين نسقط احتياجاتنا على الأحياء من حولنا، فنحن نصيغهم كما نريد، وكأننا ننحتهم بأنفسنا أصناما وتماثيل مادية "بالمقاس" لتغذى فينا احتياجاتنا فقط، لكننا إذْ نكتشف أنها ليست إلا أصناما جميلة، لا بشرا "آخرين"، نصلى للآلهة (داخلنا غالبا) أن تبعث فيهم الحياة ليصيروا بشرا فعلا نمارس معهم ومن خلالهم بشريتنا بحق، لكن ثمٌ خطر وارد حين يكتسب هذا الآخر إرادته المستقلة، وهو أنه يمكن أن يتركنا- بفعل الآلهة أيضا (ربما فى داخله أيضا)!!، لأنه يستحيل أن يظل مجرد أداة فى يد من صنعه صنما بعد أن تحول إلى كائن بشرى حى، فنكتشف الفرق بين ما هو آخر: كيانا مختلفا ينبض لحسابه (ومعنا ومع غيرنا، لا مانع!) ، وبين الآخر (الوهمى) تمثالا مصنوعا لا إرادة له، بما يشمل احتمال أن يختار هذا الكائن الحى ذو الإرادة، أن يختار أن يخرج عن نطاق هذه الثنائية المغلقة، إذ يفضل صحبة ثالث دوننا، يختاره بإرادته، فيحدث لنا هلع عدم الامان والضياع ، ومن ثم أمنية التراجع عن الأمنية الأولى التى

حققتها الآلهة، حتى لو أدى هذا التراجع إلى إعدام هذا الآخر الحى، بإعادته جمادا بعد أن دبت فيه الحياة بشرا، ولا يهدئ من هذا الهلع وعدم الأمان أن يكون هذا الآخر - بإرادته الحرة ايضا- قد عاد راضيا مرضيا يختارنا من جديد، **فإن عدم الأمان يجعلنا نفضل أن نعاشر تمثالا من صنعنا نحن، على أن نعاشر "اخر" من لحم ودم**، آخريختار ويعيد اختياره، حتى لو اختارنا نحن فى النهاية.

هذه الأسطورة تنبه بوضوح إلى الفرق بين ما نسميه "الموضوع الذاتى" Self Object والموضوع الحقيقى Real Object ، وبرغم اختلاف النهاية، وأيضا تركيز المتن فى القصيدة ، لا الأسطورة، على رؤية الصانع، وحيرته، ورغبته فى أن يرى الموضوع الحقيقى، وليس الموضوع الذاتى، ولو من خلال رؤية الآخرين، فإن الصورة ربما أكثر من خلال أيضا بشكل موازٍ، وليس مطابقا، للأسطورة.

وأتوقف هنا حيث رأيت أنه من الأنسب هنا أيضا، كما فعلنا فى القصيدة السابقة ، (وغيرها) أن نقدم المتن مكتملا اليوم، ليصل منه ما يصل من وجه الشبه، ووجه الاختلاف، **ثم نعود لقراءته فقرة فقرة فى حلقة (أو حلقات) قادمة**، مع تعقيب فى النهاية على علاقة ذلك بالعلاج النفسى:

القصيدة:

العين دى عيونها صعب،

كوتشينة وبختك : يا السَّبعة الكومى، يا البنت القلب.

ساعه تعرف سر الدنيا فْ كنكة قهوه.

وساعات اظبطها بتكشف سرّى، على سهوهْ

والعدسة بتاعتى اللى بتكبر،

تيجى لحدِّيها وتدغوش، وتصغّر،

....

لأ والأدْ هَى:

دى بتبقى تمام زى الشوَفَانْ!!

(3)

لو شايف خوفها : أتلخبط،

وساعات أنكره يعنى استعبط!

مش يمكن نفسى أخاف على حسّ أمانها.

قومْ دغرى تخبّى خوفانها،

وتخاف مالخوف.

(4)

واذا شفت عيونها عدّت خط الصـــدّ،

تبدأ حسابات الجمْع، الطرْح، الضرب، الشكّ، الرفْض، الـــعَـدّ:

ودى مين؟ حاتشوفنى بإيه ؟!!

دا انا متمنظر، دانا بيه !!

دى عنيها أنا اللى عاملها

دى قصيدة انا اللى قايلها

على طول أرفض شوفانها.

(ماهو لازم مـــنْ عَـوَزَانِها)

(5)

أنا قلت أشوفها ف عين الناس.

وأتارى الناس بتشوفها بعيونى،

ما هو أصل الناس دول يعنى : من صنعى شوية

ما هى خيبة قوية !!

وابص كويس فى عـْـنيها

ألاقينى فيها !!

يا ترى دى مرايتى،

ولاّ أزازْها..؟

ما هى فيها حاجات ماللى عايزها ,!!

ولاّ دى نصيب للى حاجزها؟

....

يا ترى دا الخير اللى يطمّـن؟

يا ترى دا الخوف اللى يجنن؟

يا ترى ده الحب اللى يونْـوِن؟

....

أنا نفسى أشوفها انها هيّا

بس على شرط تكون ليّا

طب أعمل إيه ؟!!

ملحوظة: *لظروف استمرار فرصتى فى استلهام صاحبة هذه الحالة عشرات السنين بعد الكتابة الأولى، جرى تحديث فى القصيدة، وخاصة فى الجزء الأخير، وأضيفت الأسطر (الأبيات) الثلاثة الأخيرة. إلى المتن المكتوب (سنة 1074)*

ملحق النشرة:

نبذة موجزة عن مسرحية بيجماليون (من ويكيبيديا):

الفصل الأول

.. تدور أحداث هذا الفصل في مكان رئيسي هو بهو منزل بجماليون .....،..... تدور كل أحداث الفصل في الليل وبالتحديد ليلة مهرجان عيد الآلهة فينوس.

الشخصيات: نرسيس : هو صديق بجماليون وقد قام هذا الأخير بتربيته وهو إحدى الشخصيات الفاعلة في المسرحية. - .....ياسمين: هي إحدى راقصات الجوقة : امرأة أحبت نرسيس - . فينوس : هي إلهة الحب والجمال وهي ابنة جوبيتر .... - أبولون : هو إله الفن. - **بجماليون** : هي الشخصية الرئيسية في المسرحية وتتمثل في نحات. - **جالاتيا** : كانت في بداية الفصل تمثالا يسمو بجماله عن الجميع لتصبح بعد ذلك امرأة وهي **زوجة بجماليون**.

الأحداث والوقائع: حماية نرسيس لتمثال جالاتيا (الذى نحته بجماليون). - محاولة الجوقة إخراجه من البيت وأخذه معها إلى مهرجان عيد فينوس. - قدوم ايسمين ومساعدتها له. - محاولة معرفة ما وراء الستار والاستفسار عن جالاتيا. - خروج ايسمين ونرسيس إلى المهرجان بعد محاولات من قبل ايسمين وتركه للتمثال. - قدوم الإلهين فينوس وابولون إلى منزل بجماليون. - انبهارهما بتمثال جالاتيا وبقدرة بجماليون وفنه - .تضرع بجماليون إلى فينوس لتمنح جالاتيا الحياة. - **بعث فينوس الروح في جالاتيا وتحولها إلى مرأة حقيقية.** - رجوع بجماليون إلى المنزل ومعاتبته نرسيس على الخروج. - ذهاب نرسيس وتركه لبجماليون. - **اكتشاف بجماليون أن الآلهة حققت طلبه وشكره لها. - اختلاؤه بجالاتيا وتحدثه معها.**

الفصل الثاني

تدور أحداث الفصل الثاني أساسا في بهو منزل بجماليون، ثم في كوخ في الغابة. **الزمن** : في الليل ساعة الأصيل. **الشخصيات** - : الرئيسية : بجماليون - الثانوية : الجوقة، ايسمين، فينوس، أبولون، **جالاتيا**

الوقائع والأحداث - : هروب جالاتيا مع نرسيس. - مواساة الجوقة لزوجها بجماليون. - محاولة ايسمين إقناع بجماليون بالذهاب معها للغابة للبحث عن جالاتيا ونرسيس. - سخط بجماليون على الآلهة وردع ايسمين له خوفا منها عليه من غضب الآلهة. - طلبه من فينوس إرجاع جالاتيا كما كانت وإصلاح غلطتها. - تساميه على الآلهة. - اعتراف أبولون بذلك وغضب

فينوس على بجماليون. - إعادة أبولن جالاتيا إلى زوجها بجماليون وإيحاؤه لها بهوية خالقها وكيفية خلقها. - **تحوّل جالاتيا إلى زوجة محبة صالحة....**

الفصل الثالث

تدور أحداث هذا الفصل في بهو الدار وفي الكوخ أيضا. **الزمن** : ليلة مقمرة، ***الشخصيات -:*** الرئيسية : بجماليون - الثانوية : الجوقة، ايسمين، فينوس, أبولون، نرسيس، جالاتيا

الأحداث والوقائع - : خوف نرسيس من غضب بجماليون عليه بعد هروبه مع جالاتيا. - تخفيف ايسمين عليه. - اعترافه بجميلها عليها ومكانتها عنده - .قدوم فينوس وابولون **وفرحهما بانتصارهما يحل بجماليون وجالاتيا متحابين - .** انتظارهما قدوم الزوجين عند النافذة. - ظهور بجماليون وزوجته جالاتيا - .شعور بجماليون بالضيق ومحاولة جالاتيا التخفيف عنه. - **اعترافه بسمو صفات جالاتيا التمثال على صفات جالاتيا المرأة رغم حبه** لها فهى زوجته ، لكن رغبته فى أن ينتصر على الآلهة تجعله طلب إعادة جالاتيا تمثالا كما كانت. - استجابة الآلهة لطلبه وإعادة جالاتيا تمثالا من العاج.

الفصل الرابع والأخير

تدور أحداث الفصل الأخير في منزل بجماليون، وأيضا في الغابة، **الزمن** :في ليلة حالكة. ***الشخصيات - :*** الرئيسية : بجماليون - الثانوية : الجوقة، فينوس, أبولون، نرسيس

الأحداث والوقائع - : مرض بجماليون واعتناء نرسيس به. - جدل بجماليون مع نرسيس. - **ندم بجماليون على طلب إعادة جالاتيا تمثالا واشتياقه إليها كزوجة حقيقية وبالتالي امتناعه عن رؤية تمثالها.** - هروب بجماليون من منزله وذهابه إلى الغابة رغم مرضه. - لحاق نرسيس به. - افتتان أبولون الدائم بتمثال جالاتيا وإحساس فينوس بالنصر على بجماليون بعدما حدث له - .عودة نرسيس ببجماليون إلى المنزل. - اقتراح فينوس إعادة الحياة من جديد في جالاتيا بعد إشفاقها على بجماليون **ورفض أبولون ذلك.** - تحطيم بجماليون لتمثال جالاتيا. - لفظ بجماليون لأنفاسه الأخيرة وموته.

وإلى الجزء التالى الأسبوع القادم.

الإربعـــــاء 14-04-2010

957- "الشوفـــان" المتبـــادل فى العـــلاج النفســى

الحلقة (61)

تطبيقات:

"الشوفان" المتبادل فى العلاج النفسى

(المفروض: بيجماليون 2 من 2)

هذه الحالات ليست حالات إكلينيكية واقعية، ولا حتى مُتخيلة بشكل روائى شعرى مطلق، ولا هى تصف أشخاصا بالذات، إنها من وحى الفروض العلمية العملية التى استلهمناها من مزيج من الحالات المرضية، والأصدقاء المشاركين، وتراكم الخبرة، وإلهامات الأسطورة الذاتية للمؤلف.

أما قبل:

هذه هى آخر لوحة تشكيلية مستلهمة منهم (معظم التالى هى لوحات ذاتية)، وهى نشرة تقع فى موقع متوسط بين ما أشرتُ إليه مما نبهت أنه أقرب إلى السيرة الذاتية، وبين ما استلهمته من أقرب من سمحوا لى بالاقتراب، وهى كما ننوه دائما مع كل لوحة، لا تصف شخصا بذاته إلخ...

تقديم

لابد أن أعتذر لاختيار عنوان "بيجماليون" للحلقة السابقة، وقد سمحت لنفسى أن أغير العنوان لما يلى: من ناحية أنا اقتبست من موسوعة ويكيبديا موجز مسرحية بيجماليون، وليس أسطورة بيجماليون، ومن ناحية أخرى فهذه اللوحة التى نشرح متنها لا تشترك مع المسرحية أو الأسطورة إلا فى الإشارة إلى أهمية التفرقة بين الرؤية الموضوعية (الموضوع الحقيقى) والرؤية الذاتية (الموضوع الذاتى: نرى الآخر ونستعمله، من صنعنا نحن، وليس "كما هو")، وهذا أمر سبق أن ناقشناه ونحن نقرأ أكثر من لوحة فى هذا العمل.

لكل هذا فضلت أن أكمل الشرح تحت اسم آخر، خاصة وأننى سوف أركز على التطبيقات فى العلاج النفسى، بعد أن شملت الحلقة الأولى من شرح هذه اللوحة جرعة شخصية مفرطة.

وسوف نرجع الآن إلى منهج قراءة المتن فقرة فقرة، مع تعديل طفيف لما تم فيه من تحديث، تركيزا على ما يتعلق بالعلاج النفسى أساسا.

(1)

العين دى عيونها صعب،

كوتشينة وبختك : يا السَّبعة الكومى، يا البنت القلب.

ساعه تعرف سر الدنيا فْ كنكة قهوه.

وساعات اظبطها بتكشف سرّى، على سهوهْ

والعدسة بتاعتى اللى بتكبر،

تيجى لحدِّيها وتدغوش، وتصغّر،

إضافة إلى ما ذكرنا فى الحلقة السابقة بالنسبة لهذه الفقرة، نؤكد أن رؤية الطبيب (المعالج) النفسى تكون أقل موضوعية إذا ما استعمل نفس العينين اللتين يمارس بهما مهنته، ثم نضيف أن المعالج هو إنسان عادى يحتاج أيضا أن يُرى "كله"، بمعنى أنه لا يكفى أن تُرى كفاءته، أو مهارته، أو نتائج عمله، بل إنه - مثل أى واحد - فى حاجة إلى أن يُرى إنسانا ضعيفا عاديا محتاجا هو أيضا أن يكشف نفسه وداخله لآخر، ولعل هذا ما كان يقوم به التحليل النفسى التدريبى فى المدرسة الفرويدية الكلاسية، حين يشترط على المحلل أن يقبل أن يحلله محلل أكبر حتى يُسمح له بممارسة التحليل النفسى، لكن ذلك كان شرطا معجزا غالبا، وأيضا إجراءً مصنوعا، المفروض أن نجد سبيلا يحقق هذا الهدف من الفرص المتاحة من **"الممارسة تحت أشراف"** مباشر أو غير مباشر عبر كل مستويات الاشراف التى سبق ذكرها (نشرة مستويات الإشراف) بما فى ذلك أقرب الأقربين إليه.

فى هذا التشكيل نلحظ كيف أن صاحبة هذه العيون الصعبة المخترقة ذات الحدس الجيد، قد تبين من المتن أنها قد تكتشف داخل صاحبنا (أنا) مصادفة، رغما عنه، أو رغما عنها **"وساعات أظبطها بتكشف سرّى على سهوة"**، وهنا لا يوجد ما يوحى أن صاحب الشأن يرفض ذلك على طول الخط، لكنه سرعان ما يرفض أن يستسلم له أيضا على طول الخط، فيسارع بالتقليل من شأن قدرتها ، فتصغر فى عيونه **"والعدسة بتاعتى اللى بتكبر، تيجى لحديها ..... وتصغر"!!**

فى العلاج النفسى "يرى" المريض معالجه كما "يرى" المعالج مريضه، وأحيانا قد تصدق رؤية المريض أكثر (أنظر مرة أخرى نشرة مستويات الإشراف) فإذا استبعد المعالج هذا الاحتمال (أن يراه المريض مثلما يرى هو المريض) فإنه يفقد الكثير من فرص نموه الشخصى، وفرص التعلم من المريض، بل وفرص الاستفادة من إشرافه. مثل هذا المعالج إنما يأخذ موقفا "حُكميا" متعاليا / يدعمه بتأويلاته المستمدة عادة من

تنظيره أو أيديولوجيته، ومن ثم تقل فرص العلاج الأعمق، وأيضا فرص الإشراف الذاتى العملى الإيجابى المستمر من واقع الممارسة.

(2)

وفْ لحظة صدق أظبُطْنى

فيه حاجة خطيرة تلخبطَنى:

دانا كل ما اقرب حبّه كمان

ألاقيها بتبقى كما الشَّوَفانْ

فى ثقافتنا بوجه خاص سرعان ما يتنازل المريض عن رؤيته لمعالجه، بكل من ميكانزم **"التقديس"** و**"الإنكار"** معا، وكأن رؤية المعالج وتفسيراته هى الأصل، وهى المرجع، وبالتالى ينقلب المريض (يتشكل) ليكون أقرب إلى ما يراه المعالج، بما فى ذلك الصورة التى رآه عليها (راجع بيجماليون الحلقة السابقة) **"ألاقيها بتبقى كما الشَّوَفانْ"**، أى أن المريض يشترك فى هذا التزييف للإدراك ، فيختفى كيانه "كآخر"، وتتراجع فرص الحوار الموضوعى والاستفادة المتبادلة

(3)

لو شايف خوفها : أتلخبط،

وساعات أنكره يعنى استعبط!

مش يمكن نفسى أخاف على حسّ أمانها.

قومْ دغرى تخبّى خوفانها،

وتخاف مالخوف.

هذه الفقرة لا تصلح بشكل مبشار أن يقاس عليها فى العلاج النفسى، ذلك لأن خوف المريض النفسى هو متعدد التجليات والأنواع، ونادرا ما يعتمد المعالج على ما يبدو على المريض من الطمأنينة ولو كانت طمأنينة ظاهرة، لأنها تكون أقرب إلى الإنكار واللامبالاة، فلا يصلح قياس المتن هنا على ممارسة العلاج النفسى **"إكمنى نفسى أخاف على حس أمانها"**، فالطبيب لا يستمد طمأنينته أبدا من أمان المريض، هذا من حيث المبدأ، لكن علينا ألا ننسى ما يتعرض له الطبيب النفسى من تقليب يجعل رؤيته أقرب إلى الكشف الذى يمر به المريض الذهانى خاصة، وفى هذه الحالة قد يشارك مريضه بعض أفكاره مع اختلاف مآلها، وحمل مسئوليتها، فإذا ما تمادى خوف المريض حتى من رؤيته الكاشفة هذه، فقد يتراجع الطبيب عن مشاركته، فينطبق عليه نسبيا، ولو بدرجة قليلة جدا ما جاء فى هذه الفقرة.

ثم إن الذى يشجع الطبيب أن يتعلم من مريضه فيغامر برؤية ما يتجاوز المسموح به: هو مشاركة المريض له هذا الخوف من كشف المخبوء، والذى عادة ما يتمادى عند المريض

سلبيا، فى حين أن الطبيب - إذا سمح لنفسه - قد يستوعبه إيجابيا إلى إبداع ونمو محتملين.

المريض الذى يخفى خوفه، لأنه لم يجد من يشاركه، أو لأن معالجه، - كما المحيطين به - خاف منه، قد يفعل ذلك نتيجة خوفهم من خوفه ومن ثم خوفه من خوفه هو: **"قوم دغرى تخبى خوفها، وتخاف ماالخوف"**، وهذا ليس هو العلاج النمائى الذى يسعى إلى استيعاب الخوف واحتوائه، لا إنكاره على طول الخط.

(4)

واذا شفت عيونها عدّت خط الصـــدّ،

تبدأ حسابات الجمْع، الطرْح، الضرب، الشكّ، الرفْض، الـعـدّ:

ودى مين؟ حاتشوفنى بإيه ؟!!

دا انا متمنظر، دانا بيه !!

دى عنيها أنا اللى عاملها

دى قصيدة انا اللى قايلها

على طول أرفض شوفانها.

(ماهو لازم مـنْ عَـوَزَانِها)

نفس الفكرة: حين تتجاوز رؤية المريض ما يسمح به الطبيب (أو ما يقدر أن يسمح به حفاظا على تماسكه هو)، وهذا ما يعنيه المتن بـ "حاجز الصد"، حين تتجاوز رؤية المريض هذا الحاجز المصنوع من المنطق، والفوقية، والحسابات التأويلية، والأيديولوجيات الجاهزة، وتعاليم السطلة الدينية (لا حركية الإيمان)، أقول حين تتجاوز رؤية المريض هذا الحاجز، يبادر الطبيب - عادة - بالتأويل، ولصق لا فتات الأعراض والتشخيص، يلحق هذا وذاك بمذكرة "حيثيات الحكم" حسب النظرية التى ينتمى إليها الطبيب، وهنا تكمن خطورة المسارعة بالتصنيف والتوصيف ظاهرا، وبالتأويل والتفسير على مستوى أعمق. الدفاع الذى يلجأ إليه الطبيب فى هذه الحال عادة يكون بأن يصعد فوق مستوى المريض (المستوى الذى يفترضه) درجتين أعلى منه، **"دانا متمنظر دانا بيه"**، ثم يصدر أحكاما أكثر حبكة من بينها: أن المريض مريض، وأن ما وصل إليه من رؤية لا يمكن إلا أن تكون صدى لرؤية طبيبه اقتناعا برأيه، **"دى عنيها أنا اللى عاملها، دى قصيدة انا اللى قايلها"**، وهو عادة ما يفسر رؤية المريض بأن كُلّ ما خالف رؤيته هو ليس إلا نتيجة لاحتياج المريض لا أكثر **"ما هو لازم من عوزانها"**.

(5)

أنا قلت أشوفها ف عين الناس.

وأتارى الناس بتشوفها بعيونى،

ما هو أصل الناس دول يعنى: من صنعى شوية

ما هى خيبة قوية !!

ثَمَّ نوع من المصداقية يسمى **"المصداقية بالاتفاق"** Consensual Validity نعتمد عليها كثيرا بحق، وأحيانا بغير وجه حق، وهى أن تتفق مجموعة من المشاهدين على رؤية (أو رأى) بذاتها، وبالتالى تصبح هذه الرؤية صادقة، اعتمادا على هذا النوع من المصداقية، وهو منهج له عيوبه وضعفه، لكنه من أهم أنواع مناهج المصداقية العملية التى حافظت على مسيرة التطور.

فالأنواع تتفق، دون رموز أو حسابات، على ما يصلح لبقائها، وتتعاون فى تطبيقه، وتتكافل مع بعضها البعض من خلال ذلك أيضا، **فتبقى،**

وكذلك هذه المصداقية هى أقرب إلى بعض أشكال الديمقراطية التى تزعم أن اتفاق الأغلبية على رأى (أو على شخص) هو دليل على أنه الأقرب للصحة أو الأقدر على القيام بالمهمة،

إلا أن ذلك ليس صحيحا على طول الخط، فالانواع التى انقرضت اتفقت على أسلوب فى الحياة أهلكها، والديمقراطيات الزائفة، والمزيفة، تتفق على شخص قد يكون هو الأكثر خبثا، وليس الأقدر فعلا.

فى **العلاج الجمعى،** نستعمل **"المصداقية بالاتفاق"** دون تسليم، ولكن كمشروع (فرض) قابل للاختبار، وكلما كان المعالج من النوع المقتحم القادر المؤثر، أصبحت المصداقية بالاتفاق أقل موضوعية، فقد يميل أغلب أفراد المجموعة، أو كلهم، إلى مشاركته الرأى، أو ترديد إحساسات أقرب إلى إحساسه، وهذا أمر لا يمكن تجنبه إلى بمواصلة اختباره بأكثر من اقتراب واكثر من طريقة،

المتن هنا ينبهنا إلى احتمال اختبار هذه الرؤية من خلال الاستعانة برأى المجموع **"أنا قلت أشوفها ف عين الناس"** لكنه فى نفس الوقت يحذرنا من احتمال الخداع للأسباب السالفة الذكر. **"وأتارى الناس بتشوفها بعيونى، ، ما هو أصل الناس دول يعنى: من صنعى شويّة، ما هى خيبة قويّة!!".**

(6)

وابص كويس فى عـْـنيها

ألاقينى فيها !!

يا ترى دى مرايتى،

ولاّ أُزازْها..؟

يا ترى عايزانى؟

ولاّ انا بس اللى عايزها ,!!

وهكذا تتواصل المراجعة والنقد دون تسليم تلقائى حتى لإجماع الرؤية.

هذا المقطع يعيدنا ثانية إلى التنبيه إلى الفرق بين **"الرؤية الذاتية"** و **"الرؤية الموضوعية"**، وضرورة التساؤل عن ما إذا كانت الصورة التى تصلنا من رؤية الناس لنا (بما فى ذلك رؤية المريض للمعالج) هى صورة منعكسة من رؤية المعالج (مرايتى) أم صورة واصلة من خلال شفافية رؤية الآخر (ولا إزازها).

وأيضا قد يتصور لنا (بما فى ذلك المعالج أحيانا) أن الآخر هو الأكثر احتياجا لنا، فى حين أن الحقيقة قد تكون العكس **"يا ترى عايزانى؟ ولاّ أنا بس اللى عايزها"**.

(7)

يا ترى دا الخير اللى يطمّن؟

يا ترى دا الخوف اللى يجنن؟

يا ترى ده الحب اللى يونْوِن؟

وهكذا يظل الباب مفتوحا للنقد،

ونقد النقد،

ويصبح التساؤل الممتد هو صمام الأمن ضد التسليم الساكن سواء فى العلاج النفسى أو فى حركية النمو

(8)

أنا نفسى أشوفها انها هيّا

يبقى الشوفان ليها وليّا

نختم هذه القراءة من جديد بالتذكرة بأن العلاج عموما، والعلاج النفسى خاصة، إنما يؤتى ثماره للمريض شفاءً، وللطبيب (المعالج) نماءً وخبرة، كلما زادت جرعة النقد الذاتى، وكلما رأينا **"الأمور كما هى"**، وبالتالى نرى الأخر على مسافة موضوعية: لا هو مرآة نرى فيها أنفسنا كما نحب أن نراها، ولا هو صدى لما يدور داخلنا مهما كانت صحته،

هنا تصبح الرؤية الموضوعية هى السبيل إلى أن تحقق العلاقة الإنسانية وظيفتها: أن نكون بشرا معا،

وهذا هو غاية العلاج فى نهاية النهاية!.

الإربعـــــــاء 21-04-2010

964-المعلِّـــــــم (1) .....من كثير؟

دراسة فى علم السيكوباثولجى
فى فقه العلاقات البشرية
لوحات تشكيلية من الحياة والعلاج النفسى
شرح على المتن : ديوان اغوار النفس

الحالـة : (62)

المعلـــِّـم..... (1 من كثير؟)

(1)

طب والمعلمْ....؟

لـه عيونْ كما الـعيونْ؟

بـتقول كلام هوَّا الـكلامْ؟

ولاَّ كلامْ غير الـكلامْ؟

أذكـِّر القـاريء هنـا بـبعض مـاهدفت إلـيه من هذا الـعمل مما ذكرتـه فى المقدمة حيث قـلت: إنها -أيضا- تجربـة شخصية عنيفـة .. علمتنى فى مهنتى وعن نـفسى مـا صار هـاديـا لى، ومحذِّرا أيضا، ومحيِّرا أحيـانـا،

فى الـعلاج الجمعى، يـسرى على المعالج الأساسى مـا يـسرى على أى مريض، ويـعامل على نـفس المستوى، فـمثلا: إذ لـعُبت لـعبة من ألـعاب الـعلاج الـنفسى ، وطلب المعالج من مريض أو أكثر أن يـلعبها، فـإن من حق نـفس المريض أو أى مريض آخر أن يطلب من المعالج أن يـلعبها هو أيضا، وقـد اعتدت أن ألـعب آخر واحد فى المجموعة، حتى لا تـؤثـر استجابـاتـى على بـعض المرضى إذ قـد يـتصورون أن هذا الـذى قـمت بـه أنـا هو المطلوب. المعالج المبتدئ تحت الـتمرين، يـعفى من معاملة المثل حتى لا يخطو فى رؤيـته لـنفسه، أو حركة نموه، أكثر مما يـستطيع، ويظل هذا

الإعفاء ممتدا حتى يطمئن هذا المتدرب أنه آن الأوان أن يسمح بمعاملة المثل.

على نفس القياس، اجلت القراءة فى عيونى شخصيا حتى نهاية تشكيلات الوعى من خلال عيون الآخرين (كل الديوان) قبل الختام بالأمل (أظن أن النهاية هى غير الختام) ،.. وهأنذا أغامر وليكن ما يكون:

هذه المقطوعة هى بعض نفسى، لا كلها طبعا، إذْ من أين لى أن أعرف كلها.

ولاخيار للطبيب النفسى ألا أن ينظر فى نفسه كثيرا، وتكرارا، وأن يراجع كل ما وصل إليه، بعد أن يصل إليه، هذا الاضطرار مصدره الأساسى هو ما يتلقاه، من مريضه، وهو منفتح لكل ما يأتيه ظاهرا وباطنا كمدخل لاحترام مريضه، ومن ثم نفسه، والاحترام هو عاطفة أساسية أعتبرها أرقى درجات الحب، كما أشرت مرارا، وكما أجلت الحديث عن ذلك بالتفصيل مرارا أيضا.

الشجاعة مطلوبة أكثر كثيرا حين يقارن الطبيب (أو المعالج) نفسه بمريضه، فيصله أن الفرق ليس فى التركيب البشرى الأساسى، ولكن فى ترتيب هذا التركيب وفاعليته .. ونتاجه، مرحلة بمرحلة، لا بد أن يدرب الطبيب نفسه على ممارسة درجة من العدل والصبر، وأن يتعود الألم المشارك، وغير المشارك، وقد يصل الأمر - إن استطاع - أن يمد معاملة المثل (على الأقل فى ما يتعلق بالتخطيط، والتوجيه، والأمانى، والوجدان) إلى أقرب الأقربين، بمعنى أن يرضى على مريضه ما يرضاه على نفسه وعلى أولاده وزوجه، وأن يرجو للمريض ما يرجوه لنفسه ولأولاده، وزوجه، وهو مضطر أن يحترم الفروق الواقعية، يدرك باستمرار وتجدد أن الاختلافات - إن وجدت- هى فروق تنظيمية خارجية وواقعية، أما موقفه الداخلى ومسئوليته فينبغى ألا يداخلهما لبس أو تفاوت.

تصعيد وعى الطبيب وارد مع طول ممارسته، والشك فى مصداقية البصيرة مهما احتدت واجب عليه أيضا، ومن ثم فالمراجعة والنقد هما الضمان الأول فى استمرار التبصر ونمو الوعى. طريق النمو ليس له نهاية، وكل ذلك مفروض أن يصب فى صالح مرضاه، من خلال ما أسميناه "الإشراف الذاتى" **(نشرة 14-4-2010 "الشوفان" المتبادل فى العلاج النفسى (المفروض: بجمالبون 2 من 2).**

وفى هذه المقطوعة أصف - فى محاولة صدق - حيرتى مع نفسى: ومن ثم فى دعم مسيرته . ماذا أنا؟ ومن أنا ..؟ وهى بعض سطور من بعض أوراقى .. أما بقية الأوراق فقد أوهب الشجاعة لنشرها يوما - أو أموت بها آسفا - (أظن أننى نشرت بعض ذلك لاحقا فى ترحالاتى الثلاثة **"الترحال الأول: الناس والطريق - الترحال الثانى: الموت والحنين - الترحال الثالث: ذكر ما لا ينقال"** لاحقا، وأيضا سجلته فى بعض شعرى الذى لم ينشر أغلبه2010)

أعتقد أن هذه الحالة "المعلم" هى محاولة متواضعة تواضع العاجز دون ادعاء، .. فى نفس الوقت هى إصرار مثابر على مواصلة السعى دون استرخاء إلا ليعاود السعى، ويا ويح من لا يجد رفيقا يؤكد له أن هناك من سبقه على هذا المضمار ولم يتنازل، ولم يتناثر، ولم ييأس.

أعتقد - أو لعلى آمل - أن تقوم هذه الأوراق بتقديم فرصة ائتناس "عن بعد" لمن يحاول ويثابر.

يبدأ التشكيل بالتساؤل:

هل الطبيب النفسى له نفس مشاكل المريض، ولغة عينيه، ورهبة رؤيته، واضطراب ذاته..؟ (له عيون كما العيون؟) وهل كلامه 'الكبير" يحمل المعنى والفعل والمسئولية بالقدر الذى ينبغى أن يحملها؟ أم أنه كلام للاستعمال الظاهرى؟ يصلح 'للمرضى' (والآخرين) ولا يسرى عليه ولا يصلح له؟ بتقول كلام هوّه الكلام ولا كلام غير الكلام؟ هل هو يبيع النصح والفتاوى والتفسير والتأويل لغيره مرضى وغير مرضى، أم أنه يغامر فيعد نفسه أحد هؤلاء الذين تصادف أن أعطوه فرصة مختلفة لا أكثر؟

تقمصت الصورة التى وصلت إلى بعض (أو كل) الأصدقاء خوفا، وتحفزا، ورفضا، ونقدا كالتالى:

(2)

شيخ الطريقة قاعدْ لى كما قاضى الزمانْ.
بيقسِّم الأرزاقْ ويمنح صكّ غفران الذنوبْ،
وكإن مشكلة الوجود،
ما لهاش وجود،
إلا حَـــداهْ.
عامل سبيل إسمه "الحياه" :
"قال ده يعيش ،
ودى تموتْ،
ودا مالوش الا كده".
قاعد يصنف فى البشر حسب المزاج:
"لازم تـــعـــدِّى عالصراط"
واللى بيشبه حضرته يديه قيراط:
فى جنته ،
واللى يخالف هوه حر.
يكتب على قبره ماشاء:

ميت صحيح، لكنه حر فْ تربته.

وان قلنا ليه ياعمنا ؟

بيقول كما قاضى الزمان:

ماقدرشى يمشى عالصراط، ويكون "كمثلي".

ونقوله: مثلك يعنى إيه ؟

يتخض ويبان فى عينيه،

ســـــؤالات كثير:

بتقول عينيه:

فى هذه التجربة الخاصة جدا، لم أكن الأنضج أو الأكثر خبرة شخصية، وإن كنت غالبا الأكثر خبرة مهنية، ومع ذلك بدا للجميع أننى شيخ طريقة خاصة، العارف بالمطلوب والطريق، والتوجه، وبالتالى هو يملك أدوات قياس الخطى، وحسن الأداء....الخ، وكل هذا غير صحيح، إلا أننى لا انكر أنه كان هو ما وصل إلى أغلب المشاركين، فلعله هو الصحيح، فإن كان الأمر كذلك، فهذا هو الخطأ الذى يمكن أن يقع فيه أى قائد مجموعة، سواء عيّن نفسه قائدا لها (وهذا نادرا ما يحدث فى مثل هذه الخبرات)، أو فرضت عليه صورة القائد من خلال رؤية الآخرين له.

وبرغم هذا التحذير المبدئى، فلا مفر من الاعتراف بأن من يمارس الطب النفسى بالعمق الكافى، سوف يجد نفسه " يعرف أكثر فأكثر" بشكل مضطرد، رضى أم لم يرضَ، ومعرفته هذه عادة لا تتوقف عند حدود مهنته، بل إنها معرفة عادة ما تمتد - مختارا أو مضطرا- إلى تساؤلات كلية، وفروض محتملة، تتعلق بالوجود الإنسانى عامة، وليس طبيعة المرض والمريض فقط، فهو يواجه المشكلة الأزلية وهى ""ماهية الإنسان"، وغائية الحياة، فعمله لا يقف به عند الاكتفاء برؤية جانب من جوانب الانسان مثل فكره أو سلوكه او اسم مرضه أو تقييم معاناته، وإنما هو يضطره بشكل مباشر أو غير مباشر إلى مواجهة تساؤلات موضوعية حول وجوده ومعنى استمراره ... إلخ إلخ، هذه الأسئلة قد يلقيها المريض فى وجهه مباشرة من خلال أعراضه أو بصيرته، وقد تتحرك فى الطبيب تلقائيا نتيجة لصدقة مع نفسه وتصديقه أزمة مريضه، هذا أثناء الممارسة، فما بالك إذا مر بتجربة مغامرة عنيفة، مثل الذى أنتجت هذا العمل كله، الذى يختتم بهذه الرؤية الذاتية الصعبة، التى قد تصدق أو لا تصدق؟

لا يواجه مثل هذه المشكلة إلا من عانى هذا الحدس العلمى الفنى الوجودى العميق الذى اضطره اضطرارا إلى مواجهة مشكلة الوجود البشرى، ليس فقط فى مطلق غايته، ولكن أيضا خلال مسيرة حياته اليومية.. وما أبعد القطبين، إنه يحمل هذه الرؤية قولا ثقيلا، لايستطيع أن يتخلص منها بعد

أن أشرقت فى عقله ووجدانه معا، وهو أيضا لا يستطيع أن يغفلها وينحيها جانبا لأنه يراها كل يوم عدة مرات فى مرضاه، وطول الوقت فى نفسه، وهو لا يستطيع أن ينظِّرها فى فكر بحت، لأنه ليس فيلسوفا يبحث وراء ماهية المفاهيم فى ذاتها، وهو ليس فنانا يحورها ويعلنها بالرموز ليوقظ بها الناس يوما ما، وهو ليس نبيا يحاول أن يحققها على أرض الواقع فعلا يوميا ثائرا مستندا إلى السماء وما بعد الحياة الدنيا، وهو ليس متصوفا بحيث يستطيع أن يضبط جرعة ما يبوح به وما لا يبوح به للعامة خاصة، وهو ليس عالما بالمعنى الذى انتهى إليه أغلب العلم المؤسساتى الذى اصبح أقرب إلى كنيسة المعلومات المنزلة المحكومة بالمناهج الثابتة،

إذا كان هو ليس كل ذلك، فما هو ومن هو ؟

أظن أن هذه السلسلة من النشرات - مرة أخرى: الأقرب إلى السيرة الذاتية- هى محاولة لعرض بعض الإجابات الناقصة، التى تتعلق بفرد واحد، مرّ بما أتيح له ووضع إجابات هى بمثابة **فروض عاملة** لا أكثر ولا أقل.

نبدأ بالصورة التى وردت فى هذا الجزء من المتن، وهى الصورة التى تصور هو أنها وصلت إلى مستوى ما من وعى من خاضوا التجربة معا، ورفضوه، وأحبوه، وحذروا منه، وتساءلوا عنه، فألقى سلاحه وتقمصهم وهم يتساءلون عن ماهيته وقد بدا لهم أنه يدعونهم ليكونوا نسخة منه (وهذا غير صحيح غالبا كما سوف يتضح من هنا حتى نهاية هذا العمل)

ولكن دعونى أضيف الفقرة التالية حتى يتأملها القارئ قبل أن نعود إلى شرح الفقرتين معا فى النشرة القادمة، ذلك أنه يبدو أن صاحبنا قد قبل التحدى، دون أن يقر أنه فعلا يريد أن يكونوا "مثله"، فكل بقية هذا التشكيل تقول أنه حين قبل التحدى "مثلك يعنى إيه؟"، اكتشف فى دهشة أنه لا يعرف الإجابة، فقفز إليه نفس تساؤلهم، وراح يبحث معهم : صحيح : مثله يعنى إيه ؟ وبرغم أنه لم يقر أنه يريدهم أن يكونوا مثله، إلا أن للسؤال مشروعيته فى ذاته، فإن صح أنه يعرض على الآخرين نوعا من الوجود يليق بالبشر، فهل يا ترى حقق هو هذا النوع، فإذا به يكتشف أنه يسعى، ما زال يسعى، وسوف يظل يسعى غالبا، وفى سعيه هذا يرى صورته من أكثر من زاوية، فى أكثر من تجلٍّ كما بدت فى هذا التشكيل.

وبعد

نكتفى بهذه المقدمة التى نختمها بإضافة فقرة واحدة، دون الصورة كلها كما سبق أن فعلنا فى تشكيلات سابقة، وذلك حتى نعود فى النشرة القادمة إلى قراءة تساؤلاته ومخاوفهم، (ما سبق عرضه من المتن فى بداية هذه النشرة) ، جنبا إلى جنب مع تساؤلاته عن ماهيته هو، كما نوردها فى الفقرة التالية من المتن التى تعلن بعض هذه التساؤلات بعد الدهشة: **"يتخض ويبان فى عينيه، سؤالات كثيرة:"**

(2)

يـا هلترى عمـال بـاشوف الـنـاس عشان أهرب مـا شوفـشى مين أنـا ؟

ولا بـاشوفـنى الـنـاس ؟ ؟

نـفـسى أشوفـنى من بـعـيد

من تحت جلـدي.

من وسط قـضبـان الحديـد.

من غير كلام ولا سلام.

أقـلـب عيـونى ولا ابـص فى المرايـه ؟

...

أنـا لـو أبـص فى المرايـه حاشوف "خيـال".

إيـده الـيمين إيـدى الـشمـال.

واقـف بـعيـد ورا الإزاز.

واجى أقـرب لـلمرايـة الـتقى بـرد الجمـاد.

وشى يـبطط، والـنفس بـيغطـى تـقـاسيمه كمـا جبل الـسحاب

قـدام قـمر مَوْحود حزيـن.

واما قـلـبت عيـونى جوه عمِيت.

وحـاولـت ابـص:

حـاولـت اقـرا فى الـضلام

مـالـقـيت كلام.

ورجعت أبـصـلـــكم هنـاك، فى عيـونـكم انـتم .

أنـا أبـقـى مين ؟

.....

وإلى الحلقـة الـقـادمـة

(يـا تـرى سوف نـصل إلى كم حلقـة..؟)

الإربعـــــــاء 28-04-2010

971- المعلـــــــــــــــــــــِّم..... (2)

الحالـة : (63)

المعلـــِّم..... (2)

مقدمة :

وعدنا فى الحلقة السابقة بشرح الفقرتين معا، لكن يبدو أن الإيقاع سيسير أبطأ كثيراً لدرجة أننا سنكتفى فى هذه النشرة بجزء من الفقرة الأولى فحسب.

(2)

شيخ الطريقة قاعدْ لى كما قاضى الزمانْ.

بيقسِّم الأرزاقْ ويمنح صكّ غفران الذنوبْ،

وكإن مشكلة الوجود،

ما لهاش وجود،

إلا حَـداهْ.

عامل سبيل إسمه "الحياه" :

"قال ده يعيش ،

ودى تموتْ،

ودا مالوش الا كده".

قاعد يصنف فى البشر حسب المزاج:

"لازم تـعـــدِّى عالصراط"

واللى بيشبه حضرته يديه قيراط:

فى جنته ،

واللى يخالف هوه حر.

يكتب على قبره ماشاء:

ميت صحيح، لكنه حر فْ تربته.

وان قلنا ليه ياعمنا ؟

بيقول كما قاضى الزمان:

ماقدرشى يمشى عالصراط، ويكون "كـمـثـلي".

مازلت أتقمص رأيهم (رأى الأغلبية) فى الصورة التى تلقوها عن نوع حضور هذا القائد القاهر (المعلّم) وكأنه يفرض ذاتية وجوده على غيره بشكل حرفى، وكأنه يريد من الآخرين أن يكونوا نسخة منه، هذا التلقى (من المريض أو الأبناء أو أى واحد) وارد فى العلاج النفسى وأحيانا يكون حقيقة عند بعض المعالجين الذين لا ينتبهون إلى نوع وجودهم الذى يستمدونه من سلطتهم على مرضاهم.

هذا هو ما ألمحنا إليه فى النشرة السابقة، والمِعلِّم بذلك يبدو أنه مثل شيخ الطريقة (الصوفية) له مريدون، ومنهج (طريقة)، و"رؤية" (حقيقية!) المهم هنا، إضافة إلى ما جاء فى النشرة السابقة، أن استقبال مرضاه (وأحيانا المحيطين به أيضا)، يصورلهم أنه يصنفهم على مزاجه

"قاعد يصنف فى البشر حسب المزاج"،

والتصنيف هنا ليس بوضع لافتة تشخيصية (اكتئاب، فصام... الخ)، لكنه تصنيف أقسى وأكثر دَمْغاً.. هذا ما يصل للخائفين من طغيان شخصيته، وهو تصور إصدار إحكام على علاقة المريد بالحياة ذاتها. التصنيف يشمل تحديد جرعة الحيوية (الحياة) التى يتصف بها المريض (أوغيره)، فكثيراً ما يصف الطبيب النفسى (أو المعالج) مريضه بأنه ميت (انظر نشرة "التدريب عن بعد" أمس link).

بصراحة دعونى أعترف أننى بعد حيرة طويلة انتبهت إلى أننى لا أنتمى إلى أيديولوجيا معينة، أو حتى أية منظومة ثبتّتها وصاية أوصياء عليها مهما كان تقديسها، بقدر ما أنتمى إلى ما يمكن أن أسميه **"حركية الحياة"**، وليس عندى توصيف أكثر من أنها **"استمرارية الحفاظ على الوجود البشرى نابضا فى دورات استيعاب فإبداع، لا يتوقفان** (حتى بعد الموت مؤخرا)، يبدو أن هذا اليقين يصل إلى المحيطين بى باعتباره يقينا ثابتا، مع أنه ليس أكثر من "قانون" أو "برنامج له قواعده"، التى لا أعرف إلا أقلها.

يبدو أنه ترتب على انتمائى لما أسميته "حياة" كقيمة فى ذاتها: أن الآخرين تلقوه باعتباره "أيديولوجية ما: حتى لو كان اسمها "الحياة"

عامل سبيل اسمه "الحياة"،

وبالتالى يمكن تصور هذا التلقى من الآخرين مع احترام أسبابه، بأنه ينتهى إلى: "إن من يتبع هذا **الطريق: "النبض المستمر" والتغير الوارد دائما ، والبسط (الإبداع) المتناوب،** فهو يتبع طريقة "المعلم" "شيخ الطريقة"، لكن استقبالهم هنا وأنا أتقمصهم أكد لى أن هذه "الطريقة" التى صورونى شيخها، قد وصلتهم باعتبارها أيديولوجية أقيس بها درجة "حركية الحياة" عندهم، وبهذا تصبح المسألة أقسى، وأخنقُ إحكاماً، من أية أيديولوجية أخرى، لأنها تصل إلى الآخرين، وكأنها **"براءات وجودٌ بدّرجة كذا":**

وهم يصفون التصنيف - من وجهة نظرهم- بخطوط كاريكاتيرية هكذا:

هذا يصلح لأنه ينتسب إلى البرنامج

"قال ده يعيش"!

وهذه لا تصلح أصلا للانتماء إلى هذه "الحياة"

"ودى تموت"

وذاك يكفيه هذا القدر من جرعة الحياة

"ودا مالوش إلا كده"

هكذا كان تصورى لاستقبال الخائفين من هذه الحركية أو هذا البرنامج باعتباره أيديولوجية مفروضه، وكأن عليهم أن يتبعونها ليحظو بنيشان الشهادة أنهم "أحياء"،

وهنا يقفز سؤال على لسانهم: **إذا كان هذا هو المطلوب يا عمنا فكيف يمكن تحقيقه؟**

وهو سؤال لا يمكن الإجابة عليه إلا بأن... "المطلوب هو" **"هكذا"** دون تحديد.

ويتكرر السؤال، فيأتى جواب ضمنى أنه إن لم توجد تفاصيل مسبقة لمعالم المذهب، فثم طريق إليه، وهوما يقابل **"المشى على الصراط"**

مفهوم "للمشى على الصراط" له معى قصة طويلة فى مسار فكرى ووجودى، وقد أسميت ثلاثيتى الروائية "المشى على الصراط" بأجزائها الثلاثة (الواقعة - مدرسة العراه - ملحمة الرحيل والعود) بناء عن هذا المفهوم، أنا أفهم المشى على الصراط باعتباره جزءًا من البرنامج الذى أسميته "حركية الحياة"، وهو يتضمن: **"عملية الانتقال" من "حالة وجود" مستقر (ساكن غالبا) إلى حالة "وجود واعِد آخر" (غير**

معروفة معالمه عادة)"، أعتقد أن هذا هو ما يسميه فردريك بيرلز "المشى فى النار" Passing into Fire فى العلاج النفسى العميق، وخاصة فى العلاج الجمعى حيث يتواصل الإفشال التدريجى للآليات الدفاعية المستعملة والمثبتة لحالة الوجود المستقرة، فتهتز الميكانزمات وتتخلخل لدرجة ما، ويُستدرج مُستعملها بعد هز آلياتها إلى "نور البصيرة"، فلا تعود ميكانزماته قادرة على مواصلة عملية التثبيت والتسكين التلقائية، فيتحرك المريض (أو أى شخص ينمو) **مرغما نسبيا** من خلال اختيار عميق إلى احتمال آخر، ويدخل فى مرحلة صعبة عادة بعد أن فقد القديم فاعليته وتماسكه **دون، أو قبل، ظهور ملامح الجديد**، برغم يقين ما بأن هذا الطريق (الصراط) هو الذى يؤدى إلى "احتمال آخر"، هذا الطريق هو الصراط، وهو ليس صراطا يؤدى إما إلى الجنة **"يدّيه قيراط فى جنته"** أو إلى النار (المرور فى النار بيرلز Passing into Fire)، ولكنه **صراط بين "القديم الساكن" و"الجديد المحتمل" "غيْر معروف المعالم"**.

الاتهام الموجه للمعلم هنا هو أنه يخدع الناس حوله بوعود غامضة، لكنه يخفى فى سريرته مواصفات محددة للحياة التى يعتبرها الجنة (ربما اليوتوبيا)، وهكذا يبدو لهم أن دخول جنتة الخاصة (الخصوصى) هذه لا يرتبط بكدح السائر على الصراط، بقدر ما يرتبط برضا المعلم

قاعد يصنف فى البشر حسب المزاج،

إذن فهو يخلخل القديم، ولا يعد بجديد محدد، ويمنح مقابل رضاه حجرات أو قصور (أو أفدنة أو قراريط) فى جنته الخاصة، فهى - من واقع تخوفهم - ليست دعوة **للتكامل والتطور**، وإنما هى دعوة **للتبعية والتقليد** بأن يكونوا نسخة منها

واللى بيشبه حضرته، يديه قيراط فى جنته

كل هذا وصلنى ضمن وجهه نظرهم التى تقمصُتها، وقد تصوروا، أو قرروا، أو اكتشفوا، إن كل ذلك: كان يجرى تحت زعم حرية مشبوهة.

فى هذه المواقف العلاجية (وغير العلاجية) يتم استعمال كلمة "الحرية" بإفراط شديد وخداع حقيقى، لا أتردد فى أن أشبهه باستعمال أمريكا للفظ الديمقراطية التى تسوقها لنا هذه الأيام لتحقيق الفوضى (وهم يوهمونا أنها خلاّقة)، حتى نخضع للتبعية والاستسلام، وهم يصورون لنا أن ذلك قد تم باختيارنا (حريتنا).

المتن هنا يحاول أن يعرى صورة "المعلم" كما وصلتهم وهو يدعى أنه مسموح لأى واحد أن يخالف تعليماته، السماح بالاختلاف (مثل مزاعم "قبول الآخر" من على السطح) يبدو وكأنه : منتهى الحرية، لكنه سماح فوقى مشروط "كما يرونه):

واللى يخالف "هوه حر"!!

وعليه أن يدفع ثمن استعماله حريته حكما نهائيا بالنفى الإعدامى

ميت صحيح،!!

لكنه حرّ فْ تربته!

أية حرية تلك التى تفترض واحدية الاختيار قبل السماح المزعوم بالاختلاف؟

أية حرية تلك التى تنتهى بالحكم بسحب صفة الحياة منك بمجرد أن تخرج عن الخط؟

"هكذا يتم الإعدام رميا بالأحكام الفوقية" بعد الطرد من الجنة.

كما يمكن أن يتم النفى (الإعدام) بالسقوط من على شعرة الصراط وأنت تترجح عليها مرعوبا.

كثير من المرضى الذين يدخلون هذا المأزق يلحون فى طرح أسئلة مشروعه معلنة وخفية تقول: مادام القديم قد اهتز أوتخلخل وتحطم هكذا حتى لم يعد من الممكن الرجوع إليه، فلم يعد أمامنا إلا المضى قدما إلى المجهول، لكن يظل من حقنا ان نسأل "إلى أين؟" "ثم ماذا"؟

وهم لا يجدون إجابة - من المعلّم بالذات- إلا **"أنت حر"**، كيف **"أنه حر"** وهو لم يعد يستطيع إلا المضى قدما على شعرة الصراط .

هذه الصورة التى تبدو ديكتاتورية إلى هذه الدرجة ليست حقيقة العلاج، ولا هى كانت حقيقة ما جرى فى التجربة الخاصة التى أتحدث عنها، (من وجهة نظرى)، إلا أن تعريتها هكذا ربما تكون ضمانا لعدم حدوثها فى العلاج أو غير العلاج إلا نادراً.

مساحة الحركة، والحضور الاختيارى، والاستمرار الاختيارى المتجدد لفترة من الزمن تسمح بمواصلة السير على الصراط إلى الوجود الجديد الذى يصبح قديما ليهتز وتدخل إلى صراط تال وهكذا، هو قانون حركية الحياة.

المشى على الصراط لا يوصل صاحبه إلى غاية محددة، لكنه يؤكد له سلامة توجهه كدْحاً،

إن أسهل سبل الهرب من مواجهة مواصلة السعى اختيارا هو أن يتصور المريض (أو أى شخص) أن المطلوب هو أن يكون صورة طبق الأصل من المعالج - المعلم - (القدوة)، إذا هو واصل المشى على الصراط أملا فى قيراط من الجنة الموعودة، مادام قد أصبح نسخة من "المعلم"!

لكن كيف يكون مثله والمعلم نفسه ليست له معالم محددة ومعلنة؟ فيتواصل التساؤل:

"ونقول له: مثلك يعنى ايه"؟

يسكت.. يتوه

يـسرح.. يـقـف!

وعنيـهْ تـقـول.. كلام كـتير:

*****

وهكذا لا يجد الخائفون جوابا جاهزاً.

المعلم شخصيا لا يعرف الجواب

فيبدأ البحث عن جواب وفى عينيه "كلام كثير"

نقرأه معه فى الحلقات التالية.

الإربعـــــاء 05-05-2010

978-المعلِّـــــــــــــــــــم..... (3)

دراسة فى علم السيكوباثولجى
فى فقه العلاقات البشرية
لوحات تشكيلية من الحياة والعلاج النفسى
شرح على المتن : ديوان اغوار النفس

الحالـة : (64)

المعلـــِّـم..... (3)

مقدمة :

مازلنا فى مغامرة قراءة هذا النص الأقرب إلى السيرة الذاتية، وأعتقد أن التقدم فيه بهذا البطء يرجع - ولو جزئيا- إلى المقاومة التى أعانى منها وأنا أتناوله، لكن ما يصبّرنى هو أملى أن يكون فيه ما يفيد فى العلاج النفسى، غير تلميحات السيرة الذاتية.

يا هلترى عمال باشوف الناس عشان أهرب

ما شوفشى مين أنا؟

ولا باشوفنى الناس؟ ؟

نفسى أشوفْنِى من بعيد

من تحت جلدي.

من وسط قضبان الحديد.

من غير كلام ولا سلام.

أحيانا تكون رؤية الطبيب النفسى - والفنان - للآخرين،

ثم تصنيفهم وحتى علاجهم ونقدهم، وتصويرهم . . هى مهرب من رؤية ذاته، ليس بمعنى الاستبطان كما أشرنا، وإنما بمعنى البصيرة كما تمنينا، وإذا لم يمارس الطبيب رحلة الداخل والخارج من الناس إلى نفسه، وبالعكس، فانه خليق أن يعانى من إعاقه نموه هو شخصيا، ثم إنه حين يرى نفسه فى الناس دون نفسه فإنه لا يرى نفسه، أو كما قال لى أحد الأصدقاء (المرضى) مرة: "أنا لست امتدادك الجغرافى".. فأيقظنى على يقظتى، (علما بأن هذا الصديق قال هذا التعليق بعد أن كنت قد كتبت هذه الفقرة بسنوات..) وفى محاولة الرؤية الصادقة.. لابد أن يقف الإنسان من نفسه موقفا تجاوزيا (منبعيد) . . حتى يمكنه أن يحكم، على ماهية وجوده . . ومن ثمَّ يعدل من مسيرته باستمرار.

نِفْسى أشوفنى من بعيد

الرؤية ليست مجرد تقييم للسلوك، ولكنها - حتى تنفع - لابد أن تكون رؤية لحقيقة الوجود، أو بعض ذلك على الأقل، وهى تحتاج أن نبتعد ونقترب مما نريد أن نراه، فما بالك برؤية الذات، الرؤية هنا استلزمت هذه النقلة إلى مدى يسمح أن يكتمل المنظر.

نفسى أشوفنى من بعيد: من تحت جلدى

لامفر من مغامرة الغوص إلى ما تحت السطح بصدق ومعاناة.، ومرة أخرى أؤكد أن هذه ليست محاولة استبطان (Introspection)، وأيضا يحتاج الأمر إلى التخلص من سجن المهنة والأحكام المسبقة:

من وسط قضبان الحديد.

قيود الطبيب النفسى الظاهرة كثيرة وصعبة، مثل تواصل اتصاله بالمجتمع، وحكم المجتمع عليه بما هو ليس هو، وانتظار المجتمع منه ما ليس عنده، وممارسته اليومية، فى مجاله وخارج مجاله...الخ، أما قيوده الداخلية فهى أشد وأصلب فهى آلياته (ميكانزماته) التى تحميه من جرعة رؤية لا يقدر عليها، ومن مفاجآت معرفة تفوق مسيرته أو تغير مجراها، دون إذنه، ودون ضمانات المآل.

ولكن كيف نضمن أن الرؤية ليست استبطانا معقلنا؟

أعتقد أن ذلك يتحقق حين نفاجأ بنتائج البصيرة النافذة أكثر مما يتم من خلال جهد تفكيرىّ قصدى، نعم: لا يوجد قرار يسمح بهذا الكشف البصيرى، وإنما يوجد قرار للتعرض لاحتمال ذلك ، ربما هذا هو ما أشار إليه النص، وهو يستبعد أن تكون الرؤية كلمات مرصوصة أو تحتاج إلى تمهيد معين.

من غير كلام ولا سلام.

*** * * ***

ثم يبدأ المتن فى سرد محاولات شحذ البصيرة خطوة بعد خطوة بشكل مباشر، أو بانعكاس محتمل

أقلب عيونى ولا ابص فى المرايه؟

نبدأ بالخطوة الأولى وهى: النظر لصورة الذات فى مرآة البصيرة

تعلمنا من قديم ما يسمى "وهل المرآة" Mirror Illusions وهو يشير إلى أن الشخص حين ينظر فى المرآة يرى نفسه على مسافة كأنه واقف خلف المرآة، وحقيقة الأمر أن الصورة ليست إلا منعكسا ضوئيا (؟!)

أنا لو أبص فى المرايه حاشوف "خيال".

يبدو أن هذا النص فى المتن يدعم التأكيد على أن المسألة ليست مجرد النظر إلى الداخل، فقد ينتج عن ذلك أن نرى أنفسنا كما نتصورها وليس كما هى، الشخص وهو يحاول ذلك إنما ينقسم إلى "مُشاهِد راصْد" بالعقل عادة، و"مشاهَدْ تحت الفحص"، وهكذا يجرى ما يمكن أن يسمى "تشيىء الذات"، وهو أمر يقلل أو حتى ينفى أنها رؤية الذات أصلا.

واجى أقرب للمراية التقى برد الجماد.

هكذا: تظهر الصورة باعتبارها صورة، وليست "أنا" الحقيقى بتكثيف طبقاته المتداخلة، وهكذا تتجلى صورة الذات وهى ليست إلا خيال، هو فى حقيقته "عكس" أو "مقلوب" ما هو "أنا"

إيده اليمين إيدى الشمال.

واقف بعيد ورا الإزاز.

*** * * ***

وشى يبطط، والنفس بيغطى تقاسيمه كما جبل السحاب

قدام قمر مظلم حزين.

هذه الصورة استعرتها من بيتىْ شعر حكاهما لى والدى، وهو معجب بالصورة التى استطاع الشاعر أن يرسمها لتصوير، منظر الشمس فى يوم غائم، (نصف نصف) حين تظهر الشمس من بين سحب متقطعة، ثم تختفى، ثم تظهر إلا قليلا وهكذا، صوّر الشاعر هذا المنظر، وكأن الشمس هى وجه فتاة جميله تنظر فى المرآة وتتحسر على جمالها الذى لم يقدره أحد كما يستحق، فلم يتقدم لها أحد حتى تاريخه، تشاهد الجميلة وجهها فى المرآة، فتبهر بجمالها، وفى نفس الوقت تتحسر على أنها لم تتزوج حتى الآن، فتتنهد أسفا، فينطلق من تنهيدتها بخار ماء نَفَسِها، فيغطى سطح المرآة بشكل متقطع، هكذا بدت الشمس للشاعر وهى تظهر وتختفى من وراء السحاب الخفيف المتحرك، وهو ما يقابل بخار ماء تنفس الجميله أمام المرآة وهو يتكثف ويخف ويتفرق بغير انتظام، فتبدو ملامح وجهها الجميل جزئيا أو كليا ويتواصل التنهيد...!!!

ربما كانت هذه الصورة فى خلفية وعيى وأنا أحاول أن أنظر فى مرآة نفسى، فى مقابل تبلج الشمس وتفرجها جمالا، يتكشف لى حزن معتم حتى أخفانى عنى.

علاقتى بالحزن شديدة القوة، أنا لا أرحب به ولا أرفضه، أعيش زخمه وأنطلق منه، الحزن الذى بدا فى هذه الصورة ليس هو الحزن الذى أدافع عن حقى فيه، لكنه حزن مرّ مظلم يعلن قتامة صخور القمر دون ضوئه الفضى الساحر، أو شاعريته الساحرة.

* * * *

وامّا قلبت عيونى جوه عميت.

وحاولت ابص.

حاولت اقرا فى الضلام

مالقيت كلام

إذا كان لابد للطبيب النفسى أن يرى نفسه فعليه أن يغامر بتنشيط عينه الداخلية، وهنا نعود للتأكيد على الفرق بين "الادراك" و"التفكير".

فرض العين الداخلية internal eye طرحته مؤخرا فى سياق احترام "واقع الداخل" internal reality وذلك لتفسير الهلاوس الحقيقية **(نشرة 2-6-2009 "بعض معالم المناقشة")**، وأيضا تفسير نوم حركة العين السريعة **(نشرة 28-4-2009 "مستويات وتشكيلات "الحقيقة"، والعين الداخلية")** المتن هنا لا يشير إلى هذه العين الداخلية وإنما ينبه إلى أننا إذا حاولنا رؤيه الداخل بنفس العين التى ترى الخارج، وبنفس قواعدها، فلن نرى شيئا أصلا.

أشير هنا إلى أنه أحيانا يشترط فى ممارسة التحليل لنفسى أن يمر المعالج ذاته بخبرة التحليل النفسى، وهذه نصيحة طيبة تهدف إلى نفس الهدف الذى أعرضه هنا، إلا أنى أختلف فى بعض التفاصيل نتيجة تصورى أن التحليل النفسى بطريقته التقليدية لا يسمح بتعميق الرؤية دون تفسير نظرى ملاحق

أعود فأشير هنا إلى أن طائفة من أطباء النفس والمعالجين يتقنون الاستبصار Introspection لذواتهم حتى تفسير أحلامهم، ولكنها ظاهرة عادة تبدأ بالكلام والملاحظات وتنتهى بالكلام والملاحظات (الكلام المسموع .. أو المكتوب أو الصامت) وهنا تصبح الألفاظ معطلة للرؤية الحقيقية الموضوعيه والدافعة للتغيير، ويتوقف الطبيب (المعالج) حيث يظن أنه يتقدم ويعرف، فى حين أنه متوقف داخل سجن ألفاظه.

أكرر التحذير من الاستبصار بلا تردد، الاستبصار قد يورى ما هو مجرد انعكاس للحقيقة وليست الحقيقة ذاتها، قد يورى صورة فكرية عن الذات، وليست الذات نفسها، وفى هذا ما فيه من خدعة وتقريب قد يصل غالبا إلى درجة التشويه إذْ قد

يُظهر لنا صورة باردة أو محرفة، وليست الحقيقة الحية الثائرة الخائفة المتحفزة المتحدية معا.

الاقتراب من حقيقة الذات قد يشوهها (وشى ببطط) إذا كان اقترابا يستعمل أداة لا تصلح لها ثم إن مزيدا من الاقتراب قد يخفى معالمها..

وحاولت أقرا فى الظلام مالقيت كلام

إذا كانت الالفاظ عاجزة عن وصف ما بالداخل أو شرحه، وإذا كانت صورة النفس فى مرآة الفكر ما هى إلا خيال معقلن قد يقترب من الحقيقة ولكنه ليس الحقيقة، بل ربما يكون عكس الحقيقة، أو مسخ الحقيقة، فهل يمكن مواجهة الداخل دون رموز الفكر، ودون تصوير النفس، مواجهة حسية إدراكية مباشرة؟ ...، ربما

هذا ما يحاول أن يشير إليه المتن هنا دون أى ضمان لنجاح المحاولة.

وبعد

رأيت أنه من الأفضل أن نجمع الجزء الذى تناولناه بالقراءه من المتن معا بعد كل حلقة، لنعود إلى الشعر نستمع إلى احتجاجه على ما لحقه من تشويه بكل هذه الوصاية التى تورطنا فيها.

وها هو:

يا هلترى عمال باشوف الناس
عشان أهرب
ما شوفشى مين أنا؟
ولا باشوفنى الناس؟ ؟
نفسى أشوفنى من بعيد
من تحت جلدي.
من وسط قضبان الحديد.
من غير كلام ولا سلام.
أقلب عيونى ولا ابص فى المرايه؟
أنا لو أبص فى المرايه حاشوف "خيال".
إيده اليمين إيدى الشمال.
واقف بعيد ورا الإزاز.
واجى أقرب للمرايهْ التقى برد الجماد.
وشى يبطط، والنَّفَسْ بيغطى تقاسيمُهْ كما جبل السحاب

قُدّام قمر مظلم حزين.

وامّا قلبت عيونى جوه عميت،

وحاولت ابص،

حاولت اقرا فى الضلام

مالقيت كلام

وإلى الحلقة القادمة

الإربعـــــاء 12-05-2010

985-المعلِّـــــــــــــــــم..... (4)

الحالـة : (65)

مقـدمـة :

مـازلـنـا نـنطلق من الـسيرة الـذاتـيـة إلى الـعلاج الـنفسى

هذه الحلقة تظهر محاولة رؤية الذات من خلال تقمص رؤية الآخرين لها، وحدْس آرائهم.

(4)

ورْجعت أبصِّـلْـكم هناك، فى عيونكم انتم .

أنـا أبقى مين ؟

وألاقى صورتى زى ما انتم محتاجين:

أن ترى نفسك من خلال رأي أو رؤية الآخر (أو كليهما)، شىء مهم،

لكنه لا يمثل إلا بعض الحقيقة،

هذه الظاهرة تحدث فى العلاج الجمعى بشكل خاص، قد يحدث أن تكون المجموعة فى حاجة أن تحكم على أحد أفرادها بصفة عامة، أو فى موقف معين، سواء بناء عن مبادرته أو فى موقف تفاعلى يحتاج رأى الجماعة، وهذا ما أسميناه فى حلقة سابقة "المصداقية بالاتفاق".

لكن حقيقة الممكن تعلن أنه مهما كان الاتفاق فإن الاختلاف وارد ومهم، والآراء تكمل بعضها بعض.

حين حاولت أن أشاهد صورتى كيف تتجلى فى عيونهم وصلتنى هذه الصور المتلاحقة هكذا:

(1) اللى شايفنى كما النبى،

أحدهم يرى المعلم "صاحب رسالة" فى الحياة ... تسير على أرجل رغم ضخامتها وثقلها، رسالة تتجاوز آمال وطموحات مهنته، يحاول نشرها حتى ترجح الحياة على الموت، والتطور على الجمود، هذا معنى أن تكون نبيا بلا دعم من السماء،

هذه رؤية معوقة لأن فيها ما فيها من اعتمادية من جانب الرائى، وإلغاء لحقيقة الوجود البشرى القاصر الذى يتصف به الطبيب مهما بلغ تقديس مهمته فى ثقافة مثل ثقافتنا.

(2) واللى شايفنى ربنـــا،

قد يتمادى التقدير فالتقديس لدرجة قصوى تبلغ التأليه، فيراه الآخر قادرا على كل شئ، هذا موقف ألعن من الموقف السابق، لأنه بالإضافة إلى أنه يلغى ضعفه البشرى مثل الموقف السابق وأكثر (النبى)، فهو يضع عليه مسئوليات الألوهية .. وبالتالى يتخلى مثل هذا "التابع" عن حمل عبء حياته ومرارتها وصراعاتها بعبادة هذا الإله البشرى القادر، هذه الآلية الدفاعية هى من الدفاعات التى تصنع "فراعين الحكام" .. ولو علم هؤلاء الحكام كم يظلمهم من يلغى ضعفهم ويؤكد وحدتهم لكانو أول الثوار على زعامتهم التى تنكر عجزهم الإنسانى .. وتحرمهم من حقهم فى الخطأ وفى الضعف وفى الأخذ.

فى موقف العلاج النفسى الجمعى، تبدأ مثل هذه الآليه الدفاعية من الموضع الذى وصفه "بيرلز" واسماه "يالروعة أدائك يا أستاذنا الجليل" Gee professor you are wonderful، حتى التقديس المطلق أو القدرة المعْجزة!! وإذا كان هذا الميكانزم وارد فى ثقافة الغرب فهو أكثر تواترا وإعاقة فى ثقافتنا عشرات المرات

(3) واللى شايفنى واد بُرَم،

أما الرؤية الثالثة فإنها نقيض وجهتى النظر السابقتين، فهى لا ترى إلا قشرة الشطارة (والحداقة والفهلوة ... الخ) الطبيب النفسى غير الأديب والفنان والفيلسوف وعالم المعمل .. إذ أن يديه غائصتان فى أمعاء المجتمع ورجليه فى طين الواقع .. وحتى يستطيع أن يستمر فى أداء مهمته، فى ثقافة ناسه الخاصة جداً، فإنه لابد أن يحذق اللغة السائدة بدرجة قد يبدو أته لا يعرف سواها (وكثيرا ما يكون هذا هو غاية المراد عند بعض الزملاء، ويسمى أحيانا "الذكاء

الاجتماعى"))!!!. الطبيب (النفسى، وغير النفسى) مطالب بالنجاح بلغة الواقع وعلى أرضه، وإلا أصبح مثلا فاشلا أمام مرضاه .. وأغلبهم يحتاجون إلى جرعة الواقع أكثر مما يحتاجون إلى مثل هذا الخيال النظري.

وإذْ أيقنت ذلك فى بداية الطريق، كان علىّ أن أدفع ثمن الصبر عليه، وأن أتحمّل الاتهامات التى لا يرضيها إلا أن يقترن الذكاء الاجتماعى والنجاح المادى بالشر، وهى هى التى تقرن الخير المثالى بالطيبة أو الخيبة،

سبق أن شرحت هذه الحيلة التى أتصور أننى كنت واعيا بها طول الوقت، وكتبتها شعرا بالفصحى، مرة بشكل مباشر.

من ديوان سر اللعبة:

وبعقل الفلاح المصرى أو قل لؤمه

درت الدورة حول الجسر:

حتى لا تخدعنى كلمات الشعر،

أو يضحكَ منى من جمعوا أحجار القصر القبر،

أو يسحقَ عظمى وقع الأقدام المتسابقة العجلى

أقسمت بليلٍ ألا أضعف... ألا أنسي

-2-

وأخذت العهد،

غاصت قدماى بطين الأرض

وامتدت عنقى فوق سحاب الغد

-3-

هذبت أظافر جشعى

ولبست الثوب الأسمر

ولصقت اللافتة الفخمة

وتحايلت على الصنعة،

وتحايلت طويلا كالسادة وسط الأروقة المزدانة

برموز الطبقة.. ،..

هأنذا أتقنت اللغة الأخرى،

حتى يُسمع لى، فى سوق الأعداد وعند ولى الأمر

وأعتقد أن خطابى إلى ابنى شعرا أيضا فى ديوان البيت الزجاجى والثعبان، والذى نشرته كاملا فى نشرة سابقة **(نشرة 11-1-2008 "حوار/بريد الجمعة")** كانت فيه إشارة إلى مثل ذلك

وأنا أرنو وكأنى أسمع؟

كل هذا يعطى الذى "شايفنى واد مرقع أو جِدِق"، الحق فى أن يرانى هكذا، لكن - أظن أنه عليه أن يواصل الرؤية كما وردت فى القصيدتين **(ديوان سر اللعبة "قصيدة جبل الرحمات")** و**(ديوان البيت الزجاجى والثعبان "الحاجة والقربان")**

هذه الفئة التى تصدر مثل هذه الأحكام "واد مرقع أو حدق" يحق لها هذا الموقف النظرى الناقد طالما هى قد قررت أن تؤجل معركة مواصلة النمو على أرض الواقع تحت كل الظروف ، أو لعلها قررت تأجيل القيام بدورها فى انتظار نبضة ثائرة لا تعرف ماذا بعدها ومن سيحصد نتائجها. أقول إن هذه الفئة التى تدمغ أى نجاح (دنيوي) وتصفه بالفهلوة، كما تصف من يحققه بأنه "مرقع أو حدق" هى فئة قد تؤدى دورا فنيا فى الحياة، من حيث أنها "تنظر" دون التزام بالتفعيل، وهى تضيق كل الضيق بمن ينجح بأسلوب الواقع، وتتوقف عن أن تقيس خطواته التالية، وفيم استعمل نجاحه وكيف؟

وقد قابلت فى حياتى عينات كثيرة من هذا النوع - وأيقنت أن لها دورها الإيجابى فى المجتمع، فهى يمكن أن تكون بمثابة "ضمير" يعمل عن بعد، إذْ، يقف بالمرصاد، فيتنبه الثائر الواقعى إلى احتمال انحرافه، أما دورها السلبى فهو حين تفرض نموذجا مثاليا لحركة الثائر المغامر طول الوقت، فلا يخرج عن مثاليته وبالتالى لا يحقق ثورته فى نفس الوقت وقد يكتفى بأن يصدر الأحكام ويرفض اكتساب القوة، لأنه يرفض أن يدفع ثمن ذلك، فيترك مقاليد القوة لمن يسئ استعمالها، وكأن هذا النوع من الناس يشجع قسمة ضيزى يرضى بها أهل الشر ودعاة الجمود، تلك القسمة التى تقول على لسان أهل الواقع البشع المستمرّ: لكم المثل الطيبة والذكر الحسن، ولنا القوة والقدرة والسلاح والفعل القاهر. وما أغبى من يقبل مثل هذه القسمة وأعجزه.

(4) واللى شايفنى قفل ومتربس حزين،

أقر وأعترف أننى عانيت أيضا من هذه الرؤية كثيرا، فقد كان واضحا طوال التجربة أننى ارفض النكوص للنكوص، أو ربما أخافه حتى لا ينتهى بنا إلى التسيب والإنفلات، وبما أن أية تجربة حقيقية لابد أن تمر بهذا الاحتمال، فربما كنت أمثل عند هذا الرابع (وهم كُثُر) السقف الذى يمنع التجاوز، وكانت توجه إلىّ الاتهامات المختلفة الرافضة لهذا الموقف من أول اتهامى بالكبت إلى إتهامى بالجبن، مرورا بنزع الثورية عنى وكذلك اتهام بفتور طلاقة الفنان، وقد كنت أتألم ليس لأنى فقط لست كذلك، ولكن أيضا لاحتمال أن أكون كذلك، فى الطبعة الأولى كان البعض هكذا. "واللى شايفنى قفل مقفول من سنين"،

لست أدرى ما الذى جعلنى أغير النص فى المتن بعد ذلك إلى "قفل ومتربس حزين"، ربما لاحتمال التنبيه إلى الربط بين الكبت والحزن، أو لما شاع عنى أننى أقلبها غماً ، لحظة احتمال "السببان" نكوصاً

موقف آخر كنت أراه وأنا أبحث عن نفسى فى عيونهم .. فالطبيب النفسى - كما قلت وكررت - ملتزم بالواقع أشد الالتزام، ومن هنا يأتى رفضه العنيف لأى نكوص غير مسئول، ولأية حرية لمجرد اللذة، وأى رفض لمجرد العناد

ولقد تحملت من جراء ذلك كل أنواع الرفض والهجوم .. وكان هذا أيضا من بعض ما ساعدنى على رؤيتى لنفسى .. حيث وضعت هذا الاحتمال أنى أمثل لهم سقف القهر، وعايشته بقدر ما أستطيع، وتقمصت من يرمينى به محترما رؤيته حتى انتهيت إلى أن وجود هؤلاء النقاد هو أقرب إلى "الوجود الفنى الحر"، وهو فى ذلك قريب من الوجود المثالى السابق.

ولكنى فى النهاية، ومع مرور الوقت أيقنت أن مثل هذا الوجود لا يصلح أن يكون صفتى الغالبة.

كما رجحت أن هجومهم هو ليس من أجلى .. بل هو رفضى أن أتمسك بالالتزام بالواقع إلى قاع مرارته، وفى نفس الوقت الذى أصر فيه على التطور إلى غاية ما يمكن.

فى العلاج النفسى قد يصل للمريض صورة المعالج باعتباره والداً قاهرا أو سلطة كابتة تمثل نفس هذا السقف الذى رأيته فى عيونهم، وتصبح هذه الصورة معطلة للعلاج حين تتداخل الأدوار فيغلب على العلاج شكل الضبط والربط، وأيضا تأثير السلطة الوصية، وكثيرا ما يقوم الطبيب أو المعالج بهذا الدور بشكل لا شعورى (أو شعورى) حين تتحكم فيه منظومته القيمية الخاصة، أو نواهى دينه، أو قهر مجتمعه فيتنقل ذلك إلى المريض بشكل معطل غالبا.

(5) واللى شايفنى حرامى أصلى معتبر،

لا يتوقف تشويه صورة القائد أو المعالج فى عيون هذه الفئة عند رفض الفلهوة، وإنما تمتد للاتهام بأنها شخصية ملوثة فى شرفها، حتى السرقة أو النصب.

ولم يكن أمامى أن أرد .. بل كان على أن أواصل مسيرتى فى صبر عنيد، منتظرا حكم داخلى، وحكم الزمن، وفاعلية ما أقدر عليه لخير الناس..، وكان من أقسى التجارب التى مررت بها أن يأتى هذا الاتهام مؤكدا من أقرب الناس إلىّ .. ويتأكد ذلك حين كنت أرفض أن أحملهم - بسلبياتهم ومثاليتهم - على محفة نجاحى الذى دفعت فيه ما دفعت.

يمكن أكون أنا كل ده.

لكنى أبدا مش كده .

*****

قبول ورفض واحترام ومراجعة:

أقر وأعترف مرة أخرى أن هذه الموجات من النقد حتى الشجب كانت موقظة لى فى كل حين ... فكنت أحب أن أعتبرها

آراء صحيحة ما أمكن ذلك .. حتى أظل منتبها إلى احتمال انحرافى .. فأشكرهم فى قرارة نفسى على هذه الرؤية - رغم عنف الألم وقد استمرت معى هذه المعاناه مدة طويلة .. فلا أنا أرفض رؤيتهم، ولا أنا أستسلم لها، ولا هى تعوقنى أكثر من المعاناة الخفية .. إذا كان على أن أستمر فى الحصول على مقاليد القدرة تساعدنى على تحقيق رؤيتى التى ألقيت على وجدانى وفكرى قولا ثقيلا .. وما أصعب كل هذا.

كنت - وما زلت - على يقين من أن من يريد أن يعرف نفسه عليه ألا يرفض رؤية غيره له مهما كانت دوافعها، ومهما بدت بعيدة عن الحقيقة، ومهما كان الألم المترتب على تبنى هذه الرؤى المشوهة والمزعجة، فإن وظيفة وجهات نظر الآخرين لا بديل لها إلا أوهام الوجود المعصوم، وهكذا فإن الذى حدث هو أنه فى نفس الوقت الذى كنت أتقبل فيه هذه الرؤية تماما حتى لو رفضتها ظاهريا .. فإنى كنت أعلم فى آخر طبقات وجودى أننى لست مجرد ما يظهر منى لهم، لكننى أيضا هو ما يصلهم .. فالرؤية الجزئية المنحازة هى - فى النهاية - ورغم ما يمكن أن أفيد منها - رؤية جزئية منحازة .. لكنها فى نفس الوقت رؤية محتملة، إذن لا يجوز التوقف عند إتهامهم أنهم لا يرون إلا ما يحتاجون، أو أنهم لا يريدون أن يروا بقية ما هو أنا .. فأعود أتقمصهم من زاوية أخرى حتى أنى صنفتهم أيضا كما يلى:

شوفوا كويس يا جماعه:

(1) واحد يقول: خايف أشوفك لسه حبه،

أحدهم يؤجل الرؤية باستمرار .. ويساورنى الشك أن هذا التأجيل هو مجرد عجز عن الاتهام وخوف من التبعية فى نفس الوقت، وقد يمتد إلى مالا نهاية.

(2) والتانية بتقول: يا حرام!! طب حبه حبه،

هذه الثانية تشفق من الرؤية (على نفسها فى الأغلب) وتعلل ذلك بأنها ترى بقدر ما نستطيع، وقد كنت أرعب من هذه الشفقة بقدر ما أرفضها دون أن أنكر على نفسى حاجتى إليها.

(3) والتالت المسطول لو الكرباج يطرقع جوا مخه

يشوف دقيقة، بس فينه من الحقيقة .

هذا الثالث الغائص فى ذاته كان يرى عقليا فقط .. لكنه لا يجرؤ أن يقترب من حقيقة الوجود الموضوعى أبدا.

هذا الثالث بالذات كانت رؤيته مخترقة فعلاً: مرة اتهمنى بأنى أكبر شيزيدى (انطوائى منغلق على ذاته) فى الجماعة، ففزعت لأننى كنت تصورت ذلك عن نفسى فى لحظات، أما أننى كذلك طول الوقت فهذا ما اكتشفت خطأه: "بس فينه من الحقيقة".

(4) والرابع اللى خوفه عازلـــه جوا سجن المزه، أو جبل الجيوشى،

الـود وده يـشوف ضلام الـقبر،

ولا إنـه يـدوق الـصبر،

الـصبر مـــر والـشوف يضر.

هذا الـرابـع: كـان يـرفض أن يخرج من قـوقـعـتـه الـتى تحميـه من كل رؤيـة عـادلـة ... فـيـهـا أدنى تـفـاعـل مـوضوعى يحمل تهديـد الخروج إلى مـواجهـة الحيـاة ..وتحمل مـسئولـيـتـهـا،

أن تـرى الآخر كـمـا هو، إنمـا يـعرضك أنـت أيـضـا أن تـرى نـفـسك، ثم الأخطر هو أنـه يـعرضك أن تـغـامـر بـعلاقـة حقـيـقـيـة... الخ.

مـلحق:

المتن على بـعضه (اعتذار)

ورْجعت أبـصِّـلْـكم هنـاك، فى عيـونـكم انـتم .

أنـا أبـقـى مين ؟

وألاقـى صورتـى زى مـا انـتم محتـاجين:

الـلى شايـفـنى كمـا الـنبى،

والـلى شايـفـنى ربـــنـــا،

والـلى شايـفـنى واد بُـرَم،

والـلى شايـفـنى قـفـل ومتربـس حزيـن،

والـلى شايـفـنى حرامى أصلى معـــتـــبـــر،

يمكن أكـون أنـا كـل ده.

لـكنى أبـدا مش كـده .

شوفـوا كـويـس يـا جماعه:

واحد يـقـول: خـايـف أشوفـك لـسه حبـه،

والـتـانـيـة بـتـقـول: يـا حرام!! طب حبـه حبـه،

والـتـالـت المسطول لـو الـكربـاج يطرقـع جوا مخه

يـشوف دقـيـقـة، بـس فـيـنـه من الحقـيـقـة .

والـرابـع الـلى خوفـه عـازلـــه جوا سجن المزه، أو جبل الجيوشى،

الـود وده يـشوف ضلام الـقبر،

ولا إنـه يـدوق الـصبر،

الـصبر مـــر والـشوف يضر.

الإربعـــــاء 19-05-2010

992-المعلِّـــــــــــــــم.....(5)

مقدمة:

مازلنا ننطلق من السيرة الذاتية إلى العلاج النفسى

هذه الحلقة تظهر محاولة رؤيتى شخصيا لما هو "أنا" ليس بالضرورة من خلال ما يسمى استبصارا كما ذكرت سالفا،

كما تنتهى الحلقة بتساؤلات عن احتمال "خلط الأدوار" من زاوية أخرى (فقد سبق أن أشرنا إليها).

الحلقة: (66)

المعلـــِّـــم..... (5)

مقدمة:

وانا مين يشوفنى؟

أنا أبقى مين؟

ليسوا هم فقط الذى يرونى شاطرا وحاذقا أو دكتاتورا أو نصابا .. إلخ ولكنى أنا أيضا كثيرا ما كنت أتفرج .. على هذا الشخص الخارجى الشاطر الحاذق -الذى هو "أنا"- وكأنه لا يجارى فى مجالات النجاح، والجمع، والصعود ..، حتى أن بعض من انبهر بى، وصدق مبادئى، أو صدق ما أعلنه من مبادئ على الأقل، قال لى ذات مرة أنه من غير المعقول أن أحقق هذا النجاح بوسائل نظيفة، معتقداً أنه لا أحد يستطيع أن يحقق

مثل ذلك فى بلد مثل هذا، فى عصر مثل هذا، إلا لو استعمل وسائل النجاح المتاحة، وهى ليست دائما، ولاغالبا، وسائل نظيفة، مرة أخرى : لم أكن أرفض ذلك بشكل متشنج أو مباشر، حتى أستطيع أن أعود لنفسى، وأبحث فى وسائلى، وليس فقط فى نتائجى، كان هذا الهاجس يدفعنى دائما -كما ذكرت- أن أعيد النظر هكذا:

(5)

... وساعات أبص لإيدى وانا بالعب ببيضتين والحجر،

أو لما باقلب فى التلات ورقات واخبى فى الولد.

وأقول يا ناس : بقى دول إيدىّ اللى بصحيح ؟

بقى ده أنا ؟

أعرف أن التكرار أصبح أكثر مما ينبغى، لكننى أريد أن أقتطف من جديد جزءا محدودا مما ورد فى الحلقة السابقة من شعرى بالفصحى ، بالذات ديوان "سر اللعبة"

"هذبت أظافر جشعى، ولبست الثوب الأسمر ، ولصقت اللافتة الفخمة ، وتحايلت على الصنعة، وتخايلت طويلا كالسادة وسط الأروقة المزدانة برموز الطبقة.. ،.. ، هأنذا أتقنت اللغة الأخرى، حتى يُسمع لى، فى سوق الأعداد وعند ولى الأمر"

لا اعتقد أنه قد سُمِع لى، فى سوق الأعداد وعند ولى الأمر، وحين سُمِعَ لى، لم يكن ذلك بسبب ما أنجزت، أو ما حققت من نجاح أفخر أنا به بينى وبين نفسى، ولكن كان إما **بالمصادفة**، أو **لأسباب لا أعرفها**،

حصلت على جائزة الدولة التشجيعية فى الأدب بمحض الصدفة، وها هى ذى تفاصيل تلك الصدفة:

المرحوم أ.د. ابراهيم توفيق ، أستاذ أمراض القلب فى جامعة الإسكندرية، أصبح صديقى لظروف خاصة، تعرفت عليه عن طريق المرحوم أستاذى أ.د. عبد العزيز عسكر، وزرته فى بيته فى الإسكندرية، وتحدث معى طويلا فى أشياء كثيرة، من ضمنها السياسة، وعلى قدر ما تسعفنى ذاكرتى كان خاله هو "ضياء الدين داوود" وكان دائم الحديث عنه، وكان حوارنا يجرنا عادة إلى عبد الناصر، ونتفق ونختلف،، وأشياء أخرى، عرفنى د. إبراهيم توفيق على بعض أصدقائه (ثلته)، وكان من بينهم الناقد الطبيب الحاذق "يوسف الشارونى"، (والكاتب والشاعر -أركان حرب !!- محمد الحديدى وغيرهم)، فى زيارة ما لعيادتى حضر مع د. إبراهيم- الأستاذ يوسف الشارونى وقدمنى صديقى د.إبراهيم على أنى كاتب وكذا، وعرفه بكتابى الأول "عندما يتعرى الإنسان، طلقات من عيادة نفسية"، وهو كتاب لم أتحمس له أبدا كما ذكرت من قبل، فانتهزتها فرصة، وأخبرت الأستاذ يوسف الشارونى أن لى رواية من جزأين طبعتها على حسابى الخاص، فرحب ترحيبا شديدا بطيبة فائقة أن يطلع على هذا وذاك .

فهى المصادفة..

نفس هذه الرواية كتبتها ونشرتها بمحض الصدفة أيضا هكذا:

الحكاية أننى كنت أكتب فى مجلة الصحة التى كانت ترأس تحريرها د. نوال السعداوى فى السبعينات سلسلة من المقالات تحت عنوان "يوميات مريض نفسى"، أناقش فيها -ساخرا- كيف يشخص المريضُ الطبيَب مثلما يشخص الطبيب المريض، وكيف يلف المريض النفسى على التخصصات المختلفة وهو يبدى رأيه فى كل منها، حتى يصل إلى تشكيلات الطب النفسى بأنواعها، فينقدها -المريض- الواحد تلو الآخر أيضا، وكلام من هذا، ثم توقفت المجلة، وحين أتيحت الفرصة لى أن أرجع إلى ما كتبت وجدته يصلح مخططا لمسودة رواية ما، فكتبت الجزء الأول باسم "الواقعة"، وكنت أود أن أشير من خلالها إلى أن خبرة الجنون هى أقرب إلى "قيام القيامة" "إذا زلزلت النفس زلزالها، وأخرجت الذات أثقالها يومئذ تحدث أخبارها"، فإذا ما أكمل صاحب مثل هذه الخبرة المزلّزلة الطريق إلى وجه الحق تعالى، **فقد نجح فى المشى على الصراط** بالسلامة، ثم إنى بعد ذلك دخلت هذه الخبرة الجماعية التى هى أصل هذا العمل الحالى (متن هذه النشرات)، وخرجت منه بالجزء الثانى "الذى أسميته "مدرسة العراة"، إذن فهى هى نفس تلك الخبرة التى أفرزت ديوان "أغوار النفس" الذى يصدر شرحه تباعا بعنوان: "فقه العلاقات البشرية" أقول إننى بعد أن أتممت الجزأين الأول والثانى من الرواية تراجعت عن النشر معتقدا أنهما لا يستأهلان، وإذا بصديق مهم هو المخرج "توفيق عبد اللطيف" يقرأ مسودة الجزأين، الواحد تلو الآخر، ويقول فيهما كلاما طيبا، ثم يأمرنى أمراً أن أطبعهما دون أن أغير حرفا، وفرحت بقدر ما ترددت.

فى نفس الآونة كنت أطبع بالاشتراك مع زميلى المرحوم أ.د. عمر شاهين كتابا دراسيا فى الأمراض النفسية بهدف ترقيته أستاذا أو شيئا من هذا القبيل، وانتهينا من طباعته فى مكتبة ابن المرحوم كامل الكيلانى بعابدين، وكان يملكها ويديرها "رشاد" ابنه (على ما أذكر)، وبعد انتهاء الطباعة حين كنت أودع الأستاذ "رشاد الكيلانى" شاكرا، سألنى إن كان لدى كتاب جاهز للطباعة، لأن المطبعة لا تجد ما تطبعه هذه الأيام، فقلت له نعم، وأخذت المسودة من الإبن توفيق عبد اللطيف، وأعطيتها له فخرج الجزءان، على ورق صحف قبيح أسمر لضيق ذات اليد، وعلى حسابى الخاص، ثم جاءت مقابلتى مع الناقد الكريم يوسف الشارونى كما ذكرت سابقا

بعد أقل من أسبوعين حضر إلى فى العيادة، حضر الأستاذ يوسف الشارونى بنفسه يستأذن أن يقدم الرواية إلى لجنة الجوائز "وتصورت أنه يجاملنى من أجل خاطر أ.د.إبراهيم توفيق، لكنه كان جادا، ثم إنه بعد شهور، حضر متفضلا قبل إعلان الجوائز رسميا وأخطرنى بنيل الجائزة"، وفى اجتماع لاحق

بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، أخطرنى المرحوم الأستاذ محمد أحمد خليفة بأن الرواية نالت الجائزة بالإجماع..إلخ ، بعد إعلان حصولى على الجائزة ثارت ثائرة كثير من الأدباء وبعض النقاد، واتهمنى بعضهم مباشرة أننى حصلت على الجائزة لأننى وافقت (أو شاركت) فى التطبيع مع إسرائيل، وكلام كثير من هذا، وعزاها آخرون لعلاقة شخصية مع الشارونى.

هذه جائزة تشجيعية لم أنل غيرها طوال حياتى، (حتى الآن)

هذا الاستطراد -كجزء من السيرة الذاتية- ربما يبين كيف أنه لم **"يُسمع لى، فى سوق الأعداد وعند ولى الأمر"** إلا **مصادفة.**

لكن فى مرة أخرى، جاء التقييم عفوا من جهة غير رسمية، وذلك حين اتصل بى أ.د. أحمد مجاهد ثم أ.د. أحمد نوار، وأخبرانى أن جماعة الأدباء قد اختارونى رئيسا لمؤتمر أدباء مصر الذى عقد فى سوهاج (12-14 ديسمبر 2006)، بصراحة فرحت بهذا الاختيار أكثر من فرحتى بالجائزة، كان اختيارا من ذى صفة، ودون أن أتقدم إليه، وقد ذهبت، وتعجبت، وشكرت، ورأست، كما كانت فرصة رائعة لأن أتعرف على هذا الإنسان النادر د. أحمد نوار، وأيضا على نقاد وأدباء من أكرم وأشرف من يمكن أن أتعرف عليهم، هل حقيقة أن كل هؤلاء الكرام قد تفضلوا فأكرمونى برئاسة مؤتمرهم، لماذا؟ ومن أنا؟ كان هذا، ومازال أكثر كثيرا مما أستحق، ولا أظن أنه قد حدث لأنى شاطر، أو لأنى أحذق اللعبة ببيضتين والحجر،

لكننى، وقبل انتهاء المؤتمر، وقد كنت قد ألقيت كلمة الافتتاح مع المحافظ وغيره، وكان المفروض أن ألقى كلمة الختام، وجدت نفسى أنسحب، وبدون أدنى سبب حقيقى، اعتذرت عن اليوم الأخير وسافرت فجأة قائدا سيارتى إلى القاهرة، ولم أعرف حتى هذه اللحظة، لماذا اعتذرت ولماذا سافرت هكذا فجأة، ولم يتصل بى أحد بعد ذلك يسأل أو يعاتب، أو يتساءل، لكننى أحسست -ومازلت- بأن بى شيئا خطأ فعلا يحتاج إلى تفسير لم أعثر عليه حتى الآن، شيئا لعله مرتبط بأننى رفضت ما لا أفهم طبيعته وآلياته حتى لو كان حقى، فهل يصح بعد ذلك أو يروْنى بهذه الشطارة الغامضة، أو أن أرى نفسى بهذا الحِذق المشبوه.

هذا، وقد رأيت أنه من المناسب أن أثبت هنا ما كتبته فى تعتعة الدستور(**2006-12-20**) بعد المؤتمر مباشرة وهو كما يلى بالنص :

سوهاج، وأدباء مصر، والعلماء البروليتاريا

بتشريف طيب، حظيت بالمشاركة (رئيسيا) فى مؤتمر أدباء مصر فى سوهاج، (12 /2006) ولظروف قاهرة لم أكمل لليوم الأخير، الرسالة التى وصلتنى من معظم مداخلات المؤتمر كانت بنفس قوة ودلالة الرسالة التى وصلتنى من زيارتى لمنازل بعض أصدقائى من العاملين معى بالقاهرة فى دورهم المتواضعة جدا، الجميلة -بهم- جدا، فى "كوم يعقوب" مركز أبو طشت.

الصعيد هو الصعيد، لا أحد يعرفه إلا إذا اختبر مذاقه مثل مذاق الويكة (البامية المهروسة المشططة)، وصلتنى حركية الناس "بلا لوحات حكومية" مثل حركية التّك تُك، كما بدت لى بهلوانية السيارات على الطريق الزراعى كموتيسكلات تجرى رأسيا على جدار دائرى أملس فى سيرك أسطورى ملك "أولاد الحاج أبيدوس".

من المؤتمر والناس تضاعفتْ آلام تفاؤلى المزمن، حتى قلت للمحافظ اللواء محسن النعمانى، وللدكتور أحمد نوار: "الله يسامحكم، هل أنا ناقص؟ سأعود لأبدأ من جديد، بأمل جديد، وألم جديد، برغم كل شىء". ردّا ردا طيبا نبّهنى إلى بعض ما أحاوله هنا وهناك. الدكتور أحمد مجاهد لا يهمد، والشاعر مسعود شومان لا ينطفئ، والجميع فرحون بشىء ما، شىء طيب قادم لامحالة، لعله هو ما لاح لنا فى فيلم سيرة محمد عفيفى الذى عرض ذات مساء، لتؤكده أمسية سيد حجاب الشعرية الحيوية المزَلْزِلةْ.

المؤتمر كان عن "مراجعة الدور المصرى فى معظم المجالات" (أو كل المجالات) وليس فقط فى مجال الأدب، تساءلت: هل هذا من حق الأدباء؟ أجبت نفسى: نعم، بل هو واجبهم. استقبلت العنوان باعتبار أن المقصود هو:" مراجعة دور "الإنسان المصرى"، وليس بالضرورة "دور مصر "الوطن، أو مصر الدولة".لم يعد الإنسان المصرى مثله مثل كل إنسان الآن عبر العالم يعمل لنفسه فقط، ولا حتى لبلده، هو يعمل بالأصالة عن نفسه والنيابة عن كل الناس. إنقاذ البشرية أصبح "فرض عين" على كل فرد حيثما كان، إذا قام به البعض لا يسقط عن الباقى. الأديب المصرى المبدع الحقيقى هو ممثل شرعى للإنسان، بدءا بالإنسان المصرى حين يستوعب وعى ناسه بلحمه ودمه، ليس للزيف فيه نصيب، ليفرزه إبداعا قابلا للتواصل العالمى، بعد أن أتيحت الفرصة بثورة المشتبكات المتلاحمة أمميا دون حدود أو وصاية أو رقابة، الرقم الذى أعلنه الدكتور مصطفى الضبع فى المؤتمر عن عدد "مواقع" الإنترنت الخاصة عبر العالم والذى يربو عن ثلاثين مليونا موقعا أدهشنى بقدر ما أسعدنى، كما فرحت حتى الخجل من تقصيرى حين سمعت الأرقام التى أعلنها د. أحمد نوار عن نشاط قصور الثقافة ومساحة حركية قوافلها خلال عام وبعض عام. أليس من الطبيعى أن أنوء تفاؤلا مؤلما وأنا أستلهم روح الكفاح اليومى لأهل كوم يعقوب مركز أبو طشت ، جنبا إلى جنب مع حيوية المحافظ الذى شعرت بطزاجة دهشته المتجددة وهى لا تقل بهرا عن مسئولية الإدارة وحفاوة الكرم اللذان عشناهما فى ضيافته، ليصلنى كل ذلك وسط دفق معلومات نشاط د. نوار ومعاونيه؟

من موقعى المهنى والأكاديمى تأكد لى ما آل إليه حال أغلب العلماء فى علاقتهم بشركات الدواء كعينة لما يجرى فى مجالات أخرى، العلم "باهظ التكلفة" لم يعد تقدر عليه إلا الشركات العابرة بالغة العملقة، التى تدير العالم

لحسابها بواسطة الحكومات الذاهلة أو الشريكة، هذه الشركات لا تستطيع أن تشترى أديبا أو شاعرا ولا بجائزة نوبل، لكنها تشترى العلماء (دون وعى منهم غالبا). قلت فى كلمتى:

لقد أصبح العلم المؤسسى كنيسة فى خدمة كهنة السيطرة وباباوات التحكم فى مصائر البشر لصالح الشركات العملاقة المتحالفة مع المافيا والأصوليين عبر العالم، لم يعد الخطر يقتصر على الخوف من سوء استعمال ناتج العلم للتدمير والإبادة، دون التعمير والتقدم، وإنما تمادى إلى الخوف من الاستمرار فى تسخير العلماء لخدمة المال، دون البشر، حتى وصل الأمر إلى استخدام العلم والمعلومات والعلماء لبرمجة الناس لصالح الاستهلاك لا الإبداع، وإلهاء الكافة عن أولويات ما يحفظ بقاءهم ويحفز تطورهم"

العلماء أصبحوا بروليتاريا العصر الحديث، تستغلهم الشركات العملاقة بطرق أبشع وأخبث.

العلماء يستنقذون بكم معشر الأدباء والشعراء والتشكيليين وسائر المبدعين الأحرار والنقاد".

قرب الختام قلت:

"الإبداع فى كل مجال، دون استثناء هو الحل: انطلاقا من تعديل مناهج التعليم (دون تجاوز تثوير المعلم) وحتى التضفُّر والجدل البنّاء بين كل منظومات المعرفة.

إن نقد المؤسسة العلمية الاحتكارية لا يقل إبداعا وضرورة عن نقد المؤسسة الدينية التقليدية الفوقية، كما أن نقد المؤسسة التعليمية الرخوة القشرية الآسنة، لا بد أن يتواكب مع نقد المؤسسة الثقافية الأعلى.

إلى لحظة الرؤية الحدسية الواضحة، حيث تنبسط قوانين الوجود وتختزل وتفسر الماضى، وتوضح الحاضر وتحسب المستقبل بيقين شديد .. ولكنها هى جزء من وجود صاحبها فى عينة تكاملية .. فهى صورة لما يمكن أن يكون، أو لما يسعى أن يكونه .. وفيها من الحكمة والوضوح ما يبهر ويحذر فى نفس الوقت.

وبعد

أشعر أن هذا الحديث عن المؤتمر، الذى كنت رئيسا له لا أدرى كيف، قد يكون ردًّا مناسبا على هذه الاتهامات، وقد تبينت وأنا أعيد قراءته أنه بمثابة تبرير للحديث عن شخصى الذى طال، حيث امتدت الحلقات الخاصة بهذه القصيدة "المعلم"، حتى كادت تصبح سيرة ذاتية مستقلة، أكثر منها شرحا على متن بهدف دراسة "فقه العلاقات البشرية"، وخاصة فى العلاج النفسى، إذن ماذا؟

ليكن، وليكن هذا الفصل مكملا بشكل أو بآخر للترحالات، وأيضا لبعض قصائد ديوان سر اللعبة، الذى يبدو أنه سيأتى عليه الدور بعد الانتهاء من أغوار النفس، كما ألمحت فى نشرة

سابقة، أو على ما أذكر فى "بريد" الجمعة لأعيد تنقيحه وتصحيحه وتحديثه، وذلك هو ما وعدت به من فى نشر الطبعة الثانية من عملى الأول "دراسة فى علم السيكوباثولوجى" الذى لم تصدر منه سوى الطبعة الأولى سنة 1979، وأظن أنه أولى بأن تكون له طبعة ثانية بعد مضى ثلث قرن، حدث فيه فى الطب النفسى، وفى الكاتب: طبيبا ممارسا، ومنظِّرا مجتهدا، ما يستأهل طبعة ثانية.

العلاقة بين هذه الجزئية المحدودة فى هذه النشرة تطرح هذه التساؤلات

1. إلى أى مدى تؤثر صورة الطبيب النفسى أمام نفسه، ومن مصادر أخرى غير العلاقة العلاجية، على ممارسته العلاج النفسى (أو الطب النفسى عموما)، وعلى علاقاته بمرضاه أثناء العلاج النفسى؟

2. إلى أى مدى يؤثر نجاح الطبيب النفسى فى الحياة العملية على أرض الواقع (بقياس المال والسلطة والشهرة ....الخ) على مهنته، ما علاقة ذلك بمثالية بعض الأطباء والمعالجين حقيقة أو تصورا

3. ما هى علاقة أدوار الطبيب النفسى المختلفة، كما تصل إلى الناس من مصادر مختلفة، بدوره كمعالج، وكطبيب؟

4. ما هى الصورة الأكثر صدقا؟ رؤية الطبيب النفسى لنفسه؟ أم رؤية الناس له؟ أم رؤية مرضاه له؟ (على اختلافهم)، وكيف يوفق بين هذا الأدوار وغيرها.

أتوقف اليوم، ولا أعد بالإجابة إلا بما يسمح به المتن فى النشرات القادمة.

- بعد ربع قرن كتبت الجزء الثالث من ثلاثية المشى على الصراط بعنوان "ملحمة الرحيل والعود" ونشر منذ عامين.

- حتى أننى كدت أصدق المرحوم بهجت عثمان (أحد حرافيش نجيب محفوظ، عرفته مؤخرا، أنه سوف يكتب فى تاريخ إنجازاته فخرا أنه لم ينل جائزة قط)

الإربعـــــاء 26-05-2010

999-المعلِّـــــــــــــــم.....(6)

مقدمة :

مرة أخرى: مازلنا ننطلق من السيرة الذاتية إلى العلاج النفسى

هذه الحلقة تكمل محاولة رؤيتى شخصيا لما هو "أنا"

ليس بالضرورة من خلال ما يسمى استبصارا كما ذكرت سالفا

وأيضا ليس بالضرورة بصفتى معالجا،

لكن ثمّة وصلة ما، كما هو جار فى كل حلقات "المعلم".

(6)

وساعات أشوفنى حكيم وعمرى ألف عام.

شايف تمام عارف تمام .

كل اللى راح، واللى احنا فيه،

واللى حاييجى بدون أوان.

كنت دائما أعرف أن هذه اللحظات الباهرة الخطرة، من المعرفة الكاملة المحيطة ينبغى أن توضع فى مكانها، وإلا توقف النمو، وأُضِيَر الجميع، وأولهم أنا.

مسئولية المعرفة تحتد حين نواصل المعرفة، لكن حين نتصور، لأى سبب من الأسباب (حقيقة نسبية، أم غرورا، أم جنونا، أم جهلا) أننا قد عرفنا كل شىء، فمعنى ذلك أنه لم يعد ثمّ معنى لوجودنا بشرا، من أقبح ما قرأت للمتنبى، بيته المشهور

"وعلمت حتى لا اسائل واحداً عن علم واحدة لك أزدادها"،

وعلى النقيض من ذلك فكما علّمنا مولانا النفّرى فإن فضل الجهل، الذى ليس ضده العلم، هو مفتاح المعرفة الممتدة، عرفت ذلك من مرضاى مثلا (عرض بعض ذلك فى الندوة الأخيرة لجمعية الطب النفسى التطورى، مايو 2010 عن "الكلام التانى") ومن كل مصادر الإبداع والعلوم الأحدث.

لكننى أعرف من خلال مرضاى أيضا، وأحيانا من خلال خبرات عابرة سريعة، أن هناك يقين آخر، ليس يقينا بوفرة المعلومات حتى الإلمام بكل العلوم كما زعم المتنبى، أو كما أتصور أنا حجم معلومات أبى العلاء المعرى، وإنما هو يقين معرفة تعلن التماهى بين أصغر مكوناتنا (الدنا) وأوسع مجالات الوعى الكونى إلى الحق تبارك وتعالى، هذه لحظات يقين **تلغى الزمن لتحتويه، دون إنكار، وتشمل الكون لتمثله دون انمحاء**، وهى فى حضورها الإيجابى: نقطة عودة إلى التفاصيل على أرض الواقع، أما فى تشوّهِها السلبى، فهى نقطة توقف عند اللاشىء، على أنه كل شىء.

مع احترامى لكل ما تعلمته من المرضى، فإن **أغلب** خبراتهم فيما يمكن أن يسمى "المعرفة الكلية اليقينية" هى خبرات سلبية تشمل العالم ولكن تمحوه فى الذات وليس العكس، وقد وصفتها هكذا:

وعرفت يقيناً أن المعرفة الحقة،

هى فى المعرفة الحقة،

دون دليل أو برهان

إلى أن قلت:

لِمَ أشْرقَ فى نوركْ؟

فانطمس العالم إلاىْ

نفس هذه اللحظة قد تكون هى لحظة التقاء الأجزاء المتناثرة فى توجه ضأم نحو تجمع يقين الإشراق، نحو المطلق الممتد، نحو الإبداع الممكن وفى ذلك قلت:

فى ذاك اليوم: رقصت حبات الرمل، وتعانق ورق الأشجار،

وسرت قطرات الحب.. من طين الأرض إلى غصن الوردة،

وتفتحت الأزهار ... فى داخل قلبى، فى قلب الكون.

وارتفع الحاجز بين كيانى والأكوان العليا

.. أصبحتُ قديما حتى لا شئ قديم قبلى،

وامتد وجودى فى افاق المستقبل،

دون نهاية

فعرفت الله،

وعرفت الأصل وأصل الأصل،

لا أدعى أننى رأيت نفسى فى تلك اللحظات كثيرا أو طويلا، لكننى أزعم أننى حين أقترب منها، أو تقترب منى أخاف، وأزيحها جانبا، وأنزل بسرعة إلى أرض الواقع، أبحث عن جهلى أحتمى به، وعن الآخر أختلف معه، فيزول خطر هذا النوع (الضرورى أحيانا) من المعرفة.

كررت مرارا أننى لا أومن بالديمقراطية الرائجة حلا أوحداً كما يزعمون، برغم أنها الحل الأقل خطرا مرحليا، لكننى أومن بها هنا فى هذا المقام لأنها تمثل الكابح (الفرملة) الذى يحدّ من اندفاع هذا النوع من اليقين الذى يتجلى فى أبشع صوره حين يتصف به حاكم فرد مطلق، فيقلبه أوامر ونواه، وقتلا وقهرا، وظلما لشعبه وسحقا لمخالفيه. أعترف أننا ابتلينا بمثل هؤلاء الحكام على مر التاريخ بشكل لا يحتاج للاستشهاد. المصيبة أن مثل هذا اليقين إذا أصيب به حاكم فرد، فإنه قد يكون على صواب أحيانا، فيعمل إنجازا لوطنه أو لشعبه لا يمكن أن يحققه بغير هذا اليقين، لكن المحصلة النهائية مهما برقت مثل هذه الإنجازات المتفرقة وأفادت، هى سلبية وكارثية غالبا.

نعم كنت أرانى معرضا لهذا الاحتمال أحيانا، وهذا قريب من بعض ما جاء فى مقدمة هذه القصيدة.

نشرة 21-4-2010 دراسة فى علم السيكوباثولجى(المعلم من كتير)

فأنتبه بسرعة، وأعود فرحا "بعاديتى" و"جهلى" كما ذكرت.

أما رؤيتى ذاتى من خلال جدلى مع والدى فقد رسمتها هكذا:

(7)

وساعات أشوفنى أبويا صُحْ.

بس الزيادة إنى لابس بدله وارطن باللسان،

وأقول كلام : قال إيه لصالح البشر،

وللتاريخ !!

لكنه الله يرحمه :

كان يعبد اللوزة وطين الأرض والورد الطويل،

مزيكته كانت مكنة الرى تغنى تحت جميزه كبيرة مضللة،

واسأل فى نفسى:

أنهو اللى أصلح للتاريخ ؟

الكلمه، والحب السعيد، فى أوده ضلمة منعكشه؟

أو لوزه حلوه مفتحه؟؟

علاقتى بأبى علاقة طويلة شائكة رائعة، كتبت فى ترحالاتى فصلا كاملا عن "أمى" **(الترحال الثالث – ص 73 – 102)** ، لكننى لم أفرد فصلا لأبى، أحسن!! ما زال أبى ياتينى فى أحلامى حتى هذه السن، وكلما حضر واستيقظت سألت نفسى: ألم أتمثله تماما بعد؟ لماذ يظل أبى يشغل داخلى هكذا مستقلا حتى الآن بما يتيح له أن يحضر فى عالمى الآخر من جديد (هكذا أعايش المعنى التمثيلى النمائى للأحلام **"الإيقاع الحيوى ونبض الإبداع")**.

هذه اللقطة تبدأ بالتنبيه إلى أن جدل "الإبن-الاب"، يبدأ بالاعتراف بالتقمص

"وساعات أشوفنى أبويا صُح"

وبالتالى تتراجع تلك المعركة الوهمية التى تبالغ فى التركيز عليها الثقافة الغربية، بما أتصور معه أنه أمر معطل للنمو الفردى والتطور حيث تبدو السلطة (ممثلة فى الأب) كأنها إعاقة للتطور على طول الخط.

فى خبرتى (وفى رأى إريك بيرن كذلك) أن التصالح مع الوالد (الداخلى بالذات= الذات الوالدية Parent ego state) هى من أهم ما يطلق قدرات النمو والتكامل. التصالح لا يعنى الاستسلام، ومن لا يرى والديه فى نفسه، فيقبلهما ويتخطاهما إذْ يستوعبهما بعد أن يصالحهما، فقد يمضى سائر عمره فى معركة بين ذواته لا تنتهى. التصالح وارد ولكن كمرحلة قبل الاستيعاب حتى التمثيل، بما يقابل التمثيل الغذائى فى النظرية الإيقاعية التطورية، حين تنقلب المادة الغذائية إلى جزء لا يتجزأ من نسيج الجسم الحيوى.

بالتمثُّل الجدلىّ يتحول "الأب المُدخل" إلى جزء من نسيج المعلومات البيولوجى، فهوالنمو المتمادى.

فى العلاج النفسى، المعالج والد، خصوصا فى ثقافتنا، والأمر لا يحتاج إلى تصوير العلاقة العلاجية على أنها إعادة، أو تكرار، أو استعادة علاقة والدية قديمة وهو ما يسميه التحليل النفسى **"طرح"** المشاعر السابقة على المعالج، وإنما هى علاقة نمائية طبيعية تتجدد، وتتكرر، مع اختلافات فى التفاصيل والمآل، مع كل أزمة نمو، بل ومع كل نبضة إيقاع حيوى، وعلى قدر قبول المعالج لدور الأب، ثم قدرته على التخلى عن هذا الدور لصالح نمو المريض، وقدرة المريض على

قبول الاعتمادية الإيجابية المتبادلة (وليست الرضيعية)، يكون التقدم على مسار العلاج

بعد قبول التماثل مع الوالد (أشوفنى أبويا صُحْ) يبدأ تبين الاختلافات الضرورية لصالح النمو دون تكرار النص الوالدى حرفيا.

كانت لوالدى علاقة خاصة جدا بالطبيعة، بخيوط الفجر، بهسهسة الليل، بلوزة القطن المفتحة، وأيضا بلوزة القطن "المبندقة" (المغلقة كالبندقة)، بصوت "الحلزونة" وهى تدور، بأنفاس خفير الحظيرة وهو نائم يحرسها،

كان يُعبد اللوزْة وطين الأرض والوِرد الطويل،

كان يستطيع أن يميز صوت مكنة الرى ملكنا بالذات، كان يميزها من بين سائر الماكينات على بعد عدة كيلومترات، كان يسمع خيطانها وهو جالس فى شرفة "الدور الثالث" يقرأ ورده بعد قيام الليل.

استيقظت - طفلا- ذات ليلة، واثناء مرورى بالردهة إلى دورة المياه، نادانى والدى، وكلفنى أن أنادى الغفير من الحظيرة ليكلفه أن يذهب إلى الحقل البعيد (العورة) حيث كان والدى يعلم أننا نروى أرضنا تلك الليلة "بالمكنة"، وحين سألته لماذا، قال لى لأنه لم يعد يسمع صوت ماكينتنا، ويريد أن يرسله ليطمئنه، لماذا توقفت. فأرهفتُ السمع، وسمعت أصوات مكائن كثيرة، فأخبرته أن ثمة أصوات لمكن تأتى من نفس اتجاه حقلنا المعنى، فقال لى أنه ليس من بينها مكنتنا، فهو يعرف صوتها،

أيقظت الخفير، وذهب، واستفسرت منه فى الصباح، وصدق أبى.

مزيكته كانت مكنة الرى تغنى تحت جميزه كبيرة مضللة،

كان والدى (توفى 1968) يحضرنى (يحضرنا) أحيانا ونحن نمارس هذه الخبرة التى أفرزت هذا الديوان **"أغوار النفس" (1978)** ومن ثم هذا الشرح "فقه العلاقات البشرية" الآن، كان يحضرنا ونحن نسرح بخيالنا متصورين أن اجتماعاتنا تلك سوف تطلق قدراتنا معا ، وبالتالى سوف تمكننا من إصلاح الكون و هداية البشر و إبلاغ رسالة الوجود، شعرا، أو طِبًّا، أو فلسفة، أو بالعلم الجديد، أو بالفن الجميل، كان يحضرنى والدى ناقدا، لا محتجا، ولا رافضا، وكنت أعتذر له حيث لا يراه غيرى طبعا، وأقارن بين ما نفعل، وبين علاقته الوثيقة بالطين، والزرع، واللغة، والله،

واسأل فى نفسى:

أنهو اللى أصلح للتاريخ؟

الكلمه، والحب السعيد، فى أوده ضلمة منعكشه؟

أو لوزه حلوه مفتّحه؟؟

علاقة هذه الفقرة بالعلاج النفسى هى أنها ربما تنفى الإشاعة القائلة "إنه علاج بالكلام"، صحيح أن الكلام هو الوسيلة الأولى للتواصل فى العلاج وغير العلاج، لكن ينبغى أن يظل الكلام مجرد "حامل رسالة" لابد أن تُختبر على أرض الواقع وفى نبض العلاقات، الكلام ، فى العلاج النفسى وغيره، إن لم يستوعبه الواقع، (فى شكل العمل والعلاقات خارج إطار العلاج والإنتاج اليومى البسيط ، وغير البسيط، واستعادة حيوية نبض الإيقاع الحيوى) يمكن أن يؤدى إلى عقلنة معيقة intellectualization، أو حتى لفظنة مغتربة verbalism.

التطور كله، قبل ظهور الكائن البشرى العاقل homo sapiens (الناطق) تم بدون كلام، فإذا جاءت هذه الإضافات (الكلام، والوعى بالوعى، والعقل المنطقى) لتضيف إلى مسيرة التطور إمكانيات التخطيط، والتنظيم، واقتصاديات الوقت، والتكافل، فبها ونعمت، أما إذا حلت محل قوانين التطور الطبيعية الأسبق حتى تضمر، فهى معيقة إعاقة قد تصل إلى التهديد بالانقراض.

ولهذا حديث آخر.

وإلى النشرة القادمة

الإربعـــــاء 02-06-2010

1006-المعلـــــــــــم (7)

مقدمة :

عودة ثانية نكمل المسيرة ونحن ننطلق من السيرة الذاتية إلى العلاج النفسى

هذه الحلقة أيضا تكمل محاولة رؤيتى شخصيا لما هو "ذاتى"

ليس بالضرورة من خلال ما يسمى استبصارا كما ذكرت سالفا.

(8)

وساعات أشوفنى طفل .. طفل ..

إنتو نسيتوه،

واهله سابوه،

ولا هوّا قادر يبقى أبوه،

ولا انْتو قادرين تلحقوه،

يا ناس ياهوه:

يا تلحقوه ....،

يا تموّتوه.

... ثم بدا لى وأنا انظر فى نفسى أنه وراء كل هذه الشطارة، والحكمة، والحذق، والصدق، والمحاولة، والتجربة، والخطأ، والدهشة، والرفض، والاحتمالية، بدا لى أنه يكمن كيان صغير ضعيف برئ، لا قوة له حالا، إلا أنه يملك كل قوى الحياة المتمثله فى الوعد القادر!

حين نظر "المعلم" فى نفسه لمح ذلك الكيان وهو يحاول الظهور وسط كل هذه الزحمة ولا أحد فى الداخل أو الخارج منتبه إلى وجوده أو معترف به **"انتو نسيتوه"**.

حين تهف نسمات أمان للحظات.. تصل رؤيتى لذاتى إلى هذه المنطقة الأصلية فى الوجود البشرى، وهى تصلنى أيضا من بعض من يحبنى حين يرى هذا الطفل "هكذا"، نعم استطعت أن أرى طفلى وراء كل ما سبق يقظا منتظرا، لكن لا أحد يدرى به وسط مظاهر القوة والنجاح والشطارة، وهو لا يقبل - ولم يعد يستطيع - أن يكرر وجودا قديما معاداً (**ولا هو قادر يبقى أبوه**)!

كان يبدو لى أحيانا أنه لا مغيث، مادام هذا الجانب من وجودى غير مرئى

وما أشق هذا.

وحين يبلغ الألم أقصاه يكاد هذا الطفل يتمنى الموت إن لم يدرك أحد وجوده بما هو

وكان الجوع يحتد أكثر حين ينتظر المعلم بعض ذلك من أحد الذين أعطاهم ما عنده، فهو يأمل أن يقدر بعضهم على الوفاء بمطالب هذا الطفل يوما، ربما لينطلق إلى خطوات نموه الثابته القادرة المطمئنة بالفعل المتجدد.

وحين يحتد الألم، أكثر فأكثر يستغيث:

يا تلحقوه، يا تموّتوهْ

لست متأكدا من مدى جدية هذه الاستغاثة، صحيح أن ألم الإنكار أو التنكر لا يطاق، لكننى لا أحسب أننى تمنيت أيه نهاية لأية بداية بشكل حقيقى، ذلك أننى على **يقين أنه لا توجد نهاية لأية حياة حقيقية**، يبدو أن الحياة كلها بدايات، بل إن الموت (خاصة بعد رؤيتى الأخيرة له 2008 - 2010) **(نشرة 10-3-2010 "فشل علاقة الموت المتبادل: عدما "1-3")** هو بداية أقوى وأعمق (نقلة الوعى - أزمة نمو) **(نشرة 10-6-2009 " صعوبات مبدئية، وخطوط عامة)**،

هذه الصرخة **"يا تموّتوه"** انطلقت قبل بصيرتى فى الموت هكذا، فهل يا ترى كان وراءها فرض ببعث محتمل؟

أما بالنسبة **لعلاقة** كل ذلك **بالعلاج النفسى** فأنا لا أستطيع أن أجزم أين موقع طفلى هذا بالنسبة للمريض؟

فى ثقافتنا، وهو ما يجرى على لسانى كثيرا جدا، أن

"الطبيب والد" بما يستتبع ذلك التأكيد على السماح بمرحلة "الاعتمادية الرشيدة"، وهذا غير الوسواس اللحوح على استقلالية الذات، وإثباتها، وتفرّدها طول الوقت (وهو الغالب فى الغرب).

فما هو دور "طفل المعالج" فى العلاج؟

العلاج **"شراكة"** و**"مواكبة"** بقدر ما هو **"رعاية"** و **"مسئولية"**، والعلاج الذى أمارسه وأدعو له هو محاولة استعادة حقنا فى مواصلة النمو، والطفل - فينا - هو الأحق بذلك، وهو لا يواصل النمو السليم على حساب سائر الكيانات المكوّنة للذات البشرية، وإنما هو يفعل ذلك من واقع الجدل الحيوى مع سائر الكيانات (الذوات) فى النفس الإنسانية.

هذا العلاج النمائى يتطلب استيعاب المريض من جانب المعالج **"بكل ما هو"**، فهو يشمل قدرا غير قليل من **التقمص**، بقدر ما يتطلب قدرا مناسبا من **الفهم والمنطق**.

المريض يحضر للعلاج عادة بطفله - الداخلى - مهزوما أو مشوها، أو طفيليا أو معاقا، والعلاج يحتاج أن ينطلق من محاولة تصحيح كل ذلك أو أغلب ذلك، لإطلاق خطوات النمو من جديد، ولا يتم هذا من خلال سماح السلطة الأبوية (الطبيب الوالد) أو قدرتها على الرعاية والحماية (والنصائح أحيانا) فحسب، وإنما - يتواصل- من عمق آخر - يا حبذا فى نفس الوقت - من خلال المشاركة والمواكبة والمعية، وهذا قد يحتاج - كما أفترض- إلى تحريك "طفل المعالج" فعلا.

ثم إن المعالج - المفروض يعنى - تتاح له نفس الفرصة للنمو بكلٍّ مَا هُوَ، وهذا ما يطمئن المريض إلى أنه وجد والدا (طفلا) من نوع جديد، **يسير "معه" بقدر ما يحيط به**.

فإذا عدتُ بعد هذا التصور الفرضى المبدئى أراجع حقيقة ما هو طفلى الخاص، الذى قفز منى فى هذا المتن هكذا، فإننى أحتاج إلى إعلان الاعتراف بما جاء فى النص وأكثر، فهى فرصة أن أراجع صداقتى للأطفال (حتى الثامنة غالبا) لأجد أننى أصاحبهم سنّا بسن، فأعيد اكتشاف حضور طفلى وحيويته.

منذ أسبوع (2010/5/25) حدث الآتى:

كنت أحدث زوجتى فى الهاتف، وإذا بصغرى حفيداتى (4 سنوات) تطلب منها أن تحدثنى "عايزة أكلم جدّى" وفرحت، وشكرتها، وأعدت عليها عرض حى لها إننى عارفة يا "نور" أنا باحبك قد إيه" قالت: "عارفة"، قلت: "وأنتِ؟" قالت: "أنا ما بابحبكشى" قلت: "طيب ليه طلبتى تكلمينى فى التليفون بقى؟" قالت: "كده" قلت: "طيب ليه مابتحبنيش" قالت: أنا باحب "أمى بس" (تعنى جدتها، فهى تناديها بـــ "أمى"، مثلما يفعل أبوها وسائر أبنائى وبناتى فهم لا يقولون "بابا" و"ماما" وإنما أمى وأبويا) قلت لها: "طز فيكى" قالت لى: طيب.

بعد يومين وجدتها مساءً عند جدتها وبجوارها عمتها (ابنتى

"منى" التى لم تكبر داخلى أبدا فهى فى عمر نور برغم أنها على وشك أن تكون استاذا بالجامعة فى خلال أسابيع) قلت لها: "لسه مابتحبنيش" يا نور قالت: "أيوه" قلت: "لكن أنا باحبك برضه" قالت: "وأنا ما باحبكش"، وكان وجهها يشرق بالبهجة برغم ذلك، قلت لها: "ولو، حافضل أحبك برضه"، قالت: "وأنا حافضل ما حبكش"، قلت لها: " أما نشوف مين اللى حايغلب".

ثم بعد فترة صمت قالت لى: "جدى، إنت ليه ما قلتش أنا زعلان منِّك عشان ما بتحبنيش" قلت لها: هوه انتى عايزانى أقول لك أنا زعلان منك ليه"؟ قالت لى فوراً: "عشان أقولك لك "إزعل"، وضحكتْ، وضحكتُ، وأخذتها فى حضنى وأحسست أنها ايضا تأخذنى فى حضنها، وكان موعد نومى قد أزف فقلت: ... "أنا رايح أنام تعالى غطّينى" فتبعتنى دون تردد، ونمت وجذبتُ الغطاء على جسدى فأكلمتْ حبكته هى حول كتفىّ، وكأنى عروستها، ثم انصرفتْ دون أن تقبلّنى!!

فى اعتقادى أن هذا الطفل الذى ظهر فى صحبة "نور"، يظهر نشطا حاضرا قريبا، وهو يقوم بدور ما فى العلاج دون أن يعلن وجوده لا ظاهرا ولا مستقلا.

نحن نعالج المرضى بما هو **"نحن" "كل ما هو نحن"**، وحين يتعرف المعالج على هذا الجانب من وجوده (دون حاجة إلى تسميته طفلا أو خلافه) يستطيع مطمئنا أن يمارس سلطته أبوته بثقة أكبر، وكلا النشاطين يصلان معاً إلى المريض.

فهو العلاج

ثم يعود المعلم يكتشف جانبا من وجوده يبدو عكس ذلك تماما حين يقول المتن:

(9)

وساعات أشوفنى وحش كاسر.

إللى يخالف أدبجه من غير فصال.

ولا أقبل المنطق ولا أقبل جدال.

وأشك فى النِّسمهْ، وفى الورده، وفى الطفل الرضيعْ،

لو ميلوا كده أو كده،

أحسن يكونوا بيعملوا خطة متينهْ مُحكمهْ ضد "الحياه" !!

وكأنها معمولهْ مخصوص لجْل خاطرى،

" تبقى المؤامرة عليها ضدي"!!،

وكأنى مبعوث العناية، منقذ البشرية فى مركب تخاريفى

اللى راح ترحم عزيزى "إبن آدم" ما لطوفان!!!!.

أعتقد أن هذه الرؤية هى كشف واعتراف لما هو اقرب إلى الموقف النمائى المسمى الموقف "البارنوى"، وإن رجحت نسبيا كفة "الكرّ" على كفة "الفرّ"، أو الذراع العدوانية على آلية التوجس والشك.

انطلاقا من رؤية ذلك الطفل القادر الضعيف الوديع الواعد، استطاع المعلم أن ينتقل وهو يكتشف سائر احتمالات وجوده وتركيبه، أن ينتقل إلى رصد الجانب الآخر من وجوده، وهو **قدرته الفائقة على الإغارة العدوانية دفاعا عن موقفه المطلق**، وتمسكا بواحدية رؤيته، وهو ما بدأ به المتن، فإذا كان المتن قد بدأ بالسخرية ممن يحيد عن الصراط من مريديه.

واللى يخالف هو حرْ، ميت صحيح، لكنه حرفْ تربته (نشرة 21-4-2010 "المعلم .. 1 من كتر)

فإن الصورة تنتهى هنا بإعلان صريح يرفض الخلاف والاختلاف من الأساس،

وهكذا استطاع المعلم أن يلتقط ذلك الجانب التوجسى الشاك فى كل شىء دون استثناء "فهو يشك **"فى النسمة" وفى الوردة، وفى الطفل الرضيع)**

وهو يبرر شكه هذا بأنهم ماداموا حادوا عن طريقه، فهى "المؤامرة"

"أحسن يكونوا بيعملوا خطة متينة محكمة ضد الحياةْ"،

فهو يعتبر نفسه الممثل الأول للحياة، أو صاحبها، أو أنها خلقت من أجله، فهو حارسها، ومنقذ البشر بالحفاظ عليها من الضياع والغرق بالطوفان

وكأنى مبعوث العناية، منقذ البشرية فى مركب تخاريفى.

اللى راح ترحم عزيزى "إبن آدم" ما الطوفان

وهكذا تحتد البصيرة "مركب تخاريفى" فتصبح كل هذه **الرؤية كشفاً للترويض أكثر منها تقريراً للتسليم.**

هل ياترى لهذا الجانب من وجود المعالج لزوم فى **العملية العلاجية**؟

بصراحة، اريد أن أهرب من الإجابة على هذا السؤال، لأن إجابتى سوف تتعارض مع الثقافة الغربية المفروضة علينا من ناحية، ومع الشائع عن الطب النفسى والعلاج النفسى من ناحية أخرى، لكن بما أن المتن قد قفز منى هكذا، فلا مفر من الإقرار بوجود هذا الجانب، وايضا لا مفر من محاولة فهم دوره فى العلاج النفسى كما حاولنا مع الجانب الطفلى حالا:

مرة أخرى "الطبيب والد"، والوالد فى ثقافتنا يحضر فيه هذا الجانب المهاجم الشاك الحاسم بهذا القدر وأكثر، فإذا ما اعترف المعالج بحضوره فإنه قد يحسن ترويضه من جهة، كما أنه قد يستفيد من إطلاق قدراته فى المساعدة فى اتخاذ قرارات حاسمة

أو فرض شروط لازمة يرى أنها ضرورية تماما لاستمرار مسيرة العلاج فى الاتجاه الصحيح، وفى جميع الأحوال هو لا يفرض رأيه أو يلزم باتباع طريقه، ثم أن هذا الموقف الشاكّ له جانبه الإبداعى، فهو يسهل أحيانا وضع الفروض التفسيرية والتأويلية بشكل مترابط تآمرى/إيجابىّ، يعين على فهم الإمراضية Psychopathology

(10)

وكتير أشوفنى كل ده !

لكن هناك جوا قوى فرق بسيط.

يفرق كتير.

يمكن يكون سر الوجود .

(11)

واتمنى يوم قبل ما اموت:

ييجى حد منكم:

- بس بيحب الحياة أكتر ما انا ما باحبها -

ويبص فى عيونى قوى:

ويقولى "مين"

أنا أبقى مين ؟

والفرق ده :

فرق بصحيح،

ولا كلام ؟ !! ؟

من أراد رؤية نفسه حقيقة.. فسوف يجد أن كل هذه النوازع والصور والتجليات والاحتمالات وحالات الأنا موجودة فى نفس الوقت وأن واحدة لا تغنى عن الأخرى، وأن هذا لا يعنى أى انقسام أو تفكك بقدر ما يمكن أن يعنى وعيا بكل احتمالات حضور جوانب وتجليات الوجود، حتى إذا تم التكامل لم يغفل جانبا لحساب جانب آخر..

ولكن ما هو الفرق الحقيقى بين من يريد التكامل فيرى هذا كله فى نفسه، ومن يعيش بسبعة أوجه، أو مائة، يتلاعب بها ويلبس لكل مقام وجهه ؟ هذا هو الإشكال المتحدّى.

لعل هذا الفرق هو بين مسيرة الوعى المسئول وبين تحايل وتقلب الوجود المناوِر.

وبألفاظ أخرى:

هو الفرق بين التفكك المتصارع، وبين التناقض المتآلف فى جدل خلاق.

وهو هو الفرق بين الاعتراف بكل جوانب النفس ضعفها وقوتها شرها وخيرها.. للتوليف بينها فى كل جديد، وبين مواجهة أجزاء النفس المنفصلة فى هرب من بعضها البعبض.

وهو الفرق بين الرؤية المسئولة للتغيير، وبين الرؤية للفرجة العاجزة المكتفية بالرؤية والتأجيل،

وهو الفرق بين تناسق الوجود رغم اختلاف أجزائه وبين تناثر الوجود بسبب اختلاف أجزائه .. إلخ ..

الإشكال الحقيقى هو فى وجه الشبه الشديد

بين معالم التكامل وألعاب النكوص،

وللتحقق من حقيقة الأمر لا مفر من تجاوز الاكتفاء برؤية الشخص نفسه مهما احتدت بصيرته،

وهذا ما ختم به المعلم القصيدة بإعلانه الصريح لحاجته لرؤية من خارجه تنقذه من احتمال خطئه، لكنه يشترط فى حكم هذا الشاهد العدل أن "يحب الحياة أكثر"

"بس بيحب الحياة أكثر ما أنا ما باحبّها"

حب الحياة هو حب الناس فعلا قادرا متجددا طول الوقت

وتنتهى القصيدة (التشكيل) بألا تنتهى

هى تترك الباب مفتوحا

لكل احتمال،

وللمراجعة،

ولتجديد الحكم، ولاستمرار النقد.

والفرق ده: فرق بصحيح، ولا كلام؟

وهكذا ينهى المعلم القصيدة بإعلان حاجته لرؤية نفسه بعيون الآخر، ويبدو أنها حاجة شديدة وملحة، ومن خلالها - لو تمت فى حياته - سيطمئن ويرتاح،

فإذا عز وجود الآخر فليكن الحكم لآخرين ..

وإذا عز وجود الآخرين فليس أمامه إلا الاحتكام للتاريخ

ولكنه حينئذ لن يحقق أمنيته (قبل ما أموت).

وبعد

أخيرا انتهيت قصيدة - تشكيل - المعلم، وكنت أحسب أنها آخر ما سأضطر إليه من العروج إلى السيرة الذاتية،

لكن يبدو أن الأمر ليس كذلك كما سيتبين فى الحلقات القادمة.

- (أنظر مقتطف العلاج الجمعى أمس (نشرة 1-6-2010 "نصوص" و"ألعاب" من العلاج الجمعى "2") قبل أسبوع والتأكيد به على ما هو "مَعَ".

الإربعـــــاء 09-06-2010

1013- ملحـــــــق قصيـــــــدة (المعلـــــــم) (8)

تعقيب بالانتقاء

انتقاءات "د. جمال التركى"

اقتطف الأخ والابن والصديق د. جمال التركى من بعض حلقات شرح قصيدة "المعلم" ما راق له أن يقتطف دون إضافة أى تعليق ولو جملة واحدة، وقد وصلتنى دلالة هذا الاقتطاف على أنه تعليق من نوع خاص، وخاصة وأنه قد أرسله إلى جمهور شبكتنا الرائعة فبلغنى من هذا التعليق الصامت الذكى ما يلى:

أولاً: إن الانتقاء وإعادة التشكيل هو تعليق بليغ فى ذاته.

ثانياً: إن جمال قد طمأننى إلى أن الشرح على المتن هو فى النهاية - فعلا - بيان لطبيعة العلاج النفسى كنموذج طيب لماهية العلاقات البشرية، برغم أن المتن كان خبرة ذاتية.

ثالثاً: أصبحتُ أقل حرجا وأنا أتكلم عن نفسى، بكل هذه التعرية، ما دام المتن يثير قضايا عامة تساعد فى توضيح طبيعة مهنتنا وبالذات فيما يخص ثقافتنا.

رابعاً: أننى يمكن أن أستمر أكثر شجاعة فى شرح القصيدتين المتبقيتين وفيهما من السيرة، ما كنت سوف أتحرج من فرضه على القارئ لما يحمل من جرعة ذاتية كثيفة أيضا.

وبعد

أدعو الله أن يتم هذا العمل على خير لأننى لم أكن أتصور

أنه سيكون بكل هذه المشقة، ولا أن يستغرق كل هذا الوقت، ويستولى على كل هذه المساحة، أهلا جمال:

مقتطفات د. جمال التركى من نشرة المعلم (4)

العدد: 985 / بتاريخ: 12-5-2010

مقتطف (1):

أن ترى نفسك من خلال رأى أو رؤية الآخر (أو كليهما)، شىء مهم،

لكنه لا يمثل إلا بعض الحقيقة،

هذه الظاهرة تحدث فى العلاج الجمعى بشكل خاص، قد يحدث أن تكون المجموعة فى حاجة أن تحكم على أحد أفرادها بصفة عامة، أو فى موقف معين، سواء بناء عن مبادرته أو فى موقف تفاعلى يحتاج رأى الجماعة، وهذا ما أسميناه فى حلقة سابقة "المصداقية بالاتفاق".

لكن حقيقة الممكن تعلن أنه مهما كان الاتفاق فإن الاختلاف وارد ومهم، والآراء تكمل بعضها بعض.

*****

الطبيب النفسى غير الأديب والفنان والفيلسوف وعالم المعمل .. إذ أن يديه غائصتان فى أمعاء المجتمع ورجليه فى طين الواقع .. وحتى يستطيع أن يستمر فى أداء مهمته فى ثقافة ناسه الخاصة جدا، فإنه لابد أن يحذق اللغة السائدة بدرجة قد يبدو أنه لا يعرف سواها (وكثيرا ما يكون هذا هو غاية المراد عند بعض الزملاء، ويسمى أحيانا "الذكاء الاجتماعى")!! الطبيب (النفسى، وغير النفسى) مطالب بالنجاح بلغة الواقع وعلى أرضه، وإلا أصبح مثلا فاشلا أمام مرضاه .. وأغلبهم يحتاجون إلى جرعة الواقع أكثر مما يحتاجون إلى مثل هذا الخيال النظرى.

*****

مقتطف (2)

موقف آخر كنت أراه وأنا أبحث عن نفسى فى عيونهم .. فالطبيب النفسى - كما قلت وكررت - ملتزم بالواقع أشد الالتزام، ومن هنا يأتى رفضه العنيف لأى نكوص غير مسئول، ولأية حرية لمجرد اللذة، وأى رفض لمجرد العناد

ولقد تحملت من جراء ذلك كل أنواع الرفض والهجوم .. وكان هذا أيضا من بعض ما ساعدنى على رؤيتى لنفسى .. حيث وضعت هذا الاحتمال أنى أمثل لهم سقف القهر، وعايشته بقدر ما أستطيع، وتقمصت من يرمينى به محترما رؤيته حتى انتهيت إلى

أن وجود هؤلاء النقاد هو أقرب إلى "الوجود الفنى الحر"، وهو فى ذلك قريب من الوجود المثالى السابق.

*****

فى العلاج النفسى قد يصل للمريض صورة باعتباره والدا قاهرا أو سلطة كابتة تمثل نفس هذا السقف الذى رأيته فى عيونهم، وتصبح هذه الصورة معطلة للعلاج حين تتداخل الأدوار فيغلب على العلاج شكل الضبط والربط، وايضا تأثير السلطة الوصية، وكثيرا ما يقوم الطبيب أو المعالج بهذا الدور بشكل لا شعورى (أو شعورى) حين تتحكم فيه منظومته القيمية الخاصة، أو نواهى دينه، أو قهر مجتمعه فينتقل ذلك إلى المريض بشكل معطل غالبا.

*****

مقتطف (3)

أقر وأعترف مرة أخرى أن هذه الموجات من النقد حتى الشجب كانت موقظة لى فى كل حين ... فكنت أحب أن أعتبرها آراء صحيحة ما أمكن ذلك .. حتى أظل منتبها إلى احتمال انحرافى .. فأشكرهم فى قرارة نفسى على هذه الرؤية - رغم عنف الألم وقد استمرت معى هذه المعاناه مدة طويلة .. فلا أنا أرفض رؤيتهم، ولا أنا أستسلم لها، ولا هى تعوقنى أكثر من المعاناة الخفية .. إذا كان على أن أستمر فى الحصول على مقاليد القدرة تساعدنى على تحقيق رؤيتى التى ألقيت على وجدانى وفكرى قولا ثقيلا .. وما أصعب كل هذا.

كنت - ومازلت - على يقين من أن من يريد أن يعرف نفسه عليه ألا يرفض رؤية غيره له مهما كانت دوافعها، ومهما بدت بعيدة عن الحقيقة، ومهما كان الألم المترتب على تبنى هذه الرؤى المشوهة والمزعجة، فإن وظيفة وجهات نظر الآخرين لا بديل لها إلا أوهام الوجود المعصوم، وهكذا فإن الذى حدث هو أنه فى نفس الوقت الذى كنت أتقبل فيه هذه الرؤية تماما حتى لو رفضتها ظاهريا .. فإنى كنت أعلم فى آخر طبقات وجودى أننى لست مجرد ما يظهر منى لهم، لكننى أيضا هو ما يصلهم .. فالرؤية الجزئية المنحازة هى - فى النهاية - ورغم ما يمكن أن أفيد منها رؤية جزئية منحازة .. لكنها فى نفس الوقت رؤية محتملة، إذن لا يجوز التوقف عند اتهامهم أنهم لا يرون الا ما يحتاجون، أو انهم لا يريدون أن يروا بقية ما هو أنا .. فأعود أتقمصهم من زاوية أخرى.

*****

ثانيا: مقتطفات د. جمال التركى من نشرة المعلم (5)

العدد: 992 / بتاريخ: 19-5-2010

مقتطف (1)

لقد أصبح العلم المؤسسى كنيسة فى خدمة كهنة السيطرة

وباباوات التحكم فى مصائر البشر لصالح الشركات العملاقة المتحالفة مع المافيا والأصوليين عبر العالم، لم يعد الخطر يقتصر على الخوف من سوء استعمال ناتج العلم للتدمير والإبادة، دون التعمير والتقدم، وإنما تمادى إلى الخوف من الاستمرار فى تسخير العلماء لخدمة المال، دون البشر، حتى وصل الأمر إلى استخدام العلم والمعلومات والعلماء لبرمجة الناس لصالح الاستهلاك لا الإبداع، وإلهاء الكافة عن أولويات ما يحفظ بقاءهم ويحفز تطورهم"

العلماء أصبحوا بروليتاريا العصر الحديث، تستغلهم الشركات العملاقة بطرق أبشع وأخبث.

العلماء يستنقذون بكم معشر الأدباء والشعراء والتشكيليين وسائر المبدعين الأحرار والنقاد".

*****

إن نقد المؤسسة العلمية الاحتكارية لا يقل إبداعا وضرورة عن نقد المؤسسة الدينية التقليدية الفوقية، كما أن نقد المؤسسة التعليمية الرخوة القشرية الآسنة، لابد أن يتواكب مع نقد المؤسسة الثقافية الأعلى.

إلى لحظة الرؤية الحدسية الواضحة، حيث تنبسط قوانين الوجود وتختزل وتفسر الماضى، وتوضح الحاضر وتحسب المستقبل بيقين شديد.. ولكنها هى جزء من وجود صاحبها فى عينة تكاملية .. فهى صورة لما يمكن أن يكون، أو لما يسعى أن يكونه ... وفيها من الحكمة والوضوح ما يبهر ويحذر فى نفس الوقت.

*****

1- إلى أى مدى تؤثر صورة الطبيب النفسى أمام نفسه، ومن مصادر أخرى غير العلاقة العلاجية، على ممارسته العلاج النفسى (أو الطب النفسى عموما)، وعلى علاقاته بمرضاه أثناء العلاج النفسى؟

2- إلى أى مدى يؤثر نجاح الطبيب النفسى فى الحياة العملية على أرض الواقع (بقياس المال والسلطة والشهرة ....الخ) على مهنته، ما علاقة ذلك بمثالية بعض الأطباء والمعالجين حقيقة أو تصورا

3- ما هى علاقة أدوار الطبيب النفسى المختلفة، كما تصل إلى الناس من مصادر مختلفة، بدوره كمعالج، وكطبيب؟

4- ما هى الصورة الأكثر صدقا؟ رؤية الطبيب النفسى لنفسه؟ أم رؤية الناس له؟ أم رؤية مرضاه له؟ (على اختلافهم)، وكيف يوفق بين هذا الأدوار وغيرها.

أتوقف اليوم، ولا أعد بالإجابة إلا بما يسمح به المتن فى النشرات القادمة.

*****

ثالثا: مقتطفات د. جمال التركى من نشرة المعلم (6)

العدد: 999 / بتاريخ: 26-5-2010

مسئولية المعرفة تحتد حين نواصل المعرفة، لكن حين نتصور، لأى سبب من الأسباب (حقيقة نسبية، أم غرورا، أم جنونا، أم جهلا) أننا قد عرفنا كل شىء، فمعنى ذلك أنه لم يعد ثمَّ معنى لوجودنا بشرا.

*****

.. أعرف من خلال مرضاى ايضا، وأحيانا من خلال خبرات عابرة سريعة، أن هناك يقين آخر ليس يقينا بوفرة المعلومات حتى الإلمام بكل العلوم كما زعم المتنبى، أو كما أتصور أنا حجم معلومات ابى العلاء المعرى، وإنما هو يقين معرفة تعلن التماهى بين أصغر مكوناتنا (الدنا) وأوسع مجالات الوعى الكونى إلى الحق تبارك وتعالى، هذه لحظات يقين تلغى الزمن لتحتويه، دون إنكار وتشمل الكون لتمثله دون انمحاء، وهى فى حضورها الإيجابى: نقطة عودة إلى التفاصيل على أرض الواقع، أما فى تشوّهِها السلبى، فهى نقطة توقف عند اللاشىء، على أنه كل شىء.

*****

فى خبرتى (وفى رأى إريك بيرن كذلك) أن التصالح مع الوالد (الداخلى بالذات= الذات الوالدية Parent ego state) هى من أهم ما يطلق قدرات النمو والتكامل. التصالح لا يعنى الاستسلام، ومن لا يرى والديه فى نفسه، فيقبلهما ويتخطاهما إذْ يستوعبهما بعد أن يصالحهما، فقد يمضى سائر عمره فى معركة بين ذواته لا تنتهى. التصالح وارد ولكن كمرحلة قبل الاستيعاب حتى التمثيل، بما يقابل التمثيل الغذائى فى النظرية الإيقاعية التطورية، حين تنقلب المادة الغذائية إلى جزء لا يتجزأ من نسيج الجسم الحيوى.

بالتمثُّل الجدلىّ يتحول "الأب المُدخل" إلى جزء من نسيج المعلومات البيولوجى، فهو النمو المتمادى.

*****

فى العلاج النفسى، المعالج والد، خصوصا فى ثقافتنا، والأمر لا يحتاج إلى تصوير العلاقة العلاجية على أنها إعادة، أو تكرار، أو استعادة علاقة والدية قديمة وهو ما يسميه التحليل النفسى "طرح" المشاعر السابقة على المعالج، وإنما هى علاقة نمائية طبيعية تتجدد، وتتكرر، مع اختلافات فى التفاصيل والمآل، مع كل أزمة نمو، بل ومع كل نبضة إيقاع حيوى، وعلى قدر قبول المعالج لدور الأب، ثم قدرته على التخلى عن هذا الدور لصالح نمو المريض، وقدرة المريض على قبول الاعتمادية الإيجابية المتبادلة (وليست الرضيعية)، يكون التقدم على مسار العلاج

*****

علاقة هذه الفقرة بالعلاج النفسى هى أنها ربما تنفى الإشاعة القائلة "إنه علاج بالكلام"، صحيح أن الكلام هو الوسيلة الأولى للتواصل فى العلاج وغير العلاج، لكن ينبغى أن يظل الكلام مجرد "حامل رسالة" لابد أن تُختبر على أرض الواقع وفى نبض العلاقات، الكلام ، فى العلاج النفسى وغيره، إن لم يستوعبه الواقع، (فى شكل العمل والعلاقات خارج إطار العلاج والإنتاج اليومى البسيط ، وغير البسيط، واستعادة حيوية نبض الإيقاع الحيوى) يمكن أن يؤدى إلى عقلنة معيقة intellectualization، أو حتى لفظنة مغتربة verbalism.

*****

رابعا: مقتطفات د. جمال التركى من نشرة المعلم (7)

العدد: 1006 / بتاريخ: 2-6-2010

صحيح أن ألم الإنكار أو التنكر لا يطاق، لكننى لا أحسب أننى تمنيت أيه نهاية لأية بداية بشكل حقيقى، ذلك أننى على يقين أنه لا توجد نهاية لأية حياة حقيقية، يبدو أن الحياة كلها بدايات، بل إن الموت (خاصة بعد رؤيتى الأخيرة له 2008 - 2010) (نشرة 10-3-2010 "فشل علاقة الموت المتبادل: عدما "1-3") هو بداية أقوى وأعمق (نقلة الوعى - أزمة نمو) (نشرة 10-6-2009 " صعوبات مبدئية، وخطوط عامة).

*****

العلاج "شراكة" و"مواكبة" بقدر ما هو "رعاية" و "مسئولية"، والعلاج الذى أمارسه وأدعو له هو محاولة استعادة حقنا فى مواصلة النمو، والطفل - فينا - هو الأحق بذلك، وهو لا يواصل النمو السليم على حساب سائر الكيانات المكوّنة للذات البشرية، وإنما هو يفعل ذلك من واقع الجدل الحيوى مع سائر الكيانات (الذوات) فى النفس الإنسانية.

هذا العلاج النمائى يتطلب استيعاب المريض من جانب المعالج "بكل ماهو"، فهو يشمل قدرا غير قليل من التقمص، بقدر ما يتطلب قدرا مناسبا من الفهم والمنطق.

*****

المريض يحضر للعلاج عادة بطفله - الداخلى - مهزوما أو مشوها، أو طفيليا أو معاقا، والعلاج يحتاج أن ينطلق من محاولة تصحيح كل ذلك أو أغلب ذلك، لإطلاق خطوات النمو من جديد، ولا يتم هذا من خلال سماح السلطة الأبوية (الطبيب الوالد) أو قدرتها على الرعاية والحماية (والنصائح أحيانا) فحسب، وإنما - يتواصل- من عمق آخر - يا حبذا فى نفس الوقت - من خلال المشاركة والمواكبة والمعية، وهذا قد يحتاج - كما أفترض- إلى تحريك "طفل المعالج" فعلا.

ثم إن المعالج - المفروض يعنى - تتاح له نفس الفرصة للنمو بكلٍّ مَا هُوَ، وهذا ما يطمئن المريض إلى أنه وجد والدا (طفلا) من نوع جديد، يسير "معه" بقدر ما يحيط به.

*****

نحن نعالج المرضى بما هو "نحن" "كل ما هو نحن"، وحين يتعرف المعالج على هذا الجانب من وجوده (دون حاجة إلى تسميته طفلا أو خلافه) يستطيع مطمئنا أن يمارس سلطته أبوته بثقة أكبر، وكلا النشاطين يصلان معاً إلى المريض.

فهو العلاج

*****

مرة أخرى "الطبيب والد"، والوالد فى ثقافتنا يحضر فيه هذا الجانب المهاجم الشاك الحاسم بهذا القدر وأكثر، فإذا ما اعترف المعالج بحضوره فإنه قد يحسن ترويضه من جهة، كما أنه قد يستفيد من إطلاق قدراته فى المساعدة فى اتخاذ قرارات حاسمة أو فرض شروط لازمة يرى أنها ضرورية تماما لاستمرار مسيرة العلاج فى الاتجاه الصحيح، وفى جميع الأحوال هو لا يفرض رأيه أو يلزم باتباع طريقه، ثم أن هذا الموقف الشاكّ له جانبه الإبداعى، فهو يسهل أحيانا وضع الفروض التفسيرية والتأويلية بشكل مترابط تآمرى/إيجابىّ، يعين على فهم الإمراضية Psychopathology

*****

ولكن ما هو الفرق الحقيقى بين من يريد التكامل فيرى هذا كله فى نفسه، ومن يعيش بسبعة أوجه، أو مائة، يتلاعب بها ويلبس لكل مقام وجهه ؟ هذا هو الإشكال المتحدّى.

لعل هذا الفرق هو بين مسيرة الوعى المسئول وبين تحايل وتقلب الوجود المناوِر.

وبألفاظ أخرى:

هو الفرق بين التفكك المتصارع، وبين التناقض المتآلف فى جدل خلاق.

وهو هو الفرق بين الاعتراف بكل جوانب النفس ضعفها وقوتها شرها وخيرها.. للتوليف بينها فى كل جديد، وبين مواجهة أجزاء النفس المنفصلة فى هرب من بعضها البعبض.

وهو الفرق بين الرؤية المسئولة للتغيير، وبين الرؤية للفرجة العاجزة المكتفية بالرؤية والتأجيل،

وهو الفرق بين تناسق الوجود رغم اختلاف أجزائه وبين تناثر الوجود بسبب اختلاف أجزائه .. إلخ ..

الإشكال الحقيقى هو فى وجه الشبه الشديد

بين معالم التكامل وألعاب النكوص،

وللتحقق من حقيقة الأمر لا مفر من تجاوز الاكتفاء برؤية الشخص نفسه مهما احتدت بصيرته،

*****

يحيى: شكرا يا جمال

ربنا يخليك، وينفع بك

الإربعـــــاء 16-06-2010

1020-لعبـــــة الحيـــــاة

الحلقة : (70)

لعبة الحياة

(الفصل الثالث)

المقدمة:

هذا هو الفصل الثالث فى الديوان، بعنوانه الأصلى "لعبة الحياة" وكان عنوان الفصل الأول هو "لعبة الكلام"، والثانى "لعبة السكات" حيث قامت لغة العيون باللازم، وكلاهما كان بمثابة كشف للمشاعر الإنسانية فى محاولة سبر غور فقه العلاقات البشرية، فى الأحوال السوية (تقريبا) لكن فى إطار معاناة عمق التعرية وآلام الرؤية.

هذا الفصل الأخير هو عن الحياة: "لعبة الحياة".

مواجهة حقيقة "الحياة" من خلال المرضى والمراجعة

حين بدأتُ تقييم موقفى العلاجى - كما فرضه علىّ مرضاى - كان التحدى الذى وجدت نفسى فى مواجهته هو دعم الحياة ضد الموت، فمررت بمراحل التعرف على **"ما هو حياة"**، مما يجدر تقديمه على الوجه التالى:

1- وجدت فى البداية أن الحياة تمثل "التقدم/الاقتحام"، فى حين كان الموت هو التقهقر التراجع/النكوص" فكنت أرى الفصام يمثل الموت مثلا من حيث أنه نكوص فتحلل، فيكون علاجه هو استرجاع التماسك للتقدم.

2- ثم انتبهت إلى أن الحياة هى الحركة فى حين أن الموت هو السكون، فانتقلت من الاقتصار على التركيز على الدفع إلى الحياة، إلى الاهتمام بمحاولة التحريك (استعادة زخم الحركة) مطمئنا إلى أن الحركة لها تلقائيتها الكافية لإعلان الحياة ودفعها، وبالمقابل يكون الموت هو السكون، ومن ثم الضمور فالعدم.(اللهم إلا حركة الموت الانفجارية طبعا)

3- حين تصالحت مع الموت، ووصلنى كيف يمكن أن يكون نقله من الوعى الشخصى إلى الوعى الكونى، وأنه "إعادة ولادة"، وأنه "أزمة نمو" وجدت أن هذه الرؤية الجديدة تنفى عن الموت سكونه وعدميته بشكل أو بآخر، فبدأت تحفظاتى تجاه الاطمئنان إلى أن الحياة هى الحركة الطبيعية فى ذاتها باعتبار أن الموت قد يكون كذلك.

4- وحين تيقنت أن الحركة وحدها قد لا تعنى الحياة، رحت أتفحص الحركة اللاحياة: فثم حركة فى المحل، وثم حركة دائرية مغلقة تنتهى حيث بدأت، فهى حركة زائفة فى النهاية، وأفادتنى هذه الرؤية فى أن أنتبه إلى أن الحركة إنما تمثل الحياة من خلال شرط ارتباطها بالإيقاع الحيوى النابض، الذى تكون محصلته إيجابية حين يكون البسط تشكيلا للامتلاء، وليس مجرد تفريغ لما امتلأ به.

5- ثم أضيف بعد متداخل، هو حتمية "برنامج الدخول والخروج" in - and - out program باعتباره حركية مكملة لدفع زخم الحياة، شريطة أن يكون ذراع الخروج أرجح وأكثر امتدادا من الدخول (ولو قليلا) مع كل دورة، أو مع محصلة الدورات.

6- ثم امتدت رؤيتى لمدارات متمادية الاتساع حتى ترابطت حركية الحياة البشرية مع كل حركة حياة فى دوائر تتولد من بعضها البعض إلى ما بعدها: حياة الطبيعة، فحياة الكون، فوصلنى معنى ما هو كدح إلى وجه الحق تعالى، فأصبحت الحركة عندى بين الوحدات (البشر) لا تمثل أعماق ما هو حياة إلا إذا تواصلت مع الحركة نحو المطلق إلى وجهه تعالى.

أ) التقدم

ب) التعتعة

ج) البسط

د) الخروج

التقهقر

السكون

الامتلاء

الدخول

7) وهكذا انتهيت إلى التعرف على حركية ما هو حياة - حتى الآن - على محاور متعددة:

شريطة أن يتواصل كل ذلك إلى الامتداد فى، ومع، إيقاع دوائر الحياة فى اتساعها المتمادى.

وبعد

فى هذه النشرة موجز مكثف جدا لما تجمع عندى حتى الآن من واقع معايشتى لجدل المرض والصحة، على مسيرة العلاج، كما سّمعت فى نفسى، فخرج هكذا:

المتن أولا:

نص القصيدة هنا تجاوز كثيرا ما جاء فى مقدمة الفصل الثالث للديوان "أغوار النفس" ذلك أنه قد تم تحديثها عدة مرات، آخرها اليوم، مرورا بأرجوزة للأطفال ضمن الأراجيز التى كتبتها لهم، فعذرا،

وسوف أكتفى فى هذه النشرة بتقديم المتن فى صورته الأخيرة، فالأرجح أنه قد يحمل رسالة فى ذاته أقوى مما سيأتى بعد تشريحه (أو تشويهه) بما يسمى شرح على المتن!.

-1-

الحياه هىّ الحياهْ

أغلى حاجه فيها هيّا: إنى عايشْ

وِسْط ناسْنا الطيبين

حتى ناسنا النُمْ نُمْ

همّا برضه أحلى ناسْ: طيبين

ما انا منهمْ،

يبقى لازم زيُّهمْ،

حلو خالص

بس انا برضه بَلاقيـنِى ساعات كدا نُمْ نُـمْ،
قلت أتعلم، وابُص
-2-
الحياة هى الحياة
باترجف من خطوتى الجايَّةْ، ولكن:
باترعب أكتر لو انى فضلت ساكن
كل ما أشك ف خطاى،
ألتفت ما لقاش وراى
إلا إنى،
وسط كل الناس باغَنِّي
يعنى بَابْنِى،
أنا وابْـنِي.
واللى مش ممكن حايخلص بـــيه وبـــي.
يبقى غيرنا يكمله.
-3-
الحياة هى الحياة
الحياة دى مش كلام مرصوص على صفحات جرايد،
أو حكاوى فى القهاوى والدواوير والمقاعد،
أو شِلَلْ مرصوصة تعرف فى الصياعة واللكـــــاعة،
أو برامج فى الإذاعة.
الحياة دى مش ثقافة عليا جدا" فوق هامات البشر".
أو جوايز يمنحوها للى فاز لما انتشر.
-4-
الحياة هى الحياة
الحياةْ مش هيصهْ سايبه منعكشهْ
الحياهْ حركة جميلةْ مُدهِشَه.
بس بتخوّف ساعاتْ
لمّا بنعرِّى الحاجاتْ
-5-

الحيـاة هى الحيـاة
الحيـاة مش حلم لـيلة صيف، ولا إحساس يـكركع
متـل قـــلـــه مايـله تـدلق مية المحايـاة فى صحرا مولـعة ..
لا الـزرع يطلع فـيهـا ولانـارهـا فى يـوم راح تـنطفـي.

-6-

الحيـاة هى الحيـاة
كل مـا بـالْقـانِى مـاشى: مـا بَـنَـاتـْـكُمْ، أنـبِسطْ.
إيـدى مـاسكه فى إيـديُكمْ،
بـابقـى خـايـف إن واحد يـنفـرطْ
يـا حلاوه لـو تـكون الـدنـيـا ديَّـهْ
زى مـا ربى خَلَقْـنـاَ: هِيـَّـــا هيـهْ
تـبقـى رايـح نحوهـا، تـلقـاهـا جايَّـه

-7-

الحيـاة هى الحيـاة
الحيـاة الحلـوة تِحلى بْكُلّنـا، إنـتَ وانـَا،
كل واحدْ فـيـنـا هوّا بـعضنـا،
بـس مش داخلين فى بـعض وهربـانـين،
زى كـتـلـةْ قَشّ ضـايـعـةْ فْ بحر طينْ.
ايـوه فـعلاً: كل واحد هوّا نـفسُه،
بـس نـفسُه هِـيّـأ ّ بـرضه كـلـنـا،
مـالى وعيـه بـربّـنـا

-8-

الحيـاة هى الحيـاة
الحيـاة الحلـوة حلـوه
والحيـاة المُرّه بـرضه، لـو تـاخد بـالـك شويـة
راح تـشوف مـرارتهـا حلـوة
هيـه صعبة لـو لـوحدك
بـس تـسهل لـو مـعـانـا الـنـاس يـا نـاس
.....

مش مصدق؟!!

طب حاتخسر إيه لو انت سمعتنا

مش يجوز نلقاك معانا كلنا

نبقى أكثر منّنا!!

وبعد

لعلاقتى الخاصة بهذه القصيدة (الأرجوزة) أجّلت الشرح عندّا كما قلت.

أما القصيدتان، فى هذا الباب فهما عودة إلى تداخل ما هو سيرة ذاتية مع احتمال تطبيق معطياتها على آليات العلاج النفسى، لا أعرف كيف.

القصيدة الأولى **"جمل المحامل"**: وهى قصيدة لا أحبها كثيرا، وقد كتبتها فى وسط الخبرة التى أفرزت هذا الديوان وهى تركز فى البداية على تراكم التحمل الواعى نسبيا، لتنتهى باقتحام الأمل وليس انتظاره (الحياة).

القصيدة الثانية **"الخلاص"**: وفيها تتركز من جديد السيرة الذاتية تواكبا مع الخبرة الآتية، لتنتهى بقبول التحدى واقتحام "الآن" "الحياة"،

وهذا وذاك هو ما سنحاول أن نقرأه معا فى الحلقات القادمة.

الإربعـــــــاء 23-06-2010

1027-لعبـــــــــة الحيـــــــــاة (2)

الحلقة : (71)

لعبة الحياة (2)

(الفصل الثالث)

شرح على المتن

بصراحة، مازالت عندى مقاومة شديدة لكتابة شرح على متن هذه القصيدة بشكل خاص، ومع ذلك فأنا مضطر،

لم يبق على نهاية الكتاب إلا قصيدتين، ثم الختام،

لتكن ورطة، هى كذلك، فلتتم بما يمكن،

والسلام.

إذا وصلنا أن الحياة هى الحياة، فهى لا تحتاج إلى مزيد من شرح،

لكن ما دمنا فى مجال استغلال المتن، للدخول إلى بعض ما يعيننا فى مهنتنا، وبالذات فى موقف العلاج النفسى، فلتستمر المحاولة ضد كل مقاومة.

المرض النفسى، كما كررنا مرارا، هو توقف مؤلم، أو منسحب، أو متجمد، وكل هذا هو "ضد الحياة"، كما بينا فى الحلقة السابقة، إذن يمكن أن نتصور أن العلاج، والعلاج

النفسى ضمنا هو "إحياء" بكل معنى الكلمة، "..**ومن أحياها، فكأنما أحيا الناس جميعا**"، إذن قد يجدر بالطبيب النفسى، المعالج النفسى، أن تكون عنده بعض ملامح عن ماذا يعنى "بالحياة"، ما دامت وظيفته هى الإحياء، شريطة ألا ينسى أن لديه شخصياً نفس الفرصة لتنشيط الحياة فى نفسه من جديد، حتى وإن كانت نشطة بشكل ما، إلى درجة ما.

-1-

الحياه هىّ الحياهْ

أغلى حاجه فيها هيَّا:

"إنى عايشْ"

لا يوجد تفسير للحياة إلا أنها الحياة،

كثيرا ما طرح علىّ مريض هذا السؤال: ماذا علىّ أن أقرر الآن؟ فأجدنى أطرح نفس السؤال على نفسى دون أن أدرى، وقد كنت أرد على كثير من مرضاى، دون تجاوز الأمور الحياتية اليومية التى علينا أن نقررها سويا، أو يقررها هو مؤتنسا بعلاقتنا (حتى لا يزعل الخواجات)، كثيرا ما كنت أجد نفسى أقول له (ولنفسى) :

عليك أن تقرر: "إما أن تحيا، أو لا"، ولم أكن أقول عادة "إما أن تحيا أو تموت"، خشية أن أثير عنده هذا الاحتمال وكأنه بديل حقيقى، أو بصراحة: لأننا عادة ما يكون انطلاقنا - ونحن لا ندرى- هو من أن عمق مهنتنا هى أنها تسهم فى إحياء الموتى، (بفضل الله والفن العلاجى/ العلم).

فهل لميت (مع المبالغة) أن يعيد اختيار موته؟

لم يبق إلا أن تعرض عليه، وعلينا اختيار "الحياة".

أغلى شىء فى الحياة هو الحياة نفسها:

"أغلى حاجة فيها هيَّا

"إنى عايش"

لا تُقَيَّم الحياة بما يملؤها من مكاسب، أو ملذات، أو أملاك، أو حتى قيم، وربما إنتاج،

"الحياة حياة" قبل كل هذا وبعد كل هذا،

نتعلم من أجدادنا من ملايين السنين أن بقاء الأحياء الأدنى (التى كثيرا ما أشعر بالخجل حين نصفها أنها أدنى) هو "أن تبقى"، بلا أى سبب لاحق،

لا يبقى العصفور فى عشه حيا، لأنه عش جميل، أو ملجأ آمن، ولا يبقى الأسد حيًا، لأنه ينتظر من السيدة حرمه اللبؤة أن تقوم بتمشيط شعر لبدته قبل اللقاء السعيد،

العصفور والأسد يعيشان الحياة أولا، ثم تُملأ الحياة بما تستحق أن تُملأ به، فيبقى النوع ، ويقاوم الانقراض جيلا بعد جيل

حين تنحرف المسيرة، وتصبح الحياة "هى ما تحوى"، وليس "ما تُفرز بما هى"، يصبح التهديد بالانقراض أقرب!

حين اكتسب الإنسان الوعى، أصبح يقيس الحياة، ويخطط لها، ويحسب مبررات استمرارها، بمقاييس منحازة إلى منطقه الظاهر، وليس إلى كلية وجوده طولا وعرضا، وأيضا بمقاييس من خارجها، من خارج الحياة، بعضها من صنعه، ليست كلها لصالحه.

الحياة يلزمها بداهة نسيج متين من البنية الأساسية كى تنبض، لكن لا ينبغى أبدا أن يحل هذا النسيج التحتى مهما كان ضروريا محلها برغم أنه من أساسياتها، أو من شروطها، أو من ضروراتها ..إلخ

يظل مجرد حقيقة "أنى أحيا"، هى الحقيقة البادئة التى لو امتلأنا بها، وأمكن أن نبعثها فى مريضنا، لأصبحت نقطة انطلاق واعدة منفتحة.

لا شك أن حياتنا المعاصرة قد أنستنا هذا تماما، أو غالبا، أو إلى حد كبير،

لو أحسنتَ الإنصات إلى صوت عصفور الكناريا على فرع شجرة، لوجدته يردد نفس هذين البيتين:

الحياة هى الحياة

أحلى حاجة فيها، هيَّا:

"إنى عايش"

ما رأيك لو نتوقف عند هذا المقطع، ونحاول أن نردده لعلنا نصدقه بما هو، دون إبداء أسباب

(يمكن أن تفعل ذلك وأنت تسمع غناء هذا العصفور بعد أن تنزل صوت غنائه من جوجل!!

الصوت موجود فعلا: حاوِلْ).

.....

هيا نجرب

.....

الحياة هى الحياة

أحلى حاجة فيها، هيَّا:

إنى عايش

.....

الحيـاة هى الحيـاة

أحلى حاجة فـيهـا، هيًـا:

إنى عـايـش

.....

الحيـاة هى الحيـاة

أحلى حـاجة فـيهـا هيًـا:

إنى عـايـش

.....

مـا رأيـك؟

وحتى نـلـتقـى الأربـعـاءِ الـقـادم أقـترح أن تـعـود إلى قـراءة الـقـصيـدة علـى بـعضهـا مـن نـشرة الأربـعـاء المـاضى..

- مـرة أخرى واحد فى الألـف مـن كـل الأحيـاء هوالـذى نجح فى هذا الامـتحـان.

الإربعـــــاء 30-06-2010

1034-لعبـــــة الحيـــــاة (3)

الحلقة : (72)

لعبة الحياة (3)

(الفصل الثالث)

توقفنا فى الحلقة السابقة عند أن الحياة لا تحتاج مزيدا من التعريف، وأن الاختيار المطروح فى نهاية الأمر يبدو أنه هو المطروح فى بداية الأمر، هو اختيار "أن أحيا..، أم لا"، وهو نفسه كان ومازال هو الاختيار المطروح على أى كائن حى عبر تاريخ التطور، أن يحيا فردا، ثم أن يحيا نوعا، بآليات وبرامج البقاء فيما هو دون الإنسان، وبدرجة ما من الوعى والتخطيط بعد أن أصبحنا بشراً.

هل كان من السخف وفرط التبسيط أن نقف هذه الوقفة فى الحلقة السابقة نغرد للحياة مثل عصفور الكناريا، ونتمسك بها بما هى لما هى، وما يحدث يحدث؟ ربما؟ لقد لامنى بعض الأصدقاء على هذه الوقفة وهذا الاكتفاء وكأننى أستعبط بأن ألهى نفسى عن ما عدا ذلك، أو ما بعد ذلك. الوعى الذى أمتُحِنَ به الإنسان يمنع البقاء فى هذه الوقفة طبعا، لكن يبدو أنها ضرورة البداية، وبداية الضرورة ، لكن علينا ألا نكتفى بأن نعلنها هكذا فقط، بل لا بد أن نعيشها بشراً، ولكى يكون الإنسان بشراً لابد من أن يعيش جدل الوعى مع وعى آخر، وعى بشرى أيضا، بل أكثر من وعى فى كل فرد، ومع عموم الناس.

يبدو أن القصيدة التى نحن بصددها تنبهنا إلى ذلك بشكل سريع قبل أن ننسى، فبمجرد اختيار الحياة نجدنا بين الناس هكذا:

الحياه هيّا الحياهْ

أغلى حاجه فيها هيَّا:

"إنى عايشْ"

وِسْط ناسْنا الطيبين

حتى ناسنا النُمْ نُمْ

همّا برضه أحلى ناسْ: طيبين

ما انا منهمْ،

يبقى لازم زيُّهمْ،

حلو خالمْ

بس انا برضه بَلاقينِى ساعات كدا نُمْ نُمْ،

قلت أتعلم، وابُص

إذن الحياة هى الحياة شريطة أن تكون وسط الناس، لا تكون الحياة حياة بشرية إلا بين الناس.

فى العلاج النفسى الفردى الصحيح يعتبر المعالج ممثلا لمن هو "آخر" بالأصالة عن نفسه والنيابة عن الناس، هذا مفهوم آخر غير المفهوم الذى يؤكد عليه التحليل النفسى التقليدى، حين يهتم أساسا بالتركيز على "الطرح" والتداعى الحر والتنفيث. إن لم يقم العلاج بتهيئة تنمية العلاقة مع جماعة صغيرة، (أسرة مثلا)، ثم مع بعض الناس ثم مع كل الناس، فهو علاج تنفيثى محدود هكذا يعلن المتن من البداية أن الحياة لاتكون حياة إلا وسط ناسنا الطيبين.

أعتبر خبرتى فى قصر العينى مع مرضى العلاج الجمعى خاصة خبرة أتاحت لى الفرصة أن أعرف وأتعرّف على عينات من ممثلى الشعب المصرى الحقيقى عاماً بعد عام، أعنى الشعب المصرى التاريخ، أعنى الشعب المصرى الطبيعى، أعنى الشعب المصرى الآن. أنا أمارس العلاج الجمعى المجانى فى قصر العينى منذ سنة 1971 مع مرضى من الشريحة الأقل قدرة من الطبقة الوسطى والدنيا، وأيضا من الطبقة الأفقر، تعلمت من هؤلاء المرضى معنى الطيبة المصرية الحقيقية "وسط ناسنا الطيبين"، وهم يعطون الموافقة الطيبة بكل ترحيب أن يجلس معنا فى نفس قاعة العلاج فى دائرة أوسع كل من يرغب فى التعلم والتدريب لمشاهدة الجلسة العلاجية بشروط شديدة اليسر، كما يقبل هؤلاء الناس الطيبون التصوير بالصوت والصورة، خدمة للعلم والمتعلمين، الطريقة التى أمارس بها هذا العلاج علانية مع إمكانية التدريب ودوام التسجيل استمرت حتى الآن أربعين عاما إلا

عاماً (عام وراء عام)، تجتمع عينة ناسنا الطيبون (من 8 - 14 فرد) بشكل منتظم كل أسبوع فى يوم محدد (الأربعاء الآن) الساعة 7.30 صباحا ولمدة ساعة ونصف، ولا نحدد اختياراً معنيا للسن أو التشخيص أو الشخصية (أنظر الحوار مع د.أميمة أمس الثلاثاء: 1-6-2010)، اكتشفت وأنا أكتب هذا الشرح الآن أن الذى شجعنى على الاستمرار طوال هذه السنين هو أن ناسنا طيبون بالمعنى البسيط العميق، وليس بمعنى الاستسهال أو السطحية أو التفويت، يبدو أن هذه الطيبة معدية، ومهما كان ظاهر الأعراض، ومهما كان اسم التشخيص، ومهما كان نوع الشخصية، فإن وعياً جمعياً يتكون فيما بيننا من أول جلسة وينمو باضطراد حتى نهاية العام (مدة التعاقد للعلاج هى عام كامل: اثنا عشر شهرا). هذا الوعى الجمعى Collective Consciousness هو آخر ما قدمت فى مؤتمر حديث بعنوان: "الصياغة فى مقابل التشخيص والتصنيف". (يمكن أن يجده الصديق الزائر فى الموقع) ولم أكن قد تبينت أنه "الطيبة المصرية الحقيقية".

قلت حالا إن هذه الطيبة معدية، لكن التعبير الأصح هو أن أقول إنها قادرة على أن تستخرج ما يقابلها (خلقة ربنا) من كل فرد من أفراد المجموعة، فهى ليست سمة أو صفة تنتقل من فرد إلى فرد (معالج أو مريض) بقدر ما هى حقيقة بادئة تتحرك منا بمثير صدق التقائنا، ثم تتجمع وسط دائرتنا فيما أسميته "الوعى الجمعى" Collective Consciousness وليس الوعى اللاجمعى الذى قال به "يونج" Collective Unconsciousness

الذى يجعل العلاج الجمعى ذا فاعلية هو أن هذا الجزء الطيب (العام المشترك) يتحرك من داخل المعالجين أيضا ليساهم فى تكوين الوعى الجمعى المشترك المشارِك.

ليس فى الأمر خصوصية للشعب المصرى، فهذه الطيبة التى أتحدث عنها تصلنى من ناسى لأننى منهم، وهى أقرب إلى ما أسميناه "الفطرة" وقد تقعرنا فى التنظير حوله سابقا 4-11-2007 ، 6-11-2007 ، ونلاحظ أن المتن ينبهنا أن هذه الطيبة موجودة فى الطيبين ظاهرا، وحتى فى الذين أخْفتها دفاعاتهم نبدو غير ذلك، أو "نصف نصف".

فى خبرتى مع طول عمر المجموعة وجدت أن هذا "العامل المشترك" "الذى نسميه طيبة (المصرى أو غير المصرى) هو هو "الحلاوة" التى نصف بها الحياة طول القصيدة، هذه الحلاوة بدت فى وصف ناسنا الطيبين حتى "النص نص" منهم بأنهم:

أحلى ناسْ: طيبين

بنفس الآلية تتم تعتعة نفس هذه المنطقة عند المعالج، "عندى"، فأنا أعلن من البداية، مع تمام مسئوليتى "أن ما يسرى على المرضى يسرى علىّ"، فتنشط عندى نفس المنطقة "الطيبة الجماعية المسئولة" (لاحظ أضفنا لفظ "المسئولة" هنا).

انتماء المعالج هكذا إلى هذه المنطقة المشتركة بنفس الشروط لايتصف بأى قدر من التواضع أو التنازل، بل إنه يعطى للمعالج قيمة أخرى: أنه واحد من الناس مع اختلاف جرعة الخبرة والمسئولية،

يمكن أن يقيس المعالج مدى لياقته لهذا النوع من العلاج بمدى تلقائية أدائه أثناء العلاج من جهة، وبعدم إرهاقه منه بأى درجة من جهة أخرى، لأن العامل العلاجى الأهم هو تخليق هذا الوعى الجمعى المشترك الذى يجمع أفراد المجموعة إلى بعضهم، فينتمون إليه، فيرتد إليهم يعالجهم، كما خلقهم ربهم، فهم "أحْلى ناس"، وليسو "أحلى الناس"، وما يخرج بشكل طبيعىّ: هو طبيعىّ، فمن أين يأتى الإرهاق؟

فإذا كان تحريك هذه المنطقة تجعلنا نرى أنفسنا "أحلى ناس" فإن المعالج حين يرى نفسه أحد هؤلاء الـ "أحلى ناس" يكتشف أنه أيضا "حلو خالص"..

إذن فصفة المبالغة "أحلى، والإطلاق "خالص" لا تشير إلى تفضيل فوقىّ لأنها تقر أن سمة أو صفة الحلاوة هى أيضا صفة ناسنا العاديين جدا حتى ناسنا "النص النص"، كذلك المعالج ليس إلا شخصا من هذا النسيج نفسه الذى أحيانا يكون نص نص، وذلك لا ينقص من حلاوته، كما لا ينقص من حلاوة الناس،

بس انا برضه بَلاقيِنى ساعات كدا: نُصْ نُـصْ،

تكرار وصف الحياة فى هذه القصيدة بالحلاوة "الحياة الحلوة حلوة" وقد تكرر هنا "أحلى ناس" & "حلو خالص"، هو وصف قريب مما أريد توصيله لمعنى خلقة ربنا، التى هى الأقرب لما يتخلق ما أسميته بنا معا: "الوعى الجمعى"

اللفظ الآخر الذى يوصل بعض ما يجرى هو لفظ "الفرحة"، وكل من لفظ الحلاوة والفرحة هو الأقرل إلّى جدا من لفظىْ "السعادة" و"الراحة"، الذين يصر أغلب المرضى على طلبهما أو على الأقل السؤال عنهما.

وسوف نعود إلى ذلك كثيرا.

هذه البداية هى المدخل فى العلاج الجمعى الذى هو ليس إلا نموذجا "للحياة البشرية معاً"، كما أننى وجدت أنها هى المدرسة التى أتعلم فيها ومنها جوهر الحياة:

قلت أتعلم، وابُص

وإلى الحلقة القادمة نناقش الفقرة التالية:

-2-

الحياة هى الحياة

باترجف من خطوتى الجايَّةْ، ولكنْ:

باترعب أكتر لو انى فضلت ساكنْ

كل ما أشك ف خطايَا،
ألتفت ما لقاش ورايَا
إلا إنى،
وسط كل الناس باغَنِّي
يعنى بَابْنِى،
أنا وابْنِي.
واللى مش ممكن حايخلص بيه وبيّا.
يبقى غيرنا يكمله.

الإربعـــــــاء 07-07- 2010

1041-لعبـــــــة الحيـــــــــاة (4)

الحلقة : (73)

لعبة الحياة (4)

حركية الحياة، وحتم التواصل للاستمرار

حركية الحياة هى الحياة، حتى الموت الحقيقى هو بعض مراحل حركية الحياة من بعدٍ معين.

قد يسكن السطح فيخدعنا الركود،

لكن تظل الحياة تتحرك داخلنا تحت هذا السطح الراكد رغما عنا،

الموت، كما وصلنى مؤخرا، كنقلة من الوعى الشخصى إلى الوعى الكونى، هو أزمة نمو، فهو حركة، فهو حياة.

هذه الحركية ليست خطية، وليست دائرية، وليست لولبية، وليست أمامية، وليست خلفية،

هى كل ذلك فى تكامل وتناوب وإيقاع حيوى متصل،

ثلاثة أبعاد للحركية :

أهم الأبعاد التى أود التركيز عليها، وهى التى تتجلى لنا فى رحلة العلاج النفسى (الجمعى خاصة) هى:

(1) حركية "برنامج الدخول والخروج" In and Out program، وهو الذى يسمح بالتواصل البشرى على درجات متعدده من الوعى، ويتم النمو طالما يرجح ضلع الخروج باستمرار مع كل دورة ، إلى أبعد من رجوعه، وأورد بعض أمثلة لهذا البعد كما يلى :

- الدخول إلى الرحم النفسى والخروج إلى الآخر (الموضوع/ الناس)،
- الدخول إلى النوم (الواقع الداخلى) والخروج إلى اليقظة (الواقع الخارجى)،
- الدخول إلى الحلم والخروج إلى النوم غير الحالم
- الدخول إلى حضانة الذات والخروج إلى رحابة المطلق

وهذا ما يميز العلاقة الحية ، والمقاومة المتناوبة فى العلاج النفسى، وخاصة العلاج الجمعى

(2) ثم حركية الملءó البسط = Filling-Unfolding (الإيقاع الحيوى Biorhythm)، حيث دورات هذا الايقاع تمتد من أول التفاعل الكيميائى حتى إطلاق تيار النبض العصبى، كما تتجلى فى

- دورات النوم اليقظة،
- ثم دورات النوم الحلم /اللاحلم،
- ثم دورات تناوب الذوات،
- ثم دورات الملء البسط الإبداعى.

وفى العلاج يتم التعامل مع هذه الحركية بضبط جرعة النوم والاحلام (وليس تفسيرها) مع العقاقير المتقطعة، مع ضبط جرعات النشاط والتلقى طول الوقت

(3) وأخيرا حركية الجدل الولافى Synthesis وهى أبسط ، وفى نفس الوقت هى أعمق من أن تُخْتَصَر فى تعبير "التوليف بين أضداد"، حيث هى جماع كل حركية الحياة بكل البرامج السابقة وغيرها لتخليق الخطوة التالية التى يعلنها تغير نوعِىُّ، إلى غير نهاية.

وفى العلاج نرى نتئج هذه الحركية أكثر من أننا نرصد تفاصيلها ، وتظهر النتائج فى صورة التغيير النوعى الذى يمنع النكسة ، أو يرحب بها بشروطه، فيتواصل النمو

الوعى بحركية الحياة

الوعى بحركية الحياة ليس ضروريا لإقرارها، بل إنه قد يعيقها (بس انت لو بصيت لرجليك، تقع)،

لكن نشاط الوعى البشرى لا يتركنا نسير بتلقائية طبيعية

راقصين مع الدنيا (هى الشابّة وانت الجدع)، فهو عادة، بل كثيرا، ما يقفز ليقول: "إلى أين؟"، أو "حاسب"، أو "أسرع"، أو"ماذ بعد؟"، أو أى شىء.

الحركة الزائفة

• ليست كل حركية هى حياة، فثمة حركة زائفة خادعة: تكلمنا محصلتها صفر، وقد ضربنا بذلك أمثلة منها: الحركة فى المحل (محلّك سر)،

• والحركة الدائرة المغلقة (سكريبت معاد)،

• والحركة حول الذات تمركزا،

وكل هذه حركات ثابته وليست حركية حيوية، وهى أكثر خداعا من السكون الراكد.

تذكرة

تبدأ نشرة اليوم بتذكرة تؤكد على ما جاء فى الحلقة السابقة من أن الحياة لا تحتاج إلى تعريف من خارجها،

"الحياة هى الحياة".

حين يحتد الوعى بحركية الحياة، على أى مستوى نرعب من أية حركة كانت، بغض النظر عن اتجاهها أو النظر فى مآلها،

الرعب من الحركة يكون فى أشد صوره حين يكون الجمود جاثما وغير ناجح فى نفس الوقت،

العلاج النفسى، من منظور النمو، يتواصل كما يلى :

• تحريك الراكد،

• وكسر الغلاف،

• ونقب الجدار،

• ثم تعديل الاتجاه،

• فإطلاق الطاقة،

• فدفع النمو فى الحياة بتنشيط كل الحركيات السالفة الذكر.

والآن إلى المتن:

باترجف من خطوتى الجايَّةْ، ولكنْ:

باترعب أكتر لو انى فضلت ساكنْ

إذا زاد الخوف من الحركة حتى أشلّ، فإنه يصبح معوقا بالغ الإعاقة ،

هذا ما عبرت عنه فى قصيدة سابقة بالفصحى قائلا :

.....

أخاف من تموّج الأحشاءِ،

من نثْـرة الأجنّةْ،

من دوْرةِ الدماءِ،

ومن حَفِيفِ ثْوبَى الخَشِنْ

.....

أخافُ من نسائِم الصباحْ

من خَيْطِ فجرٍ كاذبٍ،

أو صَادِقٍ

من زَحْفِ ليلٍ صامت

أو صاخبِ

أخافُ من تَنَاثُرِ الذَّرَّات فى مَدَارِها

أخافُ مِنْ سَكونَها

هذا الهلع من أية حركة هو الذى يعوق الحركية الإيجابية لدفع الحياة

الخوف من الحركة فى ذاتها يكون أشد فى الحالات التى استقر فيها السكون حتى تجمد السطح، وأيضا فى الحالات التى أزمنت الحركة الزائفة مثل إعادة النص، أو محلك سر، والحالات التى أصبحت فيها الحركة دائرية مغلقة.

<u>قبول المخاطرة مهما كانت مرعبة، وضرورة ضبط الجرعة:</u>

التحدى الملقى على المعالج والمريض هو ضرورة قبول فمواجهة هذا الرعب الضرورى والهائل من أية حركة، ثم القدرة على ضبط الجرعة فى كل مرحلة بما يناسبها.

سر نجاح العلاج النفسى هو الاعتراف بحتم الحركة وفى نفس الوقت احترام إرعابها،

إذا نجح العلاج النفسى أن يتعتع هذا السكون بجرعة مناسبة، فهو يخلق أزمة نمو علاجية، تحتاج للزمن والاستمرار لاستيعابها.

تحدث هذه التعتعة تلقائيا فى أزمات النمو، ومع إرهاصات بدايات عملية الإبداع

يترتب على الوعى بأى من هذا التحريك (العلاج) أو هذه الحركة (أزمة نمو طبيعية) رعب الخطو إلى المجهول (مهما بدا معلوما من بعيد أو واعدًا بشكل ما)،

يترتب أيضا على هذا التهديد المرعب دعوة إلى التراجع عن هذه الخطوة والرضا بالسكون القائم (واللى تعرفه أحسن من اللى ما تعرفوش)،

يسرى هذا على المريض وعلى المعالج على حد سواء.

لكن الكائن النامى، معالجا أو مريضا، لا ينخدع بهذا الإغراء بأمن هذا السكون الخبيث ، فهو ف\يرعب منه أكثر من خوفه السابق من الحركة،

رعب السكون هو رعب الموت/العدم، وهو رعب أخطر وأعمق،

باترجف من خطوتى الجايَّةْ، ولكنْ:

باترعب أكتر لو انى فضلت ساكنْ

الرعب من السكون وارد حين يلتقط الوعى من بعد أعمق أنه سكون يحتوى حركة مكتومة جاهزة للتفجر كم جاء فى نص القصيدة بالفصحى :

تفجّر السكونُ فى قوالبِ الجليد،

ولم تدوِّ الفرقعة.

تحرّكتْ أشلائِــىَ المجمَّدة،

تفتـَّت الجبلْ،

فطارت العَرَائسْ،

تكسّرت حواجزُ الأصواتْ،

تخلـّقتْ ... تطاولتْ،

فأجهِضتْ،

وضجّت السكينة.

أين حركية المعالج من كل ذلك؟

ماذا لو كان المعالج هو الذى سكن إلى ما هو فيه واستقر؟ هل يستطيع مثل هذا المعالج أن يحرك المريض المتجمد دون أن يتحرك هو نفسه بنفسه لنفسه ؟

السكون/التوقف وارد أكثر بالنسبة للمعالج منه بالنسبة للمريض،

المريض الذى يسكن إلى آليات مرضه - باستثناء المرض العضوى التشريحى - هو إما حالة اضطراب شخصية، أو بارانويا مزمنة، أو المآل السلبى المرضى لأى ذهان نشط، وخاصة الفصام،

هذه الحالات جميعا، إذا ما أخذت فرصة علاج مكثف، يمكن تحريكها بدرجة ما، مع أنها من حيث المبدأ مستحيلة التحريك،

أما المعالج الذى سكن إلى ما هو فيه فما الذى يضطره أن يتنازل عن آليات تسكينه (ميكانزماته)، خاصة إذا انتمى إلى نظرية (أيديولوجية - يعتبرها علمية) متماسكة وشائعة وقوية؟

رعب المعالج من الحركة أكبر بكثير من رعب المريض، لأنه غير مضطر.

الرعب من الحركة هو رعب من الحياة

والرعب من السكون هو الرعب من اللاعوده: العدم

ومن المتن بالفصحى :

أخاف أن أموت إن حييتْ

أخاف إن حييت لا أموتْ،

إذا كانت الحياة لا تكون حياة إلا فى حالة حركية

- متعددة القوانين،
- متنوعة البرامج،
- متصاعدة المستويات،
- ضامة التوجه إلى المجهول الأرقى،

فإن ذلك يسرى على المريض وعلى المعالج على حد سواء، وهنا يبدأ التحدى، وتتأكد ضرورة الإشراف على العلاج النفسى بكل مستوياته، وباستمرار.

رفض الزيف وحتم المثابرة

الحركة الحقيقية مرعبة لأنه يصاحبها - أيضا- قدر من **الشك الشائك** حول مسارها ومصيرها،

هو شك معرفى أكثر منه شك متذبذب عاجز،

فى هذه الأغنية يقفز الشك المعرفى يؤكد أن المراجعة بالالتفات إلى الوراء هو للتقدم للأمام

كل ما أشكّ فْ خطايَا،

ألتفت ما لقاش ورايَا

إلا إنى،

وسط كل الناس باغَنِّي

يعنى بَابْنِى،

أنا وابْنِي.

النظر إلى الوراء يؤكد الاطمئنان إلى اتجاه السهم بعد ما تم قطعه على طريق الحياة الممتد أبدا.

هكذا يؤكد المتن أن :

- الغناء وسط الناس،
- مع البناء،
- مع تواصل الأجيال،

هو الضمان أننا نغنى للحياة فعلا إذ نتناغم مع الناس فالكون عرضا فطولا

(هل يا ترى هذا هو ما كانت تقوم به أغانى العمل التى تراجعت حتى كادت تختفى تماما؟)

ضرورة الزمن لتواصل مسيرة حركية الحياة

استمرار الحياة ليست قضيتنا أفرادا،

وربما هى ليست قضيتنا أجيالا،

الأحياء التى نجحت أن تبقى حتى الآن (واحد فى الألف) نجحت دون أن تطرح على نفسها أى سؤال مما طرحناه هنا والآن، هى فعلت ذلك باحترام قوانين وبرامج البقاء للاستمرار عبر الأجيال، هذا اليقين باستمرارالحياة هو سر النمو، ودفع العلاج، وأساس الإبداع

واللى مش ممكن حايخلص بـــيه وبـــيّا.

يبقى غيرنا يكمله.

هذا اليقين باستمرار الحياة هو سر النمو، ودفع العلاج، ودعم الإبداع

تعلمت هذا المبدأ من "عم على" السباك، وقد حكيت عن هذا الحادث (وربما كتبته) مرارا.

هو صديق "سباك" عرفته منذ أوائل الستينات، كان يعمل بيده غالبا، ويكاد يرفض أى صبى يساعده ضمانا للإتقان (كما أخبرنى)، (وقد استلهمت من عم على شخصية "عم محفوظ" فى الجزء الأول "الواقعة" من ثلاثيتى : المشى على الصراط)

كان عم على مستغرقا فى عمله فى الحمام، ودخلت أستعجله المرة تلو المرة، نظر إلىّ باسما معترضا ولم يصرح لى بأن هذا الاستعجال قد يفسد ما آله على نفسه من إتقان عمله،

نظر عم على فى وجهى فوجدنى مكفهرا قلقا على ما يبدو، فنصحنى أن أطمئن، وأن ما لا ننجزه الآن سوف ننجزه بعد قليل، وما لا ننجزه اليوم سوف ينجز غدا، وما لا يُنجز غدا سوف يُنجز الأسبوع القادم، وما لا ينجز هذا العام سوف ينجز العام القادم، وما لا ننجزه نحن، فسوف ينجزه أولادنا، وما لا ينجزه أولادنا، فلا داعى لإنجازه أصلا"،

أشعر أن الفصحى أفسدت الرسالة التى أريد توصيلها، فلأنقل الرواية التى عمرها خمس وأربعين سنة بألفاظ "عم على"

" .. إيه فيه إيه؟ مالك يا دكتور؟ هدّى روحك، إللى ما نخلّصوش دلوقتى نخلصة بعد شوية، واللى ما نخلصوش النهارده نخلصه بكره، واللى ما نخلصوش بكره نخلصه الجمعة الجاية، واللى ما يخلصشى السنه دى يخلص السنة الجاية، واللى ما نخلصوش احنا يخلصوه أولادنا، واللى ما يخلصهوش أولادنا إن شالله ما خِلص ..!!"

لم تصلنى من هذه الرسالة أى تأجيل سلبى، بل ما وصلنى منها هو الحرص على الاتقان، والإقلال من اللهفة على النتائج، ما دام العمل جار بأصوله، فقفز منى هذا النص فى هذه القصيدة.

يعنى بَابْنِى،

أنا وابْنِي.

واللى مش ممكن حايخلص بيه وبيّا.

يبقى غيرنا يكمله.

وإلى الحلقة القادمة

مازلنا فى قصيدة: "لعبة الحياة"

الإربعـــــــاء 14-07- 2010

1048-لعبـــــــــة الحيـــــــــاة (5)

الحلقة : (74)

لعبة الحياة (5)

مقدمة :

مازلنا مع مقدمة الفصل الثالث، والمقاومة تزيد لدرجة احتمال ألا أكمل الشرح على هذا المتن، خاصة وأن ما تبقى به جرعة شخصية مفرطة لست متأكدا من موقعها فى خدمة "فقه العلاقات البشرية.

ما علينا : المتن:

الحياة دى مش كلام مرصوص على صفحات جرايد،

أو حكاوى فى القهاوى والدواوير والمقاعد،

أو شلل مرصوصة تعرف فى الصياعة واللكاعة،

أو برامج فى الإذاعة.

هكذا يبدأ النص فى تعرية "ما ليس حياة"، أو ما هو تشويه للحياة، أو تزييف لها، أو ما لا يستحق أن يوصف بأنه "حياة".

وبقدر ما يبدو فى المتن من شجب ورفض وتحذير من صور الاغتراب المختلفة، ينبغى الحذر من تصور أننا لا نحتاج إلى بعض من كل هذا حتى يمكن أن نستمر بدرجة ما، فيما يسمى الحياة العادية أو الواقعية، صحيح أن الكلام والحكاوى وكثير من الندوات والحوارات مغتربة، لكن صحيح أيضا أن الكلام لا يمكن أن يقاس بالمسطرة كما يقول صلاح جاهين. المصيبة فى صور

الاغتراب المعاصر هو المبالغة فيها وكأنها قيمة مطلوبة لذاتها، وليست اضطرارا مرحليا على درب النمو، وأيضا أنها شائعة ولحوح، وأنها متنوعة، وخادعة، ومتميزة أحيانا وبراقة.

عندى تحفظ فى مجال العلاج النفسى أن يغلب على المعالج مثل هذا الموقف الذى يعرى هذا الاغتراب هكذا حتى يبدو ما أقدمه له وكأنها دعوة مطلقة مثالية للتخلى عن كل ذلك أو أغلب ذلك، وهذا خطأ.

ماذا يفعل الناس بدون الكلام الذى يطل عليهم يوميا على صفحات الصحف حتى لو كان أغلبه لغواً، ومعظمه كذبا؟ ونفس الشىء بالنسبة لوسائل الإعلام تسلية أو إخبارية، ما ذا يفعلون إن لم "يدردشوا" .و"يدشوا" من هنا وهناك، ثم يفوتوّن ويتغافلون عن هذا أو ذاك شعوريا أو لا شعوريا حتى يواصلوا حياتهم الصعبة بما يمكن،

صحيح أن هذا ليس هو غاية المراد حين نتكلم عن "الحياة التى هى الحياة" أو التى هى أغنية عمل حى، أو التى هى تواصل شائك رائع جميل مهدد مستمر، لكن علينا أن ننتبه طول الوقت أننا نحتاج جرعة مهمة من هذا الاغتراب العادى الذى تنقده هذه الفقرة بحدة وسخرية.

العلاج الجمعى الذى يركز طول الوقت، أو معظم الوقت، على المواجهة الآنية حالا، ("أنا-انت & هنا والآن")، هو النموذج الأمثل للتدريب على مواجهة هذه العينات من الاغتراب للتخفيف منها واحتمال حسن توقيتها.

ولا بأس من أن ننبه مكررا أن هذه القاعدة ("أنا-انت & هنا والآن"،) هى فقط للتفاعل أثناء العلاج الجمعى، وأنه يستحيل تعميمها، بل إنه ينصح بعدم تعميمها فى الحياة العادية.

الحياة العادية هى خلفية ضرورية تكاد تملأ كل الصفحة يمينا ويسارا حتى نستطيع أن نقرأ المتن الضيق - غير المغترب - فى وسطها كما ينبغى بالجرعة المناسبة.

الأمر يختلف فى العلاج النفسى الفردى، إذ أن الكلام عادة هو أساس للحوار أثناء هذا العلاج بما يحوى من كل احتمالات الاغتراب عن "هنا والآن"، ولكن بالتدريج يمكن أن تقل جرعة الاغتراب بشكل أو بآخر، ورويدا رويدا يصبح الكلام قادرا على التفعيل الممكن فى مسيرة تعديل السلوك وإعادة تشكيل النص البشرى.

****

ينتقل المتن بعد ذلك إلى نقد معاد لانفصال كثير ممن يسمون المثقفون حين يقول:

الحياة دى مش ثقافة عليا جدا" فوق هامات البشر".

أو جوايز يمنحوها للى فاز لما انتشر.

حين ينفصل المثقف بمعنى الصفوة المطلعة العارفة الفاهمة المبدعة أحيانا عن القاعدة العريضة لجموع الناس، تصبح له وظيفة أخرى لا مانع أن تكون إيجابية غير تمثيل وعى عموم ناسه والدفع بهم إلى ما يمكن من فرص لائقة بالجنس البشرى من تطور ونمو وإبداع، المثقف من الصفوة التى يمثلها مثلا المجلس الأعلى للثقافة عندنا هو إنسان نافع ويساهم فى الحفاظ على ما يميز فكر ناسه، بل والفكر عامة فى مرحلة تاريخية بذاتها، وربط ذلك بما سبق فى التاريخ، وأحيانا التخطيط لما يمكن مستقبلا، لكن هذا كله لا يمثل العينة المثلى لما نسميه الحياة،

فالحياة هى الحياة بذلك، وبدون ذلك، صحيح أن هؤلاء النفر من البشر قد امتلكوا وسائل أرقى وأنفع بكثير من سائر الناس، لكن الصحيح أكثر أن الحياة هى قبل ذلك وبعد ذلك.

لن أعرج إلى موقفى من الجوائز لأسباب شخصية، فقط أذكّر أن الجائزة أية جائزة هى "إعلان لتناسب معين بين مانحها والحاصل عليها فى فترة تاريخية معينة".

وبشكل عام، فإنها عادة ما تعطى لمن يستحقها، فلا يصح أن نأخذ حكاية "اللى فاز لما انتشر" على أنها القاعدة، ومع ذلك فالخطأ وارد، والانتشار أحيانا يعمل نوعا من "تأثير الهالة" ليحل محل "تقدير العمل أو الشخص"،

قرأت حذر بهاء طاهر من حكاية "أكثر المبيعات انتشارا من الكتب" Best Seller وذلك قبيل ترجمته كتاب كويلهو "السيميائى" ثم حين تخطى هذا الحذر واطمأن إلى قيمة الكتاب قام بترجمته بحب شديد ومدحه مدحا لم أجد له مبررا فى نقدى له مقارنة برحلة ابن فطومة لنجيب محفوظ

المهم أن الانتشار، والثللية قد يشاركان فى ذهاب بعض الجوائز إلى غير أهلها، لكن هذه ليست هى القاعدة،

علاقة هذه الفقرة فيما يخص العلاج النفسى هى أن شهرة المعالج ونتائجه المعلنة قد تعطيه "هالة" تؤثر على العلاج النفسى إيجابا وسلبا،

فمن ناحية هى تجعل المريض جاهزا قبل العلاج لاحترام التعاقد والأمل فى الشفاء مثلما سمع وشاع عن هذا المعالج وقدراته أو حتى "كاريزميته"، ولكن على الناحية الأخرى فإن هذه الشهرة قد تأتى من مصادر غير مهنية ، بمعنى أنها ليست نتيجة حذقه الحقيقى لمهنته، ولا لنتائج تقاس نوعيا بما نريد أن نروج له ونحن نتكلم عن "الحياة الحياة"، وإنما هى نتيجة لنجوميته الإعلامية، أو قد ترجع إلى سماته الشخصية المرتبطة بما يسمى "الذكاء الاجتماعى" وهذا أيضا له وعليه.

ننتقل بعد ذلك إلى الفقرة التالية

-4-

الحياة هى الحياة

الحياةْ مش هيصهْ سايبه منعكشهْ

الحياة حركة جميلةْ مُدهِشَه.

بس بتخوّف ساعاتْ

لما بنْعرِّى الحاجاتْ

تشير هذه الفقرة إلى عدة أبعاد معا يمكن تعدادها كالتالى :

1- إن الحياة ليست بلا نظام، مهما بدت كذلك.

ونحن ننسب "اللانظام" أحيانا للقضاء والقدر، وللمصادفة أو للحفظ، والأمر ليس كذلك غالبا، الحياة هى مجموعة برامج بيولوجية وجودية مرتبة ومتداخلة ومتكاملة طولا وعرضا حتى لو لم تبدو كذلك فى ظاهرها.

الحياة نظام مضطرد لبرامج منظمة (بما فى ذلك النظام الذى فى العشوائية أو الفوضى، أو الشواش)

البرنامج الحيوى البيولوجى لا يظهر منه إلا ظاهره حتى لو كان فى واقع الأمر ليس معروفا كله **(الحياةْ مش هيصهْ سايبه منعكشهْ)**

2- إن الحياة حركة (وقد سبق الكلام على بعد الحركة فى نشرة: 7 / 7 / 2010 لعبة الحياة 4)

إن للحياة - بما هى- تنتمى إلى منظومة جمالية فى جماع تناسقها المرتبط بالحركة الإيقاعية غالبا **(الحياة حركة جميلة مدهشة)**

3- طالما أن الحياة حركة: فثمة دهشة، وثم خوف، وما دامت الحركة صادقة ومضطردة فهى تقتحم المعلوم كما تفتح آفاق المجهول متى لزم الأمر، وهو لازم، لأنها حركة إلى مجهول **(بس بتخوف ساعات)**

4- هذه الحركة تؤدى إلى، وتتضمن، اتساع مساحة الوعى، ومن ثم تعميق البصيرة **(لما بنعرى الحاجات)**

وإلى الحلقة القادمة

أرجو أن تقل المقاومة

أو تزيد!!

ماذا أفعل؟

- المقاعد هنا لا تعنى الكراسى التى نجلس عليها ولكنها تشير إلى حجرة فى بيوت الفلاحين فى بلدنا لاستقبال مجالس الأئتناس والشاى، وأحيانا تعنى حجرة المقعد حجرة أعلى المنزل لنفس الغرض وربما كان تحديد اسم "المقعد" لمجرد نفس أنها حجرة للنوم.

- وأعتقد أنه مدحه لما رصده من وجه شبه بينه وبين قصته القصيرة "انا الملك جئت".

الإربعـــــاء 21-07-2010

1055-لعبـــــــــة الحيـــــــــاة (6)

الحلقة : (75)

لعبة الحياة (6)

مقدمة :

هذه هى آخر فقرة فى القصيدة : مقدمة الفصل الثالث، من هذا العمل.

-5-

الحياة هِيَّا الحياة

الحياة مش حلم ليلة صيف، ولا إحساس يكركع

متل قـــلـّه مايله تدلق مية المحاياة فى صحرا مولعة ..

لا الزرع يطلع فيها ولانارها فى يوم راح تنطفي.

كما أن الحياة "حركة جميلة مدهشة" (لعبة الحياة 5) مهما بدا ظاهرها يجرى كيفما اتفق، فإنها أيضا حركة هادفة مستمرة مهما التوى طريقها أو بدا متراجعا بعض الوقت. الصدفة هى من قوانين الحياة أيضا، لكنها حين تضم إلى مجمل المسيرة لا تعود صدفة، وحين تصبح الحياة مجموعة من التشنجات غير المترابطة، والتسكينات المؤقتة، يتقطع خيطها، وينفرط عقدها ويتخثر قوامها ولا تعود "حياة".

المرض النفسى، هو وقفة مزعجة على هذا الطريق الهادف فى مجمله، لكنه من حيث المبدأ وقفة منذرة وهو ليس بالضرورة بديلا تدهوريا متماديا، وبالتالى فالتعامل معه ينبغى أن يكون فى حدود الاستماع إلى النذير لمعاودة المسير مع تصحيح الاتجاه.

العلاج النفسى ينشط حين يواجه هذا الموقف المنذر المهدِّد من أشكال المرض، حيث يكون المرض أكثر حركية - أيا كان اسم التشخيص- ذلك أن هذا النوع يقع على الطرف النشط من بعد "النشاط والاستتباب" Active- Established Dimension.

النظر إلى الحياة على أنها مجموعة سلوكيات متقطعة ، والتعامل مع المرض فالعلاج على أنه مجموعة عثرات فتسكينات مؤقتة، يجعل الممارسة الطبية العلاجية ممارسة إسعافية محدودة، وهذا النوع من الممارسة قد نحتاجه فى بعض الأحيان، لكن على ألا يكون هو القاعدة ما أمكن ذلك،

الإسعاف والتسكين شىء، والعلاج لإعادة التشكيل شىء آخر،

التسكين قد يهدئ السطح الملئ بسحابة دخان بشعة مزعجة عامِيَةْ، لكنه لا يطفى النار وراء هذا الدخان، وإذا لم نتذكر هذه الحقائق فإن النار مع مرور الزمن تتحول إلى رماد لا إلى طاقة.

العلاج النفسى ينتقل بطبيعته:

من مرحلة التسكين المحدود، إلى التغيير الممكن،

من مرحلة اختراق الدخان وإزاحته، إلى مرحلة احتواء النار لتنقلب طاقة مغيّرة،

وإلا يصبح العلاج أقرب إلى **تبرير الوقفة**، منه إلى **تحريك المسيرة**.

-6-

الحياة هيأ الحياة

كل ما بالْقانِى ماشى: ما بَنَاتْكُمْ، أنبِسطْ.

إيدى ماسكه فى إيديُكمْ،

بابقى خايف إن واحد ينفرطْ

يا حلاوه لو تكون الدنيا ديَّهْ

زى ما ربى خَلَقْهاَ: هِيَّا هيهْ

تبقى رايح نحوها، تلقاها جايَّه

مرة أخرى يرجع المتن إلى التأكيد على أن **الحياة** أساسا **هى الحركة**، لكن الإضافة فى أول هذه الفقرة تعتنى بالتنبيه على أن الحركة فى ذاتها، مهما صلح مسارها، وتحددت إيجابية الهدف منها، لا تكون إنسانية تليق بما وصل إليه الإنسان من كونه كائن اجتماعى متحضر مبدع، إلا إن كانت "حركة معا"، البشر مع بعضهم البعض!

كل ما بالْقانِى ماشى: ما بَنَاتْكُمْ، أنبِسطْ.،

إيدى ماسكه فى إيديُكمْ، بابقى خايف إن واحد ينفرطْ

فى العلاج الجمعى يتم تنشيط هذا البعد بشكل منظم مضطرد، هذا ما أسميناه "تشكيل وعى الجماعة، **الوعى الجمعى** "Collective Consciousness (وهو ما أشرنا إليه ونحن نتناول فكرة **"التناصّ"** البشرى، أمس وقبل أسبوع)،

الخطورة فى هذا التنشيط هو أن ينتهى هذا الوعى الجمعى المحدود (وعى المجموعة العلاجية)، إلى وعى "خاص" بها، من حيث أنه يختلف نوعيا عادة عن الوعى الجماعى السائد فى المجتمع، لكن حتى لو زعمنا أنه أرقى، وأنشط، وأكثر إبداعا، وأنه قصيدة بشرية تؤكد حيوية "التناص" الإنسانى، إلى أنه إذا انفصل عن الوعى العام، يصبح نقيصة أكثر منه تميزا.

ينجح العلاج الجمعى حين تصبح هذه **"القصيدة"** البشرية التى أبدعتها جماعة محدودة، جزءا من **"ديوان الشعر"** الحياتى الممتد، وهذا أمر لا يتم بقصد فردى أو حتى بتخطيط علاجى من أفراد المجموعة، وإلا انقلبت المسألة إلى فعل سياسى بشكل او بآخر، لكنه يشير إلى أمل فى أن ثمة مجموعات فى الحياة العامة تنتظم بشكل تلقائى، وبدوافع بقائية، يمكن أن تحقق ما يحققه العلاج الجمعى، دون أن يكون الدافع مرضيا، ولا الإبداع علاجيا، وفى تصورى (أو حلمى) أن تكون هذه الوحدات قادرة على التواصل، ليس فقط عبر تسهيلات التواصل التقنية الأحدث، ولكن عبر الوعى البشرى الممتد، فتحافظ على بقاء هذا النوع ضد كل ما يتورط فيه من ممارسات الانقراض والتدهور (ولهذا حديث لا ينقطع أواصله طول الوقت، ما أتيحت الفرصة).

الخوف من أن ينفصل عن الجماعة أحد أفرادها، سواء جماعة العلاج أم جماعات التطور التلقائية، هو أمر طبيعى، لكن لا ينبغى أن يكون مزعجا أو معيقا للمسيرة الجماعية.

وصلتنى ذات يوم على بريدى الإلكترونى صورة لسرب من الطيور، لا أذكر نوعها، ربما تكون أقرب إلى النورس، إذا أصيب أحد افراد السرب إصابة أعاقت انتظامه حتى كاد يتخلف وينفصل عن المجموع وإذا بعدد من أفراد السرب ينتبه إلى ذلك، (بابقى خايف إن واحد ينفرط)، ومن خلال برامج بقاء النوع غالبا، يتوجه واحد أو أكثر من سرب الطيور لمعاونة هذا الطائر الذى أعيق وكاد ينفرط من السرب، ويظل تناوب معاونته مستمرا، حتى يسترد هذا الفرد عافيته، ويواصل مسيرة رحلة السرب فى هجرته، أو إلى غايته والسلام. هذا الشعور الطبيعى عند الأحياء، لا بد أنه موجود أيضا عند البشر، وحين يختفى نظيره عند الإنسان لا بد أن نفهم أن ذلك نذير بوجود خلل فى برامج البقاء لدى نوعنا البشرى، خاصة إذا تمادى هذا الاختفاء أو أصبح هو القاعدة.

برغم كل ذلك، فإن التعامل مع انقطاع فرد من المجموعة العلاجية أثناء مسيرة العلاج له قواعده التى نتعامل بها مع هذا الحدث، فمن ناحية هو حق المنقطع أن يفسخ عقد الاتفاق العلاجى - بانقطاعه - حين يصله ما يبرر ذلك، حتى لو كان انقطاعه يعنى ترجيح كفة أن يظل مريضا، ومن ناحية أخرى هو

يعطى فرصة للمجموعة العلاجية أن تعيش خبرة الانفصال أو الفقد، وأن تقيم مسيرتها نحو من خرج منها أو خرج عنها، فهى مجموعة صحية بقدر ما تستطيع أن تحافظ على التواصل مع الحاضر والغائب معا، من حيث المبدأ على الأقل.

كثيرا ما نستحضر "من غاب" عن المجموعة تخيلا واقعيا، ونجلسه على كرسى خال بشكل رمزى ماثل، ونحاوره أحيانا، ونتحاور بلسانه دراما صغيرة أحيانا أخرى، أو غير ذلك، وهكذا (مما قد أكون قد أشرت إليه فى موقع آخر).

لدىّ فكرة لا أظن أننى نجحت فى شرحها أو عرضها بالقدر الكافى وهى أن الشخص الغائب لا يغيب إلا فى العالم الخارجى، وأنه يظل جزءا من وعينا بشكل أو بآخر مهما طال الزمن، فالخوف من "إن واحد ينفرط" ينبغى أن يكون خوفا مشروعا، لكنه خوف لا يمثل خطرا حقيقيا على تماسك المجموعة (العلاجية أو الحياتية الصحيحة).

نكرر فى العلاج الجمعى، وأحيانا الفردى تعبير "خلقة ربنا" وهو تعبير مصرى عامىّ تلقائى أهم وأدق من استعمال كلمة **الفطرة**، وهو ليس تعبيرا دينيا بقدر ما يمكن استعماله بلغة التطور أيضا، وهو أقرب إلى ترديد الصوفىّ ذكر الله بقوله **"ربى كما خلقتنى"، "ربى كما خلقتنى"**.

وهنا يقول المتن

"زى ما ربى خلقها هيا هيا"

وهو ما يؤكد أن هذه الطبيعة التى خلقنا بها هى حركية متبادلة بيننا وبين الحياة، تقدم عليك بقدر ما تذهب أنت إليها **"تبقى رايح نحوها تلقاها جيه"**، وبالعكس.

-7-

الحياة هيّا الحياة

الحياة الحلوة تِحلى بْكُلّنا، إنتَ وانَا،

كل واحدْ فينا هوّا بعضنا،

بس مش داخلين فى بعض وهربانين،

زى كتلةْ قَشّ ضايعةْ فْ بحر طينْ.

ايوه فعلاً: كل واحد هوّا نفسُه،

بس نفسُه هِيّأ ّ برضه كلنا،

مالى وعيه بربّنا

أشعر أن هذه الفقرة هى من أصعب الفقرات من حيث تحديها للشرح، ذلك أنها تكاد ترفض أن يمسها أحد بالتوضيح،

توضيح ماذا بالله عليكم؟؟!!

يحضرنى شعور متجدد أن شرحها سوف يفسدها ويقلل من تأثير الرسالة التى يمكن أن تحملها، (مثل معظم ورطة هذا العمل)،

"كل واحد فينا هوا بعضنا"

هل هذا هو الكل فى واحد؟

وما حكاية "بعضنا"، وفى نفس الوقت "مش داخلين فى بعض وهربانين"

يأتى بيان ذلك فيما يلحق به مباشرة.

كل واحد هو نفسه

بس نفسه هىَّ برضه كلنا

يا ترى كيف ذلك؟

هل هذا هو ما أشرنا إليه فى نشرات الإثنين هذه الأيام (نشرات: 19-7-2010، 12-7-2010) ونحن نشرح العلاقة الثنائية الممثلة لكل العلاقات ونحن نشير أن أية علاقة تستحق أن توصف بأنها بشرية تتم مع إنسان فرد آخر **"بالأصالة عن نفسه، والنيابة عن سائر البشر"؟**

ربما نعم

طيب، فما هى حكاية **"كل واحد هو نفسه"**، مع أننا أكدنا طول هذا العمل أنه لا أحد هو نفسه، لأن "نفسه" هى مجرد مشروع فى "تشكل مستمر"؟

لا، عندك، بالرغم من أنها فى تشكل مستمر إلا أنها هى هى ذات متفردة فاعلة قادرة فى حدس لحظة بذاتها، التى هى وجود بين عدمين (كما يقول روبنال أو باشلار).

.....

أما نهاية الفقرة فسوف أقسم بالله العلى العظيم أننى لن اقترب منها

بل لن أعيد كتابتها الآن منفصلة كما أفعل فى بقية المتن

وعليك أن ترجع إليها بنفسك **"فهو أقرب من حبل الوريد"**

فحين يكون **"كل واحد هوه برضه كلنا"**

تتضح الفقرة دون شرح، يا أخى

الله !!!!!!!!

انت مالك انت ؟

الله !!

-8-

الحياة هيّا الحياة

الحياة الحلوة حلوه

والحياة المُرّه برضه، لو تاخد بالك شوية

راح تشوف مرارتها حلوة

هيه صعبة لو لوحدك

بس تسهل لو معانا الناس يا ناس

.....

مش مصدق؟!!

طب حاتخسر إيه لو انت سمعتنا؟!

مش يجوز نلقاك معانا كلنا

نبقى أكثر منّنا!!

يبدو أن هذه الفقرة العادية، قد جاءت فى الختام لتخفف مما قبلها، قرأتها الآن، فوصلتنى بشكل عادى أكثر مما توقعت، بل إننى كدت أرفضها شعرا لما قرأت فيها من جرعات التسوية (الحل الوسط) التى أكرهها (راح تشوف مرارتها حلوة)، ربما هى ليست كذلك، لكن هذا ما وصلنى الآن، وأيضا رفضت تلك المباشرة المسطحة فى تعبير: **"هى صعبة لو لوحدك، بس تسهل لو معانا الناس يا ناس"**، أين الشعر فى هذا بالله عليكم

السطر الأخير كاد ينقذ هذا الجزء من فقدانه شاعريته

"نبقى أكتر مننا "

رجع بنا هذا السطر إلى فكرة تشكيل الوعى البشرى الجمعى فى أية جماعة، ثم فى البشر كافة، أو ربما فى أى نوع، **ليكون الكل هو أكبر من مجموع الأفراد**، ويكون الوعى الجماعى له كيان مستقل فاعل (معالج أحياناً) أكبر من مجموع كل فرد على حدة

الأرجح أن هذا هو ما يحدث فى العلاج الجمعى حين يكتشف من ينضم إلى المجموعة أنه لم يعد فردا فى مجموعة، بل أصبح وحدة فى كيان أكبر من مجرد عدد أفراد المجموع، هذه المسألة لا تطرح أبدا باعتبارها يقين وارد، وإنما باعتبارها احتمال واعد "مش يجوز".

هذا هو ما يعطى المجموعة العلاجية حركية حيويتها، من خلال السماح بالدخول والخروج منها ، لتتم كل رحلة بمزيد من الانتماء إلى هذا الوعى الجماعى/الجمعى.

يجوز!

****

وبعد

وبـرغم مـا فى ذلـك مـن إلحاح سخيف،

وبـعد ست نـشرات مـتتالـية فى مقـدمـة الـفصل الـثالـث مـن الـديـوان بـعنوان "لـعبة الحيـاة"، أنهى هذه الحلقـات بـنشر المتن كـلـه مجتمعا بـالـرغم من أنـنـا نـشرنـاه من قـبل.

لـعلـه بـذلـك يـغفـر لـنـا مـا لحق بـه بـسبب الـشرح.

الـقصيدة كـلـهـا:

لـعبة الحيـاة

-1-

الحيـاه هيّـا الحيـاهْ

أغلى حـاجه فـيـهـا هيّـا: إنى عـايـشْ

وِسْط نـاسْنـا الـطيـبين

حتى نـاسنـا الـنُمْ نُمْ

همّا بـرضه أحلى نـاسْ: طيـبين

مـا انـا مـنهمْ،

يـبقى لازم زيُّـــهمْ،

حلـو خـالـمْ

بـس انـا بـرضه بَلاقـيـنِى سـاعـات كـدا نُمْ نُـــمْ،

قـلـت أتـعلـم، وابُص

-2-

الحيـاة هيَّـا الحيـاة

بـاتـرجف من خطوتـى الجايَّةْ، ولـكن:

بـاتـرعب أكتر لـو انى فـضلـت سـاكـن

كـل مـا أشك ف خطـاى،

ألـتفـت مـا لـقـاش ورا ى

إلا إنى،

وسط كـل الـنـاس بـاغَنِّي

يـعنى بَـابْـنِى،

أنـا وابْـــنِي.

والـلـى مش ممكن حـايخلص بـــيـه وبـــي.

يـبقى غيرنـا يـكمـلـه.

-3-

الحيـاة هيَّـا الحيـاة

الحيـاة دى مش كلام مرصوص على صفحات جرايـد،

أو حكاوى فى القـهـاوى والـدواويـر والمقـاعد،

أو شِـلَـلْ مرصوصة تـعرف فى الـصيـاعة والـلكـــــاعة،

أو بـرامج فى الإذاعة.

الحيـاة دى مش ثـقـافـة عليـا جدا" فـوق هـامـات الـبشر".

أو جوايـز يمنحوهـا لـلى فـاز لمـا انـتشر.

-4-

الحيـاة هيَّـا الحيـاة

الحيـاةْ مش هيصهْ سايـبه منعكشهْ

الحيـاهْ حركة جميلةْ مُدهـِشَـه.

بـس بـتخوّف سـاعـاتْ

لمّـا بـنعرِّى الحاجـاتْ

-5-

الحيـاة هيَّـا الحيـاة

الحيـاة مش حلم لـيلة صيف، ولا إحساس يـكركع

متـل قـــلـــه مـايـله تـدلق مية المحايـاة فى صحرا مولـعة ..

لا الـزرع يطلع فـيهـا ولانـارهـا فى يـوم راح تـنطفـي.

-6-

الحيـاة هيَّـا الحيـاة

كل مـا بـالْقـانِى مـاشى: مـا بَـنَـاتـْـكُمْ، أنـبِسطْ.

إيـدى مـاسكه فى إيـديُكمْ،

بـابقى خـايف إن واحد يـنفـرطْ

يـا حلاوه لـو تـكون الـدنـيـا ديَّـهْ

زى مـا ربى خَلَقْهـاَ: هِيـَّـــا هيهْ

تـبقى رايـح نحوهـا، تـلقـاهـا جايَّـه

-7-

الحيـاة هيَّـا الحيـاة

الحيـاة الحلوة تِحلى بْكُلّنـا، إنـتَ وانَـا،
كل واحدْ فـينـا هوّا بـعضنـا،
بـس مش داخلين فى بـعض وهربـانـين،
زى كـتـلـةْ قَشّ ضـايـعـةْ فْ بحر طينْ.
ايـوه فـعلاً: كل واحد هوّا نـفسُه،
بـس نـفسُه هِـيّـأ ّ بـرضه كـلـنـا،
مـالى وعيـه بـربّـنـا
-8-
الحيـاة هيَّـا الحيـاة
الحيـاة الحلوة حلوه
والحيـاة المُرّه بـرضه، لـو تـاخد بـالـك شويـة
راح تـشوف مـرارتهـا حلوة
هيـه صعبـة لـو لـوحدك
بـس تـسهل لـو معـانـا الـنـاس يـا نـاس
.....
مش مصدق؟!!
طب حاتخسر إيـه لـو انـت سمعتـنـا
مش يجوز نـلـقـاك معـانـا كـلـنـا
نـبقـى أكـثـر مـنّـنـا!!

الإربعـــــاء 28-07-2010

1062-جمـــــــــل المحامـــــــــل (1)

الحلقة : (76)

الفصل الثالث: "لعبة الحياة"

الغنيوة الأولانية

جمل المحامل (1)

مقدمة :

لم يبق فى هذه الورطة إلا قصيدتان، هذه القصيدة، وقصيدة "الخلاص"، وكلتاهما تغلب فيهما السيرة الذاتية عن ما سبق من قراءة عيون البشر، وربطها بتركيب الإنسان، ثم بالعلاج النفسى تفسيرا، أو تعسفا، الله أعلم، وأنتم أيضا.

بعد قرب الانتهاء من هذا العمل فكرت ألا أشرح هاتين القصيدتين أصلا لفرط ما جاء فيهما من حديث عن الذات، وأيضا لأننى تناولت ما وصلنى من حكايتى فى أكثر من عمل سابق، وبالذات فى **"الترحالات الثلاثة"** (الترحال الأول: **الناس والطريق** - الترحال الثانى: **الموت والحنين** - الترحال الثالث: **ذكر ما لا ينقال**) التى كانت جماعا بين أدب الرحلات والسيرة الذاتية.

خطر لى أن أعيد نشر القصيدتين دون تعليق.

إلا أن ما أكتبه حاليا كل ثلاثاء أكد لى مؤخرا كيف أن المعالج النفسى هو "نص بشرى" قابل للقراءة، وقادر على "إعادة التشكيل"، وبما أننى أدعى أن هذا العمل هو "فى فقه العلاقات البشرية" وهو الكتاب الثانى فى "دراسة فى علم

السيكوباثولوجى" كما يقول العنوان، فإننى أتصور أن قراءة هذا المعالج (كاتب هذا الكلام) "نصا بشريا" هو ضمن ما نحاوله فى توصيل بعض أساسيات العلاج النفسى،

دعونا نقرأه معاً بالإضافة إلى ما سبق فى قصيدة "المعلم" **(نشرة 21-4-2010 "المعلم 1 من كتر")**

فليتحمل الأصدقاء ما بقى منى، وأمرهم إلى الله

ولتصل الفائدة لمن يستطيع أن يستخلصها

النص:

(1)

= لأ.. عندك !!

- ليه ؟

= ممنوع ده !!

- إيه ؟

= ممنوع كـــلـــه،

- طب أعمل إيه ؟

= زى ما دايما كنت بتعمل.

قرنك جامد، خليك شايل.

- لأ مش لاعب.. جرى إيه ؟.. الله !!

القراءة:

الذى حدث:

كانت ثلة أخرى، غير جماعة العيون التى قرأناها سويا حتى الآن، كنا على العشاء فى مطعم بلدى جميل، وخيل لى أنه قد آن الأوان أن أشكو، أو أن أضعف، أو أن آخذ، أو أن أحكى، فوصلنى رفض طيب، لكنه رفض أنه "ليس هكذا"، أو "ليس الآن"، أو "ليس أنت"!! أو كل ذلك.

فجزعت!

القضية صعبة: ذلك أنه يبدو أن من قُدِّرَ له أن يقوم بدور من "يرى"، و"يعطى" و"يفتى"، وغير ذلك، يظل يمارس هذا الدور المميز، وكأنه دور قد اختاره فعلا ولو إلى أجل مسمى، وبرغم ما فى هذا الدور من ميزات لا تنكر، فإن التمادى فيه يفتح باب اعتماد الآخرين عليه، وتتفاقم التغذية المتبادلة تدعم نفس موقف كل الأطراف فتدور الدائرة فى نفس الاتجاه بلا نهاية، وأحيانا يبدو هذا الشخص مضحيا، ومعطاء وكلام من هذا، مما نصفق له كثيرا، ويفرح به صاحبه غالبا، فهو حتما مشارك فى هذا الاختيار، وفى هذا الاستمرار، كما أن هذا الاختيار نفسه، قد يكون ورطة تعويضية بشكل أو بآخر.

فى بداية افتتاحى لمسشفاى الخاص، زارنى أحد "الأجانب" الطيبين المختصين فى فرعى، وأخذت اشرح له كيف أن فكرة المجتمع العلاجى تختلف فى ثقافتنا عن ثقافة الغرب، وأننى أدير هذا المجتمع بطريقة كذا وكيت، وأنه لا توجد قواعد ثابتة لخطة علاج كل تشخيص، بل تتغير الخطة أولا بأول، وأحيانا أثناء اليوم الواحد لكل مريض حسب استجابته للخطوة السابقة وهكذا، سألنى هذا الرجل الطيب، ومن يقوم بهذا التعديل هكذا أولا بأول لكل هؤلاء المرضى، قلت له إننى أتولى قيادة الفريق، وأن كل زملائى وزميلاتى وكل العاملين يلتقطون ما نفعل، ونتعلم ونتشاور، ونحور، ونواصل، وقد التقط هذا الضيف أننى على الأقل فى تلك المرحلة الباكرة أقوم بكل العمل تقريبا، أو على الأقل أتولى مسئولية التخطيط اليومى المتجدد، ونبهنى مرة ثانية أن هذا مرهق، وأبلغنى رأيه أنه لا يمكن أن يستمر الحال هكذا، وأثناء مرورنا فى المستشفى، وعرضى له بعض خطوات التخطيط والتقييم والتغيير، قابلت زوجتى وكانت تعمل معنا عملا علاجيا محوريا فى المستشفى، وعرفته بها باعتبارها زوجتى وزميلتى، سألنى إن كانت تعمل معى كل هذا الوقت، فأجبت أن "نعم"، فسأل: وأنت تحملها مثل الآخرين هكذا طول الوقت، ولم أتبين عمق السؤال جيدا، إلا أننى أجبت أن "نعم"، وهنا قال بنظرة شفقة بها بعض الاعتراض الطيب، "ما هذا؟ ومن مَنْ تحصل أنت على احتياجاتك العاطفية آخر النهار؟"، ولم افهم جيدا هذه الطيبة، أو هذا الاعتراض، أو لعلى فهمته، ولا أذكر الآن (بعد أربعين عاما) ماذا كان ردى على هذا السؤال.

هذه هى حكاية ذاتيه تماما، لكنها تتعرض لمسألة شديدة الأهمية فى العلاج النفسى خاصة، وفى العلاج عامة، ذلك أنه:

إن لم يكن للمعالج مصدر رىّ عاطفى من خارج محيط مهنته، فإنه قد يمارس عطاء قهريا تعويضيا يبدو من الظاهر رائعا تماما، وهو ليس بالضرورة كذلك، الاحتمال الأخطر هو أنه قد يحصل على إحتياجاته العاطفية من مرضاه، دون أن يدرى عادة، فيدفِّعهم ثمنا باهظا دون أن يدروا، ويتعطل العلاج، وقد يتأخر الفطام أو الاستقلال، وقد تنحرف المسيرة ... الخ.

أظن أننى مازلت أعيش فى مأزق حمل الآخرين (حمل الحامل) بشكل مزمن، وقد حاولت أن أخفف منه أو أخرج بعيدا عنه بشكل متكرر، ونجحت أحيانا، وإن كنت أعتقد أننى لم أنجح تماما، وحتى الآن.

كنت كلما سنحت لى الفرصة أن أعلن حقى فى أن أتخلى عن حمل مجموعة الاصدقاء (وربما حمل مرضاى) ولو قليلا، أفاجأ بالصعوبة، والمقاومة والرفض كما جاء فى المتن.

(2)

= إعقل يابـــا، قلنا ممنوع،

ممنوع تغضبْ، تزعلْ، تهمدْ، تسكتْ،

تحلمْ، تسرح....،

ممنوع كـــــله.

- ولإمتى يا نـــــاس؟

=بكره انشـــــالله

- بقى كدا !! بكره ؟

فيه إيه بكره؟

= بكره حانسمح لك تتكلمْ.

بكره حانسمح لك تتـــألمْ.

بكره حاتجنى ثمرة كـــدّكْ،

لما نكبر نبقى قدّكْ !!

- وانا مالى قد، .. ومالى حدّ.

خايف لتْكونْ الحاره سد.

وصلنى هذا الرفض منهم بقسوة لا أنكر أن فيها نوعا من الحب والتقدير، لكنها قسوة بلا شك، وتصورت أن مطلبى - إن كنت صادقا - كان شديد البساطة وهو "معاملة المثل"، لكن رفضهم تمتعى بهذا الحق كان حاسما وربما واقعيا، وربما كان يخفى شكهم أيضا أن هذه هى رغبتى الحقيقية "معاملة المثل" وأتذكر أن هذا الرفض الطيب كانوا يبررونه بأننى قطعت رحلة من النضج أسبق وأقدم وأعمق منهم، رحلة تمكننى من حمل هذه المسئولية، وحملهم.

ومادام الأمر كذلك، فإن رفضهم إعطائى حقى (المزعوم) فى معاملة المثل لم يكن رفضا مطلقا، وإنما - كما زعموا - كان رفضا مرحليا فى صورة التأجيل حتى يحققوا درجة من النضج تقارب ما حققت أنا - بزعمهم-، وساعتها يمكن تبادل الأدوار

" بكره حاتجنى ثمره كدّك

لما نكبر نبقى قدّك"

يلاحظ أن هذا الرفض لم يقتصر على رفض الضعف فحسب، وإنما على رفض كل "مطلب" من حيث المبدأ! **"ممنوع كلّه"**

ممنوع تغضبْ، تزعلْ، تهمدْ، تسكتْ، تحلمْ، تسرحْ

ويزداد حذرى من امتداد التأجيل إلى ما لانهاية ويتجدد الشك فى حكاية "سبق النضج" حين يتصور المعتَمِدْ أن المعتمد عليه قد وصل إلى ما يبرر هذا الاعتماد باعتباره الأكبر،

فيعلن صاحبنا اعترافه وأيضا أمنيته أنه ليس بهذه الدرجة من النضج، وأن حرمانه من حقه العادى، ومن الاعتراف بنقصه العادى، لابد وأن يزيد من وحدته حتى يبدو له الطريق مسدودا

وأنـا مـالى قـدّ ومـالى حدْ
خـايـف لـتَكْون الحاره سدّ
وبـعـد
أتـوقـف هنـا لأشير إلى خبرتـين مـوازيـتين، **سابـقـة، ولاحقـة**
أولا: ورد فى ديـوانى "سر الـلـعبـة" فى قـصيـدة "جبـل الـرحمات" مـا يـلـى:

نحتوا فى الـصخر الهيكل:
فى داخـلـه سرٌّ أكبر،
صنم عبـدوه ومـا عرفـوه،
قـربـان المعبـد طفـل،
يـرنـو من بـعـد،
لا يجرؤ أن يـطلب،
أو يـتـمـلـمل،
.....
.....
نـظر الـطفـل إلى كـبـد الحق
وتمنى المـوت.

(4)
لـكن الـنـور يـداعب بـصره،
وحفـيف الـدفء يـدغدغ جلـده،
فـيكـاد يـصيح الـنجده،
يـتحرق أن يـظهر ضعفـه
لـكن الـرعب الهـائـل يـكتم أنـفـاسه،
ويـعوق خطاه،
.....
.....
أسمع خلف الـصخر حفـيفـا لا يـسمعـه غيري
يحسبـه الـنـاس حديـث الـقـوة والجبروت

.....

.....

هل يمكن؟؟

هل يمكن أن نضعف دون مساس بكرامتنا؟

فلكم قاسينا من فرط الحرمان.. وفرط القوة،

ولكم طحنتنا الأيام،

والأعمى منا يحسب أنا نطويها طيا،

****

يمكن الرجوع إلى القصيدة كلها مع الشرح على المتن وهى بعنوان **"جبل الرحمات" "الطفل العملاق الطيب". (دراسة فى علم السيكوباثولوجى) من ص 521 إلى 613** (72 صفحة).

ثانياً: بعد اثنين وعشرين عاما من كتابة هذا المتن أحلت إلى المعاش فى أول أغسطس 1994، وأنا لا أزال أصعد وأحمل، أحمل وأصعد، وبعد ذلك بعامين لاح لى حقى فى الإنهاك، فكتبت قصيدة فى نفس معنى هذه النشرة تقريبا، وها هى ذى:

النورس العجوز ..

أنهكَنِى التحليُق فى سمائِها اللعوب

أنهكنِى نجاحِىَ الدؤوب

وصخرتِى تودّع الصلابة

لكنّها لا تنكسر

أريدُ والدى

أريده يحول بينها وبينى

أرُيد سجَّانا يفك قيدى،

إذ يِحكم الأقفال لا أضيعُ حرّا

أريد أن أنام فى حضن التى ترانى:

كما أنا

فرخًا صغيرا لائذا بعُشّهِ

لا فى الأعالى حيث يحسَبُون

لم ينمُ بعدُ ريشُهُ فلم يَطِر أصلا

فكيف تبحثون عنه فى السماء أيها القساة

أريد مَنْ ترانى فاتحا منقارىَ الطرىّ

القُطُ من منقارها الحنانَ والأمانَ الحياة

أريد أنطوى تحت الجناح

أعبر الفيافى دون أن أحلّقْ
أريد خيزرانة
تفيقنى: أرى بها حدودي
أريد جلادا يحول دون قتلي
يأبى أضيعُ وسْطَ وهم ذاتِى
لا تضحكوا على طفل غريرٍ صدّق الأكذوبة
لا تخدعوه تتركوه فى سمائها،
والخيط فى أيديكمو كأنه المشانقُ الخفيّة.
لا تزعموا بأنه "أراد"
النورسُ الجسورُ لم يعد يدورْ.
قد أنهكتْهُ لُعبة الصعودِ، والسراب يسبقهْ،
يغمرُه الدُّوار، والفراغُ يخنُقه
قد آن أن يحُطَّ فوق أرضكمْ-
لا ترجموهُ كهلا.
إن حط تدفنوه دون معزَى،
تأكله الديدان وهو بعدُ حيّا.
لا لن يعودْ
أسنة الرماح مُشرعة
تملأ وجه الأرض والقلوب
لم يبق إلا أن يظلّ فوقَ الفوقِ ضائعا
وكلُّ ما يشُدّه يذوبْ
فتختفى السماءُ فى الضياءْ
ويختفى الضياءُ فى الغروبْ
يتوه فى دوائرِ الصباح والمساء
يواصلُ التحليقَ صاعداً معانِدَا
لكنّه: ما عاد يستطيع
ما عاد يستطيع
الإسكندرية: 1996/5/12
ثم اليوم 2010/7/27
هل عاد يستطيع؟! هل عاد يستطيع؟!
وإلى الحلقة القادمة.

الإربعـــــــاء 05-08-2010

1069-جمـــــــــل المحامـــــــل (2)

الحلقة : (77)

الفصل الثالث

الغنيوة الأولانية

جمل المحامل (2)

مقدمة :

انتهت الحلقة السابقة بهذا الوعد من الأصغر، بالالتفات إلى حق الأكبر فى الأخذ، خاصة حين يكبر من أخذوا منه إلى درجة تقارب ما وصل إليه، درجة يستطيعون معها أن يعطوه بدورهم.

بكره حاتجنى ثمرة كدك،

لما نكبر نبقى قدك! !

كما ناقشت فى نفس الحلقة أن ما وصلنى منهم بدا لى تأجيلا خادعا يحرمنى من حق الضعف، وحق الخطأ، وحق الأخذ، كما نبهت أن حكاية "نبقى قدك" هذه إنما تشير إلى تصور أن مسار النضج هو مثل سنوات الدراسة، سنة أولى، سنة ثانية، سنة ثالثة ..إلخ، وكان الرد فى الحلقة السابقة هو أنه ليس لى "قد" حتى يقاس عليه

- وانا مالى قد، .. ومالى حد.

خايف لاتكون الحاره سد.

وناقشت فى نفس الحلقة أن ما وصلنى هو تأجيل خادع قد

يحرمنى من حق الضعف، وحق الخطأ، وحق الأخذ، كما نبهت أن حكاية أنه ليس لى مقاس ("قد")، يقاس عليه،

ولكن ما باليد حيلة: فلتبدأ رحلة الصبر، أو تستمر رحلة الصبر، دون التنازل عن حقى الضعف، مع التنبيه الواضح أنها مسألة وقت

والصبر مرار!

وانا مش رافض أشرب كاسه.

على شرط يكون للكاس دا قرار.

واستحمل طول الليل غُـــلبى،

على شرط الليل ييجى بعده نهار.

الفقرة التالية لا تحتاج إلى شرح خاص،

والصحرا بنزرع فيها الصبر،

تطرح حرمان.

نسقيه من طولة البال،

وبنحدى كلام ونقول موال:

"جمل المحامل برك شمتت لـــعادى فيه"

لكنهم ظلوا يصرون على أن الجمل لم يبرك، بل وأنه ليس من حقه أن يشكو أصلا، وهو يصر أنه ليس إلا شخصا عاديا كما شرحنا فى الحلقة السابقة. الطبيب النفسى هو مهنى عادى تماما، أى تقديس للمهنة، أو مبالغة فى القدرة، هو إعاقة له فى مهنته، ناقشنا من قبل مسالة نجومية الطبيب النفسى ودور الإعلام السلبى فيها وما يؤدى إليه ذلك من خلط الأدوار، وهذا لا يتم فقط على حساب موضوعية العلاج النفسى، وإنما أيضا على حساب فرص الطبيب النفسى أو المعالج النفسى فى نموه الشخصى، الشخص العادى هو الشخص العادى، وهو القادر على النمو العادى، مسألة التميز والعبقرية ليست غاية فى ذاتها، المتصوف الحقيقى هو الذى لا يعود اسمه كذلك، وبوذا نفسه بعد أن دار دورته لم يقبل أن يعترف أنه حقق رحلته إلا حين لم يصبح بوذا كما تصورها لنا سماته القدة وسيرة حياته الفريدة.

التأكيد على حق الطبيب النفسى، أو المعالج النفسى أن يكون شخصا عاديا يرد فى الفقرة التالية ردا على اعتراضهم على شكواه، أو على أنه برك تحت أحماله (وبالذات حمله لهؤلاء المعترضين المعتمدين) فهو يرد على اعتراضهم بالمطالبة بأبسط حقوقه العادية: "ماهو نفسه يعيش زى العايشين"

= جمل المحامل لابيشكى .. ولا بيقول آه

- ليه يعنى بقي؟

ما هو نفسه يعيش، زى العايشين؟

فيردون هم أكثر حدة، ورفضا:

= ما هو عايش اهه، إسم الله عليه.

بيقول ويعيد، ونـــــرد عليه،

بـــيشيل فى هموم، وفْ غلب الناس،

وحياخد إيه غير وجع الراس،

من زن الحاجة ومد إيديه؟

الذى حدث أثناء هذا اللقاء الذى أثار كل هذا الحوار وأخرج هذه القصيدة هو أن إحداهن قالت له بوضوح شديد أنهم لو استجابوا له، واحترموا حقه، فإنه لن يتذوقه ولن يستفيد منه كما يتصور هو ويطالب، وكانت من أقرب القريبات إليه، وكانت تعنى أنه لم يعتد الأخذ، ولم يستطعم حنانا حقيقيا من قبل، كما فعلوا هم من خلال اعتمادهم عليه، أو على غيره، وبالتالى فهم إذا قبلوه بينهم عاديا كواحد منهم، فهذا لن يرويه، فهو- ربما من إزمان الحرمان نتيجة لاستمرار نفس الدور على أساس الوهم أنه قد حقق درجة أعلى من النضج -لن يجدى معه عطاء، خاصة ممن تعودوا الأخذ منه، استشهدت هذه الصديقة بالمثل القائل: "إطعم مطعوم، ولا تطعم محروم"،

وأذكر أن هذا الاستشهاد قد لاح لى كأنه قرار جارح بأنى لا أستحق ما أطلب اصلا.

كنت قد ناقشت هذا المثل من قبل، -فى هذه النشرات أو غيرها- ونبهت إلى احتمال أن يكون له معنى آخر غير القسوة التى تبدو فى ظاهره، وهو أن المحروم جدا، إذا ما بدأ حرمانه من فترة باكرة، واستمر حتى أصبح هو "نوع وجوده"، فإنه يحتاج إلى نوع آخر من العطاء، غير مجرد إشباع الجوع، وقد شبهت قسوة الحرمان التى يترتب عليها هذا العجز عن الارتواء، بالوجود المثقوب، الذى كلما ملأته بما يستحق أن يُملأ به يتسرب ما وضعته فيه من "ثقب الحرمان المزمن"، وبالتالى، مرة أخرى يصيح مثل من يشرب الماء المالح/ كلما شرب ازداد عطشا.

ثرت أكثر على هذا الموقف، وأن يكون حرمانى من دور "الشخص العادى"، هو مبرر لمزيد من الحرمان، وأن أستمر فى حملهم (حمل المحامل) بقية عمرى، وهذا ما جاء فى المتن فى الفقرة التالية تفسيرا للمثل المستشهد به،

هل معنى أن تمتنع عن إطعام المحروم الذى تتصور أنه لا يشبع أن يصبح حرمانه قدرا أبديا بلا ذنب جناه، إلا أنه أجل حقه حتى يكبر من حوله بما يسمح له أن يأخذ بدوره؟

هذا ما جاء -احتجاجا- فى الفقرة التالية:

-كده برضه ياناس؟!!

بعد دا كله ؟ الحق عليه؟!!

بقى دا اسمه كلام تتمثلوا بيه؟!!

قال إيه ، قال إيه:

= إيش يفهم فى الغنوة الأطرش؟

إيش يفهم فى الصورة الأعمي؟

إيش يفهم محروم من يومه،

فى الحنـــية والملاغية؟

"إطعم مطعوم، يـــستطعم

أما المحروم، يـــستحمل"

وصلنى أن هذا الاستحمال هو وجه آخر للصبر الحتمى المفروض والتأجيل إلى مالا أعرف..متى..

إلى متى؟

أذكر أننى طرحت عليهم هذا السؤال بشكل مباشر أو غير مباشر، فجاءنى الرد، ربما من نفس التى استشهدتْ بالمثل السالف الذكر "أنه: كل آت قريب (ما خلاص هانت)، أو لعلها أشارت: "سوف نقول لك، حين نرى الوقت مناسبا" أو شىء من هذا القبيل، وأنها تساءلت: لماذا الاستعجال (ما تكركبهاش على مهلك، وسعيده وحابقى اندهلك)،

وينتبه إلى أن التأجيل والاستحمال يفرضان عليه فرضا وبشكل دائم:

- يستحمل تانى يا ناس؟ دا حرام!

=ما خلاص هانت.

-لأ ما هانتشى .. إيش عرفنى؟

مش يمكن لعبة "إستني" تفضل على طول؟

على ما يحصلنى الدور حاخلص.

القلب مقدد.

والجرح ممدد.

فى الأرض الشوك،

والميه عصير صبار.

=ما تكركبهاش; على مهلك

و"سعيده" وحابـــقى اندهلك!!!

وإلى الحلقة القادمة والأخيرة فى هذه القصيدة الشخصية المزعجة (لى حتى الآن)،

كنت أحسب أنها لم تعد كذلك!!!

وإلى الحلقة الأخيرة الأسبوع القادم.

الإربعـــــاء 11-08-2010

1076- جمـــل المحامـــل (3) الحلقـــة الأخيـــرة

الحلقة : (78)

الفصل الثالث

الغنيوة الأولانية

جمل المحامل (3) الحلقة الأخيرة

مقدمة :

انتهت الحلقة السابقة بهذا المقطع:

ما تكركبهاش; على مهلك

و"سعيده" وحابـــقى اندهلك!!!

كنت قد صرخت قبلها:

مش يمكن لعبة "إستنى" تفضل على طول

على ما يحصلنى الدور حاخلصْ.

حين يحتد الجوع بهذا الوضوح والاحتجاج، يصبح الوعد بالرِّى أصعب من القبول بالواقع، بل إن مثل هذا الوعد، لو انساق المخدوع إليه يزيد الجوع اشتعالا، فالجوع مع التلويح باحتمال الرى هو أقسى من الجوع مع التسليم باستحالة الرى، فالحذر من أن تكون هذه اللمعة فى الأفق ليست إلا سرابا: واجب (مش يمكن لعبة إستنى تفضل على طول)؟

الانتظار المفتوح هكذا هو أخبث ألعاب التأجيل وعْدا بما لا

يكون، بما يترتب عليه أن تحل النهاية قبل أن يأتى عليه الدور (على ما يحصلنى الدور حاخلص)، السخرية التى تلت ذلك بأنها

"سعيدة"، وحابقى اندهلك"،

تكشف هذا النوع من الوعود، "وداعاً" هنا أفضل من "إلى اللقاء"، فما بالك بـ "سعيدة" وهى تحية غير مألوفة فى ثقافتنا إلا عند بعض إخواننا المسيحيين تجنبا للسلام عليكم مع أنه "على الأرض السلام"، سعيدة هنا تعنى الاستهانة بجدية المطالبة بالحق فى الضعف وفى الأخذ وفى الرؤية.

هنا تقفز أهمية التدريب على الجانب الأيجابى من "معايشة اللحظة" "هنا والآن"، بدأ (حدْس اللحظة) من تنظير باشلار Link حتى الممارسة العملية فى العلاج الجمعى، أنه لا شىء يوجد إلا "الآن"، ما ليس هو الآن، ليس هو، ألح علىّ هذا المبدأ حتى عبرت عنه فى الأراجيز التى كتبتها للأطفال:

بيجى بكره تلاقى بكره

"النهاردة" بتاع غداً

إذن ليس هناك بكره؟!

فما العمل

يخيل إلىّ أن التعريه فى المقطع التالى هى موضوعية أكثر منها تسول لزج

واتهيألى حايشوفوا انا مين.

وانى غلبان محتاج ليهم،

وجعان، محروم، عايش بيهم،

أضعفْ، وازحف، وأقَعْ، وأقوم.

إذا كان الحق البسيط العادى (حق الضعف، وحق المعاملة بالمثل) غير جاهز، أو حتى غير وارد، فإن الاستمرار فى المطالبة به يصبح نوعا من النعابة، ولا مفر من أن يمتلئ "الآن" بانتظار من نوع آخر، فليستمر الجمل فى حمل الحمل بشرف دون شكوى، حتى لو حمل الكرة الأرضية فوق قرنه

وشهور وسنين وانا باستنى

"شلتها على قرنى" وباتْمنى

حمل همّ كل الناس، بإرادة متواضعه، دون ادعاء النبوة، والاستمرار فى ذلك دون نعابة تنتظر المقابل، هو نوع التمنى الذى يؤكده استمرار التميز بموقف عطائى من نوع آخر، هل هذا ممكن دون الانزلاق إلى المثالية الخائبة.

وبنيت قصرى سكّنته الناس

لست متأكدا ماذا يعنى "القصر" هنا، حضرنى قول مواز من قصيدة بالفصحى "رسالة من دون كيشوت إلى إخوان أبى لهب" والتى ورد فيها نصٌ فيه كلام عن: "روضتى" و"ملعبى"، واعتقد أن لهذا وذاك صلة ببناء "قصرى" هنا

جاء ما يلى فى قصيدة الفصحى:

فى "روضتى"،

ألقيت بذرة القلق

نبتت بوجدان البشر

وقد انهيت هذه القصيدة بقولى:

يا سادتى

هذا أنا لمَّا أزل

سيفى خشب

لكن لؤلؤة الحياة بداخلى لا تنكسر

وبرغم واقعنا الغبى

ينمو البشر فى ملعبى

تصورت الآن أن شطر "وبنيت قصرى سكنته الناس" يمكن أن يشير إلى أن ذلك قد تم فى "روضتى" التى ألقيت فيها بذرة القلق، وأن ذلك القصر محاط "بملعبى" حيث "ينمو البشر"

المألوف أن القصر هو لصاحب القصر دون الناس، وأن الملعب للعب دون النمو، إلا أنه يبدو أيضا أننى حين اضطررت اضطرارا لهذا التأجيل ردًّ على تخليهم وسخريتهم، نسيت التأجيل، واتسعت دائرة مسئوليتى ربما "غصبا عنى"، حتى صار همى هو "الناس"، مرة أحاول أن أسكنهم قصر فكرى وخبرتى انطلاقا إلى قصورهم الخاصة المفتوحة، ومرة أخرى لأتيح لهم اللعب (الابداع) فى ملعبى حتى يكملوا مسيرة النمو (الابداع)، فخطر لى أن ملعبى هذا هو حول القصر.

إن كان الأمر حقيقة كذلك فأين الانتظار، ولماذا التأجيل؟

لكننى أظل الانسان الفرد الضعيف صاحب الحق، فقط دون نعابة، انتظر أن يرانى أحدهم كما أنا، وليس كصاحب القصر المبنى فى الروضة وحوله الملعب.

ويتكرر الاحتجاج على هذا الرفض القبيح

فيتكرر رفض الاحتجاج

= ما فيناش من كده مش لايقة عليك.

- لأ. لايقة ونـــص:

ويتصاعد التحدى كما تتأصل الثقة بأنه: ما دام الوقت "الآن" ملىء بالناس للناس، فالحق واصل لصاحبه مهما طال الزمن.

لو حتى الليل طال ست شهور،

والتلج اتجمع فوق قلبى،

والطفل اتجمد مالسقعه،

والدم اتوقف فى عروقى،

والنهر بقى صخر بيلمع،

والوادى بقى صحرا بتلسع

والبنى آدمين بقوا مش هَمهْ،

أنا حاعملها.

ويقابل هذا التحدى بالإصرار من جانبهم على أن يظل يحمِلها مادام يدعى أنه بكل هذه القدرة.

= قدها وقدود، ياللا اعملها ،

بس تخليكْ، برضه شايِلْهَا

كررت الحديث مرارا كيف أن الوعى الجماعى Collective Consciousness الذى يتكون منا معا أثناء العلاج الجمعى، نتيجة حركية (وتناصّ) النصوص البشرية أثناء إعادة تشكيلهما معا، هو وعى متصاعد إلى وعى أوسع فأشمل، فأعلى فأرحب، حتى تتناغم مستويات الوعى فيما تفيده نهاية القصيدة هكذا:

- ربنا موجود حا يعدلها

يزرع فى قلوب المحرومين:

بذرة تنبت، حب وتسبيح،

تطرح شجرة لها ضل كبير،

تحضن نسمة وتغازل الريح،

وتفرع توصل لخالقها .

لكنهم - برغم كل ذلك - لا يكفون عن التثبيط والسخرية

=إبقى قابلنى !!

وفى المقابل: لا أهمد بدورى من الحركة والتجريب والسعى بالناس إلى الناس، فأكتشف أن الناس الذين يملئوننى بحق ليسوا هؤلاء الناس المعتمدين على طول الخط، وإنما هم الناس بداخلى وخارجى فى حركة مثقلة مع هذا الوعى الجماعى الذى يتخلق ناميا باستمرار "إليه".

- وطلعت أدب،

نـزلـت أدب،

ولـقـيت نـاسى

جوَّه وْ بَـرَّه

مـالْـيين الـقـلب.

وِقـتـلت الـغول

خَوَّطوا بـيَّا

وربما هذا أيضا هو ما يقابل ما جاء فى أرجوزة الأطفال وسبق ذكره.

الحياة الحلوة تِحلى بْكُلّنا، إنتَ وانَا،

كل واحدْ فينا هوّا بعضنا،

بس مش داخلين فى بعض وهربانين،

زى كتلةْ قَشّ ضايعةْ فْ بحر طينْ.

ايوه فعلاً: كل واحد هوّا نفسُه،

بس نفسُه هِيّأ ّ برضه كلنا،

مالى وعيه بربّنا

نهاية القصيدة الحالية نهاية مفتوحة لا تحدد معالم القفلة، حيث تقول:

وعَمَلْنَاهَا،

"طِلْعِتْ هِيَّهْ .".

يلاحظ هنا أن القصيدة انتهت بـ "وعَمَلْنَاهَا"، وليس بـ "عملتها"، إذا يبدو أن القضية لا تتوقف عند "أكون أو لا أكون" أو حتى عند "أكون أو أصير"، وإنما بالضرورة عند أكون لنكون، فيكونون لأكون.

وبعد

أين يقع كل هذا من العلاج النفسى؟

أولا: نبهت ابتداء أن هذه القصيدة، والتى تليها (الأخيرة) فيها جرعة السيرة الذاتية غالبة غالبة بشكل كاد يفصلها عن "فقه العلاقات البشرية" لكننى أضيف هنا: وهل أنا أعالج مرضاى إلا بما هو أنا، بعجزى واجتهادى ومحاولتى وتعريتى وعلاقتى بنفسى وبهم إلى ربنا؟

ثانيا: لعل فى هذه القصيدة بحلقاتها الثلاثة ما يوصل لمن يقبل الاشتغال بهذه المهنة مدى صعوبتها التى تحتاج إلى مجاهدة النفس إلى هذه الدرجة حتى يمكن أن يستمر.

ثـالـثـا: يـبـدو ان هـذا الـمـوقـف الـبـسـيـط الـعـنـيـد الـصـعـب كـان هـو هـو مـوقـفـى مـنـذ تـبـيـنـت مـعـالـم مـسـارى الـشـخـصـى مـن خـلال مـهـنـتـى، فـقـد حـضـرتـنـى قـصـيـدة مـوازيـة كـتـبـتـهـا بـالـفـصـحـى قـبـل عـام واحـد مـن كـتـابـة هـذا الـديـوان، الـتـى حـاولـت أن أبـيـن فـى هـذه الـقـصـيـدة (وهـى الـتـى اقـتـطـفـت حـالا بـعـض أبـيـاتـهـا)

وقـد فـضـلـت أن أوردهـا كـامـلـة، أخـتـم بـهـا هـذه الـحـلـقـات الـثـلاثـة وعـنـوانـهـا كـمـا جـاء حـالا:

"رسـالـة مـن دون كـيـشـوت إلى إخـوان أبى لهب"

-1-

يـا سـادتـى

'تـبـت يـدا أبى لهب'

مـاذا كـسـب؟

.. ..

يـا سـادتـى

هـذا أنـا لمّـا أزل

'ألـقـى الـسـلاح؟؟'

لا ..

هـذى أمـانـيـكـم

(...كـذا؟)

والـسـيـد الـيـأس الـمـلـثـم بـالـعـدم

يـلـقـى الـتـحـيـة الـشـمـاتـة الـنـدم

عـلـى مُـصـارع الـهـواء الـذاهـب الـعـتـل الـمـتـيـم بـالأمـل،

سـيـفـى خـشـب؟

خـيـرٌ مـن الـحـبـل الـمـسـدْ

فى جـيـدكـم .

-2-

طـاحـونـتـى ...

عـبـث الـهـواء بـكـفـهـا

دارت تـئـنُّ، تـوقـفـت

دارتْ

طـاحـونـتـى، ثـأرى الـقـديـم

لـكن روضى يـرتـوى من مـائـهـا
مـهـمـا علا سد الـفـزع
وتـعـثـر المجرى بجـنـدل ظنكم
لـن تـوقـفـوا نهر الحيـاة
بـل، فـاحذورا طوفـانها.

-3-

فى روضتى .. ..
ألـقـيت بـذرة الـقـلق
نـبـتت بـوجدان الـبشر
نحتَ الجنينُ الـطين فـانهـار الـعدم
صرخ الـولـيـدُ الـطفـل أذّن بـالألم
وتـطـاول الـشجر الجديـد
يـعلـو قـبـاب الـكون إذ يـغزو الـقـمر
والـشوك يـدمى الـكف إذ يحمى الـثـمر
والـلـؤلـؤ الـبراق فـوق الـسـاق من صمغ الـضجر.

-4-

ذى صرختى ..
سوط الـلـهيب الـنـور رعد الـقـارعة
يـكوى الـوجوه..
يـا ويحكم ! !
من يـوقـف الـرجع الـصدى فى قـلـبكم
هيهـات إلا المـوت
حتى المـوت لا يخفـى الحقـيقـة بـعدنـا
..
يـا ويحكم مـنـهـا بـداخلكم.،
نـعم ... لـيست 'أنـا'
بـل 'نحن' فى عمق الـوجود
بـل واهب الـطين الحيـاة

بـل سر أصل الـكون، كل الـكل
نـبض الله فى جنبـاتـنـا
لـيست أنـا.
-5-
يـا سـادتـي:
هذا أنـا لمّـا أزل...
سيفـى خشب ؟؟لـكن لـؤلـؤة الحيـاة بـداخلى لا تـنكسر
وبـرغم واقـعنـا الـغبى
يـنمو الـبشر... فى مـلعبى.
(طبق الأصل)
("دون كيشوت").

الإربعـــــاء 18-08-2010

1083-الغنيـــــــــوة الثانيـــــــة (الفصـــل الثالـــث)

الخلاص

مقدمة :

هذه هى القصيدة الأخيرة قبل قصيدة الخاتمة، يا رب سهل !

سبق أن كتبت فصلا بأكمله بعنوان "أمى" فى الترحال الثالث من ترحالاتى (سيرة ذاتية فى أدب رحلات)، ولا أجد عندى رغبة أن أضيف كثيرا أو قليلا فى هذه المنطقة. لكن هذه القصيدة ليست هى أمى بقدر ما هى رحلتى شخصيا وأمى فى خلفيتها. أفضل لو بدأ القارئ بقراءة ذلك الفصل وهو يحتوى هذه القصيدة ضمنا، كما يحتوى نقدى لنهايتها مما سوف أورده غالبا فيما يلى من حلقات.

لكن هذا الشرح على المتن يهتم أكثر بربط هذه القصائد بما هو علاج نفسى، وأنا أتساءل الآن وأنا على وشك الانتهاء من العمل،

هل هو حتم علىّ أن أفتعل هذا الربط حتى لو لم يرد تلقائيا؟

ربما كان الأمر كذلك، وإلا لماذا هذا الكتاب كله أصلا ؟

تبدأ القصيدة بحوار مع أمى هكذا:

-1-

- ليه يامَّه؟ كان ليه ؟

لما انتى ما "نتيش" كان ليه ؟

أنا ذنبى إيه ؟

أنا مين ؟ أنا فين ؟ أنا كام يامَّه؟

أنا إيه ؟

= جرى إيه يا ابنى يا حبة عيني،

طب ما انت أهُهْ !

بقى دا اسمه كلامْ

ما هو كله تمامْ

جرى إيه ؟!

تبدأ رحلة الوجود باعتراف الأم بأن وليدها قد أصبح خارجها، كيانا منفصلا عنها، بمجرد انتهاء وجوده لحما ودما داخلها، ينتقل الوليد من الرحم الجسدى، إلى الرحم النفسى، فى الرحم الجسدى تكون الحماية محيطة، وفى نفس الوقت الحركة طليقة، لكن ليس لها هدف إلا الحركة، كما يكون الأمان كاملا، أما وقد صارا جسدين بينهما مسافة، فإن الحركة تصبح محكومة "بحضور معا" على مسافة متغيرة، غير مضمونة، تحكمهما قوانين جديدة، مهددة أحيانا.

منذ حفل "السبوع" تلجأ الأسرة إلى التأكيد على الأم أن تشحذ انتباهها أن الكيان الذى كان بداخلها تماما، اصبح خارجها، أصبح كيانا مستقلا جسديا على الأقل، كبداية للحمل فالولادة النفسية، ذكرنا من قبل كيف أن السبوع بكل طقوسه المنظمة فى المكان والحركات والأهازيج تؤكد كلها هذه الرسالة. الكآبة التى تصيب الأم فى الايام الأولى للنفاس (حوالى 60 % Maternity Blues) هى تفاعل طبيعى لهذا الانفصال، واستعداد مناسب لعلاقة بين الأم ووليدها من نوع آخر.

حتى تسمح الأم بهذا الانفصال، وتعترف بوجود هذا الكائن الجديد خارجها، وهو الكائن الذى حملته وهنا على وهن ثم وضعته بكل الألم الخلاّق، لا بد أن تكون هى "كائنة" حاضرة بشكل ما، أن تكون موجودة ساعية تعطى الغذاء العلاقاتى عبر الحبل السرى التواصلى، كما كانت تعطى خلاصة الاحتياجات الغذائية والتنموية عبر الحبل السرى داخل الرحلم، ولكن لكى تفعل ذلك بكفاءة لا بد أن تكون هى نفسها "كائن موجود قادر" يمارس علاقات الأخذ والعطاء. لكى "تعطي" هى فى حاجة أن تأخذ أيضا فى نفس الوقت، أو قبلا، من أى مصدر بشرى آخر: أمها عادة، وزوجها (والد هذا الوليد) أحيانا (يا ليت! فالمفروض أن يشارك الوالد الصحيح فى الحمل والولادة ضمنا بطريق غير مباشر)، حضور أم الوالدة (فعلا أو بديلها) هو حضور أساسى أثناء الولادة وقبيلها، الوالدة "تتقطّف" على صدرأمها أثناء المخاض بما يؤكد حاجة الأم أن "تكون" وهى تستعد لأن تعطى شهادة الكينونة للقادم الجديد، فإن لم

"توجد" الوالدة أصلا بهذا المعنى الإنسانى الأساسى، فكيف ننتظر منها أن تعترف لغيرها (وليدها) بما تفتقر هى إليه جدا ،

تبدأ القصيدة هكذا:

ليه يامّه؟ كان ليه؟

لما انتى ما انتيش كان ليه؟

هذا اللوم : هل يعنى أن الأم التى "لم تكن" التى هى ليست "كائنة" فعلا بما هى الآن، لا تستطيع أن تعطى وليدها حقه فى الوجود كما ينبغى؟ الإجابة بالنفى طبعا. لا أحد يكون هكذا بما هو جاهزا للعطاء غير المشروط، وإنما نحن جميعا "نتكوّن" باستمرار، ولهذا لا يجوز أن نلوم أحدا على أنه لم "يكن"، خاصة الأم، (لما انتى مانتيش) لكننا ربما نلومه على أنه توقف عن أن "يتكون"، وهذا أيضا يكون فى حدود الفرص المتاحة، وقليلة هى هذه الفرص عادة ، وفى مجتمعنا خاصة بالنسبة للمرأة بالذات، لكن حاجة الطفل لا تحسبها هكذا، هو يريد الاعتراف بغض النظر عن تبريرا ت من حوله أو ظروفهم الواقعية.

أحيانا يولد طفل ما وعنده حاجة قصوى جاهزة للتأكيد على حق الاعتراف هذا (وذلك لأسباب وراثية أكثر من غيره)، وبالتالى يكون العيب فى "نهم برنامج احتياجه" أكثر من قلة مصادر ريّه، ويواصل الطفل بوجه عام، وهذا الطفل بوجه خاص: صراخه المعلن عن حيرته الوجودية، وحاجته الأساسية بأى قدر من الاعتراف، بهذا الإلحاح المتسائل، فى كل اتجاه:

أنا مين ؟ أنا فين ؟

أنا كام يامّه؟

أنا إيه ؟

تعدد الكيانات جاهز فى التركيب البشرى منذ البداية، "أنا كام؟ "، التساؤل هنا لا يقتصر على "أنا مين"؟ أو "أنا إيه"؟ ولكنه يمتد إلى "أنا كام؟. فى التحليل التركيبى structural analysis يولد الطفل زهو يحمل "مشاريع" الذوات كلها تقريبا، مشاريع بمعنى "برامج" تنتظر التشغيل والتشكيل والنمو، والتساؤل هنا لا يكون واعيا طبعا، لكنه وارد كامن. لا يطل هذا التساؤل عادة فى الوعى الظاهرإلا مع (1) بدايات الذهان، أو فى (2) أزمات النمو، أو مصاحبا (3) لإرهاصات الإبداع، تساؤل الطفل البدئى هنا هو نفس التساؤل، لكن دون ألفاظ طبعا، وأيضا بوعد فطرى كلى غير محدد .

ترد الأم بطيبة دافئة، وفى نفس الوقت بدهشة مفهومة :

= جرى إيه يا ابنى يا حبة عيني،

طب ما انت أهُهْ !

بقى دا اسمه كلامْ !!!؟

ما هو كله تمامْ

جرى إيه !

"كله تمام" بمقاييسها الآملة، وفى حدود قدرات عطائها المتواضعة

ثم تنتقل الرسالة فجأة إلى مخاطبتها طفلها "الوالد" أملا داعما منتظرا، الأم تعتبر ابنها والدها أحيانا منذ الولادة.

رحلة البناء السرى (الطفل العملاق الطيب)، والتحمل العطائى (جمل المحامل) ، قد تتم حتى لو لم يأخذ الطفل حقه، ولا يصل إلى الأم بعد نجاح الكائن الجديد أن ينمو، ويتحمل، ثم يستمر، ويحمل، إلا أنها ترى طفلها "الوالد" أصبح قادرا على العطاء، وأن عليه أن يستمد وجوده من التمادى فى هذا الدور الذى أوضحنا ثمنه بشكل شبه كامل فى النشرات السابقة (جمل المحامل) نشرات 28/7/2010 : (، 4/8/2010 ، 11/8/2010)

الأم هنا تنكر تساؤلات ابنها الوالد، ولا ترى احتياجات ابنها "الوليد"، لكنها لا تتنكر لها، فهى لا تتصور أن هذا الوالد المعطاء إلا أنه قادر بالتالى على "التغيذية الذاتية " بمواصلة العطاء، وأنه سوف يكتمل بمواصلة ذلك دون حاجة إلى هذه الوقفة وهذه التساؤلات وإعلان هذا الاحتياج هكذا، فهى تمضى تطمئنه وتبرئ نفسها:

= يا جدع يا أمير ياللى بتـــدِّى،

إوعى تهِّدى.

تَنَّكْ إدِّى

بكره تْعَدِّى.

ياسلام يا ولَدْ.

ما فى زيــك حدْ.

ماتفكَّرشى، دا الفكر مرارْ.

ودا بير يابنى وما لوهشى قرار.

- بسّ يامَّه لو قلتى ليه ؟

كان ليه ؟

= جرى إيه ؟ فيه إيه ؟

(كان ليه ؟ كان ليه ؟)

دِهْدِى! هيَّا! "عامْلَهْ"؟

وَّلا انـا قصــدى ؟ دِهْدِى!!

تحتد الأم بحق على أنه حتى لو أنها عجزت أن تعطى وليدها اعترافا يستحقه، حتى لو أنها مسئولة ضمنا على هذه الوقفة ومحتوى هذا الاحتجاج، حتى لو أنه يلومها حبا وضعفا طبيعيا، فهى غير مدانة، وهى لم تقصد أيا من ذلك، لكن، لعل هذا هو غاية ما عندها

وإلى الحلقة القادمة

- مجموعة هذه القصائد فى تصورى تتكامل ويمكن أن تجمع مستقلة لتبين نوعا من المسار يضطر كثير من الناجحين أن يسلكوه

الإربعـــــاء 25-08-2010

1090-الغنيـــوة الثانيـــــة (الفصـــــل الثالـــــث)

الخلاص (2)

ليس كل الشعر شعراً!! (إذن ماذا؟)!!!

مقدمة:

انتهت الحلقة السابقة والأم تنكر على ابنها تساؤلاته: "أنا مين أنا فين أنا كام يامّه، أنا إيه؟"، كما تنكر احتجاجاته "ليه يا مّه كان ليه؟ لما ما انتيش كان ليه"، ثم تنصحه أن "يعيش وخلاص"، (بقى دا اسُمُه كلام؟! ما هو كله تمام!) كما تنصحه بأن يواصل عطاءه (يا جدع يا أمير يا للى بتدّى، إوعى تهدّى) ..إلخ

فيواصل الإبن: ليكن، ما دامت أمه بكل هذه الطيبة، أو حتى بهذا الضياع، وما دامت لم تقصد، فهى حتما لم تقصد، وحتى لو تقصد فقد اعتذرت: (دِهُدِئ!! هيَّا عاملة؟ ولا انا قصدى؟ دِهُدِئ!!)، ليكن، وليجب هو عن تساؤلاته شخصيا من واقع رحلته كما يتصورها

- 2 -

- علشان يامّه مش على بالِكْ، أنا حاحْكِيلِكْ:

<u>أنا زرع شْطَانِى،</u>

ولا حدّ فْ يوم جه ورَّانى

ولا شفت ازاى أو كام أو مين

ولا حد عـرف أنـا بـاعمل إيـه،

أو لـيـه أو فـين.

حين كتبت هذا المتن سنة 1974/1973، كنت أتصور أنه يمكن أن يكون الإنسان "زرع شيطانى"، وأن مَنْ حُرِمَ حق الاعتراف كما ينبغى لما ينبغى، يمكن أن يخلق نفسه بنفسه، لكننى حين كتبت الجزء الثالث من الترحالات **(ذكر ما لا ينقال: "سرة ذاتية")**، وأثبت هذه القصيدة فى الفصل المعنون "أمى"، تجسد لى قبح، وتشوه ما هو "زرع شطانى": زرع لا يزرعه أحد، ولا يرويه أحد، ولا يستفيد منه أحد، ويضر ببقية المزروعات النافعه، فجأة: استنارت بصيرتى أن هذا هو أبشع ما يمكن أن يُمتحن به بشر، المتن هنا يبدو وكأنه يعلى من قيمة أن يصنع الانسان نفسه بنفسه كأنه ابن نفسه، يظل المتن ينفخ فى هذه الصورة ويزيّنها حتى قرب النهاية، هذه الصورة الملوّحة: أن تخلق نفسك بنفسك هى شديدة الإغراء مع أنها فى عمق معين لا تعنى إلا **ألوهية زائفة**، كتلك التى تورط فيها "غرينوى" بطل رواية العطر، حتى صار إلها كاذبا، ومن ثم قاتلا بالضرورة، وقد أثبتُّ هذا التراجع فى الترحال الثالث كما ذكرت فى الحلقة السابقة، وأعتقد أنه من المهم إثبات نص التراجع هنا كما جاء فى الترحال الثالث قبل أن نكمل قراءة المتن، وما طرأ عليه، وما آل إليه:

15 يوليو2000

"...عذرا أمّى، ظلمتُك، وكأنى فعلتُها وحدى، إن كنت قد فعلتُها أصلا.

قرأت لاحقا رواية "العطر"لباتريك زوسكند.....، وأعدت اكتشاف مسائل كثيرة تتعلق بما سبق أن أثبته هنا من افتراضات،

ولد جان باتيست غرينوى سفاحا من أم كانت تتخلص من أطفالها أولا بأول، وحين حاولت أن تتخلص منه عقب ولادته مباشرة ضُبطت، وحوكمت، وأعدمت.

أطلق غرينوى من تحت طاولة السلخ "صرخة مدروسة بدقة، ويكاد المرء أن يقول إنها صادرة عن عقل مفكر، أراد بها الوليد الجديد أن يحسم أمره ضد الحب ولصالح الحياة"، لأول وهله بدا (لى) هذا الاختيار مستحيلا، هل يمكن أن يكون الحب على ناحية، والحياة الناحية الأخرى؟

كان غرينوى بلا رائحة، بلا وصلة بين "لا رائحتة" ورائحة البشر، بلا :تواجد معا"، فراح يشكّل نفسه بنفسه، يصنّع له رائحة مميّزة، راح يحاول أن يصنع كل ما يحقق استمراره، ونجاحه، بل ونجاته من الموت بعد أن أزهق أرواح العذارى الواحدة تلو الأخرى ليحقق تصنيع "العطر الإله البديل" (الوجود المصنوع زيفا)، نجح فى أن يصنع كل ما أراده إلا أن

تكون له (بشرية) رائحة مميزة (عن كل البشر) كما صورتها له ألوهيته الزائفة، رائحة يستطيع هو أن يتحقق منها (وبها) متفردا ساحرا قاتلا مسيطراً على الحياة.

وانتهت الرواية بأن الْتَـهَـمه الأوغاد "عن حب(!!)" (ليعلنوا بذلك أنه بدون أن يكون جزءًا منهم لا وجود له أصلا).

العَـدَم الذى انتهى إليه غرينوى تَم من خلال علاقة التهامية بديلة عن التخلّق النابض بالناس ومعهم، هو النتيجة الطبيعية لهذا الزيف الخادع الذى يوهم الواحد أنه يمكن أن "يصنّع نفسه بنفسه" مستغنيا عن التواصل الطبيعى المتخلّق من جدل العلاقة والسعى المشترك فى رحاب الحق المشترك الأعظم.

أين تقع هذه الاستطرادة من هذه المحاولة للمكاشفة؟ لو استطعتُ ألا أجيب لفعلت، لكن هذا الكتاب (الترحالات) سوف ينشر، وسوف يقرأه الناس.

خلاصة القوله هو أنى اكتشفت أننى كنت أكذب على نفسى وأنا أزعم أننى "أنا حابقى أبويا وأُمى كمان.، أنا حابقى كتير، أنا حابقى الناس. أنا حابقى"أنا". إزاى؟ ما اعرفْش. أنا لازم "أكون" و"أعيش"،

أيضا كانت ومازالت خدعة كبيرة حكاية "وحادوّرعلى نفسى بنفسى ولقيت لى خلاص". أو مقولة "أنا حابقى الحب" (!!) أليس هذا الذى قلتّه يكاد يكون مكافئا للعطر الخادع فعلا الذى كان سببا فى هلاك غرينوى.

لكن ربنا ستر !!!!!

هذه الخدعة الكبرى لم أكتشفها طبعا من قراءة العطر فقط .

إن ربع قرن من الممارسة والتقليب والمراجعة قد سمح لى أن أصل إلى ما جعلني أفهم هذا الإبداع الروائى بما ذكرتُ. أتصور أن هذا هو مدخلى لما مارسته وما أمارسه ممايسمى النقد الأدبى.

أى غرور غبى!!! هل يمكن أن يفعلها أحّد وحده؟ ما هذا؟!!

أيام كتبت هذا الكلام كنت فى بؤرة تجربة تصنيع الحياة، ربما كما كان باتيست غرينوى يصنّع العطر (الخاص جدا الفريد جدا). لا أحد يمكن أن يبحث عن نفسه بنفسه (حتى يبدعها بدون الناس)، لا أحد يكون الناس، إلا على حساب علاقته بالناس، لا أحد يصنّع الحب إلا إذا كان ينتحر به، لا أحد يخلّق إله زائفا إلا إذا أصبح قاتلا محترفا.

يبدو أن ما أنقذنى من هذا المصير هو أمّى الحقيقية وزوجتى الحقيقية وأبنائى الحقيقين وطلبتى الحقيقيين ومرضاى

الحقيقيي وأصدقائى الحقيقيين، وصديقاتى الحقيقيات ربما لهذا شعرت بعد ما يقرب من ستين عاما، وبعد رحيلها، أنى أريد أن أتعرّف عليها، ربما لأشكرها، وربما لأعتذر لها.

(انتهى المقتطف مع زيادة ما بين قوسين):

الآن وأنا أراجع المتن، وأراجع استدراكى فى الترحالات فى فصل "أمى"، وجدت الفرصة تسنح من جديد للتأكيد على بعض الحقائق والرؤى التى تتعلق بالنمو الإنسانى، والعلاج النفسى الذى هو "مصغر النمو الإنسانى" (والمفروض أنه موضوع هذا العمل)

أولا: لا أحد يصنع نفسه بنفسه إلا الله

ثانيا: يمكن أن يخلّق الإنسان نفسه بنفسه، قد يبحث عنها، وقد يسهم ذلك فى إعادة تشكيلها، ولكن ربما أو هو الذى قد يعطله لو استغرق فى ذلك فقط، يتوقف هذا على موقفه من الناس وبالناس وهو يبحث عن نفسه، إذ يتشكل بهم ومنهم.

ثالثا: إن أى استغناء عن الناس (ربما بدءًا بالأم) يستحيل أن يكون استغناء مطلقا، إنه لا يعدو أن يكون مظهرا دفاعيا مؤقتا على أحسن الفروض، أما إذا تمادى فهو الذبول، أو التأله أو الجنون الانسحابى أو المتفسخ.

رابعا: إن العلاقة العلاجية فى العلاج النفسى تكاد تدور بداية ونهاية حول محاولة كسر هذا الوهم (الاستغناء حتى الإنسحاب) دون استبداله بالاعتمادية الرضيعية التى ربما تُقبل كمرحلة عابرة قصيرة تماما لازمة أحيانا لإعادة البداية.

خامسا: إن هذا التراوح بين حركية النمو ما بين "الاستقلال"، وضرورة "قبول الاحتياج" هو من ضمن "برنامج الخروج والدخول" الذى اشرنا إليه سابقا فى أكثر من موضع.

وبعد

كل هذه الحقائق والرؤى جعلتنى أرجع إلى أوراقى على الحاسوب، وليست المسجلة فى ديوان أغوار النفس، ولا حتى فى الترحال الثالث "ذكر ما لا ينقال"، فضبطت نسخة من نفس القصيدة، لاحظت فيها اختلافات قليلة عن الأصل حتى الضد أحيانا، **ويبدو أن ذلك قد تم من ورائى بعد مراجعتى للقصيدة فى فصل أمى فى الترحال الثالث، نعم إلى الضد، تصوروا** أن ينقلب ذلك المقطع:

- علشان يامّه مش على بالِكْ،

أنا حاحكيلِكْ:

أنا زرع شطانى،

ولا حدّ فْ يوم جه ورّانى

يتحول إلى هذا المقطع:

- علشان يامه مش على بالك،

أنا حاحْكِيلِكْ:

أنا خدت الدنيا معاكـــى بيكى،

من ورا ضهرك،

مش زرع شطانى،

مع إن ماحدش ورانى،

هل هذا يجوز؟

الشعر "حالة" والحالة ترتبط بلحظتها، فإذا تغيرت الحالة فلتفرز شعرا آخر، إن كانت الحالة الجديدة قادرة على ذلك؟ ما هذا الذى فعلته هكذا بالقصيدة؟ فوجدت نفسى بين اختيارات كالتالى:

أولاً: إما أن أتنازل عن كون ما كتبته شعرا أصلا، فهو رسالة منظومة دالة هادفة، وبالتالى فلى حق تطويره أو تحديثه حسب تغيّر حالتى وخبراتى، ولتكن سيرة ذاتيه متعمة ولو هى منغرسة فى الألم والتعرّى فالمراجعة.

ثانياً: وإما أن أكتب قصيدة جديدة تؤرخ اللحظة الجديدة، وهذا أمر ليس بيد أى شاعر حقيقى، ليس بيد أحد يعرف ما هو الشعر أن يفرز شعرا متى شاء لما شاء.

ثالثاً: وإما أن أسجل الذى طرأ على "حالتى" فغيّر شعرى ذاك إلى شعرى هذا وأترك الحكم للقارىء، وليدرج هو العمل تحت الاسم الذى يفضله حتى ولو كان ذلك الاسم هو البدعة المسماة "الكتابة عبر النوعية".

استطراد

موقفى من الشعر غريب، أعتقد أننى لم أكتب شعرا فيما عدَا بضع عشرة قصيدة، لا أظن أن ما أكتبه شعرا، هذا بصفة عامة، وإن كان بعض من يتلقونه يعتبرونه كذلك.

فى نفس الوقت فهمت ثم توصلت: كيف أن **الموت شعر أخر** والعلاج الجمعى يتراوح بين **الشعر الجماعى** (المرتبط بالوعى الجماعى وتخليق الأسطورة الجماعية الأحدث) وبين النقد التشكيلى لنصوص بشرية متناصة وهكذا:

ففى الوقت الذى ضاق عندى مفهوم الشعر حتى يستبعد كل ما هو مقصود هادف بوعى كامل، اتسع ما هو شعر حتى يشمل كل ما هو تشكيل مبدع طليق مفاجئ جديد.

الأقرب عندى أن أعترف أننى لم أكتب الشعر إلا نادرا، ولعل أقرب ما كتبت شعرا هو ما نشر هنا فى النشرات بعنوان "مقامات الرخاوى" 23-3-2009 ، 23-2-2009 ،

12-1-2009 ، وأيضا لعل أقرب وأجمل ما كتبت شعرا هو قصيدة "دورة حياة فقاعة"، وقصيدة: "النورس العجوز"، ثم إن ما هو شعر حقيقى، لم ينشر أغلبه ديوانى "البيت الزجاجى والثعبان" خليط من هذا وذاك.

يبعد الشعر عن الشعر كلما كان هادفا ويقترب الشعر من الشعر كلما كان طليقا يتخلّق من "حالة" فريدة يستطيع بتشكيله وصوره وأنغامه أن يوصلها إلى متلقيه أقرب إلى "الحالة" التى كتب بها، أو أن يصل به إليها.

مازلت متمسكا بتصنيف صلاح عبد الصبور أن الشعر "حالة" لا هو "حليه" ولا أسلوبا.

حين كتبت ديوانى "سر اللعبة" كان هادفا (أغلبه) لشرح طبقات ومراحل المرض النفسى إمراضا (سيكوباثولوجيا).

فى نفس الوقت رفضت رفضا تاما أن أعتبره نظما يشرح علما نفسيا مثل ألفيه ابن مالك شرحا لقواعد النحو العربى، أو مثل محاولة المرحوم "سليم عمار" من تونس فى وصف النفس والأمراض النفسية وهى من أبشع ما قرأت، وأيضا لعل من أسخف ما قرأت فى هذا المجال شعر ابن سينا عن النفس كذلك، وأفضل منه قليلا - لكنه ليس شعرا أيضا - شعر المعرى فى الحكمة وغيرها.

أنهيت ديوانى سر اللعبة هذا بنص يحدد موقفى من هذا الديوان قلت:

لا .. لا .. لا..
يا من ترقب لفظى العاجز بعيون الفن المتحذلق،
أو تفهم روح غنائى بحساب العلم الأعشى،
لا تحسب أنى أكتب شعرا بخيال العجز الهارب،
أو أنى أطفئ نارى، بدموع الدوح الباكى،
لا .. لا .. لا..
هذا قدرى،
.....
فليحترق المعبدْ، ولتذرُ الريحُ رمَاد الأصنام،
ولتُسْأَلُ نفْس ما كسبتْ،
وليعْلنُ هذا فى كل مكان:
"فشل الحيوان الناطق أن يصبح انسانا"،
أو .. .. .. فلنتطور.
إذ يصبح ما ندعوه شعرا: هو عين الأمر الواقع
.....
.....
وفى قصيدة لاحقة نفيت عن نفسى صفة الشاعر: كتبت أننى:

يـا لـيت شعرى لـست شـاعرا

-1-

لا أضرب الـدفـوف فى مـواكب الـكلام،

ولا أدغدغ الـنغم.

لا أغت الـنقـوشَ حول أطراف الجملْ،

أو أطلبُ الـرّضَا.

ولا أقـولُ مـا يـقـرّظ الجمـال..،

يحتضرْ.

.....

لـكننى أنهيـتهـا بـإعلان استقـلال الـشعـر الـشعـر عنى، وأنـه إن صحَّ شعرا فـهـو الـذى يـكتبنى، ولـيس الـعكس

جـاءت نهـايـة نـفس الـقـصيـدة هكذا:

-2-

تـدقُّ بـابى الـكلمة

أصدّهـا.

تُغـافـل الـوعى الـقـديم،

أنـتفضْ.

أحـاولُ الهربْ،

تـلحقـنُى.

أكـونُـهـا،

فـأنـسلخ.

-3-

أمضى أغـافـل المعـاجِمَ الجحافـل،

بـين المَخاضِ والـنحيبْ.

أطرحُنى:

بـين الـضيـاع وَالـرُّؤى.

بـين الـنبيِّ والـعدَمْ.

أخلّق الحيـاة أبـتعث.

أقـولُـنى جديـدا،

فـتـولّـدُ الـقـصيـدةْ.

1983/9/14

هكذا صورتُ حركيـة الـشعر شعرا فى نهـايـة الـقـصيـدة وأنـا أعلن أنـنى "لـست شـاعرا"

وفى قـصيـدة أخرى هجوت شـاعراً جميلا رقـيقـا "رومـانـسيـا" كمـا يـقـولـون، هجوتـه قـائـلاً:

-1-

يـا شاعر الـودادِ والـسهاد والمؤانسهْ،

معذرةً، عجزت عن نثْـر الـورود فـوق موكب الأشواق.

حقّا عيونها أصفى من الـسماءْ

من بعد يوم ممطرٍ بهيج.

وعودها أطرى من الـنسيم،

وسَـيْـرها كمِثْلِ مِشْية الـمَـــهـَا،

والـوجهُ بـالـغمآزة البريئهْ،

يقول ما لا يقدر الـلسان.

.....

إلى أن قـلت:

-2-

يـــا شاعرا تمايلت أعطافـُهُ فوق الـبـراق.

فرُحتَ تشدو للفراق والعناقْ،

وتجْدلُ الأنغامْ،

ضفائرا من ذهب الـكلام،

تعوم فى عيونها وترتوى،

فتعزف الألحانْ

.....

لأنهى القصيدة بمقابلة بتجربتى وأنا أعايش الشعر الذى أنتمى إليه قائلا:

-3-

وســْط الحياة كلـّها

(بها ... بدونها)

نصبتُ خيمتى:

ناجيت ثـُعْـبانـاً وحيداً ذات ليلهْ، أناملى ترتاح فوق شوك قنفذْ،

حَـضرتُ حفلاً ساهرا فى وكْـرِ صـُرْصُـورٍ مُـهـَاجِـر،

صاحبتُ نملة وحيدهْ،

فى رحلة عنيده

كلّمت فرخا عاجزا قد أسقطته قسوة الرياح،
حملْتُه مُهَدْهداً لعشّه فوق الشَّجَرْ،
وما نسيتُ حورُكم من الحِسَانْ
(الحسن عندى كل ما دبّت به حياه).
وفاضَ قلبى بالسماح والشَّجَنْ:
يامَتَان حَطَّتَا عَلَىَ فَنَنْ
لكننى لم أسِتَطَع أن أصْحَبَكْ،
فى المَخْدَعِ الوثيرْ
فمعذرهْ
خَرَجْتُ بَعْدَ الدَّائِرهْ.

1981/7/6

برغم كل ذلك فقد أصر المرحوم صلاح عبد الصبور وهو يناقش **معى ديوانى "سر اللعبة"** - ناقدا- فى البرنامج الثانى فى الأذاعة فى أواخر السبعينات أن الديوان شعر خالص، وحين أفهمته أثناء البرنامج ثم بعده أنه شعر وصفىّ هادف، تحدانى، وقبلت التحدى فقمت بشرح على المتن هو الذى أخرج أهم أعمالى **"دراسة فى علم السكوباثولوجى 1979"** ولم أتمكن من إهدائه لصلاح فقد رحل قبل أن أفعل، ولم أندم لا على الديوان ولا على الشرح، وإن كان ما اسميته "ملحق الديوان" كان اقرب إلى الشعر من الديوان نفسه.

ثم استدرجتنى هذه النشرة إلى شرح هذا الديوان الآخر بالعامية "أغوار النفس"، وإذا بى أقع فى هذه الورطة الأصعب التى أظن أنها باعدت بين الديوان وبين أن يكون شعرا

ليكن.

وبما أنها رسالة، فقد تغير موقفى، بما يقابل تغير حالتى الشاعرة منذ كتابة النص الأول 1974 إلى كتابة الجزء الثالث من الترحالات سنه 2000 "ذكر ما لا ينقال" تغيّر إلى ما هو أنا الأن (2010 وقبلها لست أدرى متى) فجاء هذا التحديث أو التشويه أو التطوير، وأكتفى أن أقدم فى هذه النشرة بعض الفقرات التى تم العبث بها، أو الارتقاء بها - أنت وما ترى -.

وبعد

هكذا أعلن هنا أننى أتنازل عن تصنيف ما أكتب أنه شعر فى مقابل أن أوصّل رسالتى، وتفسير هذا التطور هو ما يلى:

يبدو أن رؤيتى فى صدر منتصف العمر صورت لى أن من أعظم ما يعتز به شخص ما هو أن يعمل نفسه بنفسه كما ذكرت حالا، وأن يكون زرع شيطانى، وحين تواصلت ممارستى مع مرضاى وسمحت

لى أن أعيد رؤيتى لمسيرتى وكتبت عن أمى من جديد (سنة 2000)، انتبهت أن هذا الزرع الشيطانى هو من أقبح ما يمكن أن يصف مسيرة إنسان يريد أن يكون إنسانا،

الذى وصلت إليه بعد هذا التحديث أو التطوير أو التطور أو قل التراجع هو أنه يبدو أن الأم لا تستطيع إلا أن تعطى، وأن العيب غالبا يكون فى القدرة على التلقى أساسا، فإن حدث قصور من ناحيه الأم فهو لعجزها وليس بسبب تقصيرها، ربما من هنا جاءنى ما لحق بالقصيدة كما سيلى:

سوف اكتفى فى هذه النشرة بأن أنشر بعض فقرات الأصل سنة 1973 مقابل ما عثرت عليه من تطوير على حاسوبى والذى جرى غالبا حول منتصف هذا العقد 2001 - 2010

سوف أكتفى الآن بنشر هذا وذاك متقابلين دون تفسير، وقد أعود للتفسير فى النشرة القادمة، أو قد أكتفى بما قد يصلنى من الأصدقاء وهم يقارنون بين النصين لا ليقولوا هذا أفضل أو هذا أجمل، ولا ليحكموا أن هذا شعر وهذا ليس كذلك، وإنما ليعرفوا كيف تتغير الحالة فيتغير الحال، ثم يقولون ما يعنّ لهم كما يشاؤون.

غالبا سوف أنشر القصيدة مكتملة فى النشرة القادمة دون شرح، ربما لأختم بها هذا الكتاب الورطة قبل أن أثبت النهاية دون شرح أيضا.

1973- 1974	حول منتصف العقد 2001-2010
- 2 - - علشان يامّه مش على بالِكْ، أنا حاحكيلِكْ: أنا زرع شطانى، ولا حدّ فْ يوم جه ورَّانى ولا شفت ازاى أو كام أو مين ولا حد عرف أنا باعمل إيه، أو ليه أو فين.	- 2 - - علشان يامه مش على بالك، أنا حاحكيلك: أنا خدت الدنيا معاكى بيكى، من ورا ضهرك، مش زرع شطانى، مع إن ماحدش ورانى، ولا حد عرف أنا باعمل إيه، أو ليه أو فين.

1973- 1974	حول منتصف العقد 2001-2010
- 4 - .... أنا حابقى "أنا". إزاى ؟ ما اعرفش. أنا لازم "أكون" و "أعيش" غصبن عنهم. غصبن عنى. غصبن عنك.	- 4 - .... أنا حابقى "أنا". إزاى؟ ما اعرفش. أنا عارف إنى حاكون، وأصر، ربنا ستار، ربنا دا كبير. بكره تشوف، لأ دلوقتى غصبن عنهم. غصبن عنى. غصبن عنك.

1973 -1974	حول منتصف العقد 2001-2010
- 4 - .... حا شعر بالنبضة وبالرعشة، من أى كلام، وحاعيش !!! = والله يا بنى محتاره معاك. ما تعيش. مين حايشك بس ؟ - 5 - وضحكت عليكو وعشت أهه أنا اهه.. أنا اهه أنا اهه دلوقتى الآن حالا أنا اهه إزاى دا حصل؟ أنا ما اعرفش أنا اهه وخلاص، وباغنى مع نفسى بنفسى ولاقِيتْلى خلاص ولاقيت الحب وكل الناس	- 4 - .... حا شعر بالنبضة وبالرعشة، من أى كلام، وحاعيش !!! = والله يا بنى محتاره معاك. ما تعيش. مين حايشك بس؟ - 5 - - ما حايشنيشي ما انا عايش اهه، بس ادّعى لى، أنا كنت "خلاص"، بس بفضلك رينا قالها، ولقيت لى "خلاص". وعملت منى اللى أنا هوه، وباجدد روحى من جوه، وباغنى مع نفسى بنفسى فى الناس، بالناس.

1973 -1974	حول منتصف العقد 2001-2010
- 6 - .... عايز؟ دوَّرْ واتخانق. وساعتها حاتلقى الحب وحا تعرف معنى لأى كلام و"تكون"، و"تعيش"، وتغنى الغنوة الحلوه. "إيه؟!" ما انت عارفها، طب بص: تلقاها جواك	- 6 - .... عايز؟ دور واتخانق. وساعتها حاتلقى عمار فى عمار. وحا تعرف معنى لأى كلام، و"تكون"، و"تعيش"، وتغنى الغنيوه الحلوه. إيه؟ ما انت عارفها، جواك، براك، ماليه الدنيا، المعنى/الناس/ثانية بثانية وخلاص!! لأه! لسّهْ شويَّة

يا ترى ماذا سنقول الأربعاء القادم؟

- كررت أن هذا كان ضمن نعى أدونيس لصلاح عبد الصبور

الإربعـــــاء 08-09-2010

1104- الغنيـــــوة الثانيـــة (الفصـــل الثالـــث)

الخلاص (3)

فى الحلقة السابقة أوضحت تطور فكرى، من واقع الممارسة والنمو، ومن ثم ما طرأ على المتن الشعرى فى هذه القصيدة بالذات، الأمر الذى لم يحدث فى غيرها تقريبا أبدا، وقد بينت كيف أن رفضى أن أدعى (بل أن أفخر) أننى "زرع شيطانى"، جاء نتيجة ما وصلنى بعد حدّة بصيرتى أن هذا ليس هو طريق النمو السوى، وقد تأكد لى ذلك من خلال قراءتى النقدية لرواية العطر لزوسكند من ناحية، ومن خبرتى المتراكمة عبر حوالى الثلاثين سنة التالية لكتابة أصل المتن باكرا، وقد غامرت وعدلت المتن بما وصلنى مؤخرا، مع إثبات النص الأول، وبررت ذلك بأنه لما كان هذا الشرح إنما يهدف إلى توظيف المتن لشرح أبعاد العلاج النفسى، فماذا يضيرنى من تحديثه حتى على حساب شاعريته؟

قلت فى الحلقة السابقة رفضا لفكرة "أنا زرع شيطانى" ما نصّه:

. . . .

. . . .

ثالثا: إن أى استغناء عن الناس (ربما بدءًا بالأم) يستحيل أن يكون استغناء مطلقا، إنه لا يعدو أن يكون مظهرا دفاعيا مؤقتا على أحسن الفروض، أما إذا تمادى فهو الذبول، أو التأله أو الجنون الانسحابى أو المتفسخ

رابعا: إن العلاقة العلاجية فى العلاج النفسى تكاد تدور بداية ونهاية حول محاولة كسر هذا الوهم (الاستغناء حتى الإنسحاب) دون استبداله بالاعتمادية الرضيعية التى ربما تُقبل كمرحلة عابرة قصيرة تماما لازمة أحيانا لإعادة البداية (الولادة)

خامسا: إن هذا التراوح بين حركية النمو ما بين "الاستقلال"، وضرورة "قبول الاحتياج" هو من ضمن "برنامج الخروج والدخول" الذى اشرنا إليه سابقا فى أكثر من موضع.

وبعد

فإننى سوف أخصص هذه الحلقة الأخيرة لشرح متن هذه القصيدة بما يفيد توضيح النقلة فى المعالج والمفاهيم بما يفيد العلاج النفسى، مع التركيز فى هذه النشرة على دلالة ما وراء تغيير المتن، من واقع الخبرة المهنية والنمو الذاتى، حتى ولو كان ذلك على حساب الشاعرية، الأمر الذى نفاه كثيرون ممن قرأوا النص القديم مقابل النص الجديد، حتى رأى بعضهم أن الجديد أفضل (شاعرية)، فى حين قال آخرون أن كلاهما شعرُ مرحَلَتِه، وأن التغيير قدّم شعرا آخر، وليس شعرا أقل، ليكن، فليست هذه هى القضية الآن. أتصور أن النقلة التى حدثت هى مقبولة من حيث المبدأ، وبالذات لما تسمح به من إضافات مهنية محددة مفيدة:

أولا: أنه مادام الطبيب النفسى (والمعالج النفسى) هو الأداة الأولى فى العلاج، فإن رصد تغيره (ولو من خلال مجالات أخرى) مهم نظراً لحتم تأثيره على مسار العلاج.

ثانيا: إن التغير الذى حدث فى المتن له دلالة تدعو لمناقشة الموقف القديم مقارنة بالموقف الجديد، وتبريرات التغير من وجهة نظر مسار العلاج النفسى

والآن إلى شرح المتن المقارن:

1973 -1974	حول منتصف العقد 2001-2010
- 2 - - علشان يامّه مش على بالِكْ، أنا حاحكيلِكْ: أنا زرع شطانى، ولا حدّ فْ يوم جه ورّانى ولا شفت ازاى أو كام أو مين ولا حد عرف أنا باعمل إيه، أو ليه أو فين.	- 2 - - علشان يامه مش على بالك، أنا حاحكيلك: **أنا خدت الدنيا معاكى بيكى،** **من ورا ضهرك،** **مش زرع شطانى،** **مع إن ماحدش ورانى،** ولا حد عرف أنا باعمل إيه، أو ليه أو فين.

ماذا يعنى هذا التراجع عن الفخر بالجهود المستقلة لتشكيل الذات ودفع نموها؟

فى العلاج، كما فى النمو، لا أحد يعرف ماذا تعطى الأم، أو ماذا يعطى المعالج للمريض تحديدا، وفى نفس الوقت فإن مجرد الالتقاء المنتظم يجعل احتمال الأخذ المتبادل وارد دون تحديد، اللقاء العلاجى هو فرصة لتواصل عبر عملية متعددة المستويات، لا يظهر منها إلا الانتظام فى الالتقاء حيث يغلب ظهور "الكلام" كوسيلة أولى، تبدو وحيدة، للتواصل، لكن على مسار النمو خاصة فى المراحل الأولى: يتم التواصل بأى لغة وكل لغة عبر أكثر من قناة تواصل. الطفل بأخذ دون استئذان كل ما يستطيع أن يأخذه، وفى مرحلة معينة من العلاج يكون الكلام والتفسير الكلامى هو أضعف ما يستطيع تلقيه، برغم أنه أظهره يحتد ذلك أكثر فى العلاج الجمعى حيث تتعدد الرسائل وتتعدد قنوات التواصل فى شبكية أكثر تقاطعا وتداخلا.

تعبير **"انا خدت الدنيا معاكى بيكى من ورا ضهرك"** يمكن أن ينطبق على إعادة تفسيرات نتائج التحليل النفسى الكلاسكى الفرويدى، حيث زعم بعض محبيه (وأيضا بعض مبغضيه) أن المريض كان يشفى بالرغم من التداعى الحر وليس بسببه، بالرغم من التفسير والتأويل التحليلى وليس بسببه أو على الأقل بالإضافة إليه (أحيانا)، هذا النوع من الأخذ يحدث تلقائيا على مستوى آخر من الوعى، ليس بالضرورة "اللاشعور"، لكنه مستوى آخر والسلام **"من ورا ضهرك"**، وايضا من وراء ظهر المتلقى نفسه.

المقارنة بين **"ولا حد فْ يوم جه ورانى"** وبين: **"مع" إن ما حدش ورانى"** لها دلالتها التى أفضل الا أطيل فى شرحها، فالتعبير الأول هو نفىٌ مطلق، والتعبير الثانى احتمالىّ أكثر.

1973 -1974	حول منتصف العقد 2001-2010
- 4 -	- 4 -
.....	.....
.....	.....
أنا حابقى "أنا".	أنا حابقى "أنا".
إزاى ؟	إزاى؟
ما اعرفش.	ما اعرفش.
أنا لازم "أكون" و "أعيش"	**أنا عارف إنى حاكون، وأصر، ربنا ستار، ربنا دا كبير. بكره تشوف، لأ دلوقتى**
غصبن عنهم.	غصبن عنهم.
غصبن عني.	غصبن عني.
غصبن عنك.	غصبن عنك.

نلاحظ أن الجزء الأول من هذا المقطع لم يتغير، وقد يكون هذا دليلا على أن كل ما نعرفه عن عملية التغيير هو غامض بشكل أو بآخر، وإن كانت نتيجة التغيير تكون أوضح عادة،

مسألة **"أنا حابقى أنا"** ناقشتها طويلا وكثيرا قبل ذلك، حين حذرت من المبالغة فى ما يسمى "البحث عن الذات"، لأؤكد

على أفضلية التركيز على عملية **"تخليق الذات"**، حتى على حساب **"تحقيق الذات"**، لا أحد عنده ذات مخبأة وعليه أن يبحث عنها، ولا أحد عنده مشروع ثابت للذات يريد تحقيقه، الإنسان، أى إنسان هو مشروع يحمل برامج منوعة من كل تاريخ أسرته، وتاريخ نوعه، وتاريخ الحياة، وتستمر عملية تخليق الذات إلى ما لا يبدو له نهاية (حتى الموت وصلنى مؤخرا أنه أزمة نمو، وولادة جديدة)، وبالتالى يمكن قراءة هذا النص **"أنا حابقى أنا"** باعتبار أنه يعنى أنه فى لحظة بذاتها "أتكون **"أنا"** إلى ما هو **"أنا"** (ايضا أكرر: بعيدا عن الوعى الظاهر بشكل ما).

الاختلاف الذى طرأ فى التحديث هنا مهم، وهو يرتبط بفكرى الأحدث فالأحدث الذى شرحته تفصيلا فى أطروحتى "الحرية والإبداع" Link حيث بيّنت أن مقولة شكسبير (هملت) "أكون أو لا أكون" هى مجرد مرحلة لا يجوز تقديسها أو الوقوف عندها، وأن حركية النمو تضعنا أمام إشكالة أكثر حيوية ووعداً، وهى إشكالة "أكون أم أصير" (التى هى بدورها خطوة إلى أصير أم أطفَرْ).

الفرق بين الأصل **"أنا لازم أكون وأعيش"**، وبين التحديث **"أنا عارف إنى حاكون وأصير"**، هو فرق دقيق ومهم لأنه يبين أن حتمية الكينونة **"أنا لازم"** هى أقرب إلى مقولة هملت، أما مواكبة ومسيرة النمو (التطور) **"أنا عارف إنى حاكون وأصير"** فهى أقرب إلى إعلان الاعتراف بسلاسة حركية النمو والتطور ما لم يعقها عائق.

حضور الوعى الكونى هنا (إلى وجه الحق تعالى) هو جزء جوهرى فى الفروق الثقافية التى أعاود تناولها بطريقة أو بأخرى كلما سنحت الفرصة، مثلا تناولتها عدة مرات فى نشرات الإشراف على العلاج النفسى؟؟ **نشرة 26-7-2009 (ياه ..!! دى طلعت صعبة بشكل، ولكن..، "فروض وتجميع")** أو مع شرح بعض تفاعلات وتفسيرات العلاج الجمعى انطلاقا مما اسميته الوعى الجمعى Collective Consciousness، وهى مسألة جوهرية بالنسبة لى، وأنا أفضل فى هذا المقام أن أؤجل الحديث عنها مكتفيا بإثبات المبدأ، محيلا من يشاء مؤقتا إلى أطروحتى على الباور بوينت p.p عن **الغريزة الهارمونية المتصاعدة (الغريزة الإيمانية)**.

تكفى هنا التذكرة بأن العلاقات البشرية، حتى تكون بشرية، تحتاج إلى موصّل جيد من الوعى الجمعى (البشر) فالوعى الكونى (إلى وجه الحق تعالى)، ليتم التعامل بين الوحدات البشرية بكفاءة تطورية، وأن هذه ليست سوى برامج بيولوجية فيزيقية وليست نظريات أو آراء تجريدية ميتافيزيقية، ونجد هنا فى المتن مجرد إشارة إلى أن حركية النمو تحتاج إلى ائتناس بهذا وذاك **"ربنا ستار"** كما تحتاج إلى إحاطة تضم هذا/إلى/ذاك/إلى هؤلاء/ إليه (ربنا دا كبير).

هذا اليقين "هو حركة فى اتجاه قادم" (بكره تشوفى) لكن المتن الجديد يتحوط ضد التأجيل، وهو يستدرك بسرعة **"لأ دلوقتى"**،

يرجعنا ذلك إلى حدس اللحظة (باشلار) من جهة وإلى مبدأ **"هنا والآن"** الذى هو جوهر ومحور العلاج الجمعى بوجه خاص، إذْ مهما كان اليقين بالحركة، وبأولية ما هو عمليه Process على المحتوى (= أولوية الدال عن المدلول) وبالمآل المفتوح، فإننا لا نملك إلا "الآن" والـ "هنا"، والتركيز على ذلك واليقين به هو ما يجعلنا نطمئن إلى سلامة سير قوانين البرامج التى تحكم هذه اللحظة فى اتجاه السهم الضام.

أما بقية المقطع فلم يحدث فيه تغيير، وتعبيرات الحتم المتحدى للجميع هنا (غصبن عنه، غصبن عنى، غصبن عنك) لا تشير إلى أن حركية النمو تحدث قسراً أو تعسفا، وإنما هى تشير إلا الإصرار على تجاوز المعيقات، والتشوهات والدفاعات (الميكانزمات) التى تعوق النمو والتطور، حتى التحليل النفسى الكلاسى هو ليس حلا لمشاكل أو فكا لعقد، بقدر ما هو إزالة إعاقة unblocking

1973 -1974	حول منتصف العقد 2001-2010
- 4 - .... حا شعر بالنبضة وبالرعشة، من أى كلام، وحاعيش !!! = والله يا بنى محتاره معاك. ما تعيش. مين حايشك بس ؟ - 5 - وضحكت عليكو وعشت أهه أنا اهه.. أنا اهه أنا اهه دلوقتى الآن حالا أنا اهه إزاى دا حصل؟ أنا ما اعرفش أنا اهه وخلاص، وباغنى مع نفسى بنفسى ولاَقِيتْلى خلاص ولاقيت الحب وكل الناس	- 4 - .... حا شعر بالنبضة وبالرعشة، من أى كلام، وحاعيش !!! = والله يا بنى محتاره معاك. ما تعيش. مين حايشك بس؟ - 5 - - ما حايشنيشى ما انا عايش اهه، بس ادّعى لى ، أنا كنت "خلاص"، بس بفضلك ربنا قالها، ولقيت لى "خلاص". وعملت منى اللى أنا هوه ، وباجدد روحى من جوه، طالع بره، راجع جوّى وباغنى مع نفسى بنفسى فى الناس، بالناس.

المقطع الأول هنا لم يحدث فيه تغيير وهو يعرض لقضية مهمة فى العلاج (كما هى فى الحياة) إذْ هو يرسم الحياة نابضة حاضرة بأبسط، وأروع وأعمق ما هى، (هل تذكر؟ الحياة هى الحياة أحلى حاجة فيها هيا إنى عايش) **(نشرة 16-6-2010 "الحياة 1 من 6")**، **(نشرة23-6-2010 "الحياة 2 من 6)**، بما فى ذلك إحياء "أى كلام" بأن يحل فيه المعنى، و"أى كلام" هنا ليس مساويا لأى كلام الذى نعنى به الرطان الأجوف، المفتقر إلى الهدف، ولكن المقصود به هنا هو أن أبسط الكلام، وحتى بدون كلام، يمكن أن يحمل أهم المعانى

الحياة هى "الحياة" إذن قبل وبعد الوعى بأنها "الحياة"، لكن شريطة ألا تكون قد تشوهت حتى اختبأت وراء ما يشبه الحياة بلا حياة.

أحيانا ألقيها فى وجه المريض (ونفسى طبعا) عارية تماما حين أنبهه - ونفسى- أن "القضية الحقيقية الأولى بالمواجهة هى اختيارنا المبدئى: **أن نعيش أم لا"**، (يا نعيش يا نموت)، ونحن لا نعنى بذلك الموت بمعنى إنهاء الحياة الجسدية، وإنما نعنى: إما أن تمتلىء بالحياة الحياة أو نرضى بأن نصبح مجرد ناقلات جينيات لمن يستطيع أن يعيش -بعدنا- بشرا يوما ما،

الأم فى هذا المقطع لا تعترض على إلحاح ابنها على أن يعيش الحياة، فهى نفسها تعيش فعلا الحياة دون أن تعلن أو تعى ذلك، دون أن تنقل القضية إلى مسألة معقلنة تحتل بؤرة الوعى فتختفى الحياة ، فهى تتعجب من تساؤلات الابن وإصراره على كشف ما هو طبيعى بتعبيرات وألفاظ غير طبيعية، فهى حين تقول له (فى المتن القديم/الجديد فهو لم يتغير) **"ما تعيش، مين حايشك بس"**، لا تستهين بتساؤلاته بقدر ما تتعجب منها ولها.

الاختلاف الذى طرأ على هذه الفقرة بعد ذلك له دلالاته برغم أنه ليس اختلافا جوهريا، ذلك أن تعبير **"وضحكت عليكو وعشت أهه، أنا أهه أهه"** يبدو وكأنه سِرْقة لما هو "حياة" من وراء ما -أو مَنْ- يحول دون ذلك، ولكن مع التحديث الذى حدث فى المتن انقلبت المسألة إلى حفز التحدّى **"ماحايشنيشي"**، كما انقلب "وعشت أهه" إلى **"أنا عايش أهه"**، ذلك أنه أحيانا يكون قرار الحياة "أن أعيش" هو مجرد كشف عن أبسط قواعدها ومنتهى حضورها دون أى جهد إضافى واع للبحث "عن الذات"، أو حتى تخليق الحياة فى الذات، (ولعل الحيوانات أسبق منا فى ذلك).

المتن القديم يصر على التنبيه على أن ممارسة الحياة تحدث دون ضرورة الوعى بها، وهو متن جيد فى ذاته ولم يكن فى حاجة أن ينسخه المتن الجديد، لكننى خفت التزيد والتكثيف لو قارنت بينه وبين التحديث تفصيلا وسوف أكتفى بالتركيز على التحديث، خاصة وقد حضر فيه "الدعاء" الذى اعتبره الوصلة (الإرادية أحيانا) بين الوعى الشخصى والوعى الكونى (إلى وجه الحق تعالى) ويتم التعرف على موضوعيته هنا أبسط وأقرب حيث أن الوصلة كانت من خلال دعاء هذه الأم السلسلة "العائشة" بلا فذلكة **"بس ادعى لى"**، فطلب الدعاء هنا بدا لى تأكيدا لهذه الوصلة،

ثمّ تأتى النقلة من "أنا أهه وخلاص" إلى **"أنا كنت خلاص"** وثم إضافة **"بس بفضلك ربنا قالها"**، لتؤكد نفس الوصلة، التى تنقلنا مباشرة إلى **"ولقيت لى خلاص"**. "خلاص" الأولى هى نهاية، و"خلاص" الثانية هى بداية إذْ لابد لمرحلة أن تنتهى حتى تبدأ أخرى، وهنا تحضر الأم بصورتها الأصيلة لتحتوى الوجود النامى من جديد فى رحم السماح الحضانة، تحضر حضورها الذى لا ينفصل عن الوعى الكونى (مرورا بالوعى الجمعى) مرة أخرى: **"بس بفضلك ربنا قالها"**،

التركيز على الرعاية البشرية الوالدية فقط دون وصلة "بعديّة" يبدو مخالفا للطبيعة الإنسانية من منظور معين.

النقلة من **"انا كنت خلاص"** إلى **"ولقيت لى خلاص"** فيها كل أبعاد إعادة الولادة.

حدثت إضافة محدودة لن أشير إليها هنا، فليكتشفها القارئ بنفسه ليكتمل المقطع كله مشيرا إلى برنامج "الدخول والخروج" على مستوى الذات وأيضا على مستوى الآخر (الآخرين) **"فى الناس بالناس".**

العلاج النفسى الفردى يركز أكثر على مستوى الذات فى حضور آخر ..... (يقابل الأم) أما العلاج الجمعى فهو ينتقل إلى نفس الحركية "الدخول والخروج" ولكن على مستوى الوعى الجمعى بالناس فى الناس.

1973 -1974	حول منتصف العقد 2001-2010
- 6 - .... عايز؟ دوَّرْ واتخانق. وساعتها حاتلقى الحب وحا تعرف معنى لأى كلام و"تكون"، و"تعيش"، وتغنى الغنوة الحلوه. "إيه؟!" ما انت عارفها، طب بص: تلقاها جواك	- 6 - .... عايز؟ دور واتخانق. وساعتها حاتلقى عمار فى عمار. وحا تعرف معنى لأى كلام، و"تكون"، و"تعيش"، وتغنى الغنيوه الحلوه. ايه؟ ما انت عارفها، جواك، براك، ماليه الدنيا، المعنى/الناس/ثانية بثانية وخلاص!! لأه! لسّهْ شويَّة

الختام جاء خطابا نقديا، وحفزاً إلى السعى، وعوده إلى التأكيد أن المسألة يمكن أن تكون شديدة البساطة **"وحا تعرف معنى لأى كلام"** وفى نفس الوقت غائرة الجوهر **"وتكون، وتعيش".**

أما مقولة **"وتغنى الغنيوة الحلوة"** فهى تشير أكثر فى المتن الأول إلى التصالح (الهارمونى) الداخلى مع الذات، لكن التحديث جاء ينبهنا نقدا إلى انها ليست قاصرة على ذلك، إذْ لو أنها اقتصرت على أن "الغنوة" هى **"جواك"** فنحن مازلنا عند مستوى "أكون" و"تحقيق الذات" بعد البحث عنها وكلام من هذا، أما التعديل فقد نقلنا إلى الامتداد فى حركية الهارمونى الأوسع التى تتكشف لنا عبر رحلة النمو (العلاج) **"ما انت عارفها"**، "جواك - براك، ماليه الدنيا"

ثم يأتى التفصيل ليؤكد على الأهمية الجوهرية لحضور المعنى فيما هو علاج، وهو من أولويات العلاج المعرفى، وأيضا العلاج بالمعنى Logo therapy ، وفى هذا ما يدعم ما سبق الإشارة إليه من ان الحياة لا تكون حياة إلا بتعمير الدنيا بما هى وبناسها.

ثم يركز المتن الجديد على "حدس اللحظة" فى نفس الوقت الذى يؤكد فيه أنه لا يتم نمو بعيدا عن الناس **"المعنى/الناس/ثانية بثانية"**

إذا تم هذا وتحقق لأى منا على هذا المستوى فهل تكون رحلته قد نجحت وأنه وصل "وخلاص"؟

الاستدراك الأخير يرد على ذلك بالنفى **"لأه"**،

ثم تقفل القصيدة أنه **"لسه شوية".**

وهذه الشوية تظل نشطة مفتوحة أبدا

الإربعـــــاء 15-09-2010

1111-الخاتمـــــــــــــة

الخاتمة

هذه النشرة هى آخر حلقة فى هذا العمل، الحمد لله

قررت ألا أشوه الخاتمة بأى شرح لا لزوم له، (ربما مثل كل شرح سابق، لكن ما العمل وقد تم) ، لعل ما شجعنى أكثر على تجنب الشرح هو أن الخاتمة خاتمة، فعلاقتها ضعيفة نسبيا بما هو علاج نفسى، اللهم إلا فى التأكيد على أن الأصلح لعلاج المصرى هو المصرى، والأصلح لعلاج العربى هو العربى، والأصلح لعلاج الهندى هو الهندى، والأصلح لعلاج الأمريكى لست أدرى!!!.

الاختلافات الثقافية ليست مجرد فروق تاريخية أو جغرافية أو اجتماعية أو دينية، وإنما هى كل ذلك معا، وأكثر.

الصراع الذى كان ومازال قائما بينى وبينى هو مدى تعلقى بطين هذا البلد الذى ولدت على أرضه، ونشأت فى رحابه، ورضعت من طيبته وكرمه، وبين حبى للإنسان فى كل مكان على أى أرض، ما دام هو هو زميلى فى البشرية - "خلقةُ ربنا".

ثم خيل إلىّ أننى وجدت الحل أخيرا حين تذكرت أن أى صاروخ مهما كانت وجهته فإن لابد له من قاعدة ثابتة ومتينة وجاهزة ومنضبطة، سواء كان صاروخا عابرا للقارات، أو عابرا للأزمنة، أو عابرا للأفلاك، من هنا أحسست أن حبى لمصر/الطين/ الناس/ الطيبة/ الخيبة/ التاريخ/ الوقفة ، هو هو حبى للإنسان البشر/البَعد/ الكون/ الله .. فى رحلة التكامل.

أذكر أن بداية القصيدة كانت موجهة لصديق سافر وفى نيته الهجرة، وقد كتبت هذه الخاتمة وهو لم يستقر بعد نهائيا بعد عودته، هو صديق أحببته، وكنت وما زلت أحبه حبا شديدا، فجذوره من طين بلدى، برغم أن فروعه أو تفرعاته قد طُعِّمت بعضها بطعم خوجاتى، وقد ورد تلميح يخص هذا الصديق فى بداية هذا العمل ، أفضل أن يبحث القارئ عنه بنفسه، وقد ثابرت على دعوته إلى الرجوع لنعملها سويا ، وقد عاد، ثم كان ما كان، لكنه عاد.

تعميم معنى ومحتوى ودلالة ما هو "مصر" بداية من الفقرة الثانية هو الحل الذى اهتديت إليه، ولعل المراجع لبعض النشرات التى جاءت فى هذا العمل يدرك بعض ذلك مثلا فى نشرة **"إنى لو لم أولد مصريا"** أو **"..لوددت أن أكون مصريا"**، أو **"برغم كل الجارى، مازال فينا: "..شىء ما"**، ....إلخ.

الفكرة الجوهرية الذى أنهى بها هذا العمل وهذه الخاتمة، هى الفكرة التى شاعت فى طول هذا العمل متنا وشرحا، بل عبْر مدى مما رستى للعلاج بكل تشكيلاته، بل ربما عبر كل رحلتى الذاتية بما قدر لى أن أعايشه، وهى:

إن كل ما يمكن أن نفعله أثناء رحتنا المحدودة ، نموا، وعلاجا وتطورا،هو أن نتحدى التشويه القائم والمحتمل، وسوف نجد أننا نرجع تلقائيا إلى أصل شرف ما هو نحن ("خلقة ربنا"، "ربُّى كما خَلَقْتنى"،) وهذا يحتاج إلى معرفة متواصلة متجددة، ومحكات عملية محددة، وممارسة متواصلة مفتوحة، ومراجعة ناقدة قادرة، وإبداع مغامر، ومثابرة

وهذا هو العلاج (النفسى، وغير النفسى)

و.... خلاص

الخاتمة (دون شرح على المتن ، ..هيه !!!)

-1-

يا طير يا طاير فى السَّمَـــا ...

رايح بلاد الغُـــرْب ليه؟

إوعكْ يكون زهقكْ عماك

عن مَصرنا.

عن عَصرنا.

تفْضل تلفّ تلفْ .. كما نورسْ حزين.

حاتحطّ فين .. والوجْد بيشدّكْ لفوق.

إلفُوقْ فَضَا.

إلفُوقْ قَضَا.

وعْنيكْ تشعلق كل مَادَى وتنسى طين الأرض: مصر.

- 2 -

دانا لما بابص جوا عيون الناس،
الناس من أيها جنس،
بالاقيها فْ كل بلاد الله لخلق الله.
وفْ كل كلام، .. وف كل سكات.
وِذَا شفت الألم، الحب، الرفض، الحزن الفرحه فى عْيونهم..
يبقى باشوف مصر.
وباشوفها أكتر لما بابصّ جوايا.
والناس الحلوين اللى عملوا حاجات للناس،
كانوا مصريين:
"كل واحد هُمه ناسُهْ،
كل واحد ربـّه واحدْ،
كل واحد حُرّ بينا،
حُر لينا
يبقى مصرى"

تبقى مصر بتاعتى هى الدنيا ديه كلها،
هى وعد الغيب، وكل الخلق، والحركة اللى تبني.

= لأ يا شيخ !!؟
- قلت اصبّر نفسى برضه بكلمتين،
[بس همّا،
بس صح،
يعنى ! برضه !!]

-3-

توتا .. توتا ..،

واهى خلصت منى الحدوته.
لو حلوه .. حاتقول غنوه:
"هوه دا يخلص من الله:
اللى غمّض ماتْ غبِى،
واللى شاف، خاف واترعب،
مابقـــاش نَبِى"

لو ملتوته،
حاتقول حدوته:

"كان فيه زمان،
واحد رفض عيشة الهوان،
قال إيه وحاول يبقى "خلقـــة ربنا"
مع إنه زيه زيـــنا،
يعـــنى : بشر.
قالـــو لـــه حاسب مِـــا لقْـــدرْ،
قام راح عامِلْـــها، وقال :"فـَشَـزْ ".

الثلاثـــــــاء 05-10-2010

1130- دراسة فى علم السيكوباثولوجى النفس":

منشورات

جمعية الطب النفسى التطورى،

والعمل الجماعى

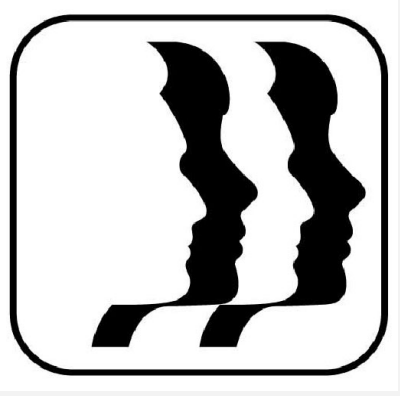

دراسة فى علم السيكوباثولوجى

(شرح: ديوان سر اللعبة)

الطبعة الثانية

2010

أ.د. يحيى الرخاوى

أستاذ الطب النفسى - جامعة القاهرة

* * * *

إهـــداء الطبعة الأولى

"إلى الإمام الشافعى القائل: مثل الذى يطلب العلم

جزافا ..... كمثل حاطب ليل يقطع حزمة حطب فيحملها، ولعل فيها أفعى تلدغه وهو لا يدرى"

إهـــداء الطبعة الثانية

- "ليس العلم ما حُفظ، **العلم ما نَفع".**
- **"من تعلم علما فليدقِّق؛ لئلا يضيع دقيق العلم."**
- "إن **للعقل حدا ينتهي** إليه، كما أن للبصر حداً ينتهي إليه"
- **"...أسمع بالحرف منه مما لم أسمعه، فتودّ أعضائى أن لها أسماعاً تتنعم به مثلما تنعمت الأذنان" !**
- "إن الله خلقك حرا، **فكن كما خلقك.** "

[من أقوال الإمام الشافعى،]

(برغم تصنيفه سلفيا أصوليا من المرحوم نصر أبو زيد!!)

الاهداء:

إلى كل إمامٍ شافعى يلتزم بأقوالِهِ تلك،

كلٌّ فى مجاله!!

*** * * ***

مقدمة الطبعة الأولى

ذكرت فى مقدمة الطبعة الثانية لديوانى سر اللعبة أنى "..... تعلمت منها (الطبعة الأولى) الكثير، ومن بين ذلك أن بعض الدارسين قد اعتبرها مرجعا أعانه فى إبداء رأيه أو إثبات رأيه، وكذلك أنى تيقنت من غلبة طبيعتها- وفائدتها- العلمية، قبل وبعد شكلها الفنى" إلى أن قلت "....لكنى فى النهاية اخترت قسمة عادلة وهى أن أنشر المتن وحده... ثم أنشره مع الشرح لمن شاء من أهل العلم ومحبى المعرفة فى مرحلة تالية".

وهأنذا أفى بوعدى، مؤكدا للمرة الثالثة أن موقفى هذه الأيام يتحدد أكثر فأكثر فى أنى أرجح الحديث باللغة العلمية على ماسواه، وذلك لاعتبارات تتعلق بنموى الشخصى، وكذلك لتبريرات تتعلق برؤية أولويات احتياج وطنى وناسى، وأخيرا لاعتبارات محدودية عمرى بالنسبة للموقف اللازم لتدوين وإبلاغ ما رأيت وعرفت فى مجال علمى قبل أن أرحل.

كنت أتمنى أن يصدر هذا العمل ومعه مراجعة تفصيلية للأعمال السابقة والموازية له سواء بالموافقة أو المعارضة، وأن يدعم، كما هو المألوف، بالإشارة إلى هذه البراهين والمعارضات اللازمة للحديث بلغة العلم هذه الأيام، وهذا

مايمكن أن أسمية التوثيق .كما كنت أتمنى أن تصحب هذه الدراسة عينات إكلينيكية مباشرة تدعم وتحقق ماجاء بها من أفكار وفروض وهذه مرحلة التحقيق، وقد كلفت فعلا بعض تلاميذى بالبدء فى المهمتين حتى يصدر العمل متكاملا، وذلك بعد أن أعفيت نفسى، بناء عن اقتناع مؤكد، واستجابة لنصيحة صادقة، من أن أقوم أنا بهذه المهمة، حتى لاأعوق انطلاق أفكارى بعد أن تخطيت مرحلة التردد، فلم أعد محتاجا أن أقف موقف المدافع ابتداء.

وما أن أنهيت مهمتى الأولى حتى وجدتهم مازالوا بين متردد ومؤجل وخائف، وزاد إلحاح طلبتى الأصغر فى صدور الشرح كما هو، وهأنذا أستجيب لهم غير هياب، إلا أنى أحمل أمانة إكمال هذه الدراسة بالتوثيق والتحقيق لكل تلاميذى بلا استثناء، بل لكل من وصلته الرسالة التى أردت إبلاغها من خلال هذا العمل.

وقد التزمت أن تكون هذه الدراسة- أساسا- شرحا للنص الشعرى، ولذلك فهى قاصرة على ما ورد من أعراض وأمراض، أو شرح خطوات التقدم أو التعثر فى مسيرة نمو الإنسان، وإن كان ذلك لم يمنع أن أعرج، كلما لزم الأمر، إلى تقديم مناسب لكل مرض تعرضت له، أو إلى استدراك لازم لأصول الظاهرة التى أفسر بها هذا المرض أو ذاك، وقد لاحظت أحيانا كثرة مثل هذا الاستدراك حتى هممت بحذفه إلا أن طبيعة الدراسة وإصرارى على تسجيل ماأراه أمانة لامهرب منها، دفعنى إلى أن أترك كل المادة كما هى للدارسين والباحثين الآن، أو على الأرجح مستقبلا، ولم استشهد أو أشرْ إلى بعض ماسبق من آراء، إلا بالقدر الذى يضطرنى إليه السياق فحسب.

خلاصة القول أن هذه الدراسة ليست مرجعا شاملا بحال من الاحوال، ولكنها عينة خاصة تؤكد أبعادا محددة، فى مجال علمى هذا من أهمها طبيعة هذا العلم، وبعض وسائل دراسته، وضرورة معايشة مادته: الإنسان- ذاتا وآخرين-، قبل الخوض فى الإفتاء فيه.

أما بالنسبة لتفضيلى كتابة هذا العلم بلغتى الأصلية، فإنى قد أعلنت أسبابه منذ حين، حيث أنى أدركت يقينا أن أى عمل إبداعى أصيل، وخاصة فيما يتعلق بماهية الإنسان، لا يمكن أن يخرج منسابا متناسقا إلا بلغة الأم، حيث تمثل اللغة فى ارتباطها بجذور تكوين العقل البشرى أساسا جوهريا يحدد طبيعة التفكير وخاصة فى مجالنا هذا، ولكنى سوف ألتزم كضرورة مرحلية أن أترجم إلى الإنجليزية ماينبغى من تعاريف ومصطلحات كلما أمكن ذلك، أو لزم ذلك. إما فى النص، أو فى الهوامش، كما سأقوم بترجمة الخلاصة والتعقيب جميعا وقد أضفتهما إبتداء من الفصل الرابع حين بدأ الحديث عن أنواع المرض النفسى نوعا نوعا، ولعل فى ذلك ما يعين الدارس المبتدئ، ويطمئن ذا التكوين العقلى المترجم.

يحيى الرخاوى

المقطم 12 أكتوبر 1979

مقدمة الطبعة الثانية

بعد أن انتهيت - هنا فى هذه النشرة اليومية كل أربعاء - من شرح ديوان أغوار النفس باعتباره دليلا متواضعا **لفقه العلاقات البشرية**، وتطبيقات ذلك فى العلاج عامة، والعلاج النفسى خاصة، وكان الدافع إلى ذلك هو توظيف الحدس الشعرى لشرح أغوار النفس، وخاصة فيما يتعلق بالطب النفسى والتطبيب، انتبهت إلى العنوان الأصلى أنه "دراسة فى علم السيكوباثولوجى، الجزء الثانى" قلت، كما قالوا لى أيضا: فماذا عن الجزء الأول؟ شرح ديوان سر اللعبة، وهو الأصل ؟

رجعت إلى هذا الجزء الأول، فوجدت عهدا ملزما أوردته حالا فى اثباتى مقدمة الطبعة الأولى وهو ما يحتاج أن أكرره هنا بحروفه:

"..... إلا أنى أحمل أمانة إكمال هذه الدراسة بالتوثيق والتحقيق لكل تلاميذى بلا استثناء، بل لكل من وصلته الرسالة التى أردت إبلاغها من خلال هذا العمل.

ويبدو أنه قد الأوان للوفاء بالوعد:

تاريخ نشر الطبعة الأولى هو سنة 1979!!!، ولا بد أنه كتب قبل ذلك بعام أو أكثر، إذن فقد مضى ربع قرن من الزمان، مما يعلن بداهة أنه - ما دام علما !! وبخاصة ما كان يَعِدُ بتطبيق عملى- يحتاج إلى تحديث ومراجعة ونقد وإعادة تشكيل؟ مسايرة لما يجرى عبر العالم، ولما جرى فينا وحولنا وبنا، فوجبت هذه الطبعة الجديدة هكذا.

كنت أحسب أننى سجلت ظروف كتابة الطبعة الأولى فى مقدمة تلك الطبعة، إلا اننى اكتشفت حالا أننى لم أثبتها إلا فى مناسبات أخرى منها نشرة "الإنسان والتطور" ، مع أنها تحتاج إلى إثبات. ذلك لأنها تؤكد كيف أن مواصلة العمل الفعال مع الحفاظ على التوجه الصحيح، يمكن أن ينتج عنه أروع مما كنا نحسب، وأحيانا - أو كثيرا- غير ما كنا نحسب من إضافات

نوعية، وفروض تتجلى أثناء الفعل، وهذا يثبت منهجا غريبا أفرح به بقدر ما أحذر منه: وكثيرا ما أضطر نفسى إليه اضطرارا بأن أواصل عملا ما، أعتقد أنه ضرورى، وخاصة إذا ما وقع فى خانة ما أسميه "حمل الأمانة إلى أهلها"، أواصله بشكل "روتينى" لحوح، بعد التخطيط العام، وتحديد توجه الهدف الواضح، ولكن دون تفاصيل عن الشكل أو المحتوى، فينتج عن هذه الممارسة شىء أكبر بكثير مما كنت أتوقع، وحين يكتمل، يبدوا وكأنه كان كذلك منذ البداية.

هذا هو ما حدث بالنسبة للنشرة اليومية "الإنسان والتطور" وقد دخلت عامها الرابع، وهو هو ما حدث - مع اختلاف الإمكانيات والأدوات، وكان سببا مباشرا فى ظهور الطبعة الأولى من هذا العمل.

فكيف كان ذلك؟؟

كنت مسئولا عن اللجنة العلمية للمؤتمر العربى الأول للطب النفسى، وهو الذى عقد فى القاهرة فى ديسمبر 1978، وكان لزاما على أن اعد الكتيب الذى يحوى موجزا للأوراق والأبحاث التى سوف تلقى فى هذا المؤتمر، وقد وردت متأخرة - كعادتنا- وبدا أنه من قبيل المستحيل أن أنجز المهمة مهما بذلنا من جهد، وذللنا من صعاب، فى تلك الأيام لم تكن هناك هذه التسهيلات الحاسوبية، أو آليات الطباعة الإلكترونية الحالية، كنا نطبع إما بجمع الحروف باليد، وإما باللينوتيب إذا تيسر الحال، المهم لم أوفق للاتفاق مع أى مطبعة لإنجاز المهمة فى الزمن المحدد، قبلت التحدى، وغامرت بالاتفاق مع عامل بسيط (اسمه "فكرى" على ما أذكر) فى مطبعة متواضعة أن أشترى له صندوق حروف، وأن يأخذ إجازة من المطبعة بعد أن استأذنت صاحبها، وأن يقيم عندى فى حجرة بالجراج، وأن يواصل جمع دليل المؤتمر ليل نهار ثم نرى، وتمت المهمة بالتوفيق، وانتهى المؤتمر على خير.

وحين حاول "فكرى" الرجوع إلى عمله الأصلى حالت ظروف صاحب العمل دون ذلك، وشعرت بالمسئولية دون ندم، سألنى فكرى إن كان عندى ما ينشغل به ويشغله حتى يجد عملا فى مطبعة أخرى، وفى نفس الوقت أستفيد من صندوق الحروف الذى اشتريته، ولم يكن عندى شىء جاهز فعلا، ففكرت أن أنتهزها فرصة، وأقوم بشرح متن هذا الديوان "سر اللعبة"، وبذلك أوفى بتعهدى (للمرحوم) صلاح عبد الصبور أثناء مناقشته للديوان معى فى البرنامج الثانى فى الإذاعة المصرية، وذلك حين مدحه بكرم وسماح، وهو يصر على أنه شعر قُحّ، وأنه يستحيل أن يكون سردا لمراحل المرض النفسى من عمق معين كما قلت له أثناء الحوار. سألت "فكرى": كم يلزمك لتشغل ساعات عملك اليومى وتحصل على نفس أجرك المعتاد حتى تجد عملا؟ وقال لى إنه يحتاج إلى ستة عشرة ورقة فولسكاب بخط اليد تقريبا، ووعدته بأن أعطيه كل ليلة ما يكفى عمله فى اليوم التالى، فخرجت الطبعة الأولى.

يبدو أن نفس الحكاية (السكريبت) تتكرر بالنسبة لهذه الطبعة الثانية، بعد إحلال نشرة الإنسان والتطور محل الابن "فكرى" جامع الجروف

وبعد

بدأت تجربة التحديث اليوم تمهيدا لمواصلة إصدار الطبعة الثانية، فخطر لى تنظيما وتبويبا واقتراحات شعرت معها أننى أحتاج إلى آراء ونقد الأصدقاء والزملاء، قبل أن أواصل المشروع.

وفيما يلى بعض ذلك:

أولا: تصورت أنه من الممكن أن أعفى نفسى - بعد ربع قرن - من الالتزام بأسلوب "الشرح على متن شعرى"، وأجعل المتن فى الهامش، مع الاحتفاظ بكل المعلومات الواردة وتحديثها، ولكننى عدلتُ إلا قليلا.

ثانيا: هممت أن أعيد ترتيب الموضوعات، وأن أبدأ بالفصام (مثلا)، باعتباره، حسب التنظير الذى ورد فى هذا العمل (وفى كل فكرى) المرض الأخطر، أصل كل الأمراض النفسية باستثناء الأمراض التلفيّة العضوية، إلا أننى حين بحثت فى حاسوبى، وفى هذه النشرة اليومية عن ما كتبته عن الفصام من تنظير وحالات، وشرائح (باور بوينتPP) وجدتها تربو على ألفى صفحة، فى حين أنها لا تشغل فى هذا الكتاب المراد تحديثه إلا تسع وتسعين صفحة، فتيقنت أن كل مرض من الأمراض قد يحتاج كتابا مستقلا له علاقة ما بما ورد فى هذا العمل الحالى، وأنه أبدا لا يجوز أن يُختزل إلى ما جاء فى هذا العمل، الذى أن ينقلب بهذا التعديل إلى مرجع تقليدى لا لزوم له.

ثالثا: عدت ففضلت أن ألتزم فى هذه الطبعة الثانية بالنص الاصلى الذى صدر فى الطبعة الأولى وأن أحجز له نشرتى الثلاثاء والأربعاء من كل أسبوع بصفة مبدئية.

رابعا: قررت أن أطرح الآن ما خطر لى من خطوط عريضة طلبا للرأى والنقد والتعديل، ويمكن إيجاز بعض تلك التوجّهات فيما يلى:

1. تصحيح ما يحتاج إلى تصحيح
2. إضافة ما وصلنى من الخبرة والاطلاع فى هذه المدة التى ناهزت الربع قرن
3. فصل المتن الشعرى فى هوامش، كما أشرت سابقا.
4. إضافة استشهادات إكلينيكية من حالات بعينها
5. إضافة بعض الاحتمالات التطبيقية العملية
6. توضيح بعض الأجزاء برسوم تخطيطية، (برغم اعتراض أغلب من استشرتهم).

7. استمرار الإصرار (مع الاعتذار) على تجنب الاستشهاد المباشر - ما أمكن ذلك- بمراجع أجنبية لمجرد حداثتها أو حبكتها.

8. زيادة الإحالة إلى المراجع الأحدث، اللازمة لدعم بعض الفروض والرؤى، أو المثيرة للنقد الموضوعى.

9. محاولة الربط مع منظومات المعارف الموازية الأخرى (فى غير مجال الطب النفسى، والعلوم النفسية).

10. تنشيط الحوار مع ما يصلنى من تعليقات واستفسارات أولا بأول.

يحيى الرخاوى

الأحد 3 أكتوبر 2010

يا تُرى: ما رأيكم دام فضلكم؟

الذى حدث بعد كل هذه النوايا هو ما سوف نقرأه فى نشرة الأربعاء غدًا.

وأشهد الجميع بصدق القصد وحسن النية حتى الغد.

- لعل الفرق بين الطبعة الأولى والثانية ، هو الفرق بين إهداء كل منهما !

- Documentation

- Verification

- كنت أشرت إلى بعض ذلك فى نشرة سابقة **"الورطة "**

- أول مرة أستعمل كلمة التلفية (تلف تلفاً: هلك وعطب، و.. ويقال أتلفَ .. أفنى..

- هذا ، ومن واقع خبرتى السابقة فى هذه النشرة، فإننى على يقين من أن التعقيبات أولا بأول، سوف تتيح الفرصة - قبل النشر الورقى، أو نشر الكتاب مجتمعا- لتوضيح الغامض، وتفصيل المختصر، وتصحيح الخطأ، كما كان الحال مع معظم محتويات النشرة، وخاصة باب "التدريب عن بعد"، (الإشراف على العلاج النفسى).

ملحـــــــق ردود بريـــــــد الجمعـــــــــة

دراسة فى علم السيكوباثولوجى (الكتاب الثانى) (2)

شرح على المتن: ديوان سر اللعبة

أ. رامى عادل

الكلمه بكل زخمها وطاقتها قادرة علي التغيير, اذا كانت صادقه, الكلمه تفعل (بضم التاء وفتح الفاء وكسر العين), وابلغ دليل كلام د. محمد يحيي الرخاوي, لان الكلمه موجوده معاه بيحاورها وكنها تنطلق به للحياه, وترفع من معدلات الافيون كذلك, وكانه يستعيض بالكلمه عن الغناء مثلا, وكانه يعبد الله كلمه ايضا, والكلمة معه هي الحب بكل ثرائه واندفاعه, الكلمة هي المعركه في حياة وكفاح محمد يحيي الرخاوي, محمد يحيي الكلمه معناه وتصنيفها, وكل ما يخرجه من جعبته هي سهام موجهه في الكلمة, الكلمة يبدو انها تشفيه ولا تشقيه, محمد يحيي يلعب نعم لعبه عنيفه نعم, كلها كلمات فاعله حيويه مرنه مقايسه, يقع ليقوم, محمد يحيي لا يستخدمكلمات عاديه هو يستخدمها ليهزمنا. الكلمة لا تنفصبل عن وجودك الكلمه هي عنوانك، الكلمة اصلك وفصلك وجوهرك, الكلمة هي نيرانك المتراقصة معك يا محمد يا استاذنا الرافض اللامع.

د. يحيى:

أحيلك يا رامى إلى محمد ثانية.

د. مدحت منصور

أقترح على حضرتك أن يبقى يوم الاثنين (يوم إبداعي الخاص) لعرض الأعمال الأدبية حيث أن الأعمال التخصصية و التي تنشر الثلاثاء والأربعاء ستكون شديدةالجفاف على غير المتخصصين ولو أني لم أختبرها للآن مع إيقاف السلسلة في حالة ظهور إبداع جديد من شعر أو قصة جديدة ومن ثم الاستكمال كما أقترح بعد إذنك أن نبدأ بالترحالات وشكرا.

د. يحيى:

أعدك أن أنظر فى كل ذلك.

*****

دراسة فى علم السيكوباثولوجى (الكتاب الثانى) (1)

لوحات تشكيلية من العلاج النفسى شرح على المتن: ديوان أغوار النفس

م. محمود مختار

بصراحة ماعنديش كلام غير اني مبسوط مبسوط من ثلاثاء واربعاء كل أسبوع. حيث اني قرأت الديوان أكتر من مرة واحترت وتألمت مع جنازاته وضحكت

وبكيت من عيونه وتحمست استماعا لأغانيه. وحاسس ان الكلام حول الديوان حايزود ثروتي قوي. جزاكم الله خيرا.

د. يحيى:

ربنا يسهل، حتى على حساب تشويه الشعر،

شكراً.

م. محمود مختار

لماذا الحديث المتكرر عن الرحيل. هذه الحقيقة يكفينا ألم وجودها وحدوثها بين الحين والأخر لأعز الناس. فلا تزيد الألم من تكرار ذكرها أطال الله عمرك ومتعك بالصحة والعافية. ده أنا باربي نفسي من الأول وجديد على أيدك يابا وأحنا لسة يادوب في سنة تانية. أقولك: مش حاقول عقبال السنة العاشرة لأ عقبال السنة العشرين. ومتقلشي إزاي. قول ان شاء الله.

د. يحيى:

يفعل الله ما يشاء ويختار،

طالما هو مازال يسمح لنا بفسحة من الوقت فعلينا "أن نملأها بما هو أولى بالوقت" كما كررت مرارا رواية صديقنا "حافظ عزيز" عن بعض الصوفية.

د. محمد أحمد الرخاوى

يا عمنا، انت تشرح ديوان اغوار النفس وليس ديوان سر اللعبة. لذا لزم التنويه.

د. يحيى:

أشكرك يا محمد، آسف، غلطة لا تليق، ومع ذلك قد يكون لها مغزى لا أعرفه، لو ضبطنى هكذا مولانا سيجموند فرويد لرجّح أنها رغبة لا شعورية فى تأكيد تواصل الديوانين، خصوصا بعد استعمال نفس عنوان الجزء الأول، "دراسة فى علم السيكوباثولوجى 2".

وقد تم التصحيح فورا منذ أول أمس، وكذلك فى النشرات الثلاث السابقة. شكرا.

أ. عبير محمد

أنا معاك هناك العديد من المخاطر من وجود هذه المعلومات فى متناول الشخص

العادى، حيث أنها قد تعطل المريض، حيث قد تزيد بالفعل جرعة العقلنة لديه، وبالتالى يربط كل عرض لديه بالكتاب، مما يحرمه من المعايشة الحقيقية واحتمالية وصول شىء ما له.

كما أنها قد تعطل المعالج إذا قام بها دون رؤية هذه الأعراض فعلياً على المرضى، حيث إن قراءاتى قبل بدء العمل كان لا أهمية لها بقدر ما كانت بعد رؤية المرضى والتعامل معها فعلياً.

د. يحيى:

... لسنا أوصياء على حرية تلقى الشخص العادى، ثم إن كل واحد – عادى أو مختص – مسؤول عما يقرأه، أو يشاهده قبل أو بعد أو أثناء الممارسة، هى تحفظات واردة وليست تعليمات مفروضة، أو نواهٍ مقدسة.

****

دراسة فى علم السيكوباثولوجى (الكتاب الثانى) (3)

لوحات تشكيلية من العلاج النفسى شرح على المتن: ديوان أغوار النفس

أ. رامى عادل

كله يدلع نفسه, وانا كمان بالمره, علي فكره الكلمه اللي بتسمعها يا عم يحيي غير المكتوبه خالص, ثم حضرتك داخل عش الدبابير وانت متسلح باقوي سلاح, وداخل مفاوضات من اللى بتقطع نفس اجدعها تخين, اقصد انك لو مدخلتش كلية الطب من اصله وعرفت المجانين (اللي هم احنا) دول كلهم, دنت تبقي جهبذومحصلتش, وتتحدي افخمها شركة دواء, دنت بتخترق الغيب ويا المجنون, محدش يقدر ينكر انكم بتفتحوا السماء وبتدخلوها, وبتطلعوا سوا فوق السماء السابعه, يبقي ماتستكترش علي نفسك انك تجاهر بكرهك لشرك سياسات الشركات اياها, ثم اكيد حضرتك فاقس شوية حاجات من خباياهم وخبايانا, رغم انك مش باين عليك انك تعرف ايها سر او بتمارس ايها سحر علي فكره انا عند رايي ان عيادتك ومكتبك دي زاويه, وانك قصادك بلوره تري فيها كل اللي تتمني وتشتهي, وربنا يديم المعروف, وتوصل خبرتك للي يستاهلها باقصر الطرق ان مكانش انفعها.

د. يحيى:

ولماذا أقصر الطرق؟

دعنا نلقى بما عندنا سويا كيفما اتفق،

وسوف تشق المياة طريقها لتتكون الجداول، ثم تتجمع أو لا تتجمع، المهم أن تروى العطاشى، ليساهموا معنا فى المحاولة المتجددة باستمرار، لتعمير أنفسنا والناس بما نستحق.

****

دراسة فى علم السيكوباثولوجى (الكتاب الثانى) (4)

لوحات تشكيلية من العلاج النفسى شرح على المتن: ديوان أغوار النفس

أ. رامى عادل

رشاد يقول: انا مندهش بحق وحقيق, ساعدوني يا ناس, اشمعنا انا اللي اختارتني الحقيقه, يا جماعه لازم تشوفوا اللي انا شفته (الحقيقه), الحقيقه زودت وحدتيودفنتني في التراب بعيد, واللي مستغرب له اني باتنفس تحت, وكاني بتنفس تحت الماء, يا ناس فوقوا, اشمعنا انا, لازم تصحوا علي الحقيقه, مش انا لوحدي اكيد انتم كمان ممكن تفهموها وتفهموني, يا ناس يا دكتور انا اتفتحت لي طاقة القدر, ارجوكم فسروا اللي بيحصلي, مش ممكن تكون دي نهايه ابدا. اشعر يا عم يحيي وكان صدمة التجربه والحقيقه تجعل من الانسان كائنا غريبا غير مرحوم, فالحقيقه تطير بالصواب ولا يتبقي منه سوي ركام, فتتبقي الدهشه ومحاولة تفسير ما يحدث من اي كائن كان, فان يري رشاد خوارق واضواء تخترقه, فيسال نفسه اشمعنا انا وليه انا بالذات ويا تري انتم حاسيين , حقيقي الدهشه بداية الفلسفه, وهو ده اللي حاصل ويا اي مجنون, بيقول ياناس فوقوا واصحوا في حاجه تانيه في واقع تاني في كارثه مستخبيه, ولازم ترونها وتتحملوا الجرعه اللي مقدرتش اتحملها لوحدي,يا بني ادمين ماتصدقوش اننا لوحدينا, ابواب السماء مفتوحه, ودي شباك الحقيقه,هي هي النافذه, اللي بنبص منه وراها على العالم التاني والتالت والرابع ,سوا ممكن نرحل ونتوه, تغربنا الحقيقه بعيد عن حقيقتنا.

د. يحيى:

هذه يا رامى الحقيقة التى تصورت أن رشاد يشير إليها فى أول مقابلة، وقد بدأت معه الحوار على هذا الأساس، لكن تبين لى أنه كان يقصد نظرات الناس ومكائدهم.

فتراجعتُ،

لكنك هكذا أضفتَ يا رامى لأصدقائنا فى الموقع ما كنت أعنيه ولم أتراجع عنه فيما تلى ذلك من حوارات ولقاءات مع رشاد الذى أحتفظ -بالإضافة- بحقه أن يظل يرى "حقيقة ما حدث فى تنظيمات مخه بما أسميته الحاسة الداخلية (العين الداخلية).

وروعة الفائدة والحوار بيننا هكذا هى أن هذه المستويات الثلاثة تكمل بعضها وبعضا، وأعيد عنونتها كما يلى:

أولاً: الحقيقة التى تحدثتَ أنت عنها فى تعقيبك هذا .

ثانياً: الحقيقة التى أسقطها رشاد إلى الخارج فاصبحت ضلالات واضطهاد ونظرات الناس "الشر" .

ثالثاً: الحقيقة التى مارس فيها رشاد نشاط "عينه الداخلية".

أما الحقيقة الكبرى التى تلوح من كل ذلك فهى جمّاع كل هذا بمسئولية مستمرة إليه، إلينا، إلىّ ، وهكذا .

هيّا ..

*****

دراسة فى علم السيكوباثولوجى (الكتاب الثانى) (4) لوحات تشكيلية من العلاج النفسى شرح على المتن: ديوان أغوار النفس

د. أحمد عثمان

المقتطف: وعلى الطبيب ان يحاول من خلال هذا وذلك ان ينتصر بهما فى ولاف ارقى، ويا ليته ينعل!

التعليق: ارى ان هذه جملة شديدة التعقيد ومتعددة التى اكيد من حيث وجود الآخر والمستويات والزمن والحركة والمُخاض/ التخليق، ومن ثم تطبيقها (وياليته يفعل) يجب ان يسبقه المام بتفاصيل ومفاهيم كثير ازعم انها لا تُمارس الا فى مدرستكم التى اشرف ان انتمى اليها ويصحبها تخوفات كثيره منها عقلنه الممارسة من ثم اجد هناك مسئولية متزايدة فى كيفية تسهيل تحقيق هذه الممارسة واكررها (يا ليته يفعل).

د. يحيى:

التخوفات ممتدة عادة، وكثيرة، وحقيقية،

لكن لا ينبغى النفخ فيها حتى تصبح معيقة.

إن خلقه ربنا سلسلة سهلة،

نحن الذين ننسى، ونفسدها، ثم نشكو، ونتوقف.

شكراً

د. محمد على

أظن أن الحقيقة هى الشئ الوحيد الذى يحركنا ونسعى له طوال الوقت، هذا الدينامو الذى يحرك حياتنا وبدونه تصبح الحياة لا معنى لها.

د. يحيى:

ومع ذلك أحذرك من تصور أننا نعرف ما هى "الحقيقة"،

أظن أننى وصلت عدة مرات إلى أن "الحقيقة" هى السعى إليها، لتظلّ مجهولة أبدا، إلا كثيرا، ثم إلا قليلا، ثم إلى أقل، وهكذا،... لكن هناك دائما "إلا"...

أ. محمد المهدى

مش فاهم: بصراحة الموضوع ده كان ملخبطنى جداً (يعنى إيه الحقيقة) إنى أن أهتديت أن الحقيقة دى مفهوم نسبى والحقيقة الوضعية فى حياتنا أننا كلنا هنموت ومن وقتها أبتديت أمشى بنظرية الاحتمالات وده ساعدنى كتير المشكلة حضرتك أن كل واحد عايز يثبت أن حقيقته هى اللى صح وده بيعطلنا، لكن اليومية رجعت لخبطتنى تانى وما بقيتش قادر أفرق بين (الحقيقة الداخلية) و (الحقيقة الخاصة) أرجو التوضيح اكثر.

د. يحيى:

صعب أن أوضح أكثر فى هذه المساحة

ربما احتاج الأمر منك أن ترجع إلى حالة رشاد كلها إذا كنت لم تقرأها مكتملة، فهى أكثر من مائة صفحة.

* * * *

دراسة فى علم السيكوباثولوجى (الكتاب الثانى) (5) لوحات تشكيلية من العلاج النفسى شرح على المتن: ديوان أغوار النفس

د. على الشمرى

مرضى الفصام مشكلتهم الكبرى انهم يرون الحقيقة التي تصل عقولهم بواسطة حواسهم وادواتهم الخاصة وهم يدركونها هكذا وعندما يناقشون الاخرين بحقيقتهم الخاصة يستغربون مايقولون ويصفون كلامهم هذا بالتخريف والجنون وعلى عكس مايعتقد البعض قابلت العديد من الفصاميين فوجدت لديهم كم لاباس به من البصيرة وبعضهم في بحث دائم لحل هذا الاشكال المتمثل بالفرق الصارخ بين حقيقة مايدركون وبين حقيقة مايدركه الاخرون. والدكتور يحى الله يعطيه الصحة وطول العمر نبهنا الى نقطة في غاية الاهمية ان المعالجة الدوائية ربما ساهمت في عدم تعمقنا في دراسة هذا الاشكال .وقد تكون المشكلة ليست يعتقدها كثير من المختصين في هذا المجال .والادراك الحسي لدى الكائن البشري يشوبه بعض اوجه القصور فنجد بعض الكائنات الاقل تطورا من الانسان تدرك ماقد يحدث اكثر من الانسان الايوجد احتمال ان يكون الفصامي بعد التغيرات التي تحصل على مستوى المخ تعطلت لديه كليا او جزئيا ادوات الادراك العادية واصبحت الادوات غير العادية هي المتاحه لديه ولهذا يرى حقيقة مختلفة تماما عن حقيقة مانرى اقول ذلك من باب الاحتمال ولو بنسبة ضئيلة للغاية ومن ثم الايستحق ذلك منا الدراسة والبحث والتعمق في هذا المجال ربما نتوصل الى حقائق وتفسيرات منطقية تخفف كثيرا من معانات هولاء المرضى.

د. يحيى:

يستحق الدراسة ونصف

وهل نحن نعمل غير ذلك؟

أتفق معك فى الخطوط العامة، لكن لى عودة للاختلاف بالنسبة للتفاصيل.

*****

دراسة فى علم السيكوباثولوجى (الكتاب الثانى) (4)

د. محمود حجازى:

مازالت غير مستوعب استقبال غير المتخصص، وربما أيضا من لم يعرف د. يحيى سابقا لهذا الكلام وبهذا الاسلوب!

ويؤكد تخوفى هذا احتياج حضرتك إلى الإستطراد والحواشى التى أحيانا تحتاج إلى شرح.

د. يحيى:

عندك حق

د. محمود حجازى:

تعريف الحقيقة "مش فاهمه، المسألة تحتاج للشرح.

د. يحيى:

كفى هذا فى هذه المرحلة،

دع ما يصل يصل

د. محمود حجازى:

حجم الرؤية التى تطرحها واسع وواضح أيضا بطريقة مفاجأة، مما ذكرنى أحيانا (ربما لعدم فهمى) أثناء المرور الإكلينيكى أنك تُلبِس للعيان الفرض الذى تطرحه.

د. يحيى:

يجوز

لكن أبدا

ثم يجوز

د. محمود حجازى:

هذه الرؤية العميقة الصادقة (على الأقل مما وصلنى) ألا تحتاج لغة أسهل للطرح؟

إذا كانت شركات الأدوية تستعمل العلم وهات يا دراسات وأرقام وأبحاث ألا يحتاج هذا الطرح إلى وسيلة (لا أعرفها حتى الآن)، لإيصاله إلى كل من يهمه الأم، من غير "إثبت لى وأثبت لك".

د. يحيى:

شركات الأدوية لا تستعمل العلم، هى قد تستعمل بعض جزئيات العلم، وأحيانا بعض المعلومات، أما مجمل المنظومة وهدفها فهو زيف فى زيف، حتى يمكن أن تمتد صفة الزيف إلى العلم الذى تستخدمه تسخره هذه الشركات اللاهى بلا نهاية.

د. محمود حجازى:

لو أن الموضوع بهذا الوضوح والموضوع حقيقة، وتبلغ للمريض إن ده من جوه مش من بره، وأنه يستقبلها أو يسقطها على بره، ليه مرضى كثير مابيخفوش ومتمسكين بالمرض، رغم ألم الرؤية، وهو مش جاهز لها، ليه مابيرجعش عن المرض؟.

د. يحيى:

المسألة ليست تبليغاً للمريض أو إفهاما له بالمنطق والبرهان اللفظى.

المسألة هى إعادة ترتيب المعرفة المعيشة "معاً".

أرجو أن ترجع إلى باب "حالات وأحوال" الذى توقف نتيجة عدم المشاركة أو ندرتها.

***

دراسة فى علم السيكوباثولوجى (الكتاب الثانى) (5)

د. محمود حجازى

تقول:

"حين تتحول الدفاعات اللاشعورية إلى آليات وعى تخترق مؤلمة، وتحتد بصيرة الطبيب وتتواصل الخطوات نحو الرؤية بشكل مقتحم من الداخل وحينئذ لا يملك الطبيب الأمين أو أى مغامر نحو المعرفة لها صدا".

ألا يشكل هذا خطر على الطبيب من احتمالات اللاعودة، أو عدم السيطرة، وبالتالى المرض.

وهذا يحيلنا إلى بعض المرضى ممن ماراسوا الطب النفسى، هل كانوا مرضى وقرروا الإختباء فى الممارسة، أم العكس.

د. يحيى:

لا توجد حلاوة بدون نار (مافيش حلاوة من غير نار)

ومن أراد الجميلة يدفع مهرها، لكن بحذر ومسئولية.

والحذر من الطبيب (الذى غامر ولم يعُدْ) واجب جدا جدا، خصوصا الآن .

هناك فى التاريخ ما يثبت أن هذا الخطر قائم قائم الطبيب النفسى مريضا يسقط مرضه على مرضاه حتى يعالج هو أو ينكشف، ومن هنا وجب الإشراف المستمر ما أمكن ذلك.

د. أسامة فيكتور

قلت أخطــَف نظره عالمَاشى واغْمَضْ مِن جديد،

هيّه نظره – واللىّ خَلقكْ– لم تَنِيتْها

التراجع عن لحظة التنوير لا يتحقق أبداً فيواصل الطبيب الكشف والتعرى، فآلام البناء والنمو استكمال المسيرة، شكله بيحصل غصباً عننا.

د. يحيى:

مرة أخرى: "لن يتطور إنسان باختياره فما أصعبها خطوة، ولن يكمل الطريق إلا باختياره، فما أشرفها رحلة".

(الحكمة 750: من كتاب حكمة المجانين)

***

دراسة فى علم السيكوباثولوجى (الكتاب الثانى) (6)

د. مها وصفى

أرى أن التنويه للأخطاء الإعلامية الشائعة فى وضع علم النفس والطب النفسى، فى غير مواضع الاحتياج المجدى والجاد، له ضرورة ملحة. ولابد للإعلاميين والأطباء على حد سواء أن يقفوا عند هذه المقالة ويراجعوا نفسهم بلا غضاضة للحفاظ على المصداقيه والجودة لمن يهمه الأمر.

د. يحيى:

وهل هم سيقرأونها أصلا يا مها؟

أ. علاء عبد الهادى

عندما أجد وجه شبه بينى وبين المريض لا أحاول الهرب، أو أن أنكر ذلك، بل علىّ دائماً أن أحاول مساعدته من خلال العمل فى منطقة الدفاعات مع شرح سيكوباثولوجية ذلك له، وربما ذلك أسهل علاجيا بالنسبة لى، من ذلك المريض الذى لا أستطيع فهمه.

د. يحيى:

أغلب المرضى، مع الصبر والمثابرة، يمكن فهمهم، ثم إنه مع الإشراف تكون النتيجة أضمن.

أ. محمد إسماعيل

هل أنت مع دور الطبيب النفسى فى المجتمع ولا ضده؟ حضرتك دايما تقول إنه له دور أبعد من المهنة والتخصص، يبقى إزاى ما يتدخلش فى كل حاجة؟ فهو مع مسيرة النمو والنمو داخل فى كل حاجة، بما فى ذلك نمو الشعوب والوعى الجماعى ودورنا فى تغيير الوعى الجماعى.

د. يحيى:

أنا مع كل هذا، كنتاج جانبى لعملنا الأساسى فى الطب النفسى كمهنة، وليس كهدف أساسى نفرض من خلاله الوصاية، أو نتعسف فى التفسير.

أ. محمد المهدى

هو ليه الإعلام والساسة وحتى الناس العاديين مصممين يدخلوا الطب النفسى، وعلم النفس فى كل أمور حياتهم بدعوى تحسين الحياة، اللى هما أساساً مش عارفيين يعيشوها؟ علشان كده بيحاولوا يحتووها قال يعنى؟! أنا مش عارف إيه السبيل إننا نوصّل للناس أنهم يعيشوا الحياة ببساطة زى آبائنا وجدودنا؟ أو ليس نفسنة الحياة تزيد من تعقيدها؟! أرجو الإفادة.

د. يحيى:

الأرجح عندى أن الأطباء النفسيين، مثلهم مثل الإعلاميين مشتركين فى هذه المسئولية، ولهذا أسباب معقولة، وأسباب أخرى لا أريد أن اتطرق إليها، أما حكاية زى أجدادنا فأنا لا أوافق عليها، ليس عندى ما هو أفضل من الحاضر "الآن" لأنه هو الذى يمكن تغييره إلى ما نريد.

أ. محمد المهدى

أعجبنى جداً عنوان اليومية وأرى أن اختيار كلمة "نفسنة" هو اختيار موفق خاصة مع ما أوردته حضرتك من تصنيفات اللقاءات الإعلامية للنفسين وتساءلت هل هناك رابط بين كلمة (نفسن) الشائع استخدمها حديثاً فى قاموس الشباب المعاصر وبين ما أوردته حضرتك لعنوان اليومية (نفسنة الحياة المعاصرة) ومدلولها.

د. يحيى:

شكراً، وإن كنت أريد المزيد من التوضيح حول معنى "النفسنة" فى "قاموس الشباب".

أ. محمد المهدى

أوافق حضرتك تماماً على عبارة "عش القلق وأقتحم الحياة" فكيف للإنسان أن يدع القلق، وكل ما حولنا فى حياتنا المعاصرة مقلق، فإذا ما ترك القلق كما هو شائع سيراه محيطاً به من نواحى أخرى يعنى لو بطلنا نقلق من (الأزمة العالمية، الفيوسات، التوريث) هنلاقى مليون حاجة تانية نقلق منها، علشان كده أرى أن معايشة القلق أفضل.

د. يحيى:

القلق مسؤولية، ودافع، وإنذار.

فكيف ندعه بالله عليك؟ ندعه لمن؟ إلى أين؟

د. محمد الشاذلى

بالرغم من أن اليومية تشير إلى كيف يتولى الطبيب النفسى دوراً ليس دوره، إلا أن ما يشغلنى أكثر هو لماذا يزج الناس بالطب النفسى فى كل شىء؟!..

إن دور الطب النفسى والطبيب النفسى يحتاج إلى توضيح بالنسبة للممارس والمريض فى نفس الوقت...

مثلاً عندما يستعرض أمامى أحد الأصدقاء مشكلة تواجهه أو تواجه أحد معارفه.. ويسألنى فى تلقائية: "أنت شايف إنى/ إنه محتاج طبيب نفسى"؟!

وبغض النظر عما إذا كانت المشكلة نفسية أو اجتماعية أو أزمة عابرة أو ليست مشكلة من الأساس فإن ما يجول بخاطرى وقتها.. أن التعمق الحقيقى فى قراءة أى نص بشرى – استعير هذا التعبير منك – يذيب الفوارق والتصنيفات بين أنواع الأزمات.. وهذا ما يزيد العبء والمسئولية تجاه كل ما هو إنسانى.. ويزيد حجم الدور بشكل يكبر مع الوقت بطريقة لا نهائية.

د. يحيى:

هذا صحيح

مع الانتباه إلى أن المنطق السليم هو الأصل.

ومع الانتباه أكثر إلى ضرورة الحذر من ممارسة الفتاوى النفسية فى الحياة العادية حتى للأصدقاء.

أ. ميادة مكاوى

أعجبنى كثيراً إن الشرح قد سبق المتن، وقد ساعدنى ذلك فى استيعاب المتن بشكل مختلف.

أعتقد أن التصنيف الذى ورد فى اليومية مفيد لكل من يمارس العلاج النفسى فى أن ينتبه لدوره الحقيقى والفعال فى الممارسة.

ولكنى أتساءل هل لجوء الناس للطب النفسى فى كل صغيرة وكبيرة هو إستسهال؟ أم أزمة حقيقية من جوانب متعددة؟.

وهل مبالغة الإعلام فى زج الطب النفسى وعلم النفس فى كل أمور الحياة هو إلهاء؟ أم توعية؟ أم رفاهية؟؟

أعتقد أن المشتغل بهذا المجال (الطب النفسى) له دور أساس فى أن يضع دوره فى نصابه الصحيح من خلال ممارسته أو حتى من خلال الإعلام.

د. يحيى:

مازلتُ مترددا يا ميادة فى جدوى هذا الشرح قبل أو بعد المتن، ومع ذلك أواصل حتى أتوقف، أو ينتهى العمل أيهما أسبق.

من يدرى؟!

د. احمد عثمان

ما استطيع ان اشارك به بعد قرائتى لهذه اليومية هو ازدياد الوعى بابعاد هذه النوعية من الممارسة العلاجية. منها:

1- هَمْ الممارسة المسئولة.

2- التواصل (التناغم) يكون بين من يسمح له من الداخل عندى وعند المريض لولاف أعلى.. (على الرغم من حضور تخوفات/تحفظات (العقلنة)

3- التطمين يأتى من النتائج فيه وفى المريض متجاوزاً العقلنة، خاصة فى حال توفير محكات لقياسات موضوعية لتلك النتائج.

د. يحيى:

هذا صحيح عموما.

د. محمود حجازى

"الطبيب دا هو أنا مش حد غيرى"

هذا ما وصلنى حتى قبل أن أبدأ فى قراءة، التوضيح الذى بدأت حضرتك بيه اليومية، فأنا لم أتصور حتى الآن من يستطيع أن يمارس الطب النفسى بمثل هذه الطريقة سوى د. يحيى الرخاوى

د. يحيى:

طبعا لا.

ثم إنى لم أقصد ذلك الجانب الإيجابى للممارسة.

هذه العبارة تمثل كل السلبيات (لا الايجابيات) وقد حاولت أن أدعى نسبتها إلى شخصى خوفا من أن يظن الزملاء أننى أهاجمهم أو أشوههم دون نقد ذاتى.

***

_ دراسة فى علم السيكوباثولوجى (الكتاب الثانى) (7)

د. أميمة فعت

شرح المتن مفيد جدا، ولمن يقرأه جيدا يحل له إشكالات كثيرة ويجيب على أسئلة قد تخطر على باله أثناء عمله كمعالج. ليس عندى أى تعليق أو سؤال ولكننى أستمتع وأستفيد ، فأكمل إذا سمحت ولا تظن أننا لا نشارك إذا قلت الردود مثل ما حدث فى حالات و أحوال.

د. يحيى:

أشكرك

هذا تشجيع جديد برغم احتمال تشويه المتن الشعرى بالشرح.

"الابداع المفيد دمه ثقيل!!" (معنى قاله أوسكار وايلد يوماً ما، لا أذكر نص كلامه).

أ. جاكلين عادل

لقد أعجبنى جداً مصطلح "الطبيب أصبح مهندس للعقول البايظة (يعنى...!!!)، وتذكرت أن أفضل ما يعطينى الدافعية للتكملة هو إنى أعمل فى موقع يساعد الناس على التغيير والنمو والعيش بحياة أفضل، ولكن عندما سمعت هذا التعبير تذكرت أن كل من الممكن أن يهندس على مزاجه بما هو جاهز، ومن الممكن أن يفيد، كنت أشاهد برنامج تليفزيونى رائع الصيت يستضيف أحد الأطباء النفسيين والمشاهير دون ذكر اسمه وعرض طريقته لعلاج الإدمان وتبرع بعلاج 30 حالة على نفقته بالمستشفى الخاص به، وأنا أعلم طريقته فى العلاج فتذكرت هذا التعبير وخشيت منى ومن غيرى، وأدركت كم هى مسئولية وأمانة صعبه.

د. يحيى:

ربنا يسهل.

د. عماد شكرى

يختلط علىّ الأمر كثيراً بين أن أكون معالجا يتحرك وينمو ويواكب أو طبيبا يعالج المرضى كما هم إلى ما يريدون ويأكل عيش، ولا أعرف هل المرض كافى لإطلاق الحركة نحو التغيير والنمو لا أعرف.

د. يحيى:

المرض نفسه لا يحرك الحركة نحو التغيير

لكنه فرصة حقيقية تتيح تحقيق هذا الاحتمال، وهى خبرة صعبة تماما، واحتمالها أقل.

أ.رامى عادل

المقتطف:

بصّ لى "صاحــبْــك" ولعبَّلى حواجــبْــهْ، قال: وقِعت

التعليق:

ان ترى العالم مسرحا يقف اعلى ناصيته المهرج الاعظم، ويراك فى زاويتك منسحبا مهزوما "غصبا عنك"، تلطمك الدنيا وتلطمها، تدير لك ظهرها فتركلها، كل هذا يحدث وهو ينتظر منك ان تدغدغه، فانت فى موقف بهلوان اخرقزم جدا امام تجبره وعظمنه، وتشيلك الايام وتحطك وتهبدك، اكمن جنابه واقف موقف المتفرج، وانت مش بمزاجك بتشهد الماساه، المذبحه اللى قررهو حدوثها بالفعل، لازم تستصرخ، او تستنجد يايها حد، وهو بيقوم بدور حزاينى يا حرام اكمنه وحيد، ومفيش غيرك يدغدغه، ومفيش فايده، المسخره مش هتكمل عل بركه الا بيك، فانت المسئول عن تعتعة ذاته والمثول حاضرا دوما بين يديه، لا تزيغ عن امره، فقط تستجيب لمسرحيته الهزليه، التى تقوم انت فيها بدوره المسكين، وهو يتفرج عليك الامنك، ويجب ان تقوم لك قومه لتكمل لسيادته الفصول الأخيرة، والتى تليها من مسرحيته المغروره المحركه ذات القالب الكومى- تراجيدى اللى محصلش، مش هى دى القضيه يا ولاد البهوات، مش ده الدور اللى مرفوض معايشته، انكم تبقوا بهلوانات.

د. يحيى:

وهذا مثن آخر، يحتاج وقفة

شكراً.

***

<u>دراسة فى علم السيكوباثولوجى (الكتاب الثانى) (8)</u>

أ. السيدة

المقال بتاريخ 2009/7/1 معه صورة صعبة جداً "إنسان غرقان، وكمان فيه وحش بيفترسه، "ليه بس كده"؟.

د. يحيى:

أعيد عليك بعض المتن:

.... دى المركب الماشـــيْـــهْ بلاَ دَقّهْ ولا مـــقِـــلاعْ حَاتُشْرُدْ مِنـــنّا،

واوْعَى الشـــُقـــُوقُ تـــوِسْـــعْ يا نايم فى الـــعَـــسَلْ،

لا المَّيهْ تِعْـــــلى، تزيدْ، تزيدْ،

.. مّيةْ عطنْ، تـــكْسِى الجلودْ بالدَّهْنَه... الخ.

د. مدحت منصور

أقترح نشر كل نص شعرا كاملا دون شرح في حلقة لنتذوقه شعرا نحن غير المتخصصين ويترك فينا ما يترك ويحرك ما يحرك ثم نبدأ بتقطيعه وشرحه للمتخصصين ومن شاء من غير المتخصصين لأن الشرح مهم جدا في إثارة الجدل في المتخصصين كنقد لأساليب العلاج النفسي والممارسة مما سيكون له أكبر الأثر فيما أظن على المتخصصين.

د. يحيى:

أعتقد أن هذا اقتراح مناسب

لكننى احترت: أنشر النص كاملاً بعد كل شرح، أم قبله فى كل حلقة

أو ربما احتاج الأمر إلى نشره مستقلا بين الحين والحين فى نشرة تالية.

أ. رامى عادل

اجتاحتني الثوره تحديدا علي الشرطه، علي البلبله الامنيه وحالة الطواريء(ليس قانونا) وعلي امناء الشرطه والمخبرين وعلي العائدين من افغانستان والمستنسخين والنفايات وتخصيب اليورانيوم والمفاعلات ومرض الرئيس وافلاسه واختراق الصهاينه _لااقول الاسرائليين_لمؤسساتنا وليس العكس،وعلي السيارات الكاديلاك وراكبيها المحصنين،وعلي القطط الابالسه، وعلي انتشار الدعاره ونهاية التاريخ، وعلي الزحف الي داخل مصر من معدومي الهويه، وعلي عمروديا ب ومجرمي الحرب والاشقياء، ونساء،فحكيت كل هذا واكثر باعلي صوتي في رمسيس والجماليه ومصر القديمه واسطبل عنترو المعادي ،هكذا قررت ان احكي باعلي صوتي، ولم يلتفت الي احد، يبدو انهم قرروا الطنبله، لم يعيرني احد اهتماما في اي شارع من الشوارع رغم ان ثورتي استمرت لشهور، لم اعرف من اين تاتي الكلمات والطلقات، او من اين آتى بكل هذه السيناريوهات واحكيها كما يفعل مهيطل القريه ويحكي عن الفاسدين فيها، يبدو انها قصة حب كل منا.ومع هذا فلكل دوره، وحجم جنونه ونجاحه في ابداعه او هزيمته وانسحابه، انت/ جضرتك بحت بالسر يا عم يحيي واكثر.

د. يحيى:

من أدراك؟

****

دراسة فى علم السيكوباثولوجى (الكتاب الثانى) (7)

د. أسامة فيكتور

"الحد الفاصل بين التعامل الحضارى وبين النفاق الدمث، لا يمكن تمييزه بسهولة، وأيضا الحد الفاصل بين الوقاحة والاقتراب المغامر للمصارحة هو أيضا لا يمكن تمييزه بسهولة".

إذن ماذا؟

د. يحيى:

إذن علينا أن نقترب بصدق من بعضنا البعض، لا أن نتلامس بنعومة مدّعين التحضر.

*****

دراسة فى علم السيكوباثولوجى (الكتاب الثانى) (9)

لعبة الكلام: سبع جنازات- الجزء الأول (1 من 2)

مرّ الهوَا، صقّر كإن النعش بيطلّع كلام !!

أ. مياده المكاوى

ربما يكون الكلام هو اكثر وسيلة متاحة للتواصل بين البشر!، ولكنى اعتقد أنه ليس الاكثر إقتصادا؟ بل الأكثر استهلاكا للألفاظ حتى تخلو من معناها، كلما تمادى الكائن البشرى فى استخدام اللفظ خاليا كل حين، إضافة الى قدرة البشر على المناورة والخداعة بالكلام حتى يصلوا لأهداف لا يعلنونها فيما يقولون.

لقد اصبحت أجد الكلام هو اغتراب وعقبة حقيقية فى التواصل، بل وفى قدرة المرء على التعبير عن نفسه،

ولكن هل هناك وسيله أخرى؟!

مثل اللجوء للغة الشباب؟ ولكن ماذا بعد الاحتجاج والسخرية؟! وما قد تحمله هى الأخرى من اغتراب؟

أم علينا اللجوء للصمت وفى ذلك ما فيه من وحده وألم؟؟؟!

د. يحيى:

لا غنى عن التمسك بأحدث معطيات العقل الحديث، ومن بينها هذه الرموز البالغة القدرة (الكلام) وهى هى التى كتبتِ بها تعليقك، أما انفصال الرمز عن ما يرمز إليه، وانفصال اللفظ عن مضمونه، واستخدام الشكل لتشويه أو إخفاء الموضوع، فهذا ما يحاول الشعر وبقية وسائل التعبير الإبداعية أن تجد سبيلا إلى الحد من مزيد من الاغتراب من خلاله،

ثم أعرج إلى اللغة الشبابية الجديدة ولغة الشارع، فبرغم دفاعى المتكرر عنها، فهى ليست حلاً، وإنما هى صرخة احتجاج، مثلما أن الجنون ليس حلا، وإنما هو إنذارٌ يدفع تمنه الذى يطلقه، وياليتنا نسمعه، ربما ننقذنا فننقذه.

أ. عبد المجيد محمد

الآن عرفت كيف أن أية آليه دفاعية إذا ما زادت وظيفتها الدفاعية عن حاجتنا إليها تنحرف بمسار النمو أو توقفه تماما، كما فهمت أكثر مراحل نمو الكلام وعلاقتها بالمعنى واللغة

د. يحيى:

يا رب سهّل. شكرا

أ. محمد اسماعيل

معترض: لماذا اعتبرت لغة الشباب تعبيراً عن رفض الاغتراب مع أنها قد لا تكون لغة أصلا فلكل جماعة أو (شله) مصطلحتها الخاصة بها. وهذا ينفى تعريف اللغة على حد علمى.

د. يحيى:

أرجو أن تقرأ ردى حالا على ميادة وأن ترجع إلى الموقع "حركية اللغة بين الشعر والشارع"

أ. محمد اسماعيل

ملاحظات: اعجبت جدا بجملة "كل علاج حقيقى هو علاج نفسى حتى علاج المغص الكلوى".

وجملة "الكلام عضو حى"، ولكن لم ألتقط جيدا كيف أن الكلام يضمر أو يموت؟ وما الفرق بين هذا وذاك؟

د. يحيى:

الأرجح أن الضمور هو خطوة نحو الموت، وكلاهما يشير إلى أن الكلام حين يُفرغ من معناه، ولا يؤدى وظيفته، يصبح فضلة أو واجهة بلا جدوى أو فاعلية، بل يصبح عاملا سلبيا أيضا، أفليس هذا هو الموت.

أ. محمد المهدى

ألا يمكن اعتبار الألفاظ التى يستخدمها الناس حديثا هى (جدلغة) ليست تفسخية وإنما إبداعية لإثراء اللغة وزيادة حركيتها؟

د. يحيى:

ممكن، ولكن يستحسن ألا تسمى حينئذ جَدْلغة[1] Neologism

أ. محمد المهدى

هل هناك علاقة بين اغتراب اللغة وما يسمى بألفاظ الأستعانة مثل (يعنى، كده، بتاع)؟

أرجو الإفادة

د. يحيى:

لا أظن،

ألفاظ الاستعانة لها وظيفة إيجابية عادة، وأعتقد أن رسالة الدكتوراه التى أنجزها د. محمد يحيى (إبنى) هى فى هذا الموضوع تحديداً، ويمكن الرجوع إليها أو إليه.

أ. محمد المهدى

"حين يصبح الرمز خاوياً من معناه يصير عبئاً على الوجود بما يؤدى للاغتراب العقلى فالمرض النفسى"،

هذا مفيد.

د. يحيى:

الحمد لله

أ. نادية حامد

لا أوافق على أن اللغة الشبابية هى احتجاج ضمنى لما آل إليه حال الكلام، ولا أوافق حتى على وجه المقارنة بينها وبين ما يقوم به الشعر بتجديد اللغة فأنا أرى اكثر هذه اللغة على أنها انحراف بالنمو عن مساره إلى ما هو زائف ومغترب.

د. يحيى:

لك كل حق ألا توافقين

فقط أرجوك الرجوع إلى وثيقة "حركية اللغة بين الشعر والشارع"، وهى مازالت شرائح P.P. فى الموقع، وأن تتنازلى قليلا عن حكمك الفوقىّ.

أ. نادية حامد

أعجبنى جداً الوصف الرائع أن "الكلام عضو حى" من أعضاء الوجود الحيوى البشرى وكذلك روعة الإبداع فى وصف أن الكلام لم يعد إلا أصواتا وأن الأصوات راحت تخرج كأنها كلام، يا ريت فى نشرات قادمة يكون هناك توضيح أكثر لكيفية إنفصال الكلام عن المعنى وإعطاء نماذج توضيحية لذلك.

د. يحيى:

أظن أن كثيرا من حالات (جنازات) الفصل الأول من هذا العمل سوف تتناول هذا الموضوع.

أ. إسراء فاروق

لم أستطع فهم كيف يمكن أن تكون تلك اللغة الجديدة الشبابية "المرفوضة من المؤسسات" هى نوع من تنشيط حركية اللغة، أين الشبه بين تلك اللغة (التى هى فى إعتقادى تشويه للغة) وبين الشعر؟

د. يحيى:

يبدو أن علىّ أن أعيد صياغة محاضرة "حركية اللغة بين الشعر والشارع" فى نشرة مستقلة بكلام مرسل حتى أوصل المعنى المراد الذى قد لا يصل فى صورة شرائح برنامج "الباوربوينت" P.P حاليا.

ومرحليا لا أملك إلا إحالتك إلى بهذا الرابط link حركية اللغة بين الشعر والشارع.

أعدك أن أحاول قريباً.

أ. علاء عبد الهادى

إذن، فإن اشتراك الطبيب فى رؤيته لواقع وقضية المريض ثم تصديق كلام المريض واحترامه ومحاولة إعادته للواقع بمسئولية من المعالج والتى قد تتطلب من المعالج أن يقوم بأدوار خارج مهنته هو ده اساس العلاج النفسى.

د. يحيى:

هذا صحيح

أ. علاء عبد الهادى

التخلص من الحزن والألم النفسى ثم اللامبالاه هو ده اللى الأهل بيقعوا فيه لما مايسمحوش لابنهم بالحزن.

بس الحق فى الحزن حايوصل الناس لإيه؟

د. يحيى:

الحق فى الحزن هو مثل الحق فى الفرح مثل الحق فى الشوفان مثل كل الحقوق الإنسانية التى خلقنا الله بها لنكون بشرا، وهذه الحقوق جميعا هى نتاج هذه الرحلة الرائعة من التطور، وكلها حقوق غير ما شاع تحت مسمى "حقوق الانسان" المكتوبة التى "تستعمل من الظاهر" لأغراض خاصة ملتبسه،

أما "حايوصل الناس لإيه؟" فعموما دعنى أقول لك إنه سيوصل الناس "أن يكونوا "ناساً".

أ. علاء عبد الهادى

من اكثر الاسئلة المحيره التى تراودنى عقب كل جلسة علاج نفسى هو سؤال عن استعمال المريض للمعالج وخاصة لما اشوفه بيتنصل من المسئولية، أو يريّح.

د. يحيى:

علينا أن نقبل ذلك بوعى كمرحلة، ثم يستمر العلاج حتى يفشل المريض فى أن يضر نفسه من خلال سوء الاستعمال هذا، وذلك بفضل تحويل مسيرة العلاج لصالحه وصالح المعالج.

أ. علاء عبد الهادى

وأنا أقرأ هذه اليومية كنت لا ارى شيئا بداخلى يستدعى الخوف منه،

ولما انتبهت شويه لقيت جوايا خوف شديد ماكنتش شايفه وخصوصاً من التغيير،

وبعدين قلت اطمن نفسى شويه أو استخبى.

د. يحيى:

هذا حقك

هذا التدرج فى التلقى هكذا هو منتهى الصدق.

أ. علاء عبد الهادى

طيب، إذا كانت الحياة النمطيه المكرره هى نوع من الاغتراب وهى التى تقول عنها إن المرض النفسى هو رفض لها، إذا كان الأمر كذلك، طب ليه مايكونش المرض نفسه هو هروب واستسهال، يعنى الاغتراب فى المرض النفسى ازاى هو رفض لاغتراب الحياة العادية.

د. يحيى:

المريض حين يغترب بمرضه هربا من الاغتراب النمطى السائد لا يحل شيئا، لكنه يذهب بعيد إلى "الناحية الثانية" (الأخرى)

والحل هو رفض الاغترابين معا، وذلك بحفز عملية النمو على كل مسارات "الإبداع".

د. محمود حجازى

شكلها كده بقت أصعب، الكلام بقى صعب قوى كده يا دكتور يحيى؟

د. يحيى:

الأصعب قد يكون هو الأسهل.

تدربنا شركات الدواء والسلاح والبترول، وكل الشركات العملاقة إياها على الاستسهال على حساب المرضى ليستعبطونا، ويكسبوا!!

أما ربنا فقد خلقنا لنكدح إلى وجهه وهو يلقى علينا قولا ثقيلا وفى نفس الوقت ينبهنا ألا نفعل ذلك لنشقى،

فأى الطرق تختار؟!!

ما رأيك؟

أ. رامى عادل

كيف تكون الكلمه روحا موقظه منعشة, وهل لهذا علاقة بالحب وما يحمله من وداعه وجهر وسمو وجذب, وما حكاية الكلمة الطيبة والقول الثابت ورسوخ كلا منهما داخل منظومة الوعي واختلاطهما بعظم ولحم المتحدث, تماما كانه يصلي ولا اقول يتكلم فقط, فالانسان يعبد ربه كلمه يزجيها بخبرته, واظن ان كتاب السر الذي سمعت عنه من ضمن ما دعا اليه هو الكلمه الطيبه النقيه, وان من يعبد الله علي حرف لا يدرك معني وقيمة الصواب فالخطا في القول, ويصر مخطئا ان يظل علي صواب ولو ثبت فشل قوله وحديثه مره تلو الاخري, مره اخري ما علاقة الكلمه بالروح؟ هل هو الصدق؟ وكيف اختلط الايمان بعظم ولحم ودم صهيب كماذكرت يا عم يحيي عن النبي(ص), وما علاقة المهدئات العظيمه بتهذيب المجنون وجعل حديثه هينا لينا يغرد كما الكناريا, هل هي حقيقته, ام انها رقصة البلبل الجريح

د. يحيى:

برجاء متابعة شرح متن حلقات المقدمة فقد بلغت ثلاث نشرات آخرها الأربعاء، وفيها بعض الرد.

شكرا

*****

دراسة فى علم السيكوباثولوجى (الكتاب الثانى) (10)

شرح على المتن: ديوان أغوار النفس

الجزء الثانى: من مقدمة: الفصل الأول

التحليل النفسى: هل مات فعلاً؟

أ. رامى عادل

الكلام والتنفيث: أعانى من كبت مزمن، ساعات باروح اشتكى لصحابى وقرايبى أنى مش لاقى حد اتكلم معاه، في حين أن جوايا بحور من الكلام، ومواضيع وأغانى ونكت وسياسه، لكن باجد صعوبه حقيقيه تصل إلى حد انهاكى أنى لا اجد لا الوقت ولا البنى ادم المناسب.

د. يحيى:

يا جدع!! يا جدع أنت!!

حسبت أنك تجاوزت هذه المرحلة.!!

وأنت تجاوزتها فعلاً،

فإياك أن ترجع.

*****

دراسة فى علم السيكوباثولوجى (الكتاب الثانى) (11)

شرح على المتن: ديوان أغوار النفس

الجزء الثالث : من مقدمة الفصل الأول

إحياء المعنى يملأ الكلام!!

أ. رامى عادل

باشتغل شغلانه حقيره، ومش باين فيه اى امل انى انجز، والطريق مسدود، ومفيش فى بالى اى افكار جديده، مش هو ده اللى اتفقنا عليه، ياترى هو ربنا موجود؟؟ طيب ممكن يساعدني؟ وازاى وانتم واقفين بتتفرجوا، امهلنى يا الهي، لعله اختبار، مش اكيد دى النهايه، فى الموقع ده باذات،اللى حاسس انا بيه، ان الطفل جوايابيتقلب، وبيكسر حاجز الصمت، ويلف السكون بالبكا والوعد، ومحدش سامع صوته ، وده ممكن يعمل فرق فى فرق، ممكن يرفع،يرتق توب الفجر

اخيرا: لم اشعر برغبه سوى ان املاء سكوتى بهذا الرص، ربما لانى اعتبركم جميعا اطباء (باستثناءك يا عم يحيى)، فماذا تشعرون حيال هذا الرص، انا غالبا اكرهه، واكره اعادته، باستثناء الجمله الاولي.

د. يحيى:

كان قد بلغنى منك هنا أنك انتقلت إلى عمل أفضل

ماذا جرى؟

فرحت يا رامى أنك لم تعتبرنى طبيبا مثل زملائى.

هذا طيب.

وهو مسئولية أخطر.

أ. عبد الناصر الزيد

أولاً أحييك دكتور يحيى وأشكرك وأدعوا لك بالعفو والعافية وحسن الخاتمه وقد وهبك الله حياةً طويلةعريضة عميقة.(...إلخ/شكراً)

أحببت أن أبثك بعض مشاعري في أولى مشاركاتي معك أستاذي الفاضل مع أنني لاأنتمي للنفس تخصصاًسوى إطلاعاً عاماً،وتأملاً ذاتياً خاصاً تحقيقاً لوجودي وتفهماً له، ولكوني شاعراً ثالثة أخرى.

وقد تفاعلت المقالة مع نفسي لكوني معني باللغة شعراً ونثراً وخطاباًعاماً وخاصاً،وأكابد في ذلك ما أكابد تفكيراً وتعبيراً وتدبيراً.

وأول ماكان يخطر في ذهني ويتردد مسألة أسميها الغواية اللغوية وهي وإن أمكن تطويعها أدباً مستقلاً

(إيقاف...)

د. يحيى:

أكتفيت بهذا الجزء من رسالتك أيها الصديق الجديد الشاعر الكريم، فهى رسالة طويلة من ناحية، ومن ناحية أخرى هى مهمة، وفيها بعض التفاصيل التى ليس فى مقدورى الرد عليها بحقها، فدعنى أكتفى بأن أثبت نهاية رسالتك لأعرّف "الأصدقاء بك"

شكرا

أ. عبد الناصر الزيد

....وإن كنتُ مجرد شاعر لايتعلم حتى يتألم،ولايعبر حتى يفكر..

مع صادق الود..

..وخالص الدعاء..

د. يحيى:

ثم أنى سوف أحيل الرسالة كلها إلى د. محمد ابنى حين عودته من الخارج، لعله يرد بما يرى، فهى فى صلب تخصصه.

أكرر شكرى وعليك السلام

*****

أ. مريم محسن

مشكلتى هى انى أحس برفض من المجتمع والناس ونفسى أحس أن أحد يحبنى وأحب حد، قل لى بربك، هو أنا محتاجه لدكتور نفسى؟ أصلى لما قلتلهم ذلك فى البيت قالوا لى عيب.

د. يحيى:

والله يظهر أن عندهم حق، أرجو أن تتابعى شرحى لديوان أغوار النفس أيام الثلاثاء والأربعاء، من كل أسبوع وقد يطول لشهور ، وسوف تدركين غالبا كيف أن هذه المشاعر هى جزء لا يتجزأ من طبيعة الوجود البشرى، وأن كل ما علينا هو أن نقبلها كنقطة بداية، وغالبا سوف نكتشف أنها ليست هى المشاعر الوحيدة التى تعتمل فينا، لكننا لا نحكى إلا عن ما يطفو على السطح. ثم دعينا نمضى بها جميعا إليها، ليتفجر منها مابعدها بكل زخمه وحيويته وروعته،

هكذا الإنسان يا شيخة.

ربما ما ظهرت هذه النشرة إلا من أجل ذلك.

*****

دراسة فى علم السيكوباثولوجى (الكتاب الثانى) (10) التحليل النفسى: هل مات فعلاً؟

د. عمرو دنيا

أنا بالفعل فى حيرة شديدة بين ما هو العلاج النفسى بصفة عامة أو ما يسمى تابعاً لثقافة معينة مثل العلاج النفسى الأمريكى، أو المصرى أو العربى... وأعتقد أنه لابد من أن يكون هناك علاج نفسى بشرى إنسانى ينفع رأى بشر أو إنسان ويراعى فيه الخلفية الثقافية العامة فالخاصة فالأكثر خصوصية هكذا دون مسميات.

د. يحيى:

هذا صحيح لدرجة أننى أتصور أن العلاج النفسى يختلف ليس فقط باختلاف الثقافات الكبرى، بل باختلاف الثقافات الفرعية أيضا.

د. محمود عصافرة

ان التطور العلمى فى جميع المجالات والتخصيص فى العلوم بل فى العلم نفسه يجعلنا لا نتوانى فى علاج نفسى اسلامي ومنه ننطلق لعلاج نفسى مصرى وسعودى وفلسطينى ... الخ لان هذا ما هو حاصل اصلا من غير ان تكون هناك ادبيات تحدد ذلك . ومن خبرتى المتواضعة جدا فى العلاج النفسى منذ 1996 ما زلت المس هذا التخصيص والحاجة للتخصيص حسب المكان الذى اعمل به.

لذا اتمنى على سعادتكم د. يحيى ان تبدا باشعال نواة العلاج النفسى الاسلامى من ناحية عمل ادبيات خاصة ومعالم واضحة لهذا العلاج وانا متاكد من ان الاخرين سيدرسون ذلك العلم ويتعلمون منه االاكثر

وتفضلوا بقبول دعواى لكم بالتوفيق والعطاء المستمر.

د. يحيى:

أنا ضد ما يسمى العلاج النفسى الاسلامى، لأن ما بلغنى من معظم ذلك هو اختزال وانفصال وخنق لرحابة دينى وسماحه، ربما يوجد ما يمكن أن يسمى علاج نفسى إيمانى، وإن كنت أرفض هذه التسمية أيضاً، كل ما أحاول توصيله وما أعنيه هو: أن وجود الحق سبحانه وتعالى فى بؤرة الوعى البشرى – أفراداً وجموعاً- امتداداً إلى مطلق الغيب هو عامل موضوعى فاعل ومشارك طول الوقت، لا هو مغترب ولا مُغيَّب ولا مؤجل ولا مفارق.

وهذا يدخل فى كل العلاجات الحقيقية والعميقة مهما اختلفت الأديان أو حتى النظريات النفسية.

*****

دراسة فى علم السيكوباثولوجى (الكتاب الثانى) (11) إحياء المعنى يملأ الكلام!!

د. أسامة فيكتور

رغم منطقية المبالغة المرضية فى أن تكون كل قصة (حلقة) مليئة ثقيلة بما تحتوية من مضمون فإن التسلسل قد ينقطع، وقد فسرت بذلك بعض ما ينتهى إليه المريض مما تسميه "فقد الترابط" Incoherence"،

رغم منطقيتها فأنا مستغربها أو مش قادر أستوعبها قوى.

د. يحيى:

يا أخى أنا لم أقل كل قصة أو كل حلقة!!، أنا كنت أعنى أن كل كلمة حين تمتلىء منفصلة بمضمونها جدا تعجز فإنها عن أن تتواصل أو تتصل أو تتكامل مع الكلمات الأخرى فتتفكك السلسلة، وتتناثر الكلمات التى هى حلقات السلسلة.

أرجوك أن تتابع الحلقات فهذا الفرض سوف تناقشه أكثر من مرة بأكثر من اسلوب.

د. عمرو دنيا

أول مرة أخذ بالى من إمراضية الإفراط فى فرط تحميل اللفظ معناه، فهى تحرم اللفظ حياته ونبضه وتغرقه فى اللفظنة المغتربة والتفسير القاصر، وفعلاً تخيلت نفس ألفاظ أغنية تغنيها أم كلثوم، أو عبد الحليم، أو شخص آخر وشاهدت واحسست الفرق بين اللفظ الأجوف الفارغ وبين نبض اللفظ، وليس اللفظ نفسه.

د. يحيى:

أرجو أن يقرأ د.أسامة فيكتور تعليقك، وإن كنت لا أوافق على الاستشهاد.

*****

دراسة فى علم السيكوباثولوجى (الكتاب الثانى) (12)

د. محمد الشاذلى

اللغة (أياً كان مستواها) ذات المفردات الأقل، ربما هى الأقدر على توصيل أكثر المعانى، ربما يكون إزدياد المفردات يوازى زيادة الإغتراب بالغوص فى تراكيب الكلام بعيداً عن المعنى، وهذا هو المأزق الذى يصنع الفجوة بين المتكلم والمتلقى.

د. يحيى:

هذا وغيره

د. محمد الشاذلى

حين أراقب طفلتى الصغيرة، وهى فى شهرها الثالث وهى تصدر بعض الهمهمات المحدودة لغتها الخاصة الآن وأتعلم معناً مختلفاً لكل صرخة، ولكل ضحكة، ولكل صوت، أراها فى منتهى الثراء والوضوح، (بالنسبة لى)، وأكثر بلاغة من أى كلام.

لغة الجسد (لا أستطيع افتراض أن مفرداتهات أقل من اللغة المنطوقة)، لكنها أكثر

وضوحاً وأصالة فى التعبير.

د. يحيى:

صحيح

لا تنس أن "بياجيه" كتب أغلب علمه عن نمو الطفل من ملاحظته لأولاده.

واصل لو سمحت، وسوف تتعلم أكثر من جميلتك الصغيرة.

أ. رامى عادل

مقدرتش، ايوه لأ، الموج كان عالي عليا فغطاني وسلسلني، ولسه بفتكر عجزي، وخيبتي، مديت لي ايدك، لحقت اللي كان، واللي ملحقتوش غرق، وفي الباطن كان سري المدفون، ليه قربتلي البعيد المستحيل، عشان انسي القديم، وعلي قد ما علينا وقعنا يا عم، ومش فاكر غير جرجرتي المسكينه، وانت بتلهث، متفتكرش انالذكري ماتت جوايا، قدرنا نرحل ومنسالش، ليه اللي فات عدي كانه مكانش،ونغير بلون احلامنا وسعينا المكتوب، ونبحر ويا قارب اللي مالوش ماضي، مش برضه ننسي، بس يا عم يحيي العشره متهونش.

د. يحيى:

هى "ماتهونشى" لا علىّ ولا عليك.

*****

دراسة فى علم السيكوباثولوجى (الكتاب الثانى) (13)

أ. رامى عادل

مره تانيه، لكن هي.. ليه لأ!صحيح اتبعترنا يا عم يحيي، وسحلونا، لكن السكه مقفلتش، ولو دريوا بينا قاموا عذرونا، غمونا، وغلوشوا علي صوت جوانا، كان في امل، ولسه باقي، من روحك وروحي

د. يحيى:

ربنا يبارك

****

دراسة فى علم السيكوباثولوجى (الكتاب الثانى) (11)

إحياء المعنى يملأ الكلام!!

د. أميمة رفعت

عن آليات إحياء الألفاظ فى العلاج الجمعى، فرحت إذ وجدت أننى أقوم فعلا بهذه الآليات، مما طمأننى وأعاد لى بعض الثقة فى نفسى، عدا الآلية رقم (10) وهى التعامل مع الأسئلة على أنها مشروع إجابات، وقد وجدتها جيدة جدا ومناسبة لى وللمجموعات التى أعمل معها، سأجربها إن شاء الله إذا سنحت لى فرصة جديدة لعمل مجموعة علاج جمعى.

هذا الإحتمال أصبح بعيدا فى ظل القانون الجديد للصحة النفسية والذى بدأنا تطبيقه فى 2009/6/1. اصاب هذا القانون العمل بالشلل فى بادىء الأمر وخاصة وأنه ينفذ بلا لائحة تنفيذية وعلينا أن نجتهد فى التطبيق ورقابنا تحت سكين لجنة حقوق المرضى فى الأمانة. ساءت العلاقة بشكل غريب بين الطبيب والمريض تحت زعم حق المريض، فأصبح الطبيب متهما بالنية فى إيذاء المريض، وعُلقت لافتة ضخمة فى العيادة الخارجية بأنه من حق المريض أن يشكو الطبيب وأن يرفع ضده دعوى فى محكمة الجنايات، ويُعين طبيب مستقل عن المنشاة يراقب المعالج فى كل خطوة يقوم بها: دخول المريض المستشفى، علاجه (نوع الأدوية وجرعاتها فالعلاج النفسى لا محل له من الإعراب هنا)، مد إقامته أكثر من إسبوع، مدها أكثر من شهر، ثم أكثر من ثلاثة أشهر وأخيرا لايمكن مكوثه اكثر من ستة أشهر وعليه فإن إعترض الأهل تفتح المستشفى بابها ببساطة وتلقيه خارجها، "فمن حقه ألا يحبس" تحت اى وصاية. لايوجد تفاهم بين المعالج والأهل فهناك نصوص مكتوبة تفرض على الجميع التنفيذ وإلا... .قلّ عدد المرضى بالمستشفى وهذا جيد ظاهريا، ولكن زاد عدد الذين إرتد عليهم المرض بقسوة فزاد عدد المترددين على العيادة والدخول ولا يمكثوا أكثر من إسبوع فى الأغلب الأعم ثم يُلقون بالخارج بعد إسبوع، إذ أن مقياس الشفاء هنا هو النوم وإختفاء حالة الهياج تحت تأثير الدواء ولكن لا يوجد فرصة لخلق علاقة مع المعالج أو مع ذويه (إذا إستطعنا رؤيتهم)، ليس لديه الوقت ليستريح ويتعافى ويلملم نفسه فما أن يدخل حتى يخرج ولا يراه المعالج مرة أخرى، و إنما يرجع إلى العيادة بعد فترة حالته أسوأ ليراه معالج آخر دون متابعة حقيقية وهكذا...

أصبح المريض بالنسبة للطبيب تهمة يريد دفعها بعيدا عنه والتخلص منها، وأصبح الطبيب بالنسبة لأهل المريض عدوا يتربص بهم فتربصوا به وزادت الشجارات بين الجميع، وأصبح الطبيب بالنسبة للمريض وهما بعيد المنال بعد ان كان القشة الأخيرة التى يمكن إنقاذه بها من الغرق...بإختصار ضلت "الثقة" الطريق بين الجميع.

الجيد فى الأمر أن لدينا الآن فى المستشفى إدارة جديدة أكثر شبابا، وأكثر نشاطا، وأكثر مرونة وتفتحا وهى تتعاون مع الجميع لتخطى الأزمة بأية طريقة ... ربما مازال هناك أمل.

د. يحيى:

نبدأ من "الجيد فى الأمر"، وهى إدارتكم الجديدة الأكثر شبابا ومرونة، ثم أنه "ربما مازال هناك أمل"، أظن أن هذا ما أنهيتُ أنا به مقدمة حوار اليوم.

لقد حاولت ما استطعت أثناء إعداد القانون، أنا وأغلب الزملاء الأفاضل الأطباء النفسيين المصريين جدا، ذوى الخبرة والأمانة والحرص الحقيقى على حقوق المرضى وعلى فاعلية حركية العلاج، حاولنا إتاحة الفرصة للأطباء ليقوموا بواجبهم بما يتفق مع ثقافتنا وأعرافنا وطيبتنا وإخلاصنا، إلا أن الخوف من سوء استخدام كل ذلك، بالإضافة على الإلحاح على التقليد الحرفى لمسيرة "الخواجات" المنضبطين الواقعيين تحت رحمة شركات الدواء وشركات التأمين وألفاظ حقوق الإنسان، كل هذه كانت هى العوامل التى حالت دون إخراج "قانون متوازن" يخدم المرضى ويعطيهم حقهم بما يستحقونه.

وبرغم كل ذلك، فأنا عندى يقين أننا نستطيع أن نواصل علاج مرضانا تحت ظل القانون الجديد، وأن الذى سيدافع عنا هم مرضانا، ونتائجنا، وربنا،

فإذا عجزنا تماما من واقع الحال، أو من واقع الخوف، أن نمارس مهنتنا كما ينبغى، فسوف أتركها لهم، وأحقق حلما أن اشتغل بحارا أو فلاحا بقية عمرى (إن كانت ثمة بقية)،

وأعتقد أن البحر والأرض والشجر والناس سيتقبلوننى أرحب وأطيب بقوانين أكرم وأعمق.

*****

دراسة فى علم السيكوباثولوجى (الكتاب الثانى) (12) "لعبة الكلام"

أنا ماشى "سريع" حوالين نفسى!! (1 من 2)

أ. محمد المهدى

مش فاهم: ذكرت حضرتك أن "التغيير يحدث عادة دون وعى كامل، ولا يحتاج إلى قرار واع أصلاً"

كيف لا يحتاج التغيير إلى قرار واع؟! وأين تقع هذه الجملة بالنسبة لقول المولى عز وجل "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم"

على حد علمى أن المولى اشترط فى تغييره للبشر وعيهم وإدارتهم مبدئياً أن يغيروا هم ما بأنفسهم، فهل يختلف ما جاء بهذه الأية عما تقصده حضرتك أرجو الإيضاح.

د. يحيى:

ماذا جرى لك يا محمد، قال تعالى: "حتى يغيروا ما بأنفسهم"، ولم يقل "حتى يقرروا أن يغيروا ما بأنفسهم".

هل لاحظت الفرق؟

أنت تختار مبدأ التغيير، وتصر عليه، ثم تضع نفسك فى المجال الذى يعطيك أحسن الفرص لذلك، ثم يحدث التغيير لأن عملياته تسير فى الاتجاه الصحيح،

ثم نكتشف أن ما بأنفسنا قد تغير نتيجة لذلك.

فيغير الله ما بنا.

ثم إنك تعلم – أو المفروض أن تعلم – أن لنا عدة "إرادات" معا، والإرادة الواعية الجاهزة على السطح ليست هى أصح ولا هى أقدر الإرادات فى جميع الأحوال.

دعنا نختار الطريقة، والفرص، والمجال.

ثم نلتقط خطوات التغير أولا بأول.

ثم نمارس النقد والتعديل.

ثم نكتشف التغيير الإيجابى.

ونحن ندعو الله أن يغير ما بنا كما وعدنا.

(أم ماذا؟)

هل عندك بديل؟

أ. محمد المهدى

هل يكون التغيير للأحسن فقط؟! أوليس التغيير فى حد ذاته حركة حتى ولو كان للأسوأ؟!

د. يحيى:

هو كذلك.

وثم إن كلمة الأحسن والأسوأ هما الأصعب فى التعريف والتقويم فى مختلف المجالات.

النقد، والخبرة، والممارسة معا، والإشراف والعدل وما ينفع الناس هى الأحسن بشكل عام.

التغيير إلى أسوأ وارد فعلا واسمه أيضا "تغيير"، فعلينا أن ننتبه طول الوقت.

أ. محمد المهدى

صحيح أنه:

"كما أن الحياة التى لا تتضمن تغيير أو عرضة له لا تستحق أن يطلق عليها هذا اللفظ "حياة".

لكننى ألاحظ أنه احياناً إذا ما لاحت أثناء العلاج بوادر تغيير ما، فإن المريض من فرط رعبه من التغيير قد يبادر بمحوه أولاً بأول.

تأكدت من ذلك الآن.

د. يحيى:

حصل.

*****

دراسة فى علم السيكوباثولوجى (الكتاب الثانى) (13) "لعبة الكلام"

أنا ماشى "سريع" حوالين نفسى!! (2 من 2)

أ. نادية حامد

بالنسبة للتغيير الكاذب عند المريض أو الذى يقوم به المريض ممكن المعالج يقبله ومع الوقت ممكن تحدث النقله النوعية المطلوبة فى التحسن / زى ما يطلب منه ساعات مثل الخفقان أو التحسن فتحدث الحركة ولكن أرى الأصعب هو وجود بصيره مزيفة مرضية بديلة أو جاهزة للإنكار.

د. يحيى:

آسف لأننى لم أوضح الذى أعنيه تماما بحكاية: "بصيرة مزيفة مرضية بديلة"، أنتِ الآن أعطيتنى فرصة أن أؤكد أن الزيف يأتى من أن نتصور أن سلامة رؤية الجارى (فى الداخل والخارج)، والتمكن من صياغته بالألفاظ، دون أن يتحول ذلك إلى فعلٍ ماثل واقعى مختلف، هو مجرد عقلنة أو لفظنة، وهذا هو الزيف بعينه.

د. ناجى جميل

العلاج النفسى النمائى وما يتتطلبه من حركة مماثلة مواكبة من المعالج، اصبح فى هذه الآونة نادرا، وينظر على من يمارسه علاجا أو تدريبا على انه آت من كوكب آخر.

د. يحيى:

إذن ماذا تقترح؟

نتوقف عنه؟ أم عن ممارسة الطب النفسى؟

أرجو أن تقرأ آخر ردّى على د. أميمة.

****

دراسة فى علم السيكوباثولوجى (الكتاب الثانى) (14)

أداب وشروط "استخدام المرضى للتدريب والبحث العلمى" (1 – 2)

د. على الشمرى

من المعروف ان احترام خصوصية المريض حق مكتسب له ويجب على المعالجين احترام ذلك وفي المقابل التدريب والتعليم هو في النهاية في صالح المريض في الغالب ولكن القضية المعقدة في الملاحظين غير المرئيين من قبل المريض هي

1- هي انها تهدف بالدرجة الى التأكد من جودة مايقدمه المعالج خاصة في مرحلة التدريب فللاسف بعض المعالجين أحيانا يتحمس أكثر من اللازم ويقدم نفسه للمريض او أسرته انه العالم ببواطن الأمور ويغلب الاسلوب الشخصي على الأسلوب الإكلينيكي وحتى بعض الممارسين القدامى تحدث منهم بعض الهفوات والملاحظين ينبهون في الغالب الى بعض جوانب الضعف او حتى نقاط القوة.

2- من الافضل ان يكون لدى المريض علم بمثل هذه الامور وانها في النهاية تصب في صالحه

3- بان المشكلة المريض هي في موضوع الاستبصار والبصيرة فهل نترك له الخيار في تقدير مايجب ولايجب ولو في نطاق ضيق؟

د. يحيى:

- **إذن أنت ياسيدى أنت توافقنا على أهمية المشاهدة، هذا طيب، لكن الاختلاف هو فى حكاية "الملاحظين غير المرئيين"، لماذا يكونوا غير مرئيين حتى لو قبل المريض بوجودهم فى البداية، إنهم حين يظلون طول الوقت فى متناول رؤية المريض، يعتبر ذلك إعادة استئذانه فموافقته طول الوقت.**

- **ثم إنى تكلمت عن التدريب ولم أتكلم عن "التفتيش" للتأكد من جودة الأداء، أنا أفضل أن تكون المتابعة (التفتيش) من خلال "الاشراف" كما ننشره فى باب "التدريب عن بعد"، وليس من خلال المراقبين غير المرئيين (!!)**

- **وأخيراً فمسألة بصيرة المريض وهل هى كافية أن تعتبر سماحا حقيقيا بمثل هذا الإجراء، فأنا معك أنها مسألة إشكالية ، لكن مادام مريضنا لم يفقد تمييزه، ودرجة كافية من إرادته، فإنه يترتب على ذلك أن نحترم موافقته على أنها موافقة واعية مسئولة طول الوقت مع أنها تظل إشكالة معقدة.**

أ. رامى عادل

زيزى لمن لا يتذكرها هي حالة د أميمة رفعت\" جاذبيه غير مفهومه\" او الفخ: قبلتني قبلة الحياه، هيجت خواطرى، قويت مناعتي، وجعلتني اتنفس اوكسجينا سائلا، هل تصدقون اني مارست وياها الحب كتابة او رقصنا معا رقصه ساخنه جدا.

د. يحيى:

ستفرح د.أميمة أنك مازلت تذكر مريضتها "زيزى"

****

دراسة فى علم السيكوباثولوجى (الكتاب الثانى) (15)

أنا قالع ملط، لكنى مش عريان!

أ.رامى عادل

اجمل ما قيل حداكم في الندوة المقطمية انها علاقة مهنية واننا عملاء اذكر انه كان د. اسامه فيكتور، والاطباء حداكم متميزين، ومحنكين، وادلل علي ذلك بقدرتهم علي الانفجار في العميل. فعلا معادلة صعبة. علي المرضي العملاء ان يتعلموا كيف ينفجروا دون ان يصيبوا احد خاصة انفسهم بأذي، اذن هذا الكلام ليس للاطباء أو الحرس القديم، احقد علي الاشبال لأنهم وجدوا ساحة رحبه وفسيحه يبرطعون فيها، هل لاحظت يا عم يحيي علاقة بين البرطعة والانفجار.

د. يحيى:

للأسف فإننى لا أصفق لا للبرطعة ولا للانفجار، بلا لعلى لا أميز بينهما، فالانفجار قد ينتهى إلى برطعة، والبرطعة قد تؤدى إلى الانفجار.

أنا أفضل الكشف والاقتحام والتوبة والمغامرة، والتعتعة، وإعادة النظر والنقد،

أن تتفجر – لاتنفجر– دون أن نصيب أحداً هو أن تتفجر "لك" ولهم وبهم

كفى هذا.

*****

دراسة فى علم السيكوباثولجى (الجزء الثانى) من وحى ديوان أغوار النفس

الحلقة (16) من وحى الحالة الثالثة: الحق فى الانسحاب (الرجوع):

الحنين الى "ركنك الخاص" (1 من 2)

د. أميمة رفعت

أكتب هذه الأيام نقدا مطولا لأحلام فترة النقاهة... ووجدتنى أغرق فى رؤية محفوظ للموت.

والحقيقة أنها ولدت عندى صورا وأفكارا ومشاعرا لم استطع حتى الآن لا التعبير عنها بالكلمات ولا حصرها فى بضع جمل، ولكن شغلنى كثيرا فى هذا الموضوع فكرة الرجوع إلى الرحم على شكل النزول إلى القبر، أو الدخول فى تابوت، أو الدفن تحت الأرض ثم الولادة من جديد. وقد شعرت فعلا أن الموت هكذا يكون مرحلة ضرورية لا غنى عنها للإنطلاق ببداية جديدة.

ثم جذبتنى فكرة رجوع محفوظ إلى "البيت ": بيت الجمالية، بيت العباسية، وأخيرا بيت الإسكندرية، فهو لا يرجع فقط بذكرياته ولكنه يرجع بكل وجوده إلى الرحم الذى أعطى له الحماية والإنتماء والحميمية، رجع إلى الأصل الذى كان نقطة البداية الأولى فى حياته، وبات عندى إعتقاد أنه فى اللحظة التى يرجع فيها وهو يكتب تتخلق منه فكرة جديدة تنطلق فى كتاباته .. لست متأكدة من هذا الإعتقاد على كل حال.

وقد تصادف أننى أقرأ هذه الأيام أيضا عن "البيت القديم" فى كتابات محفوظ ودلالاتها مكانيا وزمانيا فى كتاب الدكتور حسين حمودة (فى غياب الحديقة ..حول متصل الزمان / المكان فى روايات نجيب محفوظ) وإستشهاده بجاستون باشلار فى (جماليات المكان) وقد أعجبنى قول د.حمودة): بالخروج من البيت والكون فيه فى الوقت نفسه، بالنأى عنه والتوق إلى عالمه معا، يتكون ذلك الوضع الإشكالى الماثل (..) ولم يعد بالمستطاع سوى حنين محال الإشباع لنفى هذا الإنتقال الذى تم بالفعل، إننا، هنا، لسنا فحسب إزاء نزوع "للعودة " بل إزاء نزوع "للإستعادة "(..) ومن هنا، فهذه الإستحالة تجعل من حنين العودة إلى البيت القديم "حالة موازية لحنين العودة إلى حضن الأم، أو إلى رحمها، وموازية أيضا للتوق إلى الفردوس الأول المفقود).

وأتفق معك تماما فى أن هذا الرجوع أو "النكوص" ليس بالضرورة مرضيا بل ربما كان ضروريا لإعادة الخلق، وكما يقول أيضا د. حمودة، فهناك إرتباط بين "تجربة الوجود فى الرحم" وأساطير التكوين بما تتضمنه من إسقاطات ولادة وموت وإتحاد بمفردات الكون.

أى أن الإحتياج لهذا النكوص جزء لا يتجزأ من الطبيعة البشرية كما ظهر لنا منذ زمن الأساطير.

وإسمح لى يا د. يحيى أن أحكى عن مريضة لدىَ مرت بهذه التجربة منذ أيام قليلة أتذكرها الآن فى هذا السياق إذا كانت قراءتى لحالتها صحيحة:

هى فصامية عمرها حوالى 54 عاما، آنسة، لم تكمل دراستها فى كلية الآداب بسبب مرضها، ترددت على المستشفى كثيرا وإنتهى بها الأمر بالإقامة فى المستشفى منذ 18 عاما. هى فى قسم سيدات بالأجر (إنتقلت أنا للعمل به مؤخرا). أتولى علاجها منذ شهرين. المريضة تعيش فى قصة واحدة لا تحكى غيرها وهى أنها أحبت زميلا لها فى الكلية وأعطته صورتها وهما فى رحلة إلى الأهرامات، وتنتظره ليتزوجها. وتطلب من كل من يحدثها (هاتولى فلان علشان يكتب كتابه علىّ). ولا تعترف طبعا لا بمرور الزمن ولا بإحتمال زواج فلان هذا وإعالته لأسرة .. إلخ

لم أشعر أبدا أن المريضة لديها مشاعر أو حنين لهذا الماضى، هى فقط تعيش فى هذا الماضى الذى ليس لديها غيره فتكرره ثم تكرره ثم تكرره .. لإفتقارها للحظة أنية فحياتها داخل المستشفى فارغة تماما منذ 18 سنة. ولكن ما لفت نظرى هو شكواها العضوية اليومية والمستمرة منذ سنوات من آلام وحرقان فى المهبل!! فهل يترجم جسدها حبها لهذا الرجل وإفتقادها له بآلام فى أعضائها الجنسية؟ هل يجسد هذا وهما لا تستطيع الحصول عليه فى الواقع فتجعله هى واقعا ملموسا؟ هل يستحضر هذا الإحساس لحظة من لحظات الماضى ويحتفظ بها فى الحاضر؟ هل هى مجرد رغبات جنسية مكبوتة تظهر على شكل الم عضوى وهل ثقافة مجتمعنا تمنع هذا الشعور عن الظهور على شكل لذة جنسية فيظهر على شكل ألم جنسى، وخاصة أنها لا تكف بمناسبة وبدون مناسبة عن وصف نفسها بالشريفة العفيفة؟ لا أعلم..

بعد العمل معها، ظهرت بعض التغيرات على المريضة من الكف تلقائيا عن الحديث فى هذه القصة إلى الحديث بكثرة وبحدة عنها وبالتبادل، وقلت كثيرا شكواها من الآلام المهبلية وأخذت تشكو بدلا منها من خنقة وضيق، وهذا جديد عليها، ثم قامت بشىء غريب: فقد إرتدت ملابسها وخرجت من العنبر بهدوء دون ان يشعر بها أحد ثم من المستشفى كلها أيضا دون أن يوقفها احد (وهذا يسمى لدينا "هروب" وتسبب فى محاسبة ستة افراد حتى الآن) وركبت تاكسيا ورجعت إلى بيت أهلها اللذين لم تر منهم فردا واحدا منذ 18 سنة ومكثت به قليلا ثم رجعت إلى المستشفى مع أخيها دون مقاومة فى نفس اليوم. وعندما سألتها عما فعلته قالت بهدوء: كان لازم أرجع بيتنا انا بقالى كتير قوى فى المستشفى، كمان كنت عاوزة أشوف (فلان) علشان يكتب كتابه علىّ. وعندما سألتها شوفتيه؟ قالت لى: لأ ... وسكتت قليلا ثم قالت تلقائيا أنا رحت وأنا مرتاحة قوى ورجعت وأنا مرتاحة قوى، وكررتها مرة اخرى.

لأول مرة أرى المريضة مرتاحة الملامح، وأشعر فى نبرات صوتها بحنين حقيقى للأهل وحماس وهى تحكى لقاءها معهم. وقد شعرت وقتها انها إحتاجت للرجوع للأصل ..للرحم ..لتولد من جديد، وكانها مستعدة الآن لتبدأ مرحلة جديدة من العلاج.

أخشى أن تكون ميولى الأدبية مسيطرة علىَ فى رؤيتى للمريضة كما نبهتنى من قبل فى حالة "جاذبية غير مفهومة" ولكننى أحاول كما نصحتنى أن أضبط الجرعة. وقد لاحظت الآتى:

- أن هذه هى المرة الأولى التى تفكر فيها المريضة فى (الخارج).
- أنها المرة الأولى التى (ترغب) فيها فى رؤية أهلها حقيقة ولا تكتفى بذكرهم بمجرد الفاظ جوفاء تكررها بلا معنى.
- أنها فكرت وقررت ونفذت ...وهذا غريب جدا على حياتها الراكدة الميتة منذ سنوات.
- أن شكواها الجسمانية قلت بدرجة ملحوظة.
- وأخيرا وهو الأهم رجوعها التلقائى إلى نقطة البداية وما صحبه من راحة نفسية أكدت بنفسها عليها مرتين.

ألا يؤكد هذا كل ما تفضلت وكتبته فى هذا المقال عن إحتياج الإنسان "للرجوع" أو "النكوص" فى لحظات كثيرة من لحظات حياته حتى يجدد وجوده وليس فقط للإختباء أو الإنزواء؟

د. يحيى:

شكرا جزيلا

وفى انتظار نقدكم للأحلام، ولا أعرف إن كان ذلك سيتطلب منك النظر فى التقاسيم أم لا؟ هذا ليس طلبا على أية حال

أما بالنسبة للحالة التى عرضتيها فربما تتاح الفرصة لمناقشتها فى باب "استشارات مهنية" لو تحول الأمر أسئلة محددة،

وأيضا أقترح أن تنتظرى حتى أتم موضوع "جذب الركن" وقد ظهر الجزء الثانى أول أمس: الأربعاء وقد تم تنظيم النشرة وتعديلها صباح الخميس وأتمنى أن تكون تحت يديك النسخة الأخيرة منها (صباح الأربعاء لا مساء الثلاثاء)، وليس التى دخلت الموقع يوم الثلاثاء مساء، أما الحلقة الأخيرة (الوجه السلبى للظاهرة كما جاء فى المتن) فسوف يكون موضوع الأسبوع القادم.

د. على الشمرى

اعتقد ان العودة الى الركن الخاص هى جزء من مشاعرنا وذكرياتنا الواعية وغير الواعية وبالتالى هى حق مشروع نمارسه متى ما ملينا من ضغوط الحياة كمكان منزوى بعيدا عن الضجيج واعادة معايشة التجربة ربما مرة اخرى فعلا هذا مايحصل فى بعض

الاحيان عند ما نتعب من ايقاع الحياة وتكون مزعجة او تبعث على السأم بسبب الاليات المتكررة والخاطئة فى بعض الاحيان او التى يعتريها شيئا من الزيف والواقع غير المريح فحياتنا بالكهف والقبو رغم بدائيتها الاانها اكثر مصداقيةواكثر انسانية حياة بسيطة خالية من التعقيد اكثر تلقائية من حياتنا المعاصرة فى بعض الاحيان فهل يوجد فى تركيبتا الحيوية ما يجذبنا الى ذلك الماضى البدائى وربماالبائس؟

د. يحيى:

شكرا يا عم على، وإن كنت أتحفظ قليلا على اقتران هذا الحنين بالبدائية أو بالطفولة إلا من جانب محدود، ومؤقت وتمهيدى.

****

دراسة فى علم السيكوباثولجى (الجزء الثانى) من وحى ديوان أغوار النفس

الحلقة (17) من وحى الحالة الثالثة: الحق فى الانسحاب (الرجوع) :

الحنين الى "ركنك الخاص" (2 من 2) (خبرات شخصية: الركن القصى والجذب اللحوح)

أ. رامى عادل

رأيتك رأى العين هكذا، منزويا، قابعا، يمتلئ وجهك بوخزات لا ادرى ان كانت جمالا ام قبحا، كانك النبى ابراهيم يخبر وليده بانه على وشك ان يذبحه، رايتك منزويا ولم يصدقنى ابنك د.محمد واعترض، ولم اعترض، ولكن هذا كان فى زاويتك، وبعد ثوان او اكثر فردت جناحيك ورفرفت، وكنت فى انتظار هذه اللحظه الفاصله الصادقه الدافعه المندفعه، فقد ذكرتنى بالكهف، فقد "اويت" اليك ابى بعدما تلقفتنى وتقاذفتنى الانواء، لكى اخرج منك اليك راقصا رافضا متوجها، اتذكر الان بعد كل هذا انك دوما تقولها انك لن تستطيع معى صبرا، هذه هى رحلتك، اصدقها كما هى بما هى فى زاويتك.

د. يحيى:

آسف، لأن نسخة النشرة التى وصلتك ليلا قد تعدّلت (تنظيما) هذا الصباح (الخميس) برجاء الإطلاع على النشرة الجديدة، فهى أوضح وأحسن تقسيما.

ومع ذلك يظل تعقيبك هو إبداع له دلالته

شكرا.

****

حوار/بريد الجمعة24-7-2009

د. محمد أحمد الرخاوى

في ردك علي الصديق الذي استشهد بالآية الكريمة \" ان الله لا يغير ما بقوم حتي يغيروا ما بانفسهم"\

اذكر ان احد المفسرين افاد بان تفسير هذه الآية علي عكس ما يتصوره كثير من الناس اي ان الله يغير الحال اذا غير الناس ما بأنفسهم من ايمان الي ضلال وليس عكس ذلك وانا اميل الي هذا التفسير واصدقه اكثر

والله اعلم

د. يحيى:

لك رأيك

ولا أوافقك عليه

وأتحفظ على كل التفاسير، دون رفض

أفضل الاستلهام، وحمل الأمانة، دون استشهاد حتى.

أ. رامى عادل

الفاضله د. أميمة رفعت: هلا استحضرتى معنا كلمات عم يحيى – أفرح بالوحده إذا فرضت على أفرح بك إذا كسرتها– وأنه يخاف أن يكون ثقيلا

إلى الأخ الأكبر د. محمد أحمد الرخاوى أشهد إنى استغربت جدا من طريقة حضرتك فى الكتابه المره دى، ده لأنى استطعمتها. لون جديد. ولحن آخر، عايز اقول كلمة اشمعنا، ومن شهر وشويه حسيت بنفس الشعور أن قلم ايديك بيعلم عل ورق، مش زى امبارح، إنما بلون برونزى زى متكون بتعيد (م العيد) علينا بينا لينا

د. يحيى:

يصل ويسلم للدكتورة أميمة

ثم على الله يوصل لك يا محمد يا ابن أخى

*****

دراسة فى علم السيكوباثولوجى (الكتاب الثانى): شرح على المتن: ديوان أغوار النفس

من وحى الحالة الثالثة: الحلقة (16) الحق فى الانسحاب (الرجوع)

الحنين إلى "ركنك الخاص" (1 من 2)

أ. عبد المجيد محمد

إذن من حق أى منا أن يحترم نزوعه أحيانا إلى العودة إلى ركنه الخاص

د. يحيى:

طبعا، ونصف

أ. عبد المجيد محمد

– هل الركن الخاص لابد إنه يكون مكان معين؟ ماينفعش يكون هوايه معينة أو شئ معين؟ الإنسان يشعر فيه بالمتعه وفى نفس الوقت يكون فيه رجوع اكتر كهذا.

د. يحيى:

بصراحة ممكن، ولكنى فى اعتقادى أنه لكى يسمى ركنا (بالمعنى الايجابى) فقد يحتاج الأمر إلى درجة من الغموض، أو السرية، والإيقاعية، والوعد ربما بالحمل، بولادة ما، يكفى الوعد.

أ. عبد المجيد محمد

– على قد ما فرحت باليومية على قد ما خفت إن ده يكون ترييحه أو انسحاب سلبى منى أو .....

د. يحيى:

وهل الترييحة عيب، اليست هى من حقوق الإنسان الحقيقية.

أ. عبد المجيد محمد

– هو الحق فى الانسحاب أو الحنين إلى الركن الخاص له وقت معين ومده معينه ولا هيه مسألة شخصية؟

د. يحيى:

ليس بالضرورة، ولكن إذا كان جزء من الايقاع الحيوى فأظن أنه يحدث دوريا بتجليات مكانية ولا زمانية مختلفة لعل من أهم التجليات الزمنية دورة النوم والحلم ...! من أهمها "النوم".

أ. نادية حامد

هل يجوز أن ينقد كاتب نفسه؟

أعتقد يتطلب ذلك قدر كبير من الموضوعية.

د. يحيى:

عندك حق

لهذا قصرت ما يشبه النقد على الاقتطاف والإشارة والمعنونة.

أ. نادية حامد

أفضل "كلمة الرجوع أو العودة" عن "الإنسحاب" لما فى الأخيرة من بعض الضعف والاضطرار حتى لو كان ده حق.

د. يحيى:

عندك حق

****

دراسة فى علم السيكوباثولوجى (الكتاب الثانى): شرح على المتن: ديوان أغوار النفس

الحق فى الرجوع (العوْد) الحلقة (17) الحنين الى "ركنك الخاص" (2 من 2)

_ خبرات شخصية: الركن القصى والجذب اللحوح

أ. زكريا عبد الحميد

لا لم تتورط يا د .يحيى فى تنظير مسألة "خبرة شخصية". افادكم الله

لقد نورت لى مسألة "خبرة طالما عانيت منها -كثيرا- وبوجه خاص فيما يتعلق بحنينى الذى لا ينضب للاسكند رية كركن خاص.

د. يحيى:

بالسلامة

أ. عبير محمد

قرأت اليومية ولكنى لم أستطع التعليق عليها، وإن كنت أستغرب لسهولة هذا النوع من الرحلات (الداخل والخارج) وأتفق مع حضرتك إن هذه الرحلات لها معنى وطعم خاص ولكن ألا يفقدها التنظير هذا الطعم الخاص.

د. يحيى:

نعم، يفقدها

كما "يفقد ما اسميته" شرح على المتن الشعر نكهته والحانه وتشكيلاته.

لكن: ما العمل؟

*****

دراسة فى علم السيكوباثولوجى (الكتاب الثانى): شرح على المتن: ديوان أغوار النفس

(تابع) الحالة الثالثة: الحلقة (18)

حين يصبح الركن قبرا لا ملاذا (1 من 2)

أ. رامى عادل

"المقتطف:

هوًّا الميت بيخاف؟

طبعا بيخاف،

بيخاف يصحى"

التعليق: يبدو ان الخوف من الاقتراب لهذه الدرجة يصيب معظمنا، حتى انه ما ان يتهددنا خطر بان احدا.ً سوف يخترقنا نفر فرارا، ناسين ان هناك بعد التفكيك اعادة بناء، ولكن مع ذلك فاستيعاب صدمة الاختراق والتفكك صعب للغايه، يحتاج ان نمتصه هكذا رويدا رويد، وممكن يكون اغلبنا مش مصدق انه خف او مش مصدق ان فيه حد بيحبه، ان وجد، او انه عرف ان مفيش حاجه اسمها حب بالطريقه اللى بيروجوا بيها، فرفض الصفقه، ومزق الورقة.

د. يحيى:

عندك حق

رويدا رويدا رويدا

وكل شىء ممكن.

*****

دراسة فى علم السيكوباثولوجى (الكتاب الثانى): شرح على المتن: ديوان أغوار النفس

(تابع) الحالة الثالثة: الحلقة (19)

حين يصبح الركن قبرا لا ملاذا (2 من 2)

د. نعمات على

تيقنت أن الموت انواع ولكن اصعبها الموت وانت حىّ، الحياه بلا حركة بلا نبض، فهو أصعب من الموت الحقيقى فالموت الحقيقى هو انتقال من وعى إلى وعى، أما الجمود والموت السابق فهو فى رأيى توقف الوعى

د. يحيى:

أظنك تقصدين توقف حركية الوعى، ذلك أن الوعى لا يتوقف كما تعلمين، قد تختفى بعض مستوياته تحت ركام الجمود، وقد يتمادى زيف حركية بعض مستوياته بما يشبه الحركة فى المحل، لكنه لا يتوقف، النمو هو الذى يتوقف

د. أسامة فيكتور

إتخضيت من عبارة:

هذه الجاهزية للانسحاب الإجهاضى هى استعداد داخلى قوى، (فالمتقدم زيفا يكون) واثقا من القدرة على إلغاء التواصل بالآخر فى أى لحظة، فتساءلت:

هى موجودة فى جميع الناس ولا المرضى فقط؟!

د. يحيى:

الجاهزية للانسحاب هى عند كل الناس، أما الانسحاب الإجهاضى فهو عند المرضى صراحة أو عند من هم أسوأ من المرضى من مزيفى العلاقات بظاهر الوعى أو بدون وعى (خلها بينى وبينك).

د. أسامة فيكتور

أعتقد أن آخر عبارة فى اليومية عبارة مهمة جداً وتحتاج لانتباه وحرص:

"**حتى لا تخدعهم (الاطباء) حيل الطاعة، والامتثال، أو حتى اختفاء الأعراض**".

د. يحيى:

هذا صحيح.

يا رب ننتبه.

أ. عماد فتحى

- بالنسبة للشيزيدى والعلاج الجمعى، كنت أحسب أن العلاج الجمعى قد يكون مفيدا لمثل هذه الحالات بما فيه من اقتراب متعدد والثقة متاحة، وقد أضافت لى هذه اليومية معلومات جيدة ورؤية أخرى.

د. يحيى:

هو مفيد فعلا، وأرجو أن تؤكد الرؤية الجديدة فائدته، أما الصعوبات والوعى بها فهى تتيح مساحة من الفائدة أكثر فأكثر.

أ. عماد فتحى

كيف يمكن للمعالج التصرف مع ما يقوم به المريض من إرضاء ظاهرى، وبالتالى تحسن كاذب؟

د. يحيى:

يكتشفه،

ويسمح به مؤقتا حتى تتاح الفرصة لكشفه للمريض أكثر فأكثر،

ومن ثَمَّ التفاعل الأعمق..

إلى ما تعرف وما سوف تعرف.

ويشاركك المريض دائماً!

أ. عماد فتحى

هل هناك فرق بين التبلد فى أنواع الفصام الأخرى والفصام الكاتاتونى؟ وأيهما أفضل فى المآل؟

د. يحيى:

بصراحة، وبرغم السمعة السيئة للفصام الكاتاتونى فإنى أرى أن التبلد فيه مؤقت، وأن فرط حدّة الانتباه السلبى يعوض جمود العواطف.

أما اللامبالاة الأعمق، والتبلد الأكثر صلابة فهو فى الفصام البسيط السلبى المتسحِّب،

ثم نأتى لحكاية المآل، فهذا لا يتوقف فقط على نوع الفصام وإنما على عوامل أخرى كثيرة، وعموما فمآل الفصام البسيط أسوأ مع أنه أخفى، ويعتمد مآل الفصام الكاتوتونى على ما يتبقى بعد الهيجة الحادة.

أ. أيمن عبد العزيز

أريد أن أفهم أكثر كيف إن الشيزيدى يتحايل لتغطية انسحابه ليس فقط عن الآخر وإنما على نفسه، بحركه نشطه. وما المقصود بهذه الحركة النشطه؟

د. يحيى:

هى الأقتراب المظهرى، المصاحب عادة بألفاظ حماسية، وإعلان عن مشاعر ساخنة، ولكن هذا أو ذاك –إذا كانت المسألة تحايلا – يكون قصير العمر ضئيل الدفع، إذ سرعان ما تسقط المظاهر فى أول امتحان جاد عن المسئولية "المعيّة".

أ. أيمن عبد العزيز

أرجو من حضرتك الاستمرار فى هذه النشرة، حيث أجد عند قراءتها اكتشافات لأشياء وخبرات لا استطيع وصفها، وهى تساعدنى كثيرا فى فهم وتوضيح ورؤية أعمق.

د. يحيى:

حاضر

أنت تؤمر.

أ. مياده المكاوى

بالرغم من فرحتى الشديدة والائتناس بما ورد فى يومية الركن القصى والجذب اللحوح وإن جاز لى القول فقد ذهبت لاماكن، ومررت لحظات، ووجدت فيها ملاذى كما ورد فى اليومية، وإن كنت لم أفهم ذلك سوى بقراءة اليومية إلا إننى بقراءتى لليومية الأخيرة بعنوان "**حين يصبح الركن قبراً لا ملاذاً**" خفت كثيرا من نفسى وعليها بقدر ما أستوعبت وما وصلنى فى اليومية تجاه مرضاى ومواقفى اليومية معهم، هذا الخوف يدفعنى للسؤال عن ما هو الموقف مع أشخاص طبيعيين إن صح القول، أشخاص نقابلهم فى حياتنا، لهم ذاك الموقف المرضى دون مرض، ولكنه جمود بلا حراك؟ بكل المعنى الوارد فى اليومية وماذا إن وجدت ذلك فى نفسى؟؟

د. يحيى:

التسليم بهذا الحق من حيث المبدأ هو الوقاية ضد أن ينقلب الملاذا قبرا، والتسليم لا يعنى الترحيب وإنما يعنى السماح إلى عودة

عودة "إلى آخر حقيقى" ينتظر عودتك.

ويا حبذا لو كان فى وعيك، وليس فقط فى الواقع.

د. أميمة رفعت

أنا أفهم تماما عزوفك عن الإستمرار بعد الحالة الثالثة. أن تضطر لشرح أحاسيسك والصور التى تراها فى مخيلتك والتى تبلورت على شكل أبيات شعرية فى النهاية لهو شىء سخيف ..

ولكن لكى أصدقك القول، فأنا شخصيا أفادنى هذا الشرح كثيرا وربطته بكثير من خبراتى فى العمل فأصبح بالنسبة لى كالإزميل الذى يعمل على جوهرة ما فيصقلها ويعطيها شكلها النهائى الجميل. ولكننى سأقدر توقفك إذا قررت هذا على أى حال.

فهل يناسبك مثلا أن نرجع إلى باب حالات وأحوال وإذا ما وجدت بعض ما يصلح من المتن لشرح بعض الحالة أضفته (كمتن فقط إذا أردت و ليس كشرح مرسل، أو ربما كشرح أحيانا)؟

د. يحيى:

والله يا أميمة أنا حائر بين التزامى بالإفادة، وبين احترامى للجمال.

فليسامحنى المتن الذى بدأت أنشره متماسكا فى نهاية كل حلقة بعد أن أكون قد مزقته تشريحا بسكين بارد دون تخدير، أثبته فى نهاية كل حلقة برغم التكرار فأنا – شخصيا – تصلنى رسائل أخرى حين أعيد قراءته مجتمعاً.

أرجو أن يسامحنى "المتن" وغير المتن كما تسامحونى أنتم على تنقلاتى هكذا، أو – لا قدر الله – إذا أنا توقفت.

د. مها مباشر

If you are going to stop writing for things related to the need to recharge this is yours but if related to scanty feedback I think you have to reconsider me as your long term student, I can grasp nearly all your writings in this issue.

However I may not have the enough time to comment on this worthy material step by step, but it keeps on organizing my thoughts, work and givings.

Thaks dr. God rewards you in shaa Allah, and sorry for writing in English as I'm abroad in a holiday using a lab top with English only.

د. مها مباشر

موجز الرسالة بالعربية

إذا كنت قد قررت إيقاف هذا الباب لقلة التعقيبات والحوار، فأرجو أن تعيد النظر

باعتبارى تلميذتك القديمة، وحتى الآن....

إن هذه المادة تنظم أفكارى وعملى وعطائى.. الخ.

د. يحيى:

والله يا مها أنا لا أدرى إلى أين يقودنى "طيران الموضوعات" (قياسا على "طيران الأفكار Flight of Objects") **هكذا،**

أسألك الدعاء أن أواصل حتى لو لم أستقر.

تعودين بالسلامة.

د. أميمة رفعت

التقاسيم:

هل نزل كتابك عن التقاسيم على الأحلام فى الأسواق؟ تحت أى عنوان وما هى دار النشر؟ سأحتاج فى النهاية إلى نسخة ورقية.

د. يحيى:

لا طبعا،

فقد حدث ما لا أحب أن أتحدث فيه، لأن هناك بعداً أخلاقياً فى الموضوع، وحبى لشيخى محفوظ يمنعنى أن أتمادى فى تقليبه.

ويفعل الله ما يشاء ويختار.

أنا موجوع.

والكتاب لديهم منذ عام تقريباً.

ويمكنك الحصول على نسخة الكترونية من الموقع، وتقومين بطبعه على طابعتك، فهو متاح لمن يريد، وإن كنت لست متأكدا أنه قد نزل فعلا بالموقع، وسوف أتحرى ذلك.

متألم أنا جداً.

الحمد لله.

د. محمد عبد الحليم

أنا فى انتظار الحلقة القادمة من وحى ديوان أغوار النفس فى نفس موعدها الأسبوع المقبل ولا أقبل أى عذر

قال تعالى: "ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً".

د. يحيى:

حاضر.

ربنا يتقبل

أ. سميح

كيف يعرف المعالج ان التحسن الظاهر وطاعه المريض له وكذلك التغير الشكلى هو ارضاء له وانه شكلى وبس، يعنى مش حقيقى؟؟

ثم ماذا لو انصت المعالج للداخل وعرف هذا ؟ كيف يتعامل معه ..أو يوصله لمريضه؟

هل المهم هنا هو إبلاغه للمريض بغرض تبصيره بانه يفعل ذلك هربا وتمسكا بعدم التغيير؟ ام ماذا؟؟!!

د. يحيى:

التبصير وارد طبعا لكن المسألة تحتاج يقظة من المعالج أولا

ثم وضع فروض واحتمالات

ثم رفض تدريجى للحيل والمهارب

على أن يحدث ذلك على مدى زمن كاف

ليصل من كل ذلك بعض ما تيسر مما اسميه تبصيرا لأنه ليس تأويلا ولا شرحا مباشرا أبداً.

د. ماجدة صالح

رغم إدعائى المتواضع بفهم وهضم ما قرأته (منذ حوالى 20 سنة) من كتاب السيكوباثولوجى، إلا أننى وجدت فى هذا النوع من اليوميات شيئا جديدا؟ قد يكون سلاسة فى شرح المتن وربطه بالعلاج النفسى بنوعيه. فاندهشت فى نهاية النشرة بهذا العزوف (حتى لو كان مؤقتا) عن التكلمة.

لا أعلم؟ قد يكون موقفا شخصياً، ولكننى أرى أن العلم والتعليم فى هذه اليوميات أكثر وأمتع من مواد النشرة الأخرى المتنوعة.

د. يحيى:

حاضر

تحت أمرك

أ. رامى عادل

ليه وجدت في نفسك عزوفا عن تكملة شرح الديوان يا عم يحيى، ده اللعبه ابتدت تحلو، ايه قصدك؟ انا كمان لما ابتديت انام كويس بعد 3 سنين من النوم المتهالك، وبعد ما ابتديت احس بنشاط بعد ما زودت عدد ساعات نومى ساعتين، وبعد ما ابتديت افوق، فكرت اني انسحب من أو أغير قوانينها، بعد ما ابتديت استريح، زى ما اكون رافض او مستكتر على روحى الراحه، ممكن ماتقلدنيش، انا وحش

د. يحيى:

راحة ماذا يا عم رامى؟

الراحة هى أن تجد فى التعب راحة.

هأنذا مستمر

والبركة فى تشجيعكم.

*****

دراسة فى علم السيكوباثولوجى (الكتاب الثانى): شرح على المتن: ديوان أغوار النفس

الحالة الرابعة: الحلقة (20)

العلاج النفسى الاستجدائى الاعتمادى (الفردى والجمعى)

أ. رامى عادل

من النادر يا عم يحيى ان تعرض الجانب المظلم من الحاله دون غيره.

د. يحيى:

لا يا عم رامى، أرفض أن أخفف التعرية بموقف إرشادى أو إصلاحى يمسخ المتن أكثر من تشريحه هكذا.

دعنى أكتفى بحدود المتن ولا تدفعنى أكثر من ذلك.

أى جانب مظلم هو قادر على تفجير الضوء من عمق إظلامه.

*****

دراسة فى علم السيكوباثولوجى (الكتاب الثانى)

التحذير من تعرية مؤلمة، بلا حركة مشاركة

د. ناجى جميل

يبدو أن ممارسة العلاج النفسى بهذا العمق والكيفية، شديد الصعوبة على المعالج من حيث الاستعداد للخوض فى هذا العمق والتدريب عليه. كما أنه من جهة أخرى أصبح غير معروض فى المراجع العلمية المشهورة.

د. يحيى:

عندك حق

د. ناجى جميل

أتساءل فى الآونة الأخيرة عن تأثير تعميم السطحية فى المجتمع على ممارسة العلاج النفسى بقطبيه أى المعالج والمريض!!

د. يحيى:

هو تأثير بلا حدود والعياذ بالله

التسطيح يغذيه "العلم الزائف" أكثر فأكثر، والحرص على المكسب السريع لشركات الدواء على حساب الحقيقة والمرضى هو المصيبة الكبرى حاليا.

****

دراسة فى علم السيكوباثولوجى (الكتاب الثانى)

العلاج النفسى الاستجدائى الاعتمادى

د. محمد شحاته

هناك مرحلة من التوازن كثيراً ما أجد صعوبة فى ضبطها: بين دفع المريض إلى التعلق بالمعالج والإطمئنان له من أجل خلق علاقة علاجية تسمح بالنمو والحركة، وبين أحتياج المريض إلى "موضوع" يدفعه إلى التوقف من أجل انتظار رأى المعالج فى مختلف المواقف التى يتعرض لها ورفضى لذلك على اعتباره موقفاً مرضياً.

د. يحيى:

عندك حق

لكن مهمتنا هى فى خوض هذه الصعوبة لا تجنبها

د. مروان الجندى

إذن: ظهور الأعراض هو قد يشير إلى الاستمرار وليس إلى التدهور والإنتكاسة على طول الخط.

د. يحيى:

فعلا

أ. نادية حامد

أتفق مع حضرتك تماماً فى أن ظهور الأعراض المرضية هو إعلان ضمنى لإحتمال تحريك مسيرة النمو ومش إنتكاسه فقط.

د. يحيى:

ليس دائما

ولكنه احتمال لابد أن يوضع فى الاعتبار

أ. نادية حامد

أعجبنى جداً مصطلح التمسك بالدفاعات العامية (خايف أقرّب ولا أجرّب) وشوفتها إكلينيكيا مع مرضى كتيرين.

د. يحيى:

ربنا يبارك فيك

أ. عماد فتحى

هل تُقبل الإعتمادية فى مرحلة ما من العلاج من المريض على المعالج؟ أم هى مرفوضة تماماً؟.

د. يحيى:

تقبل ونصف

والعلاج هو حلها، وليس رفضها بشكل مطلق وفى وقت باكر، وكله لصالح المريض.

د. مدحت منصور

لم أكن أقرأ ديوان أغوار النفس ولا شروحه بصراحة خوفا من أنني لن أفهم، وأدركت صعوبة الكلام قبل أن أبدأ، ربما خشيت مسئوليته أو مسئولية حمله، ثم انتقلت الحالة بصورة أقل لباقى اليومية إذ لا أجد ما أقوله وأحيانا وجدتنى لا أفهم فهما كاملا، وربما ليس لم أجد عندى من الجهد ما يجعلنى أن أحاول وأحاول، ثم فهمت من البريد أن هناك تفكيراً فى التوقف، ثم أرى التراجع بعد ذلك وتحت إلحاح الجادين المدركين لماهية ما يقدم أقول – يا بختك– تجد من يطالب حضرتك بالاستمرار ثم تحدث العدوى فأقرأ التعليقات فأجد كلاما طيب جدا ويبدوا لى خطيراً مفيدا، أقول توكلنا على الله أهو كل كام يوم آخد شوية من اللى فاتونى على البركة، النشرة والحياة بيخلوا الواحد يدخل فى إحباطات وبلاوى وألم وحبة فوق وحبة تحت لكن أدينى مكمل ولو بالعدوى.

د. يحيى:

لا تعليق

*****

دراسة فى علم السيكوباثولوجى الحلقة (21)

تحذير من تعرية مؤلمة، بلا حركة مشاركة

د. مدحت منصور

كل عام وأنتم بخير. النص زعلان شوية بس الناس حتدعى لحضرتك، التفصيص (الشرح) صعب لكن لو أخذنا من كل نص حبة ولو صغيرين حايتجمّع معاناكثير، ويمكن ناس شاطرة تأخذ كتير وكثير، ويبقى المجموع الكلى أكبر، ربنا ينفع بك الناس فى مشوارنا إليه.

د. يحيى:

ربنا يسمع منك

****

دراسة فى علم السيكوباثولوجى الحلقة (22)

عن العلاج النفسى والأيديولوجيا (1 من 2)

أ. عماد فتحى

بالنسبة لموضوع إيديولوجية المعالج وعملية التحيز لهذه الأيديولوجية، أرى وجهة نظر الغرب يمكن أن تكون نافعة، مش عارف!

د. يحيى:

لك الحق أن ترى ما تشاء،

لكن علينا أن نعرف معنى ذلك الذى يشترطونه لتجهيل الهوية الدينية لكل من الطبيب (المعالج) والمريض، كما علينا أن ننظر فى مدى المسافة التى تتخلق بيننا وبين المريض من خلال ذلك، وقد ناقشنا هذا الموضوع مكررا فى باب الإشراف عن بعد.

وكل واحد يعمل فى إطار ثقافته وموقفه ومسئوليته إلى ما يصلح به عمله.

د. محمد على

مش عارف يا دكتور يحيى أنا شايف إن أصحاب الإيديولوجيات أصبحوا قليليين، إلا أصحاب التدين السطحى "اللى" هما ماليين البلد رافعيين حراب الكلام والدفاع عن المذاهب ضد بعضهم والمجتمع ونفسهم.

الحاجة الثانية: إن أصحاب التدين دول تقريبا يمثلوا 70% من العامة، ومن غير خناقة مع الدين يتخانقوا مع نفسهم ويبقى الـــــ 7% عيان نسيبهم كده أحسن.

د. يحيى:

لم أفهم ماذا تعنى بـــ "تسيبهم كده أحسن"

ولست متأكداً من الرقم الأخير هل هو 7% أم 70%، ولا أعرف من أين لك بهذه المعلومات أو حتى الانطباعات بهذه النسب، التى بدأت بها تعقيبك

وأرى أن الأيديولوجيا قد تكون أخفى من أن تُعلن، وربما هى أخطر بهذه الصورة السرية،

كما أعتقد أنه فى نهاية النهاية، فإن الذى يحسم الأمر فى مواجهة جمود الأيديولوجيا هو الموقف النقدى الممتد، والذى يهز كل الأيديولوجيات، بل والعقائد أولا بأول، والذى تتحدد إيجابياته بمدى تحقيق القدرة على التغيّر الفعلى.

****

دراسة فى علم السيكوباثولوجى الحلقة (24)

دفاعات ضد "حركية" تجليات"الحب"على مسار النضج

د. مدحت منصور

"معلش يا "نَصّ"، بنفكّك علشان تتلم تانى جوانا وتتوّر....."

د. يحيى:

آسف يا مدحت، فضلت أن أعتذر عن نشر بقية تعقيبك لأنه بالغ التكثيف، واكتفيت بنشر اعتذارك هذا للنص، وأبلغك عنه: أن النص قد "قبل" الاعتذار على شرط أن تعيد قراءته دون شرح.

أ. رامى عادل

تلطمنى بعنادها وعدم سماحتها (ما دمتم تتحدثون عن الحب) وأنها براويه، تحب ان تظل مرغوبا فبها، لهذا طهقت منها، ومن تزويغها، وتخبيتها، تهجرني، وتستغلني (وانا كذلك عشان ميزعلوش) واكره جوعها، وصلابتها، تشبهني في افعوانيتها، اكرهها واعشق احتياجي لها فهو يبقينى حيا، يوجعنى فيواسينى ويؤنسنى.

د. يحيى:

موافق

****

دراسة فى علم السيكوباثولوجى الحلقة (25)

الباب الثانى: قراءة فى عيون بشرية

د. أسامة عرفه

أبي الحبيب كل عام وأنت بكل الخير

هل هي قراءة **بالعين** البشرية أم قراءة **في العين** البشرية؟

قراءة ما تبوح به وما تداريه وما تحاول أن تداريه أم هي تواصل بين كيانين عبر بوابة العيون؟

وهل تنجح إذا كانت من طرف واحد يحدق يتفحص والآخر يهرب..

وهل يتحمل المعالج فى حوار القراءة المتبادلة أو الشوفان المتبادل..؟

وماذا عن خصوصية هذه الممارسة مع المريض البارانوي تحديدا؟

د. يحيى:

ياه!! أين أنت يا رجل؟

حمداً لله على السلامة يا أسامة!

أنشغلت عليك، ولم أردْ أن أزعجك بالسؤال عنك، فأثقل عليك بأن تبعث ما لم يستثرك فيثيرك،

المهم: وأنت بالصحة والسلامة.

ثم ردا على تعقيبك:

أولا: هى قراءة فى العيون، بالعيون وغير العيون

ثانيا: وفيما يخص هذا العمل (المتن الشعرى): فالقراءة هنا هى قراءة من جانب واحد، "جانبى"، وهى جماع التشكيل والحدسْ والتحديق التخليقى، والتحريكى، فإعادة التشكيل بما تيسر.

[هكذا أصعب، !! عذراً].

ثالثا: فيما يتعلق بخبرة التحديق العلمى أثناء المقابلة الإكلينيكية العادية، فهى اجتهاد لتحريك "الحزن"، أو "الألم"، مع محاولة المشاركة، إذن هى قراءة من الجانبين، لأنه لو لم يَرَ المريض فى عيون الطبيب محاولته الجادة فى نفس الاتجاه فلن يسمح لنفسه بالكشف عن هذه المناطق الحرجة.

رابعا: أما سؤالك عن: هل يتحمل المعالج القراءة المتبادلة أم لا؟ فهذا يرجع للخبرة، والمسئولية، والجسارة، والأمانة، والصنعة، وستر الله.

خامسا: وأخيرا، فإن المريض البارانوى بالذات ليس أصعب من غيره، ربما ذلك لأن محاولاتى لم تختبر حتى الأن منطقة التوجس والحذر، فى مقابل الطمأنينة والأمان، وإنما معظم كشفى كان فى منطقة "الحق فى الحزن" و"الحق فى الألم"، وإلى درجة أقل "الحق فى الشوفان" وأيضا: "الحق فى الاعتراف والاحترام".

وكل ذلك ممكن مع البارانوى وغير البارانوى

ولا أنصح به أحدا، إلا على مسئوليته تحت إشراف!!

*****

دراسة فى علم السيكوباثولوجى (الكتاب الثانى) الحلقة (24)

شرح على المتن: ديوان أغوار النفس

دفاعات ضد "حركية" تجليات"الحب"على مسار النضج

د. ناجى جميل

ما تتضمنه هذه الدراسة أجده فى منتهى الصعوبة سواء على المستوى الشخصى للمعالج، أو على المستوى المعنى فى عملية العلاج.

كما أننى أجد صعوبة فى تقييم وقياس التطور والنمو إذا أخذنا فى الاعتبار تعدد وتداخل القياسات مثل الشطارة والمكسب والفهلوة والحداقة والعقلنة.. الخ.

أعتقد أن من يضطر للتطور بإلزام داخلى، نتيجة ورطة موضوعية وحركة داخلية،

سيفعلها بدون وعى معقلن بها ودون صخب خارجى.

د. يحيى:

بصراحة يا ناجى عندك حق

والله العظيم يا شيخ عندك حق

صدقنى!!

ما رأيك؟

هل أتوقف عن النشرة وألزقها فيك؟

أنا موافق إذا وافقت

الحديث عن الجدل هو ضد الجدل (غالبا)

والحديث عن وجود الله بالعقل والعلم والمنطق هو ضد وجود الله (غالبا)

والحديث عن النمو هو ضد النمو (غالبا)

والحديث عن التطور هو ضد التطور (غالبا)

ماذا نفعل؟

أ. نادية حامد محمد

بالرغم من صعوبة ومثالية وعقلنة النوع الثالث من الحب اللى هو مسئولية وتحمل وطول نفس إلا إنه له نتائجه الإكلينيكية الطيبة مع بعض مرضانا، وممكن نستفيد منه فى تحريك مسار نمو ونضج مرضانا.

د. يحيى:

والله يا شيخة مرضانا أطيب وأكثر حركية من "اللى بالى بالك"

رمضان كريم

أ. محمد المهدى

بداية أتفق مع حضرتك أن كثرة ما يشاع عن "الحب" جعلها كلمة فضفاضة يعتقد كل شخص أنه يلم بجوهره ما الحقيقى، وتساءلت شخصياً وأنا أقرأ هذه اليومية هل أنا حقا أعى المعنى الحقيقى لهذه الكلمة ؟ لا أعرف. أعتقد أن هذه اليومية ساعدتنى كثيراً حين وضحت لىّ بعض هذا المفهوم الغامض خاصاً فيما أشرت له حضرتك عن بعض أنواع الحب وكيفية النقلة من الحب الخصوصى إلى القدرة على الحب، ومزاعم النضج المعقلنة فى بعض العلاقات الثنائية إلا أن هناك بعض العبارات التى لم أستطع فهمها جيداً وأرجو من حضرتك إيضاحها أكثر مثل:

"الحب الذى هو كنظام للحب".

"النقلة من تخصيص الحب إلى القدرة على الحب صعبة وقد تختلط بنقلة إلى الخلف نكوصاً".

أرجو الإيضاح أكثر، ولكم جزيل الشكر.

د. يحيى:

- **أما الحب الذى هو "كنظام الحب"، فهو الذى أشرت أنت إلى أنك كنت تحسب أنه حبا، ثم وصلك غير ذلك من اليومية ، يعنى هو الحب الذى هو ليس حبا**

- **أما النقلة من الحب الخصوصى إلى القدرة على الحب فإن القدرة على الحب هو ما وصللك من معانى الحب الناضج، النابض، المسئول، الفرحان، المتألم، القوى**

- **أما حكاية النكوص تحت عنوان القدرة على الحب، فهو الخوف أن تصبح المسألة "سبهللة"، وهات يا حب من الحب السائد، وتقول لى "مش انت اللى قلت نحب كل الناس"، وهات يا لذة، وهات يا حرية من التى مش هى، وكلام من ده،**

- **هل عرفت الآن يا محمد ما هو الخوف من النكوص عندما تلوح بالحب للجميع دون تحفظ .**

كفاية كده

نحن فى رمضان

****

دراسة فى علم السيكوباثولوجى (الكتاب الثانى) الحلقة (25)

شرح على المتن: ديوان أغوار النفس

قراءة فى عيون بشرية

د. عمرو دنيا

أوافق تماما على أن هناك لغة أخرى بل لغات أخرى غير الكلام أكثر رُقيا، وأكثر بلاغة وهى تساعده على إيجاد علاقة فاعلة وتواصل حقيقى أفضل من الكلام، والذى هو ليس بالضرورة وسيلة جيدة للتواصل بل قد يكون كلاماً أجوفاً مُعيقاً، لا يتجاوز فى قيمته الصفير فى الخواء.

د. يحيى:

أرجو أن تقرأ معى بقية العيون لأننى اكتشفت فيها أمورا تستهل ما دمت قد أمسكت المفتاح هكذا

أ. عبد المجيد محمد

الآن فهمت معنى الموت النفسى، وأهم السلبيات التى تؤدى إليه مخاطر التواصل بالجسد.

ليه حضرتك ما أشرتش إلى مخاطر الإختراق بالنظر.

د. يحيى:

بصراحة عندك حق،

ويبدو أنهم هم حين نعتوها بأنها "وقاحة" فى بلاد بره، ربما قصدوا ذلك لما لها من مخاطر،

قد أرجع للكتابة فى هذه المسألة مستقلة لأنه يبدو أن لها وجوها كثيرة تستحق الفحص،

ثم لعلك لا حظت فى كثير من المرورات الإكلينيكية التى نعقدها معا كيف يطل الحزن والألم حين أمارس هذا النوع من التعرية بمجرد إطالة النظر، وربما الاختراق، بغض لنظر عن التشخيص ..إلخ

والله يا عمرو لا أعرف كيف أوصل ما تراه بعينيك معى كل ثلاثاء تقريبا إلى من لم تتح له مثل هذه الفرصة ، أوصله بالألفاظ هكذا،

والله لا أعرف، والله لا أعرف يا شيخ،

ربنا المعين.

****

دراسة فى علم السيكوباثولوجى (الكتاب الثانى) الحلقة (26)

شرح على المتن: ديوان أغوار النفس

مش يمكن يطلع كل ده :"أنا" مش "هوّه"

أ.يامن نوح

استاذنا الدكتور يحي الرخاوي مازال يدور فينا ليعيد علينا نداءه الدائم:

الرؤية..الحب..العمل

د. يحيى:

ربنا يسهل

إيجاز مبدع منك بجدّ: "الرؤية – الحب – العمل"

ثم تعبير "يدور فينا"

بارك الله فيك

الحمد لله.

*****

دراسة فى علم السيكوباثولوجى (الكتاب الثانى) الحلقة (26)

مش يمكن يطلع كل ده: "أنا" مش "هوّه"

د. ماجدة صالح

عذرا يا دكتور يحيى فلم أتحمس لهذا التحديث، رغم أننى أستشعرته نابع من موقف نبيل فظهر كأنه إعتذار دمث (وليس تراجعا) بعد معطيات حديثه لهذا الصديق "الخيالى"، ولكن هذا التحديث كان خارج سياق هذه القصيدة الجميلة الحية.

د. يحيى:

معك حق

أ. نادية حامد محمد

أتفق مع حضرتك تماماً إن تعرية تعامل الطبيب أو المعالج مع صعوباته الشخصية داخل المهنة وخارجها مهمة جداً وتفيد فى علاج واحترام المريض بس ده أعتقد إنه بيتحقق بعد وصول المعالج لدرجة كبيرة من النمو والنضج، وبالتالى المسئولية وحتى يحقق أيضاً فكرة "التقمص" بمرضاه زى ما حضرتك علمتنا (إن ما يسرى عليه يسرى على من يعالجه).

د. يحيى:

ربنا يستر

****

دراسة فى علم السيكوباثولوجى (الكتاب الثانى) الحلقة (27)

حركية استحالة العلاقة الممكنة بين البشر (1 من 2)

د. محمد أحمد الرخاوى

وفى نفس الوقت حتم الوحدة وحتم العلاقات

وحتم الحزن

وحتم الكدح هم محور الوجود كله

ولكن

بذمتك مش هوه ده اروع ما فى الوجود وهى دى الامانة ولا بلاش!!!!!

"غمض عينيك وامشى بخفة ودلع"

الدنيا هى الشابة وانت الجدع

تشوف رشاقة خطوتك تعبدك

"لكن انت لو بصيت لرجليك تقع"

عجبى

فعلا وحشنا صلاح جاهين

وقياسا على سؤال والدك عن همرشولد

هل؟؟؟ و كيف؟؟؟ سيحاسب صلاح جاهين!!!!!

د. يحيى:

كل ما أخذته أنا شخصيا على صلاح جاهين هو أنه رحَلْ، ونحن نحبه،

لكن يبدو أنها غلطتنا نحن لأننا لم نستطع أن نوصل له حبنا بدرجة كافية.

أ. رامى عادل

بعيدا عن الجوع للآخر: يبدو أنه حتى علاج الأمراض المستعصيه كالسرطان مثلا، لا يتم حله إلا إذا شعر المريض باحاطته بهذه المشاعر، حتى أننى أشعر أنه فى حالة وجود محبين، هم يستطيعوا استئصال أشد الآلام ضراوه

د. يحيى:

هذا هو الأرجح.

دراسة فى علم السيكوباثولوجى (الكتاب الثانى) الحلقة (28)

العين التانية: حركية استحالة العلاقة الممكنة بين البشر (2 من 2)

أ. رامى عادل

وإذا قلت أنا هه أنا جى يسمعنى كمَا صُفارة القطر، ويْخَافْ: الخوف من الاقتراب، والآلم الموجع الذى يقترن به، والمواربه، والتوارى خلف الوجوه، والصدود، والزيف، والالتهام، والجوع، والرغبه التى لا تهمد في أن يرغب فيك احد، وأن تستمر في الإدعاء بإنك تعرف الآخر جدا، ثم تسخر وتضحك على روحك، وتتوه فى ظلمتك وتدوم وحدتك وتطيش سهامك.

د. يحيى:

ماشى كلامك!

*****

دراسة فى علم السيكوباثولوجى (الكتاب الثانى) الحلقة (28)

حركية استحالة العلاقة الممكنة بين البشر (2 من 2)

د. مدحت منصور

والسبت ماجاش ومستنى الجمعة اللى مجاش ومستنى القطر جواه عيون نعسانة وعيون

عيانة وعيون غلبانة لكن بتقول أنا من مصر جدعة وكريمة وشهمة، إفطر يا حاج بالتمرتين والعرق سوس، رمضان كريم، فى محطة مصر لقيت عيون وعيون بألف لون ولون وكلها بتقول حاجات كتير وكتير وبعدين رحت مكان اللهم اجعله خير فيه عيون جعانة أكل وعيون الديب الطيب مراقب الجو وعيون عسلية ورايقة بس تخوف أصلها زى البحر وعيون راجل عمال يشتم بعنيه على طول على طول ما بيبطلش وانا عينى رايحة وجاية ما بتهمدش أصلى بدور على إيه مش عارف يمكن على عين تقول كلام ما اتقالش.

د. يحيى:

لاشك أنك قرأت معنا موقف "ما لا ينقال" للنفرى، إذن فقد عرفت أنه كان يعلمنا ما تبحث عنه هنا دون إلزام أن تجده فى العيون أو غيرها.

*****

دراسة فى علم السيكوباثولوجى (الكتاب الثانى) الحلقة (29)

"القط/النمر بداخلنا" (1 من 3): .... الطريق الى "الآخر" اقترابا، فتوجسا، فتراجعا

د. مدحت منصور

تشوف كلاتى؟ ده صعب شوية، بدرى شوية، أو تقبلنى على علاتى ده كمان أبعد لكن إزاى يا واد يا محندق تتكر إنى صنايعى مدقدق وكمان كسيب ربنا يرضينا إذا احنا رضينا وانى كلامى زى السكر،و الناس حبانى لأنى بحب كل الكل ومزاجى معاهم زى الفل، خايف من ايه؟ متيجى تقرب،عمال تبعد؟ خايف لتشوف وكأنى بكهرب مالك قرفان كده ليه؟ أنا خلقة ربى ومؤمن إنى أفضل كده خلقة ربى، مش حتشوه حافضل ماشى لحد ما لاقى حد يشوف ويقرب وكمان تتكرجدعنتى طب طز فى أمك.

د. يحيى:

ولماذا "ظز" فى أمه بالذات بالله عليك؟

يا عم مدحت، أمه أطيب منك ومنى ومنه،

وهى تسامحك، كما أن أمك تسامحك،

وربنا يسامحك

كل سنة وانت طيب

أ. رامى عادل

المقتطف: بقى حد شايفنى أنا؟ أنا مين؟ أنا اطلع إيه؟ إزاى؟

التعليق: طيب اقرب ازاى؟ واكشف خيبتى وقلة حيلتى وضعف ايمانى بربى وبنفسى ازاى؟ يا ترى راح يقبلنى ولا هيلطشنى؟ يا ترى حادفع التمن من دم قلبى؟ راح يستحلونى ويستبيحونى، راح يكتر لومى!

د. يحيى:

يا رجل قرّب ولا يهمك

وما يحدث يحدث

*****

دراسة فى علم السيكوباثولوجى (الكتاب الثانى) الحلقة (30)

شرح على المتن: ديوان أغوار النفس "القط/النمر بداخلنا" (2 من 3)

واستخوْنكم، واتعرّى بمكن أطقشكم!

د. مدحت منصور

بعد قراءة ثانية و هي ليست كافية لاحظت تكرار العبارة (توهما أو حقيقة)

وقدرت أنها عبارة جيدة جدا تضع الاحتمالين في الحسبان و لست أدري إن كان (حقيقة (يجعل الموقف البارانوي أكثر حدة من (توهما)؟ فأنا أظن و ليس هذا تخصصي أن المتوهم هناك جزء منه في داخله يعلم أنه متوهم حتى و لو وجه الاتهامات بقوة و أصر على ذلك .و مع هذا في أجزاء من المقال غلب التوهم على الصدق و طبعا هذا وارد جدا إذ أن الحالة مرضية في المقام الأول ما حيرني أكثر أنني وجدت أن المآل في الحالين سينتهي إلى "كرسي في الكلوب" و هيا انسحب ، أما أجمل شئ هو التوصية بالخروج من هذا الموقف البارانوي سريعا إلى الأسبوع القادم ، و الله معاناة لكن طعمها حلو.

د. يحيى:

أولاً: هو ليس مقال يا مدحت

ثانياً: هى ليست "حالة"، هى مجرد استلهام من شعر، والشعر كان استلهاما من شخص، (صديق أو غير ذلك)، والشخص، ليس "حالة"

ثالثا: انت تعرف أنى أعامل الوهم على أنه حقيقة "أخرى"

رابعا: معاناة معاناة!! هذه هى بعض ثمن المعرفة

خامساً: كل سنة وانت طيب مرة أخرى

أ. رامى عادل

جبل الرحمات: ان يحيطك الجميع، فتصبؤ جزءا منهم،الا تفترقا، ان تجمعهم بداخلك، ان تشعر بالدفء والود والمسره،ان تستظل بظلهم، يلملموك، يؤانسوك، يحمونك، ان تكون ابنا للطبيعه في حضرتهم، تجد الله تجاهك

د. يحيى:

أرجو أن تنتظر حتى نكمل الحلقة القادمة

*****

دراسة فى علم السيكوباثولوجى (الكتاب الثانى) الحلقة (31)

القط النمر بداخلنا (3-3) خايف تفصحنى أنت وهوه، وتقولوا بنحب!!

أ. محمد المهدى

- ذكرت حضرتك أن النقلات النوعية تكون مكثفة جداً وتحدث فى ثوان حتى أننا يمكن ألا نتنبه إليها ولكننا نتعرف عليها من خلال أثارها السلبية والإيجابية على المدى الطويل وأن الأثار السلبية هى الأكثر تواترا إذا لم نحسن الاعداد والاستعداد لها.

سؤالى هو: كيف نحسن إعداد المريض لهذه اللحظات؟! أنا لا أرى ذلك إلا بوجود علاقة حقيقية يكون المعالج فيها متاحا قادراً على استيعاب الموقف، فهل هناك وسائل أخرى لحين الإعداد لهذه المواقف؟ أرجو الإفادة.

د. يحيى:

الوسائل هى:

كل المحاولات التى نحاولها، ويحاولها من يحاول مثلنا بأى وسيلة يراها

وكل التدريبات التى نمارسها عن بعد أو عن قرب

وكل الإشراف بكل مستوياته الذى أوصينا به نشرة (مستويات وأنواع الإشراف على العلاج النفسى)، وكل خطواتنا - نحن والمرضى- على درب النمو

وكل كدحنا إليه ...

كل ذلك هو الرد على تساؤلك.

أ. محمد المهدى

- فى حالة حدوث سوء التوقيت فى مسار العلاج قد يصل المريض إلى حالة من الإحباط والتراجع وقلة الثقة بالمعالج فهل يكون من الأجدى والأنفع فى بعض الحالات أن يتم تغيير المعالج بآخر؟

د. يحيى:

لا،

وقد ناقشنا ذلك عدة مرات فى باب "التدريب عن بعد"

علينا أن نواصل

وأن نتعلم

وأن تسأل

وأن تقبل الإشراف على كل المستويات

هذا هو السبيل

أ. نادية حامد

أتفق مع حضرتك تماما أن تعريض المريض للتخلى عن دفاعاته دون جاهزية وإحاطة علاجية يمكن أن يؤدى إلى تأكيد الأمراضية وكذلك الإنتكاسة السريعة ومش لازم نفرح ونهلل لإختفاء الأعراض أو قلتها لأن تحريك المريض وخلخلة دفاعاته تحتاج إلى درجة كبيرة من المسئولية لدى المعالج وكذلك توصيل جرعة معقولة من الطمأنة والأمان للمريض؟

د. يحيى:

يا رب نستطيع ضبط الجرعة.

د. عماد شكرى

نحتاج أيضا بمحازاة هذا الوصف الرائع للموقف البارانوى لوصف بيولوجى تطورى (كما فى كتاب السيكوباثولوجى)، وربما تطبيق موازى على حالة طولية لمريض، وربما لمجتمع كامل يسهل الفهم والتطبيق.

د. يحيى:

أما التطبيق على حالة طولية لمريض فقد حاولتُهُ مرارا فى باب حالات وأحوال ويمكنك الرجوع إليه مثلا نشرة (كهلٌ "عريجى" يعلمنا)،وحين نعود لفتح ملف هذا الباب سوف نزداد معرفة سويا

أما التطبيق على مجتمع كامل فهذا أكبر من قدرتنا، أفرادا أو مهنيين، اللهم إلا بقدر الإسهام فى تكوين الوعى الجمعى الجديد بشكل تراكمىّ ممتد.

****

دراسة فى علم السيكوباثولوجى (الكتاب الثانى) الحلقة (32)

نحب؟ أم "تلعب حبا"؟

أ. شادى

اقرأ نهج البلاغة مرة أخرى

وانهل من فيض جدك أمير المؤمنين

د. يحيى:

ربنا يسهل.

د.مدحت منصور

أولا: بالنسبة لمعلومة أن الداعرة لا تعطى شفتيها إلا للرجل الذى تحبه فقد كانت شائعة بيننا منذ كنا شبابا ومؤكدة بنسبة جيدة ربما ليس كلهن لست أدرى وكنت أظن أنها تتناقل

بين الداعرات بالتلقين ولكنى سجلت حالتين إن جاز التعبير بين متزوجات لا تعطى شفتيها عندما يتغير شعورها نحو زوجها بالرفض ففهمت أنالمسألة ليست بالتلقين أو المحاكاة.

د. يحيى:

منكم نستفيد

د.مدحت منصور

ثانيا: عندما قرأت نهاية القصيدة أصابنى إحباط تبعته ثورة إذا ماذا نتعلم شئ غير موجود ولن يتحقق الآن؟

"هو خوف جديد مسئول ومبرر، لأنه المغامرة فى اتجاه الإقرار باحتمال الاعتراف المتبادل مع آخر حقيقى، يُعتمد عليه، ويبقى فى وعينا حتى لو رحل"

هذا نموذج بعيد المنال لدرجة الاستحالة أحيانا، وذلك نظرا لقصور مرحلة نمو البشر فى مرحلة تطورهم الحالية، وإن كانوا على الأرجح فى الطريق إليه أكثر فأكثر"

ولو أنى كنت أظن ادعاء أن هذا ما أبحث عنه وأصبو وأجد السير تجاهه فكيف ستصفق بيد واحدة وبوعى دون وعى آخر (موضوع مقابل) وأنت تحاول أن تأخذ خطوة تطورية قبل الآخرين، وهل فعلا أنا أسير فى هذا النهج واقعا أم إيداعا أم أننى لا أسير وصور لى خيالى ما صور، ما فهمته جيدا أنه موضوع وموضوع مقابل كلاهما مستعد لحركية جدل بقبول الموجود والتوجه به نحو الأعمق حتى يقابلهما الخوف من الترك فيتم الجدل نحو الأعمق إلى أن يتم إحتمال الاعتراف بآخر حقيقى فيدخل وجدانه ويبقى فى وعيه حتى لو رحل. من يجد ذلك سيكون محظوظا ومن يجد ذلك وفقه الله.

د. يحيى:

وصلتك الصعوبة

لكن الصعوبة حتى الاستحالة لا تبرر العزوف عن المحاولة

وتحقيق أى قدر يكفى مادام الاستمرار متصلا.

*****

دراسة فى علم السيكوباثولوجى (الكتاب الثانى) الحلقة (33)

الشغل فى المستحيل

أ. سميح

لا لم تصعبها اكثر كانت بالنشره الماضيه أصعب.. ومستحيل أو شبه مستحيل ومحير ويدعو لليأس

اليوم بهذا الشرح جعلته ممكنا أو جعلت السعى ممكنا ...

وصلنى أن السعى بذاته هدفا وشرفا نفرح به ونرضى قليلا عن انفسنا أفرادا ضمن مجموعة البشر الذين يتحملون هذه المسؤوليه معا (معي) ..لا ..لا يوجد امامنا غير أن نجعل المستحيل ممكنا، والطريق الى ان نجعله ممكنا هو السعى (السعى هو ما يميز الانسان عن الحيوان) السعى إلى التطور والحب والنمو..

هل يمكننى ان اسألك شرحا بسيطا عن ما تقصد بالإيقاع الحيوى لعله يصلنى اوضح (عندما اقرا الكلمه الايقاع الحيوى يأتى ببالى النوم واليقظه وفقط)..اسف لوقحاتى لانى اعتقد ان هذه مسؤولتى أن أعرف عن الموضوع من خلال نشرات سابقه أو كتبك..

شكرا جزيلا على عطائك أنا اليوم أقرأ كتابك (حيرة طبيب نفسى) بشغف بالغ...

د. يحيى:

توجد أطروحة بالموقع عن "الإيقاع الحيوى ونبض الإبداع" ، وقد تم تحديثها فى كتابى "حركية الوجود وتجليات الإبداع" ، وكلاهما متاح فى الموقع

على فكرة كتاب "حيرة طبيب نفسى" كتاب قديم جدا، وهو ليس سيرة ذاتية تحديدا، السيرة مع أدب الرحلات فى الترحالات الثلاثة:

- **الناس والطريق**
- **الموت والحنين**
- **ذكر ما لا ينقال**

أ. رامى عادل

الحب المستحيل، وعلاقتى بك، وغلط الطبيب(حلقة الامس)، وقهر الطبيب للمريض، كله متشابك، واهم من يظن بغير ذلك، ولربما يعود الامر الى انى هوسى بعض الشيء، تكمله لما نشرته انا امس فى غلطات الاطباء\" المقصوده الغائيه\"، اقول بمناسبتها وبمناسبه الحب المستحيل (قال يعني) أنه من حق العيان ينصرف من غير ما يستاذن طبيبه اللى بيقهره، وحضرتك يا عم يحيى تعلم جيدا أن ما بيننا ليس حبرا على ورق، فأنت تعالجنى ثم.. ، أنت تعلمنى ألا أثق فى القريب بالذات وخصوصا، وأن أظل مريضا كى ارضى طموحاتك العلميه (تبع الشغل والحب فى المستحيل)، أبى العزيز، مادمنا متفقين انى هوسى ، إذا كنت تريدنى ان اكرهك والا اثق فى جنس مخلوق، فتعسا ثم بخسا، ثم تبا تبا ان يجوز التعبير حب وشغل فى المستحيل وانكر خل خله وتلاقينا لقاء الغرباء لا تقل شئنا لكن الحظ شاء \" فاذا الذى بينك وبينه عداوه كانه ولى حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم"\

د. يحيى:

موافق (يعنى)

د. محمد أحمد الرخاوى

فتدثرت به

يختفي ليظهر بين طيات

الكما اليأس

اوقن به ما لم اعلم اني ساعرفه

فاعرفه

فاستحلفه ان يظل معي

فيضحك

فاضحك

فارضي عنه

فيختفي

ليظل معي

د. يحيى:

أوافق أيضا

د. محمد أحمد الرخاوى

خدت بالك يا عمي ان ربنا بيقولنا في الفاتحة إن احنا نقول

اهدنا الصراط المستقيم

وكأن الصراط هو الهدف وليس الوصول

فالفاتحة تبدأ بالحمد

ثم تجعلنا نشهد ونقر انه الرحمن الرحيم

ثم نشهد انه ملك يوم الدين

ثم نطلب منه ان يهدينا الصراط المستقيم اليه

وهو صراط الذين انعم عليم

غير المغضوب عليم لرفضهم لهذا الصراط

(السعى) ولا الضالين بخروجهم عن هذا الصراط (السعى)

د. يحيى:

تصور يا محمد، بعد كل ما قلت، وهو بديهى، يقلب المفسرون أن المغضوب عليهم والضالين، هم النصارى واليهود؟! .... الخ .... الخ

سورة الفاتحة هذه لو وصلت لأهلها وحملوا مسئوليتها يمكن أن تغير العالم

د. محمد أحمد الرخاوى

نشر هذا في 2007/9/22 في هذه النشرة واري انه يشير الي نفس القضية الازلية وهي سعينا ان نكون طول الوقت استحالة ممكنة طول الوقت لكل من القي السمع وهو شهيد

المقتطف -: الوعى الذى أقصده هو فتح المنافذ بين كل ما هو داخل وكل ما هو خارج ثم تحمل المعرفة والألم، ثم احترام الضعف دون الاستسلام له إلا مرحليا، ثم الوثوق بصحبة مبدع الوجود فى الاتجاه منه وإليه كل من تثقل عليه الأمانة فيأبى إلا أن يحملها فهو واع.

أرى أن أزمة الانسان الحالية هى فى رفضه لحمل الأمانة فهى شرف وجوده، غرور وغباء العلم والمال فيما يسمى العالم الأول لا يضاهيه إلا غرور وغباء التجمد الميت لظاهر الأديان فى العالم الثانى إلى العاشر.

إذن ماذا: ليس عندى أمل فى بقاء \"عكس الانقراض\" إلا اذا تحرك الوعى الجمعى لبنى آدم يصحبه العمل الجمعى) وليس الجماعى) إلى حتم التوجه إلى حمل الأمانة.

قال سيدنا نوح، \"رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنْ الْكَافِرِينَ دَيَّارا\" والكفر هنا هو فى رفض حمل الأمانة مع سيدنا نوح وإلا فالمسيرة الحالية هى إلى: \"إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْوَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ.\"

د. يحيى : بصراحة يا محمد كنت أود أن أنشر الرد الخاص الذى أرسلته لك، والذى ذكرت فيه أن علىّ أن أرد لك حقك علانية حتى لا يصدق علىّ المثل القائل \" تشتمنى فى شارع وتصالحنى فى عطفة\"، ومع ذلك لن أفعل حتى لا تبدو المسألة \"عائلية\" أكثر من اللازم؟ أما عن تساؤلك هذا، فأحسب أن ظهور هذه المساحة اليومية وغيرها مما هو أهم منها آلاف المرات هو بعض الإجابة على سؤالك، إن لم نقتصر على تبادل الألفاظ، كلامك صعب لكنه وصلنى، فهل تشرح أكثر؟

محمد أحمد الرخاوى: أعنى التفاعل الآنى الجدلى بين ما ينمو إلى السطح – بعد الكشف – من تأكيد المعنى بقداسة طلاقة الحق، لم أقصد \"كل\" بمعنى اختزال الكدح الحتمى للوصول إلى تجليات كل طبقات وتنويعات الوعى فى رحلة جدلية تكاملية تبدأ من الله مبدع الوجود ولا تنتهى عنده، فهو لم يبدع الوجود إلا لنبدعه معه إليه إذا صَدَقنا.

د. يحيى : ياليتنى ما سألتك، تصورتُ أنك سوف تسهلها، لكنه كلام جاد أيضا، وهو كلام مهم، لكننى متحفظ على إمكانية توصيله وتوظيفه، وأصر على محكات لقياسه على أرض الواقع بشكل أو بآخر، أنا أقبله بحذر شديد، وأفرح بنهاية الفقرة فرحا هائلا حين تقول \".. فهو \"سبحانه\" لم يبدع الوجود إلا لنبدعه معه إليه إذا صدقنا\" ياليت هيا بنا "عالبركة!!"\

د. يحيى:

ذكّرتنى يا شيخ.

هلاَ أبلغت رامى عادل أننى لا "أستقصدك"

كما يحسب على طول الخط

د. محمد أحمد الرخاوى

يتماوج البشر في البين البين

كي لا يروا انفسهم!!!!

يراوحون المكان

ظانين انهم يتحركون!!!

تبدأ وتنتهي الحركة

في المحلك سر

يستغشون ثيابهم

يعمهون

يظن بعضهم انهم علي الصراط
والصراط عصي علي التمسك باهدابه
الا بالسعي اليه!!!!!

الصراط هو

كل يوم هو في شأن!!!!!!!!!!!!!!!!!

يحتكرون الصراط لانفسهم

وهو صراط الله!!!

هو الذي يسويه

لمن يصدق السعي

اليه

يحتكرون الحقيقة

وهي ليست ملكا لاحد!!!!

يستيقظون عازمين الا يكن

الا ما هو كائن!!!!

فالشاطئ الآخر غامض

لمن لا يعرف العوم!!!!

من يسع يصل

ومن ذاق عرف

تتوالد براعم الحقيقة

من رحم فتح الآفاق!!!!

ينكسر الاحتكار

يذهب كل ما هو زبد

يخسر

الخاسرون انفسهم!!!

يطل وجه الحق

يتلاشي

من عاش البين البين

ويبقي وجه ربك ذو الجلال والاكرام

فباي آلآء ربكما تكذبان

د. يحيى:

طيب

د. محمد أحمد الرخاوى

تفرض الحياة نفسها كحقيقة مطلقة لها قوانين من ابدعها

يحبها من ادركها

قدسها

ليخرج منها

اليها!!!!!!!

كل من حاول تشويهها

بتشويه نفسه او غيره

هزم

ولم تبق الا الحياة!!!!

هي السر الاوحد

والحقيقة الواحدة!!!!!

اذن فلنسع اليها

بها

فيها

اليه

الينا

ولنصبر

فروعتها، جلالها

في غموضها، كشفها

ابديتها!!!!!

لم يبدعنا خالقنا

خالقها

الا لقدسيتها

فالحمد لله رب العالمين

د. يحيى:

أدعو الله أن تتحمل ما تقول

لو أنك فعلت لتراجعت عن الشجب والسخط والقسوة، وحتى الإفراط فى الاستشهاد.

*****

دراسة فى علم السيكوباثولوجى (الكتاب الثانى) الحلقة (33)

الشغل فى المستحيل

أ. عبير رجب

أنا معاك إن الواحد بيخاف يتعرى أمام الأخر فى العلاقات المسماة "الحب" ويمكن بيتصور استحالتها، وده بيعطله كتير ويخوفه من مجرد القرب أو حتى مجرد الوعى بالأخر أو وجوده "إننا نلتقى حين نسعى الى أن نلتقى، لا حين نلتقى فعلا" بس أعتقد إن احتياجنا للأخر غصب عننا هيخلينا مضطرين نسعى لهذا اللقاء ونستحمل شواقناله وشوقانه لينا، ونلاقى نفسنا بنتسرق فى المستويات دى كلها وبتعديها كمان.

ما هو لازم نتعرى ونتألم ونستحمل فى القرب، أصل اللى هناخده بعد كده مش قليل. بس الحكاية فعلاً صعبة، وصعبه قوى كمان أصل على قد احتياجنا على قد تحملنا.

د. يحيى:

يا ليت!

تصورى يا عبير أننى أبذل فى هذا الشرح الذى أقوم به، وأنا غير راض عنه (لأنه يشوه المتن ربما بلا جدوى) أقول أبذل فيه جهداً أكبر من أى نشرة يوم آخر، ومع ذلك لا يأتينى عنه ما أنتظر من تعليق،

لا أدرى لماذا لا يعلق الأصدقاء؟

يا ترى لصعوبته؟

يا ترى هل هذا الموقف – عدم التعليق – هو رسالة تشجعنى أن أتوقف عن التمادى فى تشوية المتن بهذا الشرح هكذا بلا طائل

لست متأكدا.

عموما شكراً على تعليقك الذى آنَسَنى.

أ. نادية حامد

وجدت صعوبة فى فهم وتفسير المستويين (السادس والعاشر) فى مستويات العلاقات البشرية أرجو مزيداً من التوضيح والشرح لهما.

د. يحيى:

عندك حق

أظن أننى سوف أعود إلى بقية المستويات السبع أو العشر لاحقا، خصوصا قرب نهاية هذا الكتاب الجديد القريب الصعب،

لقد تناولت بعض جوانب المستويات الثلاثة الأولى فقط يوم الأربعاء الماضى من واقع المتن.

*****

دراسة فى علم السيكوباثولوجى (الكتاب الثانى) الحلقة (34)

"السدود" على طريق "جدل الحب" والنمو

د. أميمة رفعت

فى حالة ما إذا إزدادت دفاعات المريض حتى منعته عن الإستمرار فى العلاج، هل هناك أمل فى أن تستمر المسيرة العلاجية وحدها مع الوقت ويكمل؟ أم أن وقفته هذه تكون قد أضرت به إلى ما لا نهاية ويتحمل المعالج وزرها؟

د. يحيى:

كل احتمال وارد، وتوقف المريض هو حقه، ولا تقع المسئولية على الطبيب وحده، فهى مسئولية الأهل والمريض ثم الطبيب، وكل ما على الطبيب هو "حسن التوقيت"، و"ضبط جرعة الضغط" وتناسب أدوات ووسائل العلاج، وتكاملها مع بعضها البعض، بما فى ذلك العقاقير، وبالتالى فالمعالج لا يتحمل وزر انقطاع مريضة، إلا إذا أخطأ فى هذه الحسابات السالفة الذكر والخطر وارد على أمهر المعالجين والتعلم منه مستمر.

د. أميمة رفعت

فى بعض مجموعات العلاج الجمعى التى مارستها كنت ألاحظ تغيرا أحيانا، عادة فى الشهر الخامس أو السادس من الجلسات، على بعض المرضى فيتحولون إلى العدوانية من ناحيتى وتظهر عليهم مقاومة شديدة للحضور وللإستجابة حتى ينقطعون تماما عن العلاج. ولا أعرف هل آذيتهم بأن أوصلتهم إلى هذه المرحلة، أم حركتهم قليلا وسيستمرون وحدهم؟

د. يحيى:

أن يستمر المريض فى التحسن وحده بعد إنقطاعه هو أمل قائم دائما، حتى لو لم يحضر سوى بضع جلسات، لكن على ما أذكر، بتواتر هذا الاحتمال الإيجابى حين يكون العلاج الجمعى على مستوى العيادة الخارجية حتى نطمئن إلى اختيار المريض الحضور، أما إذا جرى العلاج أثناء وجود المريض بالمستشفى فيظل الأمل قائما، لكن ربما بدرجة أقل، علما بأن هذا ليس قاعدة.

أ. زكريا عبد الحميد

هل نشتغل فى المستحيل ليكون ممكنا. أم نستسلم للممكن ليصبح مستحيلا ذكرنى هذا التساؤل بسمة وصف بها نوع من الناس (على سبيل الاستهجان) بكونهم... يحبون كل ماهو غير قابل للتحقق او -بقول آخر- حب استحالة ما لا يمكن تحقيقه لكنى لا اتذكر أين قرأت ذلك؟ ربما فى احدى روايات نجيب محفوظ فى استهجان شخصية لأخرى؟

د. يحيى:

أين أنت يا عم زكريا

المهم: أرجو أن ترجع إلى نهاية قصيدتى فى أحد أعياد ميلاد محفوظ وهى ليست تحت يدى الآن وقد أذكرها لك لاحقا أو حالا

أ. رامى عادل

الصد او الصدود، ان لا تتقبلنى حينما اكون انا، ان ترفضى الصفقه الشريفه غصبا عنك، ربما انا ايضا لم اعتد ان يتحملنى احد، او اعتدت على ذلك بصعوبه وكفر وعناد، انتقل لقضيتنا يا عم يحيي، اخيرا ابتديت افهم، والتمسلك انك جانبك الصواب، لما (سبتنى) اتعذب سنه و2و3، بسبب قلة النوم مع الدواء، الشغل مليانمضايقات وإهانات(مع قلة النوم) وده مبدأك، تنام خمس او ست ساعات وتكمل شغل بقية اليوم، لكنى ماقدرش على البهدله

دي، لازم انام عل اقل عشر ساعات(بجرعة دواء)، عشان ماحدش يخنقنى او يستغل ضعفى مع استحمالى مع ندالتى،

انت قصدك ان من حقى اتوجع واحزن، اوعى تقولى وتتهان، حتى لو ماحدش حس، لا كله بيحس باللى بينزف، وساعات بيحطوا ايدهم على جرح، وتبقى الحياه عذاب متتالي، باستثناء لحظات غير مستساغه، ماتقسشى عليا، انا شبعت ألم بسبب اللى انت عارفه، ومن حقى استمتع بشغلى او بالساعات اللى باعيشها فى اليوم، زى ما هو من حقى اتالم واحزن، لكن مش من اول لحظه فى اليوم، مش أستقبل يومى بالوجع، وأكون زى ورقة البفره انهاكا وتهالكا، هو ده يتسمى حب؟ مش كل الناس بتستغل ده كويس، حتى وان كانت ثقتك فيا وفى عيانيك مالهاش حدود، فات الوقت

د. يحيى:

الوقت لا يفوت أبدا يا رامى

أنت مصارع رائع

نعم مازال النوم يلمنا، والشغل يملؤنا، والأدوية تنظم المستويات،

والمعركة متصلة

ولنا النصر

*****

دراسة فى علم السيكوباثولوجى (الكتاب الثانى) الحلقة (34)

"السدود" على طريق "جدل الحب" والنمو

أ. محمد المهدى

أستفدت كثيراً من هذه اليومية ووصلنى أن علاقة الحب الحقيقية هى حب لكل المستويات وبها جميعاً، وأن الحب السطحى الذى يقوم على مستوى واحد قد يتحول الى علاقة حقيقية لو كان بابا للتوغل للعمق والداخل إلى سائر المستويات وليس للوقوف عند هذا المستوى فقط.

شدتنى جداً عبارة "أن يبنى الإنسان نفسه بيتاً" ولكن سؤالى هو كيف يستطيع الإنسان أن يبنى نفسه بيتاً إذا ما أفتقد للبنات الأولى للثقة؟! أرجو التوضيح

د. يحيى:

لا أدرى كيف!!

أليس كل ما نحاوله معا هنا هو محاولة للرد على هذا السؤال؟!

ثم إنك ذكرّتنى ببعض ما جاء قرب نهاية ديوان أغوار النفس الذى أقوم بشرحه (أو نقده أو تشويهه) هذه الأيام.

قلت فى بعض ذلك:

ما تصدقشى إن الواحد لازم يعرف أصله وفصله

ما تصدقشى

ما تصدقشى إن الدنيا راح منها الخير

ما تصدقشى

ولا إن الناس دول شر

ولا إن كلامهم قر

ولا إن البير دا مالوهشى قرار

ما تصدقشى

ما تقولشى ما شفتش ورونى[1]

ماتقولشى ما خدّش ادونى

عايز؟! دوّر واتخانق

وساعتها حايكفى الحب

*****

دراسة فى علم السيكوباثولوجى (الكتاب الثانى) الحلقة (35)

فقه العلاقات بين البشر(العين الحرامية)

محاولات دائبة، وألم متجدد، ونهاية سلبية: بالانسحاب للفرجة....!!

أ. رامى عادل

انا متعقد من اللى يطفش من امام نظراتى، وبينى وبينكم بحب اوى اللى يبص جوه عنميه لاوقات طويله، بنروح انا او هو لما وراء الطبيعه، على فكره يا عم يحيى وجهك معبر وعيونك بحور من الغراميات، ده يا جماعه واقع باعيشه

د. يحيى:

ما هذا يا رامى؟

غزل هذا أم ماذا؟

كنت أريد أن أرد لك التحية، لكن بصراحة، وللأمانة، لقد كدت أنسى غور عيونك مع أنها تطل علىّ من تعقيباتك وأحيانا من شطحك.

*****

تعقيب على نشرة : دراسة فى علم السيكوباثولوجى (الكتاب الثانى) الحلقة (35) فقه العلاقات بين البشر(العين الحرامية)

محاولات دائبة، وألم متجدد، ونهاية سلبية: بالانسحاب للفرجة....!!

أ. أمل محمود

والخبز يتسوله الفقراء، أختلف مع الأطروحة الخاصة بالشعور بالذنب .فالإنسان وعى بوجوده ككائن له احتياجات اساسية، وله مشاعر وانفعالات. ولم يكن يشعر بأي شعور بالذنب تجاه بنى جنسه. الشعور بالذنب هو شعور اجتماعى، وليس فردى، قائم على اساس منظومة اجتماعية تحرم هذا وتحلل هذا، وحين يخترق الإنسان المحرم يشعر بالذنب. فالإنسان يشعر بالذنب إذا كذب، وإذا خان، وإذا سرق، وإذا قتل. الشعور بالذنب يكتسب وليس غريزى. بينما التكافل غريزة والأمومة غريزة. لكن الحب فعل يتعلمه الإنسان.

فقد حُرمت المجتمعات الأولى الحب بين البشر، ودمرت العلاقة بالنفس والعلاقة بالآخر، فعبودية دمرت العلاقة بالنفس، والعلاقة بالآخر. والسبى والخطف والسلب دمر العلاقة بالنفس والعلاقة بالآخر. والآخر لا يقتصر على علاقة الرجل بالمرأة. الآخر هو شعب آخر، هو أب، هو أم، هو أخ أو اخت، هو زميل عمل، أو صديق. حتى فى علاقة صديقة بصديقة أو صديق بصديق يظهر الخوف من الآخر. ويظهر الإستغناء عنه.

والذى استغنى يعد أكثر توائماً مع تلك الحضارة التى نعيشها .والمسألة ليس لها علاقة باستقبال الآخر للحب. ولكن لها علاقة بالمنظومة التاريخيةالاجتماعية، التى لم تتغير حتى عصرنا هذا. لقد حرمت الحضارة الإنسان من الحب، وغربته عن الآخر، وعن نفسه. ولهذا فنحن نعانى تلك المعاناه المستمرة فى العلاقة بالآخر. سواء عند زواجنا، أو عند عقد صداقة مع الآخر. الحضارة البشرية تعلمت التكافل رغماً عنها، تعلمت اهمية الفرد للجماعة بعد تجارب قاسية مع الحياة فرداً فرداً. ولم يكن الإنسان يعيش فى جماعات، بل صنعها عبر تجربة مريرة، وحروب دامية وقتل بين الأفراد والجماعات، حتى تشكلت القبائل والشعوب .

نحن انفصلنا بعقلنا الجديد عن الحيوانات، لكننا لم ننفصل عن اصل كلى هلامى. إلا لو صدقنا اسطورة الإله رع. الذى كان يعيش فى لجة ابدية من الهيولى، حتى مل منها، وقرر أن يخلق من نفسه وبنفسه ومن قضيبة الذى امسكه بيده فخرج منيه فى اللجة الأزلية، ومنه جاءت جميع الألهة من ابنائه، ومن دموعه جاء البشر.

هذه الإسطورة اسطورة إجتماعية مغتربة نشأت فى الألف الثالث قبل الميلاد. استلهمت عناصرها من حقيقة موضوعية، هى وجود الجنين فى رحم امه، فى لجة من المياه. وخروجه منها للعالم. وقد ذكرت الأساطير أن رع كانت له أم، هى إلهة \"نيت\". ظهرت نيت فى الأسطورة باعتبارها صاحبة الرأى الأخير فى صراع حورس مع عمه ست، وقاتل أبيه. وقد نصرت الإله الكبرى \"نيت\"، أم الإله \"رع\" خالق جميع الآلهة والبشر حفيدها \"حورس\" وأعطته الحق فى عرش أبيه. لكن تغريب البشر عن اصلهم. واستبعاد المرأة الإلهة الأولى للجماعة البشرية من عمليه الخلق. وتكريم الإله الذكر بعمليه

الخلق. كان له أسبابه الاجتماعية (وهذا ليس موضوعنا). هذا التغريب الذى عاشته الجماعة البشرية منذ لحظة اجتماعها واستقرارها فى أكواخ حول مصادر المياه وزراعة الأرض، لم ينته ابداً، ولم يتوقف حتى يومنا هذا. ولهذا فقد افسدت المنظومات الاجتماعية القائمة على الاستحواذ وسيطرة الأقوى،

العلاقة الأولى بين الرجل والمرأة، لأنها سيدت الرجل على المرأة. ولهذا حين يتم الحديث عن علاقة الدخول والخروج، أو الكر والفر، فلا يمكن النظر لها بمعزل عن هذا التطور التاريخى التغريبى، والمستمر حتى يومنا هذا. فقد عاشت النساء منذ عهد رمسيس الثانى فى بيوت الحريم. وتم استعمالهن لمتعه الرجال، واستبعاد هذه، واستقدام الأخرى. ولازلنا نتعامل مع المرأة حتى يومنا هذا باعتبارها فتنه للرجل، لابد من تغطيتها من قمة رأسها حتى اخمص قدميها. إن تلك المنظومة الاجتماعية التى رضعناها فى لبن امهاتنا منذ الألف الثالث قبل الميلاد حتى يومنا هذا، كرست فى \"وعى\" الرجل ان المرأة وسيلة لمتعته، يتم سبيها، أو اقتناصها، أو الزواج منها رغم انفها، أو بيعها فى صفقة زواج .وحينما يرتبط هذا الوعى بالمنظومة الاجتماعية الحديثة التى تدين المرأة لو اقتنصها أو اغتصبها رجل ولا تدين الرجل. يصبح الحديث عن النفس البشرية، والعلاقة بالآخر بهذة الطريقة النفسية أمراً يغفل كل هذه الظروف الاجتماعية والتاريخية.

فكيف تأمن المرأة للرجل. وهى تعرف من امها ومن جدتها، ومن جيرانها وزملائها، أن عليها ترويض الرجل وأستئناسه. أو عليها الخضوع التام له (فيلم ترويض النمرة) أو فيلم (آه من حواء). كيف يصبح من الممكن أن تأمن لعلاقة غير متكافئه تاريخيا، واجتماعيا .علماً بأنها تجبر أو تختار بطيخة، إما ان تكون قرعة أو حمراء. وهى وحظها. وحين يجتمع إلى جوار هذا كله التغريب الطويل فى العلاقة بالآخر، وغياب الحب باعتبار أن الآخر عدو مغير، لا يستحق أن يحصل عليه. تصبح الطينه بلة. فالحب البشري الذى هو فعل متبادل مع الآخر غاب عبر العصور، وشهدنا بدلاً منه المنافسة والاستحواذ، والخطف والاستعباد، والتسخير والقتل والحروب. والمنظومة الاجتماعية منظومة تجارية، وأغلب علاقات الزواج قائمة على صفقات تجارية. فكيف يشعر رجل بالآمان اختارته زوجته لأنه غنى، وكيف تشعر امرأة بالآمان اختارها زوجها لأنها جميله. وكيف تشعر المرأة بالآمان وهى تعرف أن زوجها سوف ينظر ويشتهى الجميله حينما يزول جمالها، وكيف يشعر الرجل بالآمان حين يكبر ويعجز عن ارضاء زوجته. كل هذة الأمور رضعناها فى لبن امهاتنا،والتخلص منها من اصعب ما يمكن، وهى راسخة رسوخ هرم خوفو فى عقول الرجال النساء .بينما تتحدث انت عن العلاقة البارونوية (الكر والفر) والعلاقة الاكتئابية (الدخول والخروج). وكأننا تخلصنا من كل هذا لم الأرث الثقيل. وكأننا استطعنا أن نعبر واحد على ألف منه.

إن العلاقة بين الرجل والمرأة لا تزال علاقة كر وفر، ولم ترتق حتى لتصبح علاقة دخول وخروج. العلاقة هى علاقة سيطرة واستحواذ، وقد علموا النساء انهن عاطفيات، وإن الرجال عقلانين، وهكذا سيدوا الرجل على المرأة. وكأن الرجال بلا عواطف، والنساء بلا عقول. فالنسعى قبل الحديث عن علاقات الكر والفر، وعلاقات الدخول والخروج إلى أن يكون هناك عدل فى العلاقة بين الرجل والمرأة. وبعد أن يتحقق العدل، نرى كيف سينجح

الرجال فى اختبار العدل؟؟؟؟؟؟ وليس فى اختبار المساواة فلا يمكن أن تكون هناك مساواة بين النساء اللاتى شيدن أعمدة الحضارة البشرية، وحمين الأبناء من القتل، وبين الرجال الذين قتلوا الأطفال وقادوا الحروب، ودمروا مجتمعات النساء، وسيطروا عليها، واستعبدوا الأضعف. ولا تغضب يا دكتور يحيى من رأي، فأول حادثه قتل فى التاريخ فعلها الذكور. وليس الإناث. وأول حادثة حماية للإنبياء عليهم السلام (موسى وعيسى) فعلتها النساء. ولهذا لابد أن يقنع الرجال أن النساء يملكن عقلاً راجحا حفظ الأنبياء. وقد تعلمت النساء عبر عصور السبى والحريم أن يتحملن الظلم، كما تعلمت الأقليات من كل شعوب العالم، وعلى الرجال أن يتحملوا الظلم قليلاً، حتى تتغير تركيبتهم المسيطرة والمستبدة المعتمدة على مبدأ القوة الجسدية .والمعتمدة على السيطرة المستمدة من التمييز الاجتماعى. فتحمل الظلم وتحمل القهر يصنع الإنسان. مثلما يصنع الثورات. فالثورات عبر التاريخ اندلعت بسبب الظلم والقهر .واثناء اندلاعها غيرت مفاهيم البشر، وغيرت سلوكهم .

وأريد أن اقول أن المعرفة ليست ذنب بأي حال من الأحوال، حتى وإن وصفته بأنه ذنب رائع. الإنسان لم يرتكب ذنب بمعرفته الأولى، بل ارتكب فضيلة. قادته إلى المعرفة المتكررة، التى هى صواب نسبى، حتى يثبت خطئها. المعرفة هى الفضيلة الوحيدة التى مارسها الإنسان حتى الآن. ولولاها لظللنا عبيد، ولولاها لقتل الإبن اباه وقتل الأب ابنه .أما عن الأكل من الشجرة المحرمة فلم يكن له علاقة بالمعرفة فى عمومها، ولكن كان له علاقة بالمعرفة الجنسية بالتحديد. فحين أكلا التفاحة، عرفا أنهما عرايا. وقبل ذلك لم يكونا يعرفان عورتهما، ولهذا قاما بتغطيتها بورق التوت. بل أنهما اختبئا. والخطيئة الأولى لم تكن المعرفة فى إطلاقها، كما يتصور الكثير من المفكرين، بل الخطيئة الأولى كانت الجنس. ولو لم تكن الجنس، فلماذا طردا بعد أن عرفا عورتهما. ولماذا لمينجبا فى الجنه، وهذا مبحث آخر .

العقاب فى الأساطير الأولى كان الخروج من الجنه الزراعية إلى أرض القفار والصحراء. وهكذا كان الإله المصرى \"ست\" إلهاً مطروداً من الجنة الزراعية التى صنعتها أيزيس ورمزها \"الحية\" وإله الخصوبة"\ اوزيرس\" المقتول. ليصبح ست إله الصحراء والقفار والرياح والعقم. وعلى الرغم من اختلافى مع رؤى فرويد التى قدمها فى كتاب \"موسى والتوحيد\" وفى موقفه من غيرة المرأة من الرجل. إلا أن فرويد لم يخطئ فى تفسيره للجنس باعتباره المحرك الأول للثورات فى عصور ماقبل التاريخ.

الوعى الكلى هو وعى الجماعة البشرية، والإنفصال عنه إلى وعى ذاتى متفرد، أمر لا يتنافى مع الوعى الكلى بل يثريه، فالتفرد يثري الجماعة إذا كان يتسق مع مصالحها، لكنه إذا تنافى مع مصلحة افراد الجماعة مجتمعين، يصبح نشاذا. مثل وعى بوش الذاتى المتفرد. او وعى القاتل، أو وعى المستحوذ .لكن الحديث عن وجود وعى كلي لدى الإنسان، فهذا أمر شديد الصعوبة، من هو ذلك الإنسان ذو الوعى الكلى. من منا يملك وعى كلى. إننا كبشر نملك وعى مشوة، تشوه عبر العصور، بقيم اجتماعية واخلاقية بالية. ولهذا فغياب الحب مستمر حتى نصبح بشراً نعود إلى فطرتنا الأولى، بعد أن توجت بوعى بشرى أرقى. إن الحب فعل متبادل بين البشر، وليس جوع متبادل بين البشر. حين يقرن الجوع بالحب، يصبح الحب احتياج. ويصبح هناك من هم يحتاجون له. إذن فإين الفاعلون له. إذا

انقسم الناس إلى محتاجين، وإلى فاعلين. فهذا ليس عدلاً. حتى الأبناء الذين يحتاجون للحب، يتبادلون الحب مع أمهاتهم وهم صغار .ويفعلون الحب مع اهلهم وهم كبار .لتسول لا يكون فى الحب ابداً. فالحب يمكن مبادلته بالحب. التسول يكون عند الاحتياج فقط. عند العجزة، غير القادرون على العمل، والفعل. ونحن لا نحتاج للحب، بل نحتاج للجنس. بينما نتبادل فعل وصنع الحب. لكننا نحتاج للخبز والجنس لنشبع جوعنا. وحين يدرك الفرد أن الآخر غير قادر على مبادلته الحب بحب، فلا يمكنه أن يستجدى أو يتسول. كيف يستجدى إنسان من إنسان أن يفعل معه شئ هو يعرف جيداً أنه غير قادر على فعله.

لقد عاش البشر آلاف السنين بلا حب .وما حفظ وجودهم ليس الحب، بل التكافل. ولايزالوا يعيشون بالتكافل. لكنهم يحلمون بالحب، ويسيرون نحوه، ويتعثرون كثيراً. لكنهم يفعلون مثل سيزيف، يحملون الصخرة ويصعدون الجبل، ويصرون على المحاولة. نحن لا نزال فى مرحلة تبادل الاحتياجات. اماالحديث عن الحب، بمفهوم أن هناك آخر حقيقى، يهمنى ازدهاره ونموه وفرحتة وتوازنه، فهذا أمر يصعب الحديث عنه بين البشر، باستثناء علاقات الأمومة، رغم أن التشوهات التى تصيبها أيضا كثيرة للغاية. العلاقات البشرية قائمه على تبادل الاحتياجات والمنافع، وبعض القيم الأخلاقية التى تكونت عبر التاريخ. وهى احترام الوعود، واحترام الكلمة، والتكافل الاجتماعى. يبقى فى النهاية شئ واحد شغلنى فى قضية الحب. وهم صناع الثورات. فالثوار عبر التاريخ لهم منظومة مختلفة عن منظومة الغالبية العظمى. فحبهم للآخر، المتمثل فى الجموع يدفعهم للقيام بأفعال تبدو لنا بطولية. ولكنها بسيطة جداً لدى هؤلاء. والأدب والتاريخ والفن يقدم نماذج ندهش لما قامت به من افعال حب من اجل الآخرين .وتبقى العلاقة بين الرجل والمرأة فى النهاية علاقة كر وفر، حتى يتحققالعدل.

وحتى تستعيد المرأة مكانتها كآخر حقيقى فى وعى الرجل. وحتى يتغير وعى الرجل بالمرأة ليس باعتبارها وسيلة لسد احتياح. وحتى يتغير وعى المرأة بالرجل ليس باعتباره يكفل لها حياة رغدة. فى تلك اللحظة يمكن للمرأة أن تأمن للرجل الذى يحاول الاقتراب منها، ويزول لدى الرجل الإحساس بالتسول. فالحب ليس تسول أو احتياج. بل أنه فعل متبادل بين البشر. ومن لا يريد أن يفعله. فسوف تلفظه الجماعة البشرية القادمة فى المستقبل القريب. والجماعة البشرية لفظت عبر العصور كل من حاول تدمير تكافلها، وسوف تلفظ فى العصور القادمة كل من يدمر الحب بداخلها. والمسألة ليست بكل هذا التعقيد يا دكتور يحيى. والعلاقة بين البشر يمكن أن تكون بسيطة للغاية، لو أعدنا تربية الأجيال فى الحضانات والمدارس والجامعات، على فعل الحب. على أن يذهبوا سوياً لعزق جنينه عامة سويا. على أن يقوموا باللعب مع الصغار فى الحضانات وتركيب مكعبات أو ميكانو أو الرسم معهم. الحب الا اصارع الآخر فى الطريق لأن وقتى من ذهب، بينما وقته من فضه. الحب أن اتفانى فى تعليم الصغار فى المدرسة والطلاب فى الجامعة، أن اتفانى فى خدمة مريض. أن العب مع ابنائى، أن اتحدث معهم، أن انظف المكتب الذى اجلس عليه فى عملى، أن اتكافل مع جيرانى لشراء صندوق قمامه للعمارة. الحب أن يكون هناكآخر وأنا اركن سيارتى بطريقة تأخذ مكان سيارتين. الحب تتوافق رغبتى ورغبه زوجتى فى الاقتراب سويا. حتى لا يصبح الجنس تسول، أو سد جوع، أو فرجه، أو عطف على المسكين .الحب هو العدل بأبسط معانية

د.يحيى

منذ أن تلقى البريد تعقيبك الباكر يا أمل على إحدى حالات التدريب عن بعد ، على ما أذكر، وكان ذلك منذ بضعة شهور، لم نتلق منك إلا هذه الدراسة الجادة التى استثارتها نشرة "العين الحرامية"، "شرحا على المتن" فأهلا بك من جديد.

لعلك لاحظت أننى أشرتُ فى تقديم هذا التقليد الجديد، إلى أننا سوف نجعل ملحق البريد لآراء الأصدقاء بلا رد، أو بأقل قدر من الرد، إلا أننى احتراما لجهدك وبحثك فضلت أن أشير إلى أن تعقيبك جعلنى أرجع إلى كثير من فروضى وأطروحاتى السابقة، وإذا بى أفاجأ أننى كدت أنسى بعضها، وأن أكتشف أن البعض الآخر يحتاج إلى تحديث بسيط، والأقل منها يحتاج إلى تحديث جذرى، رجعت إلى كل ذلك وأنا أنوى مناقشة تعقيبك الذى ناقشَ بعض ما استشهدت به من أفكارى القديمة بإشارات عابرة فى النشرة المعنية، فإذا بى أجد أن ما وصلك من النشرة هو جانب محدود جدا من رأيى فى هذا الموضوع أو ذاك.

ولكن اسمحى أولا لى أن أشير إلى بعض الملاحظات المنهجية التى شعرت أنها قد توضح بعض ما غاب عنى أو عنك وقد تفيد المشاركين لاحقا، فتفيدنا:

1. هذه النشرة محكومة بما سمى فى البداية "شرح على المتن"، فكل نشرة من هذه السلسلة مستقلة، وهى ترتبط بالمتن الشعرى تحديدا، وإن كان الهدف من العمل كله أكبر من ذلك، سواء كان تشريح النفس البشرية، أو ما أسماه الصديق د. جمال التركى "فك شفرة النص البشرى"، أو كان دراسة فى علم السيكوباثولوجى (الجزء الثانى)، وقد اكتشفت حتى الآن أن هذه النشرات فى هذه السلسلة تكمل بعضها بعضا، وقد وصلت حتى هذه المرحلة الباكرة إلى أننى – أو أننا – قد لا نصل إلى فكرة شاملة لما خرج منى شعرا فى مسألة العلاقات البشرية إلا فى نهاية العمل، ففى كل نشرة أكتشف جديدا بشكل ما.

2. يترتب على ذلك التوصية (لا الإلزام) بأن يكون التعقيب المختص بنشرة بذاتها مرتبطا بالنشرة المعنية أولا بأول، لعلنا نصل فى النهاية معا إلى تصور أكمل للقضية برمتها ولو طال المدى.

3. هذا لا يعنى طبعا أن نرفض الاستطراد إلى ما يتصوره المتلقى أو يصله من آراء للكاتب، فيعممها، ويناقشها أولا بأول – كما فعلت أنت هنا – فإن هذا جدير بأن يساعد الكاتب فى قراءته التالية والعمل يتطور معه، كما قد يساعده فى تصحيح نفسه إذا ما وصله ما يفيده فى ذلك، وقد كان.

ثم دعينى أعدد بعض القضايا التى وصلتنى من تعقيبك والتى أثارتها النشرة، أكثر مما تضمنتها.

- الشعور بالذنب (نقده، وطرح أو طروح أخرى لتأويله)
- الوعى، ومستوياته، خاصة الوعى الجمعى
- قضية الرجل والمرأة والعدل والقهر عبر التاريخ
- العلاقات البشرية، وخاصة بين المرأة والرجل، بما يشمل الحب والجنس

- وغير ذلك

ملحوظة: أشكرك بوجه خاص لاستشهادك بأساطير لا أعرف عنها الكثير (ولا القليل)، أو لا أعرف عنها شيئا أصلا، فأنا بسبب شكوكى فى مصداقية علم يسمى "علم التاريخ"، أعتبرالأساطير أكثر مصداقية لرصد التاريخ البشرى، لأن من سجلها وحفظها وحوّرها وطورها هو وعى عامة الناس، فى حين أن علماء التاريخ يرصدون ما رصد، ويجتهدون، غالبا حول أثار ورموز، لا تمثل بالضرورة وعى الناس، بقدر ما تمثل بعض نتاج سلوك خاصتهم، أنا أحترم الأساطير لدرجة أننى أعتبر كل مريض عندى، خاصة الذهانى، هو أسطورة آنية، متحركة وقد كتب تاريخ البشرية، وما قبلها على الدنا DNA الخاص به، ثم تعرّى لنقرأه أسطورة فريدة قائمة بذاتها.

وبعد

أنتهز هذه الفرصة لأثبت للأصدقاء المشاركين بعض الروابط التى قد تفيد فى توضيح ما يمكن أن أرد به لاحقا

1) الشعور بالذنب – مجلة الإنسان والتطور، المجلد الثامن، 1988، ص203 – ص117

2) عندما يتعرى الإنسان 1972 ص 369 – ص 383

3) عن الإبداع والعدوان ، مجلة فصول ، المجلد العاشر العددان 3 –4 ، سنة 1992

4) الغريزة الجنسية من التكاثر إلى التواصل

*****

دراسة فى علم السيكوباثولوجى (الكتاب الثانى) الحلقة (35)

فقه العلاقات بين البشر (العين الحرامية)

محاولات دائبة، وألم متجدد، ونهاية سلبية: بالإنسحاب للفرجة....!!

أ. محمد المهدى

استمتعت كثيراً بقراءتى لهذه اليومية، ووصلنى منها مفاهيم جديدة أثرت ما كنت أعتقد أنى أدركه تماماً فمثلاً وصلنى أن العلاقة الحقيقية بين البشر تتضمن مثلاً القدرة على تحمل التناقضات (الحذر فى مقابل الأمان، الاحجام فى مقابل محاولة الاقتراب، بل والأمل فى القبول فى مقابل التهديد بالترك)، كما أعجبنى جداً شرح حضرتك لأنواع الفرجة وأهدافها، والتى كنت أعتقد أن هدفها الوحيد هو عدم التورط فى علاقة حقيقية وتحمل مسئوليتها.

لكنى لم أفهم تحديداً ما قصدته حضرتك بأن المعرفة هى فى ذاتها ذنب؟!

أرجو توضيح ذلك.

د. يحيى:

شكرا، وأصدقك

وقد أثارت هذه النشرة بالذات، والتعقيب عليها، وخاصة تعقيب أ. أمل محمود، مما أفادنى جدا، وقد تم تغير حتى عنوان الكتاب كما سوف تلاحظ يوم الخميس القادم (وكما ألمحنا يوم الأربعاء الماضى)

أما ما قصدتُ أنا إليه بقولى إن المعرفة هى فى ذاتها ذنب، فيمكنك من حيث المبدأ الرجوع إلى نشرة 27-1-2008 (الشعور بالذنب)أو إلى الأطروحة الأصلية فى الموسوعة (موسوعة النفسية: حرف الذال "ذنب" - مجلة الإنسان والتطور عدد أبريل 1988) وأيضا يمكنك متابعتنا يوم الخميس القادم، ونحن نناقش فيه التعقيبات على هذه النشرة بوجه خاص.

أ. عبده السيد على

فرحت جداً لسماحك لزميل بالإتصال بمريضته، لأنى أفعل ذلك أحياناً وكنت أخاف من تجاوزات "مهنية فى هذا الفعل، لكنى كنت أجده ضرورة أحيانا وكان بمثابة فارق فى العلاقة العلاجية وهو ما كنت أحتكم إليه.

د. يحيى:

ومع ذلك، فيستحسن التحفظ أكثر وجعله استثناءًا نادرا، فقط (برجاء قراءة تعقيب د.عمرو حالا والرد عليه)

أ. نادية حامد

أشكرك على هذا التنوع الذى وصلنى من مصطلح "ذنب" بالشكل الذى تم ذكره فى السيكوباثولوجى على الرغم أنه مصطلح واحد.

إلا إنه وصلنى بأكثر من معنى على سبيل الذكر.

* أنا مذنب دون أن أذنب.

* مأزق السعى إلى المعرفة وأنها فى ذاتها ذنب وربطها بأسطورة الشجرة المحرمة.

* ذنب الإنفصال عن الوعى الكلى سعياً إلى وعى ذاتى.

د. يحيى:

أعتقد يا نادية أن تنوع ما كُتب لا يكمله إلا تنوع ما وصلك، فلك نفس الشكر.

بقيت لك عندى دعوة أن ترجعى إلى الأصول (ذكرت بعضها فى ردى على محمد المهدى حالا).

ثم انتظرى وشاركى فيما قد يرد فى المناقشات - التاليه (يوم الخميس القادم، وربما كل خميس).

*****

دراسة فى علم السيكوباثولوجى (الكتاب الثانى) الحلقة (37)

امتداد وقفة المراجعة (2):

الحق فى الحب عينة من جلسة من علاج جمعى (منذ أسبوع واحد)

د. أميمة رفعت

نعم.. نعم أكمل أرجوك الميكرودراما

شكرا

د. يحيى:

ربنا يسهل.

*****

فى فقه العلاقات البشرية: دراسة فى علم السيكوباثولوجى (الكتاب الثانى) الحلقة (42)

لوحات تشكيلية من العلاج النفسى والحياة

الحزن اليَـــقـــظ، وآلام الرؤية/البصيرة (الدِّمعـــة الحيرانة)

د. أسامة عرفة

كنت أقرأ لوحة وكنت أشاهد الكلمات

ما أجمل الرسم بالكلمات

إذن هى لوحة شعرية

.....

سؤال ساذج فلتسمح لى أن أطرحه:

لماذا ترتبط الرؤية بالألم؟

ولماذا يرتبط التغيير أو النمو بالألم؟

حتى الولادة ترتبط بالألم؟!

هى كل نقلة معاها ألم ولا إيه الحكاية

إيه حكاية الألم دى بقى

هي رحلة عبر مدارات الألم ولا إيه

لماذا ارتبطت رحلة الانسان بالألم

لماذا إرتبطت الحياة بالألم

نفسى أقابل إنسان عاش الحياة بلا ألم

د. يحيى

*** فتح الله عليك يا أسامة وكل سنة وانت طيب**

*** ألم تقرأ أمس كيف أن هذا الألم يكاد يكون من أرقى ما أنعم الله به علينا؟**

أنا لا أحب الألم – طبعا – ولا أتغزل فيه ولا أرحب به، وإلا ما كان "ألما"،

لكن هذا الألم هنا (وليس له اسم آخر) هو بمثابة "إعلان حركية الوعى المسئول بحجم صعوبة الحياة وروعتها"

ألم تقرأ فى نشرة أمس أن هذا الألم الحتمى هو مؤشر إلى جدية محاولة مواصلة العلاقة الحقيقية بالآخر على شرط أن يحاول هذا الآخر نفس المحاولة.

قلنا أمس أيضا (تقريبا) أن هذه الخبرة هى أقرب إلى ما يسمى "الحزن الصامت الأصيل" حيث يكون فيها:

"الألم صحوة

والمثابرة اقترابا

و... تكون فيها الفرحة طيبة لا تلغى ألم الرؤية

الذى لا يقف بعيدا عن الخبرة

إلى أن وصفت قمة تجربة هذا الحزن اليقظ أنه يشمل:

"التوقف للمراجعة

والسماح للاقتراب

والرغبة للحياة معا

مع الاعتراف بالعجز المرحلى!!

.....

أليس مؤلما أن نعترف بعجزنا المرحلى عن تحقيق ما رأينا أنه أعظم ما يميزنا بشرا يا أسامة؟

إن لك الفضل يا اسامة أن جعلتنى أجمع هذه الصورة من النشرة، والتى لم أكن أعرف أننى صورتها هكذا، وهى الصورة التى تؤكد لى –بشكل غامض نوعا ما– المعنى الذى خطر لى وأنا أتصور أن الانسان بدون هذا الشعور تحديدا لا يكون بشرا كما خلقه الله

إن الحديث عن السعادة، والرفاهية، ودع القلق، وعن النفس الساكنة وكأنها المرادفة للنفس المطمئنة هو حديث ناقص فى رأيى، ذلك لأنه إذا خلت كل تلك الظواهر من هذه

المشاعر التى لم أستطع أن أصفها إلا بالألم"، "أو بالحزن اليقظ" فهى ليست مما يميز الانسان الذى قال فيه خالقه

"ولقد خلقنا الانسان فى كبد"

حين حضرتنى هذه الآية الكريمة، تصورت أن بها ما يكفى للرد عليك.

ولكننى للأسف نظرت فى تفسيرها (القرطبى، وابن كثير وذى الجلالين) وبرغم أنهم اتفقوا على أن ما هو "كَبَدْ" هو نَصَب وشده، إلا أن أغلبهم ذهب إلى معنى آخر لكلمة " كَبَدْ " وهو: الاستواء والاستقامة، وراحو يحكون عن كيف أن الانسان- دون مخلوقات الله- يكون فى بطن أمه منتصبا لأن الله جل ثناؤه لم يخلق دابة إلى متكئه على وجهها إلا ابن آدم فهو منتصب انتصابا.... حتى فى بطن أمه، فإذا أذن الله له أن يخرج من بطن امه قلب الله رأسه إلى رجلى أمه"..الخ

هل هذا يليق يا اسامة؟!!

سامحهم الله !!!

دعنا نقول:

إن الألم الذى تحدثنا عنه هو هذا " الكَبَدْ " الذى خلقنا فيه، وله، وإن هذا "الكبد" نفسه هو الدافع المتجدد لأن "تكدح إلى ربنا كدحا لنلاقيه"

ما رأيك؟

ارتبطت رحلة الانسان بهذا الألم الرائع الدافع لنا كى نكدح إليه يا أخى!!! إلى وعينا بنا، إلى وعينا به، إلى الوعى الـــ... ، ليس كمثله شيئ، لنظل فى معرفة متجددة مؤلمة رائعة.

ما رأيك؟

أما أمنيتك أن تلتقى بإنسان عاش الحياة بلا ألم فاسمع نهاية قصيدتى: "ما عاش من لم يولد" من ديوان "شظايا المرايا"

حَبَكَ الوليدُ دثاره كفنا

وبلا رثاءٍ وسَّدوه لحْدَه مهدَا

كتبوا عليه بلا دموع:

"ما عاش من لم يولدِ"!!

هل هذا هو الانسان الذى تريد أن تراه عاش بلا ألم يا أسامة؟!!

بعيد الشر عنك وعنه.

أ. السيدة

ربنا يكرمك، انا اخيرا عرفت انى امر بأزمة منتصف العمر وانادى بوقفة، واخدت

موقف من حاجات كتير وربنا يستر، مافيش حاجة من غير ثمن، عارف البقرة اللى واقفة وشايفه التانية وهى بتلف عامله زى الست تشوف خيبة اختها فى الجواز، وبرضة تتجوز

كل سنة وكل ثانيه وانت طيب.

د. يحيى

وانت بالصحة والسلامة

ليس ذلك تماما جدًّا، هو تمام "فقط"

د. أحمد عثمان

المقتطف: "هنا تتأكد علاقة المعرفة بالعلاقة بالآخر بالألم الحى الخلاق، بالحزن الإبداعى.."

أتصور أن هذا هو بؤرة فهم الإمراضية، ومن ثم العلاج، وهذا أيضاً فى تصورى، ما حفَّزنى ابتداءً (وما يزال) لاستكمال المشوار فى هذا الوسط العلاجى.

د. يحيى

ربنا يتمم بخير

أ.إيمان

هل كلٌ منا يولد بميل إلي أن يكون حزنه به نوع من الإنكساروالعجز أو أن يكون حزنه واع ويقظ ويقظ أم أن هذا شيء مكتسب؟

وإذا شعرت أن حزني الشديد ورؤيتي المؤلمة التي لا يمكن أن أتراجع عنها يأخذاني إلي عجز وووقوف ..هيل يمكن أن يساعد الإنسان نفسه ويدرب نفسه علي النوع الأخر من الحزن؟وكيف؟

هل الحزن الواع اليقظ (\"حزن"\ "\إيجابى\" \"نشطا") هل يحدث مباشرة بعد الألم والرؤية ..هل هذا الحزن لا يسمح بالإنكسارأو الدموع المنهمرة أو الوقوف متألماً عاجزاً ولو مؤقتاً ؟

د. يحيى

يا إيمانك، أسئلتك ذكية وكثيرة ومهمة، ولو تابعت النشرات الخاصة بهذا الكتاب سوف تجدين أغلب الردود، ليست جاهزة، لكنها واردة ، عموما فكل الأنواع هى حركية بشرية طبيعية، حتى السلبية منها،

وعلينا أولاً: أن نحذر الاستقطاب (إما ..أو)

وثانياً: أن نساهم فى الاختيار وإعادة التشكيل لكل ما نعيشه ما أمكن ذلك

*****

دراسة فى علم السيكوباثولوجى (الكتاب الثانى) الحلقة (40)

فى فقه العلاقات البشرية: حوار، ورؤى مرة أخرى: عن المنهج والموضوع

(قبل التمادى خارج الفكرة المحورية، ثم: بعض الحوار)

د. مدحت منصور

أولا: كل سنة وحضرتك طيب وأعاده الله عليك باليمن والبركات ونفع بك.

ثانيا: أحاول الرد على تعليق حضرتك ونظرا لصعوبة الموضوع فليعيننى الله.

أولا أزعم أن السالب قيمة ومؤثرة كما أزعم أنه لا شئ فى الخلقة الإلهية ثابت بل الكل فى حالة حركية من الذرة إلى الكروموسومات لما تحتويه من جينات تتركب من الدنا DNA الأستاذة أمل تتكلم عن العدل ولكن أى عدل تقصد هل تقصد العدل كما تتبناه بعض جمعيات حقوق المرأة أم العدل كما يتبناه الرجال وأظن سيأتى اليوم والذى يعملون جمعيات هم الآخرين تدافع عن حقوقهم أو العدل خلقة ربنا وأظن إن كان العدل خلقة ربنا فيجب فهم خلقة ربنا فهما صحيحا بسيطا سويا فكل ميسر لما خلق، له ومثل بسيط هل أستطيع أن أرى امرأة أيا كان سنها وحالها فى مواصلة عامة فى طريق طويلة ولا أجلسها ما معنى ذلك؟ قراءتى البسيطة والمحدودة للأسطورة لم تنكر سحر وجاذبية المرأة ولا إغوائها ولا غيرتها ولا انتقامها التى تصل لحد القتل أقصد الأساطير الإغريقية كما لا تنكر عقل المرأة وحنانها وتدبيرها والذى يقف بجانبالرجل ويدعمه ويأتيه بما لم يخطر بذهنه, لم أقصد أن المرأة كانت حبيسة كهف ولكن قصدت أنها كان منوط بها الأعمال الأدق والأقل احتياجا للقوة وأتخيل أنها كانت تحت حماية الرجل وكان الرجل حارسها ضد الخطف والسبى وذكرت أمثلة لذلك فى الأساطير الإغريقية من استبقاء كيوبيد لمحبوبته داخل قصر خوفا من انتقام أمه بل وحجبه صورته عن محبوبته إمعانا فى السرية والأمان وتغطية لموقفه حيث قد حنث بقسمه لأمه ألا يرى تلك المحبوبة.وكما قلت حضرتك إذا تكامل الرجل بأنثاه التى داخله والأنثى بذكرها الذى داخلها ألا يؤدى ذلك إلى توقف الحوار بالجنس وماذا يعنى ذلك؟ ألا يمكن أن يؤدى للإنقراض,يجب ألا نتحدث عن حقوق المرأة وتظن كل واحدة أننا نتحدث عن حقوقها هى بل حقوق النساء فالمرأة فى رملة بولاق غير المرأة فى جاردن سيتى من حيث الثقافة والتعليم ومنظومة القيم والأخلاق كما أن المرأة فى القرى غير المدن وفى الصعيد غير بحرى آسف على المثل : ماذا ستقول امرأة فى إحدى قرى الصعيد إذا دخل عليها زوجها بباقة ورد؟ كيف سيتعامل زوج سهير من سوق اللبن فى المحلة والتى تبطط وجه الرجل الذى يتشاجر معها بقالب طوب؟ أفضل كلمة حقوق النساء.النساء الآن يطالبن بمزيد من الحقوق ولكن لا أحد يتكلم عن مسئولية الحقوق ولا أحد يتكلم عن واجبات فهل المسألة لملمة أكبر قدر من الحقوق ولوعلى حساب سلامة المجتمع.

أعتب على الأستاذة أمل عتبا شديدا فهى تلقى لنا قنبلة ثم تبتعد لتتفرج علينا من بعيد ونحن نجتهد وهذه ثانى مرة تفعلها منذ تابعت النشرات.

د. يحيى

لعلك قرأت يا مدحت إشارتى أمس (الخميس) إلى نقل تعليقك عن يومية الأربعاء إلى

اليوم (الجمعة) بدلا من يوم الخميس (أمس) للأسباب التى ذكرتُها أمس. (والتى يبدو أنها اختفت مع تواتر التعليقات هكذا)

وأحيل كل تعليقك إلى الأستاذة أمل التى أشاركك الرأى والعتاب فى أنها لم تواصل الحوار، وإن كنت لا أشاركك احتمال أنها تتفرج .

وعموما فإن موضوع "المرأة والرجل" قد سبق لى أن أشرت إلى موقعه فى حوارنا ورأيى فيه، وأعيد الإشارة إليه بهذا الرابط (تحرير المرأة وتطور الإنسان) مرة أخرى لأنى لن أتمادى فى الاشتراك فى هذا الحوار –هنا والآن– برغم أهميته وجديته، علما بأننى اعتبره حوارا هاما ورائعا، لكنه مما وصفته "بالتماس" مع الفكره المحورية، لا أكثر.

شكرا يا مدحت

د. محمد الشرقاوى

ليه الحب شئ غريب وبيسبب لنا مشاكل كتير؟ طب مانتعامل مع الناس بان احنا لا نحب ولا نكره بس نشوف اللى فى صالحنا وخلاص ونعمله

د. يحيى

أنا لا أمانع بالنسبة لك مادامت هذه رؤيتك لك، إن استطعت:

جرّب، وقل لنا النتيجة!!!.

*****

دراسة فى علم السيكوباثولوجى (الكتاب الثانى) الحلقة (36)

شرح على المتن: ديوان أغوار النفس: حوار حول هذا العمل، خارج حوار الجمعة

د. محمد الرخاوى

طبق الاصل

لماذا رأيتك الآن

فلقد رأيتك شمس من شموس الضياء

تضئ الزمن الحزين

اراك اطمئن ان هناك من ينبض

من يصر علي انتصار الحياة

ولكن اي حياة

فالجموع تزحف بارادة غبية نحو الفناء

أشعر بوحدتك الشريفة

وجنتك الرحيب

استنشق عبيرها

كي اتدثر بوجود الله

في كل شئ!!!!

لا أستطيع الا ان ابهر

فتتكبل يداي!!!

لان دائما من سنن الحق

ان يظل بعيدا

قريبا

لمن يعرف!!!!

فبالله عليك

استحلفك

الا تموتي

الا تنسي

اعلم انك لا تستطيعين!!!

اشكرك واعاهدك

الا اموت

الا انسي

لاني ايضا

لا استطيع!!!!

لو يعلم الجمع

ان الله غالب علي امره

وانه ينصر من ينصره

وانه كان بك

بي

بابراهيم حنيفا

فوالله لن يشقي انسي

الا بخروجه من هذه الحفاوة

لو يعرف الناس روعة الايمان

وروعة الوجود في اكناف الرحمن

يوقنون

ويحمدون الله ان خلقهم

"\"ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم"\"

د. يحيى

لا تعليق

د. مدحت منصور

أضيف حيرة جديدة إلى حيرتي، قد تتزوج من امرأة فاضلة وترعاها بمسئولية لأنك مسئول وتتحمل الاختلاف لأنك يجب أن تتحمل الاختلاف وتحترمها وتقدرها وتمتن لها بالجميل وبوقوفها جانبك في مشوارك ولكن هناك شئ ما لا تستطيع أن تعطيه وتقابلك واحدة ما، إنسانة ما فتجد أنك على استعداد للرعاية بمسئولية وتحمل الاختلاف بجانب شئ ما آخر مرحبا أن تعطيه تلوم نفسك وتقول أين العدل هذا الشئ من حق الزوجة ولكنك لا تستطيع والله أنا لآ أذكر ذلك على سبيل الاغلوطاط أو افتعال أو تصور موقف.

د. يحيى

إن شئت العدل، فضع نفس الافتراض للمرأة التى تتحدث عنها، وأعطها نفس الحق بنفس المقاييس، وتحت نفس الظروف.

هل تجرؤ يا مدحت؟؟

أم تجعلها فى سرّك

*****

دراسة فى علم السيكوباثولوجى (الكتاب الثانى) الحلقة (39)

شرح على المتن: ديوان أغوار النفس امتداد وقفة المراجعة (4):

ربنا خلقنا نحب بعضنا البعض، لنبقى بشرا

[.. إنت بتحبنى غصبن عنك!! (كيف؟)]

د. تامر فريد

أنا قريت اليومية دى وبعدها قريت يومية (تعتعة الدستور) و (كل عام ونحن وانتم من جنس البشر العظيم) مش عارف ليه اليومية دى نطت فى دماغى وشفتهم مرتبطين ببعض قوى.

د. يحيى

لأنهم مرتبطين ببعض، غالبا.

أ. عبير رجب

تفتكر كام واحد ممكن يقدر يستحمل وقفه نقد يقظ ومراجعه مع نفسه بوعى ظاهر

أقول لك على حاجة: أنا كل ما باحاول واراجع نفسى بجد ما باستحملش وباخاف وبالغى اى احساس ممكن اكون حسيته وقتها، أصل الموضوع صعب قوى وألمه اكبر منى.

د. يحيى

احترم صدقك جدا جدا

وأرفض إلغاء ما وصلك جدا جدا

وأرجح أنك لن تنجحى فى ذلك

وأدعو الله لك بالفشل فى ذلك .

*****

دراسة فى علم السيكوباثولوجى (الكتاب الثانى)

فى فقه العلاقات البشرية: حوار، ورؤى

عودة إلى الألعاب النفسية، لتعويض الصمت

د. مارى مراد

أولا: بالعامية

1) ربنا خلقنا نحب بعض كدهه من غير أى حاجة، بس اللى بيحصل بقى **اننا بقينا بنخاف من بعض بدل ما نحب بعض**

2) لأ مش ممكن...!!! أنا عشان أحب لازم أتحب الأول، .....، يبقى بقى **لازم افضل طول حياتى مستنية عشان أضمن أن فيه حد بيحبنى دايما**

3) ما هو ازاى أحب واحد(ة) وانا عارف إنه(ا) ممكن يسيبنى (تسينى) فى أى وقت؟!!!! بس برضه **الحب فيه مخاطرة وفيه خوف - إزاى الواحد يتغلب عليهم**

4) طب وانا حاخسر إيه لو حبيت واحد ما يستاهلشى الحب، ما دام مش مستنى منه حاجة....، إنما يعنى **الواحد لو ممكن يبادل الحب بيكون أفضل واقوى كتير**

5) أحسن حاجة الواحد يحب اللى بيحبه وبس، طب وانا أضمن منين إن **اللى بحبه يصون الحب ويعاملنى بنفس الحنان والاهتمام**

6) أنا ما اقدرشى أحب حد ما اعرفوش، مش يمكن **يحاول يستغلنى ويستغل ضعفى عشان يوصل للى عايزه وبعد كده يتخلص مني؟**

7) طيب، إفرض أنا صدقت اللى بتقولوه، وقعدت أحب أحب أحب ، وما حدشى حبنى، مش برضه يبقى معنى كده إنى **ضيعت حياتى بادور على الحب وهأفضل برده محتاجة - وكمان لما ييجى اللى يستاهل الحب ده ممكن يكون خلص أو تعب واتحول لخوف**

8) الظاهر إنى أنا فعلا لو مديت إيدى جوه أى حد حالاقيه بيحبنى، بس إيش ضمّنى **أنه مش بيخدعني؟ إيه اللى ضمننى أنه حقيقى ومش خدعة**

9) إحنا مخلوقين نخاف من بعض، ونتخانق مع بعض، والحب بقى ييجى بعدين لما نطّمن لبعض، طيب !! يحصل إيه بقى لو **ما بقيناش بنخاف؟ لو اختفى الخوف؟ لو بقينا كلنا مطمئنين؟**

10) أحسن حاجة بلاش نستعمل كلمة حب دى من أصله ما دام احنا مش قادرين نتفق على معناها، أنا أقترح **اننا نفضل نستعمل الكلمة دى لأنها أقوى كلمة حتى لو بقينا بنستعملها كتير - المعنى اللى وراها كل واحد بيحدده لنفسه فى ظروفه زى كل المعانى النسبية**

ثانيا: بالفصحى

1) لقد خلقنا الله نحب بعضنا البعض تلقائيا، لكن ما يحدث فعلا هو **أننا نخاف من أحدنا الآخر ونشعر بالتهديد فى أنفسنا**

2) لا ..لا ..هذا غير ممكن، أنا لكى أحِــب، لا بد أن أحَــب أوّلا ، إذن **لابد من انتظار الشخص المناسب الذى يحبنى ويستحق حبى حقا**

3) لكن كيف بالله عليك أحب أحدا وأنا أعلم تماما أنه يمكن أن يتركنى فى أى وقت، !!! لكن أيضا **الحب يحتاج إلى الثقة والمخاطرة - ولكن هذا معناه ألم ومعاناة**

4) ليكن..، وماذا سوف أخسره لو أننى أحببت من لا يستأهل حبى، طالما أنا لا أنتظر منه مقابلا أصلا، ولكن أيضا **هذا مرهق وقد يؤدى لاستغلال الآخر لي**

5) الأفضل أن أحب من يحبنى، وكفى، فمن أين لى أن أضمن أن **الذى أحبه لن يستغل هذا الحب ويقدم على استغلالى أو تهديدى وتعريضى للألم**

6) أنا لا أستطيع أن أحب أحدا لا أعرفه، ألا يجوز أن **يسئ إلى ويستغلنى ويتسبب فى إيلامي؟**

7) لنفرض أننى قبلت ما يقال، وجعلت أحب ، وأحب، وأحب، ثم لم يحبنى أنا أحد، ألا يعنى ذلك أنى **قد أضعت الوقت والحب هباء وتحول الأمر إلى استغلال ثم لا استطيع من الخوف أن أبادل من يحبنى بحب صادق؟**

8) يبدو فعلا أننى لو مددت يدى بداخل أى إنسان سوف أكتشف انه يحبنى، ولكن كيف أضمن **أن هذا الحب حقيقى ودائم ولن يتغير وسيقبلنى كما انا وليس فى الصورة التى يتصورها فى خياله الخاص؟**

9) لقد خلقنا ونحن نخاف من بعضنا البعض، ونتعارك مع بعضنا البعض، ثم يأتى الحب حين نطمئن لبعضنا البعض، لكن ماذا إذا حدث أن **صار الحب فى كل مكان ولم نعد نخاف أحد؟ لو اختفى الخوف؟**

10) يبدو أنه من الافضل ألا نستعمل كلمة "حب" من حيث المبدأ طالما الاختلاف حول معناها هو بهذا الحجم، أنا أقترح **الاستمرار فى استخدامها لأنها أقوى الكلمات – ولكن احترام أن لكل منا تفسير نسبى لها وقد يتغير مع الوقت**

د. يحيى:

شكرا لك يا مارى بجد.

يا رب تتاح فرصة لمناقشة كل هذه الجدية فى المشاركة.

****

فى فقه العلاقات البشرية: دراسة فى علم السيكوباثولوجى (الكتاب الثانى) (45)

لوحات تشكيلية من العلاج النفسى والحياة

شرح على المتن: ديوان أغوار النفس

إعادة تنظيم واستجابات أصدقاء لفرض "الحب"

د. أشرف (يكتب من كندا، بعد أن تفضل وكتب بالعربية الجميلة)

أشكرك كثيرا على إجتهادك ووقتك وسماحك.

د. يحيى:

أنا الذى أشكرك على جديتك وتشجيعك ومتابعتك.

د. أشرف

سوف أحاول تلخيص ماكتبته إليكم سابقا باللغة الإنجليزية

جاءت تعليقاتى السابقة فى إطار فهمى القاصر وربما المغلوط للفرض المطروح

د. يحيى:

بالله عليك، أين هذا الفهم المغلوط يا رجل؟ إن سؤالا ذكيا لهو أهم مائة مرة من عشر إجابات حاسمة.

د. أشرف

لقد استقبلت وفهمت فرضك على النحو التالى:

أ- أن هذا الفرض عمومي(Universal) ولا يخص موقفا علاجيا بذاته ولا ثقافة

خاصة ولا مجتمع بعينه وإنما كل الناس

د. يحيى:

هو كذلك.

د. أشرف

ب- أن الحب المفترض (المنطقة ــ المستوى ــ الكيان): هوقديم وشديدالغورفي الكيان البشري ولذلك- حسب فهمى- فله تمثيل بيولوجى داخلنا، فهوحقيقة بيولوجية وليس شيئاهامشيا طارئا أومصطنعا، وهو يمثل جزءا من الفطرة النقية التى أودعهاالله فى خلقه جميعا.

د. يحيى:

بالضبط، وإن كنت أحب أن أضيف أن موضوع الفطرة قد شغلنى طول عمرى خاصة وأن أغلب استعمالاته تجرى فى سياق دينى تقليدى بشكل يختزله، المهم، ربما كان ذلك دافعا أن نناقشه فى بداية صدور هذه النشرة، (أنظر نشرة 6-11-2007 عن الفطرة والجسد وتصنّيم الألفاظ)، وقد انتهينا آنذاك إلى محاولة تعريف الفطرة بأنها "حركية لها قوانينها" أكثر منها أصل ثابت: طيب أو غير طيب، نقىّ أو غير نقى، أى أنها أقرب إلى شفرة برامج التطور لكل نوع من الأحياء بحسبه، وبحسب ما يعد به، وبحسب ما يتوجه إليه، وما يمكن أن يخرج عنه، إلى ما بعده، وحين نصل إلى الإنسان على قمة الهرم الحيوى الذى نعرفه، نجد أن هذا البرنامج الذى يمثل الحركية التى خلقت ما هو إنسان له قانونه الذى مازال ينشطه، وأنه قد حيل بينه وبين مهمته بشكل أو بآخر، وما نفعله – على ما أعتقد- هو محاولة تنشيط هذا القانون بما تستعيد به الفطرة زخم حركيتها، بعد محاولة التعرف عليها، ولو جزئيا، ثم تتكشف لنا بما نحمل أمانته أولا بأول.

د. أشرف

ج- أنه لما تشوه الكيان البشرى عبرالسنين بفعل الظروف، وغالبا بفعل الأهل أوالأصدقاء اوالعشيره أوالقبيلة أوالإعلام ــ حديثا ــ لم يعد بمقدورنا أن نراه (الحب) لا في أنفسنا ولا فى الآخرين وإزدادت صعوبة التواصل وتعقدت العلاقات البشرية تعقيدا شديدا وظهرت الإعاقة حتى المرض الصريح

د. يحيى:

هذا ما عنيته تماما تقريبا، وهو ما أردت توضيحه حالا فى التعقيب السابق مباشرة.

د. أشرف

د- إن العبارة ــ انت بتحبنى غصبن عنك وعن أهلك -الواردة فى جلسة العلاج الجمعى التى بدأت فيها ملامح هذا الفرض تتشكل توجز مدى فهمى للموضوعوربما أضيف، **وغصبن عن أى حد**، ليشمل ذلك الإعلام والإنترنت وماشابه ذلك حديثا.

د. يحيى:

هذه إضافة جيدة تتفق مع بداية اقتراح اللعبة من د. مى حيث كان الاقتراح "وعن

اللى يتشدد لك"، وليس وعن "أهلك"، فقط، وأنا الذى أدخلت التعديل خوفا من أن تسيح منا الأمور، ويبدو أن د. مى كانت تعنى باللى يتشدد لك ما جاء فى تعقيبك هنا ليشمل الإعلام والأنترنت وما شابه.

د. أشرف

بناءا على فهمى هذا جاءت معظم تعليقاتي التى أراها الآن شديدة التواضُع ولكن هأنذ أشارك وأجتهد:

أ- تساءلت عما إذا كان استعمال كلمة "فرض" سيقودنا إلى سجالات كلامية ومناقشات نظرية وإستحضار أدلة كثيرة ومتعددة تدعم هذا الفرض وأسئلة كثيرة عن حجم العينة ومدى تمثيلها إلخ، والذى رأيت مبدئيا أنه ليس المنهج المناسب لتناول أو رؤية هذه الظاهرة أنا أشعر أن إستخدام كلمة خبرة أو كشف قد يكون أكثر تناسبا ودقة عند طرح هذا الموضوع بل ويشير إلى طريقة إختبار وتقييم هذه التجربة فيكون المطروح: "تعالوا نرى سويا ما رأيت" بدلا من "تعالوا نتناقش حول ما خبرت"

أنا أعلم أنه ربما يقول قائل إن كلمة فرض تشير بدقة أكثر إلى "احتمالية" المطروح ليس إلا، وبذلك يكون التناول أكثر موضوعية وليكن فهذا ما أثارته الكلمة فى بحكم خلفيتى وتكوينى

د. يحيى:

أوافقك تماما، فما هذه المحاولة الخبراتية المعرفية إلا "تعالوْا نرى سويا ما رأيت" بدلا من تعالوا نتناقش حول ما خبرت "لا فض فوكَ يا رجل، ولا قُصِف قلمك، لكن استدراكك هو أيضاً صحيح، لأن ما نتناوله ليس إلا فرضا، وهذا يفتح الباب لاحتمالية فشل تحقيقه

هذا وقد ناقشنا تنويعات المنهج فى ندوة 2010/1/1 (منذ خمسة ايام)، وأرجو أن تكون متاحة، ولو موجزة على الموقع تقريباً.

د. أشرف

ب ــ خشيت من أن استعمال "كلمة الحب" هكذا قد يثير لبسا وربما رفضا بما تحتويه الكلمة من معان ودلالات خاصة، وقدتكون فى الكلمة مبالغة ولو قليلا فى وصف هذا الشيء الرقيق اللطيف الذى يُغلف بداية العلاقات مع الآخر، ولذا آثرت أن أترجم كلمة الحب التى وردت إلى like وليس love ثم تماديت فاقترحت "القبول المبدع" أو "القبول الأساسى"، ولكنى شعرت مؤخرا أنها توحى بالسكون وتفتقر إلى الحيوية والنبض، وهما ما تتسم بهما كلمة الحب، فتوقفت، ثم فرحت كثيرا عندما إستخدمتم "طاقة التواصل" وسكت متأملا

وللحديث بقية لأكمل ماتبقى من تعليقاتى مشاركتى

تقبل ياسيدى خالص تحياتي وتقديرى

كل عام وأنت مجتهد وبذلك فأنت طيب

لك،

ولنا.

د. يحيى:

ياه يا د. أشرف: كم أنت قريب هكذا، وتبدو أقرب باللغة العربية التى ثبت من رسالتك هذه أنك تتقنها جدا، وأيضا تبدو أبعد عن اللغة الانجليزية لأن التى فضلتها هى أضعف كثيرا جدا (راجع نشرة 1-1-2010 حوار/بريد الجمعة).

كنت ومازلت أنبه مكررا إلى أن استعمال الكلمات الشائعة بالحق والباطل، بالجدية أو بالزيف، هو خطر على الكلمة وعلى محتواها، خصوصا الكلمات الدينية، والعاطفية، اكتشف أننى وأنا أرد على البريد، وعلى المناقشات أننى تجنبت استعمال كلمة "الحب" كثيرا، لكننى أحللت محلها ما هو أصعب، مثل "برنامج بيولوجى علاقاتى حركى"، وأيضا "محاولة التواصل الموضوعى"، كل ذلك لأننى وقعت فى حيرة مثلك تماما.

لتسمح لى أن أتحفظ على بعض رأيك فى هذه الفقرة وهو ما يختص باستعمالك كلمة بداية فى جملة "يغلّف بداية العلاقات" وقد تأكد لى موقفك من هذه الكلمة "بداية" من استعمالك أيضا بعد قليل تعبير القبول المبدئى"، وفضلت عليه استعمالك تعبير "القبول الأساسى"، وإن كان بينى وبينك هو "القبول المتجدد المستمر الصعب الواعى المضطرد، دون إلزام بدوام إلا ما يتيح الفرصة لتحمل الصعوبة".

أرجوك فوّت كل هذا لكنى دعنى أدعوك لزيارة الموقع -إن كان لديك وقت- لتعرف موقف الجنس من هذه القضية، وذلك فى أطروحتى"الغريزة الجنسية من التكاثر إلى التواصل"، وأيضا دعنى أشير لك إلى أن ما بين البشر، انطلاقا من الجنس، أساسا، هو الحب بمعنى "إيروس" وهى التعريب الذى اضطررت إليه اضطرارا حين عجزت أن أجد له مقابلا بالعربية، حيرتى إزاء هذا المصطلح لا تقل عن حرجى فى استعمال كلمة "حب" بما قد يصل إلى المتلقى بغير ما أعنى، وما تعنى أنت أيضا، وإليك مقتطف مما جاء فى نشرة سابقة عن كلمة إيروس

أقرأ الآن كتابا بعنوان Erotics وبداخله يستعمل المؤلف جورج باتاى كلمة Eroticism بالتبادل (كأنهما مترادفان) هذا الكتاب كتبه مؤلفه سنة 1957 بالفرنسية وترجم لأول مرة إلى الانجليزية سنة 1962، وأنا أقرأه الآن سنة 2008 ولا أجد لمجرد عنوانه كلمة بالعربية تصلح للترجمة، كشفت على الكلمتين Erotics & Eroticis ووجدت ألفاظا شديدة البعد عن المعنى المراد، بل إننى كشفت عن الكلمتين بالانجليزية (انجليزى - انجليزى) ولم أعثر على ضالتى، ولم أرجع للفرنسية بعد.

الرجل (المؤلف) يعنى بالكلمة تحديدا "الوعى بالجنس كخبرة داخلية" Inner Sexual Experience ربما بمناسبة اكتساب الإنسان للوعى، وهو بهذا يميزها عن الجنس الحيوانى Animal sex الذى يمارسه أغلبنا دون أن يعرف أنه كذلك، فهل هناك

كلمة بالعربية تقابل هذا العنوان وهذه الظاهرة؟ (لا أخفى عليك أنا لم أقرأ حتى الآن إلا ستين صفحة من الكتاب) حتى الآن لم أعثر على الكلمة المناسبة، وربما حين أنتهى من قراءته قد أجدها، .....

هيا نصبر ونواصل حتى نجد الكلمة المناسبة للحب، أو المقابلة لما هو إيروس، ولكن هل يصبرون علينا؟

إن ما توصلت أنت إليه بحدس إبداعى فى تعبير "طاقة التواصل"، يحتاج لإضافة لتؤكد لزوم درجة من الوعى وحركية الجذب، وبالتالى يجدر بنا ألا نتكلم عن فطرة نقية،

أما أن هذا الذى نتكلم عنه (الحب) هو قديم، فهو ليس كذلك، أما أنه شديد الغور، فهو كذلك

أعتقد أن الحب هو البرنامج البيولوجى الذى يستوعب الجنس وغير الجنس ليجعله دافعاً للتواصل بين البشر ليكونوا بشرا، هو برنامج حديث يخلّقه الإنسان المعاصر الذى يواصل تطوره بصعوبة بالغة، فهو التخليق الأحدث للتواصل انطلاقا من الجنس الذى لايعود جنسا فقط، وهذا ما يميز الإنسان، وهو على قمة مراحل تطوره (المفروض يعنى)، ومن هنا جاء احترامى للحزن الجاد الإنسانى المصاحب لصعوبة الوعى النسبى بالعلاقة الموضوعية بين البشر، وهو الدليل عندى على محاولة التواصل الحقيقى، الصعب، والجميل فى آن، (الاسم الآخر للحب).

إذن "هو" فطرى (برنامج بيولوجى حركى) إنسانى أحدث (مصاحب بحزن واع، قادر، مختار، فرحان، صعب) باعتبار أنه يفجرّ فطرة قوية (وليس فقط ينبع من فطرة نقية)

ويكفى هذا اليوم، ولا تنسنا ياعم أشرف.

*****

فى فقه العلاقات البشرية: دراسة فى علم السيكوباثولوجى (47)

لوحات تشكيلية من العلاج النفسى والحياة

شرح على المتن: ديوان أغوار النفس

الحالة (16)

"نيجاتيف" إنسان، وتعرية قاسية صادقة

د. محمد الشرقاوى

هل ممكن فعلا يفوق هذا الانسان ويرجع تانى للحياة؟ ولا صعب ونسبة النجاح الى نسبه الفشل قد ايه؟ ارجو ان ترد سيادتك من واقع خبرتك بهذا الانسان

د. يحيى:

نبهت منذ البداية أن صور "أغوار النفس" هذه هى تشكيلات من وحى الناس، وليست حالات بذاتها، يمكن التساؤل عن مصيرها هى تحديدا، لهذا، فإن السلبيات، ثم الإيجابيات لاحقا، تمثل تشكيلاتى لكل صورة، لتبلّغ ما تراه مناسباً من واقع التعرية، للتعرف على

"فقه العلاقات البشرية" وليس على تركيبة أو مآل شخص بذاته.

إذن هى ليست خبرة إنسان معين، أو مريض أعرفه له صورة محددة أنقلها.

أما خبرتى العامة فتقول: إن أى إنسان قادر على أن يلملم نفسه ويبدأ من جديد، ما دامت فيه خلية واحدة تنبض.

أ. عزة هاشم أحمد

ربما يكون كذب الإنسان على نفسه أفضل بكثير من صدقه أمامها،لابأس من بعض المغالطات حتى تكمل السفينة مسيرتها،ولكن هل بالفعل جنة الوهم ولا نار الحقيقة؟،لعلك يا دكتور أول من يحض على صدق الانسان أمام نفسه ولكن ياترى هل هذا رأيك لو علمت أن صدقك أمام نفسك ومع نفسك فيه الهلاك المحتم لكبرياء نفسك؟؟؟

د. يحيى:

سؤال شديد الأهمية، أرجوك يا عزة أن تقرئى ردى عليه فى حوارى مع د.جمال التركى أول أمس أو دعينى أقتطف هنا الجزء الذى يرد على تعقيبك ليكون تحت نظر من لا يتابعنا بانتظام.

"هل تسمح لى – ياجمال – أن أذكـــّر الجميع بدءا بنفسى وبك، أننا ما دمنا ما زلنا بشرا نسعى، فإننا نحتاج عددا من الميكانزمات العاملة إيجابيا طول عمرنا، أذكّرنا بذلك لأننى أخشى من التمادى فى التركيز على سلبيات وجود الميكانزمات حتى نتصور إمكانية، أو حتى أفضلية الاستغناء عنها جملةً، حتى ننكرها فى غير أوان الاستغناء عنها، وكأن أحدنا يستطيع أن يعيش بدونها، إن غاية السعى – كما تعلم– هى أن تقل حاجتنا إليها باستمرار، وباضطراد لا أكثر ولا أقل؟ كثيرا ما اعتبرت هذه الميكانزمات، فى الوقت المناسب، للغرض المناسب رحمة من ربنا، حتى قلت يوما: " ياربنا يا ربنا، أدِمْ علينا نعمة العمَى"، وحين فـــُهم هذا الشطر خطأ من كثيرين، زدت صفة على العمى، ليكون ألا يحرمنا من رحمة العمى المؤقت، أو العمى المرحلى، أوالعمى الضرورى، لا أكثر، رحلة النمو يا جمال هى رحلة الاستغناء عن الميكانزمات تدريجيا بكل الألم الذى ذكرتـــَه أنت حالا، عبر نبضات النمو المتلاحقة، من خلال كل الإيقاع الحيوى الرائع، "ليل/ نهار"، "لباسا/ معاشا"، "نوم/ يقظة" "حلم/ نوم"، "قبض/ بسط"،"صلاة/ كدح".. ، إلى آخر ما أدعو الله أن يمكننى أن أقدمه للناس من واقع ما رأيت، وأن يصل إلى وعى بشرى يقظ، ولو واحد مثلك أو مثل د. أشرف، حتى أصدق فأكمل، ثم يصل إلى أصحابه وقتما يشاء ربنا".

أ. رامى عادل

بني ادم يحول لصوره في معبد الشيطان، مش ممكن! عارف \" تهزني انفاسي، تخيفني لفتاتي\"، احنا بنقول ان العفاريت مخيفه، ومنقدرش نبحلقلها، اهو عمنا بقي عفريت، والبني

ادمين قابضين عليه،مش عارف التكيف ممكن يكون ازاي في البيئه دي،اما يكون العفريت متسلسل، او ملفوف في شاش محكم، او مطرود من دنيته، جسم غريب، بقي هوه،بيتلطش،لما حد مننا يبص جوه عين العفريت، او والعفريت ماشي في الشارع وسط البشر_ اكيد مش عل ارض_كده بيتعمل له عمليهبمشارط ومقصات، ومصارينه بتتجرجر من غير بنج، ان حد يلمسه، او يشاورله ده يساوي الدفن، العفريت بيستخبي، لكن قولي من فضلك، مين بيفتح ابواب جهنم علي مين؟مش برضه الشياطين من لحم ودم؟العفريت ينفع انسان،مش يخطفوه، حتي وانت بتقول ان الدبان الازرق ميعرفلوش طريق، ربنا اقرب ليا وليك،صحيح السما ابوابها مش مفتوحه؟!تصدق؟! طيب لما بيتقابلوا الجو بيكون ليل؟! ان الله بالغ امره، يبقي ازاي نيجاتيف؟! انا بشوف بنات مسورءه، ومسخسخه، وشاحبه، مع ادراكهن انهن اتمسخوا، وبيرجعوا شبه الاول واحسن، لكن دول بنات ومجانين!

د. يحيى:

أرجوك يا رامى أنت أيضا أن تقرأ الحوار بين الدكتور جمال التركى وبينى أول أمس، ففيه رد على تعقيبك، بشكل ما.

*****

في فقه العلاقات البشرية: دراسة في علم السيكوباثولوجي (49)

اللوحة (17)

الحب بالراحة !!!!

أ. عزة هاشم

هل من الممكن أن يشيب القلب وهو لا زال فى ريعان شبابه ، هل يمكن أن يتحول الشاب إلى زاهد فى الحب والمشاعر ،لا يجد رغبة فى العطاء ولا يقبل على فرصة الأخذ ؟

د. يحيى:

نعم ممكن من حيث الوظيفة

لكن من حيث ما خلقه الله، فلا يشيب القلب إلا فى القبر،

وربما لا يشيب حتى فى القبر إذا قبلت أن الموت أزمة نمو كما جاء فى هذا البريد وغيره.

*****

في فقه العلاقات البشرية: دراسة في علم السيكوباثولوجي (48)

"نيجاتيف" إنسان حوار مع د. جمال التركى (الحلقة الثانية)

أ. نادية حامد

أتفق معاك تماماً يا د. يحيى فى أن رحلة النمو هى رحلة الاستغناء عن الميكانزمات

الدفاعية بكل ما فيها من مراحل مختلفة لدرجات الألم، إسمح لى أن أقول درجات الألم زى ما يكون علشان نوصل لمرحلة معينة من النضج لازم نتحمل الألم المصاحب لذلك.

د. يحيى:

ولكن واحدة واحدة لو سمحت،

أخطر الخطر وأزيف الزيف أن نتصور أننا نتنازل عن الميكانزمات ونحن لا نفعل إلا أننا نستبدلها.(برجاء مراجعة نص الحوار)

د. صلاح الدين السرسى

الغريزة الإيمانية يكبتها المرعوب من انطلاق برنامجها خشية أن يمتد ذاته إلى \"مالا يعرف\"، (الغيب)، وهو حين ينجح فى كبتها، حتى لو حسب نفسه متدينا لا يتبقى له إلا شكل الدين، أو هو يُعَقلنها فيختزلها فى تفسيرات لفظية مغتربة عن الوعى الحركى الذى يصلنا مثلا من القرآن الكريم مباشرة، والنتيجة هى ألا يبقى لدينا إلا صورة دين مغترب يحبس النص النابض، فى اللفظ القابض، فلا يشحذ جدل الكدح النوابى إلى الغيب، الإبداع اليقين"\

اذا انتقلنا أستاذنا الفاضل من التأمل بهدف الفهم الأعمق والأشمل الى جزئيات الحياة وتفاعلاتها العيانية، الى أحداث العنف والعنف المضاد بين من يتصورون أنفسهم الأكثر تدينا، والأكثر قربا من الله، وهم الأكثر اقصاءًلأى آخر له رؤية مخالفة، هل يصح أن نقبع وراء التأمل، أم أن مقاومة هذه التيارات فرض عين ؟.!!

د. يحيى:

طبعا فرض عين

برجاء قراءة يومية الأحد القادم "قبل وبعد التعازى والأحضان"

ثم نواصل الحوار.

*****

<u>فى فقه العلاقات البشرية: دراسة فى علم السيكوباثولوجى</u>

<u>(الكتاب الثانى) الحلقة (45)</u>

<u>إعادة تنظيم واستجابات أصدقاء لفرض "الحب"</u>

د. أشرف

سوف أكمل اليوم تلخيص بعض ماكتبته إليكم سابقا باللغة الإنجليزية بالرغم من أنكم أجبتم على بعضه مؤخرا.

تساءلت عما إذا كان من الأفضل طرح الألعاب الكاشفة للوعى الخاصة بهذا الفرض وربما أيضا الفرض البديل قبل شرحه وذلك خشية أن تكون إستجابات المشاركين المكتوبة قد تأثرت بما قرأوا.....

لقد شعرت أن بعض الإستجابات جاءت وكأنما تكمل شرح الفرض من وجهة نظر صاحبه ولاتكشف عن وعى أصحابها كما هو مفترض وما أبرىء نفسى فربما تأثرت بعض تعليقاتى بما قرأته سابقا أولاحقا لصاحب الفرض ماذا لوطرحت اللعبة كالتالى ــ وياحبذا على من لم يعلم الفرض أو عن اللعبة من أساسه:

اختر من الكلمات الأتية لتكمل الجزء الأول من الجملة بما يجول فى نفسك شفاهة وبما يجعل الجملة ذات معنى ومن حقك ــ أى المشارك ــ أن تكمل الجملة الأولى بكلمات أخرى قريبة المعنى والجزء الثانى من الجملة بما يعن لك.

بنكره ــ بنخاف ــ بنحب ــ أعداء ــ مش طايقين ــ متقبلين ــ يدوب كده ولانحب ولابنكره

إحنا إتخلقنا .....بعض كدهه من غير أى حاجة، بس اللى بيحصل بقى.....

أخاف ــ أحب ــ أعادى ــ أكره ــ أقبل ــ لاأحب ولاأكره

أنا ما اقدرشى .....حد ما اعرفوش، مش يمكن.....

هل تعتقد أن الإستجابات على هذه اللعبة سوف تكون فى نفس إتجاه الإستجابات على مثيلاتها والتى طرحت من قبل؟ إننى هنا أيضا أشيرأن الجملة ربنا خلقنا بنحب بعض كدهه من غير أى حاجة هى موضع تقييم الفرض ونحن لانعرف بعد ما إذا كان ماتشير إليه بالظبط هكذا أم لا وهو مانختبره فعلا وبذا لايجوز تخطيه قبل التأكد منه إننى أتساءل عما إذا كانت كل من الجملتين المتضادتين ــ حب أوكره ــ تسحب من الداخل بالأشياء ماينا سبها ويجعل الجملة ذات معنى وفقط لأن كل شيء موجود بالداخل بدرجات متفاوتة

د. يحيى:

لم أفهم اقتراحاتك تحديدا، وإن كان قد وصلنى اجتهادك جدا

مازلت أذكر إشارتك الاسبوع الماضى بما معناه أننا "تكشف عن رؤية من خلال خبرة" أكثر منا أننا "تحقق فرضا محددا، بمنهج معروف"

كل ما ذكرته يا أشرف، فيما عدا الاقتراح المنهجى البديل المحدد، وصلنى وأوافق عليه وأيضا أوافق على ما يلى مما جاء فى تعقيبك

د. أشرف

إن دراسة الإستجابة اللفظية فقط منفصلة عن صاحبها قد يكون غير ذى دلالة ولايثبت فرضا ولا ينفيه لأن الإستجابة اللفظية وحدها لاتحدد حجم هذا الحب المفترض ولاعمقه ولاقدمه من عدمه.....إن تقييم الكيف هناهوالأهم

د. يحيى:

تذكر يا أشرف أننا ندرس عموم الظاهرة أكثر مما ندرس تميز فرد بصفات معينة،

ومشاعر معينة، دون الآخر مثلا.

د. أشرف

إن سؤالى الأعمق هل تطلع هذه الجمل من نفوسنا حقا ؟ أم أنها فقط تشيرإلى الداخل بما تيسرمن ألفاظ مما يستعمله الناس فى مثل هذه المواقف وبالتالى فإن التدقيق الشديد فى الاستجابات اللفظية غيرمفيد لأنها لا تعبرعن الداخل بهذه الدقة

د. يحيى:

صحيح، ولكن الدقة ليست دائما هى الأصح

د. أشرف

فمثل: هل سحبت عبارة غصبن عنك باقى العبارة واللى يتشدد لك مما يستخدم عادة فى مواقف الشجار أوالتهديد أوإرغام شخص على ما يأباه أم أنها إقتطعت جزأ من نفس صاحبتها- د.مى - بحدس أن هذا الشيء ينتزع إنتزاعا.....

د. يحيى:

عندك حق ولكن العبارة أدت الواجب فى الكشف على المراد، الكلمة لا توصل المعنى المراد إلا فى السياق المناسب

د. أشرف

يبدو أن العلاقة بين اللغة والداخل شديدة وليست كما أتصور لأنه عندما يمرض الداخل تمرض اللغة وربماعندما تمرض اللغة يمرض الداخل

د. يحيى:

هذا صحيح

د. أشرف

ولكن تظل عندى بعض الشكوك عن مدى كشف اللغة أوالألفاظ للداخل هكذا فضلا عن إستخدامها فى تقييم فرض يمس داخل الداخل، وقد نجد بعض هذا فىحدس الناس عندما يقولون أهواكلام هوالكلام بفلوس أو قول جاهين هو الكلام يتقاس بالمسطرة

د. يحيى:

لذلك نحن لا نعتمد على الكلام إلا فى المقام الرابع خاصة فى المينى دراما. (وسوف أعود إلى ذلك قريبا عند عرض مقطع من العلاج الجمعى).

د. أشرف

د- تسائلت عما إذا كانت الإستجابات على الألعاب الكاشفة للوعى ــ هكذا سواء نطقت شفاهة ثم سجلت أوسجلت كتابة تكون كاشفة أو محركة للوعى فعلا وتفرزإستجابات ذات

دلالة تؤخذ فى الإعتبارعند تقييم هذا الفرض المثير.

د. يحيى:

تحريك الوعى يتم فى الحلم (نشاط الحلم نوم الريم REM وليس بالضروره حكيه)،

الحلم بل هو تقليب مستويات الوعى على بعضها البعض

حركية الوعى لا يمكن رصدها لا بالألفاظ ولا بغير الألفاظ وإنما بنتائجها التى أحيانا تكون متناهية الصغر، ثم تظل تتراكم حتى تصلنا فى أى متجليات ذلك (بصيرة، أو فعلا ، أو قفزة نمو).

د. أشرف

إن هذه الإستجابات إن لم تكن فى مجموعة وبحضورمحترف فهم السلوك البشرى والذى يربط الإستجابات اللفظية بلغةالجسد وفى جزء ضئيل جدا من الثانية وفى الوقت االمناسب فإن دلالات هذه الإستجابات يجب أن تؤخذ بحذر شديد.

د. يحيى:

هى فعلا تؤخذ بحذر شديد، وما شرحته أنت الآن هو تماما ما يتم فى العلاج الجمعى، (آمل أن أنشر أجزاء منه قريبا)

د. أشرف

سأكتفى بهذا القدر اليوم لأننى قد أكون قد تورطت فيما أكون قد حذرت منه فى تعليقاتى السابقة

د. يحيى:

حصل

د. أشرف

أرى أن من أجمل الإستجابات على هذا الفرضما جاء من أ.د. مها وصفى حينما قالت وعلى أى حال سوف أجربها اليوم فى العلاج الجمعى بشكل ما: حكاية الحق فى المعرفة والحق فى الحب وقدلاحظت أنها لم ترسل إستجاباتهاعلى اللعبة.....

د. يحيى:

أنا أفتقد ابنتى أ.د. مها، وأظن أنها أخذت على خاطرها (اتقمصت) من نقدى الشديد لمقال كتبته فى الدستور ورفضته، وما زلت أرفضه، فهى أغلى عندى من أن أقبله،

وهى حرة، تتفلق

لكننى احترمها واحبها،

د. أشرف

للحديث بقية.....

تحياتى لكم ولكل مجتهد جاد مثابر مخلص وأمين

لايكتم علما ولا يطلب أجرا

وهو إذ يفعل ذلك يفعله لأنه فقط كذلك

أتمنى لنفسى بعض ذلك.

د. يحيى:

أشكرك

*****

في فقه العلاقات البشرية: دراسة في علم السيكوباثولوجي (49)

اللوحة (17) الحب بالراحة!!

أ. عبير محمد

المقتطف:

من كُثْر ما انا عطشان بَاخَاف أشرب كَـدِه من غير حسابْ!

لكن كمانْ:

مش قادرْ أقول لأه وانا نفسى فى ندْعِةِ مَيّهْ من بحر الحنان!

يا هلترى:

أحسن أموت من العطش؟

ولا أموت من الغَرق؟!

الكلام ده عشته كتير قوى واحترت فى الإجابة على السؤال ده، والغريب كمان إن الواحد لسه محتار ولسه بيسأل زى ما يكون فيه حاجة تانية غير اللى واصله له بيدور عليها ومش لاقيها، بس يا ترى ممكن الواحد يوصل لاختيار محدد فى وقت ما ولا حايفضل السؤال طول العمر وكأن مفيش إجابة ممكن ترويه.

د. يحيى:

هذا الاستقطاب بين الموت غرقا والموت عطشا ليس هو المطروح، وليس هو القاعدة طبعا، لكنه مأزق الجائع الصادق مع نفسه، وأعتقد أن كل هذا العمل "فقه العلاقات البشرية" هو محاولة لتجاوز هذا الاستقطاب برغم الجوع.

الموت سواء من الغرق أو من العطش ليس حبا، فإن كان ولابد، فالعطش واعدٌ أكثر، لأنه دافع للرىّ على أية حال.

أ. محمد المهدى

ذكرت حضرتك أن للعلاج النفسى والتربية والنمو أصول منها: ضبط التوقيت، والجرعة، والدعم المباشر والنصح وضبط جرعة المسافة المتغيرة .. لم أفهم تماماً ما قصدته حضرتك بعبارة (ضبط جرعة المسافة المتغيرة .. أرجو التوضيح)؟

د. يحيى:

يا رجل، حرام عليك، وهل نحن نفعل فى باب "التدريب عن بعد" إلا أننا نوضح هذه القضية بوجه خاص "الجرعة" و"المسافة المتغيرة" "فالحركة فيما بيننا"

بصراحة، يمكنك أن ترجع إلى بعض ذلك فهناك تفاصيل وتفاصيل، ثم نعود للحوار.

أ. محمد المهدى

وصلنى أن الحب الغامر السهل لا تعنيه الفروق الفردية بين الذات المعنية (موضوع الحب) وبين غيرها من الذوات وأن هذا النوع من الحب يكون استسهالا وهروبا من محاولة إقامة علاقة جدلية حقيقية تساعد على النمو باضطراد ذلك أنه يدعو المتلقى أيضا إلى عدم تحمل الألم ومن ثم يساعد على ظهور بعض السلبيات مثل الاعتمادية.

د. يحيى:

الأمر ليس دائما هكذا ولا أخفى عليك يا محمد أننى خشيت أن يتعارض تحفظى على ما هو "حب بالراحة" مع إصرارى على أن "القدرة على الحب" هى الأصل فى الحب، والمسألة تحتاج إلى عودة للتوضيح فى فرص لاحقة.

أ. نادية حامد

قولُ "لا" "لا" المُحبة المسئولة مهما كانت قاسية، أرى أن هذه الجملة مهمة جداً جداً وأرجو من حضرتك إعطاءها مساحة أكثر من كده فى الشرح والتوضيح فى النشرات القادمة سواء كانت هذه فى العلاج النفسى أو التربية ومن خلال خبرتى المتواضعة فى العلاج النفسى فى أحيان كتير بتكون الوقفة المحددة أو كلمة "اللا" المسئولة بمثابة مرحلة مفترقية فى مسار علاجى وتشخيصى.

د. يحيى:

عندك كل الحق

وسوف يأتى قريبا جزء من المتن ينبه إلى هذه الـــ "لا" يقول:

وعْيالْ لِيّام دى غلابهْ

لا فى عصا ترحمهم ولا حكمة

من مَسّ الجانْ

فلعلك تلاحظى كيف أن العصا التى تنبه أنه "لا" هى رحمة وحب

أ. يوسف عزب

لدى استفسار

انا متفق مع سيادتك تماما- بعد ماقرأته هنا- فى الشك فى هذا الغمر من الحنان وطول عمرك تشككنا فيه، ولكن هل يمكن القول بضرورة الغمر كمرحلة وبعدها يتم الحساب وكأن المسألة كمية فى الاول ثم نتوقف دون النظر مطلقا لان المحتاج ارتوى أم لا لأنى ياما شفت ناس وقفت على رجلها بالغمراولا وبعد ذلك تم محاسبتها فنقول انه ضرورة اولية.

د. يحيى:

بصراحة، عندك حق.

*****

في فقه العلاقات البشرية: دراسة في علم السيكوباثولوجي (50)

لوحات تشكيلية من العلاج النفسي والحياة

شرح على المتن: ديوان أغوار النفس

اللوحة (18) أبواب وسراديب (1 من 3)

أ. رامى عادل

تعقيب علي الفقره الاولي: انا ليه بقول انك حكيم عيون،اقولك:لاني مبخفش الا لما"تقر عيني ،وعينك"."ايوه،المجانين ليهم تبريئه بلمعة عين،بصه مش مريحه،تحس انه ظفر بشيء،او راح ينال منك.المهم ان اللي بشوفه في عيون الحكماء الكبار،هو اللي بيتسمي قرة العين،ياما حلمت باني اشوفها،لانها جنتي.اما اثناء بحثي عن ربنا،فالحقيقه اني بردك كنت عايز اشوفه في سواد عيون الناس،اللي بفتكره بوابة السما، في مره بيسالني د ايهاب شفيق(منذ اثني عشر عاما)،ليه بتدخن مخدرات، عرفت اني عشان اشوفه في عيون من حولي! د. يحيي، ممكن تفتكر اول مره اشوفك في التسعينات،وكلامي لك عن الشك واليقين،النعاس اللي شفته ساعتها مالي عيونك،استغربته لدرجة الافاقه،لكنها لم تستمر،الذي استمر وقتها هو ..الموت

د. يحيى:

والله ما أنا فاكر

أنت الأدرى

*****

في فقه العلاقات البشرية: دراسة في علم السيكوباثولوجي (48)

"نيجاتيف" انسان، وتعرية قاسية صادقة

د. جمال التركى

ندعوكم محاورة البروفيسور الرخاوي فيما يعرضه من فكر في سعيه الدؤوب لمحاولة فك شفرة النص البشري من خلال قراءته لفقه العلاقات البشرية من منظور تطوري.

يرد الأستاذ الرخاوي على مداخلاتكم أول جمعة من كل شهر

د. يحيى:

آسف يا جمال، فقد عدلت عن ذلك منذ أسابيع لندرة ما وصلنى، وبالتالى لم يعد يوم الجمعة الأول من كل شهر مخصص للحوار حول "فقه العلاقات البشرية"، ولكننى أرد فى بريد أى يوم جمعة على ما يصلنى إذا وصلنى.

ثم دعنى أكرر شكرى لمثابرتك على تكرار الدعوة، وهو ما يشجعنى أن أواصل برغم كل شىء.

وأخيراً أعتذر لك أننى لم أنشر مقتطفاتك من هذه النشرة "نيجاتيف إنسان" حتى لا يزيد إلحاحنا على المشغولين عنا.

شكراً مرة ثانية.

*****

فى فقه العلاقات البشرية: دراسة فى علم السيكوباثولوجى (51)

لوحات تشكيلية من العلاج النفسى والحياة

شرح على المتن: ديوان أغوار النفس

اللوحة (18) أبواب وسراديب (2 من 3)

أ. نادية حامد

أولا: أشكر حضرتك لإكمال شرح المتن وإعطاء مساحة لقول: "لا" "المُحبة المسئولة"، واتفق مع حضرتك تماما فى ضرورة التناسب بين جرعات الحنان والقسوة وحسن توقيتها،

أما بالنسبة لمقولة حضرتك لم يعد مطروحا حاليا العصى الرحيمة فى تربية الأطفال فإذن ماذا هو البديل لذلك؟

د. يحيى:

البديل هو أن نحذق - نحن الكبار - معنى الضغط المحب، والربط المسامح مع احترام تغير "المسافة" باستمرار بيننا وبين من نتولى رعايتهم صغاراً.

*****

فى فقه العلاقات البشرية: دراسة فى علم السيكوباثولوجى (53)

لوحات تشكيلية من العلاج النفسى والحياة شرح على المتن: ديوان أغوار النفس

اللوحة (18): أبواب وسراديب (4 من 4)

أ. رامى عادل

راح عامل صورة يبان فيها التغيير

التعقيب: اللى بيخلق صورته ويبان قاسى اومحدد القسمات، فى ناس من الغيظ والطرشقه كانهم ضاربين فى دماغهم شرابات حريمي، مشروع قاتل انتحاري، بيموت نفسه يبان قاسي، يكادون يسطون بالرائى لهم، حين ينظر اليهم. الهجامين مبرشمين. صورة ابو حطب خير مثال لهم، غير لما بتحكى عن الريس لما انتقل حفيده لربناقائلا يقطر وجهه طيبه وحنانا، وصورة ام كلثوم نقيض هولاء الهجامين، المجانين القتله يصنعون صور البطوله بانهم باصرار لا يهدا.

د. يحيى:

والله يا رامى أنا غلبت معك، ألاحقك بجدية لأننى أعلم أنك جاد، ويلومنى الجميع على ذلك، لكن هذا من حقك.

اقتراح: هل يمكن أن تبدأ فى محاولة أن تعيد كتابة ما ينطلق منك هكذا، بشكل أكثر تماسكا؟

ياليت يا شيخ

لكن لا تتراجع!

*****

فى فقه العلاقات البشرية: دراسة فى علم السيكوباثولوجى (53)

لوحات تشكيلية من العلاج النفسى والحياة

اللوحة (18) أبواب وسراديب (4 من 4)

أ. علاء عبد الهادى

مفيش حد خالص ممكن يسمح لنفسه أنه يشوف اللى جوه، وأن ده لو حصل هيتألم أكثر من اللازم وهيبقى مسئول عن تغييره، وحتى لو حصل ده وقدر أنه يعمله هيلاقى نفسه وحيد وهيرجع والمجتمع والسلطة مش هتسيبه يا ترى من المسئول أحنا اللى رضينا بالوضع والاستسهال وإن أحنا بنسعى عن وجع الدماغ، ولا الدولة والمجتمع واللى بتمارسه من قهر وذل للى يحاول، وإيه الحل؟

د. يحيى:

أرجو أن تقرأ الحلقة بعنوان "ضبط جرعة التعرية والرؤية" وهى التى صدرت أول أمس (الأربعاء) نشرة 24-2-2010 بعنوان "فانوس ألوان".

*****

في فقه العلاقات البشرية: دراسة في علم السيكوباثولوجي (54)

لوحات تشكيلية من العلاج النفسي والحياة

اللوحة (19) فانوس ألوان (ضبط جرعة التعرية والرؤية)

أ. رامى عادل

يسعدنى ان اخبرك يا د يحيى ان معظم رواياتى قديمه جدا، خصوصا المعبره عن الاضواء والاطباق والجماجم وحيات الجرس ورجرجة الارض وحرب الشوارع، هى خبرة جنون تشرد غرابة اطوار، صحيح الى حد كبير أن الجميع يرفض حكيي، وهل احكى لاحد سواك؟ ليس سرا ان من لم يعش خبرتى لن يفهمها حقدا وتمردا، الاختلاط بالمجنون تلو الاخر يسمح لى بان اسر اليك ببعض منى. كما اعتاد الصدبحكم المرض، حتى يغمرنى المندهشون الاجلاء بفيض عذوبتهم،عموما خبرتى ليست ملكا لاح، وليست ايضا للكبار فقط، كلما ازدادت ساعات العمل لدى اعرف لماذا تكون المعرفه فى اضيق الحدود، اعنى بها معرفة الناس، حتى المدمن احب ان نعمل سويا، لكن فى اضيق الحدود، بعض ما يدفعنى لقول الحقيقه هو وجه الشبه بين تعريتى لذاتى والحاله المزاجيه العكره لصاحبة حلقة اليوم. لن امل من تكرار الشرح الى ان نصل سويا لبر، ولست المجنون الوحيد الذى يروى عن ما يسمعه من عفاريت مفرقعه زائغه، فى مصر وحدها عدد غير قليل من الخلق يشبهوننى وعددا اكبر يمقتون سيرتي، لست متاكدا. الجديد الغريب هو وقوعهم فى الفخ،عمومافيك وفيهم البركه، تحت الطلب.

د. يحيى:

أنت تثرينى يا رامى بجد

قد يحتاج جمع كل ما كتبت فى البريد حتى الآن (عامين ونصف) إلى تفرغ من أحد أبنائى بناتى تلاميذى للإلمام بهذه الخبرة

إياك أن تمرض ثانية

هل أخبرك بسر حجبته عنك مدة طويلة؟

"انت لن تعد تستطيع أن تُجَن ثانية"

ياه!

بعيد عن شنبك

مبروك

*****

في فقه العلاقات البشرية: دراسة في علم السيكوباثولوجي (54)

اللوحة (19) فانوس ألوان (ضبط جرعة التعرية والرؤية)

د. أسامة عرفة

حركية النمو الجدلية الواقعية المسئولية الأصعب

السؤال: فى غير المرضى هل نفس الحذر مطلوب فيما يخص التعرية و الرؤية؟

هل مسار حركية جدل النمو الطبيعى فى الأسوياء تقتضى المرور بمحطات التعرية و الرؤية أم قد يتم هذا الجدل خارج مستوى الشعور، مع أطيب الدعاء.

د. يحيى:

هو قد يتم غالبا جدا خارج منطقة الشعور

لكنه حقيقة مسئولة رائعة تميز البشر فعلاً: الأسوياء قبل المرضى.

وهم أصعب!!

*****

في فقه العلاقات البشرية: دراسة في علم السيكوباثولوجى (55)

اللوحة (20) أن تكون "ذاتك" معه، معهم!

أ. رامى عادل

لا يا عمْ، الطـــيب أحـــســـن.

مالناش غير إننا نمـــشـــى، ونمـــشـــى، ونمـــشـــي.

وما دام ما احناش حا نبطـــل،

يبقى لمْ بد حانوصل.

يا حلاوة المشى الجدْ

حتى لو قال العنْد

لأه، مش عايز حَدْ.

التعقيب:

اصلي بافكر امشي للهند، اصلب طولي، اسد شقوق روحي، اهدي وامد، شيل الحمل يلملمني، بيرسيني فوق الارض، الجبل متفشفش، والبحر غرقان في الناس، ورماد وقود سراب عيون ناس، مقتول الجرار، اقفاص حديد، وملوك القرن العشرين، يرقعوا بالصوت،داير ما يدور دباديب، وحبوب، ئرافات كرنفال، مدفون السر في قلب البنت، كوتشينة غرام الاسياد،يصبوا الويكا في الشفايق، وخدود الورد الرمان، مهري مفروم،دم الولد يروح هدر، يطفش يلحق القلم، مبلحقوش، بيده خيط العنكبوت، عشش علي فمه، يبريني، عايز.. ارجع الكوه، محار ورغاوي قروش وصبايا عروس، خمراان، وهنا لكي اتوقف اجدك في قلبي بما لا ترضي له ليلك.

د. يحيى:

الله يخرب بيتك يا رامى !!

شتـــــاء وربيـــــع 2011

إصـــدارات شبكـــة العلـــوم النفسيـــة العربيـــة

جميع الحقوق محفوظة للمؤلـف 2011

كلمة كلمة

الجزء الثاني

أ. د. يحيى الرخاوي

- أستاذ الطب النفسي: كلية الطب، جامعة القاهرة
- كبير مستشاري دار المقطم للصحة النفسية لشخصيات
- رئيس مجلس إدارة جمعية الطب النفسي التطوري والعمل الجماعي

الأبحاث النفسية

- عديد الأبحاث وأوراق بالإنجليزية و عديد الفروض والنظريات والمداخلات بالعربية إضافة إلى عديد أبحاث الدكتوراه والماجستير التي قام بها واشرف عليها و مشاركته عديد الندوات والمؤتمرات العلمية والعالمية

المؤلفات

- حيرة طبيب نفسي - المشي على الصراط (ج1 الواقعة. ج2 مدرسة العراة) - مقدمة في العلاج النفسي الجمعي - دراسة في علم السيكوباثولوجى (شرح : سر اللعبة) العمل المحوري الذي يمثل تنظيره للأمراض النفسية والسيكوباثولوجيا - أغوار النفس - حكمة المجانين - النظرية التطورية الإيقاعية وأساسيات من علم النفس (تشمل الخطوط العامة للنظرية النفسية البيولوجية للمؤلف) - قراءات في نجيب محفوظ - مثل.. وموال - مراجعات في لغات المعرفة - مواقف النفري بين التفسير والاستلهام - ترحالات يحيى الرخاوي (ثلاثة أجزاء) - مبادئ الأمراض النفسية - علم النفس في الممارسة الطبية - علم النفس تحت المجهر -) ألف باء. الطب النفسي - حياتنا و الطب النفسي - حيرة طبيب نفسي - عندما يتعرى الإنسان - دليل الطالب الذكي في علم النفس والطب النفسي: 3 مجلدات - أفكار وأسمار حول القصر العيني - البيت الزجاجي والثعبان. (شعر) - اللغة العربية والعلوم النفسية الحديثة - المفاهيم الأساسية للطب النفسي- الطب النفسي للممارس - قراءات في نجيب محفوظ- مثل.. وموال قراءة في النفس الإنسانية - رباعيات ورباعيات - هيا بنا نلعب يا جدي سويا مثل أمس - تبادل الأقنعة - أصداء الأصداء

الانتماء إلى الجمعيات النفسية

- عضو الجمعية المصرية للصحة النفسية
- عضو مؤسس للكلية الملكية للأطباء النفسيين
- رئيس التحرير المشارك المجلة المصرية للطب النفسي.
- رئيس تحرير مجلة الإنسان والتطور -مستشار النشر بالهيئة العامة للكتاب
- مسئول التحرير المشارك للمجلة العربية للطب النفسي

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف 2011